سلسلة شروحات ومؤلفات معالي الشيخ صالح الفوزان (٤٠)

شرح
الفتوى الحموية الكبرى

لشيخ الإسلام
تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية
أجزل الله له المثوبة والمغفرة

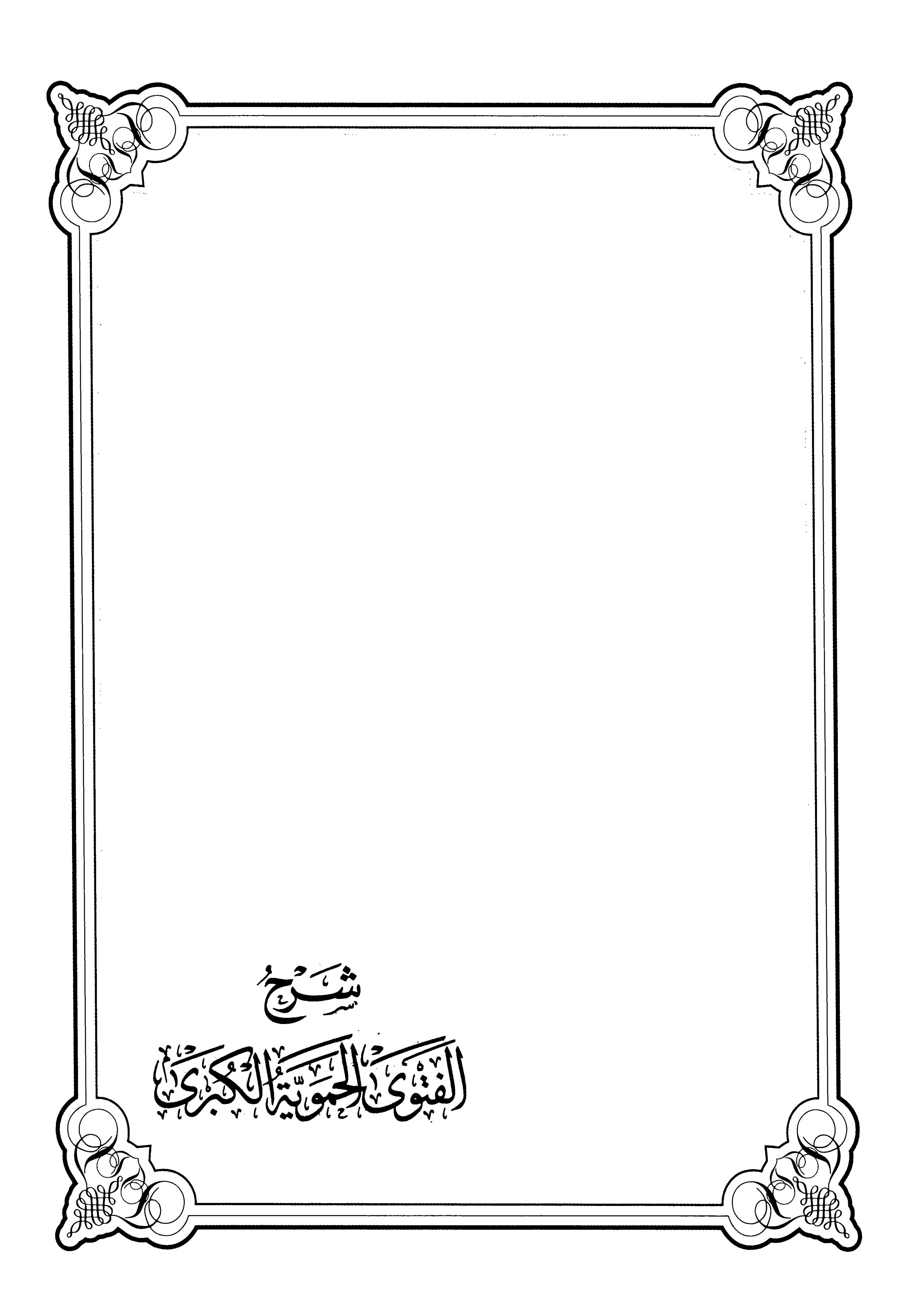
الشرح
لفضيلة الشيخ العلامة
الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه
د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم
غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه





مكتبة الإمام الذهبي
الكويت



شرح

الفتوى الحموية الكبرى

ح دار التراث الذهبي للنشر والتوزيع ، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفوزان ، صالح بن فوزان بن عبد الله

شرح الفتوى الحموية الكبرى. / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان .- الرياض ، ١٤٤٢هـ

١١٢٣ ص ؛ ١٧/٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٥٤٠-٤-٤

١- التوحيد ٢- الألوهية أ.العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٢/٥٣١٧

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٥٣١٧

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩١٥٤٠-٤-٤

الطَّبْعَةُ الأُولَى

(١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م)



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

* الفرع الرئيسي : حولي - شارع المثنى - مجمع البدري
ت ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس : ٢٢٦١٢٠٠٤
* فرع [illegible] : حولي - مجمع البدري ت ٢٢٦١٥٠٤٦
* فرع [illegible] : البرج الأخضر - شارع الدبوس ت ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧
* فرع [illegible] : الناصر مول - ت ٩٥٥٥٨٦٠٨
* فرع [illegible] : المملكة العربية السعودية - التراث الذهبي : ٠٠٩٦٦٥٥٧٧٦٥١٣٨

ص.ب : [illegible] الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت

[illegible]

E-mail: z.zahby74@yahoo.com



لشيخ الإسلام

تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

أجزل الله له المثوبة والمغفرة

الشرح

لفضيلة الشيخ العلامة

الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرف على طبعه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويليم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله، وصحبه، وبعد:

فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجلهم، بطباعة: **شرح الحموية**.

رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة

١٤٤٠/٠٧/١٤هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَـةُ النَّاشِـرِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وعنا معهم إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فهذا هو الشرح الكامل لشيخنا العلامة صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان -نفع الله بعلمه العباد والبلاد-، على الفتوى الحموية لشيخ الإسلام الإمام المتفنن أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، المولود سنة إحدى وستين وستمائة، والمتوفى ثمانية وعشرين وسبعمائة من الهجرة النبوية، وقد ذكر الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أكثر من اسم لمؤلفه المهم هذا -الرسالة الحموية-، فقد ذكره باسم «الفتوى الحموية»؛ (كما في الفتاوى ٣/ ٢٢٧)، وذكره باسم «المسألة الحموية»؛ (كما في الفتاوى ٣/ ١٨٠-٢٠٦)، وكذلك ذكره باسم «جواب الفتوى الحموية»؛ (كما في نقض التأسيس ٨/ ٥٣٧).

والكتاب يتناول موضوع الأسماء والصفات بأسلوب علمي سهل، مع سلاسة اللفظ وحسن الصياغة والعرض، وقد ذكر شيخ الإسلام أبو العباس أحمد ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ سبب تأليفه للفتوى الحموية، وإجابته عليها، وتسميتها، وموضوعها، وتاريخها بقوله: (فإني كنت سئلت من مدة طويلة، بعيد سنة تسعين وستمائة عن الآيات والأحاديث الواردة في صفات الله، في فتيا قدمت من حماة، فأحلت السائل على غيري، فذكر أنهم يريدون الجواب مني لا بد، فكتبت الجواب في قعدة بين الظهر والعصر، وذكرت فيه مذهب السلف والأئمة والمبني على الكتاب والسنة، المطابق لفطرة الله التي فطر الناس عليها) (نقض التأسيس ١/ ٤).

ولقد أوضح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتواه الحموية أن طريقة السلف هي الأسلم والأعلم والأحكم، ولقد تعرض الشيخ الإمام المجاهد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية بسبب فتواه الحموية وغيرها لشتى أصناف الأذى والعداوة، حتى قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واستشعر المعارضون لنا أنهم عاجزون عن المناظرة التي تكون بين أهل العلم والايمان، فعدلوا إلى طريق أهل الجهل والظلم والبهتان، وقابلوا أهل السنة بما قدروا عليه من البغي باليد عندهم واللسان، نظير ما فعلوه قديمًا من الامتحان) (نقض التأسيس١ / ٧).

وأشار ابن عبدالهادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى هذه المحنة بقوله: (وملخصها: أنه كان كتب جوابا سئل عنه من حماة في الصفات، فذكر فيه مذهب السلف، ورجحه على مذهب المتكلمين، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين، واجتمع بسيف الدين جاغان في ذلك، في حال نيابته بدمشق وقيامه، فقام نائب السلطنة وامتثل أمره، وقبل قوله، والتمس منه كثرة الاجتماع به، فحصل بسبب ذلك ضيق لجماعة، مع ما كان عندهم قبل ذلك من كراهية للشيخ، وتألمهم لظهوره وذكره الحسن، فانضاف شيء إلى أشياء، ولم يجدوا مساغا إلى الكلام فيه لزهده، وعدم إقباله على الدنيا، وترك المزاحمة على المناصب، وكثرة علمه وجودة أجوبته وفتاويه، وما يظهر فيها من غزارة العلم وجودة الفهم، فعمدوا إلى الكلام في العقيدة؛ لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف، ويعتقدونه الصواب، فأخذوا الجواب الذي كتبه، وعملوا عليه أوراقا في رده، ثم سعوا السعي الشديد إلى القضاة والفقهاء واحدًا واحدًا، وأغروا خواطرهم، وحرفوا الكلام، وكذبوا الكذب الفاحش، وجعلوه يقول بالتجسيم -حاشاه من ذلك-، وأنه قد أوعز

ذلك المذهب إلى أصحابه، وأن العوام قد فسدت عقائدهم بذلك....، وسعوا في ذلك سعيًا شديدًا) (العقود الدرية ص١٩٨).

وقال -أيضًا-: (وكان سعيهم في حقه أتم السعي، لم يبقوا ممكنا من الاجتماع بمن يرتجون منه أدنى نصر لهم، وتكلموا في حقه بأنواع الأذى، وبأمور يستحي الإنسان من الله سبحانه أن يحكيها، فضلًا عن أن يختلقها ويلفقها، فلا حول ولاقوة إلا بالله! والذين سعوا فيه معروفون عندنا وعند كل أحد، قد اشتهر عنهم هذا الفعل الفظيع، وكذلك من ساعدهم بقول أو تشنيع أو إغراء، أو إرسال رسالة أو إفتاء أو شهادة، أو أذى لبعض أصحاب الشيخ ومن يلوذ به، أو شتم، أو غيبة، أو تشويش باطن، فإنه وقع من ذلك شيء كثير من جماعة كثيرة) (العقود الدرية ص٢٠٢).

وهذه شنشنة نعرفها من أخزم، فلطالما سعى أهل البدعة والضلال والفرقة والتحزب المقيت والانحراف التالف في مهاجمة علماء أهل السنة والجماعة والتوحيد والحق بأصناف التهم الباطلة والأقوال الزائفة، لضعف حجتهم وغلبة الحق، وثقل منهج السلف الصالح عليهم؛ لأن مصالحهم تنقطع، وأهدافهم وغاياتهم لاتتحقق، إذا انتشرت حقائق الكتاب والسنة، وهما الوحيان المعصومان من الخلل والخطأ والزلل، فالحق أبلج، والباطل لجلج، نسأل الله أن يرينا الحق ويرزقنا اتباعه، ويبصرنا بالباطل ويرزقنا اجتنابه، هو ولي ذلك والقادر عليه، وعليه اعتمادنا وتوكلنا جل شأنه وتقدست أسماؤه!

ومازال أهل الحسد يسعون سعيا شديدا في أذى من ينشر الخير والعلم، ويفتعلون ويختلقون التهم الباطلة والأقاويل الكاذبة عاملهم الله بما يستحقون.

وقد أحببت إخراج الشرح الكامل لشيخنا صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان على جميع متن «الفتوى الحموية»، وهو الشرح الكامل، دون الاقتصار على مقدمته؛ تعميمًا للفائدة ونشرًا للعلم، ولمن أحب من طلبة العلم في الاطلاع على جميع تعليقات شيخنا صالح الفوزان وشرحه الطيب على هذه الفتوى المباركة.

وكان ذلك في دروس ألقاها فضيلته في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز بالرياض، في الثاني عشر من شهر شوال من عام أربعة وعشرين وأربعمائة وألف، وانتهى منه في الخامس عشر من شهر ذي القعدة لعام ستة وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية -على صاحبها أشرف السلام وأزكى التحية.

فجزى الله خيرًا شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية صاحب الفتوى الحموية، وشارحها شيخنا العلامة الفهامة صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، جعلنا الله وإياهم من الفائزين المزحزحين عن النار الداخلين للجنة دار الأبرار والأخيار، وجزى الله المتبرعين أجرا عظيما، وتقبل منهم! حيث طبع الكتاب على نفقة الشيخ أبي عبد الرحمن: مساعد بن علي الشايجي، والشيخ أبي وائل: محمد بن أحمد الفرحان وزوجته الكريمة، غفر الله لهم، وجزاهم خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ومما يشار إليه أن طباعة هذا الكتاب، وريعه والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفي من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع.

والله أعلى وأعلم وأعظم وأحكم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سلمان جابر عثمان المجلهم السويلم

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولمشايخه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ الشَّارِحِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جعل العلماء ورثة الأنبياء؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**»(١)، معنى ذلك: أنهم يتلقون العلم الموروث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نقيًّا صحيحًا، ثم يبلغونه للأمة، ويدعون إليه، ويردون ما أُلصق بهذا الدين من البدع والمحدثات والأقوال المخالفة للكتاب والسنة، وهذا هو التجديد الذي قال فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**»(٢)، التجديد معناه: إظهار الدين الصحيح الموروث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونفي ما علق به من البدع والمحدثات والأقوال المخالفة لهدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرجوع بالناس إلى الدين الصحيح،

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد في المسند (٣٦/ ٤٦)، والدارمي (٣٥٤)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٢٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢٢٠) من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**».

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٢٣)، والحاكم (٤/ ٥٦٧)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (١/ ٢٠٨) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لا الدين المزيف الذي يتوارثه الناس من غير بصيرة حسب العادات والتقاليد، وما يحدثه أهل الضلال وينسبونه إلى الدين، فلو بقي الأمر على هذا، لضل الناس عن دين الله عَزَّوَجَلَّ، ولغُير الدين. إلّا أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يأبى إلّا أن يُتم نوره، وقد تعهد الله وتكفل بحفظ هـــذا الـديـن، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، ومن حفظ الله لهذا الدين أن يوجد من العلماء الربانيين الراسخين في العلم من يبين الدين الصحيح من الدين المزيف، وهذا -ولله الحمد- في كل زمان يقيض الله لهذه الأمة من الأئمة المصلحين والمجددين من يقوم بهذه المهمة العظيمة، ولولا أن الله يقيض هؤلاء الأئمة، لضاع هذا الدين، واستبدل بغيره، ولتسلط شياطين الإنس والجن والجهلة على الناس؛ فصرفوهم عن الدين الصحيح. هذا من فضل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على هذه الأمة أن يوجد فيها هؤلاء الأئمة عند الحاجة، ومن هؤلاء: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه قام بنصرة هذا الدين وإظهاره، ودفع الشبه، ودفع الأباطيل التي أُلصقت بالدين، وليست منه، فنصر الله به هذا الدين، ومن قبله الإمام أحمد الذي وقف في وجه الجهمية(١)، والمعتزلة(٢)، وفضحهم، وثبت حتى نصره الله عليهم في مسألة القول

---

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولاهم السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًّا عظيمًا، وهو رأس في التعطيل، قُتل سنة ١٢٨هـ، قتله سَلْم بن أحوز. انظر: الفرق بين الفرق (ص١٩٩)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، وميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٤٢٦)، والتعريفات للجرجاني (ص٨٠)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٣٩- ٥٤١).

(٢) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين، وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها. =

بخلق القرآن، مع أن السلاطين وكبار الشخصيات في الدولة كانوا ضده، ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثبت وصبر على العذاب والسجن والجلد، وفي النهاية صارت العاقبة له، ونصره الله، وثبت به هذا الدين.

ثم جاء من بعده أئمة، منهم هذا الإمام: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن عبد السلام بن تيمية، وهو من بيت علم -بيت آل تيمية-، بيت علم متوارث بينهم، فجده مجد الدين ابن تيمية، الإمام المحدث الفقيه، الذي له كتاب «المنتقى» في الحديث، وله كتاب «المحرر» في الفقه، وله مؤلفات عظيمة، ولذلك يقال: ابن تيمية الحفيد؛ ليخرج بذلك ابن تيمية الجد، الذي هو عبد السلام الإمام الجليل، وتيمية قيل: إنه اسم لجدتهم، كانت عالمة تقية، فنسبوا إليها، وقيل غير ذلك.

ولد هذا العالم في سنة ستمائة وواحد وستين للهجرة (٦٦١هـ) في أرض حرّان من بلاد الشام، وكانت موطن آبائه وأسرته، تلقّى العلم من صغره على أبيه عبد الحليم، وعلى أعمامه، وعلى مشايخه وهو صغير، ثم لمّا جاء التتار من المشرق، غزوا بلاد المسلمين، وداهموا العراق والشام، انتقل به أبوه وأخوته من حَرّان إلى دمشق؛ فرارًا من التتار، وكان أحمد صغيرًا شابًّا، فتلقى العلم عن علماء دمشق، وكان ذكيًّا ذكاءً عظيمًا، أعطاه الله الذكاء والحفظ والتنبه، فحاز علومًا عظيمة -لا فنًّا واحدًا-، برز في التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، وحتى إنه

= وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى، يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة، جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة. انظر: البدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، الفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، والملل والنحل (١/ ٤٣ - ٨٥)، ووفيات الأعيان (٦/ ٧- ١١)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٣٧-٥٣٩).

درس علم الكلام وعلم المنطق، وعرف أصوله، وعرف منهجه إلى جانب دراسته لكتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهج السلف الصالح، تبحر في العلوم، وصار يُفتي وسنه لم تصل إلى العشرين، وجلس للتدريس، فبهر من حضر من العلماء والطلبة والمستفيدين بغزارة علمه، ودقة فهمه، وإلمامه بالمذاهب والعلوم، ثم صار يناظر الأكابر، يناظرهم حتى في مذاهبهم، ويعرف منها ما لا يعرفون.

ولمّا كان وقته وقت فتنة من جميع النواحي: من ناحية تسلط علماء الكلام والفلسفة على عقائد المسلمين وإرادتهم أن تحل عقيدة المنطق وعلم الكلام محل عقيدة التوحيد، وكذلك في وقته كانت القبورية -أيضًا- مسيطرة على عقول كثير من الناس عُبَّاد القبور، وعُبَّاد الأولياء والصالحين والأضرحة، وفي وقته كانت الصوفية الضالة في أقوى عصورها، وفي عصره كانت الشيعة[1] باختلاف طوائفها من باطنية وغيرها قد ظهر شرها، وأنواع من الفتن في العقيدة والعبادة والبدع والمحدثات والشركيات، فقام رَحِمَهُ اللَّهُ بمقاومة هذه الطوائف كلها ومنازلتها والرد عليها بدروسه وكتاباته وإجاباته وفتاواه ومؤلفاته، ونصره الله عليها، ولكن وشوا به إلى السلاطين وإلى الولاة، فعقدت له محاكمات عديدة، حضرها العلماء والأمراء، وظهر عليهم بالحجة والبرهان، عند ذلك لم يجدوا سلاحًا إلّا السجن لمّا أعياهم الرد عليه بالحجة، طلبوا من السلاطين سجنه، فسُجن في الشام، ثم أُطلق، ثم سُجن، ثم طُلب إلى مصر، وسجن فيها، ثم أُطلق، ثم سجن، وأخيرًا كان طلابه يترددون عليه في السجن، ويتعلمون منه، ويكتب ويؤلف وهو في السجن، ثم لمّا

---

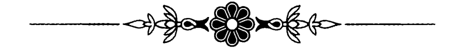
(١) هم الذين شايعوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -على الخصوص-، وقالوا بإمامته وخلافته نصًّا ووصية -إما جليًّا، وإما خفيًّا-، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت، فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وهم ثلاث طوائف: الغالية، والروافض، والزيدية. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٥ وما بعدها)، والملل والنحل (ص١٤٦)، والتعريفات (ص١٧١).

رأوا أنه لم يقف ولم يحد من نشاطه السجنُ، قاموا ومنعوا عنه الكتب، وأخرجوها عنه، ومنعوا عنه الحبر و الزوار، عند ذلك تفرغ لتلاوة القرآن والعبادة حتى توفاه الله في السجن، بعد أن تفرغ للعبادة وتلاوة القرآن، فكان يختم القرآن في كل ثلاث، ويشتغل بذكر الله والتفكر والتدبر، حتى وافاه الأجل وهو في السجن رَحِمَهُ اللَّهُ، لكنه خلّف طلابًا أئمة، قاموا بالدعوة على نمط ما دعا إليه، وخلَّف كتبًا وثروةً عظيمة، وخلّف من الطلاب أئمةً كبارًا: كابن القيم، وابن كثير، والذهبي، والمزي، وغيرهم من كبار المحدثين والفقهاء، فقاموا رَحِمَهُمُ اللَّهُ بنشر دعوته، ونشر كتبه، والكتب التي كانوا يحذرون منها حُفظ الكثير منها -ولله الحمد-، والرسائل والفتاوى جُمعت، وظهرت كتبه، واختفت كتبهم هم، فلم يبق لهم أثر، خصوصًا في وقتنا هذا؛ فإن مؤلفات هذا الإمام صار لها صدى في العالم الإسلامي، وغيرت كثيرًا من المفاهيم الخاطئة، وأقبل الناس عليها يتلقفونها، ويبحثون عنها؛ لما فيها من الحجة الناصعة، والبيان الواضح، ونية المؤلف النية الخالصة لله عَزَّوَجَلَّ، فها هي ذي كتبه -ولله الحمد- يتنافس عليها طلاب العلم في المشارق والمغارب، رغم ما يحاك ضدها وما يقال فيها؛ فالشمس في رابعة النهار لا أحد يستطيع أن يغطيها بيده، فالحق واضح -ولله الحمد-، والشبهات والأهواء لا تقوم أمام شعاع الشمس ووضوح الحق، فتغلبت دعوته حيًّا وميتًا رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يكتب الفتاوى ويكتب المؤلفات الضخمة والكتب، ومؤلفاته تنقسم إلى أقسام: مؤلفات كبيرة -كتب ضخمة-، أو أجزاء صغيرة، أو رسائل يرسلها إلى الأقطار، أو فتاوى يُسأل عنها، فيجيب عليها، وقد جُمع من فتاواه المطبوعة الآن خمسة وثلاثون مجلدًا ضخمًا، وهناك فتاوى -أيضًا- تظهر بين حينٍ

وآخر، وهناك كتب تظهر، حتى قال تلميذه الإمام الذهبي في ترجمته: (لا أستبعد أن تكون مؤلفاته تصل إلى خمسمائة مجلد).

وليست العبرة بكثرة المؤلفات، لكن العبرة بالتحقيق والنية الصالحة، والنصح لله ولرسوله، أما إذا حصل مؤلفات كثيرة، وفيها خير وعلم، فهذا من زيادة الخير، وهذا من مصداق قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، تُوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عام سبعمائة وثمان وعشرين -رحمه الله تعالى وغفر له[1]!



(١) انظر في مصادر ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية:
١- العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن عبد الهادي.
٢- الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، للبزار.
٣- أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن القيم.
٤- الوافي بالوفيات للصفدي (٧/ ١٥-٣٣).
٥- فوات الوفيات للكتبي (١/ ٧٤-٨٠).
٦- البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ١٣٥-١٤٠).
٧- دول الإسلام للذهبي (ص٤٢٠).
٨- تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٩٦-١٤٩٨).
٩- الردّ الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي.
١٠- الدرر الكامنة لابن حجر (١/ ١٥٤-١٧٠).
١١- شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٨٠-٨٦).
١٢- الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الحنبلي.
١٣- طبقات الحفاظ للسيوطي (ص٥٢٠- ٥٢١).
١٤- البدر الطالع للشوكاني (١/ ٦٣-٧٢).
١٥- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للألوسي.
١٦- الأعلام للزركلي.
١٧- معجم المؤلفين، لرضا كحالة (١/ ٢٦١).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُئِلَ شَيْخُ الإِسْلامِ، العَلَمُ الرَّبَّانِيُّ تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَباس أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، **وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتّمَائة، وَجَرَى بِسَبَبِ هَذَا الْجَوَابِ أُمُورٌ وَمِحَنٌ، وَهُوَ جَوَابٌ عَظِيمُ النَّفْعِ جِدًّا، فَقَالَ السَّائِلُ: مَا قَوْلُ السَّادَةِ العُلَمَاءِ أَئِمَّةِ الدِّينِ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، **وَقَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [الأعراف:٥٤]، **إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ، وَأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ كَقَوْلِهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»**(١)، **وَقَوْلِهِ: «يَضَعُ الجَبَّارُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ»**(٢)، **إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ، وَمَا قَالَتِ العُلَمَاءُ، وَابْسُطُوا القَوْلَ فِي ذَلِكَ مَأْجُورِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى؟**

الشَّرح

من رسائل شيخ الإسلام العظيمة هذه الرسالة المسماة بـ «الفتوى الحموية»؛ لأن الذي سأله رجل من أهل حماة بالشام، فسُميت بالحموية، مثل: الواسطية «الفتوى الواسطية» أو «الرسالة الواسطية»؛ لأن الذي سأله رجل من أهل واسط بالعراق، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ سريع الكتابة، يقولون: إنه كتب الحموية في جلسة بين الظهر والعصر، وكان يكتب الجواب، فيتكون مؤلفًا أو رسالةً ضخمة، يكتبه في جلسة واحدة لوفرة معلوماته وسرعة بديهته، وسرعته في الكتابة الفائقة؛ فهذه

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه بنحوه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦)، ومن حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨).

هي «الفتوى الحموية»؛ نسبةً إلى حماة؛ لأن الذي سأل رجل من أهل حماة، سأله عن ماذا؟ سأله عن آيات وأحاديث الأسماء والصفات، أي: الأسماء الواردة في أسماء الله وصفاته، والأحاديث الواردة في أسماء الله وصفاته؛ لأنه دار فيها كلام بين الناس، وتشككوا فيها:

* **فمنهم**: من نفى الأسماء والصفات كالجهمية والمعتزلة.

* **ومنهم**: من أوَّلها، أي: فسرها بغير تفسيرها؛ لأنه لما لم يمكنه نفي النصوص، نفى معانيها، فأولها بتأويلات باطلة.

* **ومنهم**: من قال: إنها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، نقرأ ألفاظها، ولانفسرها، نعتبرها من المتشابه، وهؤلاء يقال لهم: المفوضة، والذين من قبلهم يقال لهم: المؤولة.

وأمّا أهل السنة والجماعة، فإنهم أثبتوا ألفاظها، وأثبتوا معانيها على الوجه الذي تدل عليه، ولم يحرفوها، ولم يؤولوها، ولم يقولوا: إنها من المتشابه. بل قالوا: إنها من المحكم البيِّن الذي يعرف معناه، وليست من المتشابه الذي لا يُعرف معناه، بل هي من المحكم الواضح؛ وهذا ما عليه الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان، ومن جاء بعدهم من المحققين على هذا المنهج؛ إثباتها كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، على ما جاءت؛ كما يليق بالله عَزَّوَجَلَّ، ليست كصفات المخلوقين، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، هذا ما عليه أهل السنة والجماعة، وأئمتهم في ذلك صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المهاجرين والأنصار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والذين اتبعوهم بإحسان، ومن جاء بعدهم وسلك سبيلهم.

هذا ما أجاب به الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الرسالة، ولكن لما ظهر هذا الجواب، حصل بسببه أمور ومحن -كما ذكر-، امتحن الشيخ فيها، وحوكم، ولما لم يتغلبوا عليه بالحجة، سجنوه بسبب -أيضا- الجواب عن زيارة القبور، ومنعه السفر لزيارة القبور، شنعوا عليه، وشددوا؛ لأنهم يرون السفر للقبور، فهم عبّاد قبور وأضرحة، وهو قد سد الطريق عليهم، قالوا: (إنه يتنقص الأولياء، ويتنقص الصالحين)، وشنعوا عليه بسبب هذا الجواب، ولكن الحمد لله لم يفوزوا بطائل، وإنما فازوا بالخزي والذلة والهوان، وظهر الحق -ولله الحمد-، وهم له كارهون.

قوله: (وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ)، يعني: الجواب صدر منه في هذا التاريخ.

قوله: (وَجَرَى بِسَبَبِ هَذَا الجَوَابِ أُمُورٌ وَمِحَنٌ)؛ أمور ومحن من المحاكمات والسجن والإهانة.

قوله: (وَهُوَ جَوَابٌ عَظِيمُ النَّفْعِ جدًّا)، هذا الجواب في هذه الرسالة عظيم النفع جدًّا، فيه قواعد عظيمة لطالب العلم.

قوله: (مَا قَوْلُ السَّادَةِ العُلَمَاءِ أَئِمَّةِ الدِّينِ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ)، هذا هو الواجب أن المسائل والمشاكل يُرجع فيها إلى أهل العلم، ولا يُرجع فيها إلى المتعالمين، أو يُرجع فيها إلى أهل الضلال والانحراف، وإنما يُرجع فيها إلى أهل التحقيق والبصيرة.

قوله: (كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾)، من آيات الصفات التي حصل فيها سوء الفهم مسألة الاستواء على العرش، فإن الله أخبر عن

نفسه جَلَّوَعَلَا أنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه[١]، في كلها يقول: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، فدل على أنه استواء حقيقي، ليس استواءً كما يقوله المبتدعة بمعنى: الاستيلاء، ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ يقولون: (استولى على العرش)، زادوا لامًا من عندهم في كتاب الله؛ كما زادت اليهود نونًا بالتوراة، لما قيل لهم: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة:٥٨]، أي: حط عنا ذنوبنا، قالوا: حنطة حبة حنطة؛ لأنهم يريدون الأكل، ولا يريدون الاستغفار؛ فاليهود زادوا نونًا في كتاب الله[٢]، وهؤلاء زادوا لامًا في كتاب الله، فقالوا: استوى يعني: استولى، ولم يرد في آية واحدة في القرآن كله لفظ (استولى)، دل على أن هذا تأويلٌ باطل مـردود.

﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ على حقيقته: أنه علا وارتفـع -سبحانه- على العرش، هذا معناه[٣]، وأمّا الاستيلاء، فما الذي يخص العرش؟! الله مستولٍ على كـل المخلوقات سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، بمعنى: أنه يملكها ويدبرها.

أيضًا ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، الترتيب يدل على أنه ما استولى على العرش إلا بعد أن تَغلَّب عليه، وكان قبل في ملك غيره؛ كما تقول: استولى الملك على البلد الفلاني، استولى عليه من يد عدوه، هذا تأويل باطل، وقد ألّف فيه رَحِمَهُٱللَّهُ في إبطال هذا التأويل «استوى» بـ«استولى»، ألّف فيه رسالة مستقلة[٤]، أبطله من عشرين

---

(١) ورد ذكر الاستواء في سبعة مواضع: سورة الأعراف آية (٥٤)، وسورة يونس آية (٣)، وسورة الرعد آية (٢)، وسورة طه آية (٥)، وسورة الفرقان آية (٥٩)، وسورة السجدة آية (٤)، وسورة الحديد آية (٤). وانظر: نونية ابن القيم مع شرحها لابن عيسى (١/ ٥١٠).

(٢) قال ابن القيم في النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢٦):

نُـونُ الْـيَـهُـودِ وَلَامُ جَـهْـمِـيٍّ هُـمَـا ... فِي وَحْـيِ رَبِّ الْـعَـرْشِ زَائِـدَتَـانِ

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٨٥)، ومشارق الأنوار (٢/ ٢٣١)، ولسان العرب (١٤/ ٤١٤). وانظر: تفسير الطبري (١/ ٤٥٦).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٤٤)؛ حيث ذكر اثني عشر وجهًا في إبطاله، وانظر أيضًا فيه =

وجهًا، وبيّن بطلانه. كلها ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى﴾ثم، ما عدا واحدة ﴿ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩]، يعني: ارتفع سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وعلا.

قوله: (إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَحَادِيثِ)؛ كقوله: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»[1]، نثبت لله الأصابع؛ كما أثبتها لنفسه، ونثبت أنه يتصرف في قلوب العباد -سبحانه-، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، وليس معنى قوله: «بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ» أن أصابع الرحمن ملتصقة بالقلب، فهذا لايلزم، والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤]، فكلمة «بين» لا يلزم منها الالتصاق، فالسحاب بين السماء والأرض ليس ملتصقًا بالأرض، وليس ملتصقًا بالسماء، بل هو بينهما، فلا يلزم من «بين» الملاصقة والمماسة -كما يقولون-، فنثبته كما جاء: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»؛ بينيةً تليق بجلاله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، ليست بينية ملاصقة ومماسة.

وقوله: (يَضَعُ الجَبَّارُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا)، سيأتي هذا في نص الأحاديث: «فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ»[2]، يعني: كفاني كفاني، والحديث يقول: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى

= (١٦/ ٣٩٥) وما بعدها. وقال ابن القيم في النونية (١/ ٣٩٦):

هَــذَا وَمِــنْ عِشْرِيــنَ وَجْـهًـا يَبْطُـلُ ... التَّفْسِيرُ بِاسْتَوْلَى لِذِي الْعِرْفَانِ
قَدْ أُفْرِدَتْ بِمُصَنَّفٍ لِإِمَامِ هَـ ... ـذَا الشَّأْنِ بَحْرِ الْعَالَمِ الحَرَّانِي

وفي «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (ص٣٧١): رد تفسير الاستواء بالاستيلاء من اثنين وأربعين وجهًا.

(١) سبق تخريجه (ص١٥).

(٢) سبق تخريجه (ص١٥).

يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ»، يعني: كفاني.

ففيه إثبات القدم لله، وإثبات الرِّجل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على ما يليق بجلاله، وأنه يضعها في النار، فينزوي بعضها إلى بعض.

الله قادر على كل شيء، والنار خلق من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنحن نثبت الحديث كما جاء، ولا نتدخل بأفهامنا وعقولنا القاصرة، فننفي عن الله ما أثبته لنفسه، بل نثبت أن لـه قدمًا، وأن له رجلًا، وأن له ساقًا؛ كما جاء في الأحاديث، ولانتدخل؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فلا نقول: (إن هذه موجودة في المخلوقين، فإذا أثبتناها، شبهنا الله بالمخلوقين)، نقول: لا، هذا مع الفارق، هناك فرق بين صفات الله وصفات خلقه على ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لانتكلف.

قوله: (**وَمَا قَالَت العُلَمَاءُ، وَابْسُطُوا القَوْلَ فِي ذَلِكَ مَأْجُورِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى**)، ما الذي قالت العلماء في هذه الآيات وهذه الأحاديث؟ يقصد بالعلماء: الراسخين الذين يؤخذ بقولهم، لا علماء الضلال، ولا المتعالمين، ولا الجهال، فإنما يقصد بالعلماء: الربانيين الراسخين في العلم، فهم الذين يعتبر قولهم وفتواهم.

والتوحيد ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله جَلَّ وَعَلَا: كالخلق، والرزق، والإحياء والإماتة، وتدبير الكون.

وتوحيد الألوهية: وهو توحيد الله بأفعال العباد التي يتقربون بها إليه مثل: الدعاء، والصلاة، والذبح، والنذر وغير ذلك، توحيد الله بأفعال العباد التي يتقربون بها إليه هذا توحيد الألوهية.

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات: وهو إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، وتنزيه الله عمّا نزّه نفسه عنه من النقائص والعيوب على موجب ما جاء في الكتاب والسنة، وهذا القسم في الحقيقة داخل في توحيد الربوبية، ولذلك بعض العلماء يقول: التوحيد نوعان -هذا على سبيل الإجمال-:

توحيد المعرفة والإثبات، وهذا هو توحيد الربوبية، ويدخل فيه الأسماء والصفات، ويسمى بالتوحيد العلمي.

وتوحيد في الطلب والقصد: وهذا هو توحيد الألوهية، الطلب والقصد؛ طلب العبادة من الله عَزَّوَجَلَّ ودعاؤه، هذا توحيد الألوهية، وهذا يسمى بالتوحيد العملي.

لكن لمّا حصل في الأسماء والصفات الخوض الكثير عند المتأخرين، احتاج العلماء إلى أن يفصلوا توحيد الأسماء والصفات، ويجعلوه قسمًا ثالثًا؛ من أجل الرد على هؤلاء وبيان الحق في ذلك، وإلّا هو في الحقيقة داخل في القسم الأول، فالتوحيد نوعان:

* توحيد الربوبية، ويدخل فيه الأسماء والصفات.
* وتوحيد الألوهية. هذا على سبيل الإجمال.

وعلى سبيل التفصيل تقول: التوحيد ثلاثة أقسام، فتجعل توحيد الأسماء والصفات قسمًا ثالثًا؛ من أجل الرد على هؤلاء الذين يخوضون في هذا الباب من غير علم ولا بصيرة.

قوله: (وَابْسُطُوا الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ مَأْجُورِينَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى)، يطلب السائل من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يبسط القول، ولا يختصر في ذلك، وقد حقق لـه طلبه، فقد بسط القول في هذا الجواب، حتى تكون منه هذه الرسالة الضخمة.

(مَأْجُورِينَ)، أي: على بيان العلم للناس وتوضيح الحق، ولا شك أن هذا فيه أعظم الأجر، وهو أنفع من صلاة النافلة، فطلب العلم وبيان العلم أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات؛ لأن العلم يتعدى نفعه للناس، وأما العبادات، فإن نفعها قاصر على صاحبها، فالذي يصلي الليل أو يصوم النهار نفعه خاص به، ولايستفيد الناس منه، لكن إذا جلس للعلم والتدريس والفتوى وإجابة الأسئلة، فهذه يتعدى نفعها، وهي أفضل من التفرغ لنوافل العبادات.



فَأَجَابَ: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، قَوْلُنَا فِيهَا مَا قَالَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمَا قَالَهُ أَئِمَّةُ الهُدَى بَعْدَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ الخَلْقِ فِي هَذَا البَابِ وَغَيْرِه، فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ، وَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ بَعَثَهُ دَاعِيًا إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨].

الشَّرح

قوله: (الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، هذا عملًا بحديث البداءة بالحمد لله[(١)]، وقد بدأ الله كتابه الكريم بـ(الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، فـ«الحمد لله» يُبدأ بها في مهام الأمور؛ كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبدأ خطبه بـ(الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، ويبدأ رسائله إذا أرسل إلى أحد بـ(الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[(٢)]، ويكفي في هذا كتاب الله

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ، فَهُوَ أَقْطَعُ**» ورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة، منها المرفوع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنها المرسل، وقد أخرجه أبو داود (٤٨٤٠)، والنسائي في الكبرى (١٠٢٥٥)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وأحمد في المسند (١٤/ ٣٢٩)، وابن حبان في صحيحه (١/ ١٧٣، ١٧٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣٣٩)، والدارقطني (١/ ٢٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٠٨)، وفي شعب الإيمان (٤/ ٩٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) ورد الثناء على الله عَزَّ وَجَلَّ في خطب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورسائله، وكتبه، ومن ذلك: خطبة الحاجة التي كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولها بين يدي حاجته.
أخرجها مسلم مختصرة من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (٨٦٧)، ومن حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (٨٦٨)، ووردت مطولة ومختصرة من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد في المسند (٦/ ٢٦٢)، وأبي داود في سننه (١٠٩٧)، والترمذي في سننه (١١٠٥)، والنسائي في الكبرى =

إذا فتحت المصحف أول ما تقرأ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الفاتحة:٢]، بدأ الله بها الخلق: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١]، وينهي بها الخلق: ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الزمر:٧٥]، وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [القصص:٧٠]، فالحمد يُبدأ به، ويُختم به، وهو الثناء على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما هو أهله.

قوله: (**قَوْلُنَا فِيهَا مَا قَالَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ**)، هذا هو الواجب في الأسماء والصفات وفي مسائل العلم عمومًا، لكن الأسماء والصفات بالذات لأهميتها، ولأنها حصل فيه الخوض، فنحن نقول فيها ما قاله الله، وما قاله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما قاله المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين هم تلاميذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما قاله التابعون لهم بإحسان، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠]، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾، المهاجرون هم الذين هاجروا من ديارهم إلى المدينة، هاجروا إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتركوا ديارهم وأوطانهم فرارًا بدينهم، ونصرةً لرسولهم، فهم أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم تركوا أموالهم وأولادهم وديارهم، وهاجروا طاعةً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهل بعد هذا البذل بذل؟ ليس بعد هذا البذل بذل، ثم الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين آووا ونصروا،

= (١٧٢١، ٥٥٠٢، ٥٥٠٣، ١٠٢٤٩، ١٠٢٥٠، ١٠٢٥٢، ١٠٢٥٣)، وابن ماجه (١٨٩٢)، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ شرح لها في جزء لطيف، طبعته دار الأضحى بالأردن.

وفتحوا ديارهم وبيوتهم وقلوبهم لإخوانهم المهاجرين رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ، وواسوهم، وأحبوهم، فلهم الفضل؛ لأنهم أنصار الله، وأنصار رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأنصار أهل الإيمان؛ ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩]، هؤلاء هم الأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ [التوبة:١٠٠]؛ الذين اتبعوا المهاجرين والأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ ممن يأتي بعدهم، لكن قيده بإحسان؛ لأن بعض الناس يزعم أنه يتبع المهاجرين والأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ، لكن لايحسن الاتباع؛ إمّا أن يغلو، ويتبع الغلو ويقول: (هذا مذهب المهاجرين والأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ)، وإمّا أن يجفو، ويقصر، فقيد الاتباع بإحسان يعني: يتقن الاتباع من غير إفراط ومن غير تفريط، لا يفرط ويغلو ويضيع، فهذا ليس من اتباع المهاجرين والأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنهُمْ.

قوله: (وَمَا قَالَهُ أَئِمَّةُ الْهُدَى بَعْدَ هَؤُلاءِ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ)، وما قاله أئمة الهدى من العلماء الذين جاءوا بعد هؤلاء -بعد الصحابة والتابعين-، الذين جاءوا من بعدهم من الأئمة كالأئمة الأربعة، والأئمة الذين ساروا على هذا المنهج، وقاموا به ممن جاء بعدهم من سائر الأئمة، وهم -ولله الحمد- كثرةٌ كاثرة ووفرة -ولله الحمد-، الأئمة والمجددون والعلماء الربانيون متوفرون في هذه الأمة -ولله الحمد.

أجمع المسلمون على هداية هؤلاء الأئمة، وهدايتهم يعني: إصابتهم الحق ودرايتهم، فهم عندهم علم واتباع؛ لأن بعض الناس عنده علم، لكن ما عنده اتباع، أو بعض الناس عنده اتباع، لكن ما عنده علم، أمّا هؤلاء الأئمة، فجمعوا بين الأمرين: العلم والاتباع.

قوله: (وَهَذَا هُوَ الوَاجِبُ عَلَى جَمِيعِ الخَلْقِ فِي هَذَا البَابِ وَغَيْرِهِ)، هذا هو الواجب أن يقول ما قاله الله، وقاله رسول الله، وقاله المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والذين اتبعوهم بإحسان، وأن يقول ما قاله الأئمة في آيات الصفات وأحاديثها، أما من خالف ذلك، فإنه من أهل الضلال وأهل الزيغ والانحراف.

الواجب عليك في باب الأسماء والصفات وباب العقيدة والتوحيد أن تتبع هذا الأصل، وهو منهج السلف الصالح من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين والأئمة المهديين، ولا تنحرف عنهم، أو تزعم لنفسك أنك أعطيت شيئًا لم يصلوا إليه، أو أنك فهمت غير فهمهم؛ لأن بعض الناس يأتي بأشياء من عنده، لم يقلها السلف، ولاقالها أهل العلم، يأتي بأشياء وتفسيرات واجتهادات من عنده في أصل التوحيد الذي لا يقبل الاجتهادات، وإنما هو اتباع واقتداء فقط، تقول ما قاله السلف، وتكف عما كف عنه السلف؛ لأنهم أدرى منك وأعرف منك، وأثبت منك في العلم، يكفيك أن تكون تابعًا لهم، وتعرف مذهبهم وتتبعه، أما أنك تحدث شيئًا، وتأتي باجتهادات وتفسيرات من عندك، فهذا ضلال وباطل؛ لأن بعض المتعالمين أحدثوا أشياء من الصفات، يقولون: (هذه أخذناها من الكتاب الفلاني ومن النص الفلاني)، استنبطوها، فطالب العلم لا يسعه هذا، لا تثبت من الصفات إلا ما أثبته هؤلاء، لا تزد على ما أثبتوه شيئًا لم يقل به السلف، لا تقل به، احذر من هذا في هذا الباب وغيره من أبواب العلم، لكن هذا الباب بالذات؛ لأن الزلة فيه ليست كالزلة في غيره، وإلا الواجب عليك في جميع أبواب العلم أنك تتبع ما عليه السلف الصالح، كفاك أنك تسير مع الجادة، ولا تخرج عن الجادة، فتتخلف عن الركب.

قوله: (فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ)، لما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في أول

كلامه أن قولنا في آيات الصفات وأحاديثها هو ما قاله الله ورسوله ﷺ -يعني: نؤمن بها على ما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكذلك ما قاله صحابة رسول الله رضي الله عنهم، وكذلك ما قاله الأئمة الذين اقتفوا آثارهم في هذا الباب وغيره-، علل ذلك بقوله: (فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ)، وإذا كان الله قد بعث رسوله بالهدى ودين الحق، فمن الهدى ودين الحق آيات الصفات وأحاديثها، والهدى هو: العلم النافع، ودين الحق هو: العمل الصالح، والرسول ﷺ بُعث بالأمرين: بالعلم النافع والعمل الصالح، ومن العلم النافع والعمل الصالح: الإيمان بآيات الصفات وأحاديثها، على ما جاءت في كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وعلى ما اعتقده المسلمون، ولم يُشكل عليهم، ولا توقفوا في هذا الأمر، بل قبلوها بالتسليم والانقياد، مثبتين لها لفظًا ومعنىً، هذا هو الحق، وهذا هو الهدى ودين الحق، فمن خالفه، فقد خالف ما بُعث به الرسول ﷺ؛ لأن رأس العلم وأصله العلم بالله سبحانه وتعالى، العلم بالله وبأسمائه وبصفاته، وما يستحقه من العبادة؛ ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [محمد:١٩]، فالعلم بالعقيدة الصحيحة هو الأساس، وهو لا إله إلّا الله لفظًا ومعنىً واعتقادًا، وما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة، وهذا هو أساس الدين وأساس الملة، وهو أصل ما بعث الله به رسله من أولهم إلى آخرهم؛ ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، هذه زُبدة الرسالات: تحقيق توحيد الألوهية لله عز وجل، ولا يتحقق هذا إلّا بمعرفة الله بأسمائه وصفاته، نحن نعرف الله جل وعلا بما عرّفنا به عن نفسه بأسمائه وصفاته، وما عرّفه به رسوله ﷺ، فهذا هو الأساس.



وقوله: (لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ)، ليخرج الناس من ظلمات الكفر الشرك إلى نور الإيمان والتوحيد والعلم النافع، العلم نور، والجهل ظلمات، والكفر ظلمات، والإيمان نور، والشرك ظلمات، والتوحيد نور، هذا الذي به بعث ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وأصل ذلك معرفة الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته، وعبادته له لا شريك له، هذا هو الخروج من الظلمات إلى النور؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والأحجار والأشجار، وكلٌّ يعبد ما تهواه نفسه وما زين له شياطين الإنس والجن، هذه ظلمات، أما التوحيد إفراد الله بالعبادة، فهذا هو النور، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث ليخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك والجهل بالله عَزَّوَجَلَّ إلى نور العلم واليقين، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته، والقيام بعبوديته لـه، لا شريك لـه؛ ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧]، فإن الجهل بالله هو الظلمات، والعلم بالله هو النور.

﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾، يعني: بشرعه ودينه، فإذن الله على قسمين: إذن قدري كوني، وإذن شرعي[١].

و(صِرَاطِ الْعَزِيزِ الحَمِيدِ) هو صراط الله، الله هو العزيز الحميد -سبحانه-، وصراطه هو الطريق الموصل إليه، وهو التوحيد والإيمان والعمل الصالح؛ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٥٠٥-٥٠٧).

وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣]، ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٦، ٧]، أي: غير صراط المغضوب عليهم، وغير صراط الضالين، فإن الناس لا يخرجون عن هذه الأقسام الثلاثة:

* إمّا منعم عليهم، وهم: الذين سلكوا الصراط المستقيم.

* وإمّا مغضوبٌ عليهم، وهم: الذين عرفوا العلم، ولم يعملوا به، واتبعوا أهواءهم.

* وإمّا ضالون، وهم: الذين يعبدون الله على جهل، ولا يعرفون العلم.

فالناس ثلاثة أقسام:

* أهل العلم والعمل، وهؤلاء هم أهل الصراط المستقيم.

* وأهل العلم بدون عمل، وهؤلاء مغضوب عليهم؛ لأنهم عرفوا الحق، ولم يعملوا به، قامت عليهم الحجة.

* وإمّا ضالون، وهم الذين لا يرجعون إلى العلم، وإنما يعبدون الله بأهوائهم وعاداتهم وتقاليدهم من غير دليل، يعبدونه بالبدع والمحدثات والخرافات التي زينها لهم شياطين الإنس والجن.

فلا نجاة إلّا للفريق الأول، وأمّا الفريقان الثاني والثالث، فهم ضالون ومغضوب عليهم، وهم أهل الظلمات -والعياذ بالله!

وقوله: (وَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ بَعَثَهُ دَاعِيًا إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)، شهد الله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه بعثه داعيًا إليه بإذنه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦]،

شهادة من الله لهذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه شاهد على الناس، فلا تقوم لهم حجة يوم القيامة، يقولون: (ما جاءنا من نذير)، والله أرسل الرسل لقطع الحجة؛ ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٦٥]، والله لا يعذب أحدًا إلّا بعد إرسال الرسل؛ ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥]، فالله أرسل هذا الرسول -كإخوانه من النبيين- شاهدًا على الناس، ومبشرًا لأهل الإيمان بالخير والجنة، ونذيرًا لأهل الشر والشرك والكفر بأن لهم النار، إن لم يتوبوا إلى الله، وداعيًا إلى الله، من مهمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يدعو إلى الله، يدعو الناس إلى الإيمان والتوحيد؛ ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف:١٠٨]، ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل:١٢٥]، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو رأس الدعاة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: (بِإِذْنِهِ)، أي: بشرعه، لا يجوز لأحد أن يدعو الناس بغير دليل وبغير علم وشرع من الله عَزَّ وَجَلَّ، بل لا بد أن يكون الداعية متسلحًا بالعلم، وإلّا كيف يدعو الناس وهو جاهل؟! وإذا دعاهم وهو جاهل، فإنه يضلهم، أما إذا دعاهم عن علم وبصيرة، فإنه يدلهم على الطريق الصحيح؛ لأن هذا العلم نور.

قوله: (وَسِرَاجًا مُنِيرًا)؛ سراج ينير الكون بعلمه ودعوته، فهو ينير هذا الكون للناس، فيسيرون على بصيرة و نور مثل الشمس؛ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان:٦١]، السراج هو الشمس، والله جعل الشمس سراجًا تنير هذا الكون بعد الظلمات، كذلك هذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء والناس في ظلمات من الجهل والكفر والشرك، فأنقذهم الله به إلى التوحيد وإلى العلم، فكل ما في الوجود الآن من العلم النافع كله من بعثة

هذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قبله كان الناس في ضلال مبين، فلما بعث هذا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انتشر العلم النافع، فخرج الناس من الظلمات إلى النور، ووُجِد العلماء، ووُجِد في الناس العلم النافع -كما هو معروف وموجود-، وللآن -ولله الحمد- الكتاب والسنة وكلام أهل العلم نور من الله بأيدي الناس، وحجة قائمة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»(١)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنِّي تَارِكٌ فيكم مَا إِنْ تَمسَّكتم بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَي: كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّتِي**»(٢)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»(٣)، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سراج أضاء الله به الكون بعد الظلمات، كان الناس قبله في ضلال مبين؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢]، والأميون: العرب؛ لأنهم ليس لهم كتاب قبل هذا القرآن العظيم الذي فاق الكتب الإلهية، وهو مهيمن عليها؛

---

(١) حديث صحيح بطرقه أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد في المسند (٢٨/ ٣٦٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٤٧، ٢٥٧)، وفي مسند الشاميين (٣/ ١٧٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٥)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (١/ ١١٥)، والآجري في الشريعة (ص٥٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٧٤). وهو جزء من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الدارقطني (٥/ ٤٤٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٥)، والحاكم (١/ ١٧٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد في المسند (٢٨/ ٣٧٣)، والدارمي (٩٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٠، ٢/ ٤٩٦)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٢٤٩)، وفي الأوسط (١/ ٢٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٤) من حديث الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، بعث في الأميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، وليس عندهم كتاب منزل؛ ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ [سبأ:٤٤]، ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص:٤٦]، يعني: العرب. فأصبحوا بعد الجهالة علماء يعلمون البشرية، وأصبحوا بعد الفقر أغنياء، وأصبحوا بعد الشرك والكفر موحدين، وأصبحوا بعد أن كانوا مضطهدين في الأرض سادة العالم، فتحوا البلاد والعباد، وسادوا على أهل الأرض، بأي شيء؟ سادوهم بالعلم النافع والعمل الصالح، وميراث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلّا فإنهم كانوا أتعس الناس قبل ذلك، وهذا العلم المتدفق الذي لا يزال يتدفق من أين جاء؟ من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما بعث الله به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

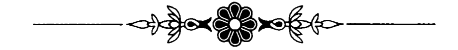
قوله: (وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:١٠٨])، أمر الله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقول للعالَم: هذه سبيلي، أي: طريقي الذي أسير عليه، ما هي؟ أدعو إلى الله على بصيرة، طريقة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي بُعث بها أنه يدعو إلى الله، لا يدعو إلى نفسه، أو إلى طمع دنيوي أو إلى رياسة، وإنما يدعو إلى الله، يخلص الدعوة لله، فهذا من شروط الدعوة إلى الله؛ أن تكون خالصة لوجه الله، لا يراد منها رياء ولا سمعة ولا ظهور ولا تعاظم على الناس، وإنما غرض الداعية نفع الناس وإنقاذهم من الظلمات إلى النور، هذه الدعوة إلى الله، أما الذي يدعو ليعظم، أو ليجل، أو ليحترم، أو ليعطى مالًا، أو ليترأس، أو يدعو إلى حزبية، أو إلى جماعة، أو إلى طائفة من الناس، أو إلى مذهب، فهذا لا يدعو إلى الله، وإنما يدعو إلى غيره، فليس كل من دعا يكون داعية إلى الله، إلّا إذا أخلص نيته لله عَزَّوَجَلَّ، وصار قصده تعريف الناس بالله وردّهم إلى

الله وتبصير الناس بالحق، وتنفيرهم من الضلال والشرك والبدع، هذا هو الذي يدعو إلى الله حقيقة، ما أكثر الدعاة! ولكن الذي يدعو إلى الله قليل، يدعو إلى أشياء أو إلى أغراض الله أعلم بها، فيشترط في الداعية:

الشرط الأول: أن يخلص نيته في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

الشرط الثاني: على بصيرة وعلم، الجاهل لا يصلح للدعوة؛ لأنه يفسد أكثر مما يصلح، ربما يحل حرامًا، ويحرم حلالًا، ربما يفتي بجهل، ربما يجيب بخطأ إذا سئل؛ لأن الداعي يتعرض لمشكلات، ويتعرض لاعتراضات، ويتعرض إلى أناس يلبّسون على الناس، فلا بد أن يكون عنده علم؛ يبدد شبهاتهم، ويفنّد ضلالاتهم، الذي ليس عنده علم لا يستطيع أن يقاوم شبهات المدلسين والملبسين، لا يستطيع إلّا من عنده علم وبصيرة.

ثم قال: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو إلى الله، ومن اتبعه من أمته يدعو إلى الله على بصيرة، يدعو إلى الله، لا إلى غير الله، وعلى بصيرة لا على جهل، هؤلاء هم أتباع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يكون من الدعاة تابعًا للرسول إلّا من اتصف بهذه الصفات، فمن فقدها أو شيئًا منها، لم يكن على طريقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ





فَمِن المُحَالِ فِي العَقْلِ وَالدِّينِ أَنْ يَكُونَ السِّرَاجُ المُنِيرُ الَّذِي أَخْرَجَ اللهُ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَأَنْزَلَ مَعَهُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرُدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ مِنْ دِينِهِمْ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ الكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى اللهِ وَإِلَى سَبِيلِهِ بِإِذْنِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُ وَلأُمَّتِهِ دِينَهُمْ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ، مُحَالٌ مَعَ هَذَا وَغَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَرَكَ بَابَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالعِلْمَ بِهِ مُلتَبِسًا مُشتَبِهًا، فَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ مَا يَجِبُ لِلهِ مِنَ الأَسْمَاءِ الحُسنَى وَالصِّفَاتِ العُلْيَا، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ.

فَإِنَّ مَعْرِفَةَ هَذَا أَصْلُ الدِّينِ، وَأَسَاسُ الهِدَايَةِ، وَأَفْضَلُ مَا اكْتَسَبَتْهُ القُلُوبُ، وَحَصَّلَتْهُ النُّفُوسُ، وَأَدْرَكَتْهُ العُقُولُ، فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الكِتَابُ، وَذَلِكَ الرَّسُولُ وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ لَمْ يُحْكِمُوا هَذَا البَابَ اعْتِقَادًا وَقَوْلًا؟!

الشَّرح

قوله: (**فَمِن المُحَالِ فِي العَقْلِ وَالدِّينِ أَنْ يَكُونَ السِّرَاجُ المُنِيرُ الَّذِي أَخْرَجَ اللهُ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**)، من المحال يعني: المستحيل أن هذا الرسول الذي هذه صفاته أن يترك هذا الباب -باب الأسماء والصفات- منغلقًا، لم يبيّنه ويوضحه للناس، ويأتي مَن بعده -حثالات من الجهمية، والمعتزلة وتلاميذهم-، ويقولون: (هذه النصوص -نصوص الأسماء والصفات- ليست على حقيقتها، لاتعتقدوها)، هذا ضلال، هذا معناه تغليط للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه جاء بما يضل الناس، أو أنه كتم ولم يبيّن للناس هذه المعاني التي تقولون، وهذه التفسيرات التي تقولون، ولم يبيّنها للناس، فالرسول لا يخلو، إما أن يكون يجهل معاني هذه النصوص، وهذا تجهيل للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلمتموها أنتم، وإما أن يكون

علمها، ولم يبيّنها، فيكون كاتمًا للحق -وحاشاه من ذلك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!-، وإذا كان كذلك، لم يكن سراجًا منيرًا، ولم يأت ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، بل جاء ليزيدهم ظلمات، وأتى لهم بنصوص ما تفهم، تزيد الضلال ضلالًا -والعياذ بالله-، هذا اتهام للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من المحال أن يكون هذا الرسول الذي هذه صفاته أن يترك باب الأسماء والصفات مغلقًا، لم يبينه للناس، ولم يوضح لهم هل هذه النصوص على ظاهرها أو على غير ظاهرها، فهو إما جاهل، وإمّا كاتم، وقد نزّه الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك.

قوله: (فِي الْعَقْلِ)، حتى العقل، العقول السليمة تقول: (يستحيل في حق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يترك هذا الباب ولم يبيّنه)، فكيف جاء للدعوة إلى الله، ويترك أهم شيء، و لا يبينه للناس، والرسول ما أرسل إلا للبيان؟ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]؛ تبين للناس ما نزل إليهم، معناه: أنه ما بيّن للناس هذا الأمر.

قوله: (وَالدِّينِ) كذلك، من المحال في الدين، وهو الشرع.

قوله: (وَأَنْزَلَ مَعَهُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَرُدُّوا مَا تَنَازَعُوا فِيهِ مِنْ دِينِهِمْ إِلَى مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ)، من صفات الرسول أنه يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، يحكم بينهم بأي شيء؟ بالكتاب؛ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة:٤٩]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥]، فهو يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ومن أعظم ما حصل الاختلاف فيه مسألة التوحيد،

ومن ذلك الأسماء والصفات، فهو حكم بين الناس، وبيَّن أن هذه الأسماء والصفات ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ.

قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، إن تنازعتم في شيء، «شيء» كلمة نكرة في سياق الشرط تعم كل نزاع كبيرًا كان أو صغيرًا، وأعظم ما وقع فيه النزاع مسألة العقيدة، فيجب أن يرد الحكم فيها إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يردّ الحكم فيها إلى قواعد المنطق وعلم الكلام وأفهام الناس، فالذين يقصرون الحكم بالشريعة على مسألة المنازعات في الأموال والخصومات، ويهملون جانب العقيدة، ولا يحكمون الكتاب والسنة بالعقيدة، هؤلاء ليسوا على شيء، تركوا الأصل، وأخذوا الفرع فقط، فأهم شيء يجب التحاكم فيه النزاع في أمر العقيدة، إذا اختلفنا في العقيدة، نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا اختلفنا في الأسماء والصفات، نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا اختلفنا في أمور العبادة؛ هذا يقول: (هذه عبادة مشروعة)، وهذا يقول: (لا، هذه بدعة، ولاتجوز)، ما الذي يحل النزاع؟ نرجع إلى كتاب الله، فإن كانت هذه العبادة في كتاب الله أو سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي صحيحة، وإن كانت خارجة عن كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي بدعة؛ **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»**[1]، وأعظم من ذلك الشرك وعبادة القبور، كثير من الذين يدعون الإسلام الآن يعبدون القبور، ويعبدون الأموات، ويقولون: (هذا هو التوحيد، وهذا من تعظيم الصالحين ومعرفة قدرهم)، ونحن نقول: (لا، هذا

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ورواه البخاري معلقًا في كتاب البيوع - باب النجش (٣/ ٦٩)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة -باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (١٣/ ٣١٧ مع الفتح).

شرك بالله عَزَّوَجَلَّ وعبادة لغير الله)، أين نرجع في نزاعنا هذا؟ إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، الكتاب والسنة يشهدان على أن من عبد غير الله، فهو مشرك؛ حيا كان أو ميتًا، شجرًا كان أو حجرًا أو ملكًا أو نبيًّا أو صالحًا؛ ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، كائنًا من كان، العبادة حق لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهي التي خلق الخلق من أجلها؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فهي حق الله على عباده، فإذا أخذت حق الله، وأعطيته لغيره، وعبدت غيره، ماذا تكون؟ تكون مشركًا كافرًا، فيجب التنبه لهذا الأمر؛ أن نرجع في نزاعاتنا وخصوماتنا واختلافاتنا كلّها إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأهم ذلك أمر العقيدة، لا نرجع إلى رأي فلان وقول فلان، وعقول الناس، ليس لنا طريق إلّا هذا، فالذي يدعونا إلى غير ذلك يدعونا إلى الضلال، ويخرجنا من النور إلى الظلمات؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧]، يخرجونهم من اتباع الكتاب والسنة إلى اتباع غيرهما، وهذه ظلمات.

(وَالْكِتَابِ) هو: القرآن.

(وَالحِكْمَةِ) هي: سنة الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قوله: (وَهُوَ يَدْعُو إِلَى اللهِ وَإِلَى سَبِيلِهِ بِإِذْنِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ أَكْمَلَ لَهُ وَلأُمَّتِهِ دِينَهُمْ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ)، والرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يدعو إلى الله وإلى دينه على بصيرة؛ لأن الداعية يشترط فيه أن يكون عالمًا بما يدعو إليه.

أنزل الله على هذا الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو واقف بعرفة في حجة الوداع: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣][1]، فالله جَلَّوَعَلَا شهد لهذا الدين أنه كامل، وأنه ما توفي رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٠٦)، ومسلم (٣٠١٧).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بعد ما أكمل الله به الدين، فالذي يأتي بإضافات، ويلصقها بالدين، ويحسنها للناس، معناه: أنه اتهم هذا الدين بأنه غير كامل، وأنه يريد أن يضيف إليه أشياء، وهذا تكذيب لله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دينًا، فليس هو بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دينًا أبدًا، ما بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس هناك إضافات، أو إحداث شيء من الدين، وإنما علينا الاتباع؛ لأن الله أكمل هذا الدين، فليس بحاجة إلى أن نضيف إليه، ونلصق به ما ليس منه، ونقول: (هذه عبادة، وهذا خير، وهذا...)، لا، هذا شر، وليس عبادة، بل هو بدعة وضلال، وإن استحسنته بعض العقول، أو زينه الدعاة إلى الضلال، نحن لا نعبأ بهم، ولا نلتفت إليهم؛ حسبنا ما في كتاب ربنا وسنة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله أكمل الدين قبل وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ[1].

قوله: (**مُحَالٌ مَعَ هَذَا وَغَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَرَكَ بَابَ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْعِلْمَ بِهِ مُلتبِسًا مُشْتبِهًا**)، محال أن الرسول الذي وكل الله إليه البيان أن يكون لم يبين للناس، فهذا من اتهام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخيانة والكتمان، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين للناس كل ما يحتاجون إليه من أمر دينهم، ولاسيما العقيدة التي هي الأساس، ولم يتوفّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا بعد أن أكمل الله به الدين والبيان. كون بعض الناس يجهل هذا، أو لايطلع عليه ليس بحجة؛ فالبيان موجود، و هذا قصور منه هو، لا من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) قَالَ ابْنُ المَاجِشُونِ: (سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: مَنِ ابْتَدَعَ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةً يَرَاهَا حَسَنَةً، زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَانَ الرِّسَالَةَ، لِأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا). انظر: الاعتصام (١/ ٦٤-٦٥)، والإحكام في أصول الأحكام (٦/ ٥٨).

إذا كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين للناس كل شيء من أمور دينهم؛ كما يأتي أنه علمهم حتى آداب التخلي؛ فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم الناس حتى آداب قضاء الحاجة، فكيف يعلمهم آداب قضاء الحاجة، ولا يعلمهم أمر العقيدة؟! ولا يعلمهم أمر الأسماء والصفات، وأنها على ظاهرها، وعلى بابها؛ كما جاءت عن الله؟! كيف لم يبين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويأتي بعد ذلك الجهم بن صفوان(١) وواصل بن عطاء(٢) وأضرابهما، ويبينون للناس؟!! هذا عين المحال.

قوله: (**فَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ مَا يَجِبُ للهِ مِنَ الأَسْمَاءِ الحُسنَى وَالصِّفَاتِ العُلْيَا، وَمَا يَجُوزُ عَلَيْهِ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ مَعْرِفَةَ هَذَا أَصْلُ الدِّينِ، وَأَسَاسُ الهِدَايَةِ**)، لم يبين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهم شيء، وهو ما يليق بالله من الأسماء الحسنى والصفات العليا، (وَمَا يَجُوزُ) في حقه تعالى، يعني: ما يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، (وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ)، إذًا ماذا بيَّن؟! يكون ما بين للناس!

معرفة أمر العقيدة هو أساس الدين، هو (أَصْلُ الدِّينِ، وَأَسَاس الهِدَايَةِ)، فمن أخل بهذا الأصل، فقد أخل بالدين؛ لأن الشيء إذا اختل أساسه، اختل فرعه، فمثلًا: البنيان إذا اختل أساسه، سقط، إذا كان الأساس قويًّا وصالحًا، قام البنيان واستقام، وإذا كان البنيان فاسدًا، سقط البنيان، فكيف لا يهتم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأساس الدين، الذي هو العقيدة، ويبينها، ويوضحها للناس حتى يأتي من يأتي، ويضع للناس عقائد من عنده أو من عند غيره، يستحسنها، ويقول:

---

(١) سبقت ترجمته (ص١٠).

(٢) واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك. انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠- ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤).

(هذه خير وزيادة خير)، ويزينها للناس؟!! هذا هو عين الضلال والمحادَّة لله ولرسوله.

معرفة أمر العقيدة هو أصل الدين، (أَصْلُ الدِّينِ) هو: العقيدة، (وَأَسَاسُ الهِدَايَةِ) العقيدة، لو أن الإنسان يجتهد بالعبادات -يصوم النهار، ويقوم الليل، وينفق الأموال، ويجتهد-، لكن ليس عنده عقيدة صحيحة، فأعماله هباء منثور، لاقيمة لها مهما أتعب نفسه، فلا بد أن يبني عمله وعبادته على أساس صحيح وعقيدة سليمة؛ حتى يكون عمله مقبولًا؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٠].

فالعمل القليل الخالص لله عَزَّوَجَلَّ السالم من البدعة -ولو كان قليلًا- يبارك الله فيه، وينفع به صاحبه، والنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ، فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[١]، فالعمل الصالح -ولو كان قليلاً- فيه خير، أما العمل غير الصالح، فهذا -وإن كان كثيرًا- فهو لا خير فيه ومعدوم الفائدة، فليست العبرة بالاجتهاد وكثرة العبادات، بل العبرة بالتصحيح والاتباع والاقتداء بالنبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فأساس الدين وأصل الهداية أول ما تبدأ بتعلم العقيدة، وأول ما تدعو إليه الناس العقيدة، هذا دين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، فما لم تكن العقيدة صحيحة، فلا تتعب نفسك، لا تدع الناس إلى ترك الربا وترك الزنا، وهم عندهم الشرك، ادع الناس إلى ترك الشرك أولًا، فالشرك أعظم ذنب عُصي الله به، فإذا استقاموا على التوحيد، نهيتهم عن الربا وعن الزنا وعن الذنوب، أمّا قبل أن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٣) ومسلم (٦٨) (١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

تؤسس، فلا فائدة من عملك، لو تركوا الربا، وتركوا الزنا، وتركوا السرقة، وهم على شرك، فلا فائدة من عملهم، فهو هباءٌ منثورٌ، فالأساس والأصل هو التوحيد والعقيدة السليمة، والدعاة يجب أن يهتموا أول شيء بالعقيدة، ولا يقال: (إنه ما يُدعى إلى العقيدة إلا الكفار -مثلما يقوله بعض الجهال-، وأما المسلمون، فهم مسلمون، ليسوا بحاجة للدعوة إلى العقيدة)، المسلمون يكون عندهم خلل وجهل وضلال في العقيدة، وهم يتسمون بالإسلام، فنبدأ بالمسلمين أولًا، ونصحح عقيدتهم وأساسهم، ثم بعد ذلك نتجه إلى غيرهم؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣]؛ يبدأ بالأقرب فالأقرب، ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤].

فالمسلمون بحاجة للدعوة إلى العقيدة؛ لأن عندهم جهل، ويحتاجون تعليمًا، وعندهم شبهات، ويحتاجون إلى بيان هذه الشبهات، وعندهم دعاة سوء، ويحتاجون إلى أن يُقاوموا و يُقمعوا؛ حتى تكون الدعوة قد بدأت مبدأً سليمًا وصحيحًا، فليست الدعوة إلى التوحيد خاصة بالكفار، بل المسلمون بحاجة إلى العقيدة وتعليم العقيدة، أكثر المسلمين لا يعرف العقيدة، وهو على فطرة ودين، لكن لو تسأله عن العقيدة، لا يعرف، جاهل، والجاهل يُعلم، أما إذا كان عن عناد وإصرار، فهذا بين أمرين: إما أن يلتزم بالعقيدة الصحيحة، وإما أن يُقاتَل، إذا كان في المسلمين قوة.

قوله: (**وَأَفْضَلُ مَا اكْتَسَبَتْهُ الْقُلُوبُ، وَحَصَّلَتْهُ النُّفُوسُ، وَأَدْرَكَتْهُ الْعُقُولُ**)، هذا هو أوجب وألزم ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس، هو: تحقيق العقيدة التي أصبح الكثير يجهلونها، ويزهدون فيها، ويقولون: (المسلمون مسلمون، وكفى، لاتنظروا إلى عقيدتهم، ولا تفرقوا بين الناس)، فنحن لسنا ممن يفرّق بين

الناس، نحن ندعو للاجتماع وإصلاح العقيدة، نحن -والله- لا ندعو إلى التفرقة، بل ندعو للاجتماع على الحق؛ لأن الكثرة بدون عقيدة ليس فيها فائدة، فلا بد من الاجتماع، نحن نحب الكثرة على العقيدة، لكن إذا كانت الكثرة على غير عقيدة، فما الفائدة؟ هباءٌ منثورٌ، فنحن نريد للناس الخير والألفة، ما نريد لهم الافتراق، وكلٌّ يركب رأسه، وكل يعتقد ما يشاء، ونقول: (الناس أحرار في عقيدتهم)، من الذي قال: إن الناس أحرار؟! لو كان الناس أحرارًا، ما بعث الله الرسل، ولا أنزل الكتب، ولصار كل يأخذ حريته، لكن الناس مأمورون بتوحيد الله وإفراده بالعبادة، وهذه هي الحرية، يا سبحان الله! الحرية في عبادة الله وحده لا شريك لـه، أما الرِق، فهو في عبادة غير الله؛ كما قال الإمام ابن القيم[1]:

هَرَبُوا مِنَ الرِّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ　　　فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

الرِق الذي خُلقوا لـه: هو عبادة الله وحده لا شريك لـه، وهو الذي فيه صلاحهم ونجاحهم وخيرهم، فلما تركوه، ابتلوا بعبادة الشيطان والنفس، وهذا هو الذلة والهوان.

قوله: (**حَصَّلَتْهُ النُّفُوسُ وَأَدْرَكَتْهُ الْعُقُولُ**)، هو معرفة الله جَلَّ وَعَلَا بأسمائه وصفاته، وعبادته وحده لا شريك له، هذا إذا تم، حصلت السعادة في الدنيا والآخرة، واجتمعت القلوب، وائتلفت النفوس؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٢]، ولتتنبّه إلى أنه قال: ﴿وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ولم يقل: بالناس، ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾، ألَّف بين قلوبهم بأي شيء؟ بدراهم؟

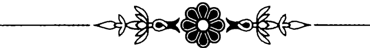
---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٤٦٦).

ألّف بين قلوبهم بالإيمان، هو الذي يؤلّف بين قلوب الناس، ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [الأنفال:٦٣]، الذي يؤلّف بين القلوب ليس هو الدراهم والدنانير، الذي يؤلّف بين القلوب هو الإيمان والتوحيد والعقيدة الصحيحة.

قوله: (**فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الكِتَابُ، وَذَلِكَ الرَّسُولُ وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ لَمْ يُحْكِمُوا هَذَا البَابَ اعْتِقَادًا وَقوْلًا؟!**)، هذه هي النتيجة، والذي سبق كله مقدمات، جاءت النتيجة الآن، إذا كان الأمر كذلك، (فَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الكِتَابُ)، وهو القرآن (وَذَلِكَ الرَّسُولُ)، وذلك الرسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته (وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ بَعْدَ النَّبِيِّينَ)، وأفضل خلق الله بعد النبيين من هم؟ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هم أفضل خلق الله بعد النبيين.

قوله: (**لَمْ يُحْكِمُوا هَذَا البَابَ اعْتِقَادًا وَقوْلًا؟!**)، لم يعرفوا باب الأسماء والصفات اعتقادًا وقولًا وعملًا؟! هذا ردّ على الذين يتهمون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بأنهم لم يعرفوا معاني هذه الأسماء والصفات، وإنما الجهم بن صفوان وأضرابه هم الذين عرفوا معانيها، وبينوها، وكانت من قبل مغلقة، لم يعرفها الناس، وإنما يرددون كلامًا لا يفهمون معناه -يا سبحان الله!



وَمِن المُحَالِ -أَيْضًا- أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الخِرَاءَةَ[(١)]، وَقَالَ: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»[(٢)]، وَقَالَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ -أَيْضًا-: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»[(٣)].

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا مِنْ طَائِرٍ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا»[(٤)].

الشَّرح

قوله: (وَمِن المُحَالِ -أَيْضًا- أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الخِرَاءَةَ)، حتى آداب التخلي، (حَتَّى الخِرَاءَةَ) لما قال بعض أهل الكتاب لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الخِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ»، علمنا

---

(١) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٣/ ١٥٣، ١٥٤): (أما الخراءة، فبكسر الخاء المعجمة وتخفيف الراء وبالمد، وهي اسم لهيئة الحدث، وأما نفس الحدث فبحذف التاء وبالمد مع فتح الخاء وكسرها) اهـ.

ويشير شيخ الإسلام إلى الحديث الذي رواه مسلم (٥٧) (٢٦٢) من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قِيلَ لَهُ: قَدْ عَلَّمَكُمْ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الخِرَاءَةَ قَالَ: فَقَالَ: أَجَلْ لَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ، أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ».

(٢) سبق تخريجه (ص٣١).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) أخرجه بنحوه الإمام أحمد في المسند (٣٥/ ٢٩٠)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٥٥).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آداب التخلي، فكيف يترك باب العقيدة لم يبينه، فهو أهم شيء؟! الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ترك شيئًا للناس فيه مصلحة في دينهم إلا بينها، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله، ما تُوفي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلّا بعد كمال الشرع، وكمال البيان، كمال التشريع من الله، وكمال البيان من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما كون بعض الناس لم يطلع، أو لم يعرف، أو لم يُرد، فهذا ليس حجة، البيان موجود، وكونك لم تعرف، أو لم تطّلع عليه، أو لا تريد أن تطلع عليه، فهذا راجع لك أنت، ليس براجع إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كيف يكون هذا من رسول بيّن لأمته كل شيء حتى آداب التخلي، ولم يبيّن لهم باب العقيدة حتى جاء هؤلاء، وبينوها للناس؟!

وقوله: (وَقَالَ: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلّا هَالِكٌ**»، **وَقَالَ فِيمَا صَحَّ عَنْهُ أَيْضًا**: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»)، يعني: عند وفاته قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ**»، يعني: الجادة البيضاء النقية الواضحة، «**لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلّا هَالِكٌ**»، من سار على هذه الجادة، وصل إلى الله، ونجا من الهلاك، ومن خرج عن هذه الجادة، هلك؛ لأنه يسير على غير طريق.

هذا -أيضًا- فيه أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيّن للناس كل أمور دينهم، أمّا أمور الدنيا، فما تحتاج بيانًا؛ فالناس يعرفونها من أنفسهم، ويتعلمونها، ويزاولونها، ويأخذونها، الرسل ما جاءت في أمور الدنيا، بل جاءت في أمور الدين وأمور العقيدة؛ لأنها توقيفية، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ترك هذا الباب مغلقًا، ما ترك شيئًا يقربهم إلى الله، أو يباعدهم من الله، إلا بينه لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ،**



وَيَنْهَاهُمْ عَنْ شَرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ»، وهذه صفة هذا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أنه دلَّ أمته على كل خير لهم، ونهاهم عن كل شر، ولم يدخر وسعًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البلاغ والبيان.

(**وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَمَا مِنْ طَائِرٍ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا**»)، هذا أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يشهد أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ترك شيئًا يحتاجه الناس إلا وبينه لهم، حتى الطيور في الجو بيّن لهم كيف هذه الطيور، وما فائدتها، وما يحل منها وما لا يحل منها، ما يحل أكله وما لا يحل أكله، فكيف يترك باب التوحيد لم يبينه؟! يقول: «لَقَدْ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا مِنْ طَائِرٍ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا»، حتى إذا كان أنه علم أمته شؤون الطائر في الهواء، كيف يترك باب التوحيد وباب العقيدة لم يبينه لهم؟! (قَدْ عَلَّمَ أُمَّتَهُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الخِرَاءَةَ)، يعني: آداب قضاء الحاجة، وعلمهم حتى شأن الطيور في الهواء، فكيف يترك باب التوحيد لم يبينه؟!



وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخُطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَامًا، فَذَكَرَ بَدْءَ الخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ»، رَوَاهُ البُخَارِيُّ(١).

وَمُحَالٌ مَعَ تَعْلِيمِهِمْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ فِي الدِّينِ -وَإِنْ دَقَّتْ- أَنْ يَتْرُكَ تَعْلِيمَهُمْ مَا يَقُولُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَيَعْتَقِدُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ فِي رَبِّهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ رَبِّ العَالَمِينَ، الَّذِي مَعْرِفَتُهُ غَايَةُ المَعَارِفِ، وَعِبَادَتُهُ أَشْرَفُ المَقَاصِدِ، وَالْوُصُولُ إِلَيْهِ غَايَةُ المَطَالِبِ، بَلْ هَذَا خُلَاصَةُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ وَزُبْدَةُ الرِّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ.

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخُطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَامًا، فَذَكَرَ بَدْءَ الخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ» رَوَاهُ البُخَارِيُّ)، هذه شهادة ثالثة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبيان، فهذه شهادة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَامًا، فَذَكَرَ بَدْءَ الخَلْقِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ»، هذه خطبته الطويلة التي خطبها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم، يومًا كاملًا يخطب فيه، ويبين لهم، فإذا حانت الصلاة، نزل وصلى بهم، ثم رجع وصعد المنبر، وبين لهم، حتى بين لهم كل شيء، هذا الموقف واحد من مواقفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ من بداية الخلق -خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ- إلى أن دخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار، ما ترك شيئًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مقامه هذا إلّا وبينه لهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٢).

هذه شهادة من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه بيّن لهم كل ما يحتاجون إليه من بداية الخليقة إلى نهايتها في موقف واحد، فكيف بالوقت من بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى وفاته كلها في البيان والتوضيح قولًا وعملًا يبين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس بقوله وبفعله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ» دليل على أن البيان كل الناس لايعرفونه، يعرفه بعض العلماء، ويجهله الكثير، والجهل ليس حجة على أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُبيّن، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن، ولكن كثيرًا من الناس يجهلونه، وهذا راجع إليهم هم، وإلى إهمالهم وعدم عنايتهم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَمُحَالٌ مَعَ تَعْلِيمِهِمْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ فِيهِ مَنْفَعَةٌ فِي الدِّينِ ـ وَإِنْ دَقَّتْ ـ أَنْ يَتْرُكَ تَعْلِيمَهُمْ مَا يَقُولُونَهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَيَعْتَقِدُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ فِي رَبِّهِمْ وَمَعْبُودِهِمْ رَبِّ العَالَمِينَ)**، **(مُحَالٌ)** أي: مستحيل أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم أمته كل شيء لهم فيه مصلحة في دينهم ودنياهم -كما اعترف بذلك أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- أن يترك باب التوحيد والعقيدة لم يبينه لهم، مع أنه هو الأصل، وهو الأساس، وهو الذي بعثت الرسل كلهم ببيانه والدعوة إليه، هذا رد على الذين يقولون: (إن الآيات والأحاديث المتعلقة بالأسماء والصفات ليست على ظاهرها، وما يُفهم منها، بل لها معنىً آخر)، فيقول لهم: هذا المعنى الذي تدّعونه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تركه لم يبينه، أم بينه، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم ينقلوه، ويبينوه للناس؟! هذا محال أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبيِّن هذا الشيء الذي هو أصل الدين، ومحال أن يسكت الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم ينقلوا هذا البيان للناس، فلا يخلو قولكم هذا من أحد أمرين:

* إما أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتم الحقّ، ولم يبين، وهذا كفر واتهام للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* أو أنه بينه، ولكن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كتموه، ولم يبينوه، وهذا اتهام للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم كتموا الحق، ولم يبينوه للناس.

(أَنْ يَتْرُكَ) بيان ما يجب على الناس أن يقولوه (بِأَلْسِنَتِهِمْ) من الإقرار بتوحيد الله وأسمائه وصفاته، والنطق بذلك، والاعتراف به ظاهرًا مع الاعتقاد بالقلب بما يقولونه بألسنتهم، وهذا فيه دليل على أن العقيدة لا بد فيها من الأمرين: لا بد فيها من الاعتقاد الصحيح، ولا بد فيها من النطق والاعتراف علنًا، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيّن لهم الأمرين: بيّن لهم ما يعتقدونه، وبيّن لهم ما يقولونه بألسنتهم من الثناء على الله والإقرار بتوحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وهؤلاء الذين يتهمون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتهمون الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لهم شبه في وقتنا الحاضر بالذين يقولون: (إن أمر التوحيد سهل، الناس كلهم، أو المسلمون كلهم يعرفونه، بدون أن يُبيّن لهم ويدرسون إيّاه)، ويتهاونون في أمر العقيدة، وينكرون على الذي يهتم بالعقيدة، ويدرِّسها للناس ويبينها، ويقولون له: (أنت تتهم الناس، وأنت تفرق بين الناس، وأنت، وأنت...)، إلى آخرهن كل قوم لهم وارث، وهؤلاء ورثوا هؤلاء الذين يتكلم عنهم الشيخ وينكر عليهم.

قوله: (الَّذِي مَعْرِفَتُهُ غَايَةُ المَعَارِفِ، وَعِبَادَتُهُ أَشْرَفُ المَقَاصِدِ، وَالْوُصُولُ إِلَيْهِ غَايَةُ المَطَالِبِ)، معرفته بالقلوب غاية المعارف، فإذا لم تعرف ربك، فماذا تعرف إذًا؟! لا يمكن للمسلم أن يجهل ربه عَزَّ وَجَلَّ بمعنى أنه يجهل أسماءه وصفاته وما تعرف به إلى خلقه في كتابه وفي سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم أيضًا المعرفة لا تكفي، فلابد من العبادة، والذي يعرف الله لابد أن يعبده، أما أنه يقول: (أنا عارف -كما تقوله الصوفية-، وأن الإنسان إذا عرف ربه، لا يحتاج أن يشتغل بالعبادة؛ لأنه وصل إلى الله) بزعمهم؛ فلا بد من الأمرين: لا بد من معرفة الله جَلَّ وَعَلَا،

وليس معنى معرفة الله أن تعرف ذاته، بل تعرف أسماءه وصفاته، أما ذات الرب -سبحانه-، فلا يعلمها إلا هو، كيفية الأسماء والصفات لا يعلمها إلا الله، لكن نحن علينا أن نعرف الأسماء والصفات، ونعرف معانيها، ونتعبد لله بها، دون أن نبحث في كيفيتها أو في ذات الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهذا لا يمكن الوصول إليه أبدًا، هذا لا يعلمه إلا الله جَلَّوَعَلَا؛ ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾ [طه:١١٠]، ما يحيطون بالرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ علمًا، وإنما هو الذي يعلم نفسه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأما نحن، فغايتنا أن نؤمن بالله وبأسمائه وبصفاته، وأن نعبده كما أمرنا -سبحانه- بذلك في ما شرعه لنا، و هذا الواجب علينا، أما البحث في ما وراء ذلك، فهو ضلال.

(الوصَولُ إليْهِ)، يعني: الوصول إلى مرضاته وجنته، هذا **(غَايَة المطَالِب)**، وهو المطلب الأعظم، وكل المطالب تكون دونه، غاية المطالب وأعلاها هو الوصول إلى الله جَلَّوَعَلَا وإلى مرضاته وجنته، هذا هو المطلب الأعظم، وما عداه من المطالب، فهو وسيلة إليه.

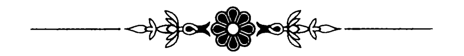
قوله: **(بَلْ هَذَا خُلاصَةُ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ وَزُبْدَةُ الرِّسَالَةِ الإِلَهِيَّةِ)**، هذا هو خلاصة دعوة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، معرفة الله وعبادته وطلب الوصول إليه هو غاية دعوة الأنبياء من أولهم إلى آخرهم نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وما عدا ذلك، فهو وسيلة إليه، كل رسول يقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩]، هذا هو الذي جاءت به الرسل، ودعت إليه، وأمرت به، وكيف نعبد الله، ونحن لا نؤمن بأسمائه وصفاته؟! لا يمكن هذا، إذا لم نعرف أسماءه وصفاته، فإننا نجهله، نحن ما رأيناه، ولكن هذا الكون شاهد بأن له خالقًا يستحق العبادة، لا يستحقها غيره، الكون كله بسمائه وأرضه،

وشمسه وقمره ونجومه، وبره وبحره، والكائنات التي تعيش فيه كلها دالة على الله جَلَّ وَعَلَا.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ　　　تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ[1]

هذه هي الآيات الكونية، وأما الآيات القرآنية، فهي واضحة في هذا الأمر، كلها تدل على الله، وتأمر بمعرفته وعبادته، والتقرب إليه، وطلب مرضاته.

(**الرِّسَالَة الإِلَهِيَّة**) من جميع الأنبياء، كلهم دعوا إلى هذا الذي لا بد من العناية به ومعرفته قبل كل شيء.



(١) من شعر أبي نواس كما في الوفيات (٧/ ١٣٨)، وقيل هو من شعر أبي العتاهية كما في الأغاني للأصفهاني (٤/ ٣٥).

فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنْ إِيمَانٍ وَحِكْمَةٍ أَنْ لَا يَكُونَ بَيَانُ هَذَا الْبَابِ قَدْ وَقَعَ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غَايَةِ التَّمَامِ؟ إِذَا كَانَ قَدْ وَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ أُمَّتِهِ وَأَفْضَلُ قُرُونِهَا قَصَّرُوا فِي هَذَا الْبَابِ، زَائِدِينَ فِيهِ أَوْ نَاقِصِينَ عَنْهُ.

ثُمَّ مِنَ الْمُحَالِ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ الْقُرُونُ الْفَاضِلَةُ -الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ[1]- كَانُوا غَيْرَ عَالِمِينَ وَغَيْرَ قَائِلِينَ فِي هَذَا الْبَابِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ؛ لِأَنَّ ضِدَّ ذَلِكَ إِمَّا عَدَمُ الْعِلْمِ وَالْقَوْلِ، وَإِمَّا اعْتِقَادُ نَقِيضِ الْحَقِّ وَقَوْلُ خِلَافِ الصِّدْقِ، وَكِلَاهُمَا مُمْتَنِعٌ.

الشَّرْح

قوله: (فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى مُسْكَةٍ مِنْ إِيمَانٍ وَحِكْمَةٍ أَنْ لَا يَكُونَ بَيَانُ هَذَا الْبَابِ قَدْ وَقَعَ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى غَايَةِ التَّمَامِ؟...)، كيف يتوهم من عنده أدنى ذرة من عقل أن يكون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهمل هذا الباب، ولم يبينه للناس، حتى يأتي أفراخ الجهمية، ويبينوه للناس، ويضللوا السلف الصالح، أو يتهموهم بالجهل، وأنهم لا يعرفون؟!

أولًا: محال أن يكون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ترك بيان هذا الباب، وإذا لم يبينه، فماذا بيّن إذًا؟! ومن اعتقد أن الرسول لم يبينه، فهو كافر.

ثم بعد ذلك: محال أن يكون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيّن هذا، وكتمه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ولم ينقلوه، ولم يبينوه للناس، وهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أفضل الخلق وأفضل القرون،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وأنصح الخلق، وأعلم الخلق بعد الرسول ﷺ، فهم الواسطة بيننا وبين الرسول ﷺ، ما بلغنا هذا الدين إلا عن طريقهم، هم الذين حملوا إلينا القرآن، وعلمونا إيّاه بعد ما تعلموه من الرسول ﷺ، هم الذين حملوا إلينا سنة الرسول ﷺ، ورووها لنا حديثًا حديثًا، فما من حديث إلا وهو مروي عن صحابي من صحابة الرسول ﷺ، وإذا لم يذكر الصحابي، فإن هذا السند يكون ناقصًا، ويسمى مرسلا[1]؛ لأن الصحابي لم يُذكر، ولا يكون السند تامًا. فمن المحال أن يكون هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم أغفلوا نقل هذا الباب عن الرسول ﷺ إلى الأمة.

قوله: (**ثُمَّ مِنَ المُحَالِ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ القُرُونُ الفَّاضِلَةُ -القَرْنُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ- كَانُوا غَيْرَ عَالِمِينَ وَغَيْرَ قَائِلِينَ فِي هَذَا البَابِ بِالحَقِّ المُبِينِ**)، ثم بعد الصحابة رضي الله عنهم محال أن تكون القرون الفاضلة التي جاءت بعدهم، وتلقت العلم عنهم، أن تكون أغفلت هذا الباب، ولم تنقله، وهم قرن التابعين وأتباع التابعين، الذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ قال: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، خير القرون ثلاثة أو أربعة على بعض الروايات أهل القرن الرابع، محال أن يكون هؤلاء القرون المفضلة لم تنقل هذا عن الصحابة رضي الله عنهم، وتركته مهملًا، وأنها مجرد أن تقرأ القرآن، وتروي الأحاديث، ولا تعرف معناها؛ كما

---

(١) المرسل من الحديث: هو ما رفعه التابعي إلى النبي ﷺ سواء كان كبيرًا أم صغيرًا. انظر: فتح المغيث للعراقي (ص٦٣)، وألفية السيوطي (ص٢٥) تصحيح الشيخ: أحمد شاكر. وتدريب الراوي للسيوطي (ص٩٩).

تقوله الجهمية وأضرابها: (ينقلون لنا الألفاظ فقط)، هذا اتهام لهم بالجهل، بل أقبح الجهل، وهم خير القرون وأفضلها.

(**ثُمَّ مِنَ المُحَالِ -أَيْضًا- أَنْ تَكُونَ القُرُونُ الفَّاضِلَةُ**) غير عالمة بربها وبأسمائه وبصفاته، ومحال إذا كانت عالمة أن لا تبلغ هذا للأمة ولمن جاء بعدهم، هذا من أمحل المحال.

قوله: (**لأَنَّ ضِدَّ ذَلِكَ إِمَّا عَدَمُ العِلْمِ وَالْقَوْلِ، وَإِمَّا اعْتِقَادُ نَقِيضِ الحَقِّ وَقَوْلُ خِلافِ الصِّدْقِ، وَكِلاهُمَا مُمْتَنِعٌ**)؛ لأن عدم معرفة هذا الباب يحتمل أمرين: إما الجهل، وهؤلاء هم أعلم القرون بعد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإما الكتمان؛ أنهم علموا، ولم يبينوا، ولم ينقلوا للناس ويبلغوهم ما بلغهم عن صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلا الأمرين ينزه عنه هؤلاء القرون المفضلة؛ الجهل، أو عدم النقل والكتمان، فعدم العلم هو الجهل.

وإما أن يكونوا قد دلسوا على الناس، ولم ينقلوا لهم الحق الذي تلقوه عن مشايخهم من صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



أَمَّا الأَوَّلُ، فَلأَنَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى حَيَاةٍ وَطَلَبٍ لِلْعِلْمِ، أَوْ نَهْمَةٍ فِي العِبَادَةِ، يَكُونُ البَحْثُ عَنْ هَذَا البَابِ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ وَمَعْرِفَةُ الحَقِّ فِيهِ أَكْبَرَ مَقَاصِدِهِ وَأَعْظَمَ مَطَالِبِهِ، أَعْنِي بَيَانَ مَا يَنْبَغِي اعْتِقَادُهُ، لَا مَعْرِفَةَ كَيْفِيَّةِ الرَّبِّ وَصِفَاتِهِ. وَلَيْسَتِ النُّفُوسُ الصَّحِيحَةُ إِلَى شَيْءٍ أَشْوَقَ مِنْهَا إِلَى مَعْرِفَةِ هَذَا الأَمْرِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالْفِطْرَةِ الوِجْدِيَّةِ.

فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ مَعَ قِيَامِ هَذَا المُقْتَضِي -الَّذِي هُوَ مِنْ أَقْوَى المُقْتَضِيَاتِ- أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ مُقْتَضَاهُ فِي أُولَئِكَ السَّادَةِ فِي مَجْمُوعِ عُصُورِهِمْ؟ هَذَا لَا يَكَادُ يَقَعُ مِنْ أَبْلَدِ الخَلْقِ، وَأَشَدِّهِمْ إِعْرَاضًا عَنِ اللهِ وَأَعْظَمِهِمْ إِكْبَابًا عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا، وَالْغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، فَكَيْفَ يَقَعُ مِنْ أُولَئِكَ؟!

وَأَمَّا كَوْنُهُمْ كَانُوا مُعْتَقِدِينَ فِيهِ غَيْرَ الحَقِّ أَوْ قَائِلِيهِ، فَهَذَا لَا يَعْتَقِدُهُ مُسْلِمٌ وَلَا عَاقِلٌ عَرَفَ حَالَ القَوْمِ.

الشَّرح

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَمَّا الأَوَّلُ فَلأَنَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى حَيَاةٍ وَطَلَبٍ لِلْعِلْمِ، أَوْ نَهْمَةٍ فِي العِبَادَةِ، يَكُونُ البَحْثُ عَنْ هَذَا البَابِ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ وَمَعْرِفَةُ الحَقِّ فِيهِ أَكْبَرَ مَقَاصِدِهِ وَأَعْظَمَ مَطَالِبِهِ...)، أما الأول -وهو التجهيل-، إذا كان التابعون وأتباع التابعين هم أعلم الأمة بعد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فمحال ألا يتعلموا العقيدة الصحيحة في حق الله جَلَّ وَعَلَا، وألا يتعلموا ما يعتقدونه في الله عَزَّ وَجَلَّ، ويهملوا هذا، وهو الأصل، وهو الأساس، ثم يشتغلون بالعلوم الأخرى، هذا محال في حقهم، ومحال في حقهم -أيضًا- الكتمان وعدم البيان؛ لأن هذا غش للأمة، وتقصير في تبليغ الحق الذي تحملوه.

معرفة كيفية الرب جَلَّوَعَلَا، ذات الرب لا يعلمها إلّا الله، كذلك معرفة كيفية الأسماء والصفات لا يعلمها إلّا الله، فنحن نؤمن بأن الله يسمع، لكن كيف يسمع، هل هو مثل ما يسمع المخلوق؟ لا، كما يشاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، لا يعلم كيفية صفاته إلّا هو سبحانه، ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، كيف استوى؟ هذا لا يعلمه إلّا الله جَلَّوَعَلَا، ما مثل استواء المخلوق على المخلوق، استواء يليق بجلاله سبحانه، ولهذا قال الإمام مالك رَحِمَهُٱللَّهُ لمّا سأله سائل، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كيف استوى؟ أطرق الإمام مالك رَحِمَهُٱللَّهُ خوفًا من الله وخجلًا من هذا السؤال، ثم رفع رأسه، وقد علته الرحضاء -يعني: العرق-؛ خوفًا من الله وإجلالًا لله، ثم قال: «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»، يعني: عن الكيفية، «وَمَا أَرَاكَ إِلَّا رَجُلَ سُوءٍ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْمَجْلِسِ»(١)؛ لأنّه مضلّل، ما يطلب العلم، وإنما يطلب التغليط، ويسأل عما لا يمكن معرفته من كيفية استواء الله على عرشه، نحن نؤمن أنه استوى، والاستواء معناه: الارتفاع، يعني: ارتفع على العرش سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، نؤمن بهذا، المعنى واضح، فالعلو معناه الارتفاع، وأما الكيفية كيف استوى؟ هذا لانعلمه، لا يعلمه إلّا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأن الله أعظم من كل شيء، وأعظم من العرش، نحن لا نعرف كيف استوى، وإنما نعلم معنى الاستواء، وهو العلو له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ على العرش.

وهذا مقياس تقيس به كل صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ أننا نعلم معناها، ولانعرف كيفيتها، فمعرفة كيفية الرب وصفاته لا يمكن أن تُعرف.

---

(١) أخرجه اللّالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤، ٣٠٥)، وفي الاعتقاد (ص١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٠)، وفي العلو (ص١٣٩).

قوله: (وَلَيْسَتِ النُّفُوسُ الصَّحِيحَةُ إِلَى شَيْءٍ أَشْوَقَ مِنْهَا إِلَى مَعْرِفَةِ هَذَا الأَمْرِ)، ليست النفوس أشوق إلى شيء من معرفة أسماء الله وصفاته، وتوحيده، والعقيدة التي يعتقدونها في ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومعرفة الله جَلَّ وَعَلَا وعظمته وكبريائه، وما يستحق من العبادة، هذا هو أشوق ما تتلذذ به النفوس؛ لأنك إذا عرفت ربك، فإنك تحبه، وتعبده، وتتقرب إليه، إذا عرفت عظمته وقدرته وجلاله ورحمته، وعرفت شدة نقمته وغضبه، فإنك حينئذ تتقرب إليه بما يحبه، وتتجنب ما يبغضه ويسخطه، فالنفوس ليست أشوق إلى شيء شوقها إلى هذا الشيء.

قوله: (وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالْفِطْرَةِ الوِجْدِيَّةِ)؛ معروف بالعقل، كيف تعبد ربًّا لا تعرفه، لا تعرف أسماءه ولا صفاته؟! هذا رب مجهول، لكن إذا عرفته بأسمائه وصفاته وآياته ومخلوقاته، فإن ذلك يدلك على عظمته، وعلى أنه المستحق للعبادة، إذا نظرت في خلق السماوات والأرض وما فيهما من العجائب، فإنك تقول كما يقول المؤمنون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩١]، تعرف الله وعظمته من مخلوقاته؛ الذي قدر على خلق هذه المخلوقات الهائلة العظيمة الكثيرة، هذا يدل على عظمته وقدرته وعلمه وحكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتعرف ربك بآياته وبصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ مَعَ قِيَامِ هَذَا الْمُقْتَضِي -الَّذِي هُوَ مِنْ أَقْوَى الْمُقْتَضِيَاتِ- أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْهُ مُقْتَضَاهُ فِي أُولَئِكَ السَّادَةِ فِي مَجْمُوعِ عُصُورِهِمْ؟...)، المقتضي وهو طلب معرفة الحق.

هذا الجهل بالله عَزَّوَجَلَّ والإعراض عنه إنما يقع من المغفلين وأصحاب الشهوات، وأرباب الدنيا وطلاب الدنيا، أما طلاب العلم الصحيح والمعرفة

الحقة، فإنّ هذا في مقدمة ما يهتمون به، ويتعلمونه، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعهم والقرون المفضلة، هؤلاء أكبر همهم هو معرفة الله وما يقربهم إليه؛ طلب الآخرة، أما أهل الدنيا وأهل الشهوات وأهل الإعراض، فهؤلاء كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤]، هؤلاء ما لهم همة ولا مقصد، إلا شهواتهم فقط، فهم مثل البهائم ما لها هم إلّا أن تأكل وتشرب، لكن هم أضل من البهائم؛ لأن البهائم ما كُلّفت، ولا ينتظرها جنة ونار، أما هؤلاء، فقد أهملوا مستقبلهم وآخرتهم، أما البهائم، فليس لها آخرة، و ما لها إلّا الدنيا، وهي مخلوقة لمصالح العباد، ولا عليها حساب ولا جنة ولا نار، يقول الله لها يوم القيامة: (كوني ترابًا)، فتكون ترابًا[1]، أما هذا الإنسان، فإنه يُبعث، ويحاسب، ويجازى، ويكون من أهل الجنة أو من أهل النار، ولا يموت أبدًا في الآخرة، أهل الجنة يُخلدون في الجنة، وأهل النار من الكفرة والمشركين يُخلدون في النار، ولا موت، فكيف يغفل عن هذا المصير من في قلبه أدنى ذرة من عقل؟! وكيف يعرف هذا، إلا إذا عرف عقيدته العقيدة السليمة التي تدله على أصول الإيمان، وتدله على الاعتقاد الصحيح المنجي من عذاب الله؟

قوله: (وَأَمَّا كَوْنُهُمْ كَانُوا مُعْتَقِدِينَ فِيهِ غَيْرَ الحَقِّ أَوْ قَائِلِيهِ، فَهَذَا لَا يَعْتَقِدُهُ مُسْلِمٌ وَلا عَاقِلٌ عَرَفَ حَالَ القَوْمِ)، **(أَمّا كَوْنُهُمْ)** غير معتقدين للحق، هم قرؤوا هذه الآيات والأحاديث في الأسماء والصفات، لكنهم لا يعتقدون أنها تدل على شيء -كما يقوله الجهمية وأضرابهم-، وهذا من أعظم الكفر وأعظم الضلال؛

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ١٨٨، ٣٠/ ٢٦)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤/ ١٢٨٦)، وزاد المسير (٤/ ٣٩٢)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣١٠-٣١١).

لأنه اتهم خيرة الخلق وهم القرون المفضلة، اتهمهم بالجهل وعدم العلم، أو أنهم عرفوا الحق، ولكنهم لم يعتقدوه، واعتقدوا خلافه، وهذا من أعظم الضلال وأعظم الكفر.

(**عَرَف حَالَ القوْمِ**)، أي: عرف حال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وأتباع التابعين، وسيرتهم في العلم، واجتهادهم في طلب العلم والعبادة، وأنهم أفنوا أعمارهم في هذا المضمار، أفنوا أعمارهم في تحصيل العلم والعمل به والعبادة، هذا كما هو معروف من التاريخ ومن سيرهم، ومن آثارهم التي خلّفوها -من العلوم النافعة، ومن الروايات الصحيحة-، تدل على أنهم لهم اهتمامٌ بهذا الأمر يفوق اهتمام غيرهم، وأن هذا أهم شيء عندهم.



ثُمَّ الكَلامُ عَنْهُمْ فِي هَذَا البَابِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُمْكِنَ سَطْرُهُ فِي هَذِهِ الفَتْوَى أَوْ أَضْعَافِهَا، يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ طَلَبَهُ وَتَتَبَّعَهُ.

وَلا يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ الخَالِفُونَ أَعْلَمَ مِنَ السَّالِفِينَ، كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الأَغْبِيَاءِ مِمَّنْ لَمْ يُقَدِّرْ قَدْرَ السَّلَفِ، بَلْ وَلا عَرَفَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ بِهِ حَقِيقَةَ المَعْرِفَةِ المَأْمُورِ بِهَا مِنْ أَنَّ (طَرِيقَةَ السَّلَفِ أَسْلَمُ، وَطَرِيقَةَ الخَلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ).

فَإِنَّ هَؤُلاءِ المُبْتَدِعَةَ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ طَرِيقَةَ الخَلَفِ مِنَ المُتَفَلْسِفَةِ، وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ إِنَّمَا أُتُوا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هِيَ مُجَرَّدُ الإِيمَانِ بِأَلْفَاظِ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ، مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ لِذَلِكَ، بِمَنْزِلَةِ الأُمِّيِّينَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ ﴾ [البقرة:٧٨]، وَأَنَّ طَرِيقَةَ الخَلَفِ هِيَ اسْتِخْرَاجُ مَعَانِي النُّصُوصِ المَصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ المَجَازَاتِ وَغَرَائِبِ اللُّغَاتِ.

فَهَذَا الظَّنُّ الفَاسِدُ أَوْجَبَ تِلْكَ المَقَالَةَ الَّتِي مَضْمُونُهَا نَبْذُ الإِسْلامِ وَرَاءَ الظَّهْرِ، وَقَدْ كَذَبُوا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، وَضَلُّوا فِي تَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الخَلَفِ؛ فَجَمَعُوا بَيْنَ الجَهْلِ بِطَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الكَذِبِ عَلَيْهِمْ، وبَيْنَ الجَهْلِ وَالضَّلالِ بِتَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الخَلَفِ.

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ الكَلَامُ عَنْهُمْ فِي هَذَا البَابِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُمْكِنَ سَطْرُهُ فِي هَذِهِ الفَتْوَى أَوْ أَضْعَافِهَا، يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ طَلَبَهُ وَتَتَبَّعَهُ)، (الكَلَامُ عَنْهُمْ)، أي: الذي تكلموا به في هذا الباب في باب الأسماء والصفات والعقيدة والتوحيد، كلام كثير لا تحويه هذه الفتوى وهذا الجواب، ولكنه مبسوط في الموسوعات المروية عنهم،

وهي مدونة ومحفوظة -ولله الحمد-، مثل: كتب التوحيد، كتب الإيمان، كتب الشريعة، والروايات عنهم معروفة ومبسوطة، وفاضت بها الكتب المطبوعة، مثل: كتاب «شرح أصول الإيمان» للالكائي، و مثل «السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد، و«السنة» للخلال، و«الشريعة» للآجري، و«كتاب التوحيد» لابن منده، وغير ذلك من كتبهم، والمرويات عنهم مدونة وكثيرة، لكن هذه الفتوى إنما ذكر فيها الشيخ شيئًا يسيرًا عنهم كنموذج لما بعده.

قوله: (**وَلا يَجُوزُ -أَيْضًا- أَنْ يَكُونَ الخَالِفُونَ أَعْلَمَ مِنَ السَّالِفِينَ، كَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ الأَغْبِياءِ مِمَّنْ لَمْ يُقَدِّرْ قَدْرَ السَّلَفِ، بَلْ وَلا عَرَفَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالمُؤْمِنِينَ بِهِ حَقِيقَةَ المَعْرِفَةِ المَأْمُورِ بِهَا مِنْ أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ أَسْلَمُ، وَطَرِيقَةَ الخَلَفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ**)، هذه مسألة دخلنا فيها، وهي مسألة: علم السلف وعلم الخلف، هل السلف أعلم من الخلف؟ أو الخلف أعلم من السلف؟ هذا تكلم عنه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الفتوى، وتكلم عنها الإمام الحافظ ابن رجب في رسالة مطولة سماها «فضل علم السلف على علم الخلف»[(١)]، وكتب فيها غيره، وهي مسألة مهمة جدًّا؛ لأن هناك من يدّعي أن الخلف أعلم من السلف، وأن السلف مجرد عباد ومجرد أهل خير، لكنهم ما بحثوا في العلم وتوسعوا فيه، عندهم عبادة، لكن عندهم جهل -كما يقولون-، أما الخلف، فقد بسطوا المسائل، واستدلوا، وأتوا بعلم المنطق وعلم الكلام وعلم الجدل؛ فهم أعلم من السلف في هذا الباب!

الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ سيرد على هذا، ورد عليه غيره كثير، وهذا ضلال وتضليل للسلف، وتجهيل لهم، ولا تزال هذه الفكرة موجودة الآن في ناس يُجهِّلون العلماء،

---

(١) هي مطبوعة متداولة، بتحقيق: محمد بن ناصر العجمي، ط: دار السلفية، الكويت.

ويدعون أنهم لا يعرفون شيئًا، ولا يعرفون فقه الواقع، ولا يدرون ما الناس عليه، ولا يعرفون أمور السياسة، وأن الكُتّاب والمثقفين هم الذين عرفوا هذا وألمُّوا بهذا، ويفضلون المثقفين على العلماء، وهذا موجود؛ فكل قوم لهم وارث.

قوله: (كَمَا قَدْ يَقُولُهُ بَعْضُ الأَغْبِيَاءِ)، يقولون: (إن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم)، وهذا تناقض؛ فالسلامة لا تكون إلا مع العلم، ولاتكون السلامة مع الجهل، هل يمكن أن يكون الخلف أعلم من السلف الذين تعلموا على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتعلموا على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتعلموا على القرون المفضلة؟! هل من الممكن أن تكون القرون المتخلفة التي جاءت من بعد أعلم من السلف؟!! النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ** - قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي أَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ قَرْنِهِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً - **ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**»(١)، إلى غير ذلك، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن من يأتي بعد القرون المفضلة أنهم خلوف، وأنهم يحدث فيهم من الأهواء والجهل والكذب الشيء الكثير، وهؤلاء يعكسون، ويقولون: (لا، الخلف أحسن من السلف وأعلم)، الذي يقول: (إن الخلف أعلم من السلف) ما عرف الله عَزَّ وَجَلَّ، ولاعرف رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق المعرفة، هو يعرف أن الله هو الرب، وأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعث من عند الله، يعرف هذا مجرد معرفة، لكن لا يعرف الله حق المعرفة، ولا يعرف الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حق المعرفة، ولذلك تجرأ، وقال هذه المقالة،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولايعرف السلف حق المعرفة، ولذلك تجرأ، وقال هذه المقالة الشنيعة؛ لأنه ما عنده حقيقة المعرفة، وإنما عنده معرفة عامة مجملة، فلذلك تجرأ على هذه المقالة.

هذه مقالتهم: (طَرِيقَة السَّلف أَسْلَم)، يقولون: (لأنهم ما دخلوا في التأويل والبحث، وإنما أمسكوا)، وظنوا أن السلف مجرد مفوضة، يؤمنون بالألفاظ فقط، ولا يعرفون معناها، ولا يفسرونها، فلذلك سلموا من الخطأ، أما الخلف، فهم بسطوا المسائل، وبحثوا فيها، فهم توصلوا إلى معرفة معانيها التي كان السلف يجهلونها، فصاروا أعلم من السلف وأحكم، يعني: أتقن، الإحكام معناه: الإتقان، (طَرِيقَة الخَلَفِ أَعلَم وأَحْكَم، وَطَرِيقَة السَّلفِ أَسْلَم)؛ لأنهم ما بحثوا ولا...، آمنوا بظاهر النصوص، وتوقفوا عند هذا، فهم مفوضة، أما الخلف، فإنهم بحثوا، وتوصلوا إلى معاني هذه النصوص، عرفوا أنها ليست على ظاهرها، وأن لها معانيَ أخرى تفسر بها، فلذلك صارت طريقتهم أعلم وأحكم، أما أولئك، فهم مشّوا حالهم، وما بحثوا!! هذا ميزان السلف عند هؤلاء؛ أنهم جهلة، وأنهم ما عندهم معرفة بالنصوص، وإنما يقرؤونها للبركة، ويُمرونها ولا يبحثون فيها، من غير معرفة لمعانيها، ولا ما تدل عليه، يعني: أن السلف مفوّضة، يقرؤون النصوص، ويفوضونها إلى الله، هذا معناه عندهم! هل السلف الصالح كذلك؟ وهل الخلف أعلم من السلف في هذا الباب؟ كونهم يعرفون أمور الدنيا، وأنهم اخترعوا، وأنهم...، هذا أمر سهل، هذه صناعة، من اعتنى بها، وصل إليها، وأمور الدنيا أمرها سهل، أما أمور العلم، فلا، أمور العلم لا شك أن السلف هم الذين اعتنوا بها، وهم الذين عرفوها، وهم الذين يُرجع إليهم فيها، ولا يرجع فيها إلى الخلف، إنما الطيب من الخلف من اقتفى أثر السلف، وسار على نهجهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ

ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قوله: (اتَّبَعُوهُمْ)، انظر وتأمّل! اتبعوهم في العلم، وفي العبادة، وفي الاعتقاد والقول والعمل، بإحسان -أيضًا- لإتقان لطريقتهم، ما غلوا وتطرفوا، ولا جفوا وتساهلوا، بل اتبعوهم بإحسان؛ باعتدال واستقامة من غير غلوٍ ومن غير تساهل؛ لأن هناك من يدّعي أنه على مذهب السلف، لكن يُخالفهم؛ يغلو ويزيد، ويخرج عن طريقة السلف، ومنهم من يدّعي أنه على مذهب السلف، ويتساهل، ويضيع، ويكتفي بالانتساب، لا، الذي على منهج السلف يعتدل ويستقيم بين الإفراط والتفريط؛ لا غلو ولا تساهل، هذه طريقة السلف، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، فإذا أردت أن تتبع السلف، فلا بد أن تعرف طريقتهم، وتتقن منهجهم؛ لتسير عليه، أما أنك تتبعهم، وأنت لا تعرف طريقتهم، فإنك لن تتبعهم؛ إما أن تزيد، وإما أن تنقص، لا يمكن أن تسير على طريقتهم وأنت تجهلها ولا تعرفها، أو تنسب إليهم ما لم يقولوه ولم يعتقدوه، وتقول: (هذا مذهب السلف)؛ كما يحصل من بعض الجهال الآن، الذين يسمون أنفسهم سلفيين، ثم يخالفون السلف، ويشتدون، ويكفرون، ويفسقون، ويبدِّعون، والسلف ما كانوا يعملون هذا، ما كانوا يبدعون ويكفرون ويفسقون إلا بدليل في القرآن، ما هو بالهوى أو بالجهل؛ أنك تختطّ خطة، وتقول: (من خالفها، فهو مبتدع، فهو ضال)، لا، ليس هذا منهج السلف، منهج السلف العلم أولًا، ثم العمل، العمل على هدى، فإذا أردت أن تكون سلفيًّا حقًّا، فعليك أن تدرس مذهب السلف بإتقان، وتعرفه ببصيرة، ثم تعمل به من غير غلو ومن غير تساهل، هذا هو منهج السلف الصحيح، أما مجرد الادعاء والانتساب من غير حقيقة، فهذا يضرّ ولا ينفع.

عبارة: (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم)، إذا صدرت من بعض العلماء، قد يقولها بعض أهل الخير[١]، لكن هي معناها غير صحيح، ولو قالها بعض أهل الخير، نقول: لا، أبدًا! طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم، أما طريقة الخلف، فمن اقتدى بالسلف، فهو مثلهم، وأما من خالفهم، فليس أسلم، ولا أعلم، ولاأحكم، ولا كرامة.

قوله: (فَإِنَّ هَؤُلاءِ المُبْتَدِعَةَ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ طَرِيقَةَ الخَلَفِ مِنَ المُتَفَلْسِفَةِ، وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ إِنَّمَا أُتُوا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هِيَ مُجَرَّدُ الإِيمَانِ بِأَلْفَاظِ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ، مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ لِذَلِكَ...)، ظنوا أن طريقة السلف هي الإيمان بالألفاظ، وترديد الألفاظ من الكتاب والسنة، دون فهم لمعناها!! هذا تجهيل للسلف، وأن الخلف هم الذين بحثوا في معانيها، وأدركوا أسرارها، وقعدوا قواعدها، فلذلك صاروا أعلم عند هؤلاء، هذا الذي أوقعهم في هذا الوهم، ظنوا هم أن طريقة السلف مجرد الإيمان بالألفاظ من غير بحث في المعنى، وهل السلف كذلك؟! حاشا وكلّا! السلف يؤمنون بالألفاظ، ويؤمنون بالمعاني على وجهها الصحيح، ويعتقدونها، ويفسرونها على الوجه الصحيح، ما هم بعبدة ألفاظ -كما يُقال-، أو أنهم حملة ألفاظ دون أن يعرفوا معانيها وفقهها.

(الخلَف) ما المراد بهم؟ المتفلسفة من فلاسفة اليونان والذين أخذوا مذهبهم من المنتسبين إلى الإسلام، وساروا على منهجهم، هؤلاء هم الخلف، أهؤلاء

---

(١) ورد في بعض النسخ هذه العبارة: (وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْعِبَارَة صَدَرَتْ مِنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ فَقَدْ يَعْنِي بِهَا مَعْنى صَحِيحًا)، وذكر عدد من أهل العلم أنها عبارة مقحمة، ولم يذكرها ابن عبد الهادي فيما نقله من «الحموية» في كتابه «العقود الدرية» من (ص٨٣) إلى (ص١١١)، وعلّق الشيخ حامد الفقي في الهامش قائلًا: (في المطبوعة المكّية زيادة -وذكرها- وقال: وغالب الظن أنها ليست من كلام شيخ الإسلام) اهـ. وكذلك لم يذكرها الألوسي في كتابه «الرد على النبهاني» (٢/ ١٨٠-١٨٨).



يقاسون بأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ والصحابة والمهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟! يقاسون بالتابعين، وأتباع التابعين، والقرون المفضلة؟! وهم ما عندهم إلا علم الفلسفة، وعلم المنطق، وعلم الجدل الذي من أين جاء؟ من فلاسفة اليونان، أما السلف، فإنما أخذوا بالكتاب والسنة، وأين من أخذ بالكتاب والسنة ممن أخذ بعلم المنطق والجدل، وعلم الكلام الذي جاء من فلاسفة اليونان؟! والفلاسفة معناها: الحكماء عندهم، والفيلسوف هو: الحكيم.

قوله: (**بِمَنزِلِةِ الأُمِّيين**)، الأميون من أهل الكتاب من اليهود الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ﴾، أي: من اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾، من هم الأميُّون؟ ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾، تلاوة يعني، مجرد تلاوة للألفاظ من غير فقه في المعاني، فأهل الكتاب فيهم صنف من هذا النوع.

يبيّن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ السبب الذي من أجله فضّل هؤلاء الخلف على السلف، فإنهم إنّما أوتوا بسبب توهمهم أن الخلف اطّلعوا على أشياء لم يطلع عليها السلف، ثم من هم السلف ومن هم الخلف المقصودون في هذا؟ السلف هم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتابعون، وأتباع التابعين، وهم أفضل قرون الأمة علمًا وعملًا واعتقادًا، والأمة إنّما تأخذ عنهم، تأخذ عنهم العلم والدين؛ لأنهم هم الواسطة بين الأمة وبين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما الخلف، فالمراد بهم الفلاسفة، وعلماء الكلام، وعلماء المنطق، الذين أخذوا علمهم عن المتفلسفة وعلماء الكلام، وعلماء الجدل، فهل يُسوى هؤلاء بأولئك؟! من أخذ علمه عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن صحابة الرسول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُسوى به من أخذ علمه عن الفلاسفة، وعلماء الكلام، وعلماء المنطق اليوناني الذي لا خير فيه ولا فائدة منه؟!

وسيأتي أن أكابرهم تندموا على طريقتهم هذه، سيذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ نماذج من رجوع أقطابهم، وأنهم أدركوا خطأهم، فكيف يُقال: (إن هؤلاء أعلم من السلف) مع اختلاف مصادر معلوماتهم؛ معلومات السلف أخذوها عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن صحابة الرسول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وهؤلاء أخذوا علومهم عن الفلاسفة وعلماء الكلام وعلماء المنطق، الذين ليس عندهم علم إلّا علم الجدل، ليس عندهم علم من الكتاب والسنة، وهؤلاء ظنوا أن السلف إنما هم يقرؤون القرآن والأحاديث في الأسماء والصفات، ولا يعلمون معناها، وإنما يُمِرون لفظها، ويفوضون معناها إلى الله -كما يقول هؤلاء-، فهم لم يدخلوا في تفسيرها، أمّا الخلف، فإنهم فسروها، وبينوا المقصود منها! هذا هو الذي أوقعهم.

فجعلوا السلف بمنزلة الأميين الذين يقرؤون ولا يفهمون مثل الذين ذكرهم الله من بني إسرائيل، فقال: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾، أميُّون ليس عندهم علم، الأمي هو الذي ليس عنده علم، وإنما يقرأ النصوص ويرددها من غير أن يفهم معناها، هذا هو الأميّ، ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ﴾، من هم؟ ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾؛ لا يعلمون معانيه، وإن كانوا يحفظون ألفاظه، ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾، الأماني هي: التلاوة، أي: إلّا تلاوة للنصوص فقط؛ كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾، يعني: قرأ، ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج:٥٢]، إذا قرأ وتلا، فإن الشيطان يُلقي الشبهات في تلاوة الرسول والنبي؛ ابتلاءً للناس وامتحانًا لهم، وكما قال الشاعر في عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لمّا قُتل[1]:

تَمَنّى كِتَابَ اللهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ ... وَآخِرَهُ لاقَى حِمَامَ المَقَادِرِ

---

(١) انظر: الفائق للزمخشري (٣/ ٣٩٢) ولسان العرب (١٥/ ٢٩٥).

(تَمَنَّى كِتَابَ اللهِ)، يعني: يتلو كتاب الله؛ لأن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مشهور بقيام الليل وتلاوة القرآن، فكان يتهجد في الليل، ويقرأ القرآن.

(أَوَّلَ لَيْلِهِ وَآخِرَهُ) هجم عليه الخوارج[1] الطغاة، فقتلوه؛ (لاَقَى حِمَامَ المَقَادِرِ).

الشاهد من هذا: أن التلاوة تُسمى (أماني)، وهذا هو تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾، أي: مجرد تلاوة فقط للألفاظ من غير فهم لمعناها، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، ليس عندهم علم، وهذا ينطبق على القرّاء في وقتنا الحاضر الذين يحفظون كثيرًا من النصوص، ولكن لا يفقهون معناها، ويفسرونها من عندهم، فوقعوا في الضلال وسوء الفهم، فليس كل من قرأ وأجاد القراءة، أو حفظ وأكثر من الحفظ يُعد عالمًا، إنما العالم الفقيه الذي يفهم معاني النصوص على الوجه الصحيح، هذا هو العالم، فهم ظنوا أن الصحابة من هذا الجنس الذين يحفظون ولايفهمون، وأن المتأخرين فهموا معاني هذه النصوص وفسروها، فقالوا: (المراد باليد: القدرة، والمراد بالوجه: الذات، والمراد بالرحمة: النعمة)، أوَّلوا النصوص على غير معناها، قالوا: (هذا هو العلم، التأويل هو العلم)، مع أن هذا باطل، وليس هو العلم، العلم هو تفسير النصوص بمعناها الذي أراد

---

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَحْقِرُ أحدكم صَلَاتَهُ مع صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مع صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ**». أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًّا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص٥٤)، والملل والنحل (١/ ١١٤).

الله جَلَّوَعَلَا وأراده الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ما هو بصرفها عن ظواهرها إلى تفسير لا تدل عليه، ولا يُراد بها، فسموا صنيع الخلف أنه هو العلم، وأن صنيع السلف هو الجهل، وأن السلف جهّال، وهذا ما يقوله الآن ورثتهم، يقولون: (العلماء ما يفهمون شيئًا إلّا أحكام الحيض والنفاس، والأحكام الجزئية، لا يعرفون فقه الواقع، ولا ...)، يعني هذا موجود الآن سبحان الله!! فكل قوم لهم وارث.

قوله: (**وَأَنَّ طَرِيقَةَ الخَلَفِ هِيَ اسْتِخْرَاجُ مَعَانِي النُّصُوصِ المَصْرُوفَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ المَجَازَاتِ وَغَرَائِبِ اللُّغَاتِ...**)، يصرفونها عن حقائقها، ويقولون: (هذا هو العلم، وهذا هو التفسير الصحيح)، أما السلف، فهم يفسرونها بمعناها الصحيح، الذي أراده الله ورسوله، وهؤلاء فسروها بغير تفسيرها، وسموا هذا هو العلم، ويقولون: (إن السلف ما يفهمون)، وهذه هي البلية.

قوله: (**المَصْرُوفَة عَنْ حقَائِقهَا**)، يسمون هذا علمًا، صرف النصوص عن حقائقها يسمونه علمًا؛ مثل: صرف ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، قالوا: (المراد ذاته)، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤] قالوا: (اليد المراد بها القدرة، الرحمة المراد بها النعمة، أو إرادة النعمة)، وهكذا من التأويلات الباطلة.

يقولون: (هذا مجاز)، يعني: هذا مجاز، وليس على ظاهره، وجعلوا المجاز هو السبيل إلى نفي معاني النصوص؛ مجازات واستعارات وكنايات يفسرون بها كلام الله عَزَّوَجَلَّ، ويقولون: (إن الوجه كناية عن الذات، مجاز استعارة، ليس على حقيقته)، المجاز هو: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر، هذا هو المجاز عند علماء البلاغة[1].

---

(١) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١/ ٨٨)، والفلك الدائر على المثل السائر (٤/ ٨١)، والمطلع على ألفاظ المقنع (ص ٤٧٦)، وخزانة الأدب وغاية الأرب (٢/ ٤٤٠).

قوله: (مَضْمُون هَذِهِ المَقَالاتِ) وتفسير النصوص بغير حقيقة معناها هذا (نَبذُ للدّينِ وَرَاء الظَّهْر)، وما الفرق بين هذا وتفسير الباطنية، الذين يقولون: (الصلاة المراد بها الدعاء، الزكاة المراد بها تطهير النفوس، الحج المراد به زيارة المشايخ وزيارة القبور)؟ هذا الحج عندهم، هؤلاء يسمّون: الباطنية، يقولون: (إن النصوص ليست على ظاهرها، وإنما لها باطن لا يعلمه كل أحد)، هؤلاء مثل الباطنية تقريبًا بجامع أن كلًا منهم يقول: (إن ظاهر النصوص غير مراد، وإن لها معنى آخر، نحن الذين نبينه، ليس الرسول هو الذي يبيّنه ولا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين يبيّنونه، نحن أعرف من السلف)، هذا حقيقة قولهم، هذا معناه الخروج من الدين، إذا كان قول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقول التابعين وقول السلف ما هو بصحيح، معناه ليس هناك دين صحيح -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، فقولهم هذا يؤول إلى نبذ الدين وراء الظهر، فسروا النصوص بغير مدلولها مثل تفسير الباطنية.

كذبوا على السلف؛ حيث زعموا أن السلف يقرؤون مجرد قراءة، ولا يفهمون المعاني، وأنهم يفوضون المعنى إلى الله، مفوضة، هذا كذب على السلف، السلف فهموا معانيها وفسروها، إذا رجعت إلى تفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير -التفاسير المعتمدة المبنية على الوجوه الصحيحة في التفسير-، تجد أن السلف فسروها، بينوا معناها، ووضحوها، ما سكتوا عنها، ما قال ابن جرير: (هذا اللفظ على غير ظاهره، ومعناه مفوّض إلى الله)، ولا قال ابن كثير، ولا قال البغوي، ولاقاله أئمة السلف في كتب العقائد وكتب الإيمان والتوحيد والشريعة كلها، فالسلف فسّروا هذه النصوص، ما فوضوها -كما يقول هؤلاء-، فهذا كذب على السلف؛ أنهم مجرد حفظة فقط.

قوله: (وَقَدْ كَذَبُوا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، وَضَلُّوا فِي تَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الخَلَفِ؛ فَجَمَعُوا بَيْنَ الجَهْلِ بِطَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الكَذِبِ عَلَيْهِمْ، وبيَنَ الجَهْلِ وَالضَّلالِ بِتَصْوِيبِ طَرِيقَةِ الخَلَفِ)، جمعوا بين جريمتين:

الجريمة الأولى: الكذب على السلف، وأنهم لم يفهموا، وأنهم فوضوا المعنى إلى الله، وهذا كذب.

الجريمة الثانية: تضليل الناس بتفسير النصوص على غير ظاهرها، وهذا يضلّل الناس، فما اقتصر ضلالهم على أنفسهم، بل ضلّلوا غيرهم.

تصويب الخطأ؛ طريقة الخلف خطأ، هم صوبوها، قالوا: (هي الصواب)، هذا ضلال، يعني: إذا قلت: (إن الخطأ صحيح، وإن الضلال حق)، فهذا معناه الضلال المبين، فهم صوبوا طريقة الخلف، وهي خطأ، معنى هذا أنهم ضلوا عن سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.





وَسَبَبُ ذَلِكَ اعْتِقَادُهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ صِفَةٌ دَلَّتْ عَلَيْهَا هَذِهِ النُّصُوصُ لِلشُّبُهَاتِ الفَاسِدَةِ الَّتِي شَارَكُوا فِيهَا إِخْوَانَهُمْ مِنَ الكَافِرِينَ، فَلَمَّا اعْتَقَدُوا انْتِفَاءَ الصِّفَاتِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ -وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا بُدَّ لِلنُّصُوصِ مِنْ مَعْنًى-، بَقُوا مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الإِيمَانِ بِاللَّفْظِ وَتَفْوِيضِ المَعْنَى - وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا طَرِيقَةَ السَّلَفِ - وَبَيْنَ صَرْفِ اللَّفْظِ إِلَى مَعَانٍ بِنَوْعِ تَكَلُّفٍ - وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا طَرِيقَةَ الخَلَفِ - فَصَارَ هَذَا البَاطِلُ مُرَكَّبًا مِنْ فَسَادِ العَقْلِ وَالْكُفْرِ بِالسَّمْعِ، فَإِنَّ النَّفْيَ إِنَّمَا اعْتَمَدُوا فِيهِ عَلَى أُمُورٍ عَقْلِيَّةٍ ظَنُّوهَا بَيِّنَاتٍ، وَهِيَ شُبُهَاتٌ، وَالسَّمْعَ حَرَّفُوا فِيهِ الكَلَامَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

الشَّرح

قوله: (وَسَبَبُ ذَلِكَ اعْتِقَادُهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ صِفَةٌ دَلَّتْ عَلَيْهَا هَذِهِ النُّصُوصُ لِلشُّبُهَاتِ الفَاسِدَةِ الَّتِي شَارَكُوا فِيهَا إِخْوَانَهُمْ مِنَ الكَافِرِينَ)، هذه شبهة ثانية.

الشبهة الأولى: أنهم ظنّوا أن السلف لا يعرفون، أنهم مجرد ناس صالحين، عُبّاد، حُفاظ، يحفظون النصوص، لكن لا يفهمون، هذه الشبهة الأولى، وأن الخلف عندهم فقه وفهم وإدراك.

الشبهة الثانية: أنهم ظنوا أن هذه النصوص لا تدل على صفات الله، وليست على ظاهرها، فلا بدّ من تفسيرها وصرفها عن ظاهرها؛ لأنها لا تدلّ على صفات، هذا هو سبب الضلال؛ أنّهم لا يؤمنون بالصفات، فلما كانوا لا يؤمنون بصفات الله، وهذه النصوص ظاهرها أنها تثبت الصفات، حاولوا أن يصرفوها عن ظاهرها، ويلووا أعناق النصوص؛ حتى توافق أهواءهم، هذه طريقة كل ضال في العالم.

فسبب ضلالهم التعطيل، وهو نفي الصفات عن الله عَزَّوَجَلَّ، هم لا يعتقدون أن لله صفة أبدًا، ويقولون: (هو الذات المجردة التي لا توصف بوصف)، لكن لمّا كانت النصوص واضحة في إثبات الصفات لله، ماذا يعملون؟ لا يستطيعون تكذيبها؛ لأنها واضحة وصحيحة، لجؤوا إلى تأويلها، بدل التكذيب لجؤوا إلى التأويل، فكذبوا في المعنى، غيروه عن وضعه؛ خروجًا من المأزق الذي وقعوا فيه، فهم خرجوا من مأزق، ووقعوا في مأزق أشدّ منه.

والشبهات التي عندهم يقولون: (لو أثبتنا هذه النصوص، وهي موجودة في الخلق -السمع والبصر والكلام والقدرة واليد والوجه-، لو أثبتنا هذا، لشبهنا الله بخلقه؛ لأن هذه الصفات موجودة في الخلق، فدل على أنها لا تدل على صفات؛ لِئلا نشبه الله بخلقه)، فنقول: نعم، هذه الصفات موجود في الخلق، والله وصف بها نفسه، وهو أعلم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فدلّ على أن صفات الله غير صفات الخلق، وأنه لا تشابه، وإن اشتركت في اللفظ والمعنى، فهي لا تشترك في الحقيقة والكيفية، فلله صفات تليق به سبحانه، لا يعلم كيفيتها إلّا هو، وللمخلوقين صفات تليق بهم، ليس السمع كالسمع، ولا البصر كالبصر، ولا العلم كالعلم، ولا القدرة كالقدرة، ولا اليد كاليد، ولا الوجه كالوجه، وهذا في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ثم قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، أثبت لنفسه السمع والبصر، مع أنهما موجودان في الخلق؛ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢]، فالسمع والبصر موجودان في الخلق، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، أثبته لنفسه، وقدّم قبله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فدل على أن السمع ليس كالسمع، والبصر ليس كالبصر، هذه قاعدة في جميع صفات الله عَزَّوَجَلَّ؛ أنها ثابتة لله على وجه لا يشبه صفات المخلوقين، لو أنّ

الله هداهم إلى هذا، لاستراحوا من هذا العناء، وسلكوا مسلك السلف، وأثبتوها على حقيقتها ومعناها الذي تدلّ عليه، ونفوا عنها المشابهة والمماثلة، خذ مثلًا في الخلق: الفيل يسمع ويُبصر، والنملة والذرة تسمع وتبصر، هل بين الفيل والذرة تشابه؟ لا، هناك اختلاف بين الذرة والفيل، فإذا كان هذا الاختلاف موجودًا في الخلق، فلأن يكون بين الخالق والمخلوق من باب أولى، فلا يلزم من الاشتراك في الصفات ما يلزم منها من الاشتراك في الحقيقة والكيفية، وهذا هو الذي أوقعهم في الضلال؛ حيث زعموا أن هذه النصوص لو أثبتت لله، لحصل المشابهة بينه وبين خلقه، والله لا شبيه لـه، فنفوها عن الله عَزَّوَجَلَّ، وأولوا معانيها؛ فرارًا من التشبيه -بزعمهم-، وهم وقعوا في تشبيه أشد؛ لأنهم شبهوا الله بالجمادات التي لا تسمع ولا تبصر، وليس لها صفات الأحياء، وإنما هي جمادات ميتة، ففروا من تشبيهٍ موهوم، ليس بصحيح، ووقعوا في تشبيه حقيقي أشدّ من التشبيه الذي زعموه.

(**شُبُهَاتٌ**)، مثل ما سبق؛ أن إثبات الصفات عندهم يقتضي التشبيه، والله ليس له شبيه، لا شك، لكن ليس معنى هذا أننا ننفي عنه الأسماء والصفات، نقول: (فرارًا من التشبيه)، بل نقول: هناك فرق بين الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ والمخلوق، هذه من أعظم شبهاتهم، شبهة التشبيه.

قوله: (**فَلَمَّا اعْتَقَدُوا انْتِفَاءَ الصِّفَاتِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ -وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا بُدَّ للنَّصوصِ مِنْ مَعْنًى-، بَقُوا مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الإِيمَانِ بِاللَّفْظِ وَتَفْوِيضِ...**)، لما اعتقدوا أنه ليس لله صفة؛ ولكن النصوص التي في القرآن والسنة ماذا يعملون بها، وهي تدلّ على صفات الله وتثبته؟ ما يستطيعون نفي هذه النصوص؛ لأنها موجودة، فلجؤوا إلى التأويل، أثبتوا ألفاظها، يعني: انقسموا إلى قسمين:

القسم الأول: من أوَّلها، وحرَّفها.

والقسم الثاني: من توقف، وفوضها، وهم المفوضة، يقولون: (لا نفسرّها، بل نكل تفسيرها إلى الله، أما هي، فلا تدل على صفة)، ما معناها؟ قالوا: (لا نعلم)، وهؤلاء هم المفوضة.

والفريق الأول -وهم المؤولة- انقسموا إلى قسمين:

* قسم مؤول.

* وقسم مفوض.

وكلهم اشتركوا في نفي الصفات عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتعطيل الله عَزَّوَجَلَّ من صفاته.

(والمُفَوِّضَة)، وهذا هو الذي وصفوا به السلف أنهم يبقون اللفظ ويفوضون المعنى، فهم نسبوا آفتهم وعلتهم إلى السلف؛ كما قال في المثل: (رمتني بدائها وانسلت)[1]، فهم المفوضة في الحقيقة، ووصفوا السلف بأنهم مفوضة، وقالوا: (هذه أسلم).

وقوله: **(يُسَمُّونَهَا طَرِيقَةَ السَّلَفِ)**؛ أن السلف مفوضة، يثبتون الألفاظ، وينفون المعاني، كذبوا على السلف؛ فالسلف ليسوا مفوضة، السلف هم أعلم الأمة، وأعرفها بمعاني كلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليسوا مفوضة يرددون الألفاظ بدون فهم.

وقوله: **(بَيْنَ الإِيمَانِ بِاللَّفْظِ وَتَفْوِيضِ المَعْنَى)**، الفريق الثاني سلكوا مسلك التأويل، وتخبطوا فيها تخبطًا كثيرًا، وأتوا بالمجازات والاستعارات والكنايات

---

(١) هذا المثل لإحدى ضرائر رُهْم بنتِ الخَزْرَج امرأة سَعْد بن زيد مَنَاة، رَمَتْها رُهْم بعيبٍ كان فيها، فقالت الضرة: رمتني بدائها وانسلت. انظر: الأمثال لابن سلام (١/ ٧٣)، وجمهرة الأمثال (١/ ٤٧٥)، والأمثال للهاشمي (١/ ١٣٣)، ومجمع الأمثال (١/ ١٠٢).

استخدموها، وما وصلوا إلى نتيجة، وفي آخر الأمر أساطينهم رجعوا -كما سيذكر الشيخ عما قريب-، رجعوا عند الموت؛ لأنهم ما وصلوا إلى نتيجة.

قوله: (وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا طَرِيقَةَ السَّلَفِ)، طريقة السلف هي التفويض عندهم، وطريقة الخلف هي التأويل، هذه طريقة الخلف وطريقة السلف عندهم.

قوله: (وَبَيْنَ صَرْفِ اللَّفْظِ إِلَى مَعَانٍ بِنَوْعِ تَكَلُّفٍ -وَهِيَ الَّتِي يُسَمُّونَهَا طَرِيقَةَ الخَلَفِ)، هذا المذهب فاسد من جهة العقل وفاسد من جهة الشرع، السمع يعني الشرع؛ لأن العقل لا يقر هذه التأويلات أبدًا، بدليل ما يأتيكم رجوع أساطينهم عند الموت، والشرع يبطل هذا التأويل، فتأويلهم هذا باطل بالعقل والشرع، والحمد لله.

قوله: (فَصَارَ هَذَا البَاطِلُ مُرَكَّبًا مِنْ فَسَادِ العَقْلِ وَالْكُفْرِ بِالسَّمْعِ...)، اعتمدوا في نفي الصفات عن الله اعتمدوا على أي شيء؟ على قواعد المنطق وعلم الكلام، التي يسمونها أدلة عقلية يقينية، وأدلة الشرع والقرآن والسنة يسمونها أدلة ظنية، ما هي متيقنة، عندهم أن أدلة القرآن والسنة إنّما هي ظنية، أما أدلة العقل والمنطق عندهم، فهي يقينية، فلذلك قدّموا العقل على السمع، على أدلة الكتاب والسنة؛ بناءً على هذه القاعدة الخبيثة، التي تجعل القرآن ظني الدلالة، وتجعل علم المنطق قطعي الدلالة عندهم، وفي الحقيقة قواعد المنطق ظنيات، وأكثرها باطل، خلاف القرآن؛ فإنه: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، وقال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود:١]، هل هذا ظني أم قطعي؟ هذا هو عين القطع واليقين؛ لأنه

كلام من حكيم حميد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أما قواعد المنطق، فهي من عمل البشر؛ مقدمات ونتائج، وجوهر وعرض وجسم...، وما أشبه ذلك! كلها ظنيات وجهليات، جاؤوا بها، وجعلوها المرجع الذي يرجع إليه في التوحيد، فضلوا وأضلوا بهذه الطريقة الخبيثة؛ حيث أحلوا المنطق وعلم الكلام محل القرآن والسنة، وكان الواجب العكس؛ الاعتماد على القرآن والسنة وترك هذه الجدليات والمنطقيات التي من أين جاءت؟ جاءت من فلاسفة اليونان الكفرة، المنطق جاء من اليونان، حينما عربت الكتب الأجنبية في عهد المأمون(١)، جاء علم المنطق وعلم الجدل وعلم الكلام، جاء من اليونان، وأما القرآن، فهو من عند الله عَزَّوَجَلَّ، السنة من عند الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففرق بين المصدرين؛ مصدر اليونان، ومصدر السماع المنزل من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله: (ظَنُّوهَا بَيِّنَاتٍ)، ظنوا هذه القواعد أنها بينات، وهي في الواقع (شُبهَات)، ليست بيّنة، البينات في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٩]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [البقرة:٩٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [النور:٣٤]، وقال في الآية

---

(١) هو الخَلِيْفَةُ، أَبُو العَبَّاسِ، عَبْدُ اللهِ بنُ هَارُوْنَ الرَّشِيْدِ بن مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ ابْنِ أَبِي جَعْفَرٍ المَنْصُوْرِ العَبَّاسِيُّ. وُلِدَ: سَنَةَ سَبْعِيْنَ وَمائَةٍ. وَقَرَأَ العِلْمَ، وَالأَدَبَ، وَالأَخْبَارَ، وَالعَقْلِيَّاتِ، وَعُلُوْمَ الأَوَائِلِ، وَأَمَرَ بِتَعْرِيْبِ كُتُبِهِم، وَبَالَغَ، وَعَمِلَ الرَّصَدَ فَوْقَ جَبَلِ دِمَشْقَ، وَدَعَا إِلَى القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ وَبَالَغَ، وَصَمَّمَ عَلَى امْتِحَانِ العُلَمَاءِ فِي سَنَةِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ، وَشَدَّدَ عَلَيْهِم، فَأَخَذَهُ اللهُ، في عام ثمانية عشر ومائتين من الهجرة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٧٢)، وتاريخ بغداد (١٠/ ١٨٣)، والأعلام للزركلي (٤/ ١٤٢).

الأخرى: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النور:٤٦]، الآيات بينات، ليست قواعد المنطق هي البينات، بل قواعد المنطق شبهات، أما نصوص القرآن والسنة، فهي آيات بينات، بينات في نفسها، وبينها الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤]، فهي آيات بيّنات، ومُبَيَّنات من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومبيِّنات للهدى من الضلال، هي نفسها تبين -أيضًا- الهدى من الضلال؛ ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ﴾، تبين لكم طريق الحق، فكيف نترك الآيات البينات، ونذهب للشبهات التي جاءتنا من اليونان، من الفلاسفة الملاحدة، الذين لا يؤمنون بربّ، ولا بصفة من صفات الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، (وَهِيَ شُبهَات)؟!

العقل اعتمدوا فيه على قواعد المنطق، ظنوها بينات، وهي شبهات، والشرع أدلة الكتاب والسنة حرفوها عن ظاهرها، فهم لم يبق عندهم شيء؛ لا عقل صحيح، ولا شرع ثابت من عند الله، إذًا صاروا يعتمدون على لا شيء، أهؤلاء أفضل من السلف، وهذه حقيقة مصادرهم ومآخذهم و تلقّيهم؟!! أهؤلاء أعلم من السلف الذين يتلقّون عن الله ورسوله؟!! حاشا وكلّا! ولذلك لما صدرت هذه الفتوى المفحمة من الشيخ، قاموا وقعدوا في أذيته ومضايقته، وحاكموه، وسجنوه عند هذه الفتوى؛ لأنها فضحتهم، هذه المقدمة فضحتهم، وعرت باطلهم، كشفتهم للناس، فلذلك لجؤوا إلى القوة والسلطة، لم يردوا على الشيخ بأدلة، وإنما رجعوا إلى السلطة فقط، مثل: قول فرعون لما أقام موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عليه الحُجّة، ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء:٢٩] أهذه حجة؟! ﴿ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ يوم عجز عن الردّ على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال: ﴿ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾، هذه طريقة أهل الباطل؛ أنهم إذا عجزوا

عن إقامة الحجة، رجعوا إلى السلطة والتهديد، فهم خاصموا الشيخ، وسجنوه، لما عجزوا في المناظرات، ناظروه، فخصمهم أمام الملأ، ولما خصمهم أمام الملأ، لجؤوا إلى سجنه عند هذه الفتوى، ولهذا قال: (وَجَرَى بِسَبَبِ هَذَا الجَوَابِ أُمُورٌ وَمِحَنٌ).



فَلَمَّا انْبَنَى أَمْرُهُمْ عَلَى هَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ الْكُفْرِيَّتَيْنِ، كَانَتِ النَّتِيجَةُ: اسْتِجْهَالَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ، وَاسْتِبْلَاهَهُمْ، وَاعْتِقَادَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا أُمِّيِّينَ، بِمَنْزِلَةِ الصَّالِحِينَ مِنَ الْعَامَّةِ، لَمْ يَتَبَحَّرُوا فِي حَقَائِقِ الْعِلْمِ بِاللهِ، وَلَمْ يَتَفَطَّنُوا لِدَقَائِقِ الْعِلْمِ الإِلَهِيِّ، وَأَنَّ الْخَلَفَ الْفُضَلَاءَ حَازُوا قَصَبَ السَّبْقِ فِي هَذَا كُلِّهِ.

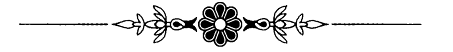
الشَّرح

قوله: (فَلَمَّا انْبَنَى أَمْرُهُمْ عَلَى هَاتَيْنِ الْمُقَدِّمَتَيْنِ الْكُفْرِيَّتَيْنِ كَانَتِ النَّتِيجَةُ: اسْتِجْهَالَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ، وَاسْتِبْلَاهَهُمْ، وَاعْتِقَادَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا أُمِّيِّينَ، بِمَنْزِلَةِ الصَّالِحِينَ مِنَ الْعَامَّةِ...)، النتيجة أنهم استجهلوا السلف، وقالوا: (إنهم قوم أميون، لا يحفظون، ولا يفهمون، يحفظون كلامًا لا يعرفون معناه)، يقولون: (فلان طيب وعابد، لكن هو لا يدري عن شيء)، هذه طريقتهم مع أهل العلم، يقولون: (أهل العلم ناس طيبون وناس صالحون، ولكنهم بلهاء، ما يعرفون شيئًا، ولا يفهمون فقه الواقع)؛ كما يعبرون الآن.

قوله: (لَمْ يَتَبَحَّرُوا فِي حَقَائِقِ الْعِلْمِ بِاللهِ)، الذي هو علم المنطق، ما درسوا المنطق وعلم الجدل، فلذلك صاروا جهالًا -بزعمهم-، هل العلم هو علم المنطق أم علم الكتاب والسنة؟ العلم هو علم الكتاب والسنة، هذا هو العلم الصحيح، أما علم البشر وعلم المنطق، فهذا علم أكثره خطأ وضلال؛ لأنه صادر عن بشر وعن مغرضين وعن ملحدين.

يقولون: (إن الصحابة والتابعين مثل العوام، ما عندهم إلا حفظ فقط، يحفظون القرآن والسنة، لكن ليس عندهم فهم)!!

قوله: (فِي هَذَا كُلِّهِ)، في معرفة معاني النصوص التي جهلها السلف، (حَازَوا قَصَبَ السَّبْقِ)، فلذلك هم أعلم من السلف، والسلف أسلم؛ لأنهم ما خاضوا ولادخلوا في تأويل، فهم أسلم، فوضوا، سلموا، وهذا تناقض؛ لأنه ما يمكن السلامة إلّا مع العلم، أما الجهل، فليس معه سلامة، قد يعذر الجاهل، لكنه ما يسلم من الخطأ.



ثُمَّ هَذَا الْقَوْلُ إِذَا تَدَبَّرَهُ الإِنْسَانُ، وَجَدَهُ فِي غَايَةِ الجَهَالَةِ، بَلْ فِي غَايَةِ الضَّلالَةِ. كَيْفَ يَكُونُ هَؤُلاءِ الْمُتَأَخِّرُونَ -لاسِيَّمَا وَالإِشَارَةُ بِالْخَلَفِ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ- الَّذِينَ كَثُرَ فِي بَابِ الدِّينِ اضْطِرَابُهُمْ، وَغَلُظَ عَنْ مَعْرِفَةِ اللهِ حِجَابُهُمْ، وَأَخْبَرَ الوَاقِفُ عَلَى نِهَايَاتِ إِقْدَامِهِمْ بِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ مَرَامِهِمْ، حَيْثُ يَقُولُ:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ المَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ المَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ[(١)]

وَأَقَرُّوا عَلَى نُفُوسِهِمْ بِمَا قَالُوهُ مُتَمَثِّلِينَ بِهِ أَوْ مُنْشِئِينَ لَهُ فِيمَا صَنَّفُوهُ مِنْ كُتُبِهِمْ؛ كَقَوْلِ بَعْضِ رُؤَسَائِهِمْ[(٢)]:

---

(١) هذان البيتان ذكرهما الشهرستاني في أول كتابه نهاية الإقدام في علم الكلام (ص٣) ولم ينسبهما لأحد، انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٧٠)، وإيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ص١٤٠). وقد قيل إن هذين البيتين لأبي بكر محمد بن باجه المعروف بابن الصانع، وقيل إنهما لابن سينا. انظر: مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (١/ ٢٩٩)، ومقدمة الملل والنحل، ووفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢٧٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٢٨) ونسبهما لأبي عبد الله الشهرستاني. وقد رد عليه الأمير الصنعاني قائلًا:

لعلك أهملت الطواف بمعهد ... الرسول ومَنْ لاقاه من كل عالم

فما حار من يهدي بهدي محمد ... ولست تراه قارعًا سن نادم

انظر: حاشية درء التعارض (١/ ١٥٩)، وحاشية منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٧٠) حيث بيَّن الدكتور محمد رشاد سالم أن كلمة (لعمري) ليست من البيتين، بل هي تابعة لما قبلها.

(٢) هو المتكلم صاحب التفسير والتصانيف محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي، ويقال له ابن خطيب الري، صاحب التفسير المسمى «مفاتح الغيب»، وله «أساس التقديس»، و«أقسام اللذات»، وكان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول: من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز. ولد سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وتوفي سنة ست وستمائة.

انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٥٠)، والوافي بالوفيات (٤/ ١٧٥)، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠، ٥٠١)، والبداية والنهاية (١٣/ ٥٥)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٨١)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص٢٧٧)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٧٣)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٩٥)، ودرء التعارض (١/ ١٦٠)، ومنهاج السنة النبوية (٥/ ٢٧١) وذكر الدكتور =

نِهَايَةُ إِقْدَامِ العُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الكَلامِيَّةَ، وَالمَنَاهِجَ الفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَلا تَرْوِي غَلِيلًا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ القُرْآنِ، أَقْرَأُ فِي الإِثْبَاتِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي. اهـ.

الشَّرح

قوله: (هَذَا القَوْلُ)، وهو أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم، إذا تدبره العاقل البصير، تبيّن له أنه قول باطل.

قوله: (فِي غَايَةِ الجَهَالَةِ)، لا يعرفون علم السلف، فهم جهال، لا يعرفون تفسير القرآن والأحاديث، فهم جهال أوتوا من جهلهم.

قوله: (بَلْ فِي غايَةِ الضَّلالَة)؛ لأنه لا يؤدي إلى حق، بل يؤدي إلى باطل، إذا زهدنا في السلف، وقلنا: (هم جهال، وهم ناس مغفلون، ولا يعلمون شيئًا)، من أين إذًا نتلقى ديننا؟! عن الجهم بن صفوان، عن واصل بن عطاء الغزال، عن فلان، عن فلان؟! إذا تركنا أبا بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتركنا التابعين، نتلقى العلم عن الجهمية والمعتزلة وأفراخ هؤلاء؟!

= محمد رشاد سالم في الحاشية أن شيخ الإسلام ابن تيمية يذكر أن الرازي كان يتمثل بهذا الكلام في كتابه «أقسام اللذات»، وذكر الدكتور أن هذا الكتاب مخطوط بالهند، ولم يذكره «بروكلمان» ضمن مؤلفات الرازي.

قوله: (كَيْفَ يَكُونُ هَؤُلاءِ المُتَأَخِّرُونَ ـ لَاسِيَّمَا وَالإِشَارَةُ بِالخَلَفِ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ المُتَكَلِّمِينَ -الَّذِينَ كَثُرَ فِي بَابِ الدِّينِ اضْطِرَابُهُمْ،...)؛ لأنهم اضطربوا، الآن تجدونهم مختلفين في منهجهم اختلافًا كثيرًا في عقائدهم وفي تأويلاتهم، ما يستقرون على رأي، كل واحد له رأي، وكل واحد يجد له رأيًا آخر، فهم مضطربون؛ لأنهم لم يصدروا عن مصدر صحيح، عن كتاب الله وسنة رسوله اللّذَين بهم العصمة من الاختلاف؛ ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء:٥٩]، هؤلاء ما يردون إلى الكتاب والسنة، وإنما يردون إلى عقليّاتهم، فاختلفوا واضطربوا فيما بينهم، وهذا موجود في كتبهم، فهي مشحونة بالاختلاف والاضطراب في هذا الباب.

كيف يكون هؤلاء المتأخرون الذين لا علم لهم بالكتاب والسنة، ولم يتلقوا علمهم عن المصادر الصحيحة، وإنما تلقوا مما عندهم من علم الكلام والمنطق، كيف يكونون أفضل من السلف وأعلم من السلف؟! لم يعرفوا الدين، ولم يعرفوا الله عَزَّوَجَلَّ؛ حيث أنكروا أسماءه وصفاته، هذا جهل بالله عَزَّوَجَلَّ، إذا كان الله ليس له سمع ولا بصر ولا وجه ولا يد ولا صفات، إذًا ماذا يكون؟ تعالى الله عمّا يقولون! يكون أنقص الناقصات.

قوله: (وَأَخْبَرَ الوَاقِفُ عَلَى نِهَايَاتِ إِقْدَامِهِمْ بِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ مَرَامِهِمْ، حَيْثُ يَقُولُ:...)، هذا تراجع بعضهم، شهادات من أقطابهم على حيرتهم، وعلى اضطرابهم.

يقول أحد أساطينهم:

(لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ المَعَاهِدَ كُلَّهَا وسَـيَّرْتُ طَـرْفِي بَـيْنَ تِـلْكَ المَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ)

(لَعَمْرِي): هذا قسم.

فهذا يقوله واحد من أكابرهم، لم يحصّل من دراسته طول عمره شيئًا يعتمد عليه؛ الجوهر.. والعرض.. والجسم..، وما أشبه ذلك من المقالات التي لا تؤدي إلى حقيقة.

(المَعَاهِدَ)، يعني: الأمكنة، يطلب الحقيقة، يتجول في البلاد، وذهب لكل علمائهم وكل مدارسهم يطلب الحقيقة، فلم يصل إلى حقيقة، كل واحد يصف له طريقًا، كل واحد يقول له: اذهب من هنا، والآخر يقول له: اذهب من هنا، وهو قد تحيّر.

فإما بعضهم حائر لا يدري أين يذهب، وإما نادم عرف أنه ضال وضائع، فندم،، هذا مآلهم؛ لأنهم لم يعتمدوا على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعلى هدي السلف الصالح الذي يدلّ على الطريق الصحيح؛ ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، هم تركوا هذا الكتاب الذي يخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ظلمات الكفر والشك والجهل إلى النور، نور العلم والإيمان واليقين والبصيرة، وتأمّل كيف عدّد الظلمات، وأفرد النور؛ لأن الحقّ واحد، أما الجهل، فهو ظلمات كثيرة، كلّ واحد يقول: (تعال من هنا، تعال من هنا)؛ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ



ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فالباطل متشعّب، أما الحق، فهو واحد، ما يختلف، ولا يميل أبدًا؛ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، فصراط الله واحد، وأما السبل، فهي كثيرة؛ لأن كل واحد يدعي أنه على الحق؛ لأنهم كلّهم يتخرّصون، أنت لما تأتي على جماعة في صحراء تائهين، لايعلمون أين يذهبون، أليس كلّ واحد يقول: (تعال من هنا)، والآخر يقول: (تعال من هاهنا)، وثالث يقول: (تعال من هاهنا)؟! بلى؛ لأنهم ما يعرفون الطريق الصحيح، كل واحد يتحرّى، هذا مثل لهؤلاء التائهين في صحراء وفي ظلام الليل، ولا يدرون أين يذهبون، وكل واحد يأتي برأي، ولو أنهم سلكوا الطريق المسلوك الذي عليه الناس والقوافل والسيارات، ما حصل هذا، لكن لما تبتعد عن الطريق الصحيح، تضيع و تهلك.

قوله: (وَأَقَرُّوا عَلَى نُفُوسِهِمْ بِمَا قَالُوهُ مُتَمَثِّلِينَ بِهِ أَوْ مُنْشِئِينَ لَهُ فِيمَا صَنَّفُوهُ مِنْ كُتُبِهِمْ؛ كَقَوْلِ بَعْضِ رُؤَسَائِهِمْ:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ العُقُولِ عِقَالُ	**وَأَكْثَرُ سَعْيِ العَالَمِينَ ضَلَالُ**
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا	**وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ**
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا	**سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا**

لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الكَلَامِيَّةَ، وَالمَنَاهِجَ الفَلْسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَلا تَرْوِي غَلِيلًا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ القُرْآنِ...)، بعضهم صرح بالحيرة والاضطراب، هذه شهادة عليهم، والقائل منهم، من رؤسائهم، وهو أبو بكر الرازي صاحب التفسير، رجع في آخر أيامه، وتاب إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ كما يذكر الشيخ في هذه الأبيات عنه.

هذا علمهم قيل وقال؛ «قال فلان»، و«قال فلان»، ليس فيه «قال الله» أو «قال رسوله»، وإنما فيه «قال فلان» و«قال فلان»، لا يعلمون من معه الحقّ؛ هل هو مع فلان أم مع فلان؟ تحيّروا.

(**وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا**)، تجد كتب عقائد علماء الكلام من هذا النوع؛ «قال فلان» و«قال فلان»، اختلاف مستمر، ما فيها آية أو حديث، إنّما هي جدليات، أما عقائد أهل السنة، فهي «قال الله»، «قال رسوله»، «قال السلف الصالح».

هذه شهادة (**وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا**)، كلّ كتبهم من هذا النوع.

تأمّل هذا البيت: (**وَلَمْ نَسْتَفِدْ**).

فهذا الرازي، يقول: (تَأَمَّلْتُ)، وهو قطب من أقطاب علم الكلام، (تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الكَلامِيَّةَ)، هذه شهادة، (فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَلِيلًا، وَلا تَرْوِي غَلِيلًا)، يعني: عطشان.

هذه شهادة لأهل السنة، ما وجد أسلم ولا أتقى ولا أصح من القرآن، يقرأ في الإثبات -إثبات الصفة-: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ويؤمن بها، ويقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فيثبت لله صفات الكمال التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله على حقيقتها، وينفي عن الله المشابهة التي ظنوا أن من أثبت الصفات يصير مشبهًا، لا تنافي بين قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، (وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي)؛ مثل تجربة هذا الإمام من أئمتهم، وأنه أدرك خطأهم، عرف مثل معرفته، عرف أنه لا سبيل إلى الصواب إلّا بالرجوع إلى الكتاب والسنة؛ أقرأ في الإثبات كذا وفي النفي كذا.

وَيَقُولُ الآخَرُ مِنْهُمْ(١):

لَقَدْ خُضْتُ البَحْرَ الخِضَمَّ، وَتَرَكْتُ أَهْلَ الإِسْلامِ وَعُلُومَهُمْ، وَخُضْتُ فِي الَّذِي نَهَوْنِي عَنْهُ، وَالآنَ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ مِنْهُ فَالْوَيْلُ لِفُلانٍ، وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي. اهـ.

وَيَقُولُ الآخَرُ مِنْهُمْ(٢): **أَكْثَرُ النَّاسِ شَكًّا عِنْدَ المَوْتِ أَصْحَابُ الكَلامِ.**

الشرح

هذا الكلام لأبي المعالي الجويني، وهو من أئمتهم وأقطابهم.

---

(١) هو إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن عبد الله، النيسابوري، الفقيه الشافعي المتكلم، أحد أئمة الأشاعرة، تفقه على والده، وجاور بمكة في شبيبته أربعة أعوام، ومن ثم قيل له إمام الحرمين، كان أحد أوعية العلم في زمانه، ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة، وتوفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، نقل عنه الذهبي أنه قال: «قرأت خمسين ألفًا في خمسين ألفًا، ثم خليت أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام، وكل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني» اهـ. من تصانيفه: «النهاية في الفقه»، و«البرهان في أصول الفقه»، و«الإرشاد في أصول الدين»، و«الورقات»، وغير ذلك، وسيأتي نقل شيخ الإسلام من «الرسالة النظامية» (ص٤١٠). انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١٢/ ١٢٨)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧١)، والعبر (٣/ ٢٩٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٥/ ١٦٥)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٥٨). وقد ذكر كلامه الذي نقله شيخ الإسلام هنا: السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٦٠)، والذهبي في السير (١٨/ ٤٧١)، وابن العماد الحنبلي في الشذرات (٣/ ٣٦١)، وانظر: منهاج السنة (٥/ ٢٦٩)، والصواعق المرسلة (٢/ ٦٦٤).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (وما زال أئمتهم يخبرون بعدم الأدلة والهدى في طريقهم؛ كما ذكرناه عن أبي حامد وغيره، حتى قال أبو حامد الغزالي: أكثر الناس شكًّا عند الموت أهل الكلام). انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨).

يقول: (وَتَرَكْتُ أَهْلَ الإِسْلامِ وَعُلُومَهُمْ)، أي: أنه ذهب لعلماء المنطق والفلاسفة، وضيّع المسكين عمره في هذه الأمور، ولم يتفقه في الكتاب والسنة.

(البَحْرَ الخِضَمَّ) الذي هو علم الجدل، بحر خضم لجة، ما تصل فيه إلى حقيقة.

قوله: (وَخُضْتُ فِي الَّذِي نَهَوْنِي عَنْهُ)، السلف نهوا، علماء أهل السنة نهوا عن علم الكلام وعلم الجدل، وقالوا: (إنه ما يؤدي إلى نتيجة، وإنما يؤدي إلى حيرة واضطراب).

هذا قاله عند الموت، قال: (وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي) يعني ترك كل الذي درسه، وبدأ من الصفر من البداية على عقيدة أمه، التي ما دخلت في هذه الأمور كلها واستراحت، هذا رجوع منه وإقرار منه بخطأ هذه الطرق، وأن عقيدة العوام أحسن من عقيدة هؤلاء الأساطين؛ لأن العامي بقي على الفطرة، ولم يتدخّل في هذه الأمور، أما هؤلاء، فدخلوا بالتأويل والاضطراب وعلم المنطق والجدل، وتحيروا، الأميّ هو: الذي على عقيدة أمه، سلم من هذه الأمور، العامي صار أحسن منهم؛ لأن فطرته باقية، لكن هؤلاء فسدت فطرهم؛ فلا علم ولا فطرة - والعياذ بالله!

هذه شهادة -أيضًا- أن (أَكْثَرُ النَّاسِ شَكًّا عِنْدَ المَوْتِ أَصْحَابُ الكَلامِ)؛ علماء الكلام؛ لأنهم لم يأخذوا شيئًا ينطقون به عند الموت، وإنما هم حائرون إلى أن غرغرت أرواحهم وهم في حيرة واضطراب -نسأل الله العافية!

ويُروى عن الغزالي أنه احتضن صحيح البخاري على صدره عند الموت، وتبرأ من طريقة هؤلاء[1].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٢٧).



ثُمَّ هَؤُلاءِ المُتَكَلِّمُونَ المُخَالِفُونَ لِلسَّلَفِ إِذَا حُقِّقَ عَلَيْهِمُ الأَمْرُ، لَمْ يُوجَدْ عِنْدَهُمْ مِنْ حَقِيقَةِ العِلْمِ بِاللهِ وَخَالِصِ المَعْرِفَةِ بِهِ خَبَرٌ، وَلَمْ يَقِفُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى عَيْنٍ وَلا أَثَرٍ، كَيْفَ يَكُونُ هَؤُلاءِ المَحْجُوبُونَ المَنْقُوصُونَ المَسْبُوقُونَ الحَيَارَى المُتَهَوِّكُونَ أَعْلَمَ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَحْكَمَ فِي بَابِ آيَاتِهِ وَذَاتِهِ مِنَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، مِنْ وَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ وَخُلَفَاءِ الرُّسُلِ، وَأَعْلامِ الهُدَى وَمَصَابِيحِ الدُّجَى، الَّذِينَ بِهِمْ قَامَ الكِتَابُ، وَبِهِ قَامُوا، وَبِهِمْ نَطَقَ الكِتَابُ، وَبِهِ نَطَقُوا، الَّذِينَ وَهَبَهُمُ اللهُ مِنَ العِلْمِ وَالحِكْمَةِ مَا بَرَزُوا بِهِ عَلَى سَائِرِ أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ، فَضْلًا عَنْ سَائِرِ الأُمَمِ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ، وَأَحَاطُوا مِنْ حَقَائِقِ المَعَارِفِ وَبَوَاطِنِ الحَقَائِقِ بِمَا لَوْ جُمِعَتْ حِكْمَةُ غَيْرِهِمْ إِلَيْهَا لَاسْتَحْيَا مَنْ يَطْلُبُ المُقَابَلَةَ؟ ثُمَّ كَيْفَ يَكُونُ خَيْرُ قُرُونِ الأُمَّةِ أَنْقَصَ فِي العِلْمِ وَالحِكْمَةِ -لَا سِيَّمَا العِلْمُ بِاللهِ وَأَحْكَامِ آيَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ- مِنْ هَؤُلاءِ الأَصَاغِرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ؟! أَمْ كَيْفَ يَكُونُ أَفْرَاخُ المُتَفَلْسِفَةِ وَأَتْبَاعُ الهِنْدِ وَاليُونَانِ، وَوَرَثَةُ المَجُوسِ وَالمُشْرِكِينَ، وَضُلّالُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ وَأَشْكَالُهُمْ وَأَشْبَاهُهُمْ، أَعْلَمَ بِاللهِ مِنْ وَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ القُرْآنِ وَالإِيمَانِ؟!

الشَّرْح

قوله: (ثُمَّ هَؤُلاءِ المُتَكَلِّمُونَ المُخَالِفُونَ لِلسَّلَفِ إِذَا حُقِّقَ عَلَيْهِمُ الأَمْرُ لَمْ يُوجَدْ عِنْدَهُمْ مِنْ حَقِيقَةِ العِلْمِ بِاللهِ وَخَالِصِ المَعْرِفَةِ بِهِ خَبَرٌ)، ما زال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبين الفروق بين مذهب السلف في باب التوحيد في الأسماء والصفات وبين مذهب الخلف، فإن السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تلقوا علمهم عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وعن سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تلقوه عن هذين المصدرين العظيمين الكتاب والسنة، وأيضًا التتلمذ على صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى التابعين والقرون المفضلة.

وأما الخلف، فليست عندهم هذه المزية؛ فإن أغلبهم تلقوا علمهم عن المتكلمين، والمتكلمون: المراد بهم الذين يبنون عقيدتهم على علم الكلام والجدل والمنطق، هؤلاء يقال لهم: المتكلمون، يعني علماء الكلام.

فرق بين من أخذ عقيدته عن كتاب الله وسنة رسوله وعن سلف هذه الأمة ومن أخذها عن هؤلاء الذين ليس عندهم من العلم بالله وبما يليق به، ليس عندهم شيء من ذلك.

فهذا من أعظم الفروق بين السلف وبين هؤلاء الخلف، فكيف يُفَضَّل الخلف على السلف؟ ويقال: (طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم)؛ بزعمهم (أن السلف بمنزلة العوام، لا يفهمون معاني النصوص، ولا دخلوا فيها، وإنما يحفظونها من غير فهم لمعناها -كما يقولون-، أما الخلف، فإنهم درسوا علم الجدل وعلم المنطق وعلم الاستدلال -بزعمهم-، فهم عرفوا ما لم يعرفه السلف).

نقول: كفى بهذا ردًا أن يأتي هؤلاء بشيء لم يعرفه السلف، فإن السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ كانوا هم أعلم الأمة وأفقه الأمة، فمن خالفهم، وأتى بعلم لم يفهموه ولم يعرفوه، هذا كافٍ في ضلاله ونقصان علمه، وليس السلف -كما يقول هؤلاء- مثل العوام، وأنهم مجرد حفظة، لكن السلف حفظة وفقهاء وعلماء. أما هؤلاء الخلف، فهم الذين ينطبق عليهم أنهم ليسوا علماء، وليسوا فقهاء، فهم وصفوا السلف بما ينطبق عليهم هم.

والعلم بالله جَلَّوَعَلَا يتوقف على الكتاب والسنة، ما نأتي بشيء من عندنا في حق الله؛ لأنه لا يعلم ما يليق بالله إلا الله جَلَّوَعَلَا، أو من أطلعه الله وعلمه الله من

الأنبياء والمرسلين؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، هو جَلَّوَعَلَا ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، بما أطلعهم عليه وأنزله عليهم.

هذا باب العلم بالله عَزَّوَجَلَّ، ليس باب العلم بالله مفتوحًا للآراء والاجتهادات والتخمينات، وإنما هو توقيفي؛ لأنه لا يعلم بما يليق بالله وما يستحقه سبحانه إلا هو، أو من أرسله من الرسل وأوحى إليه.

قوله: (وَلَمْ يَقِفُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى عَيْنٍ وَلا أَثَرٍ، كَيْفَ يَكُونُ هَؤُلاءِ المَحْجُوبُونَ المَنْقُوصُونَ المَسْبُوقُونَ الحَيَارَى المُتَهَوِّكُونَ..)، من أين يدركون هذا، وهم لايستدلون بالقرآن ولا بالسنة، وإنما يستدلون بطرائقهم الخاصة التي ابتكرها لهم قادتهم وأئمتهم، وهي جهل بالله عَزَّوَجَلَّ؟!

هذه صفات الخلف الذميمة؛ أنهم متأخرون في الزمان، متأخرون في العلم والإدراك، متحيرون؛ لأن علومهم إنما زادتهم حيرة وتشكيكًا، ولم تزدهم هداية، فكيف يكون هؤلاء أعلم من السلف الذين تلقوا علمهم عن كتاب الله وعن سنة رسول الله وعن حملة الكتاب والسنة، وهم علماء السلف؟! إذا قارنت بين هؤلاء وهؤلاء، أدركت الفرق.

قوله: (المَحْجُوبُونَ) عن العلم النافع؛ لأنهم لم يطلبوه، وإذا أعرض الإنسان عن العلم، فإنه يُحرم، ويُحجب عن العلم؛ عقوبة له.

(المَنْقُوصُونَ)؛ فيهم نقص علمي، ونقص إدراك.

قوله: (الحَيَارَى)؛ الذين حيرتهم معلوماتهم التي يستدلون بها؛ لأن عقول الناس تختلف وإدراكهم يختلف، ولو وكَلَنَا الله للعقول وللآراء، لهلكنا، ولكن

من رحمته سبحانه أنه لم يكلنا إليها، بل أنزل علينا كتابًا، وأرسل إلينا رسولًا، وبيَّن لنا طريق العلم الصحيح، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٤]... إلى آخر الآيات، فلا علم إلا ما جاء في الكتاب والسنة؛ في علم العقائد، وعلم الشريعة، وعلم الأحكام والحلال والحرام، ما يؤخذ هذا إلا من الكتاب والسنة، ما يؤخذ من أقوال الرجال وآراء المفكرين؛ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٧١]، الذكر هو القرآن، فهو ذكر لمن تمسك به، يعني: شرف، الذكر هو الشرف، ذكر لمن تمسك به؛ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:٤٤]، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:١٠]، أي: فيه شرفكم إن تمسكتم به.

قوله: (المُتَهَوِّكُونَ) المتهوك هو الإنسان الذي لا يزن الأمور بموازينها الصحيحة، بل يتخبط، التهوك معناه: التخبط؛ تارة كذا وتارة كذا.

قوله: (**أَعْلَمَ بِاللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَحْكَمَ فِي بَابِ آيَاتِهِ وَذَاتِهِ مِنَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ...**)، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: المهاجرون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم الذين تركوا بلادهم وأوطانهم، وهاجروا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسكنوا معه في المدينة، وجاهدوا معه.

القسم الثاني: الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم أهل المدينة من الأوس والخزرج الذين فتحوا بلادهم وبيوتهم وأموالهم لإخوانهم المهاجرين، استقبلوهم بالترحاب

والمحبة والمواساة؛ كما ذكرهم الله جَلَّوَعَلَا في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨]، ثم قال في الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، ثم أثنى على الذين اتبعوهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾؛ بعد المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، أما الذي يتنقص المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويقول: (ليس عندهم علم، وإنما العلم عند الخلف)، فهذا لم يتبعهم بإحسان، ولم يترضّ عنهم ويستغفر لهم، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، اتبعوهم بإحسان، أحسنوا الاتباع من غير غلو ومن غير تفريط، لم يتشددوا ولم يتساهلوا، بل اتبعوهم باعتدال ووسطية، والسَّابِقُونَ ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، هذا فضل عظيم؛ اتباع السلف والاقتداء بهم. ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، وهذا إلى يوم القيامة.

كل من سار على هذا المنهج، واقتفى هذا الأثر، فإنه يدخل في ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾، ويدخل في ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ

ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، ما يجد للسلف إلا المحبة والتوقير والاحترام، والاستفادة من علمهم، ويعتقد أنهم خير القرون وأفضل القرون وأعلم القرون بالله عَزَّوَجَلَّ.

إن كان المتأخرون قد علموا أمور الدنيا والاختراعات، فهذا لا يدلّ على فضلهم؛ لأن هذا ليس بعلم، هذه أمور دنيوية، متاع قليل، إنما العلم والفخر والشرف في العلم الذي جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه هو الذي ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة، أما هذا العلم، فهو يضر الإنسان، ويحمله على الكبر والظلم والعدوان، ما الذي استفادته البشرية الآن من هذه المخترعات وهذه الأسلحة الفتاكة وهذه القنابل الذرية -والعياذ بالله- المدمرة؟ ما الذي استفادته البشرية؟ استفادت الخسار والدمار والخطر، أصبح حتى الذين اخترعوها الآن يخافون منها غاية الخوف، تهددهم غاية التهديد، بخلوا بها، وانشغلوا بها الآن، وهذا من حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (مِنْ وَرَثَـةِ الأَنْبِيَاءِ)، هذه صفاتهم، هم ورثة الأنبياء؛ كما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ**»[(١)]، كفى به شرفًا أن العلماء هم ورثة الأنبياء، ورثتهم في أي شيء؟ في المال؟ لا، ورثتهم في العلم، وإلا «**الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»، العلم الشرعي الذي جاءت به الرسل هذا هو الفخر، وهذا هو الخير والرشاد في الدنيا والآخرة، أمّا الذي لم يأخذ العلم عن الرسل، وإنما أخذه عن الفلاسفة وعلماء المنطق والمفكرين، فهذا لم يرث خيرًا، وإنما ورث شرًا وشكًا وتحيرًا وترددًا.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٩).

قوله: (وَخُلَفَاءِ الرُّسُلِ)، خلفاؤهم في أي شيء؟ خلفاؤهم في نشر العلم والدعوة إلى الله، العالم خليفة للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نشر العلم، وتعليم العلم، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا هو خليفة الرسول، أما الذي يختزن العلم، ولا يقوم بواجبه، فهذا ليس من خلفاء الرسل، هذا حفظ فقط، وما حفظ هو حجّة عليه، وهو ممن يكتمون العلم، ولا يقومون به؛ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة:١٥٩]، مع أنهم علماء، لكن لما كتموا العلم، لعنهم الله، ولعنهم اللاعنون.

قوله: (وَأَعْلَامِ الْهُدَى)، الأعلام جمع علم، والعلم هو العلامة الدالة على الطريق، يعني: أنصاب على الطرق[1]، مثل ما إن المسافر يهتدي بعلامات الطريق، كذلك المسافر إلى الله يهتدي بالعلماء؛ لأنهم هم الأعلام الذين جعلهم الله أعلامًا على الطريق إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؛ يدلونهم ويرشدونهم، فيُهتدى بهم كما يُهتدى بالأعلام واللوحات التي على الطرق، فهذه أليست تُرشد الناس إلى الطريق؟ كذلك العلماء هم الأعلام على الطرق الموصلة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَمَصَابِيحِ الدُّجَى)، المصابيح: جمع مصباح، وهو السراج، والدجى: الظلام، فهؤلاء يضيئون للناس الظلمة، ظلمة الجهل؛ ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**»[2]، فهم نور، العلماء نور في الأرض، يسترشد بهم الناس، يستضيئون بضيائهم، وإذا فُقد العلماء، أظلمت الأرض، وضاعت أعلام الطرق، وضل الناس.

---

(١) انظر: العين (٢/ ١٥٣)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٠٩)، والمحكم لابن سيده (٢/ ١٧٦)، والإبانة في اللغة العربية (٣/ ٤٩٨).

(٢) هو جزء من الحديث السابق تخريجه (ص ٩).

قوله: (الَّذِينَ بِهِمْ قَامَ الكِتَابُ، وَبِهِ قَامُوا، وَبِهِمْ نَطَقَ الكِتَابُ، وَبِهِ نَطَقُوا، الَّذِينَ وَهَبَهُمُ اللهُ مِنَ العِلْمِ وَالحِكْمَةِ مَا بَرَزُوا بِهِ عَلَى سَائِرِ أَتْبَاعِ الأَنْبِيَاءِ، فَضْلًا عَنْ سَائِرِ الأُمَمِ الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ...)، يعني: نصروا الكتاب، وهو القرآن، ونصرهم الله به، عملوا به، هذا نصرة للكتاب، قاموا به يعني: أنهم حملوه، وعملوا به.

والكتاب لا يكفي وحده، إذا صار المصحف عندك على رف أو في درج، ولم تتعلم ما فيه، ولم تعمل به، ما تنتفع به، فيجب أن تتعلّم كتاب الله، وتعمل به؛ ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم:١٢]، ليس بتساهل وتباطؤ وكسل هكذا، أما وجود القرآن وحده، لا يكفي، لا بدّ من أحد يقوم به؛ يحمله، ويدعو إليه، ويعمل به، ويحكم به، وإلا بنو إسرائيل هلكوا وعندهم التوراة والإنجيل، هلكوا؛ لأنهم لم يعملوا بها.

فالقرآن لابد له من حملة يحملونه، ويقومون به؛ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١]، ما هو حق تلاوته مثل ما يظن بعض الناس أنه التجويد ومخارج الحروف والغنة والإدغام والمدود، ليس هذا حق تلاوته، حق تلاوته: العلم بمعانيه والعمل به.

قوله: (وَبِهِمْ نَطَقَ الكِتَابُ)؛ بفضلهم وذكرهم، (وَبِهِ نَطَقُوا)؛ لا يتكلّمون إلا بالقرآن، ما دل عليه القرآن، تكلموا به، وما لم يدل عليه القرآن، تركوه.

قوله: (الَّذِينَ وَهَبَهُمُ اللهُ مِنَ العِلْمِ وَالحِكْمَةِ)، العلم وهو المعرفة بفقه الكتاب والسنة، والحكمة بحيث إنهم يتصرفون في هذا العلم الذي معهم تصرفًا حكيمًا، ويضعونه في مواضعه اللائقة به. الحكمة: وضع الشيء في موضعه[(١)]، والحكمة

---

(١) انظر: الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة (ص٧٣).

أيضًا: إتقان الشيء وإحكامه[(١)]، وهذه صفة العلماء الراسخين في العلم.

هذه الأمة بعلمائها هي أفضل الأمم، امتازت على سائر الأمم بهذه الميزة العظيمة؛ القرآن والسنة، والعلماء الربانيون الذين لا يوجد في الأمم السابقة مثلهم.

أما الأمم التي لا كتاب لها، ما نزل عليها كتاب -كالوثنيين والملحدين-، فهؤلاء لا قيمة لهم في البشرية.

لو قُوبل علم هذه الأمة بعلم غيرها من الأمم، لوُجِد الفرق العظيم بين علم هذه الأمة وعلم الأمم السابقة؛ لأن هذا القرآن جعله الله عَزَّوَجَلَّ حاكمًا على الكتب السابقة ومهيمنًا عليها، فهو أعظمها وأفضلها وأوسعها وأبقاها إلى يوم القيامة، الكتب اندرست وحُرِّفت وغُيِّرت، إلا هذا القرآن، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، حفظه الله؛ لم يُغيَّر، ولم يُبدَّل إلى أن تقوم الساعة، وهو غض طري كما أُنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتجرأ أحد على أن يُغير فيه ولا حرفًا واحدًا -والحمد لله-، فهذا من حفظ الله له، وهذا من آيات الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا يدل على فضل هذا الرسول وفضل هذه الأمة المحمدية.

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيته:

وَهُوَ الْحَكِيمُ وَذَاكَ مِنْ أَوْصَافِهِ ... نَوْعَانِ أَيْضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ
حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ فَكُلٌّ مِنْهُمَا ... نَوْعَانِ أَيْضًا ثَابِتَا الْبُرْهَانِ
وَالْحُكْمُ شَرْعِيٌّ وَكَوْنِيٌّ وَلا ... يَتَلازَمَانِ وَمَا هُمَا سِيَّانِ

إلى أن قال:

هَذَا الْبَيَانُ يَزِيلُ لَبْسًا طَالَمَا ... هَلَكَتْ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلَّ زَمَانِ
وَيَحِلُّ مَا قَدْ عَقَّدُوا بِأُصُولِهِمْ ... وَبُحُوثِهِمْ فَافْهَمْهُ فَهْمَ بَيَانِ

انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٢١٨).

قوله: (أَمْ كَيْفَ يَكُونُ أَفْرَاخُ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَأَتْبَاعُ الْهِنْدِ وَالْيُونَانِ، وَوَرَثَةُ الْمَجُوسِ وَالْمُشْرِكِينَ، وضُلَّالُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ وَأَشْكَالُهُمْ وَأَشْبَاهُهُمْ، أَعْلَمَ بِاللهِ مِنْ وَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ وَأَهْلِ الْقُرْآنِ وَالإِيمَانِ؟!)، كيف يكون علماء السلف -بما فيهم القرون المفضلة- يكونون أنقص علمًا من الخلف؛ كما يقوله هؤلاء أهل الضلال الذين يتنقصون السلف؟ هؤلاء الأصاغر في العلم، إن كان عندهم علم وإلا هم في الواقع ليس عندهم علم، إنما عندهم أفكار وآراء وتخرصات.

قوله: (أَمْ كَيْفَ يَكُونُ أَفْرَاخُ الْمُتَفَلْسِفَةِ)، أفراخ: جمع فرخ، وهم تلاميذ الفلاسفة، هؤلاء هم الجماعات الذين يدَّعون الحكمة والمعرفة، دون أن يرجعوا إلى الوحي، ولا إلى اتباع الرسل، وإنما يزعمون أنهم أفضل من الرسل وأعرف من الرسل، وأغلبهم في اليونان الدولة القديمة، والذين تتلمذوا عليهم هم أفراخهم، مثل: أفراخ الطيور، تتلمذوا عليهم في أوكارهم وفي مدارسهم، وورثوا عنهم الجهل والأفكار الخبيثة المنحرفة، استغنوا بذلك عن اتباع الرسل -والعياذ بالله.

الفلاسفة يكونون من اليونان، ويكونون من الهند، فالهند دولة قديمة فيها فلاسفة، وفيها حكماء -بزعمهم-، والمجوس عباد النيران، الذين يعبدون النار(١)، والمشركون الذين يعبدون الأصنام، وليس لهم كتاب، المشركون والوثنيون ليس لهم كتاب، ولايؤمنون بالكتب ولا بالرسل، وأما المجوس، فقد اختلف العلماء فيهم، فمنهم من يرى أن لهم كتابًا ورُفِع، ومن العلماء من يرى أنهم ليس لهم

(١) قال الأزهري: (الْمَجُوسُ: جَمْعُ الْمَجُوسِيِّ، وَهُوَ مُعرب، أَصله: مِنْج قُوش، وَكَانَ رجلًا صَغِير الْأُذُنَيْنِ، كَانَ أول من دَان بدين الْمَجُوسِ، ودعا النَّاس إِلَيْهِ، فعرَّبته الْعَرَب. فَقَالَت: مَجُوسٌ، وَنزل الْقُرْآن بِهِ). انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣١٧).

وقال الجوهري: (الْمَجوسِيَّةُ: نِحْلَةٌ. والْمَجوسِيُّ منسوبٌ إليها، والجمع المجوس). انظر: الصحاح (٣/ ٩٧٧)، وانظر في بيان معتقدهم: الملل والنحل للشهرستاني (٢/ ٣٥-٦٠).

كتاب، فهم مثل المشركين والوثنيين، ومما يدل على أنه كان لهم كتاب، ولكنه رُفِع أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بأخذ الجزية من المجوس؛ كما تؤخذ الجزية من أهل الكتاب[1]، فدل على أن لهم معاملة خاصة؛ يُلحقون بأهل الكتاب.

قوله: (**وضُلّالُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى**)، أما اليهود والنصارى، فهم أهل كتاب، وهم على قسمين:

القسم الأول: قسم آمنوا بالله ورسله، واستقاموا على طاعة الله، منهم من مات قبل بعثة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو مستقيم ومؤمن بالأنبياء، ومنهم من أدرك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآمن، فحاز على الأجرين؛ أجر اتباع الرسل السابقين، وأجر اتباع محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد:٢٨]، هذه في النصارى واليهود، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران:١١٣]، ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٩]، هؤلاء هم المؤمنون من أهل الكتاب، منهم من مات قبل البعثة على الدين الصحيح، ومنهم من أدرك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٧٨)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٦٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٤٣٥)، والبزار في مسنده (٣/ ٢٦٤) عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ذَكَرَ الْمَجُوسَ فَقَالَ: مَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ فِي أَمْرِهِمْ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ».

فآمن به، فأضاف خيرًا إلى خير، مثل النجاشي من النصارى، وعبد الله بن سلام من اليهود، وسلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هؤلاء حازوا على الأجرين: أجر الإيمان بالسابق، وأجر الإيمان بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القسم الثاني: الذين كفروا بالرسل -والعياذ بالله-، هم أهل كتاب، لكنهم كفروا برسلهم، وغيروا التوراة والإنجيل، وحرفوا، وبدلوا، وهذا غالب أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

فاليهود والنصارى لا يُذمون مطلقًا، ولا يُمدحون مطلقًا، بل يُفصل فيهم كما فصل الله جَلَّ وَعَلَا فيهم.

قوله: (**وضُلّالُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى**)، انظر! الشيخ ما قال: (اليَهُود وَالنَّصَارَى)، لما جاء على اليهود والنصارى، قال: (وضُلّالُ اليَهُودِ)، لم يعمم مثل ما عمم في المجوس وفي المشركين، بل فصَّل رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: (وضُلّالُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى).

قوله: (**وَالصَّابِئِينَ**)، قيل: إنهم جماعة من النصارى، وقيل: إنهم هم الذين لادين لهم؛ ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [الحج:١٧]، الديانات الست هذه، الصابئون: الصابئ في الأصل هو الذي يخرج عن الدين، يُقال: صبأ إذا خرج عن دينه، فالصابئون هم الذين خرجوا عن ديانة الرسل، وشكلوا لهم دينًا اصطلحوا عليه هم(١).

(١) قَالَ أَبُو زيد: (صَبَأَ الرجلُ فِي دينه يَصْبَأُ صُبُوءًا: إِذا كَانَ صابئًا. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاق فِي قَوْله: ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ [البَقَرَة:٦٢]، مَعْنَاهُ الخارِجين من دين إِلَى دين، يُقَال: صبأَ فلانٌ يَصْبَأُ: إِذا خرجَ=

وقيل: إن الصابئين على قسمين:

القسم الأول: صابئون موحدون.

القسم الثاني: صابئون كفار.

وهذا هو الظاهر، فهناك من الصابئين أهل إيمان، وهم طائفة من أهل الكتاب(١).

فكيف تكون هذه الطوائف أعلم بالله وبكتابه وبسنة رسوله من سلف الأمة؟!



= من دِينه. قَالَ: وصَبَأَتِ النُّجُوم: إِذا ظَهرتْ، وصَبَأ نابُه: إِذا خرجَ، يَصْبَأُ صُبُوءًا. قَالَ اللَّيْث: الصابِئُون: قوم يُشبِه دينهُم دينَ النّصارى، إِلَّا أَن قِبلتَهم نحوَ مَهَبّ الجَنوب، يَزعمون أنّهم على دِين نوح، وهم كاذبون. وَكَانَ يُقَال للّرجل إِذا أسلم فِي زمن النَّبِي ﷺ قد صَبَأ؛ عَنَوْا أَنه خرج من دِينٍ إِلَى دينٍ). انظر: العين (٧/ ١٧١)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٨٠)، والصحاح (١/ ٥٩)، ومقاييس اللغة (٣/ ٣٣٢)، ولسان العرب (١/ ١٠٧).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٣٤ - ٣٧)، وتفسير القرطبي (١/ ٤٣٤).

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٩١- ٩٢): (وفي الصابئين سبعة أقوال:

أحدها: أنهم صنف من النصارى ألين قولًا منهم، وهم السائحون المحلقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباس.

والثاني: أنهم قوم بين النصارى والمجوس ليس لهم دين، قاله مجاهد.

والثالث: أنهم قوم بين اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير.

والرابع: قوم كالمجوس، قاله الحسن والحكم.

والخامس: فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، قاله أبو العالية.

والسادس: قوم يصلون إلى القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، قاله قتادة.

والسابع: قوم يقولون لا إله إلا الله فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، قاله ابن زيد) اهـ.

وَإِنَّمَا قَدَّمْتُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ؛ لأَنَّ مَن اسْتَقَرَّتْ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ عِنْدَهُ، عَلِمَ طَرِيقَ الْهُدَى أَيْنَ هُوَ فِي هَذَا الْبَابِ وَغَيْرِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ الضَّلالَ وَالتَّهَوُّكَ إِنَّمَا اسْتَوْلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِنَبْذِهِمْ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَمَّا بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، وَتَرْكِهِم الْبَحْثَ عَنْ طَرِيقِ السَّابِقِينَ وَالتَّابِعِينَ، وَالْتِمَاسِهِمْ عِلْمَ مَعْرِفَةِ اللهِ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِإِقْرَارِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَلِشَهَادَةِ الأُمَّةِ عَلَى ذَلِكَ، وَبِدَلالاتٍ كَثِيرَةٍ، وَلَيْسَ غَرَضِي وَاحِدًا مُعَيَّنًا، وَإِنَّمَا أَصِفُ نَوْعَ هَؤُلاءِ، وَنَوْعَ هَؤُلاءِ.

الشَّرْح

قوله: (وَإِنَّمَا قَدَّمْتُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ؛ لأَنَّ مَن اسْتَقَرَّتْ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ عِنْدَهُ، عَلِمَ طَرِيقَ الْهُدَى أَيْنَ هُوَ فِي هَذَا البَابِ وَغَيْرِهِ)، أصل الكتاب هذا جواب عن سؤال، سأله: ما يقول العلماء في أسماء الله وصفاته؟ فهو قبل أن يجيب السائل قدم هذه المقدمة، المسماة بمقدمة الحموية، وهي مقدمة عظيمة، كان طلبة العلم يهتمون بها ويحفظونها؛ لما فيها من القواعد الواضحة التي ينتفع بها طالب العلم، ويميز بين علم السلف وعلم الخلف. وذكرت أن هناك من العلماء من كتب -أيضًا- مثل: ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ رسالة في «فضل علم السلف على علم الخلف»[1]، رسالة جيدة موجودة.

إن طريق الهدى هو ما كان عليه سلف هذه الأمة، وإن طريق الضلال هو ما كان عليه غالب الخلف، ليس كل الخلف؛ الخلف فيهم محققون، وفيهم أئمة، فمن اتبع السلف، فهو منهم، ولو كان في آخر الزمان، وأما من خالف السلف، فليس

---

(١) هي مطبوعة متداولة، بتحقيق: محمد بن ناصر العجمي، ط: دار السلفية، الكويت.

منهم، وإن كان ينتسب إليهم، ولهذا قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، بإحسان: إتقان لطريقتهم ومعرفة واتباع، ومن غير غلو أو تساهل.

قوله: (وَعَلِمَ أَنَّ الضَّلالَ والتَّهَوُّكَ إِنَّمَا اسْتَوْلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِنَبْذِهِمْ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ...)، في هذا الباب باب الأسماء والصفات وغيره من أبواب العقيدة، وأن العقيدة ما تؤخذ عن الآراء والأفكار وأقوال الرجال، وإنما تؤخذ من الكتاب والسنة؛ لأنها توقيفية.

السبب الذي أوقع المتأخرين في الضلال أنهم نبذوا كتاب الله؛ فلا يستدلون به، وإنما يستدلون بقواعد المنطق وعلم الكلام، وغير ذلك من الاصطلاحات التي اصطلحوها، كالجسم والجوهر والعرض والتركيب، وغير ذلك التي يطنطنون بها، هذا ديدنهم، أما من أخذ عقيدته من الكتاب والسنة وعن مذهب السلف، فهذا هو الذي يسير على الطريق الصحيح.

قوله: (وَإِنَّمَا قَدَّمْتُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ)، انتبهوا لهذه المقدمة (لأَنَّ مَن اسْتَقَرَّتْ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ عِنْدَهُ)، يعني: فهمها، (عَلِمَ طَرِيقَ الْهُدَى أَيْنَ هُوَ فِي هَذَا الْبَابِ وَغَيْرِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ الضَّلالَ والتَّهَوُّكَ إِنَّمَا اسْتَوْلَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِنَبْذِهِمْ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ)، واستبداله بقواعد المنطق وعلم الكلام والشقشقات التي غرَّت كثيرًا من الناس، ويسمونها أدلة عقلية وبراهين يقينية، فغرّوا بها كثيرًا من الشباب والناس وخدعوهم، وزهّدوا في الكتاب والسنة، وقالوا: (إن القرآن لا يفيد العلم، والسنة ظواهر لفظية لا تفيد، وأما هذه القواعد فهي قطعية)، كذا يقولون.

قوله: (مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ بِإِقْرَارِهِ عَلَى نَفْسِهِ)؛ كما سبق من أشعارهم التي ذكرها الشيخ:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ المَعَاهِدَ كُلَّهَا وسَـيَّرْتُ طَـرْفِي بَـيْنَ تِـلْكَ المَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

والآخر يقول: (لَقَدْ خُضْتُ البَحْرَ الخِضَمَّ، وَتَرَكْتُ أَهْلَ الإِسْلامِ وَعُلُومَهُمْ، وَخُضْتُ فِي الَّذِي نَهَوْنِي عَنْهُ، وَالآنَ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ مِنْهُ فَالْوَيْلُ لِفُلانٍ، وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي)، لقد خضت البحر الخضم، وفعلت وفعلت، ولم أُدرك شيئًا، ووجدت أن العلم في كتاب الله وسنة رسوله، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١، ٢]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، (بإقراره على نفسه)؛ كما سبق مما ساقه الشيخ عن بعضهم، وأنه في آخر أمره تحير، ومات وهو على الحيرة والشك، مع أنه ما ترك شيئًا من هذه العلوم وهذه القواعد إلا ودرسه، لكن ما وصلته إلى شيء، في حين أن الذين ساروا على الكتاب والسنة يسيرون على هدى.

قوله: (وَلَيْسَ غَرَضِي وَاحِدًا مُعَيَّنًا، وَإِنَّمَا أَصِفُ نَوْعَ هَؤُلاءِ، وَنَوْعَ هَؤُلاءِ)، تأمّل! الشيخ يقول: أنا ما أقصد واحدًا معينًا، وإنما أقصد المجموعة. وهكذا طالب العلم حينما يرد على الخصوم، ما يذكر الأسماء -أسماء معينين-، وإنما يذكر المذهب والخطأ، ويرد عليه؛ من قال كذا وكذا، الذي قال كذا وكذا، ولا يقول: فلان. والنبي ﷺ ما كان يُعيِّن حينما ينتقد، بل يقول: «ما بال

أقوام يفعلون كذا وكذا؟»(١)، ولا يقول: ما بال فلان ابن فلان يعمل كذا وكذا؟ هذه طريقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يبين النوع، ولا يبين العين والأشخاص؛ لأن هذا ما فيه مصلحة؛ إلا إذا كان الشخص الضال قد اغتر به الناس وانخدعوا به، فلابد أن يُعيَّن، ويقال: فلان؛ لأجل أن يعرفه الناس.

والعلماء -علماء الحديث- يذكرون الأشخاص، ويقولون: فلان سيئ الحفظ، فلان كذاب، فلان وضاع، فلان مبتدع؛ لئلا يغتر الناس به.

فالتعيين إذا اقتضى الأمر والضرورة، يُعيّن، أما إذا لم يقتض، فالأحسن ألا يُذكر الأشخاص.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٣٠١)، ومسلم (٢٣٥)، واللفظ للبخاري عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا تَرَخَّصَ فِيهِ، وَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: **مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**».

وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ: فَهَذَا كِتَابُ اللهِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، ثُمَّ عَامَّةُ كَلامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، ثُمَّ كَلامُ سَائِرِ الأُمَّةِ مَمْلُوءٌ بِمَا هُوَ إِمَّا نَصٌّ وَإِمَّا ظَاهِرٌ فِي أَنَّ اللهَ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **هُوَ العَلِيُّ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلِيٌّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِرُ:١٠]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آلُ عِمْرَانَ:٥٥]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [المُلْكُ:١٦، ١٧]، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النِّسَاءُ:١٥٨]، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المَعَارِجُ:٤]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجْدَةُ:٥]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النَّحْلُ:٥٠]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ **فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ**[١]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦، ٣٧]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام:١١٤]، **إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَكَادُ يُحْصَى إِلا بِكُلْفَةٍ.**

الشَّرح

القرآن مملوء بما هو نص أو ظاهر في أسماء الله وصفاته.

والنص: هو الذي لا يحتمل غير معنى واحدٍ[٢].

---

(١) هي: [الأعراف:٥٤]، و[يونس:٣]، و[الرَّعْدُ:٢]، و[الْفُرْقَانُ:٥٩]، و[السَّجْدَةُ:٤]، و[الحَدِيدُ:٤].

(٢) انظر: أصول الشاشي (ص ٦٨)، والمنخول (ص٢٤٢-٢٤٤)، وكشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/ ٤٦)، والفائق في أصول الفقه (٢/ ٣).

وأما الظاهر: فهو الذي يحتمل معنيين، أحدهما أظهر من الآخر، هذا هو الظاهر، فالظاهر هو ما يحتمل أكثر من معنى ولكن أحدها أظهر، فيُبقى على الظاهر حتى يرد ما يدل على خلافه(١).

النص: هذا لا مجال للكلام، يؤخذ، الذي ما يحتمل إلا معنى واحدًا هذا لامجال للعدول عنه، أما الظاهر، فيُبقى على ظاهره، إلا إذا دل دليل على صرفه عن ظاهره إلى المعنى الآخر، فيؤخذ بما دل عليه الدليل.

القرآن مملوء بأن الله هو العلي الأعلى، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورى:٤]، وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١]، وصف نفسه بأنه علي، ووصف نفسه بأنه الأعلى، وهو فوق مخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فوقهم بذاته، وفوقهم بقدره، وفوقهم بقهره، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

فالعلو له ثلاثة معانٍ: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر.

وأهل الحق يثبتون المعاني الثلاثة كلها لله؛ علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر، أهل الضلال ينفون علو الذات، ويثبتون علو القدر وعلو القهر.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(هُوَ العَلِيُّ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ)**؛ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، وصف نفسه بأنه فوق عباده، والفوقية معناها: فوقية الذات، فهو بذاته سبحانه فوق عباده؛ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام:٦١].

---

(١) انظر: أصول الشاشي (ص ٦٨)، والمنخول (ص ٢٤٢- ٢٤٤)، وكشف الأسرار شرح أصول البزدوي (١/ ٤٦)، والفائق في أصول الفقه (٢/ ٤).

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَعَلِيٌّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**)، المخلوقات كلها تحته سبحانه، وهو عالٍ عليها، فوقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ولهذا قال السلف[(١)]: (بائن من خلقه)، بائن: يعني منفصل، ليس في ذاته شيء من خلقه، ولا في خلقه شيء من ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وهذا رد على الحلولية[(٢)] الذين يقولون: (إن الله حالٌّ في كل مكان)، تعالى الله عما يقولون!

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَأَنَّهُ فَوْقَ العَرْشِ**)، هذا هو الاستواء، والعرش هو سقف المخلوقات[(٣)]، وهو أعلى المخلوقات[(٤)]، ....

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٤٤٩) وتبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص٣٠٠)، وشرح العقيدة الطحاوية ص(٢٤٠).

(٢) **الحلولية**: هم الذين يعتقدون أن الله تعالى بذاته حل في مخلوقاته؛ كما يحل الماء في الإناء، وأنه تعالى بذاته في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. والقول بالحلول والاتحاد مآلهما واحد، وهذه عقيدة غلاة الصوفية والفلاسفة، كابن عربي وابن سبعين والحلاج والتلمساني وغيرهم. انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ١١١- ٤٨٠).

(٣) كما في حديث الأطيط الذي أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٢)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٢٨)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٥٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٦١)، وابن أبي شيبة في العرش (ص٥٧)، والآجُرِّيُّ في الشريعة (٣٠٧)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٤) من حديث جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟!** وَسَبَّحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: **وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللهُ؟! إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهَكَذَا**. وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ، **وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ**».

(٤) كما في الحديث عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ**». =

وأعظم المخلوقات(١)، والله جَلَّوَعَلَا فوق العرش فوقية تليق بجلاله، ليست كفوقية المخلوق على المخلوق؛ فيُقال: (إنه محتاج للعرش)، لا. الله فوق العرش، وليس محتاجًا إليه، بل العرش هو المحتاج إلى الله جَلَّوَعَلَا؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر:٤١]، فالسماوات والأرض والعرش والمخلوقات كلها محتاجة إلى الله جَلَّوَعَلَا، وأما الله، فهو غني عنها، فليس معنى أنه على العرش، أو استوى على العرش أنه محتاج إليه، بل العرش هو المحتاج إلى الله؛ لأنه مخلوق، والله هو الذي يمسك العرش، ويمسك السماوات، ويمسك الأرض.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ)**، السماء: لفظ يطلق، ويُراد به معنيان:

* يطلق ويراد به: العلو، فيُقال: الله في السماء، يعني: في العلو.

* ويطلق ويراد به: السماوات المبنية، السبع الطباق. فمعنى قوله: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، أي: فوق السماوات الطباق المخلوقة.

وكذا الصعود يدل على الارتفاع؛ ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ﴾، ﴿إِلَيۡهِ﴾: الضمير يرجع إلى من؟ إلى الله جَلَّوَعَلَا، ﴿إِلَيۡهِ﴾، يعني: إلى الله ﴿يَصۡعَدُ﴾، يعني: يرتفع، الصعود هو الارتفاع، فدل على أن الله في العلو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

= أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٨٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٤٧)، والتوحيد لابن خزيمة (٢/ ٨٨٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٦)، والديلمي في الفردوس (٤/ ٧٨)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١٠٥).

(١) كما في الحديث الذي أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٣٦) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ**».

﴿ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾، ويرفع الكلم الطيب، لابد من القول والعمل، أما قول بدون عمل، ما يفيد.

وقوله: (**قال تعالى:** ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾)، قوله للمسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لما مكر به اليهود، وأرادوا أن يقتلوه، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران:٥٥]، فالله رفعه من بينهم، ولم يشعروا به؛ كما أن الله أخرج محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من بين المشركين، وهم ينتظرون خروجه ليقتلوه، فخرج من بينهم، ولم يشعروا به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وذهب هو وأبو بكر إلى غار ثور، واختفيا فيه؛ ﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]، كذلك الله جَلَّ وَعَلَا رفع المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من بين اليهود، ولم يشعروا به، رفعه إليه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حيًّا.

وقوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾، المراد بالتوفي هنا: وفاة النوم؛ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٦٠]، النوم وفاة، فالذي أصاب المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو وفاة النوم، وليس وفاة مفارقة الروح للبدن؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ رُفع حيًا إلى السماء، وينزل في آخر الزمان؛ كما تواترت بذلك الأحاديث، وكما في القرآن: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ [النساء:١٥٩]، أي: قبل موت المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حينما ينزل في آخر الزمان.

الشاهد قوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، والرفع إنما يكون إلى أعلى.

وقوله: (**قال تعالى:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾)، قلنا: السماء لها معنيان:

* السماء بمعنى العلو، فتكون (في) على بابها، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في العلو.

* أو المراد بالسماء المبنية السبع سماوات، فتكون (في) بمعنى على، أي: على السماء، يعني فوق السماوات؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]، ﴿فِي جُذُوعِ﴾، يعني: على جذوع النخل، وكما في قوله تعالى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٣٧]، يعني: على الأرض، ليس (في) بمعنى سيروا في الأرض يعني: ادخلوا فيها، لا، سيروا في الأرض يعني: على الأرض، فـ(في) تأتي بمعنى على، المراد بها هنا على، إذا أُريد بالسماوات السماوات المخلوقة، أما إذا أُريد بالسماء الارتفاع، فإنه تكون (في) على بابها، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: في العلو.

وقوله: (قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾)، هذا في المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٧، ١٥٨]، اليهود لا يزالون يقولون: (إنا قتلنا المسيح)؛ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ كلمة ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ ليست منهم، فهم لا يعترفون برسالته، هذه من الله جَلَّ وَعَلَا، وصفه بأنه رسول الله، فاليهود لايزالون يقولون: (إنهم قتلوا المسيح)، والله ينفي هذان ويقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾، وإنما الذي صُلب رجل أُلقي شبه المسيح عليه؛ ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾: ظنوا أنه المسيح، فقتلوه وصلبوه. ويقال: إنه الذي خان ودل اليهود على المسيح، فالله ألقى شبه المسيح عليه، فقُتل وصُلب.

وقيل: إن الله جَلَّ وَعَلَا قال للمسيح أن يقول لرجل من أتباعه: (إن الله سيلقي عليه شبه المسيح، ويُقتل ويُصلب)، فصبر ذلك المؤمن على هذا الابتلاء والامتحان، فقُتل وصُلب بدلًا من المسيح.

على كل حال المقتول والمصلوب ليس هو المسيح، وإنما هو رجل أُلقي عليه شبه المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والشاهد قوله: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾، والرفع لا يكون إلا إلى أعلى.

وقوله: (قال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾)، تصعد، العروج معناه: الصعود، والملائكة تنزل إلى الأرض، وتصعد إلى الله جَلَّ وَعَلَا بأوامر الله، تنزل إلى الأرض بأمر الله؛ ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم:٦٤]، وتصعد إلى الله جَلَّ وَعَلَا بما دبرها الله عليه وأمرها به، ينزل الحفظة الموكلون بالعباد، يتعاقبون في الليل والنهار، يحفظون أعمال بني آدم، ويكتبونها، طائفة ينزلون في العصر، ويستمرون إلى الفجر، وطائفة ينزلون الفجر، ويستمرون إلى العصر، فملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر؛ ولذلك كانت صلاة الفجر تُطول فيها القراءة، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء:٧٨]، يعني: محضورًا، يحضره ملائكة الليل وملائكة النهار، ويجتمعون في صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى، أفضل الصلوات؛ ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [البقرة:٢٣٨]، صلاة العصر كما صح بالأحاديث(١).

﴿ وَٱلرُّوحُ ﴾ الروح قيل: هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: إنه جماعة من الملائكة تسمى بالروح.

والشاهد من الآية: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾، يعني: تصعد، هذا دليل على أن الله في العلو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

وقوله: (قال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾)، ﴿ يُدَبِّرُ ﴾ الله جَلَّ وَعَلَا ﴿ ٱلْأَمْرَ ﴾ من أوامره ﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، هذا دليل على أنه في السماء، ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة:٥]، والشاهد في قوله: ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ يعرج: يعني يصعد.

وقوله: (قال تعالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾)، لما ذكر سجود المخلوقات، قال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾، هذا فيه إثبات الفوقية لله عَزَّوَجَلَّ فوق عباده؛ ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾.

وقوله: (قال تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾) في سبعة مواضع من القرآن كلها بلفظ ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾، يعني: ارتفع عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلا عليه، وصعد عليه. والاستواء صفة من صفات الأفعال، أما العلو، فهو صفة ذات، فهنا فرق بين العلو والاستواء:

العلو: صفة ذات ملازمة لله عَزَّوَجَلَّ.

وأما الاستواء: فهو صفة فعل، يفعله إذا شاء، ولهذا قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤]، رتبه بـ (ثم) التي هي للترتيب والتراخي، فالاستواء صفة فعل يفعلها سبحانه متى شاء، أما العلو، فهو صفة ذات لازمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لايكون إلا في علو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذه المواضع السبعة التي أثبت الله فيها استواءه على العرش، وأهل الضلال يقولون: («استوى» يعني: استولى على العرش)، زادوا حرف (اللام) استولى، مثلما زاد اليهود حرف (النون)؛ حنطة، قيل لهم: (قولوا حطة)، يعني: حط عنا ذنوبنا، أُمروا بالاستغفار، ولكنهم حرفوا، وقالوا: حنطة، حبة حنطة؛ ﴿ فَبَدَّلَ

ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾ [البقرة:٥٩]، قالوا: (حنطة)، يريدون الأكل، لا يريدون الاستغفار.

فالأشاعرة[1] مثل اليهود زادوا في القرآن حرفًا، فقالوا: (استوى يعني: استولى)، باللام. هذه اللام ما قالها الله ولا رسوله، ولا نزلت في الكتب، وإنما زادها هؤلاء الضلال، فهي كلمة زيدت على القرآن، هذا من ناحية.

الناحية الثانية: أن الاستيلاء على العرش ليس للعرش ميزة، فالله مستولٍ على كل شيء من المخلوقات، فلماذا خص العرش؟

ثالثًا: الاستيلاء على الشيء يدل على أنه من قبل ليس في يده، وإنما هو في يد غيره؛ كما يقال: استولى الملك على البلد الفلاني. يعني: من قبل ما هو في ملكه، ولما تغلب، استولى عليه. فهل الله جَلَّ وَعَلَا كان العرش ليس في ملكه، وليس في قبضته، ثم استولى عليه بعد ذلك؟! تعالى الله عما يقولون!

وقد أبطل شيخ الإسلام هذا التفسير من عشرين وجهًا في رسالة مستقلة، من عشرين وجهًا أبطل هذه اللام التي زادها الأشاعرة[2].

---

(١) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتتلمذ على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. اهـ. انظر: الملل والنحل (١/ ٩٤- ١٠٣)، وتاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٤/ ١٢٩- ١٣٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٨٧).

(٢) راجع (ص ١٨).



وقوله: (قال تعالى مخبرًا عن قول فرعون لهامان: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦، ٣٧])، قصة فرعون ومكابرته أنه قال لهامان وزيره: ﴿ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾، يعني: بناء مرتفعًا ليصعد عليه، ويبحث عن الله، فدل على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر أن الله في السماء، وأراد فرعون أن يكذبه، ويتظاهر أمام الناس بتكذيب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه يصعد في السماء على الصرح، ويبحث عن الله ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾، فهو أراد أن يموه على الناس، وأن يُظهر كذب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فدل على أن الله في السماء، وأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر فرعون بذلك، وأراد فرعون أن يكذبه.

وقوله: (قال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢])، الشاهد في قوله: ﴿تَنزِيلٌ﴾، والنزول لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل، القرآن ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ والتنزيل إنما يكون من الأعلى.

وقوله: (قال تعالى: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعام:١١٤]) مثل: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ﴾، ﴿مُنَزَّلٌ﴾، و﴿تَنزِيلٌ﴾، و﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

وقوله: (إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَكَادُ يُحْصَى إِلا بِكُلْفَةٍ)، إلى أمثال هذه الآيات التي تدل على علو الله جَلَّ وَعَلَا على مخلوقاته واستوائه على عرشه، مما لا يُحصى -لو تتبعته في القرآن- إلا بكلفه، كثير في القرآن؛ ولهذا قالوا: إن العلو يدل عليه ألف دليل(١).

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٢١)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٣٣١).

وَفِي الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ وَالْحِسَانِ مَا لَا يُحْصَى، مِثْلُ قِصَّةِ مِعْرَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى رَبِّهِ[(١)]، وَنُزُولِ المَلائِكَةِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَصُعُودِهَا إِلَيْهِ[(٢)]، وَقَوْلِ المَلائِكَةِ الَّذِينَ يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَيَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ إِلَى رَبِّهِمْ فَيَسْأَلُهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ[(٣)].

وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الخَوَارِجِ: «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»[(٤)].

الشَّرْح

لمّا ذكر الأدلة من القرآن، بيّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن في السنة كذلك أحاديث صحيحة عن الرسول ﷺ -إما صحيحة وإما حسنة-، ويحتج بها على صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن السنة وحي من الله جَلَّ وَعَلَا، وليست من كلام الرسول ﷺ -بمعنى: أن الرسول هو الذي اخترعها أو قالها من عنده-، وإنما هي وحي من الله

---

(١) أخرجها البخاري في مواضع منها: (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأحيانًا يرويه عن مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرج البخاري (٦٤٠٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا يَقُولُ عِبَادِي؟**».
وفي رواية مسلم (٢٥) (٢٦٨٩): «**فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ...**» الحديث، وفيه دليل على نزول الملائكة وصعودها.

(٣) سبق تخريجه الحديث السابق.

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



جَلَّوَعَلَا؛ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣، ٤]. وقد أخبر الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أحاديث كثيرة وصف ربه بالعلو والاستواء في أحاديث كثيرة؛ كما يأتي.

قوله: (وَفِي الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ وَالحِسَانِ مَا لَا يُحْصَى...)، لما ذكر الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ الأدلة من القرآن على علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، وغير ذلك من أسماء الله وصفاته، أراد أن يذكر بعض الأدلة من سنة الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على ذلك، والسنة النبوية هي الوحي الثاني بعد القرآن؛ قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر:٧]، وقال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء:٨٠]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ [النور:٥٤]، إلى غير ذلك.

فسنة الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حجة قاطعة، وهي الوحي الثاني بعد القرآن الكريم، وهي تُفسر القرآن وتوضحه، وتدل عليه وتبينّه، فهي بيان من الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ للقرآن؛ لأن الله وكل إلى نبيه بيان هـذا القـرآن؛ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤]، وقد بيَّن صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ غاية البيان، وعلى رأس ذلك العقيدة، فإنه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بيَّنها غاية البيان، ووضحها غاية الإيضاح، ترك أمته على البيضاء ليلها كنهارها بالسنة.

(الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ): جمع صحيح، والحديث الصحيح: هو ما رواه عدل تام الضبط من بداية السند إلى نهايته مع السلامة من الشذوذ والعلة[1]؛ خمسة شروط.

---

(١) انظر: تدريب الراوي (ص٣٢)، وفتح المغيث للعراقي (ص٧)، والمنهل الروى (ص٣٣).

(وَالحِسَانِ): هي الأحاديث الحسنة؛ وهي: ما دون درجة الصحيح[١].

والمتقدمون يدخلون الحسن في قسم الصحيح، ويقسمون الأحاديث إلى قسمين: صحيح أو ضعيف.

ثم قسموه إلى ثلاثة أقسام: صحيح، وحسن، وضعيف.

قالوا: وأول من عُرف عنه ذلك الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ[٢].

على كل حال فالأحاديث الحسان يُحتج بها في العقيدة وفي غيرها، فكيف بالأحاديث الصحاح.

أما الضعيف، فلا يُحتج به في العقيدة. فالسنة فيها من الأحاديث الصحاح -متواترة وآحاد وحسان- ما يثبت الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ:

من ذلك قصة المعراج، والمعراج: مفعال، مأخوذ من العروج، وهو الصعود إلى أعلى[٣]، قصة المعراج يعني: قصة العروج إلى الله جَلَّوَعَلَا، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرج به من الأرض إلى السماء مع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجاوز السبع الطباق، وانتهى إلى مكان خاطب فيه الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكلمه ربه. وهذا مذكور في أول سورة النجم: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٢-١٨]، هذا المعراج في أول سورة النجم.

---

(١) انظر: تدريب الراوي (ص٧٦)، وفتح المغيث للعراقي (ص٣٢)، والمنهل الروى (ص٣٥)، وفتح المغيث للسخاوى (١/ ٧٨)، وقواعد التحديث (ص١٠٢).

(٢) انظر: تدريب الراوي (ص٨٣).

(٣) انظر: مادة: (ع ر ج) في لسان العرب (٢/ ٣٢٠)، ومختار الصحاح (ص٤٦٧)، والقاموس المحيط (ص٢٥٣).

أما الإسراء -وهو نقله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسجد الحرام ليلًا إلى المسجد الأقـصى[(١)]-، فهذا مذكور في أول سورة الإسراء أو سورة بنـي إسرائيل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، عُرج به من المسجد الأقصى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والشاهد من هذه القصة: العروج؛ لأن العروج لا يكون إلا إلى أعلى، فدل على أن الله جَلَّ وَعَلَا في العلو، وأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرج به إليه.

ثانيًا: من السنة الأحاديث التي فيها نزول الملائكة من عند الله جَلَّ وَعَلَا وصعودهم إليه؛ مثل: الملائكة الحفظة الذين ينزلون كل يوم، منهم من ينزل الفجر، ويستمر معنا إلى صلاة العصر، ومنهم من ينزل العصر، ويستمر معنا إلى الفجر؛ «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**»[(٢)]، يحصون أعمال بني آدم؛ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]، ونحن غافلون عن هذا، ولا نتذكره، نسرح، ونمرح، ونقول، ونفعل، ونعصي، ولا نتذكر أن هذا كله مُدوَّن علينا، ومكتوب علينا، وأنه لا يُنسى منه شيء، ولايُترك منه شيء. لكن الشاهد من هذا إثبات علو الله؛ لأن النزول لا يكون إلا من أعلى، والصعود لا يكون إلا إلى أعلى، فدل على علو الله على عرشه، لم يقل: يأتونكم من يمين أو من شمال أو من تحت، بل قال: ينزلون ويصعدون، فكما سبق هناك ملائكة ينزلون في صلاة الفجر، ويبقون إلى صلاة العصر،

---

(١) انظر: مادة: (س ر ى) في لسان العرب (١٤/ ٣٨٢)، ومختار الصحاح (ص١٢٥)، والقاموس المحيط (ص١٦٦٩).

(٢) سبق تخريجه (ص١١٧).

ثم ينزل ملائكة الليل في صلاة العصر، يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة العصر، ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨]، يعني: تحضره ملائكة الليل وملائكة النهار؛ ولذلك يُستحب تطويل القراءة في صلاة الفجر، بل سماها الله قرآنًا، سمى صلاة الفجر قرآنًا؛ لأنها تُطول فيها القراءة. وصلاة العصر هي الصلاة الوسطى، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، صلاة العصر؛ كما صح في الأحاديث[1]؛ لأنها يجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار، ولا يزالون في صعود ونزول، فدل على علو الله على خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يسألهم الله: كيف تركتم عبادي؟ لا يسألهم؛ لأنه لا يعلم، لكن لأجل التقرير والإثبات والثناء على المؤمنين المصلين، فهذا فيه فضل المصلين، كيف تركتم عبادي؟ على أي حال تركتموهم؟ فيقولون: يا ربنا! جئناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون. هذه شهادة من الملائكة للمسلمين في أنهم يصلون، وأن الملائكة جاءتهم وهم يصلون، وغادرتهم وهم يصلون، شهادة من الملائكة للمصلين، فكفى بذلك فضلًا وشرفًا للمصلين.

قوله: (**وَفِي الصَّحِيحِ فِي حَدِيثِ الخَوَارِجِ: «أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَباحًا وَمَسَاءً»**)، الخوارج: طائفة خرجت على

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٦٢٩): عَنْ أَبِي يُونُس، مَوْلَى عَائِشَةَ، أَنَّهُ قَالَ: أَمَرَتْنِي عَائِشَةُ أَنْ أَكْتُبَ لَهَا مُصْحَفًا، وَقَالَتْ: إِذَا بَلَغْتَ هَذِهِ الْآيَةَ فَآذِنِّي: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] فَلَمَّا بَلَغْتُهَا، آذَنْتُهَا فَأَمْلَتْ عَلَيَّ: «﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨]، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]»، قَالَتْ عَائِشَةُ: «سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

المسلمين، مذهبهم أنهم لا يرون السمع والطاعة لولي الأمر، ويُكفّرون المسلمين بالكبائر التي دون الشرك، ويستحلون دماءهم وأموالهم، وهي طائفة قبيحة، أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتلهم أينما وجدوا، وخرجت بذرتهم في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد جاءه رجل قبيح المنظر، وهو يقسم الغنائم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال له: «يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: **وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ**»، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»، الله ائتمنه، فكيف لا يأتمنه الخلق، وهو الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! أمنه الله على وحيه، وأمنه على رسالته، وأمنه على تقسيم الأموال، فهو الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا مذهب الخوارج أنهم يطعنون حتى في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ذهب الرجل: «**إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا** -يعني: من أتباعه- **قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ** -يعني يجتهدون في العبادة ويتشددون- **يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»(١)؛ لأنهم طائفة قبيحة، تشق عصا الطاعة، وتفرق جمع المسلمين، وتُكفر المسلمين، وتستحل دماءهم؛ كما وصفهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهم «**يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ**»(٢).

الخوارج على طول عهدهم وامتداد تاريخهم ما قاتلوا الكفار أبدًا، وإنما يقاتلون المسلمين؛ كما حصل في عهد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن جاء بعده،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠، ٣٦١١، ٤٣٥١، ٥٠٥٧، ٥٠٥٨، ٦٩٣٠، ٦٩٣٣، ٧٥٦٢)، ومسلم (١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٦، ١٠٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤، ٧٤٣٢، ٧٥٦٢)، من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فإنهم يقاتلون المسلمين على امتداد التاريخ، ولا يغزون الكفار ويقاتلونهم. هذه صفتهم أنهم يكفرون المسلمين، ويستحلون دماءهم وأموالهم، أنهم يشقون عصا الطاعة، ويعصون قول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء:٥٩]، وأنهم يستحلون دماء المسلمين، يُكفرون بالذنوب التي دون الشرك والكفر كالزنا والسرقة وشرب الخمر، يُكفرون بهذه الذنوب، من فعلها عندهم، فهو كافر -نسأل الله العافية-، وهذا نتيجة للجهل؛ لأنهم عندهم عبادة وحماس، لكن ما عندهم علم، والجهل آفة، والعبادة إذا لم تكن على علم، فهي ضلال، والاجتهاد إذا لم يكن على علم وفقه، فهو ضلال، لابد من العلم، ولابد من الفقه؛ ولهذا يقول ابن القيم فيهم(١):

وَلَهُمْ نُصَوصٌ قَصَّرُوا فِي فَهْمِهَا   فَأُتُوا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْعِرْفَانِ

يأخذون المتشابه، ويتركون المحكم، يستدلون بآيات وأحاديث، ولايردونها إلى الآيات والأحاديث التي تفسرها وتبينها، لا يردون المتشابه إلى المحكم؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]، والواجب رد المتشابه إلى المحكم وتفسير النصوص بعضها ببعض، حمل المطلق على المقيد والعام على الخاص، والعمل بالناسخ وترك المنسوخ، وهكذا، كلام الله يُفسر بعضه بعضًا، كلام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفسر بعضه بعضًا.

أما من أخذ بالمتشابه، وترك المحكم، فهذا زائغ، ومنهم الخوارج -نسأل الله العافية!

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٦٢).

الشاهد من قوله: «**أَلا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»، من هو الذي في السماء؟ هو الله جَلَّوَعَلَا، فوصف الله بأنه في السماء، يعني: في العلو، إذا أُريد بالسماء العلو، وإن أُريد السماء المبنية، فيكون «في» بمعنى على، «**مَنْ فِي السَّمَاءِ**» يعني: على السماء. هذا الشاهد من الحديث.

وقوله: «**خَبَرُ السَّمَاءِ صَباحًا وَمَسَاءً**»، يعني: الوحي، خبر السماء يعني: الخبر من السماء، ومن أين يأتي الخبر؟ يأتي من السماء نفسها؟ لا، يأتي ممن هو في السماء، وهو الله جَلَّوَعَلَا، فهذا فيه وصف الله بأنه في السماء.



وَفِي حَدِيثِ الرُّقْيَةِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَعِ». قَالَ ﷺ: «إِذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مِنْكُمْ، أَو اشْتَكَى أَخٌ لَهُ، فَلْيَقُلْ رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ» وَذَكَرَهُ(١).

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الأَوْعَالِ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٨٩٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٥٧)، وفي عمل اليوم والليلة (ص٥٦٦)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٢٨٠)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٨٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٤)، من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الحاكم: (قد احتج الشيخان بجميع رواة هذا الحديث غير زيادة بن محمد وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث).ا.هـ. وقال ابن عدي في الكامل (٣/ ١٩٧): (وزياد بن محمد لا أعرف له إلا مقدار حديثين أو ثلاثة روى عن الليث وابن لهيعة ومقدار ما له لا يتابع عليه). اهـ.
وأخرجه عن فضالة بن عبيد الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإمام أحمد في المسند (٣٩/ ٣٧٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤٣) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه». اهـ. وقد حسن الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية. انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد في المسند (٣/ ٢٩٢)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٧٦، ٧٧)، وابن أبي شيبة في العرش (ص٥٥، ٥٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٣٥)، والبزار في مسنده (٤/ ١٣٥)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٠)، والآجري في الشريعة (ص٢٩٢)، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ١٠٥٠، ١٠٥١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٦، ٤١٠، ٤٤٧) من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في المناظرة حول الواسطية ردًا على من طعن فيه: (قَدْ رَوَاهُ إِمَامُ الْأَئِمَّةِ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ الَّذِي اُشْتُرِطَ فِيهِ أَنَّهُ لَا يَحْتَجُّ فِيهِ إلَّا بِمَا نَقَلَهُ الْعَدْلُ عَنْ الْعَدْلِ مَوْصُولًا إلَى النَّبِيِّ ﷺ قُلْت وَالْإِثْبَاتُ مُقَدَّمٌ عَلَى النَّفْيِ، وَالْبُخَارِيُّ إنَّمَا نَفَى مَعْرِفَةَ سَمَاعِهِ -أي عبد الله بن عميرة- مِنْ الْأَحْنَفِ لَمْ يَنْفِ مَعْرِفَةَ النَّاسِ بِهَذَا فَإِذَا عُرِفَ غَيْرُهُ -كَإِمَامِ الْأَئِمَّةِ =

وَهَذَا الحَدِيثُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ كَأَبِي دَاوُدَ، وَابْنِ مَاجَهْ، وَالتِّرْمِذِيِّ، وَغَيْرِهِمْ، فَهُوَ مَرْوِيٌّ مِنْ طَرِيقَيْنِ مَشْهُورَيْنِ، فَالْقَدْحُ فِي أَحَدِهِمَا لَا يَقْدَحُ فِي الآخَرِ، وَقَدْ رَوَاهُ إِمَامُ الأَئِمَّةِ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي كِتَابِ التَّوْحِيدِ(١) الَّذِي اشْتَرَطَ فِيهِ أَنَّهُ لَا يَحْتَجُّ فِيهِ إِلا بِمَا نَقَلَهُ العَدْلُ عَنِ العَدْلِ، مَوْصُولًا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

الشَّرْح

قوله: (**وَفِي حَدِيثِ الرُّقْيَةِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُ: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ...»**)، هذا حديث الرقية.

والرقية هي: القراءة على المريض بشيء من القرآن أو من الأدعية، وهي سبب للشفاء بإذن الله، وقد رقى النبي ﷺ(٢)، ورُقي،

= ابْنِ خُزَيْمَةَ- مَا ثَبَتَ بِهِ الْإِسْنَادُ، كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ وَإِثْبَاتُهُ مُقَدَّمًا عَلَى نَفْيِ غَيْرِهِ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ) اهـ.
انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٩٢)، وسيأتي بعض هذا الكلام.
وقال الحافظ المنذري: (في إسناده الوليد بن أبي ثور، لا يحتج به) اهـ. انظر: مختصر السنن (٧/ ٩٣)، وأجاب ابن القيم في حاشية السنن (٧/ ٩١ - ٩٤) قال: (أما رد الحديث بالوليد بن أبي ثور ففاسد، فإن الوليد لم ينفرد به، بل تابعه إبراهيم بن طهمان كلاهما عن سماك...) إلى آخر كلامه، فراجعه فإنه مهم.

(١) انظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٣٥).

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٤٣٩)، ومسلم (٥١) (٢١٩٢) عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، طَفِقْتُ أَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفِثُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْهُ».
وأخرج البخاري (٥٧٤٣)، ومسلم (٤٧) (٢١٩١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بَعْضَ أَهْلِهِ؛ يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنَى، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ البَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا». =

رقته الملائكة(١).

فالرقية شرعية من الكتاب والسنة، وهي سبب من أسباب الشفاء بإذن الله، ومن جملة ما رقى به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الحديث: «**رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ**»، هذا محل الشاهد من الحديث، وصف ربه بأنه في السماء، هذا هو الشاهد من الحديث، والحديث طويل، لكن هذا الشاهد منه.

والشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أتى بمحل الشاهد: «**أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»، أما أمر الله جَلَّ وَعَلَا وعلمه، فهو في السماء والأرض، أما هو سبحانه، فهو في السماء، «**اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا**»، الحوب: هو الذنب والخطايا، فالحوب والخطايا بمعنى واحد، ولكنه من عطف التنوع.

«**أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً**»، (**أَنْزِلْ**): هذا دليل على علو الله؛ لأن النزول لا يكون إلا من أعلى.

والحديث فيه إثبات أن الله في السماء، وأنه هو الذي يُنزل الشفاء؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»(٢).

= وأخرج البخاري (٥٧٤٥)، ومسلم (٥٤) (٢١٩٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: **بِاسْمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا**».

(١) أخرجه مسلم (٤٠) (٢١٨٦) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ». و (٣٩) (٢١٨٥) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٧٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدون عجزه، ورواه بهذا اللفظ أحمد (٦/ ٥٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٠٦٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢١٨) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (**وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الأَوْعَـالِ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»**)، حديث الأوعال ذكره الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر كتاب التوحيد(١)، وهو حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر خلق السماوات والأرض وما بينها من المسافات العظيمة، وأن السماوات السبع بعضها فوق بعض، وأن فوق السماء بحر، وأن فوق البحر: الكرسي، وقد وسع السماوات والأرض، وأن فوق الكرسي العرش، وقد وسع المخلوقات كلها، فهو أعظم المخلوقات، وأن الله فوق العرش.

هذا محل الشاهد من الحديث، فيه إثبات أن الله فوق العرش وفوق المخلوقات، وبذلك يثبت العلو لله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) انظر: كتاب التوحيد (ص٧٥٢) مع فتح المجيد؛ باب: ما جاء في قول الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

وَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ لِلْجَارِيَةِ «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[1].

وَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابٍ مَوْضُوعٍ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[2].

وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ قَبْضِ الرُّوحِ: «حَتَّى يَعْرُجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ»[3]. إِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحَيْنِ.

الشَّرح

قوله: (**وَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ لِلْجَارِيَةِ «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»**)، رجلٌ من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو معاوية بن الحكم السُلَمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لطم جارية له، لطمها، يعني: ضربها غضبًا منها، ثم ندم على ضربها، وأراد أن يُكفر عن فعله، فأراد إعتاقها، وجاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستفتي في إعتاقها، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اختبرها، فقال لها: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قال: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»، لما قالت: «فِي السَّمَاءِ»؛ وصفها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإيمان، فدل هذا على فوائد عظيمة:

أولًا: فيه أنه يجوز السؤال: «أين الله»؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَيْنَ اللهُ؟**»، يعني: في أي جهة؟ هذا أمر جائز، يُعلم الجاهل.

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) هذا الحديث ورد بألفاظ متقاربة من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري (٣١٩٤، ٧٤٠٤، ٧٤٥٣، ٧٥٥٣)، ومسلم (٢٧٥١).

(٣) أخرجه بنحوه ابن ماجه (٤٢٦٢)، وأحمد في المسند (١٤/ ٣٧٧)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٧٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال البوصيري: (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات..).

ثانيًا: وفيه أن من وصف الله بالعلو، فهو مؤمن، من لم يثبت العلو لله عَزَّوَجَلَّ فوق السماوات، فهو كافر.

ولا أشد على المعطلة(١) من هذا الحديث؛ «**أَيْنَ اللَّهُ؟**»، يقولون: لا يجوز أن تقول: «**أين الله؟**»؛ لأن الله في كل مكان عندهم، أو ليس له مكان -لا داخل ولاخارج، ولا يمنة ولا يسرة، ولا.. ولا.. إلى آخره-، حتى يكون معدومًا عندهم. فهم أكبر شيء عليهم وأثقل شيء عليهم هذا الحديث: «**أَيْنَ اللَّهُ؟**».

قوله: (**وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابٍ مَوْضُوعٍ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»**)، قوله: «عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ» دلّ على أن الله فوق العرش سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والعرش هو أعلى المخلوقات، ليس فوقه شيء من المخلوقات أبدًا، هو أعلى المخلوقات، والله جَلَّ وَعَلَا فوق العرش فوقية تليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس معناه أنه محتاج إلى العرش، أو أن العرش يحمله، بل هو الذي يحمل العرش بقدرته، ويمسكه بقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**فِي كِتَابٍ مَوْضُوعٍ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ**»، فيه وصف الله بأنه يكتب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كتب كتابًا، وفيه أن بعض المخلوقات عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عندية شرف؛ ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ**﴾ [الأعراف:٢٠٦]، بعض المخلوقات عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لها ميزة على غيرها من الخلائق؛ أنها عند الله، قريبة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

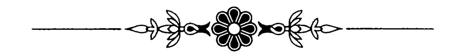
---

(١) المعطلة هم الذين عطلوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن صفاته، ونفوها عنه، ويسمون أيضًا بالنفاة، وهم كثير، فمنهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية. انظر: قَانون التَّأويْل (١/ ٣٥٤)، وتبيين كذب المفتري (ص١٤٩)، والفتاوى الكبرى (٦/ ٣٣٧)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٥٩٨، ١٦/ ٢٤١).

وقوله: (**وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ قَبْضِ الرُّوحِ: «حَتَّى يَعْرُجَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ»**)، الميت حين تُقبض روحه يُصعد بها إلى السماء، فإن كانت روح مؤمن، أُذن لها، وفُتحت لها السماوات، وانتهت إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فيقول الله جَلَّوَعَلَا: «**اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى**»، فروح المؤمن تصعد إلى السماء التي فيها الله جَلَّوَعَلَا، وهي أعلى السماوات.

وأما الكافر، فإنه لا تُفتح له السماوات، بل تُغلق دونه أبواب السماء -والعياذ بالله-، فتُطرح روحه على الأرض طرحًا بشدة، ويلقى من الهوان والذلة، وتذهب روحه إلى سجّين؛ «**اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى**»[1]، وهي أسفل سافلين -والعياذ بالله.

فالشاهد من الحديث: أن الروح يُصعد بها إلى الله، فدل على أن الله في السماء.



(١) جزء من حديث البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الطويل، ورواه بهذا اللفظ الأمام أحمد في المسند (٣٠/ ٤٩٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٥٤) (١٢٠٥٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٣).



وَقَـوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي أَنْشَدَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقَرَّهُ عَلَيْهِ(١):

شَـهِـدْتُ بِـأَنَّ وَعْـدَ اللهِ حقٌّ	**وَأَنَّ الـنَّـارَ مَـثْوَى الـكَـافِـرِيـنَ**
وَأَنَّ الـعَـرْشَ فَـوْقَ المَـاءِ طَـافٍ	**وَفَـوْقَ الـعَـرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا**

وَقَوْلُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ(٢) الَّذِي أُنْشِدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنْ شِعْرِهِ، فَاسْتَحْسَنَهُ(٣)، وَقَالَ: «آمَنَ شِعْرُهُ، وَكَفَرَ قَلْبُهُ»(٤).

---

(١) قصة عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما وقع على أَمَته، وأنكرت عليه زوجته، فقالت: (إن كنت صادقًا، فاقرأ القرآن، فَعَرَّضَ عليها، وذكر أبياتًا، فقالت: آمنت بالله، وكذبت بصري). رواها الدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٦)، والدارقطني في السنن (١/ ١٢٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨/ ١١٢، ١١٣) بأسانيد فيها مقال، وقد قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٢/ ٢٩٦): (رويناها من وجوه صحاح) اهـ. وتعقبه الذهبي في العلو (ص٤٩) بقوله: (روى من وجوه مرسلة) اهـ. وأوردها عدد من أهل العلم في كتبهم، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢/ ٣٥٧)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٤)، وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٢)، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٢٦٤).

وفي سنن الدارقطني أنه قرأ أبياتًا غير ما ذكر المؤلف فقال فيها:

أتَـانَـا رسُـولُ اللهِ يـتْـلُـو كِـتَـابَـه	كَمَا لاح مَشهورٌ مِن الْفجْرِ سَاطِع
أتَـى بِـالْهُـدى بـعْـدَ الـعمَـى فقُلُوبنَا	بِـه مـوقِـنَـات أنَّ مَـا قَـالَ وَاقِـع
يـبِـيـت يُجَـافي جـنْـبـه عَـن فِـراشِـهِ	إِذَا اسـتَـثْـقـلَـتْ بِـالْمُـشْـرِكيَن المضَاجِع

والله أعلم.

(٢) هو أمية بن أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الإسلام...، وكان قد قرأ الكتب المتقدمة، ورغب عن عبادة الأوثان، وأُخْبر أن نبيًّا قد أظل زمانه وأنه سيخرج، وكان يؤمل أن يكون هو ذلك النبي، فلما بلغه خروج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كفر به حسدًا له. انظر: تاريخ دمشق (٩/ ٢٥٥)، والمنتظم لابن الجوزي (٣/ ١٤٢)، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ٢٤٩).

(٣) روى مسلم في كتاب الشعر (٢٢٥٥) عن الشريد بن سويد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «رَدِفْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْءٌ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: هِيهْ، فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: هِيهْ، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فَقَالَ: هِيهْ، حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ بَيْتٍ».

(٤) أخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٣/ ٢٠٣)، وابن عبد البر في التمهيد (٤/ ٧)، وابن عساكر =

مَجِّدُوا اللهَ فَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ ... رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرَا
بِالْبِنَاءِ الأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ ... وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرَا
شَرْجَعًا مَا يَنَالُهُ بَصَرُ العَيْنِ ... تَرَى دُونَهُ المَلائِكَ صُورَا[1]

الشَّرْح

قوله: (وَقَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي أَنْشَدَهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَقَرَّهُ عَلَيْهِ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ ... وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرِينَ
وَأَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ طَافٍ ... وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا)

من أقوال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان شاعرًا فصيحًا من شعراء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دافع عن الإسلام بشعره، ورد على المشركين بشعره -مثل: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، هؤلاء الشعراء دافعوا عن دعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وردوا على المشركين.

= في تاريخ دمشق (٩/ ٢٧٢)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال المناوي عقب تخريجه: (بإسناد ضعيف). انظر: فيض القدير (١/ ٥٩)، والسلسلة الضعيفة (١٥٤٦).

وللحديث شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «... وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم». أخرجه البخاري (٣٨٤١، ٦١٤٧)، ومسلم (٢٢٥٥).

(١) المراد بالسرير هنا العرش، قال في المعجم الوسيط: العرش: سرير الملك، وشرجعًا: أي عاليًا منيفًا، وصورًا: جمع أصور، وهو المائل العنق لنظره إلى العلو. قاله ابن أبي العز، انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص٣١١)، ولسان العرب (٤/ ٤٧٤، ٤٧٥).

والأبيات مذكورة في تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص٦٧)، وإثبات صفة العلو لابن قدامة (ص١٠٠)، والعلو للذهبي (ص٥٠)، وقال: (إسناده منقطع)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٩٩)، والبداية والنهاية (١/ ١٢)، (٢/ ٢٢٩).

وقصته: أن له مملوكة جارية، تسرى بها، فجاءت امرأته، فرأته عليها، فغضبت، أخذتها غيرة النساء، وتكلمت عليه، فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورى لها تورية، فصدقته بها؛ حيث أتى بهذه الأبيات، قال:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حقٌّ ... وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرِينَ
وَأَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ طَافٍ ... وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا

يعني: ماء البحر الذي فوق السماوات.

وَأَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ طَافٍ ... وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا

فظنت أن هذا من القرآن؛ لأنه لما جاءت إليه، أنكر أنه فعل شيئًا، قالت: إن الذي يكون عليه جنابة ما يقرأ القرآن، اقرأ القرآن. فأتى بهذه الأبيات على أنها من القرآن، فصدقته، وهي تورية[1]، وهو ما هو بظالم، التورية للإنسان إذا لم يكن ظالمًا جائزة، فصدقته بذلك، فقالت: (آمنت بالله وكذبت بصري)، وذكر ذلك للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأقره على ذلك.

الشاهد منه: (وَفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا)، أقره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذه الكلمة؛ أن العرش فوق الماء، وأن الله فوق العرش.

(وَأَنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ طَافٍ)، فوق الماء: يعني البحر الذي فوق السماوات (طافٍ)، يعني: العرش مرتفع فوق الماء.

قوله: (وَقَوْلُ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيِّ الَّذِي أُنْشِدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ وَغَيْرُهُ مِنْ شِعْرِهِ فَاسْتَحْسَنَهُ، وَقَالَ: «آمَنَ شِعْرُهُ، وَكَفَرَ قَلْبُهُ»).

---

(١) قال في مختار الصحاح (ص٢٩٩): (وَرَّى الخبر تَوْرِيةً أي ستره وأظهره غيره كأنه مأخوذ من وراء الإنسان كأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر). اهـ.

أُميَّةُ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيّ هذا من شعراء الجاهلية، وكان عابدًا متنسكًا على دين النصارى، وكان يظن أنه هو الذي سيكون نبيًا، فأخذ يتحرى البعثة، ورشح نفسه أنه هو النبي الذي سيُبعث، فلما بُعث محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حسده وكفر به، لكنه كان يقول أشعارًا في الجاهلية فيها حق، منها هذه الأبيات. والذي حمله على الكفر -والعياذ بالله- هو الحسد، والنبوة لا تُدرك بالتربية ولا بالتحري، النبوة اختيار من الله واصطفاء من الله، هو الذي يصطفي سبحانه؛ ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج:٧٥]، لا تُدرك النبوة بالتربية، ولا بتهذيب النفس -مهما كان-، وإنما هي فضل من الله، والله -سبحانه- يختار من يعلم أنه يصلح للنبوة، فالله أعلم بذلك؛ ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤]، فأمية بن أبي الصلت ما حصل على ما تطلع له ورشح نفسه له، فحسد النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لكنه قال شعرًا في الجاهلية فيه حق.

«آمَنَ شِعْرُهُ»؛ لأنه قال حقًّا، ولكنه «كَفَرَ قَلْبُهُ»؛ حسدًا للنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وغضبًا على الله -والعياذ بالله-؛ لأن الله لم يبعثه.

هذا الشاهد: (رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرَا)، هذا دليل على أن أهل الجاهلية يقرون بعلو الله، من أين أخذ هذا؟ من الكتب السابقة؛ لأنه كان نصرانيًا متعبدًا.

(السرير) هو: العرش، و(الشَّرْجع) هو: السرير أيضًا[1]، فأثبت أن الله في السماء، وأثبت العرش لله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) قال في لسان العرب (٨/ ١٧٩): (الشَّرْجَعُ: السريرُ يحمل عليه الميت). ا.هـ. وقال -أيضا-: (والشَّرْجَعُ: الطويل). اهـ.

(تَرَى دُونَهُ المَلَائِكَ صُورَا)، يعني: الملائكة مائلة أعناقهم دون العرش؛ تعظيمًا لله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر:٧]، ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر:٧٥]، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧].



وقال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٣١١): (والشرجع: هو العالي المنيف). اهـ.

وَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الَّذِي فِي السُّنَنِ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[(١)].

وَقَوْلُهُ: «يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبُّ يَا رَبُّ..»[(٢)]، إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصِيهِ إِلا اللهُ، مِمَّا هُوَ مِنْ أَبْلَغِ المُتَوَاتِرَاتِ اللَّفْظِيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ، الَّتِي تُورِثُ عِلْمًا يَقِينِيًّا مِنْ أَبْلَغِ العُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ المُبَلِّغَ عَنِ اللهِ أَلْقَى إِلَى أُمَّتِهِ المَدْعُوِّينَ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ وَأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ؛ كَمَا فَطَرَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ جَمِيعَ الأُمَمِ عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ، فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ، إِلَّا مَنِ اجْتَالَتْهُ الشَّيَاطِينُ عَنْ فِطْرَتِهِ.

الشَّرْح

قوله: (وَقَوْلُهُ فِي الحَدِيثِ الَّذِي فِي السُّنَنِ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»)، وهذا الحديث فيه وصف الله

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وأحمد في المسند بنحوه (٣٩/ ١١٩)، وابن حبان (٣/ ١٦٠)، والبزار في مسنده (٦/ ٤٧٨)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢١١)، والطبراني في الكبير بنحوه (٦١٣٠)، والحاكم في المستدرك بنحوه (١/ ٦٧٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٢٣٥، ٢٣٦)، (٨/ ٣١٧) من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وجوَّد إسناده الحافظ في الفتح (١١/ ١٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٦٥) (١٠١٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

بالحياء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والحياء صفة حميدة، يوصف الله بها على ما يليق بجلاله، ما هو مثل حياء المخلوقين؛ كما أنه يغضب ليس كغضب المخلوقين، ويرضى ويكره، فهو يوصف بالحياء -أيضًا-، ولكنه حياء خاص ولائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**حَيِيٌّ كَرِيمٌ**)، يستحيي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يمد عبده يديه إليه بالدعاء، فيردهما صفرًا، يعني خاليتين، بل يستجيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لمن دعاه ورفع يديه إليه؛ لأنه قريب مجيب.

الشاهد من هذا: أن وصف الله جَلَّ وَعَلَا بالحياء ووصفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأنه في العلو؛ لأن مد اليدين إلى أعلى إشارة إلى العلو، ما مد يديه إلى الأرض أو إلى يمين أو إلى شمال، بل رفعهما إلى أعلى. هذه فطرة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فدل على وصف الله بالعلو.

قوله: (**وَقَوْلُهُ: «يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ..»**)، هذا في حديث المسافر، لما ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** [المؤمنون:٥١] **وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾** [البقرة:١٧٢] **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»، محل الشاهد من الحديث: «**يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ**»، إلى الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الله في السماء، فهو يمد يديه إلى الله؛ إشارة إلى العلو «**يَا رَبِّ، يَا رَبِّ**»، يكرّر الدعاء، وهذا فيه الإلحاح بالدعاء وتكرار الدعاء، وأن هذا من أسباب الإجابة، لكن مع هذه الأسباب للإجابة: أنه

مسافر، وأنه رث الخلقة من السفر، وأنه يمد يديه إلى السماء، وأنه يكرر الدعاء ويلح، لا يستجاب دعاؤه بسبب المانع الذي عنده، عنده مانع: «**وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟**»؛ لأنه لم يأكل من الطيبات، الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ**﴾ [الأعراف:١٥٧]، فهذا لم يأكل من الطيبات، وإنما أكل من الخبائث، من الحرام، فلا يُقبل دعاؤه، فدل على أن أكل الحرام مانع من قبول الدعاء -ولا حول ولا قوة إلا بالله!

الشاهد في: «**يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ**»، هذا فيه إثبات العلو لله عَزَّوَجَلَّ، لم يمد يديه إلى الأرض أو إلى يمين أو إلى شمال، بل إلى السماء خاصة؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا في السماء.

قوله: (**إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْصِيهِ إِلا اللهُ، مِمَّا هُوَ مِنْ أَبْلَغِ الْمُتَوَاتِرَاتِ اللَّفْظِيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ، الَّتِي تُورِثُ عِلْمًا يَقِينِيًّا مِنْ أَبْلَغِ العُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ...**)، إلى أمثال هذه الأدلة من السنة مما لا يحصيه كثرة إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الأحاديث في هذا كثيرة، وإنما الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ ذكر نماذج من السنة في إثبات أسماء الله وصفاته. وأبيات عبد الله بن رواحة وأبيات أمية بن أبي الصلت من السنة؛ لأن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سمعها، وأقرها؛ فهي من السنة.

تواترت الأدلة تواترًا لفظيًّا وتواترًا معنويًّا، فالحديث ينقسم إلى متواتر وآحاد، فالمتواتر هو الذي يرويه جماعة عن مثلهم من بداية السند إلى نهايته يستحيل تواطؤهم على الكذب، هذا هو المتواتر[١].

---

(١) انظر: تعريف المتواتر بنوعيه في الكفاية للخطيب (ص١٦)، والمنهل الروي لابن جماعة (ص٣١)، وتدريب الراوي للسيوطي (ص٢٧١) وشرح النووي على مسلم (١/ ١٣١).



والآحاد هو: الذي يرويه أقل من الجماعة، يرويه واحد، اثنان، ثلاثة، إذا رواه واحد، يقال له: غريب، وإذا رواه اثنان، يقال له: عزيز، وإذا رواه ثلاثة، يقال: مشهور، هذه كلها من أقسام الحديث الآحاد[(١)]: مشهور، وعزيز، وغريب.

والحديث -سواء كان متواترًا أو آحادًا- كل ما صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يثبت العلم اليقيني، لا كما يقوله علماء الكلام: (إن الحديث يفيد الظن فقط، ولايفيد العلم)، هذا كلام باطل، كل ما صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -سواء كان متواترًا أو آحادًا-، فإنه يفيد العلم اليقيني الذي لا شك فيه[(٢)].

والأحاديث الصحيحة -سواء كانت متواترة أو آحادًا- فإنها كلها تفيد العلم الضروري أن الله سبحانه في السماوات، وأنه فوق العرش، لا مجال للشك في هذا، من شك في هذا، فهو كافر؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين، هذا من ناحية.

أخذنا الكتاب وأخذنا السنة، والثالث: الفطرة؛ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:٣٠]، الناس ما تعلموا، ولا درسوا بالمعاهد ولا بالكليات، ولاحتى بالمدارس الابتدائية، يتوجهون إلى الله في العلو، ما تقدر ترد الناس أبدًا، كلهم يتوجهون إلى الله في العلو، والبدوي والحضري والعامي والمتعلم كلهم إذا أرادوا الدعاء، أين يتوجهون؟ يتوجهون إلى العلو، هذه فطرة فطرهم الله عليها،

---

(١) انظر: تعريف الآحاد في التدريب (ص٢٧٤)، والمنهل الروي (ص٣٢)، والكفاية للخطيب البغدادي (ص١٦).

(٢) قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق (٤٥٧): (فممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم: مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة، وداود بن علي وأصحابه كأبي محمد بن حزم، ونص عليه الحسين بن علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي..). اهـ. وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥١)، وشرح الطحاوية (ص٣٩٩)، وشرح أحمد شاكر على ألفية السيوطي (ص٣-٥).

دل على أن الله في العلو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الوجوه تتوجه إلى السماء عند الدعاء وعند الطلب، ليس هناك أحد يتوجّه جهة الأرض، أو يلتفت يمينًا أو شمالًا، بل يرفع بصره إلى السماء، ولو لم يكن قد درس ولا تعلم شيئًا أبدًا؛ لأن الله فطره على هذا، فهذا دليل من الفطرة على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على خلقه؛ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٠]، لا تبديل لخلق الله، لكن هناك تبديل للمخلوق، أما الخلق، فلا أحد يبدل الخلق، الله خلق الناس كلهم على الفطرة، لكن بعد ذلك تُغير الفطرة، الذي يغير هو المخلوق، وليس الخلق، يعرض للفطرة ما يغيرها؛ «**فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»(١)، فالله خلقه على الفطرة، ما في مولود يولد على غير الفطرة أبدًا، لكن التغيير يأتي بعد ذلك بسبب التربية.

وليس هذا خاصًا بالعرب، حتى العجم، والجن والإنس، حتى البهائم كلها تتجه إلى ربها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في السماء، وحتى بعد بعثة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي الجاهلية كانوا يرفعون أيديهم إلى السماء، ويتوجهون إلى الله جَلَّ وَعَلَا حال الدعاء إلى السماء، مع أنهم ليس عندهم علم، الفطرة إذا لم تُغير، فهي تبقى على الأصل. أما هؤلاء الذين غُيِّرت فطرهم، واعتقدوا أن الله في كل مكان، أو أنه ليس داخل العالم، هؤلاء لا يتوجهون إلى السماء؛ لأنهم تغيرت فطرهم، فسدت، أما لو بقيت الفطرة سليمة، لاتجهت إلى السماء.

قوله: (**إِلَّا مَن اجْتَالَتْهُ الشَّيَاطِينُ عَنْ فِطْرَتِهِ**)؛ كما قال الله جَلَّ وَعَلَا في الحديث القدسي: «**وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ**»(٢)، يعني: موحدين، هذا الأصل، «**وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ**»، يعني: غيّرت فطرتهم إلى الشرك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٩)، ومسلم (٢٢)(٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٦٣) (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



ثُمَّ عَنِ السَّلَفِ فِي ذَلِكَ مِنَ الأَقْوَالِ مَا لَوْ جُمِعَ لَبَلَغَ مِئِينَ، أَوْ أُلُوفًا.

ثُمَّ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلا فِي سُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَلا عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ -لَا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِينَ، وَلا عَنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ، الَّذِينَ أَدْرَكُوا زَمَنَ هَؤُلَاءِ وَالاخْتِلَافَ- حَرْفٌ وَاحِدٌ يُخَالِفُ ذَلِكَ؛ لَا نَصًّا وَلا ظَاهِرًا.**

الشَّرح

هذا الدليل الرابع، أخذنا الدليل الأول: القرآن، الثاني: السنة، والثالث: الفطرة. والرابع: كلام العلماء في الذين يصفون الله بالعلو والاستواء، ما لو جُمع لبلغ المجلدات الضخمة من كلام أهل العلم سلفًا وخلفًا، ولهذا الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ألَّف كتابًا في هذا الموضوع سماه: «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»، وهو كتاب مطبوع، فجيوش من الموحدين ما أحد يهزمهم أبدًا، ولا يقف في وجوههم.

قوله: (لَبَلَغَ مِئِينَ، أَوْ أُلُوفًا)، لبلغ مئين من المجلدات أو ألوفًا من المجلدات.

وهذا إجماع من أهل العلم، كلام السلف ومن جاء بعدهم في إثبات العلو والاستواء لله، والإجماع حجة قاطعة.

وليس هناك إمام معتبر جاء عنه حرف واحد يخالف هذه العقيدة؛ (لَا نَصًّا وَلا ظَاهِرًا)؛ النص: هو ما لا يحتمل غير معنى واحد[(١)].

وأما الظاهر: فهو ما يحتمل عدة معانٍ، أحدها أظهر، هذا هو الظاهر[(٢)].

المجمل: ما يحتمل عدة معانٍ متساوية، لاميزة لبعضها على بعض، هذا هو المجمل[(٣)].

---

(١) سبق بيانه (ص ١٠٧).

(٢) سبق بيانه (ص ١٠٨).

(٣) انظر: المعتمد (١/ ٢٩٣)، وميزان الأصول في نتائج العقول (١/ ٣٥٤- ٣٥٥)، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/ ٩)، ونهاية الوصول في دراية الأصول (٥/ ١٧٩٣).

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطُّ: إِنَّ اللهَ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ، وَلا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى العَرْشِ، وَلا أَنَّهُ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلا أَنَّ جَمِيعَ الأَمْكِنَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ، وَلا أَنَّهُ لا دَاخِلُ العَالَمِ وَلا خَارِجُهُ، وَلا مُتَّصِلٌ وَلا مُنْفَصِلٌ، وَلا أَنَّهُ لا تجوزُ الإِشَارَةُ الحِسِّيَّةُ إِلَيْهِ بِالأُصْبُعِ، وَنَحْوِهَا.

بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَطَبَ خُطْبَتَهُ العَظِيمَةَ يَوْمَ عَرَفَاتٍ، فِي أَعْظَمِ مَجْمَعٍ حَضَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَعَلَ يَقُولُ: «أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَرْفَعُ أُصْبُعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْكُبُهَا إِلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» غَيْرَ مَرَّةٍ[1]، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ.

الشَّرح

قوله: (وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطُّ: إِنَّ اللهَ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ، وَلا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى العَرْشِ)، لم ينف أحد من الأئمة المعتبرين علو الله على خلقه أو استواءه على عرشه، بل كتبهم كلها مجمعة على إثبات ذلك.

قوله: (وَلا أَنَّهُ بِذَاتِهِ فَي كُلِّ مَكَانٍ)؛ كما تقوله الحلولية، حيث يقولون: (إن الله في كل مكان)، حتى إنهم لا ينزهونه عن الحشوش[2] ودورات المياه والمواضع القذرة -تعالى الله عما يقولون-، بل يقولون: (إنه حال فيهم، حال في الأشخاص)، هؤلاء هم الحلولية، ومقدمهم وكبيرهم: ابن عربي[3]؛ الذي يقول بوحدة الوجود.

---

(١) هذا جزء من حديث طويل في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) الحشوش فِي الأَصْل جمع الحَشّ، وَهُوَ الْبُسْتَان من النّخل، وَكَانُوا يتغوّطون فِيهَا. انظر: تهذيب اللغة (٣/ ٢٥٤)، وغريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٢١٦)، ولسان العرب (٢/ ١٤٢).

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو عبد الله الطائي الأندلسي، ولد بمرسية سنة ستين =

قوله: (وَلا أَنَّ جَمِيعَ الأَمْكِنَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ سَوَاءٌ)، يعني: الذي يقول: (لا فرق بين البحر والعرش، كله سواء، ولا يختص العرش بشيء؛ كلها مخلوقات، ولا ميزة لبعضها على بعض، والله في كل مكان، هو في السماء، وهو على العرش، وهو على البحر، وهو في الأرض، وهو في كل مكان)، تعالى الله عما يقولون!! هؤلاء هم الحلولية.

وأشد منهم الجهمية الذين يقولون: (إن الله ليس له مكان أبدًا؛ لا داخل ولاخارج، ولا يمنة ولا يسرة، ولا فوق ولا تحت)، فهؤلاء معطلة، ينفون وجود الله جَلَّ وَعَلَا بالكلية.

قوله: (وَلا أَنَّهُ لَا دَاخِلُ العَالَمِ وَلا خَارِجُهُ، وَلَا مُتّصِلٌ وَلَا مُنْفَصِلٌ)، والمعنى واحد، أهل السنة والجماعة والرسل وأتباعهم يقولون: (إن الله في السماء فوق العرش بائن من الخلق -يعني: منفصل-، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ)، هذا قول أهل الحق؛ خلافًا للذين يقولون: (إنه حال في كل شيء)، أو الذين يقولون: (إنه ليس له جهة ولا مكان، والأمكنة بالنسبة له سواء؛ لا داخل ولا خارج، ولا يمنة ولا يسرة)، كل هذا ضلال وكفر -والعياذ بالله!

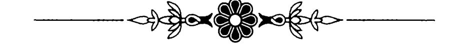
قوله: (وَلا أَنَّهُ لا تجوزُ الإِشَارَةُ الحِسِّيَّةُ إِلَيْهِ بِالأُصْبُعِ، وَنَحْوِهَا. بَلْ قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا خَطَبَ خُطْبَتَهُ

= وخمسمائة ونشأ بها، وانتقل إلى أشبيلية سنة ثمان وسبعين، ثم ارتحل وطاف البلدان فطرق بلاد الشام والروم والمشرق، وأقام بمكة مدة وصنف فيها كتابه المسمى بـ«الفتوحات المكية» في نحو عشرين مجلدًا فيها ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، وله كتابه المسمى بـ«فصوص الحكم»، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٤٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٥٦)، وشذرات الذهب (٥/ ١٩٠).

الْعَظِيمَةَ يَوْمَ عَرَفَاتٍ، فِي أَعْظَمِ مَجْمَعٍ حَضَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **جَعَلَ يَقُولُ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَرْفَعُ أُصْبُعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْكُبُهَا إِلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» غَيْرَ مَرَّةٍ**)، أشار إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطبه، خصوصًا خطبة حجة الوداع، رفع أصبعه إلى السماء، وقال: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»، قالوا: نعمن نشهد أنك قد بلغت، فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء، وقال: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»، هذه إشارة إلى الله أنه في العلو، ما أشار إلي يمين أو إلى شمال أو إلى تحت، والجهمية وأتباعهم يقولون: (لا تجوز الإشارة إلى الله)، يعني: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعل شيئًا لا يجوز عند الجهمية وأتباعهم، وقد أشار أشرف الخلق وأشرف الخلق في أعظم مجمع، وهو مجمع المسلمين في عرفة، في أشرف يوم وأشرف مكان، أشار إلى العلو بأصبعه الكريمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

«**فَيَرْفَعُ أُصْبُعَهُ إِلَى السَّمَاءِ**»، إشارة إلى الله في العلو «**وَيَنْكُبُهَا إِلَيْهِمْ**»، يعني: يردها إلى الحاضرين، «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»، يعني: على هؤلاء، اللهم اشهد على هؤلاء.

قوله: (**وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ**)، أمثال هذه الأدلة كثير من الكتاب والسنة، لا طاقة للجهمية والمعتزلة وأتباعهم وأضرابهم في نفيها أو تحريفها أو تأويلها، وهي باقية -ولله الحمد- بأيدي المسلمين وفي كتبهم وعقائدهم، لا أحد يستطيع أن يغير هذا أبدًا، لو استطاع أن يغير حديثًا، فلن يستطيع أن يغير القرآن، ولن يستطيع أن يغير ما في القلوب والفطر التي فطر الله الناس عليها، لكن يغير بعض الأفراد، فهذا ممكن.



فَإِنْ كَانَ الحَقُّ فِيمَا يَقُولُهُ هَؤُلاءِ السَّالِبونَ النَّافُونَ لِلصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، مِنْ هَذِهِ العِبَارَاتِ وَنَحْوِهَا دُونَ مَا يُفْهَمُ مِنَ الكتابِ وَالسُّنَّةِ إِمَّا نَصًّا وَإِمَّا ظَاهِرًا[١]، فَكَيْفَ يَجُوزُ عَلَى اللهِ ثُمَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ عَلَى خَيْرِ الأُمَّةِ أَنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ دَائِمًا بِمَا هُوَ نَصٌّ أَوْ ظَاهِرٌ فِي خِلافِ الحَقِّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ، وَلا يَبُوحُونَ بِهِ قَطُّ، وَلا يَدُلُّونَ عَلَيْهِ لا نَصًّا وَلا ظَاهِرًا، حَتَّى يَجِيءَ أَنْبَاطُ[٢] الفُرْسِ وَالرُّومِ، وَفُرُوخُ[٣] اليَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالفَلاسِفَةُ، يُبَيِّنُونَ للأُمَّةِ العَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَوْ كُلِّ فَاضِلٍ أَنْ يَعْتَقِدَهَا.

لَئِنْ كَانَ مَا يَقُولُهُ هَؤُلاءِ المتكلِّمُونَ المُتَكَلِّفُونَ هُوَ الاعْتِقَادَ الوَاجِبَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أُحِيلُوا فِي مَعْرِفَتِهِ عَلَى مُجَرَّدِ عُقُولِهِمْ، وَأَنْ يَدْفَعُوا بِمُقْتَضَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ نَصًّا أَوْ ظَاهِرًا، لَقَدْ كَانَ تَرْكُ النَّاسِ بِلا كِتَابٍ وَلا سُنَّةٍ أَهْدَى لَهُمْ وَأَنْفَعَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، بَلْ كَانَ وُجُودُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ضَرَرًا مَحْضًا فِي أَصْلِ الدِّينِ.

الشَّرْح

قوله: (فَإِنْ كَانَ الحَقُّ فِيمَا يَقُولُهُ هَؤُلاءِ السَّالِبونَ النَّافُونَ لِلصِّفَاتِ الثَّابِتَةِ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، مِنْ هَذِهِ العِبَارَاتِ وَنَحْوِهَا دُونَ مَا يُفْهَمُ مِنَ الكتابِ

---

(١) انظر: روضة الناظر لابن قدامة (ص١٧٦)، وشرح مختصر الروضة للطوفي (١/ ٥٥٣).

(٢) قال في المعجم الوسيط (ص٨٩٨): (الأنباط شعب سامي كانت له دولة في شمالي شبه الجزيرة العربية، وعاصمتهم سَلْع، وتعرف اليوم بالبتراء، والمشتغلون بالزراعة، واستُعمل أخيرًا في أخلاط الناس من غير العرب). اهـ.

(٣) **الفروخ**: جمع فرخ، وهو ولد الطائر، وولد كل بائض وكل صغير من الحيوان والنبات والشجر وغيرها، ومن الرجال: الذليل. انظر: المعجم الوسيط (ص٦٧٩).

وَالسُّنَّةِ إِمَّا نَصًّا وَإِمَّا ظَاهِرًا...)، لما ذكر الأدلة على علو الله وعلى استوائه على عرشه وأسمائه وصفاته، رجع إلى المردود عليهم.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كان الحق في الأسماء والصفات ما يقوله المتأخرون من أنها لا يجوز نسبتها إلى الله، ولا يوصف الله بها، ولا يُسمى بها، فإن معنى هذا أن الكتاب والسنة ما جاءا لهداية الناس، بل جاءا لتضليل الناس؛ لأن الكتاب والسنة يدلّان على خلاف ما يقوله هؤلاء، فإذا كان الحق معهم، فإن الكتاب والسنة إنما جاءا للتضليل والتلبيس على الناس. وكفى بهذا الاتهام ضلالًا وكفرًا -والعياذ بالله!

لابد إما أن الحق ما دل عليه الكتاب والسنة -وهذا هو القطع واليقين-، وإما أن يكون الحق ما يقوله هؤلاء النفاة، هذا فيه بطلان ما جاء به الكتاب والسنة، لاثالث للاحتمالين أبدًا.

قال: **(فِي خِلافِ الحَقِّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ، وَلا يَبُوحُونَ بِهِ قَطُّ)**، كيف أن الله لم يبين، كيف أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبين أن الحق على خلاف ظاهر هذه النصوص، وأنها لايستفاد منها ما ذكره السلف من أنها على ظاهرها؟ هذا اتهام لله ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالكتمان.

قال: **(وَلا يَدُلُّونَ عَلَيْهِ لَا نَصًّا وَلا ظَاهِرًا، حَتَّى يَجِيءَ أَنْبَاطُ الفُرْسِ وَالرُّومِ)**، ما جاء في الكتاب والسنة أبدًا أن هذه النصوص لا تدل على الأسماء والصفات، وليست على ظاهرها، ولا دليل واحد يُرجع إليه في أن هذه النصوص ليست على مدلولها وظاهرها، فكفى بهذا بطلانًا لما عليه هؤلاء، الذين هم في الحقيقة أحداث في العالم.

(أَنْبَاطُ)، والنبطي هو: الذي ليس له نسب ولا لغة، وإنما هو تابع لغيره، مثل: أنباط العراق الذين ليسوا معروفين أنهم من العرب ولا هم من العجم، وإنما هم أناس يعيشون على الزراعة وعلى رعي الغنم، ليس لهم حضارة وليس لهم علوم، كيف يؤخذ قول هؤلاء ويترك ما جاء به الكتاب والسنة؟!

(أَنْبَاطُ الفُرْسِ وَالرُّومِ)، الفرس: هم أهل المشرق من المجوس وأتباعهم، والروم والرومان: أهل الغرب، هؤلاء لا من الفرس ولا من الروم، الأنباط هؤلاء ليسوا من الفرس ولا من الروم، حتى يكون لهم حضارة وعلوم.

قول: (وَفُرُوخُ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى)، يعني: تلاميذ اليهود والنصارى، أهل الضلال الذين ضلوا في دينهم، وحرفوا دينهم، وغيروا شرع الله عَزَّوَجَلَّ، وهؤلاء تتلمذوا عليهم، فكيف يؤخذ بقول تلاميذ اليهود وتلاميذ النصارى، واليهود والنصارى معروفون بالضلال والانحراف ومخالفة الرسل وتغيير الشرع؟! هذا معروف عند اليهود والنصارى، فالذين تتلمذوا عليهم حكمهم حكم هؤلاء سواء.

قول: (وَالْفَلاسِفَةُ)، الذين ليس لهم كتاب، وإنما يعتمدون على آرائهم وعقولهم، وأصل الفلسفة الحكمة، الفيلسوف هو الحكيم عندهم، وهم قوم لايتبعون دينًا من الأديان، وليس لهم كتاب، وإنما يبنون على الآراء والعقول، وأغلب ما يكونون في بلاد اليونان.

كيف يتأخر البيان من الله ورسوله ومن السلف الصالح للعقيدة الصحيحة حتى يأتي هؤلاء الخلوف الذين ليس لهم علم صحيح ولا عقيدة صحيحة ويفسرون الكتاب والسنة على غير مرادهما؟!

لَئِنْ كَانَ مَا يَقُولُهُ هَؤُلاءِ المتكلِّمُونَ المُتَكَلِّفُونَ هُوَ الاعْتِقَادَ الوَاجِبَ، وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أُحِيلُوا فِي مَعْرِفَتِهِ عَلَى مُجَرَّدِ عُقُولِهِمْ، وَأَنْ يَدْفَعُوا بِمُقْتَضَى قِيَاسِ عُقُولِهِمْ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ نَصًّا أَوْ ظَاهِرًا، لَقَدْ كَانَ تَرْكُ النَّاسِ بِلا كِتَابٍ وَلا سُنَّةٍ أَهْدَى لَهُمْ وَأَنْفَعَ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ، بَلْ كَانَ وُجُودُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ضَرَرًا مَحْضًا فِي أَصْلِ الدِّينِ.

الشَّرح

إذا كان الحق ما يقوله هؤلاء في أن الله ليس له أسماء ولا صفات، وإنما هو ذات مجردة -كما يقولون-، والكتاب والسنة مملوءان من وصف الله من أسماء الله وصفاته، والحق مع هؤلاء، وليس في الكتاب والسنة؛ لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أحسن للناس؛ لأن الرسل ما جاءوهم بالهداية -على هذا الكلام-، وأن الهداية هي بأقوال هؤلاء. إذًا ما فائدة الكتب الإلهية؟ وما فائدة إرسال الرسل؟ كان يتركون الناس على عقولهم وأفكارهم، يعني: هذا من لوازم مذهبهم أنه يلزم أن يكون العالم ليس بحاجة إلى الرسل والكتب؛ لأن عندهم ما يكفيهم من عقولهم وأفكارهم.

قوله: (**بَلْ كَانَ وُجُودُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ضَرَرًا مَحْضًا فِي أَصْلِ الدِّينِ**)، بل يكون وجود الكتاب والسنة ضررًا محضًا على الناس؛ لأنهما تضليل -على زعم هؤلاء-، لم يصرحا بالحق في العقيدة، فيكون الكتاب والسنة جاءا للتضليل، وأن الحق هو في اتباع العقول والأفكار وما يقوله المتكلمون -وهم أصحاب الجدل وعلم الكلام والمنطق.

فَإِنَّ حَقِيقَةَ الأَمْرِ -عَلَى مَا يَقُولُهُ هَؤُلاءِ-: أَنَّكُمْ -يَا مَعْشَرَ العِبَادِ- لا تَطْلُبُوا مَعْرِفَةَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الصِّفَاتِ نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، لا مِنَ الكِتَابِ، وَلا مِنَ السُّنَّةِ، وَلا مِنْ طَرِيقِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَلَكِن انْظُرُوا أَنْتُمْ، فَمَا وَجَدْتُمُوهُ مُسْتَحِقًّا لَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَصِفُوهُ بِهِ، سَوَاءٌ كَانَ مَوْجُودًا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ، وَمَا لَمْ تَجِدُوهُ مُسْتَحِقًّا لَهُ فِي عُقُولِكُمْ، فَلا تَصِفُوهُ بِهِ؛

الشرح

يقول: يلزم -أيضًا على كلامكم- أنه يجب أن يُقال للناس: لا تأخذوا العقيدة من الكتاب والسنة؛ لأنهما ليس فيهما عقيدة، بل خذوه من أقوال الناس وعقائدهم وأفكارهم؛ فإنها هي الصواب، فما دلت عليه عقولكم وأفكاركم في ذات الله وصفاته، فهو الحق، ولا تنظروا إلى الكتاب والسنة، ولا إلى ما قاله السلف؛ لأنهم ليس عندهم علم، العلم عندكم على هذا!! هذا من لوازم أقوالهم، كلها لوازم باطلة -والعياذ بالله!



ثُمَّ هُمْ هَهُنَا فَرِيقَانِ: أَكْثَرُهُمْ يَقُولُونَ: مَا لَمْ تُثْبِتْهُ عُقُولُكُمْ، فَانْفُوهُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ تَوَقَّفُوا فِيهِ، وَمَا نَفَاهُ قِيَاسُ عُقُولِكُم -الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ مُضْطَرِبُونَ اخْتِلافًا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ اخْتِلافِ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ-، فَانْفُوهُ، وَإِلَيْهِ عِنْدَ التَّنَازُعِ، فَارْجِعُوا، فَإِنَّهُ الحَقُّ الَّذِي تَعَبَّدْتُكُمْ بِهِ، وَمَا كَانَ مَذْكُورًا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِمَّا يُخَالِفُ قِيَاسَكُمْ هَذَا، أَوْ يُثْبِتُ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ عُقُولُكُم -عَلَى طَرِيقَةِ أَكْثَرِهِمْ-، فَاعْلَمُوا أَنِّي أَمْتَحِنُكُمْ بِتَنْزِيلِهِ، لا لِتَأْخُذُوا الهُدَى مِنْهُ، لَكِنْ لِتَجْتَهِدُوا فِي تَخْرِيجِهِ عَلَى شَوَاذِّ اللُّغَةِ، وَوَحْشِيِّ الأَلْفَاظِ، وَغَرَائِبِ الكَلامِ، وَأَنْ تَسْكُتُوا عَنْهُ مُفَوِّضِينَ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ، مَعَ نَفْيِ دَلالَتِهِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الصِّفَاتِ! هَذَا حَقِيقَةُ الأَمْرِ عَلَى رَأْيِ هَؤُلاءِ المُتَكَلِّمِينَ.

الشرح

قوله: (ثُمَّ هُمْ هَهُنَا فَرِيقَانِ: أَكْثَرُهُمْ يَقُولُونَ: مَا لَمْ تُثْبِتْهُ عُقُولُكُمْ فَانْفُوهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلْ تَوَقَّفُوا فِيهِ)، (ثُمَّ هُمْ)، أي: هذه الفرق الضالة على فريقين:

فريق يعتمد على العقول، فيقول: (ما أثبتته عقولكم، فأثبتوه في حق الله، وما نفته عقولكم، فانفوه، دون نظر إلى الكتاب والسنة)؛ لأنه معناه أن الكتاب والسنة ليس فيهما بيان للحق.

وبعضهم يقول: (توقفوا، ما أثبتته عقولكم، فأثبتوه، وما نفته عقولكم، فتوقفوا فيه)، يعني: يبقون في حيرة، وكأن الله جَلَّوَعَلَا ترك الناس في حيرة متوقفين، لايدرون أين الحق، هل يليق بالله أن يترك عباده في حيرة لا يدرون أين الحق؟ تعالى الله عن ذلك! فالله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ

﴿ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة:٣٨، ٣٩]، فالله أرجعنا إلى الهدى الذي ينزله على رسله، وهذا لا يوصل إليه ولا يُعرف إلا من قِبَل الوحي، ما يتعلق بالله جَلَّ وَعَلَا وبأسمائه وصفاته هذا لا يمكن معرفته إلا من طريق الوحي؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾ [طه:١١٠]، ويقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [النحل:٧٤]، فلايُقال في حق الله وأسمائه وصفاته إلا عن طريق الوحي المنزل من الله؛ لأن الله أعلم بنفسه من خلقه وبغيره، والرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم الخلق بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأن الله أرسله، وأنزل عليه الكتاب ليبينه للناس.

فالمرجع إلى الكتاب والسنة، وكذلك في سائر علوم الغيب -العلوم الماضية والمستقبلة والغيوب ويوم القيامة، كل هذه من علوم الغيب- لا نقول فيها إلا بما دل عليه الكتاب والسنة، ولا ننفي ونثبت بعقولنا وأفكارنا؛ لأن هذا شيء لا تدركه العقول، ولا تحيط به الأفهام، وإنما هو مقتصر على الوحي المنزل من الله سبحانه والمبلغ من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه هي القاعدة في أمور الغيب؛ أنه لا يُتكلم فيها إلا بوحي بدليل من الكتاب والسنة، ليس للعقول فيها دخل ولا للأفكار، العقول محدودة، لها طاقة، لا تتحمل أكثر مما يليق بها، لا تتحمل أن تدخل في متاهات لا تعرفها.

قال: (**مَا لَمْ تُثْبِتْهُ عُقُولُكُمْ، فَانْفُوهُ**)؛ ما نفته العقول، بعضهم يقول: (يُنفى؛ لأن العقول هي الدليل)، وبعضهم يقول: (يُتوقف فيه)، معنى هذا: نبقى في حيرة، وأن الله تركنا، ولم يبين لنا، فهذا فيه أن الله جَلَّ وَعَلَا ترك عباده لم يبين لهم طريق الحق وطريق الصواب!!

قوله: (وَمَا نَفَاهُ قِيَاسُ عُقُولِكُم -الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ مُضْطَرِبُونَ اخْتِلافًا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ اخْتِلافٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ-، فَانْفُوهُ، وَإِلَيْهِ عِنْدَ التَّنَازُعِ فَارْجِعُوا، فَإِنَّهُ الحَقُّ الَّذِي تَعَبَّدْتُكُمْ بِهِ)، يقول: إنهم يقولون -وإن لم يصرحوا بهذا، لكن هذا لازم لمذهبهم-، يقول: على هذا أن الله قال: (ما أثبتته عقولكم، فأثبتوه، وما نفته، فانفوه أو توقفوا فيه)، هذا الذي أمرنا الله به -بزعمكم-، فالله أحالنا على العقول. إذًا العقول هل هي متساوية؟ العقول مختلفة مضطربة، ولهذا تجدهم في اضطراب واختلاف؛ هذا ينفي، وهذا يثبت، وهذا يضلل، وهذا يكفر، وهذا يفسق؛ لأن عقول البشر مختلفة، ليست على حد سواء، ثم هي قاصرة، ما تدرك الغيوب المستقبلة والماضية، فهي قاصرة ومضطربة ومختلفة.

تأمل أي شيء الآن -حتى الأمور البسيطة- هل الناس على حد سواء فيه؟ لا، عقولهم وأفكارهم مختلفة، حتى في الأمور المشاهدة التي معهم، فكيف بالأمور الغائبة؟ فالعقول -يا عباد الله- قاصرة، ولا تُحمل ما لا تُطيق، والعقول لا تُحيط بعلوم الغيب؛ ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس:٣٩]، فالواجب أن المسلم يتبع الوحي المنزل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يتبع العقل، وما لم يتبين له أمره، إذا لم يتوصل إلى معرفته من الكتاب والسنة، يسأل العلماء، قال تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، أما أن يبقى يتخرص و يتخبط، فهذا أمر لا يؤدي إلى نتيجة، بل يؤدي إلى ضلال وإلى هلاك.

قوله: (وَمَا كَانَ مَذْكُورًا فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِمَّا يُخَالِفُ قِيَاسَكُمْ هَذَا، أَوْ يُثْبِتُ مَا لَمْ تُدْرِكْهُ عُقُولُكُمْ -عَلَى طَرِيقَةِ أَكْثَرِهِمْ-، فَاعْلَمُوا أَنِّي أَمْتَحِنُكُمْ بِتَنْزِيلِهِ لا لِتَأْخُذُوا الهُدَى مِنْهُ، لَكِنْ لِتَجْتَهِدُوا فِي تَخْرِيجِهِ عَلَى شَوَاذِّ اللُّغَةِ، وَوَحْشِيِّ الأَلْفَاظِ، وَغَرَائِبِ الكَلامِ...)، يلزم على قولهم أن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: (إنما أنزلت

القرآن لأمتحنكم، ننظر القوي منكم من الضعيف في فكره وفي عقله، أمتحنكم بتخريج هذه النصوص على عقولكم، من الذي يصيب، ومن الذي يخطئ؟)، فكأن القرآن امتحان، وليس هدى؛ مثلما تسأل الطلاب عن أشياء، منهم من يتوصل إلى الجواب الصحيح، ومنهم من يُخفق. هكذا يلزم على قولهم في حق الله جَلَّ وَعَلَا أنه أنزل الكتاب ليمتحنهم فقط: من الذي يعرف الحق بعقله، ومن الذي لا يعرفه؟ ويفسرون القرآن بالغرائب، ويحملونه على المحامل البعيدة وعلى وحشي اللغة المهجور، ويأتون بوجوه بعيدة يفسرون بها القرآن؛ حتى يتوصلوا -بزعمهم- إلى مراد الله. هل يليق بالله عَزَّوَجَلَّ هذا الأمر؟! لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ، هذا معناه التعجيز و التضليل للناس، والله جَلَّ وَعَلَا رحيم بعباده رؤوف بعباده، يعلم ضعفهم، ويعلم قصور أفهامهم؛ ولذلك لم يكلهم إلى عقولهم، وإنما أمرهم باتباع الوحي، من كان يعلم من الوحي علمًا صحيحًا، فليأخذ بالعلم الصحيح، ومن كان لا يعلم، فليسأل أهل العلم، ولا يتخبط في أمر لا يحسنه، لكن أين هذا؟! الآن في وقتنا ظهرت الأفكار الغريبة وحرية الرأي -كما يقولون- والرأي الآخر، يعني: كأن ما عندنا وحي ولا عندنا شرع، وإنما هي آراء؛ هذا رأيي، وهذا رأيك، أنت ما تحجر علي، وأنا ما أحجر عليك، وكلٌ يتبع رأيه. هذا هو الضلال -والعياذ بالله-، أنا وأنت وفلان نرجع إلى كتاب الله، نعرض رأيي ورأيك ورأي فلان على كتاب الله، فما شهد له الوحي، فهو الصحيح، وما خالف الوحي، فهو الباطل، ويجب الرجوع عنه، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، خير لكم من التخبط وأحسن مآلًا وعاقبة لكم؛ لأن الوحي معصوم من الله عَزَّوَجَلَّ، أما آراؤكم وأفكاركم، فليست معصومة، بل هي عرضة للخطأ والنقص.

يقولون: (فما أعجزكم تفسيره -ولو بالوجه البعيد والغريب-، ما أعجزكم تفسيره وتأويله، فتوقفوا فيه، لكن اعتقدوا أن ظاهره غير مراد، وإنما المقصود منه لا يعلمه إلا الله)، هذه طريقة المفوضة، ومعناه: أن الله أنزل علينا أحاجيَ وألغازًا لانعلمها!! والله أنزل الكتاب هدى للناس، ما أنزله للأحاجي والألغاز، نعم قد يخفى على كثير من الناس معنى النصوص، لكن هؤلاء يرجعون إلى أهل العلم والبصيرة، وأعلم الناس بالقرآن والسنة بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون والقرون المفضلة، فيُرجع إلى كلامهم وتفسيرهم، هذا هو طريق الصواب طريق الحق؛ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، اتبعوهم بالقول والعمل والأخلاق والسمت، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، حازوا على رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا هو المقصود.



وَهَذَا الكَلامُ قَدْ رَأَيْتُهُ صَرَّحَ بِمَعْنَاهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، وَهُوَ لازِمٌ لِجَمَاعَتِهِمْ لزُومًا لَا مَحِيدَ عَنْهُ، وَمَضْمُونُهُ: أَنَّ كِتَابَ اللهِ لَا يُهْتَدَى بِهِ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مَعْزُولٌ عَنِ التَّعْلِيمِ وَالإِخْبَارِ بِصِفَاتِ مَنْ أَرْسَلَهُ، وَأَنَّ النَّاسَ عِنْدَ التَّنَازُعِ لَا يَرُدُّونَ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ، بَلْ إِلَى مِثْلِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِلَى مِثْلِ مَا يَتَحَاكَمُ إِلَيْهِ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالأَنْبِيَاءِ؛ كَالْبَرَاهِمَةِ، وَالْفَلاسِفَةِ -وَهُم الْمُشْرِكُونَ- وَالْمَجُوسُ، وَبَعْضُ الصَّابِئِينَ.**

وَإِنْ كَانَ هَذَا الرَّدُّ لَا يَزِيدُ الأَمْرَ إِلا شِدَّةً، وَلا يَرْتَفِعُ الخِلافُ بِهِ؛ إِذْ لِكُلِّ فَرِيقٍ طَوَاغِيتُ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِمْ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ، وَمَا أَشْبَهَ حَالَ هَؤُلاءِ الْمُتَكَلِّفِينَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٠-٦٢].

الشَّرح

قوله: (**وَهَذَا الكَلامُ قَدْ رَأَيْتُهُ صَرَّحَ بِمَعْنَاهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ**)، هذا صرّح -الذين يقولون: إن القرآن لا يدل على الحق- صرح به طائفة منهم، حتى إن واحدًا من أكابرهم يقول: (القرآن ما جاء بالتوحيد، إنما جاء بالشرك)(١)، لماذا جاء بالشرك؟

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى (٢/ ٢٤٤): (.....وَحَدَّثَنِي الشَّيْخُ الْعَالِمُ الْعَارِفُ كَمَالُ الدِّينِ المراغي شَيْخُ زَمَانِهِ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ وَبَلَغَهُ كَلَامُ هَؤُلَاءِ فِي التَّوْحِيدِ قَالَ: قَرَأْت عَلَى الْعَفِيفِ =

لأنه يثبت الأسماء والصفات لله، وهذه موجودة في الخلق، فإثباتها شرك بزعمهم. أو يقولون: إن إثبات الأسماء والصفات يقتضي أنها مشاركة لله عَزَّوَجَلَّ، مشاركة لله في القدم والأولية والأزلية، فيكون هذا فيه شرك عندهم.

ولهذا قال بعض أكابرهم: (لابن خزيمة كتاب اسمه «كتاب التوحيد»، وهو في الحقيقة يقول: كتاب الشرك[1])، لماذا؟ لأنه جاء بالأحاديث التي تثبت الأسماء والصفات، وإثبات الأسماء والصفات عنده شرك، هذا لغطه وعقله -والعياذ بالله-، هذا موجود في كلام واحد منهم، من أكابرهم.

قوله: (**وَهُوَ لازِمٌ لِجَمَاعَتِهِمْ لِزُومًا لَا مَحِيدَ عَنْهُ**)، الذي ما صرح لازم منه الشيء هذا، الذي صرح صرح، وقال ما عنده، لكن الذي ما صرح يلزمه الكلام هذا، ما دام أن الكتاب والسنة ليسا كتاب هداية ولا عقيدة، فمعناه: أنهما كتاب ضلال وشرك، وأن الحق هو ما تدل عليه العقول والأفكار.

قوله: (**وَمَضْمُونُهُ أَنَّ كِتَابَ اللهِ لَا يُهْتَدَى بِهِ فِي مَعْرِفَةِ اللهِ، وَأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْزُولٌ عَنِ التَّعْلِيمِ وَالإِخْبَارِ بِصِفَاتِ مَنْ أَرْسَلَهُ، وَأَنَّ النَّاسَ عِنْدَ التَّنَازُعِ لَا يَرُدُّونَ مَا تَنَازَعُوا فِيهِ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ**...)، هذا معناه: أنه ما زادنا نزول القرآن والسنة إلا حيرة واضطرابًا، ولو سلمنا من القرآن والسنة، لكنا على طريق

= التلمساني مِنْ كَلَامِهِمْ شَيْئًا فَرَأَيته مُخَالِفًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَلَمَّا ذَكَرْت ذَلِكَ لَهُ قَالَ: الْقُرْآنُ لَيْسَ فِيهِ تَوْحِيدٌ بَلْ الْقُرْآنُ كُلُّهُ شِرْكٌ وَمَنْ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ لَمْ يَصِلْ إِلَى التَّوْحِيدِ).

(١) القائل هو: فخر الدين الرازي: قال في مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٧/ ٥٨٢): (... وَاعْلَمْ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ أَوْرَدَ اسْتِدْلَالَ أَصْحَابِنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي سَمَّاهُ «بِالتَّوْحِيدِ»، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كِتَابُ الشِّرْكِ، وَاعْتَرَضَ عَلَيْهَا، وَأَنَا أَذْكُرُ حَاصِلَ كَلَامِهِ بَعْدَ حَذْفِ التَّطْوِيلَاتِ، لِأَنَّهُ كَانَ رَجُلًا مُضْطَرِبَ الْكَلَامِ، قَلِيلَ الْفَهْمِ، نَاقِصَ الْعَقْلِ).



الصواب؛ ما تدل عليه العقول والأفكار عندهم. هذا وإن لم يقولوه بألسنتهم، فهو لازم لمذهبهم وكلامهم، بل منهم من صرح به -كما قال الشيخ-؛ كما سبق عن بعض أساطينهم أنه يقول: (إن كتاب التوحيد لابن خزيمة كتاب شرك، وإن القرآن والسنة جاءا بالشرك)، نسأل الله العافية! هل بعد هذا الضلال ضلال؟!

هذا مقتضى كلامهم ومؤداه، وأننا نرجع إلى الجاهلية، مادام أن الشرع ما هو بكلام هداية، نرجع إلى ما كانت عليه الجاهلية العالمية.

(**كَالْبَرَاهِمَةِ**)[1]، البراهمة: هم المتصوفة من الهند.

(**وَالْفَلاسِفَةِ**): من اليونان، وهم الذين يدعون الحكمة ومعرفة العلل.

(**وَبَعْضُ الصَّابِئِينَ**): هم: الذين لا دين لهم، الذين خرجوا من الأديان.

قوله: (**وَإِنْ كَانَ هَذَا الرَّدُّ لَا يَزِيدُ الأَمْرَ إِلا شِدَّةً، وَلا يَرْتَفِعُ الخِلافُ بِهِ**)، الرد إلى الكتاب والسنة لا يزيد الأمر إلا شدة وحيرة واضطرابًا، الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، معناه: أن الرد يزيل الشكوك والأوهام، ويورث اليقين والعلم. هم يقولون: (لا، الرد إنما يورث الاضطراب والحيرة)، هذا رد على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(**وَلا يَرْتَفِعُ الخِلافُ بِهِ**)، مع أن الله جَلَّ وَعَلَا جعل القرآن رافعًا للخلاف؛ ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، هم يقولون: (القرآن والسنة لايرفعان الخلاف).

قوله: (**إِذْ لِكُلِّ فَرِيقٍ طَوَاغِيتُ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَيْهِمْ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ، وَمَا أَشْبَهَ حَالِ هَؤُلاءِ المُتَكَلِّفِينَ...**)، كل فريق من هؤلاء الضلال له

---

(١) نسبة إلى «براهما» أحد ملوكهم ثم أصبح الاسم علمًا على هذه الديانة، وهم ينكرون النبوات ولايشربون الخمر ولا النبيذ. انظر: الفصل في الملل والنحل لابن حزم (١/ ٦٣)، وتلبيس إبليس (ص٨٢)، والملل والنحل (٢/ ٢٥٠)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ١٤٠).

طاغوت، والطاغوت: هو الذي يحكم بغير ما أنزل الله، فكل فريق لهم إمام وقائد يأخذون بكلامه، ويحكمونه في غير ما أنزل الله، فهو طاغوت، الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [النساء:٥١]، ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:٦٠]، فالطاغوت هو من حكم بغير ما أنزل الله، وقادتهم وأئمتهم طواغيت؛ لأنهم يحكمون بغير ما أنزل الله، يحكمون بعقولهم وفلسفتهم وأفكارهم .

(﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾)؛ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾، أعطاهم الله الكتاب، وأمرهم بالرجوع إليه، لكنهم خالفوا، يريدون أن يتحاكموا إلى الطواغيت من الفلاسفة وعلماء الكلام بدلًا من الكتاب، والآية نزلت في قصة، وهي أن منافقًا ويهوديًا وقعت بينهما خصومة، فقال اليهودي: (نتحاكم إلى محمد)؛ لعلمه أن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لا يأخذ الرشوة، وقال المنافق الذي يدعي الإيمان بالرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: (نتحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي)؛ لعلمه أنه يأخذ الرشوة، وهو يدعي الإيمان -والعياذ بالله-، فأنزل الله هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾[1].

---

(١) قال الطبري: (وَقَالَ الشَّعْبِي: (كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَ رَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ؛ لِأَنَّهُ عُرِفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ. وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ، فَاتَّفَقَا عَلَى أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي جُهَيْنَةَ، فَيَتَحَاكَمَا إِلَيهِ، قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ [النساء:٦٠] الآية). تفسير الطبري (٧/ ١٩٠). =

قال: ﴿يَزۡعُمُونَ﴾، يعني: يدعون الإيمان، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾، يعني: إلى غير كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾؛ أن يكفروا بالطاغوت، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، الكفر بالطاغوت واجب على المسلم، ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾، هذا هو سبب الضلال، ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ﴾؛ يبعدهم عن الحق بعدًا شاسعًا، ليس بعدًا قريبًا، بل ﴿أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ -والعياذ بالله! الشيطان ما يرضى بالضلال اليسير والكفر اليسير، بل يحاول مع ابن آدم أن يبعده عن الحق مهما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، وهو القرآن، ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾، وهو: السنة النبوية، ﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾، انظر! في الأول قال: ﴿يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾، وهنا وصفهم بالنفاق؛ أنهم يظهرون دعوى الإيمان، وهم في الحقيقة في قلوبهم الكفر، ﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾، والمنافق: هو الذي يدعي الإيمان، ويبطن الكفر، ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾، مؤكد، يصدون: يعرضون، يميل عنقه، ولا يقبل من الكبر والحقد على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يزعم أنه مؤمن، يقولون: (نشهد إنك لرسول الله)، ﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا﴾، إذا كُشف أمرهم وافتضحوا،

= وقيل: (نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: نَتَرَافَعُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ الآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَافَعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا القِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فَقَتَلَهُ). أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص١٠٧، ١٠٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢٤٢، ٢٤٣) معلقًا من طريق الكلبي، عن أبي صالح باذام، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به. وأخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ٩٩٤) من طريق ابن لهيعة عن أبي الأسود.

جاءوا يعتذرون إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾؛ أنزل الله بهم عقوبة، وكشف أمرهم، وفضح سرهم، ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ ﴾ إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾؛ ما قصدنا بمخالفتك الضلال والكفر، وإنما اجتهدنا، هذا اجتهاد، قصدنا الإحسان إلى الناس والصلح بينهم والتوفيق بين القرآن وبين مشاكل وأحوال الناس، ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾، في قلوبهم الكفر، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ [النساء:٦٣]، أي: أنكِر عليهم، ولا تتركهم، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾، يعني: اعترفوا بخطئهم، ما قالوا: (أردنا إحسانًا وتوفيقًا)، بل اعترفوا بالخطأ؛ ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء:٦٤]، ثم قال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، لا يؤمنون، وإن كانوا يقولون: (آمنا)، هذا كذب، الإيمان له علامات وله أعمال، ما هو باللسان، الإيمان باللسان وبالقلب وبالفعل؛ قولًا وعملًا واعتقادًا.

﴿وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾؛ ينقادون، ولا يكون في صدورهم شيء من التحرج أو من الندم، بل يفرحون أن الله وفقهم للحق، وإن كان حُكم عليهم، فإنه سلموا من الظلم، المحكوم عليه يسلم من الظلم وأخذ أموال الناس بالباطل، فخير له أن يتخلص في الدنيا من مظالم الناس، ولو كان محكومًا عليه؛ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ

إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور:٥١]، المؤمن ينقاد، ولا يجد في نفسه أي حرج من ذلك، ولا يشك في حكم الله ورسوله، بل يعتقد أنه هو الحق، سواء له أو عليه، هذا هو المؤمن.

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد أن يشبه حال هؤلاء المتكلمين الذين يزعمون أنهم يؤولون النصوص، يقولون: (نحن ما قصدنا شرًا، نحن قصدنا الخير)، نقول: هل الذي قصده الخير يترك الكتاب والسنة، ويُحَكِّم العقول؟! هل هذا قصده الخير؟! الخير باتباع الكتاب والسنة.

يُشبه حال هؤلاء المتكلمين بحال القصة التي وقعت على عهد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ سواء بسواء؛ لأنهم كلهم واحد، تحكيم لغير الشرع في الزمان السابق وفي حالة هؤلاء، كله تحكيم لغير الشرع، غاية ما هنالك أن أولئك اختلفوا في قضية مال بينهم -اليهودي والمنافق-، وأما هؤلاء، فقد اختلفوا في قضية أعظم، وهي قضية العقيدة، قضية العقيدة أخطر من قضية المال، والحقوق الواجب أن يُحكم فيها القرآن والسنة، إذا كان القرآن والسنة يجب أن يُحكّم في قضية الشاة والدرهم والأمور الدنيوية، فكيف لا يحكّم بما هو أشد، وهو العقيدة؟

فالواجب على المسلمين أن يحكموا القرآن في كل شيء، في كل نزاع، في العقيدة، في المعاملات، في الأحوال الزوجية...؛ ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾، شيء: هذا عام، كلمة ﴿شَيۡءٖ﴾ نكرة في سياق الأمر تعم كل نزاع، كبيرًا كان أو صغيرًا، عقائديًا أو عمليًّا، ماليًّا أو غير مالي، في كل شيء.

هناك الآن من يجعلون تحكيم الشرع في أمور المنازعات والخصومات فقط، لكن ما يحكمونه في العقائد، ولا يحكمونه في الخلافات التي بينهم؛ المنهجيات

والحزبيات، إنما يطالبون بتحكيمه في جزئية بسيطة، وهي الأموال فقط. وهذا ما يكفي، لابد أن يُحكم القرآن والسنة في كل شيء: في العقائد، في المنهجيات، في الحزبيات، في الأموال، في الزوجيات، في كل مشكلة؛ لأنهما كفيلان بحل المشاكل كلها.





فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكِتَابِ وإِلَىٰ الرَّسُولِ -وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ هُوَ الدُّعَاءُ إِلَىٰ سُنَّتِهِ-، أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّا قَصَدْنَا الإِحْسَانَ عِلْمًا وَعَمَلًا بِهَذِهِ الطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكْنَاهَا، وَالتَّوْفِيقَ بَيْنَ الدَّلَائِلِ العَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ.

الشَّرح

قوله: (**فَإِنَّ هَؤُلَاءِ إِذَا دُعُوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الكِتَابِ وإِلَىٰ الرَّسُولِ -وَالدُّعَاءُ إِلَيْهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ هُوَ الدُّعَاءُ إِلَىٰ سُنَّتِهِ**)، الدعوة إلى الله: الدعوة إلى الكتاب، إلى القرآن، الدعوة إلى الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته: إلى شخصه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٦٤]، هذا يوم حياته، أما بعد وفاته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالرجوع إلى الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الرجوع إلى سنته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كأن الرسول موجود بيننا، ما دامت سنته الصحيحة موجودة، فالرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجود. هذا كلامه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحكمه، ولهذا قال: «**إِنِّي تَارِكٌ فيكم مَا إِنْ تَمسَّكتم بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَي: كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّتِي**»(١)، وقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»(٢).

(**فَإِنَّ هَـؤُلَاءِ إِذَا دُعُـوا**)، الإشارة ترجع إلى من؟ الإشارة ترجع إلى هؤلاء المتكلمين والفلاسفة، الذين يأخذون العقائد من غير الكتاب والسنة، لهم شبه بالأولين المنافقين الذين على عهد الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والقرآن نزل إلى آخر الزمان يحكم في القضايا، ما هو خاص بالزمان الأول فقط.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

(٢) سبق تخريجه (ص٣١).

قوله: **(أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّا قَصَدْنَا الإِحْسَانَ عِلْمًا وَعَمَلًا بِهَذِهِ الطَّرِيقِ الَّتِي سَلَكْنَاهَا)**؛ الإحسان إلى الناس، نخَلِّص مشاكلهم، ونحل مشاكلهم، هل تخلّصون مشاكل الناس بغير القرآن والسنة؟! هذا باطل.

قوله: **(وَالتَّوْفِيقَ بَيْنَ الدَّلائِلِ العَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ)**، علم المنطق وعلم الكلام والقرآن، القرآن يدل على الأسماء والصفات، والعقول ما تدل على هذا، بل تنفيها، بينهم اختلاف، يقولون: (نريد أن نوفق بين العقول والقرآن)، بأي شيء نوفق؟ (بالتأويل، نؤول النصوص؛ حتى تتوافق مع العقول)، فيُخضعون النصوص للعقول، والواجب العكس؛ أن تُخضع العقول للنصوص، هذا هو الواجب. وما أشبه الليلة بالبارحة! الآن هم على هذا المنهاج وعلى هذا النمط.



ثُمَّ عَامَّةُ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا دَلائِلَ إِنَّمَا تَقَلَّدُوا أَكْثَرَهَا عَنْ طَوَاغِيتَ مِنْ طَوَاغِيتِ المُشْرِكِينَ أَو الصَّابِئِينَ، أَوْ بَعْضِ وَرَثَتِهِم الَّذِينَ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ مِثْلِ فُلانٍ وَفُلانٍ، أَوْ عَمَّنْ قَالَ كَقَوْلِهِمْ لِتَشَابُهِ قُلُوبِهِمْ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا ٱخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢١٣].

وَلازِمُ هَذِهِ المَقَالَةِ أَنْ لَا يَكُونَ الكِتَابُ هُدًى لِلنَّاسِ، وَلا بَيَانًا وَلا شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَلا نُورًا، وَلا مَرَدًّا عِنْدَ التَّنَازُعِ، لأَنَّا نَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ مَا يَقُولُهُ هَؤُلاءِ المُتَكَلِّفُونَ أَنَّ الحَقَّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، لَا نَصًّا وَلا ظَاهِرًا، وَإِنَّمَا غَايَةُ المُتَحَذْلِقِ أَنْ يَسْتَنْتِجَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥].

وَبِالاضْطِرَارِ يَعْلَمُ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّ مَنْ دَلَّ الخَلْقَ عَلَى أَنَّ اللهَ لَيْسَ عَلَى العَرْشِ، وَلا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ **لَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَةَ، وَهُوَ إِمَّا مُلْغِزٌ، أَوْ مُدَلِّسٌ، لَمْ يُخَاطِبْهُمْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ.**

وَلازِمُ هَذِهِ المَقَالَةِ أَنْ يَكُونَ تَرْكُ النَّاسِ بِلَا رِسَالَةٍ خَيْرًا لَهُمْ فِي أَصْلِ دِينِهِمْ؛ لأَنَّ مَرَدَّهُمْ قَبْلَ الرِّسَالَةِ وَبَعْدَهَا وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا الرِّسَالَةُ زَادَتْهُمْ عَمًى وَضَلالًا.

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ عَامَّةُ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا دَلائِلَ إِنَّمَا تَقَلَّدُوا أَكْثَرَهَا عَنْ طَوَاغِيتَ مِنْ طَوَاغِيتِ الْمُشْرِكِينَ أَو الصَّابِئِينَ، أَوْ بَعْضِ وَرَثَتِهِم الَّذِينَ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِمْ مِثْلِ فُلانٍ وَفُلانٍ)، هذا المنهج الذي ساروا عليه من تحكيم العقول والإعراض عن الكتاب والسنة، من أين تلقوه؟ تلقوه من طواغيت سابقين أعداء للرسل، طواغيت إما من اليونان أو الفرس أو من أي جهة، أعداء للرسل كفرة، أخذوا هذا المذهب عنهم.

قوله: (أَوْ عَمَّنْ قَالَ كَقَوْلِهِمْ لِتَشَابُهِ قُلُوبِهِمْ)، أو أخذوه عن ناس قلدوا من سبق، وساروا عليه من غير بصيرة وروية، الآن تجدهم يأخذون كتب المنطق وعقائد المنطق، ويدرسونها كأنها قضايا مسلمة، ولا يرجعون إلى القرآن والسنة، يدرسون كلام المناطقة في العقائد، يقولون: (هذه يقينيات وبراهين، أما الكتاب والسنة، فهي ظواهر ما تدل على اليقين)، عقائدهم الآن مبنية على هذا، في مدارسهم، وجامعاتهم، وكلياتهم، فالشر موجود، بل يزيد -والعياذ بالله!

(لِتَشَابُهِ قُلُوبِهِمْ)، أي: تشابهت قلوبهم، **﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾** [البقرة:١١٨]، لما تشابهت قلوبهم، تشابهت أقوالهم.

قوله: (قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾)؛ لأن الإيمان ما هو بدعوى، الإيمان حقيقة، الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

كيف يقول: إنه مؤمن، وهو يتحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله؟! لو كان مؤمنًا، لتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، ففعله يخالف قوله، ويدل على اعتقاده في القلب؛ أنه ما هو بصحيح، إنه نفاق -والعياذ بالله!

قوله: (قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾)، ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، هذا دليل على أنه لا هداية إلا بالكتاب المنزل -سواء التوراة أو الإنجيل أو الزبور أو القرآن-، الكتاب المنزل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن آخر الكتب هو القرآن، الذي استقر عليه الأمر إلى أن تقوم الساعة هو القرآن، فلا يحكم في الفصل بين الناس في العقائد والخلافات إلا القرآن، والسنة تابعة للقرآن، أما الذي يحكم غير القرآن، فهذا لايمكن أن يصل إلى حل أبدًا، وإنما يصل إلى ظلم وحيرة واضطراب، في المقالات والاعتقادات أو الخصومات، ما في حل إلا تحكيم الكتاب والسنة لأهل الإيمان الذين يقولون: (إننا آمنا)، هذا منهجهم.

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، اختلف المفسرون[١] على قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾، هل المراد أمة واحدة على الإيمان والتوحيد، ثم حصل الخلاف، فأنزل الله الكتاب، وأنزل الرسل لحل الخلاف بعدما وقع؟ هذا قول، وهو قول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَشَرَةُ قُرُونٍ، كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٣٣٤)، وابن كثير (١/ ٢٥١)، والدر المنثور (١/ ٥٨٢)، وأضواء البيان (٣/ ٨٠).

الحَقِّ»[(١)]، ثم حصل الشرك أول ما حصل في قوم نوح، لما صوروا الصور على أشكال الصالحين الأموات، ونصبوها، ثم أغراهم الشيطان، فعبدوها، فأرسل الله الرسل بداية بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنزل الكتب؛ لأجل رفع هذا النزاع، وهذا الشرك؛ ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ﴾، يعني: كان الناس في الأصل أمة واحدة على التوحيد، فاختلفوا -في الآية تقدير-، ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، بدليل آية سورة يونس: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [يونس:١٩]، دلَّ على أن الخلاف حادث، وليس أصيلًا، وإنما الأصل الوحدة على التوحيد والإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ. هذا قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

القول الثاني: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾، يعني: على الشرك، ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾، وعلى كلا القولين فإن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب لهداية الناس من الاختلاف ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾، الكتاب: اسم جنس يعم الكتب السماوية كلها، ﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾، لأي شيء؟ ﴿ لِيَحْكُمَ ﴾، يعني: أنزل الكتاب ليُقرأ فقط ويُترنّم به ويرتّل، ويُجعل في الاحتفالات؟! لا.. أنزله ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾، هذه الحكمة من إنزال الكتاب، إذًا كيف تحكمون غير الكتاب، والله أنزل

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٦٢١)، وابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٩٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَشَرَةُ قُرُونٍ، كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الحَقِّ، فَاخْتَلَفُوا، ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة:٢١٣]». وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٨٠) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ بَيْنَ آدَمَ، وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الحَقِّ، فَلَمَّا اخْتَلَفُوا بَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ فَكَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً». وقال: (هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ).

الكتاب ليحكم؟! تعزلون الكتاب، وتحكمون عقولكم وقواعدكم! هذا عزل للكتاب الذي أنزله الله! فالآية واضحة أن الله أنزل الكتاب لأجل فصل الخصومة بين العالم وبين البشر، هم عزلوا الكتاب، وحكموا غيره -والعياذ بالله-، فخالفوا ما شرعه الله سبحانه وما أراده الله.

قوله: (**وَلازِمُ هَذِهِ المَقَالَةِ أَنْ لَا يَكُونَ الكِتَابُ هُدًى للنَّاسِ، وَلا بَيَانًا وَلا شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَلا نُورًا، وَلا مَرَدًّا عِنْدَ التَّنَازُعِ**)، إذا كنا نريد أن نحكم العقول والمنطق والأفكار، فمعناه: أن القرآن ليس كما وصفه الله هدى للناس، بل هو جاء للتعمية والتضليل -على زعمكم-، الله أنزل الكتاب هدى، وأنتم تقولون: (لا. الكتاب ما فيه هداية، ما فيه إلا الحيرة والاضطراب)!

﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾، فلا يحكم ولايرفع النزاعَ بين الناس إلا الكتابُ، أما العقول والأفكار والآراء، فلن تحل النزاع، كل واحد يتعلّق برأيه، وتأتي مقالة: (أنت ما تفرض عليّ رأيك)، صحيح ما تفرض عليّ رأيك، لكن أفرض عليك الوحي الذي هو حاكم على الجميع، أما إذا رجعنا للآراء، كل واحد يقول: (أنت ما تفرض عليّ رأيك)، لكن إذا قلنا: المرجع إلى الكتاب، انتهى النزاع، وانحلت الخصومة، ولذلك تجدهم في أمر مريج، ما انحل نزاعهم فيما بينهم، وتجد أهل السنة والجماعة -ولله الحمد- إخوة متحابين، ما بينهم إشكال، ولابينهم اختلاف؛ لأنهم يحكمون بما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ. فتأمّل الفرق بين هؤلاء وهؤلاء.

قوله: (**وَلازِمُ هَذِهِ المَقَالَةِ**)؛ مقالة المتكلمين الذين يقولون: (إن القرآن لايؤخذ منه الهداية؛ لأنه فيه تعمية، وليس على ظاهره)، يلزم على هذا أن القرآن

ما هو بهدى وما هو بشفاء، فيكذبون الله جَلَّوَعَلَا الذي قال: إنه هدى وإنه شفاء وإنه رحمة. فتأمّل قوله: (وَلازِمُ هَذِهِ المَقَالَةِ)، هم ما قالوا هذا صراحة، لكن هذا يلزم على قولهم، ولازم الباطل باطل.

(وَلازِمُ هَذِهِ المَقَالَةِ أَنْ لَا يَكُونَ الكِتَابُ هُدًى للنَّاسِ)، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، هم يقولون: (لا)، ما قالوها صراحة، وإن كانوا يعتقدونها في قلوبهم، لكن هذا يلزم على كلامهم.

قوله: (وَلا بَيَانًا وَلا شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَلا نُورًا، وَلا مَرَدًّا عِنْدَ التَّنَازُعِ)، الله وصف القرآن بأنه شفاء للقلوب، وشفاء حتى للأمراض الجسمية، إذا قرأت على المريض والمصاب، بإذن الله يُشفى؛ رُقية، وشفاء للقلوب وللصدور لما فيها من الوساوس والشكوك والأوهام، فهو شفاء، وهو رحمة، وهو نور، وهو روح، أوصاف كلها لهذا القرآن الذي نقص قدره عند هؤلاء، واعتبروه إنما هو كتاب أذكار وأوراد فقط، ويُقرأ على المرضى ويتبركون به فقط، أما الحكم، فهو لغيره.

قوله: (لأَنَّا نَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ مَا يَقُولُهُ هَؤُلاءِ المُتَكَلِّفُونَ أَنَّ الحَقَّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، لَا نَصًّا وَلا ظَاهِرًا)، يقول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نحن نعلم بالاضطرار -العلم الضروري- أن هذا الذي يقولون أنه ما دل عليه لاكتاب ولا سنة، ما دام ما دل عليه كتاب ولا سنة، فهو باطل.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(وَلازِمُ هَذِهِ المَقَالَةِ)**، أي: مقالة المعطلة أن الأسماء والصفات لله لا تؤخذ من القرآن والسنة، إنما تؤخذ من الأدلة العقلية والبراهين اليقينية -بزعمهم-، فلازم هذه المقالة أن ترك الناس بلا كتاب وبلا رسول أحسن، ما

دامت العقول كافية وعلم الكلام يكفي، فإن وجود الكتاب والسنة لا قيمة له -على مقالتهم-؛ لأن عندنا ما يكفينا من أفكارنا وعقولنا وتصوراتنا، هذا ما يلزم على كلامهم.

وعمدة مذهبهم النفي -نفي الأسماء والصفات-، وربما يستدلون بأدلة التنزيه؛ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، فيقولون: (لو أثبتنا الأسماء والصفات، صار مماثلًا لخلقه، وصار له سمي من خلقه، فنحن ننفيها من أجل التنزيه لله عن مشابهة المخلوقين)، هذا وجهة نظرهم.

والاستدلال بآيات النفي لا يكفي، هناك إثبات: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢]، هذا إثبات الحياة والقيومية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، هذا إثبات، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١٦]، هذا إثبات، فتوحيد الأسماء والصفات يعتمد على شيئين: على الإثبات والنفي؛ إثبات الأسماء والصفات لله، ونفي المشابهة والتمثيل؛ كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، جمع بين النفي والإثبات؛ نفي المماثلة والمشابهة، وإثبات الأسماء والصفات، هذه هي القاعدة القرآنية. أما أنه يعتمد على النفي فقط، فهذا ضلال. مذهبهم لا يدل عليه الكتاب والسنة، وإنما يدل الكتاب والسنة على الإثبات، لا على النفي فقط.

قوله: (وَإِنَّمَا غَايَةُ الْمُتَحَذْلِقِ أَنْ يَسْتَنْتِجَ هَذَا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥])، أي: المتحذلق منهم، الذي يُظهر الحذق، وهو ليس بحاذق، في الحقيقة هو متحذلق، هناك فرق

بين الحاذق والمتحذلق، الحاذق هو الذي أعطاه الله الحذق، وأما المتحذلق، فهو الذي يدعى الحذق، وليس حاذقًا.

وهذه طريقة أهل الضلال؛ يأخذون بعض النصوص، ويتركون بعضها، يأخذون ما يظنون أنه يؤيد قولهم، ويتركون ما يخالف قولهم؛ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧]، يأخذون المتشابه، ويتركون المحكم، والمسلم والعالم والعاقل يأخذ كلام الله كله، ويفسر بعضه ببعض، ويرد بعضه إلى بعض، يرد المتشابه إلى المحكم، ولا يضرب كتاب الله بعضه ببعض، وإنما يعمل بكتاب الله كله، ما يأخذ جانبًا ويترك الجانب الآخر؛ كحالة أهل الضلال

قوله: (وَبِالاضْطِرَارِ يَعْلَمُ كُلُّ عَاقِلٍ أَنَّ مَنْ دَلَّ الخَلْقَ عَلَى أَنَّ اللهَ لَيْسَ عَلَى العَرْشِ، وَلا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ لَقَدْ أَبْعَدَ النُّجْعَةَ)، (مَنْ دَلَّ الخَلْقَ)، يعني: من استدلّ على نفي العلو لله على مخلوقاته ونفى استواء الله على عرشه؛ أخذًا من قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾، أن هذا قد أبعد الاستدلال؛ لأن الآية لا تدل على نفي الاستواء ونفي العلو، وإنما تنفي المشابهة والمماثلة، ولا تنفي علو الله على مخلوقاته علوًا يليق به، واستواءه على عرشه استواء يليق به، وإثبات الوجه لله واليدين، وصفات الذات وصفات الأفعال، ما تدل الآية على نفي هذه الصفات الكمالية التي ثبتت لله جَلَّوَعَلَا -صفات الكمال-، فهم -كما سبق- أخذوا جانب النفي، وتركوا جانب الإثبات كعادة أهل الضلال دائمًا، يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض، يأخذون ما يصلح لهم، ويتركون ما يخالف رأيهم، بل إن أهل الضلال في الأحاديث النبوية يأخذون ما يصلح لرأيهم، ولو كان حديثًا موضوعًا أو ضعيفًا، ويتركون الأدلة الصحيحة والأحاديث الصحيحة التي تخالف قولهم، ويؤولونها ويفسرونها بغير تفسيرها،



ويلْوون أعناقها؛ حتى تخضع لقولهم، هذه عادة أهل الضلال دائمًا وأبدًا، فيجب الحذر منهم ومن مذهبهم الباطل، وهذا ليس خاصًا في باب الأسماء والصفات، بل هو عام في كل مذاهبهم الباطلة.

قوله: (وَهُوَ إِمَّا مُلْغِزٌ، أَوْ مُدَلِّسٌ)، (مُلْغِز)، المُلْغِز: الذي يضع الألغاز للناس والأحاجي التي تحتاج إلى تكلف في حلها، ويعجزهم في حلّها، وقد يصيب في حلها، وقد يخطئ. فهؤلاء جعلوا القرآن بمثابة الألغاز، يقولون: (هو ليس على ظاهره، وله تفسير خفي، تفسير ما يعثر عليه إلا الحذَّاق من الناس)، فجعلوا القرآن كأنه ألغاز، ما هو ببيان، الله جَلَّوَعَلَا جعله بيانًا للناس وهدى ورحمة وشفاء، هم يقولون: (لا. القرآن ليس على ظاهره، القرآن له معنى ما يغوص عليه إلا الحذَّاق من الناس)، قد كذبوا في هذا؛ القرآن -ولله الحمد- واضح وميسر؛ ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧]، يستفيد منه العامي والمتعلم والعالم، كل من سمع القرآن، استفاد على قدر ما آتاه الله، فالقرآن واضح -ولله الحمد-، ما هو بألغاز وأحاجيّ.

(أَوْ مُدَلِّسٌ)، المدلس هو: الذي يدلس على الناس، يأتي بكلام ليس على ظاهره، يظن الناس أنه على ظاهره، وهو ليس على ظاهره، هذا مدلس على الناس، مثل تدليس السلع إخفاء عيوبها، والتدليس عند المحدثين معروف[1]، المدلس هذا عيب من عيوب الرواة؛ أن يُظهر أنه لقي الشيخ وروى عنه، وهو ليس كذلك، لم يلقه، أو يدلس أنه تتلمذ على فلان، يجيء باسم موافق لاسمه، وهو ليس بشخصه، هذا هو التدليس. يدلس السند؛ أن السند متصل، وهو منقطع، هذا من التدليس.

---

(١) انظر التدليس وأقسامه في: تدريب الراوي (ص١١٣) وفتح المغيث بشرح ألفية العراقي (١/ ١٩٦) وألفية السيوطي (ص٣٣) بتعليق الشيخ أحمد شاكر.

قوله: (**لَمْ يُخَاطِبْهُمْ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ**)، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، يعني: القرآن، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾؛ على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]، ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢]، يعني: فصيحًا واضحًا، هم يقولون: (لا. إنه ليس على ظاهره، ولا على مدلوله، وإنما هو ألغاز وأحاجيّ)، هذا رأيهم في القرآن.

قوله: (**وَلازِمُ هَذِهِ المَقَالَةِ أَنْ يَكُونَ تَرْكُ النَّاسِ بِلَا رِسَالَةٍ خَيْرًا لَهُمْ فِي أَصْلِ دِينِهِمْ؛ لأَنَّ مَرَدَّهُمْ قَبْلَ الرِّسَالَةِ وَبَعْدَهَا وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا الرِّسَالَةُ زَادَتْهُمْ عَمًى وَضَلَالًا**)، نعم، لو كانت العقول كافية والأفكار كافية، ما احتاج الناس إلى رسالة، بل إن الرسالة زادتهم بلبلة؛ لأنها ليست على ظاهرها، إنما جاءت بألغاز وأحاجيّ وتدليس، فلو سلموا منها، لكان أحسن. هذا يلزم على قول هؤلاء الضلال.

قوله: (**لأَنَّ مَرَدَّهُمْ قَبْلَ الرِّسَالَةِ وَبَعْدَهَا وَاحِدٌ**)؛ لأنّ مردّهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وهو العقول -عقولهم-، إذن فليسوا بحاجة إلى الرسالة، ما زادتهم الرسالة إلا التباسًا، ولو سلموا منها، لكان أحسن لهم. هذا يلزم على كلام المعطلة.

نعم، عمَّت عليهم الأمور تعمية، وأضلتهم؛ لأنها جاءت بما يخالف العقول -بزعمهم-، فهي ضلال، هم ما قالوا: (إنها ضلال)، لكن يلزم على كلامهم هذا؛ لأنهم إذا قالوا: (لا تستدلوا بالقرآن، وإنما تستدلون بالقواعد المنطقية وعلم الكلام)، هذا لازم على كلامهم أن القرآن ما له حاجة، إنما القرآن للتبرك والرقية على المرضى والتلذذ بتلاوته والتطريب به في المجالس فقط. أما من ناحية

الاستدلال ومن ناحية الحكم والبيان، القرآن ما يُعمل به في هذه النواحي، إنما يُتبرك به فقط عندهم، ويُترنم بتلاوته وتجويده، ويُتأكل به، ويُجعل منه الحجب والحروز، ما للقرآن قيمة إلا هذه عندهم.



يَا سُبْحَانَ اللهِ! كَيْفَ لَمْ يَقُلِ الرَّسُولُ ﷺ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَلا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ: هَذِهِ الآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ لَا تَعْتَقِدُوا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، لَكِن اعْتَقِدُوا الَّذِي تَقْتَضِيهِ مَقَايِيسُكُمْ، أَو اعْتَقِدُوا كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنَّهُ الحَقُّ، وَمَا خَالَفَ ظَاهِرَهُ، فَلا تَعْتَقِدُوا ظَاهِرَهُ، وَانْظُرُوا فِيهَا، فَمَا وَافَقَ قِيَاسَ عقولِكِمْ، فَاعْتَقِدُوهُ، وَمَا لَا، فَتَوَقَّفُوا فِيهِ، أَو انْفُوهُ؟

ثُمَّ الرَّسُولُ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ بِأَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً[(١)]، فَقَدْ عَلِمَ مَا سَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللهِ»[(٢)]. وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: «هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»[(٣)].

---

(١) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن جاء من طرق متعددة عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة، فقد روي من حديث أبي هريرة، و أنس، و سعد بن أبي وقاص، ومعاوية، وعمرو بن عوف المزني، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو، رضي الله عنهم أجمعين.
أخرجه أبو داود (٤٥٩٦، ٤٥٩٧)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١، ٣٩٩٢، ٣٩٩٣)، وأحمد في المسند (١٤/ ١٢٤)، (٢٨/ ١٣٤)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ١٥٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٧)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧، ٢١٧)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧٧)، (١٨/ ٧٠)، وفي الأوسط (٥/ ١٣٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٨).
وانظر تمام تخريجه في السلسلة الصحيحة (ح٢٠٤).

(٢) هذا جزء من حديث طويل في صفة حجة النبي ﷺ، أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٣) هذا جزء من حديث الافتراق السابق تخريجه، وجاءت هذه الزيادة من طريق عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، رواها الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨)، والآجري في الشريعة (ص١٥، ١٦)، واللالكائي (١/ ١١٢) وقال: حديث ثابت. وصححه البغوي في شرح السنة (١/ ٢١٣)، ومدار الحديث بهذه الزيادة على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي، قال الحافظ في التقريب: (ضعيف في حفظه...). انظر: الضعفاء للعقيلي (٢/ ٣٣٢)، والكامل في ضعفاء الرجال (٤/ ٢٧٩).

فَهَلَّا قَالَ: مَنْ تَمَسَّكَ بِظَاهِرِ القُرْآنِ فِي بَابِ الاعْتِقَادِ، فَهُوَ ضَالٌّ، وإنَّما الهُدَى رُجُوعُكُمْ إِلَى مَقَايِيسِ عقولِكُمْ، وَمَا يُحْدِثُهُ المُتَكَلِّمُونَ مِنْكُمْ بَعْدَ القُرُونِ الثَّلاثَةِ -وَإِنْ كَانَ قَدْ نَبَغَ أَصْلُهَا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ التَّابِعِينَ؟!

الشَّرح

قوله: (**يَا سُبْحَانَ اللهِ! كَيْفَ لَمْ يَقُلِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَلا أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ: هَذِهِ الآيَاتُ وَالأَحَادِيثُ لَا تَعْتَقِدُوا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ**)، لم يقل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا قال السلف الصالح: (إن هذه الآيات التي في القرآن في أسماء الله وصفاته وتوحيده أنها ليست على ظاهرها، ولا تعتقدوها)، بل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمنا القرآن، وبلغنا إياه، ولم يقل لنا: (الاستدلال بغيره، وإنما الاستدلال بأفكاركم وعقولكم).

الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمنا القرآن، وبلغنا القرآن، وقال: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام:١٩]، السلف قرؤوا القرآن، ولم يعترضوا عليه أبدًا، ولا أشكل عليهم، ولا توقفوا عند آية من آياته، أبدًا، وإنما إذا أشكل عليهم شيء، ردوه إلى الواضح، وفسروه به؛ لأن كلام الله لا يتناقض، يفسر بعضه بعضًا، وإذا كان الواحد لا يُحسن الاستدلال، يسأل أهل العلم؛ ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]، هذه طريقة السلف.

فكون الله جَلَّ وَعَلَا لم يقل لنا: (لا تعتقدوا ما ذكرته لكم في هذا القرآن)، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل: (لا تعتقدوا ما جاء في القرآن)، والسلف الصالح من المهاجرين والأنصار والتابعين وأتباع التابعين والقرون المفضلة ما أحد منهم توقف في هذه الآيات، بل قرؤوها، واعتقدوا ما تدل عليه، وفسروها، ولم تُشكل

عليهم، ثم يأتي بعد ذلك حثالة من الناس، ويأتون بمنهج جديد يخالف ما دل عليه القرآن والسنة وما عليه السلف الصالح، ويقولون للناس: (هذا هو الهدى! فالأولون ماعندهم خبر في هذه الأمور، طريقة السلف أسلم؛ لأنهم ما دخلوا بهذه الأمور، قرؤوه فقط، ومشوا عليه، ما فسروه، طريقتهم أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ لأنهم فسروا هذه الآيات وهذه الأحاديث بما تقتضيه عقولهم وأفكارهم)، هذا مقتضى كلامهم الباطل، وهذا -كما سبق- أنهم يقولون: (السلف بمنزلة العوام والأميين الذين يقرؤون ولا يفهمون، أما الخلف، فإنهم هم الذين غاصوا على المقاصد وفهموها، وطريقتهم أعلم وأحكم)، عندهم العلم إنما هو عند الخلف، وأما السلف، فهم جهال!

قوله: (لَكِن اعْتَقِدُوا الَّذِي تَقْتَضِيهِ مَقَايِيسُكُمْ، أَو اعْتَقِدُوا كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنَّهُ الحَقُّ) المقاييس العقلية يعني: التي هي علم المنطق والجدل والكلام.

قوله: (وَمَا خَالَفَ ظَاهِرَهُ، فَلا تَعْتَقِدُوا ظَاهِرَهُ)، وما خالف ما أنتم عليه من العلوم العقلية، لا تعتقدوه على ظاهره، بل أولوه عن ظاهره.

قوله: (وَانْظُرُوا فِيهَا فَمَا وَافَقَ قِيَاسَ عقولِكِمْ، فَاعْتَقِدُوهُ)، هذه طريقتهم: إن ما وافق عقولهم، قبلوه، وما خالف عقولهم، فإنهم لا يعملون به، وإنما يعملون بعقولهم، وأما القرآن، فيؤولونه عن ظاهره، وبعضهم يفوضه إلى الله، لكن يعتقد أن ظاهره غير مقصود، وليس على ظاهره، ما معناه إذن؟ يقول: (ما أدري، معناه عند الله، لكن ظاهره ما هو بعلى ظاهره)، هؤلاء المفوضة.

أما المؤولة: فهم الذين يفسرونه على مقتضى قواعدهم، ويؤولونه بغير تأويله.

فهم إما مؤولة وإما مفوضة، هذه طريقة الخلف، ويقولون: (إنها أعلم وأحكم من طريقة السلف)، هكذا يقولون.

والواقع -كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] وغيره- أن النص الصحيح لا يخالف العقل الصريح أبدًا، فإن اختلفا، فإما أن النقل غير صحيح، وإما أن العقل غير صريح، أما النصوص، فما جاءت بما يخالف العقول السليمة، إنما جاءت بما يوافق العقول السليمة، ثم أيضًا العقل قاصر، قد يدرك بعض الأشياء، وتغيب عنه أشياء كثيرة؛ لأنه قاصر، عقل بشري، ليس كل ما في القرآن والسنة تدركه العقول، هناك أمور الغيب، والأمور المستقبلة، وهناك أسماء الله وصفاته، وهناك أشياء لاتدركها العقول، فالعقل يقف عند حده. قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:٣٩]، العقول ما تدرك كل شيء؛ فهي قاصرة، لها حد تنتهي إليه؛ ولذلك لم يكلنا الله إلى عقولنا؛ لأنها لا تكفي.

قوله: (وَمَا لَا فَتَوَقَّفُوا فِيهِ أَو انْفُوهُ)، (فَتَوَقَّفُوا فِيهِ): هذا طريق المفوضة، (أَو انْفُوهُ): هذه طريقة المؤولة، يقولون: (ما هو على ظاهره، وتفسير الآية كذا، والحديث كذا)؛ مثل: تفسير الوجه بالذات، ومثل: تفسير اليد بالقدرة، وهكذا، يفسرونها بغير تفسيرها. هل الذات والجسم يسمى وجهًا؟ بأي لغة هذا؟ الوجه

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْبَابِ وَغَيْرِهِ كُلُّهُ حَقٌّ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِفِطْرَةِ الْخَلَائِقِ، وَمَا جُعِلَ فِيهِمْ مِنَ الْعُقُولِ الصَّرِيحَةِ، وَالْقُصُودِ الصَّحِيحَةِ، لَا يُخَالِفُ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ، وَلَا الْقَصْدَ الصَّحِيحَ، وَلَا الْفِطْرَةَ الْمُسْتَقِيمَةَ، وَلَا النَّقْلَ الصَّحِيحَ الثَّابِتَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). انظر: الرسالة العرشية (ص٣٥)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٠، ٧/ ٦٦٥، ١٢/ ٨١)، ودرء تعارض العقل والنقل. وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص٨٣) باب في كسر الطاغوت الثاني.

وجه، والذات ذات. هل اليد معناها القدرة؟ لا. اليد معروفة، اليد هي اليد التي يتصورها العقل، ويراها الناس، وأما القدرة، فهي أمر معنوي، اليد حسية، ويراها الناس، وأما القدرة، فهي أمر معنوي في المخلوق وفي الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما اليد، فهي صفة ذات محسوسة، ففرق بين هذا وهذا، ويفسرون قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢]، يقولون: (أمره)، «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا**»، يقولون: (ينزل أمره)، هل أمره يقول: «**مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟**» هل الأمر يقول كذا، أم الآمر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ «**مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟**»(١)، هل الأمر يقول هذا الكلام؟

قوله: (**ثُمَّ الرَّسُولُ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَدْ أَخْبَرَ بِأَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَقَدْ عَلِمَ مَا سَيَكُونُ**)، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن ما يحدث في المستقبل؛ لأن الله أطلعه على ذلك من أجل مصلحة البشر، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]، الله يُطلع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على شيء من الغيب الماضي والمستقبل من أجل أن يعلم الناس مصالحهم ودينهم، الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا عن المستقبل أنه سيكون هناك اختلاف في هذه الأمة: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً.** قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»(٢)، الذين بقوا على الحق هؤلاء هم الناجون، أما الذين خرجوا عن الحق، فهم في النار؛ منهم

---

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص١٧٧).

من يكون في النار لكفره، ومنهم من يكون في النار لضلاله وفسقه، ما هم على حد سواء، والذي يدخل النار لكفره، هذا خالد مخلد فيها، والذي يدخل النار لفسقه فقط، هذا يُعذب فيها، ثم يُخرج منها؛ فسقة المؤمنين وعصاة المؤمنين، فقوله: «**كُلُّهُمْ فِي النَّارِ**» هذا من باب الوعيد، ما هو معناه أن كل مخالف كافر، وهو في النار مخلد فيها، لا. هذا من أحاديث الوعيد، وهم يتفاوتون في دخولهم النار؛ منهم من يدخلها مخلدًا فيها، ومنهم من يدخلها مؤقتًا، وهم عصاة المؤمنين.

فالحاصل أن كل ما خالف ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فهو من الفرق الثلاث والسبعين، وهو متوعد بالنار، ولا يبقى على الحق ومن أهل الجنة إلا من بقي على طريقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هذا مما أخبرنا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إخبارًا معناه التحذير من مخالفة ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتحذير من الافتراق، والحث على الاجتماع على الحق ولزوم طريقة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هذا الذي أخبرنا عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا معناه الحث على لزوم ما كان عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا نغتر بالفرق وكثرتها، ونقول: (ما هو بكل هؤلاء على ضلال، كثيرون وأهل الحق قليلون)! ما نغتر بالكثرة، بل علينا أن ننظر ما عليه الناس؛ ما كان حقًّا، أخذناه، ولو لم يكن عليه إلا واحد، أو لم يكن عليه أحد، وما كان ضلالًا، تركناه، ولو كان عليه أكثر الناس، ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٠٢]، ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام:١١٦]، فالعبرة ليست بالكثرة، ثلاث وسبعون فرقة كلها في النار إلا واحدة، واحدة فقط وثنتان وسبعون كلها

في النار، هذا دليل على أن الكثرة لا عبرة بها، وأن القلة لاتزهد في الحق، ولو كان عليه واحد أو جماعة؛ لأن بعض الناس يغتر بالكثرة، ويزهد بالحق، إذا كان ما عليه إلا قلة. هذا الميزان الذي يجب على المسلم أن يعتبره، الرسول ﷺ ذكر لنا الخلاف، وذكر لنا طريق النجاة؛ «**إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً. قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»، وهذا -أيضًا- فيما نحن فيه، في الأسماء والصفات والتوحيد، من كان على ما كان عليه الرسول وأصحابه رضي الله عنهم، فهو من الفرقة الناجية، ومن كان مع الفرق المنحرفة، فهو من الفرق الضالة، فهو في النار.

فهذا من معجزات الرسول ﷺ أنه أخبر عن شيء قبل حصوله، وحصل، والغرض من ذلك التحذير، عند حدوث الفرقة التحذير من الذهاب مع الفرق، والحث على الثبات على الحق، ولو كان ما عليه إلا قلة، وأيضًا الصبر؛ لأن الذي على الحق قد يؤذى، يُمتحن، يُضرب، يُقتل، يُسجن، فيصبر، ولا ينجرف مع أهل الضلال، وإلا هو يلاقي أذى، ويلاقي شرًا وفتنة، ويحتقرونه، ويؤذونه، لكن يصبر.

قوله: (ثُمَّ قَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا، كِتَابَ اللهِ»)، الحمد لله، هذا من نعمة الله؛ أنه عند الاختلاف ما تركنا نتحير، بل أعطانا الطريق الصحيح الذي نمشي عليه، لكن هذا يحتاج إلى ثلاثة أمور:

أولًا: العلم الصحيح، وليس التعالم، فلا يمكن أن تسير على هذا الطريق إلا إذا تعلمت، وعرفت الحق من الضلال.

الأمر الثاني: الصبر والثبات وعدم التزحزح، ولو أصابك ما أصابك، تصبر مهما كلّفك هذا الأمر.



الأمر الثالث: ألَّا تغتر بالكثرة، وإنما تنظر إلى الصحيح؛ «**إنِّي تَارِكٌ فيكم مَا إنْ تَمسَّكتم بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَي: كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّتِي**»[1]، كتاب الله الذي هو القرآن، والسنة التي هي الأحاديث الصحيحة، لم يقل: (إني تارك فيكم عقولكم وأفكاركم وعلم الكلام وعلم الجدل والمنطق)، لا. قال: «**كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّتِي**»، هذا هو سبيل النجاة، هذا يوجب على المسلم أن يتمسك بالكتاب والسنة، مهما كلفه ذلك يصبر.

قوله: (وَرُوِيَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: «هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»)**، (**النَّاجِيَةِ**)، يعني: ناجية من النار، لقوله: «**كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً**»، يعني: هذه ناجية من النار. لما سُئل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من هي يا رسول الله؟ هذه الفرقة التي ما تكون في النار من هي؟ قال: «**مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي**»، «**اليَوْمَ**»: يوم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا هو الضابط لطريق النجاة؛ لأن كثيرًا من الناس اغتر بالكثرة، يقول: (كل الناس على هذا، ما أصبر أن أصبح غريبًا)، ثم ينجرف مع الناس -ولا حول ولا قوة إلا بالله!

يقول: (كل الناس وضعوا الفضائيات في بيوتهم، وأنا أقعد بينهم، كل الناس تركوا بناتهم يطلعن ويرُحْن ويجِئْن ويسافرن، وأنا حاجر بناتي؟!)، هذه البلية التي أصابت الناس الآن، (كل الناس يدرسون العلوم العقلية، وتركوا الكتاب والسنة، أنا أقعد وحدي وأقرأ وحدي؟!)، ثم ينجرف مع الناس.

«**هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي**»، «**وَأَصْحَابِي**»: الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ نقتدي بهم؛ لأنهم تلاميذ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا نقول:

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

(نأخذ ما عليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقط)، بل نأخذ الاثنين: ما عليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما عليه أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، مذهب الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وما عليه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

قوله: (فَهَلَّا قَالَ مَنْ تَمَسَّكَ بِظَاهِرِ القُرْآنِ فِي بَابِ الاعْتِقَادِ فَهُوَ ضَالٌّ؟)، هل قال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تمسكوا بظاهر ومدلول القرآن؛ لأن من تمسك به فهو ضال)؟! حاشا وكلا! بل قال: (من تمسك به، فهو الناجي)؛ «هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ اليَوْمَ وَأَصْحَابِي»، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي تَارِكٌ فيكم مَا إِنْ تَمسَّكتم بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَي: كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّتِي»[1]، الكتاب والسنة.

قوله: (وإِنَّما الهُدَى رُجُوعُكُمْ إِلَى مَقَايِيسِ عقولِكُمْ، وَمَا يُحْدِثُهُ المُتَكَلِّمُونَ مِنْكُمْ بَعْدَ القُرُونِ الثَّلاثَةِ)؛ لأن هذا الجدل وهذه القواعد المنطقية وهذا البلاء إنما حدث بعد القرون المفضلة الأربعة أو الثلاثة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَدْرِي: أَذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؟ «ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ»[2]، إلى آخر ما قاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصف الخلوف، بعدما حث على ما كان عليه القرون المفضلة. فهذه الفتن إنما حدثت بعد القرون المفضلة، نعم منها شيء حدث في عصر الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، لكن لم يظهر؛ لأن الإسلام قوي، ولم تظهر الفرق إلا بعد مضي القرون

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

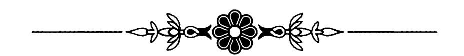
(٢) سبق تخريجه (ص٦٢).



المفضلة، وإلا قد حدث شيء في أواخر عصر الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مثل القدرية[١] والخوارج، لكن لم يظهروا إلا بعد القرون المفضلة.

قوله: (**بَعْدَ القُرُونِ الثَّلاثَةِ**)، هذا على القول بأن الرواية الصحيحة ثلاثة قرون: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

قوله: (**وَإِنْ كَانَ قَدْ نَبَغَ أَصْلُهَا فِي أَوَاخِرِ عَصْرِ التَّابِعِينَ**)، وإن كان من المذاهب الباطلة ما وُجد أصله في القرون المفضلة، لكن لم يظهر إلا بعد مضي القرون المفضلة، لما ضعف المسلمون واختلفوا، ظهرت الفرق، وإلا أصولها موجودة من قبل.



(١) القدرية هم نفاة القدر، القائلون بأن العبد يخلق فعل نفسه، وليس لله فيه إرادة ولا خلق ولا مشيئة، فأنكروا عموم المشيئة والخلق. قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص٤٩٣): (والقدرية نفاة القدر، جعلوا خالقين مع الله تعالى؛ ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس...). اهـ. ويُطلق اسم القدرية على الغلاة في القدر. انظر: الفرق بين الفرق (ص١١٢، ٢٤١)، ومجموع الفتاوى (٨/ ٧- ٥٨)، والصفدية (١/ ٥٠)، ودرء التعارض (١/ ٣٧١ -٣٧٤).

ثُمَّ أَصْلُ هَذِهِ المَقَالَةِ -مَقَالَةِ التَّعْطِيلِ لِلصِّفَاتِ- إِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ تَلَامِذَةِ اليَهُودِ وَالمُشْرِكِينَ، وضُلَّالِ الصَّابِئِينَ[١]؛ فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ حُفِظَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ المَقَالَةَ فِي الإِسْلامِ هُوَ الجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ[٢]، وَأَخَذَهَا عَنْهُ الجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ[٣]، وَأَظْهَرَهَا، فَنُسِبَتْ مَقَالَةُ الجهميَّةِ إِلَيْهِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الجَعْدَ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ سَمْعَانَ، وَأَخَذَهَا أَبَانُ عَنْ طَالُوتَ بْنِ أُخْتِ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ، وَأَخَذَهَا طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ السَّاحِرِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤]. وَكَانَ الجَعْدُ هَذَا فِيمَا

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير (١/ ٩١- ٩٢): (وفي الصابئين سبعة أقوال:
أحدها: أنهم صنف من النصارى ألين قولًا منهم، وهم السائحون المحلقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباس.
والثاني: أنهم قوم بين النصارى والمجوس ليس لهم دين، قاله مجاهد.
والثالث: أنهم قوم بين اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير.
والرابع: قوم كالمجوس، قاله الحسن والحكم.
والخامس: فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، قاله أبو العالية.
والسادس: قوم يصلون إلى القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، قاله قتادة.
والسابع: قوم يقولون لا إله إلا الله فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، قاله ابن زيد.) اهـ.
وانظر: تفسير الطبري (٢/ ٣٤ - ٣٧)، وتفسير القرطبي (١/ ٤٣٤).

(٢) الجعد بن درهم: هو مؤسس مذهب التعطيل وأول من قال: إن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا، ويقال له مروان الجعدي؛ لأنه كان مؤدبًا لمروان الحمار آخر خلفاء بني أمية. قتله خالد القسري يوم الأضحى سنة أربع وعشرين ومائة، وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، ونزل فقتله، وكان من أبرز تلاميذه الجهم بن صفوان، وبه عُرف مذهب التعطيل. انظر: سير الأعلام (٥/ ٤٣٣)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٥٠)، والكامل في التاريخ (٤/ ٤٦٦)، والنونية بشرح ابن عيسى (١/ ٥٠، ٥١).

(٣) سبقت ترجمته (ص١٠).

(٤) ذكر هذه السلسلة -سلسلة التعطيل-: ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ١٩)، والصفدي في الوافي بالوفيات (١١/ ٦٨)، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٩/ ٧٢).
وانظر في تراجم أصحابها: الطبقات الكبرى (٢/ ١٩٧)، والوافي بالوفيات (١٠/ ٢٠٥)، ولسان الميزان (٢/ ٦٩).



قِيلَ مِنْ أَهْلِ حرَّانَ، وَكَانَ فِيهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الصَّابِئَةِ وَالْفَلاسِفَةِ، بَقَايَا أَهْلِ دِينِ النَّمْرُودِ[١]، وَالْكَنْعَانِيِّينَ[٢] الَّذِينَ صَنَّفَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي سِحْرِهِمْ، وَالنَّمْرُودُ هُوَ: مَلِكُ الصَّابِئَةِ الكَنْعَانِيِّينَ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا أَنَّ كِسْرَى مَلِكُ الفُرْسِ وَالْمَجُوسِ، وَفِرْعَوْنَ مَلِكُ القِبْطِ الكُفَّارِ، وَالنَّجَاشِيَ مَلِكُ الحَبَشَةِ النَّصَارَى، فَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ، لَا اسْمُ عَلَمٍ.

الشَّرْح

قوله: (ثُمَّ أَصْلُ هَذِهِ المَقَالَةِ -مَقَالَةِ التَّعْطِيلِ لِلصِّفَاتِ- إِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ تَلامِذَةِ اليَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ، وضُلَّالِ الصَّابِئِينَ)، لما فرغ رَحِمَهُ اللَّهُ من المقارنة بين ما دل عليه الكتاب والسنة وما عليه المتأخرون من العقائد الباطلة، أراد أن يبين سند أهل الضلال الذي رووا به ضلالهم؛ من أين جاءهم هذا المذهب؟ من أين أخذوه؟ أهل السنة والجماعة أخذوا مذهبهم من الكتاب والسنة ومما عليه السلف الصالح، هؤلاء المتأخرون الضلال من أين أخذوا مذهبهم؟ قال لك: (أخذوه من اليهود)، وسيذكر لكم السند إلى اليهود؛ لكي لا يقول واحد: (هؤلاء أصحاب عقول، وهؤلاء أصحاب أفكار جيدة، وحرية رأي، وما أشبه ذلك،

---

(١) هو النمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، قاله مجاهد، وقال غيره: نمرود بن فالح بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح، كان أحد ملوك الدنيا استمر في ملكه أربعمائة سنة، وكان قد طغى وبغى وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه إبراهيم الخليل إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الصانع، فحاج إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية. انظر: تاريخ الطبري (١/ ١٤٢)، والمعارف لابن قتيبة (ص٣١)، والبداية والنهاية (١/ ١٤٨).

(٢) نسبة إلى كنعان بن سام بن نوح، قوم من العتاة الجبابرة كانوا يسكنون الشام ويعبدون الكواكب السبعة، انظر: البداية والنهاية (١/ ١٤٠)، والبدء والتاريخ (٣/ ٢٧)، والمنتظم لابن الجوزي (١/ ٢٥١).

كيف نهضمهم حقهم؟)، نقول: هؤلاء أصلهم على مذهب اليهود الذين لعنهم الله، حرفوا وبدلوا وغيروا، فهؤلاء ورثوا عنهم هذا المذهب الخبيث.

قوله: (إِنَّمَا هُوَ مَأْخُوذٌ عَنْ تَلامِذَةِ اليَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ، وضُلّالِ الصَّابِئِينَ)، يعني: من الأمم الكافرة، في مقدمتهم اليهود -لعنهم الله- والصابئة، وهم عبدة الكواكب، أصحاب النمرود الذين يعبدون الكواكب.

قوله: (فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ حُفِظَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ هَذِهِ المَقَالَةَ فِي الإِسْلامِ هُوَ الجَعْدُ بنُ دِرْهَمٍ)، أي: مقالة التعطيل. الجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ: في آخر الدولة الأموية، الذي قتله الأمير خالد بن عبد الله القسري، قتله يوم العيد، لما خطب خطبة العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: (أيها الناس ضحوا -تقبل الله ضحاياكم-، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم؛ لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا) فنزل عن المنبر، وذبحه[(١)]، وهكذا كان أمراء الإسلام يقتلون الزنادقة والملاحدة كفًّا لشرهم، وابن القيم نظم هذا في قوله[(٢)]:

وَلِأَجْلِ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدُ الـ ... ـقَسْرِيُّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ ... كَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمَ الدَّانِي
شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ ... لِلهِ دَرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ

قوله: (وَأَخَذَهَا عَنْهُ الجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَأَظْهَرَهَا؛ فَنُسِبَتْ مَقَالَةُ الجَهْمِيَّةِ إِلَيْهِ)، الجهم بن صفوان الترمذي، هذا تلميذ للجعد بن درهم، ونسبت إليه الجهمية، الجعد أصَّل المذهب، لكن نُسب إلى الجهم؛ لأنه هو الذي أظهر هذه المقالة الخبيثة، فنُسبت إليه، مع أن أصلها للجعد.

---

(١) انظر: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٦/ ٣٠٠)، ومجموع الفتاوى (٢/ ٣٥٤)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٨٢)، وشذرات الذهب (٢/ ١١٢).

(٢) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٥٠-٥١).

قوله: (وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الجَعْدَ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنْ أَبَانَ بْنِ سَمْعَانَ، وَأَخَذَهَا أَبَانُ عَنْ طَالُوتَ بْنِ أُخْتِ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ، وَأَخَذَهَا طَالُوتُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الأَعْصَمِ اليَهُودِيِّ السَّاحِرِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هذا سندها: الجهم بن صفوان عن الجعد بن درهم عن أبان بن سمعان عن طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي، الذي سحر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. يا له من سند قبيح!

قوله: (وَكَانَ الجَعْدُ هَذَا فِيمَا قِيلَ مِنْ أَهْلِ حرَّانَ)، هو أخذها عن اليهود وأيضًا أخذها عن جماعة النمرود في أرض حران، وهم الصابئة الذين يعبدون الكواكب، فهو أخذها عن اليهود و الصابئة. وحران: شمالي الشام.

قوله: (وَكَانَ فِيهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الصَّابِئَةِ وَالْفَلاسِفَةِ، بَقَايَا أَهْلِ دِينِ النَّمْرُودِ، وَالْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ صَنَّفَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي سِحْرِهِمْ)، **(الذِين صَنف بَعْضُ الْمُتأخّرِينَ فِي سِحرِهِمْ)**، وهو الرازي، فالرازي صنف كتابًا قبيحًا اسمه «السر المكتوم في مخاطبة النجوم»[1]، وهو أخذه عن هؤلاء، عن الصابئة. ويقال: إنه تاب عن هذا، والله أعلم.

قوله: (وَالنَّمْرُودُ هُوَ: مَلِكُ الصَّابِئَةِ الكَنْعَانِيِّينَ الْمُشْرِكِينَ)، الذي قال لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨]؛ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٨]؛ لأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بُعث في أرضهم، في أرض

---

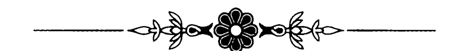
(١) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٦٧): (قد ذكر أبو عبد الله الرازي أن أنواع السحر ثمانية: الْأَوَّلُ: سِحْرُ الكلْدَانيين والكُشْدانيين، الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ الْمُتَحَيِّرَةَ، وَهِيَ السَّيَّارَةُ، وَكَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّهَا مُدَبِّرة الْعَالَمِ، وَأَنَّهَا تَأْتِي بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهُمُ الَّذِينَ بعث إِلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُبْطِلًا لِمَقَالَتِهِمْ وَرَادًّا لِمَذْهَبِهِمْ، وَقَدِ اسْتَقْصَى فِي «كِتَابِ السِّرِّ الْمَكْتُوم، فِي مُخَاطَبَةِ الشَّمْسِ وَالنُّجُوم» الْمَنْسُوبَ إِلَيْهِ فِيمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي ابْنُ خِلِّكَانَ وَغَيْرُهُ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ تَابَ مِنْهُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ صَنَّفَهُ عَلَى وَجْهِ إِظْهَارِ الْفَضِيلَةِ لَا عَلَى سَبِيلِ الِاعْتِقَادِ. وَهَذَا هُوَ الْمَظْنُونُ بِهِ) اهـ.

الصابئة الذين يعبدون النجوم، ولهذا تجدونه يخاطبهم بإبطال عبادة الكواكب، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة:٢٥٨]، بمعنى أنه يأتي بواحد مستحق للقتل، ويعفو عنه، ويأتي بواحد مستحق للقتل، ويقتله، هذا معنى ﴿أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ [البقرة:٢٥٨]، فإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أن يأتي بشيء لا يمكن أن يُغالط فيه، فقال له: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٨]، لا يمكن أن يقول: (أنا آتي بها من المغرب)، يستحيل هذا، فخصمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمام الملأ.

قوله: (كَمَا أَنَّ كِسْرَى مَلِكُ الفُرْسِ وَالمَجُوسِ، وَفِرْعَوْنَ مَلِكُ القِبْطِ الكُفَّارِ، وَالنَّجَاشِيَ مَلِكُ الحَبَشَةِ النَّصَارَى، فَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ، لَا اسْمُ عَلَمٍ)، ملك الفرس يقال له: كسرى، يعني: لقب على من ملك الفرس يقال: له كسرى، ومن ملك الروم يقال له: هرقل، ومن ملك الحبشة يقال له: النجاشي، ومن ملك مصر يقال له: فرعون، ألقاب هذه، ومن ملك اليمن يقال له: القيل، الأقيال من حِمير وتبع، يقال: والأقيال والتبابعة ملوك اليمن.

فقوله: (وَالنجَاشيَ مَلِك الحبَشَةِ النّصارَى)، يعني: ما هو بخاص بالرجل الذي أسلم وهاجر إليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لا. النجاشي لقب لكل من ملك الحبشة.

فهذه الألقاب اسم جنس، ما هي اسم علم على شخص.



كَانَت الصَّابِئَةُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ إِذْ ذَاكَ عَلَى الشِّرْكِ وَعُلَمَاؤُهُمْ الفَلاسِفَةُ، وَإِنْ كَانَ الصَّابِئُ قَدْ لا يَكُونُ مُشْرِكًا، بَلْ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة:٦٩].

لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ، أَوْ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ، كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا، وَصَارُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ، فَأُولَئِكَ الصَّابِئُونَ الَّذِينَ كَانُوا إِذْ ذَاكَ، كَانُوا كُفَّارًا مُشْرِكِينَ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الكَوَاكِبَ، وَيَبْنُونَ لَهَا الهَيَاكِلَ.

الشَّرْح

قوله: (كَانَت الصَّابِئَةُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ إِذْ ذَاكَ عَلَى الشِّرْكِ)، الصابئة على قسمين -يقول الشيخ-:

قسم موحدون: وهم المذكورون في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢]، فذكرهم الله في أهل الملل، فهؤلاء صابئة موحدون.

وصابئة مشركون: وهم جماعة النمرود الذين يعبدون الكواكب.

قوله: (وَعُلَمَاؤُهُمْ الفَلاسِفَةُ)، علماؤهم الفلاسفة ليسوا علماء وحي، ما عندهم وحي ولا رسل، وإنّما يعتمدون على عقولهم وعلى حكمتهم -كما يزعمون.

قوله: (وَإِنْ كَانَ الصَّابِئُ قَدْ لَا يَكُونُ مُشْرِكًا، بَلْ مُؤْمِنًا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾)، دلّ على أن هناك من الصابئة من هم من أهل الإيمان، وأما الصابئة المشركون، فهم جماعة النمرود الذين يعبدون الكواكب.

قوله: (﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾)، هذه في سورة المائدة.

قوله: (لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ، أَوْ أَكْثَرَهُمْ كَانُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ)، لكن أكثر الصابئة كانوا كفارًا مشركين، قليل منهم صابئة موحدون.

قوله: (كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَى بَدَّلُوا وَحَرَّفُوا، وَصَارُوا كُفَّارًا أَوْ مُشْرِكِينَ)، أصل اليهود والنصارى كانوا على الإيمان، اليهود أتباع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنصارى أتباع عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكن حرفوا وبدلوا وغيروا فيما بعد، وكفروا فيما بعد، وبقي منهم بقايا على الدين الصحيح إلى أن بُعث محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فآمنوا به، فآمنوا بجميع الرسل، ولذلك حازوا الأجر العظيم، أما غالبهم، فإنهم حرفوا ديانتهم وغيروها وبدلوها، وأدخلوا فيها ما أبطله. هل المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: (اعبدوني من دون الله)؟! هل المسيح قال: (إن الله ثالث ثلاثة)؟! هل المسيح قال: (إنه ابن الله)؟! هذا الذي أحدثوه هم. هل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: (يد الله مغلولة)؟! هذا قالته اليهود، هل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: (إن الله فقير)؟! هذا قالته اليهود، فهم أحدثوا في أديانهم ما ليس منها. هل موسى

عَلَيْهِ السَّلَامُ أقرهم على عبادة العجل؟! بل أنكر عليهم غاية الإنكار، فهم أهل تحريف وتخريـف وضلال، إلا من آمن منهم وثبت على الحق؛ ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٣، ١١٤]، ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران:١٩٩]، الله لا يظلم أحدًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يعمم الحكم على كل الناس، وإنما يستثني من لا يدخل في الحكم، وهذا من عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من عدله بين خلقه، فهو لم يظلم اليهود كلهم، ولم يقل: (إنهم في النار، وكلهم كفار)، أو النصارى، لا. بل قال: (منهم ومنهم)، لكن أكثرهم حمير خنازير.

قوله: (فَأُولَئِكَ الصَّابِئُونَ الَّذِينَ كَانُوا إِذْ ذَاكَ، كَانُوا كُفَّارًا مُشْرِكِينَ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الكَوَاكِبَ، وَيَبْنُونَ لَهَا الهَيَاكِلَ)، **(كَانُوا إِذْ ذَاكَ)**، يعني: على وقت الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، كانوا كفارًا ومشركين، ومنهم في أرض بابل من أرض العراق، ومنهم جماعة في حران -كما قال الشيخ-، من الصابئين جماعة في حران شمالي الشام.



وَمَذْهَبُ النُّفاةِ مِنْ هَؤُلاءِ فِي الرَّبِّ: أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إلا صِفَاتٌ سَلْبِيَّةٌ، أَوْ إِضَافِيَّةٌ، أَوْ مُرَكَّبَةٌ مِنْهَا، وَهُم الَّذِينَ بُعِثَ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ إِلَيْهِمْ. فَيَكُونُ الجَعْدُ أَخَذَهَا عَنِ الصَّابِئَةِ الفَلاسِفَةِ. وَكَذَلِكَ أَبُو نَصْرٍ الفَارَابِيُّ[1]، دَخَلَ حَرَّانَ، وَأَخَذَ عَنْ فَلاسِفَةِ الصَّابِئِينَ تَمَامَ فَلْسَفَتِهِ، وَأَخَذَهَا الجَهْمُ أَيْضًا -فِيمَا ذَكَرَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[2]-، لَمَّا نَاظَرَ «السُّمَنِيَّةَ»[3]؛ بَعْضَ فَلاسِفَةِ الهِنْدِ، وَهُم الَّذِينَ يَجْحَدُونَ مِنَ العُلُومِ مَا سِوَى الحِسِّيَّاتِ.

فَهَذِهِ أَسَانِيدُ جَهْمٍ تَرْجِعُ إِلَى اليَهُودِ وَالصَّابِئِينَ وَالمُشْرِكِينَ وَالفَلاسِفَةِ الضَّالِّينَ؛ إِمَّا مِنَ الصَّابِئِينَ، وَإِمَّا مِنَ المُشْرِكِينَ.

---

(١) هو محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي، ولد حوالي سنة تسع وخمسين ومائتين، وتوفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، قال عنه ابن كثير: «كان حاذقًا في الفلسفة، ومن كتبه تفقه ابن سينا، وكان يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، فعليه إن كان مات على ذلك لعنة رب العالمين، مات بدمشق فيما قاله ابن الأثير في كامله، ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره في تاريخه لنتنه وقباحته، فالله أعلم» اهـ. انظر: وفيات الأعيان (٥/ ١٥٤)، والوافي بالوفيات (١/ ١٠٢)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٤١٨)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٢٤)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٥٠).

(٢) انظر: تفصيل ذلك في كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص١٩-٢١)، واعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٣٨٠، ٣٨١)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٢٨ -١٣٠)، ومجموع الفتاوى (٤/ ٢١٧-٢١٩).

(٣) السُّمَنِيَّةُ بضم السين وفتح الميم نسبة إلى سومنات قرية بالهند، وهي فرقة من عبدة الأصنام تقول بقدم العالم، وإبطال النظر والاستدلال، وزعموا أنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت، وقال فريق منهم بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة. انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٥٣)، ولسان العرب (١٣/ ٢٢٠)، ومختار الصحاح (ص١٣٢)، والمصباح المنير (١/ ٢٩٠)، والتعاريف للمناوي (ص٤١٥).

الشَـرح

قوله: (وَمَذْهَبُ النُّفاةِ مِنْ هَؤُلاءِ فِي الرَّبِّ: أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إلا صِفَاتٌ سَلْبِيَّةٌ) (سَلْبِيَّةٌ)؛ كما سبق النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، السلب يعني: النفي، ما يصفون الله إلا بالنفي؛ ليس له وجه، ليس له يد، ليس له..، ولا فوق ولا تحت، ولا يمنة ولا يسرة... إلى آخره، ما عندهم إلا النفي في حق الله جَلَّوَعَلَا، حتى يجعلوه معدومًا -تعالى الله عن ذلك!

قوله: (أَوْ إِضَافِيَّةٌ)، والصفة الإضافية الظاهر أنها يُقصد بها الصفة التي ما تُتصور إلا مع غيرها، مثل «والد»، هذا ما يُتصور إلا إذا كان معه ولد، «والد» ما يُتصور معناه إلا إذا كان له ولد، وكلمة «فوق» هذا ما يُتصور إلا إذا كان تحته شيء، هذه الصفات الإضافية، الصفة التي ما تُتصور إلا بإضافتها إلى غيرها.

قوله: (أَوْ مُرَكَّبَةٌ مِنْهَا)، أو مركبة من السلبية والإضافية، كلاهما باطل.

قوله: (وَهُم الَّذِينَ بُعِثَ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ إِلَيْهِمْ)، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أرسله الله إلى الصابئة في بلاد بابل من العراق، ثم لما تمردوا عليه وعصوا، وأرادوا تحريقه بالنار وأنجاه الله، قال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت:٢٦]، فهاجر من أرض بابل إلى أرض الشام، وضع بعض ذريته في الشام في فلسطين، ووضع بعضهم في مكة، وهو إسماعيل وأمه، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩]، هاجر من أرضهم.

قوله: (فَيَكُونُ الجَعْدُ أَخَذَهَا عَنِ الصَّابِئَةِ الفَلاسِفَةِ)، الجعد أخذ مقالته عن ثلاث فرق: عن الصابئة، وعن اليهود، وعن الفلاسفة.

قوله: (وَكَذَلِكَ أَبُو نَصْرٍ الفَارَابِيُّ دَخَلَ حَرَّانَ، وَأَخْذَ عَنْ فَلاسِفَةِ الصَّابِئِينَ تَمَامَ فَلْسَفَتِهِ)، أبو نصر الفارابي هذا من المنتسبين للإسلام، وهو المعلم الثاني، المعلم الأول للفلسفة أرسطو اليوناني(١)، والمعلم الثاني هو الفارابي، الذي ينتسب إلى الإسلام، وهو مُلحد.

(دخَل حرّان، وأَخذ عَن فَلَاسِفَةِ الصّابئِينَ تمّامَ فَلْسفَتِهِ)، هذه صفة ضلاله -والعياذ بالله-: أنه ذهب إليهم، وتتلمذ عليهم، وأخذ الضلال عنهم.

قوله: (وَأَخْذَهَا الجَهْمُ أَيْضًا -فِيمَا ذَكَرَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ- لَمَّا نَاظَرَ «السُّمَنِيَّةَ» بَعْضَ فَلاسِفَةِ الهِنْدِ)، كذلك هذه آفة -أيضًا- رابعة، وهي أنه أخذ عن «السُمنية»، وهم فلاسفة الهند البراهمة، ومذهب البراهمة موجود إلى الآن في الهند.

قوله: (وَهُم الَّذِينَ يَجْحَدُونَ مِنَ العُلُومِ مَا سِوَى الحِسِّيَّاتِ)، لا يؤمنون إلا بما يرونه، أما ما غاب عنهم، فلا يؤمنون به، لا يؤمنون أن هناك بعثًا ولا نشورًا، ولايؤمنون بالماضي، إنما يؤمنون بالحاضر الذي يرونه فقط، هؤلاء يسمون الآن «الماديين»، ما يؤمنون إلا بالمادة.

قوله: (فَهَذِهِ أَسَانِيدُ جَهْمٍ تَرْجِعُ إِلَى اليَهُودِ وَالصَّابِئِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالْفَلاسِفَةِ الضَّالِّينَ إِمَّا مِنَ الصَّابِئِينَ، وَإِمَّا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، هذه أسانيد جهم -قبحه الله-، وهذا الذي تتلمذ على أهل الضلال، هذه حصيلته، وهذه نتيجته وعاقبته -والعياذ بالله-؛ خلاف الذي تتلمذ على أهل الحق وعلى الكتاب والسنة.

أخذها من الفرق الأربع: عن اليهود، وعن الصابئين، وعن الفلاسفة -فلاسفة اليونان وفلاسفة الهند-، والمشركين الذين يعبدون الكواكب.

(١) أرسطو، ويقال: أرسطو طاليس، أول من وضع تعاليم المنطق، من الحكماء المعروفين بالمشائين، أخذ الحكمة عن أفلاطون، وكان أستاذًا للإسكندر المقدوني ومستشارًا له. انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (١/ ٨٦)، ودائرة المعارف الإسلامية (١/ ٦١٢).



ثُمَّ لَمَّا عُرِّبَتِ الكُتُبُ الرُّومِيَّةُ فِي حُدُودِ المِائَةِ الثَّانِيَةِ، زَادَ البَلاءُ مَعَ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ الضُّلَّالِ ابْتِدَاءً، مِنْ جِنْسِ مَا أَلْقَاهُ فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ.

ولَمَّا كَانَ فِي حُدُودِ المِائَةِ الثَّانِيَةِ، انْتَشَرَتْ هَذِهِ المَقَالَةُ الَّتِي كَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَهَا مَقَالَةَ الْجَهْمِيَّةِ، بِسَبَبِ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ المَرِيسِيِّ(١) وَطَبَقَتِهِ. وَكَلامُ الأَئِمَّةِ -مَثَلُ: مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ(٢)، وَابْنِ المُبَارَكِ(٣)، ....

---

(١) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي، من موالي آل زيد بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من كبار الفقهاء، أخذ عن القاضي أبي يوسف، وروى عن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة، ونظر في الكلام فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى، وجرد القول بخلق القرآن ودعا إليه، حتى كان عين الجهمية في عصره وعالمهم، فمقته أهل العلم وكفره عدة، ولم يدرك جهم بن صفوان بل تلقف مقالاته من أتباعه، مات في آخر سنة ثماني عشرة ومائتين وقد قارب الثمانين، فهو بشر الشر، وبشر الحافي هو بشر الخير؛ كما أن أحمد بن حنبل هو أحمد السنة، وأحمد بن أبي دؤاد هو أحمد البدعة. انتهى من كلام الذهبي.

ورد عليه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه القيم الذي كان يوصي به شيخ الإسلام ابن تيمية، والمسمى: «نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد»، وهو مطبوع، وهو حقيق بالعناية والمراجعة. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٥٦)، والأنساب (٥/ ٢٦٧)، والوافي بالوفيات (١٠/ ٩٤)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ١٩٩، ٢٠٠)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٨١).

(٢) هو الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي مولى امرأة من بني هلال ابن عامر، وقيل مولى بني هاشم، وقيل مولى الضحاك، وقيل مولى مسعر بن كدام، الكوفي ثم المكي، مولده سنة سبع ومائة في نصف شعبان، ووفاته سنة ثمان وتسعين ومائة، طلب الحديث وهو غلام، وكان إمامًا عالمًا ثبتًا حجة زاهدًا ورعًا مجمعًا على صحة حديثه وروايته. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٩٧)، والأنساب (٥/ ٦٥٧)، والوافي بالوفيات (١٥/ ١٧٥)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٩١).

(٣) هو الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، مولى بني حنظلة من أهل مرو، كان مولده بها سنة ثماني عشرة ومائة، ومات في شهر رمضان منصرفًا من طرسوس سنة إحدى وثمانين ومائة، طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة، ورحل سنة إحدى وأربعين ومائة، ولقي التابعين، وأكثر الترحال والتطواف إلى الغاية في طلب العلم والجهاد والحج والتجارة. انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٤٩٧)، والوافي بالوفيات (١٧/ ٢٢٥)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨، ٣٧٩).

وَأَبِي يُوسُفَ[(١)]، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ[(٢)]، وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ[(٣)]، وَبِشْرٍ الْحَافِي[(٤)]، وَغَيْرِهِمْ- فِي هَؤُلَاءِ كَثِيرٌ؛ فِي ذَمِّهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ.

---

(١) هو الإمام المجتهد العلامة المحدث قاضي القضاة أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي، صاحب أبي حنيفة رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، مولده في ثلاث عشرة ومائة، ومات سنة إحدى أو اثنتين وثمانين ومائة ببغداد في خلافة هارون الرشيد. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٣٠)، والأنساب (١/ ٢٨٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٣٧٨)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥).

(٢) هو الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم، المعروف بابن راهويه، ينتهي إلى زيد مناة بن تميم، ولد سنة إحدى وستين ومائة، وتوفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين، كان إمامًا مذكورًا مشهورًا من أهل مرو، سكن نيسابور، وكان متبوعًا له أقوال واختيارات، وهو من أقران الإمام أحمد بن حنبل، وذكره الإمام أحمد فقال: إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، وكره أن يقول راهويه، وقال: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٥)، وتاريخ دمشق (٨/ ١١٩)، والأنساب (٣/ ٣٤)، والوافي بالوفيات (٨/ ٢٥١)، وشذرات الذهب (٢/ ٨٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٨٣).

(٣) هو الإمام الزاهد العابد أحد صلحاء الدنيا، الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو علي التميمي ثم اليربوعي الخراساني المروزي، أخذ الفقه عن أبي حنيفة، وروى عنه الإمام الشافعي، كان في أول أمره شاطرًا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، ثم أراد الله جَلَّوَعَلَا له الهداية. انظر: تاريخ دمشق (٤٨/ ٣٧٥)، ووفيات الأعيان (٤/ ٤٧)، وطبقات الحنفية (ص٤٠٩)، وشذرات الذهب (١/ ٣١٧).

(٤) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، أبو نصر المروزي، الزاهد المعروف بالحافي، كان مولده سنة خمسين ومائة، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين وقيل سبع وعشرين ومائتين، وكان ممن فاق أهل عصره في الورع والزهد، تفرد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس، وإسقاط الفضول، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهده وورعه ونسكه وتقشفه. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٦٧)، وتاريخ دمشق (١٠/ ١٧٧)، والبداية والنهاية (١٠/ ٢٩٧)، والأنساب (٢/ ١٥٩)، والوافي بالوفيات (١٠/ ٩١)، ووفيات الأعيان (١/ ٢٧٤).

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ لَمَّا عُرِّبَتِ الكُتُبُ الرُّومِيَّةُ فِي حُدُودِ المِائَةِ الثَّانِيَةِ، زَادَ البَلاءُ)، يريد أن يبين متى دخل الضلال على المسلمين، فيقول: بداية دخول الضلال على المسلمين، لما عُربت الكتب الرومية على عهد المأمون.

يقول الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: **(ثُمَّ لَمَّا عُرِّبَتِ)**، يعني: تُرجمت **(الكُتُبُ الرُّومِيَّةُ)**، يعني: التي جيء بها من قِبل الروم، وهي تشتمل على الفلسفة وعلم الكلام والمنطق، وليس فيها من الوحي شيء، وإنما هي كلام للفلاسفة وعلماء الكلام والمنطق اليوناني، يسمونها براهين وأدلة؛ لأنهم ليس عندهم شيء من الوحي، وإنما يعتمدون على عقولهم، وعلى ما يقوله قدماؤهم، يتوارثونه، ليس عندهم وحي من الله. كان هذا في كتبهم، وكان الإسلام سالمًا من هذه الكتب، وكان المسلمون مقتصرين على كتاب الله وعلى سنة رسول الله وعلى كلام السلف من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين، ولم يحدث خلل عند المسلمين؛ بسبب أنها لم تدخل عليهم هذه الكتب، وليست بلغتهم، ولا يعرفونها، كتب أعجمية، وكانوا مستغنين بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم في عهد المأمون العباسي، وكان مغرمًا بتلك الكتب الأجنبية، هو ولي الخلافة بعد أخيه الأمين، لما توفي هارون الرشيد رَحِمَهُ اللَّهُ، خلفه من بعده ابنه الأمين، ثم إن المأمون ثار عليه، ثار على أخيه، وشق العصا عليه، وانتهى الأمر بتولي المأمون، وكان رجلًا ذكيًّا وقويًّا، لكنه استوزر أهل الضلال من المعتزلة -كبشر المريسي وابن أبي دؤاد قاضي القضاة في وقته-، وكان يميل إلى هؤلاء، فأثروا عليه في عقيدته، واستمالوه إلى هذه الكتب، ومدحوها عنده، وكان مغرمًا بالثقافة

والعلوم، فتأثر بها. وهكذا الإنسان يتأثر بجلسائه وبطانته، فكانوا بطانة سوء -والعياذ بالله-، فاعتنق مذهبهم مذهب الاعتزال، والقول بخلق القرآن، وأراد أن يُجبر الناس على القول بخلق القرآن، وامتحن الناس محنة شديدة، وقتل منهم من قتل، وضرب منهم من ضرب، وضرب الإمام أحمد وسجنه، ولكن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثبت وصمد ثبات الجبال، وصبر على الضرب والحبس والإهانة. وتطاول المأمون على الأئمة، كل هذا بسبب جلساء السوء، وإلا فهو في الأصل ليس منهم، لكن أثروا عليه، فاعتنق مذهبهم، وظنه حقًّا، وأنه براهين وأدلة، فانطلى عليه هذا المذهب. ولكن الله قيض الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فثبت، واقتدى الناس بالإمام أحمد، وصبر على السجن والضرب والمحنة، ثم لما مات المأمون، خلفه أخوه المعتصم(١)، وسار على نفس خطى المأمون، وواصل المحنة، وضرب الإمام أحمد وسجنه، ثم جاء عهد الواثق(٢) من بعد المعتصم، ثلاثة خلفاء كلهم على هذا المنوال، والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثابت لايتضعضع، والناس ينظرون إليه ماذا يقول؟ فكانوا يضربونه،

---

(١) هو الخَلِيْفَةُ، أَبُو إِسْحَاقَ مُحَمَّدُ ابْنُ الرَّشِيْدِ هَارُوْنَ بنِ مُحَمَّدٍ المَهْدِيِّ بنِ المَنْصُوْرِ العَبَّاسِيُّ. وُلِدَ: سَنَةَ ثَمَانِيْنَ وَمائَةٍ، امْتَحَنَ النَّاسَ بِخَلْقِ القُرْآنِ، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الأَمْصَارِ، وَأَخَذَ بِذَلِكَ المُؤَذِّنِيْنَ، وَفُقَهَاءَ المَكَاتِبِ، وَدَامَ ذَلِكَ حَتَّى أَزَالَهُ المُتَوَكِّلُ بَعْدَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا. توفي في عام ٢٢٧ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩٠)، والأعلام للزركلي (٧/ ١٢٧).

(٢) الواثق هو: الواثق بالله هارون بن محمد بن هارون أبو جعفر، بويع يوم وفاة المعتصم سنة ٢٢٧هـ وهو ابن سبع وثلاثين سنة وتسعة أشهر، توفي بسامراء وهو ابن سبع وثلاثين سنة وستة أشهر، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يومًا، وكان ممن امتحن الإمام أحمد. انظر: مروج الذهب (٣/ ٤٧٧)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٠٦)، وتاريخ بغداد (١٤- ١٥)، قال الخطيب: استولى أحمد بن أبي دؤاد على الواثق، وحمله على التشدد في المحنة، والدعاء إلى خلق القرآن.

وقيل: إنه رجع عن ذلك قبيل موته. اهـ وذكر الذهبي المناظرة التي حصلت بين ابن أبي دؤاد والإمام الأذرمي في حضرة الواثق.

وهو يقول: (هاتوا لي دليلًا من كتاب الله أو من سنة رسول الله، القرآن منزل غير مخلوق)، ثم إن الله أذن بالفرج، فمات الواثق، ويقال: إنه رجع في آخر أيامه، والله أعلم، لكن مات، وجاء بعده المتوكل(١)، فناصر السنة ورفع المحنة، وكرَّم الإمام أحمد، فعند ذلك انتصر الحق على يد المتوكل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقرَّب الإمام أحمد، وكرَّمه وأيده، فزالت المحنة -والحمد لله-، وانتصر أهل الحق، واندحر أهل الباطل(٢).

وفي عهد المأمون -لكونه مغرمًا بالكتب الأعجمية والحضارة الغربية- أشارت عليه هذه الواسطة الخبيثة أن يترجم هذه الكتب من لغة الروم إلى لغة العرب، فكون دارًا للترجمة، سموها دار الحكمة، وجلب إليها مترجمين ترجموا هذه الكتب، ودخلت على المسلمين من ذاك الوقت بتشكيكاتها وضلالاتها ومخالفتها لكتاب الله وسنة رسول الله، فثبت على الحق من ثبت، وانخدع من انخدع،

---

(١) هو: أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور القرشي العباسي البغدادي،ولد سنة خمس ومائتين، وبويع عند موت أخيه الواثق في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين حكى عن أبيه ويحيى بن أكثم وكان أسمر جميلا مليح العينين نحيف الجسم خفيف العارضين ربعة وأمه اسمها شجاع .،قال خليفة بن خياط استخلف المتوكل فأظهر السنة وتكلم بها في مجلسه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وبسط السنة ونصر أهلها قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٤): (وفي سنة ٢٣٤ أظهر المتوكل السنة وزجر عن القول بخلق القرآن وكتب بذلك إلى الأمصار واستقدم المحدثين إلى سامراء وأجزل صلاتهم ورووا أحاديث الرؤية والصفات.) وقال أيضًا: (وغضب المتوكل على أحمد بن أبي دؤاد وصادره وسجن أصحابه وحمل ستة عشر ألف ألف درهم وافتقر هو وآله وولى يحيى بن أكثم القضاء وأطلق من تبقي في الاعتقال ممن امتنع من القول بخلق القرآن وأنزلت عظام أحمد بن نصر الشهيد ودفنها أقاربه .) توفي سنة سبع وأربعين ومائتين. وانظر تاريخ بغداد (٧/ ١٦٥، ١٧٢)، والبداية والنهاية (١٠/ ٣١٠ وما بعدها).

(٢) قال المزني: (أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ يَوْمَ المِحنَةِ، أَبُو بَكْرٍ يَومَ الرِّدَّةِ، وَعُمَرُ يَوْمَ السَّقِيفَةِ، وَعُثْمَانُ يَوْمَ الدَّارِ، وَعَلِيٌّ يَوْمَ صِفِّينَ). انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠١)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٧)، وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (١/ ٣٠٢).

وضل من ضل، ولكن الأئمة رَحِمَهُمُ اللَّهُ ما زالوا يقاومون هذه الفتنة، ويصارعونها، ويردون على أهلها، وكانت -الحمد لله- العاقبة للمتقين، واندحر أهل الضلال، وإن كان الضلال بقي، وتأثر به كثير من مدارس المسلمين، نشأت عليه المعتزلة والأشاعرة، وكل علماء الكلام نشؤوا على هذا المعتقد. وأما أهل السنة، فثبتوا على الكتاب والسنة، ورفضوا هذه الكتب وهذه العقائد رفضًا تامًا، وتمسكوا بكتاب الله وبسنة رسول الله وبعقيدة السلف الصالح، وهذه حكمة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه يبتلي أهل الإيمان بأهل الباطل؛ ليتميز الصابر المجاهد الثابت على دينه من الذي فيه نفاق أو فيه شك، فيتميز هذا من هذا، ولولا المحن، ما تميز أهل الحق من أهل الباطل. الله جَلَّ وَعَلَا يجري هذه المحن لحكمة عظيمة، وإلا لو تُرك الناس، لالتبس الحق بالباطل، وظن من يظن أن الناس كلهم على حق، لكن إذا جاءت المحن، افترق الناس إلى فريقين؛ فريق أهل الحق يثبتون، وفريق أهل الباطل يزيغون ويضلون، ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال:٣٧]، هذا أصل البلاء أو ما دخل على المسلمين بسبب المأمون -سامحه الله-، وانتقم الله ممن غرروا به وخدعوه وأضلوه. وهذه بطانة السوء، هذا مما يدل على الحذر من بطانة السوء ومن وزراء الضلال، وأن ولي الأمر يجب أن يتخذ بطانة صالحة ناصحة؛ كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾، يعني: غير أهل ملتكم ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران:١١٨]، فيجب على ولي الأمر وعلى أفراد المسلمين -كل أحد- أن لا يصاحب ولا يجالس ولا يرافق إلا أهل الحق والبصيرة، وأن يحذر من أهل الضلال، ما هو خاص هذا بالولاة، بل حتى عموم الناس، على المسلم أن يختار الجلساء الصالحين والبطانة الطيبة؛

حتى تعينه على الحق، وأن يتجنب البطانة السيئة؛ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾؛ ما يقتصرون على التضليل اليسير، بل إنهم يريدون الانحراف الكامل، ولا يمكن أن ينصحوا للمسلمين أبدًا، بطانة السوء لا تكون ناصحة أبدًا، ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ يودون لكم العنت والتعب، ما يريدون لكم الراحة؛ لأنهم أعداء. هذا تحذير من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومصداق هذا ما جرى للمأمون لما اتخذ بطانة السوء؛ ماذا حصل بسببها من المحنة ومن الضلال؟ هلك بسببها خلق كثير.

قوله: (مَعَ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قُلُوبِ الضُّلَّالِ ابْتِدَاءً، مِنْ جِنْسِ مَا أَلْقَاهُ فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ)، كان هناك ناس أهل ضلال، لكن كانوا ساكتين على ضلالهم، والمجتمع ما يخلو من أهل الضلال، فليس كلّ المجتمع يكون صالحًا وصافيًا، لابد أن يكون فيه من أهل الضلال، لكن إذا رأوا قوة الحق، سكتوا، كانوا ساكتين، فلما عُربت هذه الكتب، ظهر شرهم، واستعانوا بها سلاحًا في نحور المسلمين؛ مثلما تشاهدون اليوم لما جاءت هذه الفتنة من الكفار على الإسلام وأهل الإسلام، ظهر من المسلمين من يؤيد الكفار، ويدعو بدعوتهم، ظهر من المسلمين ومن أولاد المسلمين ومن المنتسبين إلى العلم، ظهر من انحاز إلى صف الكفار، يؤيدهم، ويُحبذ أفكارهم، ويروج لها، هذه سنة الله في خلقه؛ أنه يبتلي عباده؛ ليتميز المؤمن الصادق من المنافق والذي في قلبه مرض، يتبين هذا؛ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة:١٦]، ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]، ما نعرف أهل الشر إلا عند الفتن، نحن ما نعلم الغيب، الذي يعلم الغيب هو

الله جَلَّوَعَلَا، نحسب الناس كلهم طيبين؛ لأنهم ساكتون، لكن إذا جاءت المحن، كشفت أهل الضلال وأهل النفاق وأهل المرض في القلوب، انكشفوا. والواقع الآن خير شاهد على ذلك.

قوله: (**ولَمَّا كَانَ فِي حُدُودِ المِائَةِ الثَّانِيَةِ، انْتَشَرَتْ هَذِهِ المَقَالَةُ الَّتِي كَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَهَا مَقَالَةَ الجَهْمِيَّةِ**)، ولما جاءت المائة الثانية من الهجرة، زاد البلاء، وظهرت مقالة الجهمية، وظهرت المقالات الأخرى المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، وكلما تأخر الزمان، يزداد الشر؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**»[1].

قوله: (**كَانَ السَّلَفُ يُسَمُّونَهَا مَقَالَةَ الجَهْمِيَّةِ**)؛ نسبة إلى الجهم بن صفوان -كما سبق-، وأنه أخذها عن الجعد بن درهم، والجعد بن درهم أخذها عن اليهود -كما سبق.

قوله: (**بِسَبَبِ بِشْرِ بْنِ غِيَاثٍ المَرِيسِيِّ وَطَبَقَتِهِ**)، (**بِسَبَبِ بِشْرٍ**)، وهذا هو أحد جلساء المأمون، بشر بن غياث المريسي الخبيث المعتزلي، الذي ناصب الإمام أحمد العداوة والبغضاء، وحث المأمون على أذيته وضربه، بل أمر المأمون بقتله، وقال: (اقتله، ونحن نتحمل دمه)، ولكن الله عصم المأمون من ذلك.

قوله: (**وَكَلامُ الأَئِمَّةِ -مَثَلُ: مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَابْنِ المُبَارَكِ، وَأَبِي يُوسُفَ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَبِشْرٍ الحَافِي، وَغَيْرِهِمْ- فِي هَؤُلاءِ كَثِيرٌ؛ فِي ذَمِّهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ**)، كلام الأئمة في ذم هؤلاء الذين أدخلوا على الإسلام ما ليس منه -كبشر المريسي، وأحمد بن أبي دؤاد، وغيرهم من

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٦٨) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

علماء الضلال، والتحذير منهم-، وهكذا ينبغي أن يُحذر من أهل الضلال، هناك ناس الآن يقولون: (لا، لا تقولوا في الناس شيئًا)، يعني: نسكت ونترك أهل الضلال يفسدون في دين الله؟ لا. يجب أن نحذر منهم، ونبين مناهجهم وخططهم، ما نسكت، هذا كتمان؛ ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٨٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة:١٥٩]، لابد من البيان، وعندما تظهر الفتن والشرور والمذاهب الخبيثة والمناهج المنحرفة ما نسكت، ما نفسح المجال لأهل الكفر وأهل النفاق وأهل الضلال ينشرون شرهم، بل يجب علينا أن نحذر منهم، ونبين ضلالهم؛ كما فعل ذلك الأئمة الذين ذكر هنا جملة منهم.

(مَثَلُ: مَالِكٍ): مالك بن أنس إمام دار الهجرة أحد الأئمة الأربعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ): سفيان بن عيينة الإمام المحدث الجليل.

(وَابْنِ المُبَارَكِ): عبد الله بن المبارك عالم المشرق.

(وَأَبِي يُوسُفَ): أبو يوسف تلميذ الإمام أبي حنيفة، و صاحب الإمام أبي حنيفة يعقوب بن إبراهيم.

(وَالشَّافِعِيِّ): الإمام محمد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(وَأَحْمَدَ): أحمد بن حنبل موقفه معروف ومشهور.

(وَإِسْحَاقَ): إسحاق بن راهويه في عهد الإمام أحمد، وهو إمام أهل المشرق،

(وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وَبِشْرٍ الحَافِي)، هؤلاء من العباد و الزهاد، لكن كانوا علماء ومستقيمين في عبادتهم، فهم عندهم عبادة وزهد على تقى وعلى علم على فقه.

(**فِي هَؤُلاءِ كَثِيرٌ؛ فِي ذَمِّهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ**)، في ذم هؤلاء وتضليلهم، لم يقولوا: (نسكت عنهم، نحن غير ملزومين)؛ مثلما يقال الآن، أو أشد من ذلك يقولون: (حرية الرأي، أو الرأي الآخر)؛ كما يقولون: (هذا رأيك، لكن لنا رأيًا آخر)، هل المسألة مسألة آراء، أو مسألة كتاب وسنة؟! الله لم يكلنا إلى الآراء والأفكار، الله أنزل علينا كتابًا وسنة، ليست المسألة مسألة آراء؛ ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء:٥٩]، فرأيي ورأيك ورأي فلان يعرض على كتاب الله وسنة رسوله، ومن شهد له القرآن والسنة، يؤخذ به، ويُترك ما عداه، ليس هناك رأي آخر، ليس هناك إلا دين صحيح.



وَهَذِهِ التَّأْوِيلاتُ المَوْجُودَةُ اليَوْمَ بِأَيْدِي النَّاسِ مِثْلُ أَكْثَرِ التَّأْوِيلاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكٍ[(١)] فِي كِتَابِ «التَّأْوِيلاتِ»، وَذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الرَّازِيُّ[(٢)] فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ «تَأْسِيسَ التَّقْدِيسِ»[(٣)]، وَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْهَا فِي كَلامِ خَلْقٍ غَيْرِ هَؤُلاءِ، مِثْل: أَبِي عَلِيٍّ الجُبَّائِيِّ[(٤)]، وَعَبْدِ الجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ الهَمْدَانِيِّ[(٥)]، وَأَبِي الحُسَيْنِ البَصْرِيِّ[(٦)]، ....

---

(١) هو شيخ المتكلمين أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، درس مذهب الأشاعرة على أبي الحسن الباهلي تلميذ أبي الحسن الأشعري، بلغت مصنفاته قريبًا من مائة ودعي إلى غزنة وجرت له مناظرات، وكان شديد الرد على ابن كرام، ثم عاد إلى نيسابور فسموه في الطريق سنة ست وأربعمائة، وكان مولده سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١٤، ٢١٥)، والعبر (٣/ ٩٧)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٥٤)، والأنساب (٢/ ٢١١)، وشذرات الذهب (٣/ ١٨١).

(٢) سبقت ترجمته (ص٨٢).

(٣) مطبوع في مؤسسة الكتب - بيروت، ط. ١٤١٠هـ، باسم «أساس التقديس».

(٤) هو محمد بن عبدالوهاب بن سلام البصري، أبو علي الجبائي، شيخ طائفة الاعتزال في زمانه، وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه، وللجبائي تفسير حافل مطول له فيه اختيارات غريبة في التفسير، وقد رد عليه الأشعري فيه وقال: وكأن القرآن نزل في لغة أهل جباء. كان مولده في سنة خمس وثلاثين ومائتين، وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٧)، والعبر (٢/ ١٣١)، والبداية والنهاية (١١/ ١٢٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٤١)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص١٠٢، ١٠٣).

(٥) هو عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الهمذاني الاستراباذي المعتزلي صاحب التصانيف المشهورة في الاعتزال وتفسير القرآن، عمر دهرًا في غير السنة، توفي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة بالري، ودفن في داره، ومن تصانيفه: «شرح الأصول الخمسة» أي أصول المعتزلة. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١١٣)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٤٤، ٢٤٥)، والوافي بالوفيات (١٨/ ٢١)، والأنساب (١/ ١٣٧)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٠٢).

(٦) هو شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف الكلامية أبو الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري، كان فصيحًا بليغًا عذب العبارة يتوقد ذكاء وله اطلاع كبير، توفي ببغداد في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وأربعمائة وقد شاخ، ومن تصانيفه: «المعتمد في أصول الفقه». انظر: تاريخ بغداد (٣/ ١٠٠)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٧١)، والعبر (٣/ ١٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٨٧)،والبداية والنهاية (١٢/ ٥٣، ٥٤)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٥٩).

وَأَبِي الوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ(١)، وَأَبِي حَامِدِ الغَزَّالِيِّ(٢)، وَغَيْرِهِمْ؛ هِيَ بِعَيْنِهَا التَّأْوِيلاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا بِشْرُ المَرِيسِيُّ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُوجَدُ فِي كَلامِ بَعْضِ هَؤُلاءِ رَدُّ التَّأْوِيلِ وَإِبْطَالُهُ أَيْضًا، وَلَهُمْ كَلامٌ حَسَنٌ فِي أَشْيَاءَ.

فَإِنَّمَا بَيَّنْتُ أَنَّ عَيْنَ تَأْوِيلاتِهِمْ هِيَ عَيْنُ تَأْوِيلاتِ المَرِيسِيِّ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ كِتَابُ الرَّدِّ الَّذِي صَنَّفَهُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ(٣) -أَحَدُ الأَئِمَّةِ المَشَاهِيرِ فِي زَمَانِ

---

(١) هو أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبدالله البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم صاحب التصانيف، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وتوفي في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، أخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال أبي علي بن الوليد وأبي القاسم ابن التبان صاحبي أبي الحسين البصري فانحرف عن السنة، قاله الذهبي، وقال أيضًا في معرفة القراء (١/ ٤٦٩): (ومن ثم حصل فيه شائبة تجهم واعتزال) اهـ، وقال ابن رجب: (ويظهر فيه في بعض أحيانه نوع انحراف عن السنة، وتأول لبعض الصفات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رَحِمَهُ اللَّهُ) اهـ. ومن أشهر مصنفاته: كتاب الفنون، وهو أزيد من أربعمائة مجلد، أكثره مفقود، وطُبع منه جزء يسير بدار المشرق بلبنان سنة ١٩٦٩م. انظر: الوافي بالوفيات (٢٠/ ٦٦)، (٢١/ ٢١٨)، و سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣)، ولسان الميزان (٣/ ١٤٦)، ومعرفة القراء للذهبي (١/ ٣٨٠)، وذيل الطبقات (١/ ١٤٤)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٨٤)، وشذرات الذهب (٤/ ٣٥).

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي أبو حامد الغزالي، ولد سنة خمسين وأربعمائة، وتفقه على إمام الحرمين، وبرع في علوم كثيرة، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة، ومن أشهر مصنفاته كتاب إحياء علوم الدين، فيه أحاديث كثيرة، وغرائب، ومنكرات، وموضوعات، توفي بطوس سنة خمس وخمسمائة. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ١٧٣)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٦/ ١٩١)، والصواعق المرسلة (٣/ ٨٤٢)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٢٢٧).

(٣) هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الإمام العلامة الحافظ الناقد أبو سعيد التميمي الدارمي السجستاني صاحب المسند الكبير والتصانيف، ولد قبل المائتين بيسير، وطوف الأقاليم في طلب الحديث، له رد على المريسي والجهمية، وهو الذي يشير إليه شيخ الإسلام هنا، وهو مطبوع باسم «رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد»، أو «نقض عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد». انظر: تاريخ دمشق (٣٨/ ٣٦١)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٣٠٢)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٢٧٧).



البُخَارِيِّ-، صَنَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ: «رَدُّ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَلَى الكَاذِبِ العَنِيدِ فِيمَا افْتَرَى عَلَى اللهِ فِي التَّوْحِيدِ»، حَكَى فِيهِ هَذِهِ التَّأْوِيلاتِ بِأَعْيَانِهَا عَنْ بِشْرٍ المَرِيسِيِّ بِكَلامٍ يَقْتَضِي أَنَّ المَرِيسِيَّ أَقْعَدُ بِهَا، وَأَعْلَمُ بِالمَنْقُولِ وَالمَعْقُولِ مِنْ هَؤُلاءِ المُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ اتَّصَلَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَتِهِ، ثُمَّ رَدَّ ذَلِكَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ بِكَلامٍ إِذَا طَالَعَهُ العَاقِلُ الذَّكِيُّ، عَلِمَ حَقِيقَةَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَتَبَيَّنَ لَهُ ظُهُورُ الحُجَّةِ لِطَرِيقِهِمْ، وَضَعْفُ حُجَّةِ مَنْ خَالَفَهُمْ.

الشَّرح

قوله: (**وَهَذِهِ التَّأْوِيلاتُ المَوْجُودَةُ اليَوْمَ بِأَيْدِي النَّاسِ مِثْلُ أَكْثَرِ التَّأْوِيلاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَبُو بَكْرِ بْنُ فُورَكٍ فِي كِتَابِ «التَّأْوِيلاتِ»، وَذَكَرَهَا أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الرَّازِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ «تَأْسِيسَ التَّقْدِيسِ»**) (**التَّأْوِيلاتُ**): جمع تأويل، والتأويل -كما سبق- يُطلق ويراد به: التفسير في عرف السلف، ويُطلق ويراد به صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا هو المقصود هنا[١]، ويُطلق ويراد به: ما يؤول إليه الأمر في النهاية[٢]، والشيخ يقصد الآن المعنى الثاني، وهو صرف اللفظ عن ظاهره؛ لأنهم صرفوا النصوص عن ظاهرها، قالوا: (ظاهرها غير مراد -كما سبق-، إنما يراد بها معاني أخرى، أو إنها لا يعلمها إلا الله)، ويفوضونها -كما سبق لكم-، هذا مذهب أهل الضلال.

---

(١) انظر: المختصر في أصول الفقه لابن اللحام (ص١٣١)، والمدخل لابن بدران (١٨٨)، وروضة الناظر (ص١٧٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص١٨٢ - ١٨٥).

(٢) انظر: مادة: (أ و ل) في لسان العرب (١١/ ٣٢)، ومختار الصحاح (ص٢٠)، والقاموس المحيط (١٢٤٤).

والتأويلات: جمع تأويل، وهو صرف اللفظ عن ظاهره، وهذا موجود الآن في كتب كثير من الناس؛ تأويل آيات وأحاديث الصفات عن ظاهرها، في كتب الأشاعرة، في كتب المعتزلة، وفي كتب الجهمية(١).

وبعض العلماء جمع هذه التأويلات؛ ليُحذر الناس منها، مثلما فعل ابن فَوْرَك -أو فُوُرَك-، له كتاب جمع فيه التأويلات، وهو -أيضًا- لم يسلم، هو عنده شيء من التأويل، لكن جمع الأشياء هذه.

وكذلك التأويلات التي جمعها الرازي، الذي يسمونه فخر الدين الرازي صاحب التفسير، له كتاب سماه «تأسيس التقديس»، جمع فيه التأويلات التي يعتقدها، ويذهب إليها، فهو أسوأ كتاب في هذا الموضوع.

وجاء شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقضه بكتاب ضخم اسمه «نقض التأسيس»، وهو الآن يبلغ عشرة مجلدات، وهو من عيون مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي عبارة أخرى «نقض تلبيسات الجهمية»، والكتاب طُبع، لكنه ناقص، والآن وجدوا نسخة كاملة، وحُققت في جامعة الإمام محمد بن سعود، وهي -إن شاء الله- على وشك الظهور محققة وكاملة، لايستغني عنه طالب علم.

قوله: (وَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْهَا فِي كَلامِ خَلْقٍ غَيْرِ هَؤُلاءِ، مِثْل: أَبِي عَلِيٍّ الجُبَّائِيِّ، وَعَبْدِ الجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ الهَمْدَانِيِّ، وَأَبِي الحُسَيْنِ البَصْرِيِّ، وَأَبِي الوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ، وَأَبِي حَامِدٍ الغَزَّالِيِّ، وَغَيْرِهِمْ؛ هِيَ بِعَيْنِهَا التَّأْوِيلاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا بِشْرٌ المَرِيسِيُّ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ)، و**(أَبِي عَلِيٍّ الجُبَّائِيِّ)**: هذا شيخ المعتزلة وكبيرهم.

---

(١) انظر معاني التأويل في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٦٨ - ٦٩، ١٣/ ٢٨٨ - ٢٩٤)، ودرء التعارض له (١/ ٢٠١ - ٢٠٨)، والصفدية (١/ ٢٩١).



(وَعَبْدِ الجَبَّارِ): القاضي، و يسمى: القاضي عبد الجبار، وهو من كبار المعتزلة، وله «شرح الأصول الخمسة»، أصول المعتزلة الخمسة شرحها في كتاب، وكان قوي العبارة بليغًا، فيؤثر على من قرأ في كتابه.

و(أَبِي الحُسَيْنِ البَصْرِيِّ): هذا من المعتزلة -أيضًا.

و(أَبِي الوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ): هذا حنبلي، من كبار الحنابلة، وكان عنده تأويلات، ولكن في الأخير تراجع عن كثير منها، وله كلام جيد، لكن له كتب فيها تأويل، وكان مبرزًا في مذهب الإمام أحمد، له كتب جيدة في المذهب.

و(أَبِي حَامِدٍ الغَزَّالِيِّ): من الشافعية، أبو حامد الغزالي مشهور، الذي يلقبونه: حجة الإسلام الغزالي، كان فقيهًا، وكان أشعريًّا، كان فقيهًا أشعريًّا، ثم دخل في التصوف، فأضاف التصوف إلى الأشعرية، وألَّف كتابًا اسمه «إحياء علوم الدين»، مشهور ومعروف الآن، مطبوع، تكلم عن العبادات، وفيه وعظ كثير، وفيه فوائد، لكن فيه أخطاء كبيرة، ولا ينبغي أن يطلع عليه إلا طلبة العلم، أما المبتدئ، فقد يغتر بما فيه من التأويلات والأخطاء والتصوف، ففيه شطحات الصوفية.

(هِيَ بِعَيْنِهَا التَّأْوِيلاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا بِشْرٌ المَرِيسِيُّ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي كِتَابِهِ)، أما بشر المريسي -والعياذ بالله-، فهو رأس الضلال، وهو مُلحد خبيث، تشرب مذهب المعتزلة، ودافع عنه، ودعا إليه، وسب الإمام أحمد وآذاه.

قوله: (وَإِنْ كَانَ قَدْ يُوجَدُ فِي كَلامِ بَعْضِ هَؤُلاءِ رَدُّ التَّأْوِيلِ وَإِبْطَالُهُ أَيْضًا) (وإن كان): الشيخ منصف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يقول: يوجد في كلام هؤلاء شيء من الخير ومن الحق، مثل أبي الوفاء بن عقيل، عندهم شيء من الحق.

قوله: (وَلَهُمْ كَلامٌ حَسَنٌ فِي أَشْيَاءَ)، لا ينبغي إذا كان الإنسان له حسنات

وعنده خير أن نغضي عن الباطل الذي عنده والضلال الذي عنده، نبين هذا، ولانتأثر بمن يقولون الآن: (الموازنات، وفلان له حسنات)، نعم له حسنات، نحن ما جحدنا حسناته، ولكن الباطل الذي عنده لابد أن نبينه للناس؛ لئلا يغتروا بذلك، أما حسناته، فهي عند الله، ما نتعرض لها، ونحن نبين الأخطاء؛ لئلا يغتر بها الناس.

قوله: (فَإِنَّمَا بَيَّنْتُ أَنَّ عَيْنَ تَأْوِيلاتِهِمْ هِيَ عَيْنُ تَأْوِيلاتِ المَرِيسِيِّ)، التأويلات التي في هذه الكتب، في كتب الأشاعرة، في كتب المعتزلة، في كتب الماتُريدية(١)، هي تأويلات المريسي الذي هو رأس الضلالة.

قوله: (وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ كِتَابُ الرَّدِّ الَّذِي صَنَّفَهُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ -أَحَدُ الأَئِمَّةِ المَشَاهِيرِ فِي زَمَانِ البُخَارِيِّ-، صَنَّفَ كِتَابًا سَمَّاهُ: «رَدُّ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَلَى الكَاذِبِ العَنِيدِ فِيمَا افْتَرَى عَلَى اللهِ فِي التَّوْحِيدِ» حَكَى فِيهِ هَذِهِ التَّأْوِيلاتِ بِأَعْيَانِهَا عَنْ بِشْرٍ المَرِيسِيِّ)، عثمان بن سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ من أئمة أهل السنة ومن المحدثين، رد على هذا الخبيث بشر المريسي على كتابه ردًّا حافلًا جيدًا، وبأسلوب قوي، والكتاب مطبوع؛ «رَدُّ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَلَى الكَاذِبِ العَنِيدِ فِيمَا افْتَرَى عَلَى اللهِ فِي التَّوْحِيدِ»، وهو كتاب جيد، يأتي بكلام المريسي ويرد عليه وينقضه،

---

(١) هم أصحاب محمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي، المتكلم، وماتريد قرية من قرى سمرقند، له كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب تأويلات القرآن، توفي سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة بسمرقند، ومن المسائل التي اشتهر الماتريدية بالخلاف فيها: مسألة الاستثناء في الإيمان، والاستثناء في الكفر، ومسألة القرآن هل الله I يتكلم بمشيئته وقدرته أم القرآن لازم لذاته، وغير ذلك من مسائل الصفات. انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٣١ - ٤٣٤)، ومنهاج السنة (٢/ ٣٦٢)، والعرش للذهبي (١/ ٦٨- ٧١)، والجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٥٦٢)، وفتح الباري (١٣/ ٤٥٥)، وانظر: «رسالة الماتريدية» للشيخ شمس الدين الأفغاني رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولذلك سماه النقض «نقض عثمان بن سعيد». رد عليه -أيضًا كما يأتي- عبد العزيز الكناني في مناظرة جرت بينه وبين بشر المريسي عند المأمون، سُجلت وكُتبت، اسمها «الحيدة»، وهي مطبوعة، مناظرة قوية أبطل الله بها كيد هذا الملحد عند المأمون.

قوله: (**حَكَى فِيهِ هَذِهِ التَّأْوِيلاتِ بِأَعْيَانِهَا عَنْ بِشْرٍ المَرِيسِيِّ بِكَلامٍ يَقْتَضِي أَنَّ المَرِيسِيَّ أَقْعَدُ بِهَا، وَأَعْلَمُ بِالمَنْقُولِ وَالمَعْقُولِ مِنْ هَؤُلاءِ المُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ اتَّصَلَتْ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَتِهِ**،...)، وهذا من لطف الله إنه يقيض لأهل الباطل من يرد عليه في كل زمان ومكان، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يستمع للمخذل والمرجف، بل يستمر ويمضي في بيان الحق ورد الباطل. هذا هو الواجب على العالم -لاسيما عند الحاجة-، لا يسكت ويترك أهل الضلال يعيثون في الأرض فسادًا، ويضللون الناس، ويروجون أفكارهم، يجب على العلماء أن يبينوا، وأن يتكلموا على هؤلاء. وهذا من رحمة الله أنه ما يخلو وقت من قائم لله بحجة، يرد على أهل الباطل.

ثُمَّ إِذَا رَأَى الأَئِمَّةَ -أَئِمَّةَ الهُدَى- قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى ذَمِّ المَرِيسِيَّةِ، وَأَكْثَرُهُمْ كَفَّرُوهُمْ أَوْ ضَلَّلُوهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّ هَذَا القَوْلَ السَّارِيَ فِي هَؤُلاءِ المُتَأَخِّرِينَ هُوَ مَذْهَبُ المَرِيسِيَّةِ: تَبَيَّنَ الهُدَى لِمَنْ يُرِيدُ اللهُ هِدَايَتَهُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

وَالْفَتْوَى لَا تَحْتَمِلُ البَسْطَ فِي هَذَا البَابِ، وَإِنَّمَا نُشِيرُ إِشَارَةً إِلَى مَبَادِئِ الأُمُورِ، وَالْعَاقِلُ يَسِيرُ فَيَنْظُرُ.

الشَّرح

قوله: (**ثُمَّ إِذَا رَأَى الأَئِمَّةَ -أَئِمَّةَ الهُدَى- قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى ذَمِّ المَرِيسِيَّةِ، وَأَكْثَرُهُمْ كَفَّرُوهُمْ أَوْ ضَلَّلُوهُمْ...**)، بعض العلماء كفَّر المعتزلة بما قالوه من الكفر والضلال، وبعضهم لا يكفرهم، لكن يحكم عليهم بالضلال؛ بأنهم أهل ضلال، لكن من كان عالمًا، ويتعمد التضليل، فهو كافر بلا شك؛ لأنه معاند لكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما من كان متأولًا، يظن أنه على صواب، أو مقلدًا لمن يظن أنه على حق، فهذا يُضلَل ولا يُكفَّر، فهم ليسوا على حد سواء، لكن أجمعوا على ذمهم وتضليلهم، وإن اختلفوا في تكفيرهم أو عدم تكفيرهم، وبعضهم كفرهم. والصواب: أن من عرف الحق وعانده وكابر، يكفر.

إذا عرف أن هذه التأويلات التي عندهم هي التأويلات المريسية، التي نشأت من تعريب كتب الروم في وقت المأمون، يتبين له الحق، إن كان يريد الحق، أما من لايريد الحق، فهذا تقوم عليه الحجة.

قوله: (**وَالْفَتْوَى لَا تَحْتَمِلُ البَسْطَ فِي هَذَا البَابِ، وَإِنَّمَا نُشِيرُ إِشَارَةً إِلَى مَبَادِئِ الأُمُورِ، وَالْعَاقِلُ يَسِيرُ فَيَنْظُرُ**)، هذه الفتوى الحموية التي كتبها الشيخ لا تحتمل البسط والتفصيل، وإلا عنده أكثر من هذا، يقول: (هذه فتوى)، يعني: ليست



مؤلفًا، بحيث إنه يجمع فيه كل ما يحتاج إليه المقام، إنما هي فتوى، أشار فيها إشارات فقط، وهذا اعتذار منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن البسط؛ لأن الفتوى يجب أن تكون مختصرة، ومن أراد التطويل، فعليه بكتابين لشيخ الإسلام:

الأول: «نقض التأسيس».

والثاني: «درء تعارض العقل والنقل»، الذي يعبرون عنه بالعقل والنقل، وهو كتاب كبير حافل، ألفه في الرد على الذين يقدمون أدلة العقل على أدلة النقل، ويزعمون أنه لا يتوافق العقل والنقل. هو كذَّبهم، وقال: (أبدًا، العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح أبدًا).



وَكَلامُ السَّلَفِ فِي هَذَا البَابِ مَوْجُودٌ فِي كُتُبٍ كَثِيرَةٍ، لا يُمْكِنُ أَنْ نَذْكُرَهُنَا إِلا قَلِيلًا مِنْهُ، مِثْلُ كِتَابِ «السُّنَنِ» لِلَّالَكَائِيِّ[(١)]**، وَ«الإِبَانَةِ» لابْنِ بَطَّةَ**[(٢)]**، وَ«السُّنَّةِ» لأَبِي ذَرٍّ الْهَرَوِيِّ**[(٣)]**، وَ«الأُصُولِ» لأَبِي عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيِّ**[(٤)]**، ....**

---

(١) هو الإمام الحافظ المجود المفتي أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي، الشافعي، مفيد بغداد في وقته، أحد تلامذة الشيخ أبي حامد الإسفرائيني، برع في المذهب، وعني بالحديث فصنف فيه أشياء كثيرة، ولكن عاجلته المنية قبل أن تشتهر كتبه، توفي في رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة، وكتابه المذكور ذكره الذهبي والخطيب البغدادي وغيرهما، وهو كتاب عظيم مطبوع باسم: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة»، وهو مهم جدًّا لطالب العلم للوقوف على كلام السلف في الاعتقاد بالأسانيد. انظر لترجمته: تاريخ بغداد (١٤/ ٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١٩)، والوافي بالوفيات (٢٧/ ١٥٤)، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٤)، وطبقات الشافعية (٢/ ١٩٧).

(٢) هو الإمام القدوة العابد المحدث الفقيه شيخ العراق، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد ابن حمدان العكبري الحنبلي، المعروف بابن بطة، ولد سنة أربع وثلاثمائة، وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وله كتاب «الإبانة الصغرى»، و«الإبانة الكبرى»، وكلاهما مطبوع، والأخير كتاب مسند عظيم القدر تظهر براعة مؤلفه في تراجمه وشرحه على الأحاديث. لترجمته انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧١)، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٩)، والعبر (٣/ ٣٧)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٢١، ٣٢٢).

(٣) هو الإمام الحافظ عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الخراساني الهروي، الفقيه المالكي، راوي صحيح البخاري عن الثلاثة: المستملي، والحموي، والكشميهني، قال عنه ابن كثير: (سمع الكثير، ورحل إلى الأقاليم، وخرج إلى مكة ثم تزوج في العرب وأقام بالسروات، وكان يحج كل سنة ويسمع الناس عليه، وأخذ عنه المغاربة مذهب أبي الحسن الأشعري عن القاضي الباقلاني، وكان ثقة حافظًا ضابطًا) اهـ. ولد سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة، وتوفي سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، ومن مصنفاته: كتاب السنة، ذكره الذهبي في السير. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٤١)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٤، ٥٥٥)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٥٤)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٤٢٥).

(٤) هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الأندلسي المقرئ المحدث الحافظ عالم أهل قرطبة، الطلمنكي نسبة إلى مدينة (طلمنكة) بالأندلس، صنف كتبًا حسانًا نافعة على مذاهب السنة ظهر فيها علمه، وكان ذا عناية تامة بالأثر قديم الطلب عالي الإسناد، غيورًا على الشريعة، سيفًا مسلطًا على أهل البدع قامعًا لهم، توفي سنة تسع وعشرين وأربعمائة، =



وَكَلامِ أَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ البِرِّ[١]، وَ«الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتُ» لِلْبَيْهَقِيِّ[٢]. وَقَبْلَ ذَلِكَ «السُّنَّةُ» للطبرانِيِّ[٣]، وَلأَبِي الشَّيْخِ الأَصْبَهَانِيِّ[٤]، وَلأَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ

= قال الذهبي: «رأيت له كتابًا في السنة في مجلدين، عامته جيد، وفي بعض تبويبه ما لا يوافق عليه» اهـ. انظر: العبر (٣/ ١٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٦)، والعلو للذهبي (ص٢٤٦) والوافي بالوفيات (٨/ ٢٣)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٤٣).

(١) هو الإمام العلامة الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المالكي، أحد الأعلام، وصاحب التصانيف المليحة، منها: التمهيد، والاستذكار والاستيعاب، وجامع بيان العلم وفضله، وغير ذلك، ولد يوم الجمعة لخمس بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلاث مائة، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربع مائة يوم الجمعة آخر يوم شهر ربيع الآخر. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣)، والوافي بالوفيات (٢٩/ ٩٩)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٠٤)، وشذرات الذهب (٣/ ٣١٤).

(٢) هو الإمام العلم الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي الشافعي، الفقيه في الأصول الورع الزاهد، أخذ علم الحديث عن الحاكم والفقه عن ناصر العمري، كان على سيرة العلماء قانعًا من الدنيا باليسير متجملًا في ورعه وزهده، تتبع نصوص الشافعي وجمع كتابًا فيها سماه «المبسوط»، وله تصانيف كثيرة مشهورة وموجودة في أيدي الناس، ومنها كتاب «الأسماء والصفات» الذي أشار إليه شيخ الإسلام مطبوع في مجلدين، وهذا الكتاب فيه تأويلات على مذهب الأشاعرة مخالفة لمذهب أهل السنة، فينبغي على طالب العلم الحذر من ذلك، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة بنيسابور. انظر: طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي (١/ ٢٣٣)، والعبر (٣/ ٢٤٤)، والأنساب (١/ ٤٣٨)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٠٤).

(٣) هو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي أبو القاسم الطبراني نسبة إلى طبرية صاحب المعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير، وله كتاب «مسند الشاميين»، وغير ذلك من المصنفات المفيدة، وذكر الذهبي في تصانيفه كتاب السنة، وذكر أنه في مجلد، مولده سنة ستين ومائتين بطبرية الشام، وسكن أصبهان إلى أن توفي بها يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة. انظر: تاريخ دمشق (٢٢/ ١٦٣)، ووفيات الأعيان (٢/ ٤٠٧)، والعبر (٢/ ٣٢١)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٧٠)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٠).

(٤) هو الإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ صاحب التصانيف، ولد سنة أربع وسبعين ومائتين، وسمع أبا يعلى وأبا خليفة ولقي الكبار، وكان مع سعة علمه وغزارة حفظه أحد الأعلام صالحًا خيرًا قانتًا صدوقًا مأمونًا =

مَنْدَهْ(١)، وَلأَبِي أَحْمَدَ العَسَّالِ الأَصْبَهَانِيِّ(٢)، وَقَبْلَ ذَلِكَ «السُّنَّةُ» لِلْخَلّالِ(٣)، وَ«التَّوْحِيدُ» لابْنِ خُزَيْمَةَ(٤)، ....

= ثقةً متقنًا، صنف التفسير وغيره، وله كتاب «العظمة»، و«السنة» -وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام، وأشار إليه الذهبي في السير وذكر أنه في مجلد واحد- وكتاب «السنن»، و«ثواب الأعمال»، توفي في المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٧٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٦٩)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٣٨٢).

(١) هو الإمام الحافظ محدث الإسلام محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، الثقة الرحالة، رحل إلى البلاد الشاسعة، وسمع الكثير، وصنف التاريخ والناسخ والمنسوخ، ولد سنة عشر وثلاثمائة، وتوفي في أصفهان في صفر سنة ست وتسعين وثلاثمائة، له من المصنفات كتاب «الإيمان»، و«التوحيد»، و«الرد على الجهمية»، و«السنة»، وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام. انظر: تاريخ دمشق (٥٢/ ٢٩)، وتاريخ أصبهان (٢/ ٢٧٨)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٨، ٢٩)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٣٦)، وشذرات الذهب (٣/ ١٤٦).

(٢) هو الحافظ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن محمد أبو أحمد العسال الأصبهاني، أحد الأئمة الحفاظ وأكابر العلماء، سمع الحديث وحدث به، قال عنه ابن منده: (كتبت عن ألف شيخ لم أر أفهم ولا أتقن من أبي أحمد العسال) اهـ. توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، له من المصنفات: «تفسير القرآن»، و«التاريخ»، و«العظمة»، و«السنة»، وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام، وذكره الذهبي في السير ضمن مؤلفاته. انظر: تاريخ بغداد (١/ ٢٧٠)، والعبر (٢/ ٢٨٨، ٢٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٦، ٧)، والبداية والنهاية (١١/ ٢٣٧)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٨٠).

(٣) هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه شيخ الحنابلة وعالمهم أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، ولد في سنة أربع وثلاثين ومائتين أو في التي تليها، فيجوز أن يكون رأى الإمام أحمد، ولكنه أخذ الفقه عن خلق كثير من أصحابه، وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، له من المصنفات كتاب (الجامع في الفقه) في عشرين مجلدًا، و(العلل) في ثلاث مجلدات، و(السنة) في ثلاثة مجلدات، وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ١١٢)، والعبر (٢/ ١٥٤)، وسير أعلام النبلاء(١٤/ ٢٩٧)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٦١)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٣٣١).

(٤) هو «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ»، للإمام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف، قال عنه أبو حاتم بن حبان التميمي: (ما رأيت على وجه الأرض من يحفظ صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها، حتى كأن السنن كلها بين عينيه، إلا محمد بن إسحاق ابن خزيمة فقط). اهـ، وقال الإمام أبو العباس بن سريج -وذُكر له ابن خزيمة-: (يستخرج النكت من حديث رسول الله بالمنقاش) اهـ. =

وَكَلامُ أَبِي العَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ[(١)]، وَ«الرَّدُّ عَلَى الجهميَّةِ» لِجَمَاعَةٍ[(٢)]، وَقَبْلَ ذَلِكَ «السُّنَّةُ» لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ[(٣)]، و«السُّنَّةُ» لأَبِي بَكْرِ بْنِ الأَثْرَمِ[(٤)]، وَ«السُّنَّةُ» لِحَنْبَلٍ[(٥)]،

= انظر: سير الأعلام (١٤/ ٣٦٥- ٣٧٣)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٧٢٠- ٧٢٨)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٦٢، ٢٦٣).

(١) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي القاضي بشيراز، ويلقب بالباز الأشهب، صنف نحو أربعمائة مصنف، وكان أحد أئمة الشافعية، قام بنصرة المذهب، ورد على المخالفين، وتوفي ببغداد سنة ست وثلاثمائة. انظر: تاريخ بغداد (٤/ ٢٧٨)، ووفيات الأعيان (١/ ٦٦)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٧١)، والعبر (٢/ ١٣٨)، وسير أعلام النبلاء(١٤/ ٢٠١)، والبداية والنهاية (١١/ ١٢٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢١)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٤٧).

(٢) سيأتي قريبًا ذكر بعضهم.

(٣) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني، كان إمامًا خبيرًا بالحديث وعالمًا مقدمًا فيه، وكان من أروى الناس عن أبيه، وقد سمع من صغار شيوخ أبيه، وروى عنه أبو القاسم البغوي والمحاملي وأبو بكر الخلال وغيرهم، وكان ثبتًا فهمًا ثقة، ولد في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة ومائتين، وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة تسعين ومائتين، وكتابه «السنة» الذي أشار إليه شيخ الإسلام مطبوع متداول. انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٥)، وطبقات الحنابلة (١/ ١٨٠)، والعبر (٢/ ٩٢)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٠٣).

(٤) هو الحافظ الثبت الثقة أحد الأئمة المشاهير أحمد بن محمد بن هاني الطائي الأثرم، تلميذ الإمام أحمد، سمع عفان وأبا الوليد والقعنبي وأبا نعيم وخلقًا كثيرًا، وكان حافظًا صادقًا قوي الذاكرة، وله كتب مصنفة في العلل والناسخ والمنسوخ، وكان من بحور العلم، توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين كذا أرخه ابن قانع، وقيل بعد الستين ومائتين كما أرخه ابن العماد، وله من المصنفات كتاب «السنن»، و«العلل»، و»السنة»، وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام، ولم أقف عليه مطبوعًا. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٦٦)، والعبر (٢/ ٢٨)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٢٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٠٨)، وشذرات الذهب (٢/ ١٤١).

(٥) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد أبو علي الشيباني، وهو ابن عم الإمام أحمد بن محمد بن حنبل وتلميذه، ولد قبل المائتين، وتوفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين، له كتاب مصنف في التاريخ يحكي فيه عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما، وله من المصنفات: «الفتن»، و«المحنة»، و«السنة»، وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام. انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٢٨٦)، وطبقات الحنابلة (١/ ١٤٣)، والعبر (٢/ ٥٧)، وسير أعلام النبلاء(١٣/ ٥١)، وشذرات الذهب (٢/ ١٦٣).

وَلِلْمَرْوَذِيِّ(١)، وَلأَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانيِّ(٢)، وَلابْنِ أَبِي شَيْبَةَ(٣)، وَ«السُّنَّةُ» لأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ(٤)، وَكِتَابُ «الرَّدُّ عَلَى الجهميَّةِ» لِعَبْدِاللهِ بْنِ مُحَمَّدِ الْجُعْفِيِّ(٥)

---

(١) هو أحمد بن محمد بن الحجاج أبو بكر المروذي الفقيه، أحد الأعلام، وأجل أصحاب الإمام أحمد ابن حنبل، وحمل عن الإمام أحمد علمًا كثيرًا، ولزمه إلى أن مات، وصنف في الحديث والسنة والفقه، توفي في سادس جمادى الأولى سنة خمس وسبعين ومائتين، وكتاب «السنة» له مطبوع ومتداول. انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٥٦)، والعبر (٢/ ٦٠)، وسير أعلام النبلاء(١٣/ ١٧٣)، والوافي بالوفيات (٧/ ٢٥٦)، وشذرات الذهب (٢/ ١٦٦).

(٢) هو الإمام أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن يحيى بن عمران الأزدي السجستاني، صاحب السنن والتصانيف المشهورة، وأحد أئمة الحديث الرحالين إلى الآفاق في طلبه، جمع وصنف وخرج وألف وسمع الكثير عن مشايخ البلدان في الشام ومصر والجزيرة والعراق وخراسان وغير ذلك، كان مولده في سنة ثنتين ومائتين، وتوفي بالبصرة يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين عن ثلاث وسبعين سنة، ودفن إلى جانب قبر سفيان الثوري. انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٥٥)، والعبر (٢/ ٦٠)، والبداية والنهاية (١١/ ٥٤)، وشذرات الذهب (٢/ ١٦٧).

(٣) هو الإمام أحد الأعلام عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان العبسي الكوفي صاحب التصانيف الكبار، ولد سنة تسع وخمسين ومائة، وتوفي في المحرم سنة خمس وثلاثين ومائتين، قال عنه أبو زرعة: «ما رأيت أحفظ منه» اهـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٦٦)، والعبر (١/ ٤٢١)، والوافي بالوفيات (١٧/ ٢٣٧)، والشذرات (٢/ ٨٥).

(٤) هو الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني البصري الحافظ قاضي أصبهان، ولد سنة ست ومائتين، وتوفي سنة سبع وثمانين ومائتين، وله أكثر من ثلاثمائة مصنف، منها كتاب «السنة»، وهو الذي أشار إليه شيخ الإسلام، وهو مطبوع في مجلدين، بتحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني، ط. المكتب الإسلامي. انظر: تاريخ دمشق (٥/ ١٠٤)، والعبر (٢/ ٨٥)، والبداية والنهاية (١١/ ٨٤)،وشذرات الذهب (٢/ ١٩٥).

(٥) هو الإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن اليمان بن أخنس بن خنيس أبو جعفر الجعفي البخاري المسندي، قيل له المسندي لأنه كان يطلب الأحاديث المسندة ويرغب عن المقاطيع والمراسيل، وهو مولى محمد بن إسماعيل البخاري من فوق، توفي في ذي القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين وكان من أبناء التسعين. انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢)، وتاريخ بغداد (١٠/ ٦٤)، والوافي بالوفيات (١٧/ ٢٣٦)، والعبر (١/ ٤٠٥)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٥٨، ٦٥٩)، وشذرات الذهب (٢/ ٦٧)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص٢١٨).



شَيْخِ البُخَارِيِّ، وَكِتَابُ «خَلْقُ أَفْعَالِ العِبَادِ» لأَبِي عَبْدِ اللهِ البُخَارِيِّ، وَكِتَابُ «الرَّدُّ عَلَى الجهميَّةِ» لِعُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ الدَّارِمِيِّ[(١)]، وَكَلامُ عَبْدِ العَزِيزِ المَكِّيِّ[(٢)] صَاحِبِ «الْحَيْدَةُ» فِي الرَّدِّ عَلَى الجهميَّةِ، وَكَلامُ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ الخُزَاعِيِّ[(٣)]، وَكَلامُ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ[(٤)]، وَيَحْيَى بْنِ يَحْيَى

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢٠٩)، وكتابه «الرد على الجهمية» مطبوع متداول.

(٢) هو الإمام عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي، قدم بغداد في أيام المأمون، وجرت بينه وبين بشر المريسي مناظرات في القرآن، وهو صاحب كتاب (الحيدة)، وكان من أهل العلم والفضل، وله مصنفات عديدة، وكان ممن تفقه للشافعي، واشتهر بصحبته، توفي سنة أربعين ومائتين.

أما كتابه الحيدة فقد ضمنه مناظرته مع بشر المريسي، وقد أثبت نسبة الكتاب إليه غير واحد، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، ونقل منه في «درء التعارض» (ص٢٤٦ ـ ٢٥١)، وقد شرح جملًا من كلامه من (ص٢٥١– ٢٦١)، وذكره ابن النديم في الفهرست (ص٧١٤)، والخطيب في تاريخه (١٠/ ٤٤٩) وقال: (وهو صاحب كتاب الحيدة)، وكذا ذكره ابن العماد في الشذرات (٢/ ٩٥)، وابن حجر في تهذيب التهذيب (٦/ ٣٦٣). أما الذهبي فقد شكك فيه في الميزان (٤/ ٣٧٧)، ونسبه إليه في تاريخ الإسلام (ص٢٥٦) وقال: (صاحب كتاب الحيدة)، وكذا قال في العبر (١/ ٤٣٤).

(٣) هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث أبو عبد الله الخزاعي الأعور الفارض المروزي، الإمام العلامة صاحب التصانيف، كان شديد الرد على الجهمية وأهل الأهواء، قال أحمد: (كان من الثقات)، وحبس بسامر بسبب محنة القرآن حتى مات سنة ثمان وعشرين ومائتين، وأوصى أن يدفن في قيوده، وهو صاحب المقالة المشهورة: (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا وصفه به رسوله تشبيه). انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣٠٦)، وتاريخ دمشق (٦٢/ ١٤٩)، والوافي بالوفيات (٢٧/ ٩٨)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩٥)، وطبقات الحفاظ للسيوطي (ص١٨٤).

(٤) هو الإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم، المعروف بابن راهويه، ولد سنة إحدى وستين ومائة، وتوفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين، كان إمامًا مذكورًا مشهورًا من أهل مرو، سكن نيسابور، وكان متبوعًا له أقوال واختيارات، وهو من أقران الإمام أحمد بن حنبل، وقال عنه: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٥)، وتاريخ دمشق (٨/ ١١٩)، والأنساب (٣/ ٣٤)، والوافي بالوفيات (٨/ ٢٥١)، وشذرات الذهب (٢/ ٨٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٨٣).

النَّيْسَابُورِيِّ[(١)]، وَأَمْثَالِهِمْ، وَقَبْلَ هَؤُلاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ المُبَارَكِ[(٢)] وَأَمْثَالُهُ وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ.

الشَّرح

قوله: (**وَكَلامُ السَّلَفِ فِي هَذَا البَابِ مَوْجُودٌ فِي كُتُبٍ كَثِيرَةٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا إِلا قَلِيلًا مِنْهُ، مِثْلُ كِتَابِ «السُّنَنِ» لِلَّالَكَائِيِّ، وَ«الإِبَانَةِ» لابْنِ بَطَّةَ، وَ«السُّنَّةِ» لأَبِي ذَرٍّ الهَرَوِيِّ، وَ«الأُصُولِ» لأَبِي عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيِّ، وَكَلامِ أَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ البَرِّ، وَ«الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتُ» لِلْبَيْهَقِيِّ**)، لما اعتذر عن التطويل، أحال على كتب أهل السنة؛ (**مِثْلُ: كِتَابِ «السُّنَنِ» لِلَّالَكَائِيِّ**)، السنن: وهي كثيرة بهذا العنوان (السنن) كانوا يسمون كتب التوحيد كتب السنن، أو كتاب الإيمان، وألفوا كتبًا اسمها السنن كثيرة؛ (**«السُّنَنِ» لِلَّالَكَائِيِّ**) للإمام هبة الله اللالكائي، صاحب «شرح أصول أهل السنة».

وكتاب «الإِبَانَةِ» لابن بطة الحنبلي، إمام جليل.

وكتاب «السنة» لأبي ذر الهروي، أحد رواة صحيح البخاري.

وكتاب «الأصول» لأبي عمرو الطلمنكي.

---

(١) هو الإمام الحافظ يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن أبو زكريا التميمي المنقري النيسابوري، كان من سادات أهل زمانه علمًا ودينًا ونسكًا وإتقانًا، ولد سنة اثنتين وأربعين ومائة، وتوفي سنة ست وعشرين ومائتين، قال عنه ابن راهويه: (ما رأيت مثل يحيى بن يحيى، ولا أحسبه رأى مثل نفسه، ومات وهو إمام لأهل الدنيا) اهـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥١٢)، والأنساب (٥/ ٣٩٧)، وشذرات الذهب (٢/ ٥٩).

(٢) سبقت ترجمته (ص١٩٨).



وكذلك الإمام الجليل المحدث عالم الأندلس يوسف بن عبد البر، الذي له كتاب «التمهيد»، وله كتاب «الاستذكار»، وله كتب ضخمة في الفقه والحديث والعقيدة.

وكذلك الإمام المحدث البيهقي الشافعي، له كتاب «التوحيد» وكتاب «الأسماء والصفات»، وإن كان لا يخلو من بعض التأويل.

قوله: (**وَقَبْلَ ذَلِكَ «السُّنَّةُ» للطبرانِيِّ، وَلأَبِي الشَّيْخِ الأَصْبَهَانِيِّ، وَلأَبِي عَبْدِ اللهِ ابْنِ مَنْدَهْ، وَلأَبِي أَحْمَدَ العَسَّالِ الأَصْبَهَانِيِّ، وَقَبْلَ ذَلِكَ «السُّنَّةُ» لِلْخَلَّالِ، وَ«التَّوْحِيدُ» لابْنِ خُزَيْمَةَ، وَكَلامُ أَبِي العَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ، وَ«الرَّدُّ عَلَى الجهميَّةِ» لِجَمَاعَةٍ**)، والإمام المحدث أبو القاسم الطبراني.

وأبو الشيخ من أئمة الحديث له كتاب «السنة».

والإمام ابن منده له كتب في التوحيد بهذا العنوان: «التوحيد» لابن منده، و«السنة» لابن منده، وكان بيت ابن منده بيت علم.

والخلال الذي هو أبو بكر الخلال، من تلاميذ الإمام أحمد، صاحب الجامع «جامع الخلال».

وكتاب «التوحيد» للإمام محمد بن خزيمة، وهو كتاب جليل، مطبوع الآن.

و(**كَلامُ أَبِي العَبَّاسِ بْنِ سُرَيْجٍ**)، وهو من الشافعية، وكان يسمى بالشافعي الثاني؛ لغزارة علمه.

و«الردود على الجهمية» أتباع الجهم بن صفوان، رد عليهم جماعة، منهم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ رد، له كتاب مطبوع اسمه «الرد على الجهمية».

ورد البخاري على الجهمية، والإمام البخاري إمام المحدثين. والجُعفي شيخ البخاري.

وقوله: (وَقَبْلَ ذَلِكَ «السُّنَّةُ» لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ، و«السُّنَّةُ» لأَبِي بَكْرِ بْنِ الأَثْرَمِ، وَ«السُّنَّةُ» لِحَنْبَلٍ، وَلِلْمَرْوَذِيِّ، وَلأَبِي دَاوُدَ السِّجِسْتَانِيِّ، وَلابْنِ أَبِي شَيْبَةَ، وَ«السُّنَّةُ» لأَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي عَاصِمٍ)؛ كتاب «السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد، وهو مطبوع.

و«السنة» للأثرم من أصحاب الإمام أحمد.

و«السنة» لحنبل بن إسحق، ابن أخي الإمام أحمد، هو ابن أخيه وتلميذه.

و«السنة» للمروزي الشافعي، مطبوع أيضًا.

وللإمام المحدث الجليل أبي داود السجستاني صاحب السنن، وابنه ابن أبي داود له منظومة في العقيدة، تسمى «المنظومة الحائية».

وأيضًا الإمام ابن أبي شيبة صاحب المصنف.

و«السنة» لابن أبي عاصم، مطبوعة.

قوله: (وَكِتَابُ «الرَّدُّ عَلَى الجهميَّةِ» لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الجُعْفِيِّ شَيْخِ البُخَارِيِّ، وَكِتَابُ «خَلْقُ أَفْعَالِ العِبَادِ» لأَبِي عَبْدِ اللهِ البُخَارِيِّ، وَكِتَابُ «الرَّدُّ عَلَى الجهميَّةِ» لِعُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ الدَّارِمِيِّ)؛ كتاب «خَلْقُ أَفْعَالِ العِبَادِ» للبخاري، وهو موجود مطبوع.

وهذا كتاب آخر لعثمان بن سعيد، غير الرد على المريسي، كتاب آخر اسمه «الرَّدُّ عَلَى الجهميَّةِ».

قوله: (وَكَلامُ عَبْدِ العَزِيزِ المَكِّيِّ صَاحِبِ «الحَيْدَةُ» فِي الرَّدِّ عَلَى الجهميَّةِ، وَكَلامُ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ الخُزاعِيِّ، وَكَلامُ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ،

وَيَحْيَى بْنِ يَحْيَى النَّيْسَابُورِيِّ، وَأَمْثَالِهِمْ، وَقَبْلَ هَؤُلاءِ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَأَمْثَالُهُ وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ)، (**وَكَلامُ عَبْدِ العَزِيزِ المَكِّيِّ صَاحِبِ «الحَيْدَةُ» فِي الرَّدِّ عَلَى الجهميَّةِ**)، هذا الكناني، عبد العزيز المكي الكناني، ذهب إلى العراقليناظر بشر المريسي، عُقدت له مناظرة بينه وبين المريسي في مجلس المأمون، ونصر الله عبد العزيز الكناني على المريسي عند المأمون، والمناظرة مطبوعة، تُسمى بـ«الحيدة»؛ لأن المريسي حاد عن الجواب، فسُميت المناظرة بـ«الحيدة»، فهي مطبوعة، وفيها نقاش عجيب، وفيها نصر للحق.

و(**كَلامُ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ الْخُزاعِيِّ**) شيخ البخاري.

(**وَكَلامُ الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهْوَيْهِ**)، الإمام أحمد له رد على الجهمية مطبوع، وإسحاق بن راهويه -أيضًا- من المعاصرين للإمام أحمد، وهو نظيره في العلم والفقه، ويحيى بن سعيد القطان، المحدث.



وَعِنْدَنَا مِنَ الدَّلائِلِ السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ مَا لا يَتَّسِعُ هَذَا الْمَوْضِعُ لِذِكْرِهِ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهُمْ شُبُهَاتٌ مَوْجُودَةٌ، لَكِنْ لا يُمْكِنُ ذِكْرُهَا فِي الْفَتْوَى، فَمَنْ نَظَرَ فِيهَا وَأَرَادَ إِبَانَةَ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الشُّبَهِ، فَإِنَّهُ يَسِيرٌ.

وَإِذَا كَانَ أَصْلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ -مَقَالَةِ التَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ- مَأْخُوذًا عَنْ تَلامِذَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَالصَّابِئِينَ، وَالْيَهُودِ، فَكَيْفَ تَطِيبُ نَفْسُ مُؤْمِنٍ -بَلْ نَفْسُ عَاقِلٍ- أَنْ يَأْخُذَ سُبُلَ هَؤُلاءِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، وَيَدَعُ سَبِيلَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ؟!

الشَّرح

قوله: **(وَعِنْدَنَا مِنَ الدَّلائِلِ السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ مَا لَا يَتَّسِعُ هَذَا الْمَوْضِعُ لِذِكْرِهِ)**، شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: عندي من الأدلة (السَّمْعِيَّةِ)، يعني: الوحي، الذي هو الكتاب والسنة، هذا يسمى السمعي.

و(الْعَقْلِيَّةِ)، الأدلة العقلية التي هي براهين العقول، عنده من الأدلة ما لاتتسع هذه الفتوى لتسجيله.

قوله: **(وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ لَهُمْ شُبُهَاتٌ مَوْجُودَةٌ، لَكِنْ لَا يُمْكِنُ ذِكْرُهَا فِي الْفَتْوَى، فَمَنْ نَظَرَ فِيهَا وَأَرَادَ إِبَانَةَ مَا ذَكَرُوهُ مِنَ الشُّبَهِ، فَإِنَّهُ يَسِيرٌ)**، يعتذر أنه ما يذكر شبهات المتكلمين، ويرد عليها؛ لأن الفتوى ما تتحمل هذا، هي جواب عن سؤال فقط، ولكن كتبه الأخرى والمطولات فيها.

قوله: **(وَإِذَا كَانَ أَصْلُ هَذِهِ الْمَقَالَةِ -مَقَالَةِ التَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ- مَأْخُوذًا عَنْ تَلامِذَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَالصَّابِئِينَ، وَالْيَهُودِ)**؛ كما سبق أن الجهم أخذها عن الجعد،

والجعد أخذها عن أبان بن سمعان، وأبان أخذها عن طالوت، وطالوت أخذها عن لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأصل مقالة الجهمية وما تفرع عنها من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم مأخوذة عن دين المجوس ودين اليهود ودين المشركين -كما سبق-، و لم تؤخذ من الكتاب والسنة.

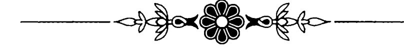
قوله: (فَكَيْفَ تَطِيبُ نَفْسُ مُؤْمِنٍ -بَلْ نَفْسُ عَاقِلٍ- أَنْ يَأْخُذَ سُبُلَ هَؤُلاءِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ)، يعني: اليهود والنصارى، فاليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون؛ كما في آخر سورة الفاتحة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾، المغضوب عليهم: هم كل من له علم ولم يعمل به، سواء من اليهود وغيرهم، والضالون: هم الذين عندهم عمل على غير دليل، يعملون على غير دليل، ويتعبدون على غير هدى، وهم المبتدعة من النصارى ومن سار على نهجهم.

فالإنسان إما أن يسير في طريق المنعم عليهم، وهم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح، وإما في طريق المغضوب عليهم، وهم العلماء الذين لايعملون بعلمهم، وإما في طريق الضالين الذين يعبدون الله على جهل، وليس عندهم علم، أخذوا العمل، وتركوا العلم، وهؤلاء في مقدمتهم النصارى والصوفية، الصوفية يزهدون في العلم، إلى الآن يقولون: (لا تتعلموا؛ العلم يشغلكم عن العبادة، تفرغوا للعبادة والذكر والتجوال والخروج، وطلب العلم سيعوقكم عن هذه الأمور)!! ويقولون: (العلم سوف يأتيك بدون أن تتعلم، سوف يُفتح على قلبك، ويأتيك علم بدون أن تتعلم)، وغلاتهم يقولون: (إننا نأخذ العلم عن الله مباشرة، ولسنا بحاجة إلى الرسول)، غلاتهم يصرحون بهذا،

والحاصل: أنهم كلهم يزهدون في العلم، ويحثون على العمل بدون علم. هذا ضلال -والعياذ بالله-، هذا هو الضلال.

قوله: (**وَيَدَعُ سَبِيلَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**)، الله ذكر هذا في آخر سورة الفاتحة: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾، ثم ذكر ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وهم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح، وهؤلاء هم الذين قال الله عنهم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٩]، فإذا كنت تريد مرافقة هؤلاء، فعليك بالعلم النافع والعمل الصالح؛ لتكون معهم، أما إن أخذت العلم، وتركت العمل، تكون مع اليهود، وإن أخذت العمل بدون علم، تكون مع النصارى؛ ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.



فَصْـلٌ

ثُمَّ القَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا البَابِ أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ، لَا يَتَجَاوَزُ القُرْآنَ وَالْحَدِيثَ.**

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1] **: (لَا يُوصَفُ اللهُ إِلا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **لَا يُتَجَاوَزُ القُرْآنُ وَالْحَدِيثُ).**

وَمَذْهَبُ السَّلَفِ: أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ، وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا وُصِفَ اللهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ لُغْزٌ وَلا أَحَاجِيٌّ، بَلْ مَعْنَاهُ يُعْرَفُ مِنْ حَيْثُ يُعْرَفُ مَقْصُودُ المُتَكَلِّمِ بِكَلامِهِ، لا سِيَّمَا إِذَا كَانَ المُتَكَلِّمُ أَعْلَمَ الخَلْقِ بِمَا يَقُولُ، وَأَفْصَحَ الخَلْقِ فِي بَيَانِ العِلْمِ، وَأَنْصَحَ الخَلْقِ فِي البَيَانِ وَالتَّعْرِيفِ وَالدَّلالَةِ وَالإِرْشَادِ.**

الشرح

انتهت المقدمة، وشرع في الجواب، وهذه المقدمة عظيمة، فيها قواعد ومعلومات، إذا فهمها طالب العلم، صار عنده حصيلة في هذا الباب، ولذلك يحثون على تعلم مقدمة الحموية، وكان طلبة العلم يحفظونها.

قوله: **(ثُمَّ القَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا البَابِ)**، لما فرغ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ من المقدمة، انتقل إلى بداية الجواب الذي سُئل عنه، وهو: ما القول في أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة؟ وضع قاعدة في هذا الأصل، فقال: الأصل

---

(١) ذكره بمعناه ابن قدامة في اللمعة (ص٩)، والذهبي في تاريخ الإسلام (ص٨٧)، وانظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣١)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٣٢).

في هذا أن ما جاء في الكتاب والسنة، فهو حق على حقيقته، نثبته لله عَزَّوَجَلَّ من غير تحريف ولاتعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

هذه هي القاعدة العظيمة في هذا الباب: ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من أسماء الله وصفاته، فإننا نثبته من غير أن نتدخل بأفكارنا وآرائنا؛ فلا نحرف كلام الله عن مواضعه، ولا نعطل أسماء الله وصفاته، ثم -أيضًا- لا نُشبه أسماء الله وصفاته بأسماء المخلوقين وصفاتهم. هذه هي القاعدة العظيمة.

وأما ما يقوله سلف هذه الأمة، فهو في الكتاب والسنة، لا يتعدون الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته، ما قاله الله ورسوله قالوا به، وما نفاه الله ورسوله نفوه، وما لم يرد في الكتاب والسنة سكتوا عنه، لم يدخلوا فيه، وهذه قاعدة أخرى.

قوله: (**ثُمَّ القَوْلُ الشَّامِلُ فِي جَمِيعِ هَذَا البَابِ**)، يعني: في الأسماء والصفات.

قوله: (**أَنْ يُوصَفَ اللهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ** صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)؛ توقيفي، أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، ولا يوصف بشيء لم يرد في الكتاب والسنة.

قوله: (**وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ لَا يَتَجَاوَزُ القُرْآنَ وَالحَدِيثَ**)، السابقون الأولون مذهبهم أنهم لا يتجاوزون القرآن والحديث في هذا الباب؛ لأنه ليس مجالًا للاجتهاد أو الآراء، وإنما هو توقيفي.

قوله: (**قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: **لَا يُوصَفُ اللهُ إِلا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ** صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **لَا يُتَجَاوَزُ القُرْآنُ وَالحَدِيثُ**)، هذا الإمام أحمد، هو من السابقين من سلف هذه الأمة، وهذه مقالته: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا يُتجاوز الكتاب والسنة.

قوله: (وَمَذْهَبُ السَّلَفِ أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلا تَعْطِيلٍ)، والتحريف معناه: أن يُغيَّر اللفظ بزيادة أو نقص[١]، وهذا يسمى التحريف اللفظي.

وهناك تحريف معنوي، وهو: أن يُفسَّر اللفظ بغير معناه الصحيح.

فالتحريف على نوعين: تحريف لفظي، وتحريف معنوي.

التحريف اللفظي: مثل قول الأشاعرة: (استوى بمعنى استولى)، فيزيدون اللام، وهذا تحريف للفظ، من جنس تحريف اليهود، لما قيل لهم: «قولوا حطة»، أي: حط عنا ذنوبنا، قالوا: (حنطة)، زادوا النون، يريدون الأكل، ولا يريدون الاستغفار -قبحهم الله-، هذا من تحريف اللفظ؛ زيادة حرف. كلام الأشاعرة من جنس نون اليهود زيادة في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهي تحريف للفظ.

وتحريف المعنى: أن يُفسر بغير معناه؛ كأن تُفسر اليد بالقدرة، والوجه بالذات، أو الرحمة بإرادة الإنعام، أو غير ذلك من التأويلات التي قالها المؤولة الذين يفسرون كلام الله بغير تفسيره، هذا تحريف في المعنى، والله جَلَّ وَعَلَا عاب على الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، وهم اليهود والنصارى[٢].

قوله: (وَلا تَعْطِيلٍ)، والتعطيل هو: النفي؛ ينفون الأسماء والصفات، والعاطل هو الخالي، يُقال: امرأة عاطل، يعني: خالية من الحُلي[٣]، فالتعطيل

---

(١) انظر: العين (٣/ ٢١١)، ومقاييس اللغة (٢/ ٤٢)، ولسان العرب (٩/ ٤٣)، ومختار الصحاح (ص٥٥).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الصواعق المرسلة (١/ ٣٥٨): (والتحريف نوعان: تحريف اللفظ: وهو تبديله، وتحريف المعنى: وهو صرف اللفظ عنه إلى غيره مع بقاء صورة اللفظ) اهـ.

(٣) انظر: العين (٢/ ٩)، وتهذيب اللغة (٢/ ٩٨)، ومقاييس اللغة (٤/ ٣٥١)، والنهاية في غريب الأثر (٣/ ٢٥٧)، ولسان العرب (١١/ ٤٥٤).

معناه: إخلاء الذات الإلهية من الأسماء والصفات، وأن تُجعل ذاتًا مجردة بدون أسماء وبدون صفات.

قوله: (وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ)، (وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ)؛ كأن يُتكلم في كيفية الأسماء والصفات، هناك من يُثبت الأسماء والصفات، لكنه يذكر أنها على كذا وكذا، يكيفها، والكيفية لا يعلمها إلا الله(١).

فنحن نقـول: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، ولا ندري عن كيفية الاستواء، ليس كاستواء المخلوق على المخلوق، فلا ندري عن كيفية الاستواء.

«يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»(٢)، نقول: ينزل، لكن كيف ينزل؟ الله أعلم، ليس كنزول المخلوق، وإنما هو نزول يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو أعلم به، فالكيفية نفوضها إلى الله، ولا ندخل فيها.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ نقول نثبت المجيء، لكن كيف يجيء؟ الكيفية مجهولة، نثبت أن الله يجيء؛ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، ويأتي؛ ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾، لكن كيفية الإتيان وكيفية المجيء لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. هذا هو التكييف.

والتمثيل: كأن يقول لله وجه كوجه المخلوق أو يد كيد المخلوق -تعالى الله-، أو ما أشبه ذلك، فيُشبه صفات الله بصفات المخلوق. وهذا -أيضًا- باطل؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا لا يُشبه أحدًا من خلقه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، هذا رد على الممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، هذا رد على المعطلة، أثبت لنفسه السمع والبصر، هذا رد على المعطلة، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ هذا رد على الممثلة.

---

(١) قال شيخ الإسلام في درء التعارض (٥/ ٢٣٥): (وأما الكيف فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، وهو المجهول لنا) اهـ.

(٢) سبق تخريجه (ص١٨١).



قوله: (وَنَعْلَمُ أَنَّ مَا وُصِفَ اللهُ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ حقٌّ لَيْسَ فِيهِ لُغْزٌ وَلا أَحَاجِيٌّ)، ونعلم أن ما وصف الله به نفسه أنه على حقيقته وعلى ظاهره وعلى معناه المعلوم، ولا نقول: إنه مفوض إلى الله، ولا يعلم معناه إلا الله -كما تقوله المفوضة-، هناك من يقول: (يثبت الأسماء والصفات، يثبت ألفاظها، ويفوض معناها إلى الله)، هذا غلط؛ لأن هذا معناه: أن الله أنزل علينا شيئًا لا نعلم معناه، فيكون هذا من الأحاجي والألغاز التي لا تُعرف، والله جَلَّوَعَلَا أمرنا بتدبر القرآن كله ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، فلولا أن القرآن كله يُفهم معناه، لما أمرنا الله بتدبره، كيف يأمرنا بتدبر شيء لا يُعرف معناه؟ هذا محال. فالمعنى معلوم، ولكن الكيف مجهول؛ ولهذا يقول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإِسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»(١)، يعني: السؤال عن الكيف بدعة، فالمعنى معلوم، لا كما يقوله المفوضة، المعنى معلوم، وأما الكيف، فإنه مجهول.

قوله: (فَهُوَ حقٌّ لَيْسَ فِيهِ لُغْزٌ وَلا أَحَاجِيٌّ)، هذا رد على المفوضة.

قوله: (بَلْ مَعْنَاهُ يُعْرَفُ مِنْ حَيْثُ يُعْرَفُ مَقْصُودُ الْمُتَكَلِّمِ بِكَلامِهِ)، بل معناه معروف، والله أنزله علينا لأجل أن نتدبره ونتعلم معانيه ونعمل به، كيف نعمل بشيء ونحن لا نعرف معناه؟! هذا محال.

قوله: (لا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْمُتَكَلِّمُ أَعْلَمَ الخَلْقِ بِمَا يَقُولُ، وَأَفْصَحَ الخَلْقِ فِي بَيَانِ العِلْمِ، وَأَنْصَحَ الخَلْقِ فِي البَيَانِ وَالتَّعْرِيفِ وَالدَّلالَةِ وَالإِرْشَادِ)، هذه أوصاف الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أوصاف:

---

(١) أخرجه اللَّالَكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤، ٣٠٥)، وفي الاعتقاد (ص١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٠)، وفي العلو (ص١٣٩).

أولًا: أنه أعلم الخلق بما علمه الله عَزَّوَجَلَّ.

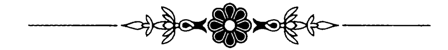
ثانيًا: أنه أفصح الخلق لغة.

ثالثًا: أنه أنصح الخلق، ليس عنده غش ولا خداع.

ثلاث صفات: العلم، والفصاحة، والنصح، كلها في الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد تكلم بهذه الصفات، دل على أنها حق، لا يتكلم بشيء لا يفهم معناه، ولا يتكلم بشيء لا يعلمه، هذا لا يليق بآحاد الناس أن يتكلموا في حق الله بشيء لا يعلمونه؛ ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٩]، فلا يتكلم عن الله بشيء إلا يعلمه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ثانيًا: أنه ليس عنده عجز وعي عن الكلام، ما يستطيع أن يفصح ويبين، بل أعطاه الله الفصاحة التي ليس فوقها فصاحة صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو من قريش، من صميم العرب، أفصح العرب لغة، ما عنده عجمة، أو عنده عجز عن الكلام كالأبكم.

ثالثًا: أنه ناصح صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ناصح أمين لا يكتم شيئًا، الناصح يعلم، يبين، لايكتم شيئًا عن الناس، ولا يعلمهم شيئًا على خلاف الواقع، على خلاف الصحيح؛ لأن هذا غش للبشرية، فإذا كان كذلك، فإن ما جاء به صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كله حق، ولاسيما في الأسماء والصفات؛ إنها حق على حقيقتها.





وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ؛ لا في نَفْسِهِ المُقَدَّسَةِ المَذْكُورَةِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلا في أَفْعَالِهِ، فَكَمَا يُتَيَقَّنُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَهُ ذَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَلَهُ أَفْعَالٌ حَقِيقِيَّةٌ، فَكَذَلِكَ لَهُ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَهُوَ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ؛ لا في ذَاتِهِ، وَلا في صِفَاتِهِ، وَلا في أَفْعَالِهِ، وَكُلُّ مَا أَوْجَبَ نَقْصًا أَوْ حُدُوثًا، فَإِنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ حَقِيقَةً، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْكَمَالِ الَّذِي لا غَايَةَ فَوْقَهُ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الحُدُوثُ لامْتِنَاعِ العَدَمِ عَلَيْهِ، وَاسْتِلْزَامُ الحُدُوثِ سَابِقَه العَدَمِ، وَلافْتِقَارِ المُحْدَثِ إِلَى مُحْدِثٍ، وَلِوُجُوبِ وَجُودِهِ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الشَّرح

قوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَ ذَلِكَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، هو سبحانه مع أن له أسماء وصفات ليس كمثله شيء، المخلوقون لهم أسماء وصفات، والله جَلَّ وَعَلَا له أسماء وصفات، لكن لا تشابه بين هذا وهذا؛ كما أن نفسه -يعني: ذات الرب سبحانه- لاتشبه ذوات المخلوقين، فكذلك أسماؤه وصفاته لا تشبه أسماء وصفات المخلوقين؛ لأن الأسماء والصفات تتبع الذات، فكما أن ذاته لا يعلمها إلا الله، فكذلك أسماؤه لا يعلم كيفيتها إلا الله جَلَّ وَعَلَا؛ الكلام في الأسماء والصفات مثل الكلام في الذات.

وكلمة الذات هذه لم ترد في الكتاب والسنة، لكن الذي ورد في الكتاب والسنة النفس؛ ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨]، أثبت له النفس، ولكن الذات تعبير عن النفس، لا بأس أن يقال: «ذات الله»؛ لأنه بمعنى النفس، وإلا فالأصل الذي ورد هو النفس.

قوله: (لَا فِي نَفْسِهِ المُقَدَّسَةِ)، جاء باللفظ الوارد، ثم أردفه بالذات؛ لأن الذات بمعنى النفس.

قوله: (المذْكورَة بِأَسْمَائِه وصفَاتِه، وَلَا فِي أفْعَالِه)، الله جَلَّ وَعَلَا له أسماء وصفات، وله أفعال؛ الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، هذه أفعال، النزول والمجيء والاستواء، هذه أفعال كلها لله عَزَّ وَجَلَّ، نثبتها.

المخلوق له أفعال، لكن لا تشابه بين أفعال الله وأفعال المخلوق، الله ينزل والمخلوق ينزل من شيء إلى شيء، وليس النزول كالنزول، الله استوى على العرش، والله قال: ﴿ لِتَسْتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ﴾، ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾، أثبت للمخلوق استواء، ولكن ليس معنى الاستواء كالاستواء، ليس استواء الرب كاستواء المخلوق.

قوله: (فَكَمَا يُتَيَقَّنُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَهُ ذَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَلَهُ أَفْعَالٌ حَقِيقِيَّةٌ، فَكَذَلِكَ لَهُ صِفَاتٌ حَقِيقِيَّةٌ، وَهُوَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ وَلا فِي صِفَاتِهِ، وَلا فِي أَفْعَالِهِ)، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لَا فِي ذَاتِهِ)، هذا بالإجماع أن ذاته لا يشبهها شيء، (وَلا فِي أَفْعَالِهِ)، كذلك هذا بالإجماع أن أفعال الله لا أحد يستطيع أن يخلق، ولا أحد يستطيع أن يرزق، وأن ينزل المطر، ما أحد يستطيع، هذه أفعال الله جَلَّ وَعَلَا، لاأحد يفعلها، كذلك أسماؤه وصفاته.

قوله: (وَكُلُّ مَا أَوْجَبَ نَقْصًا أَوْ حُدُوثًا فَإِنَّ اللهَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ حَقِيقَةً)، (وَكُلُّ مَا أَوْجَبَ نَقْصًا)، فإن الله منزه عن النقص، له الكمال المطلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أو أوجب (حُدُوثًا)، الشيء الذي حدث بعد أن لم يكن، هذا لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه وصفاته قديم أزلي، أول ليس قبله شيء؛ لأن الحادث يستوجب أمرين:



أولًا: يستوجب أنه مسبوق بعدم، لا يُقال: حادث، إلا إذا كان مسبوقًا بعدم.

ثانيًا: أن الحادث لابد له من مُحدِث، والفعل لابد له من فاعل. والله منزه عن هذا، منزه عن الحدوث في ذاته وأسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْكَمَالِ الَّذِي لَا غَايَةَ فَوْقَهُ)، ولهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا﴾، أي: شبيهًا، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، ليس له مماثل ولا شبيه، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، أي: ليس له من يستحق اسمه على الحقيقة، وإن كان اللفظ يتفق بين الخالق والمخلوق، لكن المعنى يختلف، لاأحد يسامي الله ويشابه الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾ هذا نفي، قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ﴾ يعني: لاتعلم ﴿لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: مشابهًا.

قوله: (وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ لامْتِنَاعِ الْعَدَمِ عَلَيْهِ)، يمتنع الحدوث لامتناع العدم؛ لأن كل حدوث مسبوق بعدم، فينزه الله عن الحدوث في ذاته أو في أسمائه وصفاته.

قوله: (وَاسْتِلْزَامُ الْحُدُوثِ سَابِقَهُ الْعَدَمِ)، كل حادث فإنه لابد أنه مسبوق بعدم، وإلا لم يُقل: هذا حادث.

قوله: (وَلافْتِقَارِ الْمُحْدَثِ إِلَى مُحْدِثٍ)، وهذا المانع الثاني: أن المُحْدَث يحتاج إلى مُحْدِث، والخلق يحتاج إلى خالق، والفعل يحتاج إلى فاعل، وهذا يُنزه الله عنه جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (وَلِوُجُوبِ وَجُودِهِ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ)، بدون أن يوجده أحد، هو الذي أوجد الخلائق، وهو الأول ليس قبله شيء، لم يوجده أحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، نزه نفسه عن الولد والوالد؛ لأن الولد حادث بعد أن لم يكن.

وَمَذْهَبُ السَّلَفِ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَبَيْنَ التَّمْثِيلِ؛ فَلا يُمَثِّلُون صِفَاتِ اللّٰهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، كَمَا لا يُمَثِّلُونَ ذَاتَهُ بِذَاتِ خَلْقِهِ.

وَلا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، فَيُعَطِّلُونَ أَسْمَاءَهُ الحُسْنَى وَصَفَاتِهِ العُلى، وَيُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللّٰهِ وَآيَاتِهِ.

الشَّرح

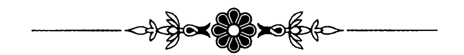
قوله: (**وَمَذْهَبُ السَّلَفِ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَبَيْنَ التَّمْثِيلِ**)، مذهب السلف وسط بين التعطيل -الذي هو مذهب النفاة من الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة، ينفون الأسماء والصفات- وبين الممثلة الذين يغلون في الإثبات، ويشبهون صفات الله بصفات خلقه، فالمعطلة غلوا في التنزيه، والمشبهة غلوا في الإثبات، وأما أهل السنة، فتوسطوا، فأثبتوا لله أسماء وصفات؛ خلافًا للمعطلة، ونفوا عنه المشابهة؛ خلافًا للممثلة والمشبهة، فهم وسط -ولله الحمد-، سلموا من الآفتين؛ من التعطيل، ومن التمثيل. هذه القاعدة في مذهب السلف أنه دائمًا مذهب الاعتدال بين طوائف الضلال؛ ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، فكما أن الأمة وسط بين الأمم، فأهل السنة وسط بين الفرق الضالة.

قوله: (**فَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِ اللهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ، كَمَا لَا يُمَثِّلُونَ ذَاتَهُ بِذَاتِ خَلْقِهِ، وَلا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ**)، (**لَا يُمَثِّلُونَ ذَاتَهُ بِذَاتِ خَلْقِهِ**)؛ خلافًا للممثلة والمشبهة، فتشبيه المخلوق بالخالق نقص في حق الله جَلَّ وَعَلَا، ولا ينفون عنه أسماءه وصفاته؛ خلافًا للمعطلة.

قوله: (فَيُعَطِّلُونَ أَسْمَاءَهُ الحُسْنَى وَصَفَاتِهِ العُلى)، الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى، وما وصف به ربه، فهو حق يجب قبوله واعتقاده؛ ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾، فأحاديث الرسول ﷺ في الأسماء والصفات حق، يجب إثباتها كما يجب إثبات ما في القرآن؛ لأن السنة وحي من الله عَزَّوَجَلَّ، فهي حق.

قوله: (وَيُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ)، يحرفون الكلم عن مواضعه كالمعطلة الذين يؤولون، والتحريف -كما سبق- تحريف للّفظ، أو تحريف للمعنى.

قوله: (وَيُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ)، والإلحاد هو: الميل عن الحق، ومنه سمي اللحد في القبر؛ لأنه مائل عن سمت القبر، فالإلحاد في اللغة الميل[1]، والمراد به هنا: الميل عن الحق، الله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، يلحدون فيها إما بالتعطيل والتحريف، وإما بالتكييف والتنزيل، هذا إلحاد، والحق إثباتها كما جاءت على ما دلت عليه.



(١) انظر: النهاية في غريب الأثر (٤/ ٢٣٦)، ولسان العرب (٣/ ٣٨٩)، ومختار الصحاح (ص٢٤٧).

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ فَرِيقَي التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ فَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ.

أَمَّا المُعَطِّلُونَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ إلا مَا هُوَ اللائِقُ بِالمَخْلُوقِ، ثُمَّ شَرَعُوا فِي نَفْيِ تِلْكَ المَفْهُومَاتِ، فَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَ التَّمْثِيلِ وَالتَّعْطِيلِ؛ مَثَّلُوا أَوَّلًا، وَعَطَّلُوا آخِرًا، وَهَذَا تَشْبِيهٌ وَتَمْثِيلٌ مِنْهُمْ لِلْمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِالمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَاءِ خَلْقِهِ وَصِفَاتِهِمْ، وَتَعْطِيلٌ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ هُوَ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ القَائِلُ: لَوْ كَانَ اللهُ فَوْقَ العَرْشِ، لَلَزِمَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنَ العَرْشِ، أَوْ أَصْغَرَ أَوْ مُسَاوِيًا، وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الكَلامِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ كَوْنِ اللهِ عَلَى العَرْشِ إِلّا مَا يَثْبُتُ لأَيِّ جِسْمٍ كَانَ عَلَى أَيِّ جِسْمٍ كَانَ، وَهَذَا اللازِمُ تَابِعٌ لِهَذَا المَفْهُومِ.

أَمَّا اسْتِوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلالِ اللهِ وَيَخْتَصُّ بِهِ، فَلا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ مِنَ اللَّوَازِمِ البَاطِلَةِ الَّتِي يَجِبُ نَفْيُهَا.

وَصَارَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ المُمَثِّلِ: إِذَا كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعٌ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ جَوْهَرًا، أَوْ عَرَضًا، وَكِلاهُمَا مُحَالٌ: إِذْ لا يُعْقَلُ مَوْجُودٌ إِلّا هَذَانِ.

أَوْ قَوْلِهِ: إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى العَرْشِ، فَهُوَ مُمَاثِلٌ لاسْتِوَاءِ الإِنْسَانِ عَلَى السَّرِيرِ أَوِ الفُلْكِ؛ إِذْ لا يُعْلَمُ الاسْتِوَاءُ إلا هَكَذَا. فَإِنَّ كِلَيْهِمَا مَثَّلَ، وَكِلَيْهِمَا عَطَّلَ حَقِيقَةَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ، وَامْتَازَ الأَوَّلُ بِتَعْطِيلِ كُلِّ مُسَمًّى لِلاسْتِوَاءِ الحَقِيقِيِّ، وَامْتَازَ الثَّانِي بِإِثْبَاتِ اسْتِوَاءٍ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ المَخْلُوقِينَ.



الشـرح

قوله: (وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ فَرِيقَيِ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ فَهُوَ جَامِعٌ بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ)، المعطلة ممثلة، جمعوا بين التعطيل والتمثيل؛ لأنهم ما عطلوا إلا لما مثلوا، لم يفهموا من صفات الله إلا ما هو مثل صفات المخلوقين؛ فلذلك نفوها بحجة التنزيه، فهم مثلوا أولًا، ثم عطلوا ثانيًا.

الممثلة كذلك؛ مثلوا أولًا، ثم عطلوا ثانيًا، عطلوا الله عن كماله ووصفوه بالنقص وأن صفاته مثل صفات المخلوقين، فالممثلة عطلوا الكمال عن الله جَلَّوَعَلَا، والمعطلة عطلوا الأسماء والصفات، فنفوها. وكل من الفريقين معطل وممثل.

قوله: (أَمَّا المُعَطِّلُونَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ إِلا مَا هُوَ اللائِقُ بِالمَخْلُوقِ، ثُمَّ شَرَعُوا فِي نَفْيِ تِلْكَ المَفْهُومَاتِ)، جمعوا بين التمثيل ثم التعطيل، فتعطيلهم مبني على التمثيل؛ حيث لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو في المخلوقين، هذا تعطيل.

قوله: (فَقَدْ جَمَعُوا بَيْنَ التَّمْثِيلِ وَالتَّعْطِيلِ، مَثَّلُوا أَوَّلًا، وَعَطَّلُوا آخِرًا، وَهَذَا تَشْبِيهٌ وَتَمْثِيلٌ مِنْهُمْ لِلْمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ بِالمَفْهُومِ مِنْ أَسْمَاءِ خَلْقِهِ وَصِفَاتِهِمْ)، وهذا الباطل ما يترتب عليه إلا باطل، الباطل ما بُني عليه فهو باطل.

قوله: (وَتَعْطِيلٌ لِمَا يَسْتَحِقُّهُ هُوَ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ اللَّائِقَةِ بِاللهِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ القَائِلُ: لَوْ كَانَ اللهُ فَوْقَ العَرْشِ لَلَزِمَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَكْبَرَ مِنَ العَرْشِ، أَوْ أَصْغَرَ أَوْ مُسَاوِيًا، وَكُلُّ ذَلِكَ مُحَالٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الكَلَامِ)، هذه شبهة المعطلة، يقولون: (إذا قلنا: استوى على العرش، والعرش مخلوق، فإما أن يكون الله

مثل العرش في الحجم، أو أنه أكبر من العرش، أو أصغر من العرش)، تعالى الله عما يقولون! هذا في المخلوق، المخلوق إذا صار فوق المخلوق، فلا يخلو إما أن يكون مثله أو أكبر منه أو أصغر منه، هذا في المخلوق، أما الخالق، فلا يلزم عليه هذا، ما يلزم على الخالق هذه اللوازم الباطلة.

قوله: (**فَإِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ كَوْنِ اللهِ عَلَى العَرْشِ إِلَّا مَا يَثْبُتُ لأَيِّ جِسْمٍ كَانَ عَلَى أَيِّ جِسْمٍ كَانَ**)، ما فهم من كون الله على العرش إلا ما فهم من كون المخلوق فوق المخلوق، فهو شبه الله بالمخلوق، ثم نفى وعطل. هذا توضيح ومثال لكون المعطلة مشبهة، والسبب أنهم قاسوا الخالق على المخلوق.

وكذلك إذا كان المخلوق على المخلوق، فالمخلوق محتاج، كونك على السطح مثلًا أنت محتاج للسطح، أو على الدابة أو على السفينة أنت محتاج لما يحملك، محتاج لشيء يحملك، الله جَلَّوَعَلَا غني عن العرش، وغني عن المخلوقات، فليس معنى كونه استوى على العرش أنه محتاج إلى العرش، بل العكس العرش هو المحتاج إلى الله جَلَّوَعَلَا؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١]، (إن) نافية، يعني: ما أمسكهما أحد، إذا لم يمسكهما الله، فلن يستطيع أحد أن يمسكهما، فالله هو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، وليست السماوات هي التي تمسك الله جَلَّوَعَلَا، فليس الله محتاجًا إلى العرش ولا إلى السماوات، بل هي المحتاجة إليه.

فهم لم يفهموا قدر الله ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧]، إذا كانت الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة، فالذي يمثل الله بالمخلوق هذا جاهل وضال.

قوله: (وَهَذَا اللازِمُ تَابِعٌ لِهَذَا المَفْهُومِ، أَمَّا اسْتِوَاءٌ يَلِيقُ بِجَلالِ اللهِ وَيَخْتَصُّ بِهِ، فَلا يَلْزَمُهُ شَيْءٌ مِنَ اللَّوَازِمِ البَاطِلَةِ الَّتِي يَجِبُ نَفْيُهَا)، نقول: هذه اللوازم باطلة، هذه في حق المخلوق، ولا تلزم أن تكون في حق الخالق، الخالق ليس بحاجة إلى المخلوق أبدًا، وليس معنى قوله: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ أنه محتاج إلى العرش، والذي يفهم من كونه في السماء أن السماء تقله سبحانه، أو تظله سبحانه -كما قال الشيخ في العقيدة الواسطية[1]-،فهذا قول باطل بإجماع أهل العلم والدين؛ لأن السماء لا تقله سبحانه؛ لأنه ليس بحاجة إليها، ولا تظله، لا يستظل بها مثلما نستظل تحت الشجر وتحت الصخور -تعالى الله عن ذلك-، الله ليس فيه شيء من خلقه. هذا مذهب الحلولية، إذا ظن أنها تظله، هذا مذهب الحلولية الكفار.

إذا قلت: (استوى على العرش استواء يليق بجلاله)، بطلت هذه اللوازم، فاستواؤه يليق بجلاله، وليس كاستواء المخلوق على المخلوق.

قوله: (وَصَارَ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ المُمَثِّلِ: إِذَا كَانَ لِلْعَالَمِ صَانِعٌ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ جَوْهَرًا، أَوْ عَرَضًا)، الجوهر: هو الذي يقوم بنفسه، والعرَض: هو الذي لا يقوم بنفسه[2]، مثل: الألوان والروائح، هذه أعراض لا تقوم بنفسها، لابد أن تقوم بغيرها، أما الجوهر، فهو الشيء الذي يقوم بنفسه. والله جَلَّوَعَلَا منزه عن هذا، فلا يُقال: جوهر ولا عرض؛ لأن هذا لم يرد في الكتاب والسنة، هذا عند علماء الكلام، ليست من كلام الله ولا كلام رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فنحن نسكت عنها.

---

(١) انظر: العقيد الواسطية (ص١٣٢) بشرح فضيلة شيخنا العلامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى.

(٢) انظر: الحدود الأنيقة (ص٧١)، قال: «الجوهر: ما يقبل التحيز، والعرض ما لا يقوم بذاته بل بغيره»، وغاية المرام للآمدي (ص١٧٩)، ومقالات الإسلاميين للأشعري (ص٣٠١)، والجواب الصحيح (٥/ ٦).

قوله: (وَكِلاهُمَا مُحَالٌ: إِذْ لَا يُعْقَلُ مَوْجُودٌ إِلّا هَذَانِ)، هذا في ذهنه، لا يعقل موجود إما يكون جوهرًا أو عرضًا، هذا في أذهانهم، وهذا في المخلوق، المخلوق لابد إما أن يكون جوهرًا، وإما أن يكون عرضًا، أما الخالق، فلا يلزم في حقه هذا جَلَّوَعَلَا.

فهم دائمًا يقيسون الخالق على المخلوق، فلذلك ضلوا، ولو أنهم ذهبوا مذهب أهل السنة، وقالوا: (ما يلزم من صفات الخالق ما يلزم لصفات المخلوقين)، لسلموا من هذا كله، لو أخذوا بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، لسلموا من هذا، ولكن هذا التكلف والجهل والقول على الله بلا علم.

نحن لانتعدى ما في الكتاب والسنة، بل نثبته على حقيقته، ولا نقول: يلزم عليه كذا وكذا.

وقوله: (أَوْ قَوْلِهِ: إِذَا كَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى العَرْشِ فَهُوَ مُمَاثِلٌ لاسْتِوَاءِ الإِنْسَانِ عَلَى السَّرِيرِ أَو الفَلَكِ)، هذا من تأويلهم الباطل، يقولون: (لو أثبتنا الاستواء، للزم أن الله محتاج إلى العرش مثلما يحتاج الإنسان إلى السرير ينام عليه أو يجلس عليه، أو الكرسي، أو السطح، أو السفينة، أو الدابة، المخلوق محتاج إلى هذه الأشياء، لكن الخالق هذه الأشياء هي المحتاجة إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، أما الله، فغني عنها وعن غيرها، فكيف تقيسون المحتاج بالذات إلى الغني بالذات؟ هذا غلط.

قوله: (إِذْ لَا يُعْلَمُ الاسْتِوَاءُ إِلا هَكَذَا)، وبناء على ذلك نفوا الاستواء عن الله؛ لأنهم ما فهموا منه إلا مثل استواء المخلوق على المخلوق، فنفوه -بزعمهم- تنزيهًا لله. نقول: فهمكم هذا غلط من أصله؛ لأنه ليس بلازم، ولم تعرفوا حق الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولم تقدروا الله حق قدره، إلا أنكم جعلتموه مثل المخلوق -تعالى الله عن ذلك!

قوله: **(فَإِنَّ كِلَيْهِمَا مَثَّلَ، وَكِلَيْهِمَا عَطَّلَ حَقِيقَةَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ)**، كما سبق أن المعطلة ممثلة، والممثلة معطلة، كل منهما جمع بين الوصفين الذميمين.

قوله: **(وَامْتَازَ الأَوَّلُ بِتَعْطِيلِ كُلِّ مُسَمًّى للاسْتِوَاءِ الحَقِيقِيِّ، وَامْتَازَ الثَّانِي بِإِثْبَاتِ اسْتِوَاءٍ هُوَ مِنْ خَصَائِصِ المَخْلُوقِينَ)**، يعني: المعطلة اختلفوا عن الممثلة؛ المعطلة نفوا، والممثلة أثبتوا، وغلوا في الإثبات، وأولئك نفوا، وغلوا في التنزيه، والوسط هو الخير، لا إفراط ولا تفريط. ننزه الله، لكن لا ننفي عنه أسماءه وصفاته، ولا نمثلها بصفات المخلوقين.



وَالْقَوْلُ الفَاصِلُ: هُوَ مَا عَلَيْهِ الأُمَّةُ الوَسَطُ: مِنْ أَنَّ اللهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلالِهِ، وَيَخْتَصُّ بِهِ، فَكَمَا أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَلا يَجُوزُ أَنْ يَثْبُتَ لِلْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ خَصَائِصُ الأَعْرَاضِ الَّتِي كَعِلْمِ المَخْلُوقِينَ وَقُدْرَتِهِمْ، فَكَذَلِكَ هُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ، وَلا يَثْبُتُ لِفَوْقِيَّتِهِ خَصَائِصُ فَوْقِيَّةِ المَخْلُوقِ عَلَى المَخْلُوقِ وَمَلْزُومَاتِهَا.

الشَّرْح

قوله: (**وَالْقَوْلُ الفَاصِلُ: هُوَ مَا عَلَيْهِ الأُمَّةُ الوَسَطُ**)؛ أهل السنة والجماعة، وهو التوقف على الكتاب والسنة من غير تدخل بالأفكار والعقول، بل نثبت ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما جاء في النصوص، وحسب معناه في اللغة التي نزل بها، ولا نتدخل فيما وراء ذلك؛ لأن هذا من علم الغيب الذي لايعلمه إلا الله؛ ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾، هل أحد يحيط بالله علمًا؟ لا أحد يحيط بالله أو بأسمائه وصفاته علمًا، لا يحيط به إلا هو سبحانه.

قوله: (**مِنْ أَنَّ اللهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلالِهِ وَيَخْتَصُّ بِهِ**)، هذا هو (يختص به)، فليس كاستواء المخلوق على المخلوق، بل هو مخالف لاستواء المخلوق على المخلوق من كل وجه.

قوله: (**فَكَمَا أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَنَحْوُ ذَلِكَ**)، كما أنه موصوف بالعلم والقدرة والإرادة والمشيئة، فهو موصوف بالاستواء والنزول والعلو؛ لأن هذا كله جاء من باب واحد، فنحن لا نفرق بين أسماء الله وصفاته، فننفي بعضها ونثبت بعضها؛ لأن الباب واحد.

ونطرد عن أفهامنا اللوازم الباطلة التي حملت أهلها على الضلال، ونُسلم لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونتوقف، ولا نتدخل في شيء إلا عن دليل واضح، عندنا فيه من الله علم وبرهان، لا نكلف أنفسنا ونتكلف ونكد أذهاننا بشيء لن نصل فيه إلى حقيقة أبدًا؛ لأننا حملنا العقول ما لا تتحمل.

الله بكل شيء عليم، المخلوق عنده علم، يعلم، لكن هل المخلوق بكل شيء عليم؟ أنت تعلم كل شيء؟ والله ما تعلم إلا الذي معك أو في جيبك، بل يمكن أن تكون لا تدري عن الذي في جيبك، نفسك التي بين جانبيك ما تعرفها، عندك نوع من العلم، لكنه قاصر، أما عند اللهن فهو شامل، بكل شيء عليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكيف تشبه علم المخلوق بعلم الخالق؟

أنت عندك قدرة، لكنها محدودة، هل تقدر على كل شيء؟ لا. الله جَلَّ وَعَلَا على كل شيء قدير، ففيه فرق، العبد له قدرة، والخالق له قدرة، لكن قدرة العبد محدودة وضعيفة وحادثة بعد أن لم تكن، وأما قدرة الله جَلَّ وَعَلَا، فهي لا يحيط بها أحد إلا الله جَلَّ وَعَلَا؛ ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، لايعجزه شيء سبحانه، أما أنت تعجز عن أشياء كثيرة، وأنت عندك قدرة محدودة.

فالذي يقيس الخالق بالمخلوق ضل ضلالًا بعيدًا، ولم يقدر الله حق قدره، فلاتتصور من صفات الخالق ما تتصوره من صفات المخلوق؛ لأن بينهما فرقًا عظيمًا، اجعل هذا نصب عينيك، تسلم من هذه الوساوس، اجعل نصب عينيك أن تثبت ما أثبته الله أو أثبته الرسول لله عَزَّوَجَلَّ، واجعل نصب عينيك أن ما أثبته الله أو أثبته الرسول لا يُشبه صفات المخلوقين، وتستريح، إذا حكَّمت هذه القاعدة، استرحت، وهذه مأخوذة من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، قاعدة عظيمة، هذه في جميع الأسماء والصفات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في أسمائه وصفاته، ولا في ذاته، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

المخلوق له سمع وبصر؛ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢]، المخلوق سميع بصير، والله سميع بصير، فهل يتساوى هذا مع هذا أو يتشابه هذا مع هذا؟ لا. اعلم هذا، وبعد ذلك تستريح من آفات كثيرة وقع فيها هؤلاء الضلال.

وهذا مذهب السلف الصالح والأئمة الذين اتبعوهم بإحسان، أخذوا مذهب الحق، وتركوا مذاهب الباطل، ولم يكلفوا أنفسهم وأذهانهم وأفكارهم شيئًا لن يصلوا من ورائه إلى نتيجة، وإنما يصلون إلى الضلال -نسأل الله العافية!

قوله: (وَلا يَجُوزُ أَنْ يَثْبُتَ لِلْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ خَصَائِصُ الأَعْرَاضِ الَّتِي كَعِلْمِ المَخْلُوقِينَ وَقُدْرَتِهِمْ)، نعم، لا تجعل علم الخالق كعلم المخلوق، ولا قدرة الخالق كقدرة المخلوق، بل قدرة الخالق تختص به، وعلمه يختص به، وكذلك المخلوق له قدرة وعلم وصفات تختص به، المخلوق الضعيف.

قوله: (فَكَذَلِكَ هُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ العَرْشِ وَلا يَثْبُتُ لِفَوْقِيَّتِهِ خَصَائِصُ فَوْقِيَّةِ المَخْلُوقِ عَلَى المَخْلُوقِ وَمَلْزُومَاتِهَا)، ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، واستوى على العرش يقتضي الفوقية؛ أنه فوق العرش؛ لأن (على) تدل على الفوقية، فقوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يعني: فوق العرش. هل كونه فوق العرش مثل كون المخلوق فوق السرير، أو فوق السطح؟ لا. المخلوق ضعيف، والمخلوق محتاج إلى ما تحته ليحمله، المخلوق حادث بعد أن لم يكن، المخلوق يموت ويفنى، فلا تقس الله جَلَّ وَعَلَا بخلقه أبدًا، فاستواؤه وعلمه وقدرته ووجهه وذاته وأسماؤه وصفاته خاصة به لائقة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا تشابه بينها وبين صفات وأسماء المخلوقين أبدًا.

وَاعْلَمْ أنْ لَيْسَ فِي العَقْلِ الصَّرِيحِ، وَلا فِي النَّقْلِ الصَّحِيحِ مَا يُوجِبُ مُخَالَفَةَ الطَّرِيقَةِ السَّلَفِيَّةِ أَصْلًا، لَكِنَّ هَذَا المَوْضِعَ لا يَتَّسِعُ لِلْجَوَابِ عَنِ الشُّبُهَاتِ الوَارِدَةِ عَلَى الحَقِّ، فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ شُبْهَةٌ وَأَحَبَّ حَلَّهَا، فَذَلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ.

ثُمَّ المُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَسَلَفِ الأُمَّةِ- مِنَ المُتَأَوِّلِينَ لِهَذَا البَابِ- فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ، فَإِنَّ مَنْ يُنْكِرُ الرُّؤْيَةَ، يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ يُحِيلُهَا، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ فِيهَا إِلَى التَّأْوِيلِ، وَمَنْ يُحِيلُ أَنَّ للهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً، وَأَنْ يَكُونَ كَلامُهُ غَيْرَ مَخْلُوقٍ وَنَحْوَ ذَلِكَ يَقُولُ: إِنَّ العَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ، فَاضْطُرَّ إِلَى التَّأْوِيلِ، بَلْ مَنْ يُنْكِرُ حَقِيقَةَ حَشْرِ الأَجْسَادِ، وَالأَكْلَ وَالشُّرْبَ الحَقِيقِيَّ فِي الجَنَّةِ يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى التَّأْوِيلِ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى التَّأْوِيلِ.

الشَّرْح

قوله: (وَاعْلَمْ أَنْ لَيْسَ فِي العَقْلِ الصَّرِيحِ، وَلا فِي النَّقْلِ الصَّحِيحِ مَا يُوجِبُ مُخَالَفَةَ الطَّرِيقَةِ السَّلَفِيَّةِ أَصْلًا) (لَيْسَ فِي العَقْلِ الصَّرِيحِ)، العقل السالم من الشكوك والأوهام، (وَلا فِي النَّقْلِ الصَّحِيحِ)، الذي جاء به القرآن أو السنة الصحيحة، ليس فيها ما يخالف طريقة السلف أبدًا، بل طريقة السلف توافق العقل الصريح والنقل الصحيح. أما هؤلاء الضلال، فإنهم مخالفون للنقل الصحيح وللعقل الصريح.

(العَقْل الصَّرِيح): هو السالم من الشبهات والأهواء والضلال؛ لأن العقول تختلف، (النَّقْل الصَّحِيح)، أما النقل غير الصحيح، فما يُعتمد عليه، الأحاديث الضعيفة ما يُعتمد عليها في الأسماء والصفات، وإنما يُعتمد على الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، سواء كانت متواترة أو آحادًا، ما دام قد

صحت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسانيد صحيحة، فهي حق، وما تدل عليه حق، في العقائد وفي الأحكام الشرعية، في العقائد والمعاملات وكل شيء، ما ثبت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو حق، لا مجال للتشكيك فيه.

قوله: (**مَا يُوجِبُ مُخَالَفَةَ الطَّرِيقَةِ السَّلَفِيَّةِ أَصْلًا**)، فإن جاء مخالفة للعقل، فالعقل غير صريح، وإن جاء مخالفة في النقل، فهو غير صحيح، هذه قاعدة.

قوله: (**لَكِنَّ هَذَا الْمَوْضِعَ لَا يَتَّسِعُ لِلْجَوَابِ عَنِ الشُّبُهَاتِ الوَارِدَةِ عَلَى الحَقِّ**)، الشيخ يقول: (الفتوى ما تتسع للبسط)، يعني: يدل على أنه عنده علم غزير، في مسألة واحدة يحتاج إفراغه إلى مجلدات، فكيف بغيرها من المسائل؟! لكن يقول ويعتذر بأن الرسالة لا تتحمل. من أراد -مثلًا- التوسع، يرجع إلى كتب المطولات، مثل: «نقض تأسيس التقديس للرازي»، مثل: «درء تعارض العقل والنقل»، مثل: «منهاج السنة النبوية»، مثل: «نقض المنطق» هذه موسوعات غزيرة، فيها علم غزير، ولكن تحتاج إلى من يتقن السباحة، وإلا الذي ما يتقن السباحة يغرق.

قوله: (**فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ شُبْهَةٌ وَأَحَبَّ حَلَّهَا، فَذَلِكَ سَهْلٌ يَسِيرٌ**)، سهل يسير، يجده في الكتب المطولة من كتبه وكتب غيره من أئمة السلف.

قوله: (**ثُمَّ الْمُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَسَلَفِ الأُمَّةِ -مِنَ الْمُتَأَوِّلِينَ لِهَذَا البَابِ- فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ**)، قال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: المخالفون لأهل السنة في هذا الباب، يعني: في باب الأسماء والصفات (فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ)، يعني: مختلف؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم وعقولهم، والأهواء والعقول تختلف، لا تتحد أبدًا، كلٌ له رأي، وكلٌ له عقل على قدره يخالف عقل الآخر، ويخالف هوى الآخر؛ فلذلك اختلفوا في

هذا الباب، أما من اتبع الكتاب والسنة، فإنهم لا يختلفون، أهل السنة والجماعة لم يختلفوا؛ لأنهم لم يتبعوا أهواءهم وعقولهم، وإنما اتبعوا ما جاء في الكتاب والسنة، فاجتمعت كلمتهم في هذا الباب وفي غيره. هذا هو السر في كون أهل السنة والجماعة لم يختلفوا في باب الأسماء والصفات وفي كون غيرهم من الفرق اختلفوا.

الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، فجعل سبيله واحدًا لا يختلف، ولا يختلف من سار عليه، وجعل ما خالفه سبلًا كثيرة لا حصر لها، وأخبر أنها تتفرق بأهلها، فلا تجد فرقة متفقة مع فرقة أخرى، وفي النهاية كل الفرق لا تصل إلى نتيجة. هذا هو السر في هذا الباب وفي غيره، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق:٥]؛ مريج: مختلف متناقض متضارب، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ [البقرة:١٣٧]، هذا السر في اختلاف الفرق؛ أنها لم تكن على بينة ولا على طريق صحيح، مثل: الذين خرجوا عن الطريق والجادة في السفر، تجدهم يختلفون؛ كلٌّ يقول: (تعالوا هنا، تعالوا هنا، الطريق هنا، الطريق هنا)؛ لأنهم ليسوا على جادة واضحة، كلٌّ يظن أن الطريق ما توجه إليه. هذا في الأمور الحسية، وفي الأمور المعنوية أشد؛ لأن الأمور المعنوية لا يُعرف الحق فيها من الباطل إلا بالوحي، ما يُعرف بمجرد العقول، فمن ترك الوحي، وقع في الضلال.

قوله: (**فَإِنَّ مَنْ يُنْكِرُ الرُّؤْيَةَ، يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ يُحِيلُهَا، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ فِيهَا إِلَى التَّأْوِيلِ**)، هذا مثال، (**مَنْ يُنْكِرُ الرُّؤْيَةَ**)؛ رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة -كما تواترت بذلك الأدلة-، من ينكرها على أي شيء يبني إنكاره؟ يبنيه على العقل،

يظن أن العقل يحيل الرؤية، يمنع الرؤية، وأن الرؤية مستحيلة بالعقول، كيف أن العباد يرون ربهم؟ هذا مستحيل عندهم؛ ولذلك ينفونها، ويأتون بأشياء، يقولون: (لأنه إذا أثبتنا الرؤية، لزم أن يكون الله في جهة، والله ليس في جهة، والمرئي لابد أن يكون في جهة)، وما أشبه ذلك من الشبهات. ويقولون: (إذا رئي، أثبتنا أنه جسم، والأجسام متشابهة، ويلزم أن الله جسم)، ولذلك ينفون الرؤية، إلى غير ذلك من الشبهات، ولو أنهم اتبعوا أدلة الكتاب والسنة وآمنوا بها، ولم يتدخلوا فيها بعقولهم، لسلموا، وسلموا الأمر لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (**وَمَنْ يُحِيلُ أَنَّ للهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً**)، (يقول: يستحيل أن يكون لله علمًا -يعني: أن الله يعلم-، ويستحيل أن الله يقدر؛ لأن هذه صفات المخلوقين، والله جَلَّوَعَلَا ليس كالمخلوقين، فإذا أثبتنا العلم والقدرة، شبهناه بالمخلوقين)، هذه شبهتهم، ولم يفطنوا إلى أن الله جَلَّوَعَلَا له علم لا يشبه علم المخلوقين، وقدرة لاتشبه قدرة المخلوقين؛ كما أن له ذاتًا لا تشبه ذوات المخلوقين، كذلك صفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله: (**وَأَنْ يَكُونَ كَلامُهُ غَيْرَ مَخْلُوقٍ، وَنَحْوَ ذَلِكَ**)، وينفون الكلام عن الله، لهم شبهات فيها، منهم من يقول: (إنه فيه مشابهة للمخلوق؛ لأن المخلوق يتكلم، ولا مشابهة بين المخلوق والخالق)، ومنهم من يقول: (إن الكلام من الحوادث، من الأفعال التي تحدث، والله ليس محلًا للحوادث)، إلى غير ذلك من الخرافات.

ولو أنهم سلموا لله، وأثبتوا أن لله كلامًا لا يشبه كلام المخلوقين يليق بجلاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. يقولون: (لا. العقل يحيل أن يكون الله يتكلم)، وكذبوا حتى على العقل، فالعقل لا يحيل هذا.

قوله: (**يَقُولُ: إِنَّ العَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ**)، يعني: منعه في حق الله، تنزيهًا لله بزعمهم.

قوله: (**فَاضْطُرَّ إِلَى التَّأْوِيلِ. بَلْ مَنْ يُنْكِرُ حَقِيقَةَ حَشْرِ الأَجْسَادِ..**)، من ينكر البعث، ويقول: (إن الأموات لا يمكن إذا صاروا ترابًا وعظامًا أن يعودوا أحياءً كما كانوا، هذا مستحيل في العقل؛ أن ميتًا صار رميمًا وصار ترابًا أنه سيعود مرة ثانية)، هذا محال عندهم في العقل، قاسوا الله على خلقه، محال في عقولهم، لكن من جهة الله ليس محالًا، الله على كل شيء قدير، الذي بدأهم أول مرة وهم من العدم ألا يقدر على إعادتهم؟ الذي قدر على خلقهم أول مرة وهم كانوا عدمًا أوجدهم من عدم ألا يقدر على إعادتهم مرة ثانية ويجمع ما تفرق من أجسامهم؟ ألا يقدر على أن يجمع ما تفرق من أجسامهم، ويعيدها كما كانت؟ بل هو قادر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على كل شيء؛ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ﴾، نسي أن الله خلقه من العدم، ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨، ٧٩]، فهم يعجّزون الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا من أعظم الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (**وَالأَكْلَ وَالشُّرْبَ الحَقِيقِيَّ فِي الجَنَّةِ يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى التَّأْوِيلِ**)، وينكرون أن يكون هناك جنة ونار، يقولون: ليس هناك إلا الحياة الدنيا، لا توجد دار أخرى، ولا هناك جنة ونار، إنما هي حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر؛ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون:٣٥، ٣٧]، نموت ونحيا يعني: يموت قوم، ويحيا قوم، يعني: يولدون فقط في الدنيا. هذه مقالتهم؛ لأنهم لا يؤمنون بقدرة الله على كل شيء. الله

على كل شيء قدير، يقدر على البداءة، ويقدر على الإعادة، ويقدر على أن يوجد جنة، ويوجد نارًا. يقولون: (كيف يحيي الإنسان وهو رميم ويتكلم ويأكل ويشرب؟)، هذا مستحيل عندهم، يزعمون أن العقل هو الذي يحيل هذا، وهم كذبوا على العقل، العقل لا يحيل هذا، العقل يقول: الذي قدر على البداية قادر على الإعادة من باب أولى؛ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ [الروم:٢٧]، يعني: في نظر العقول، وإلا الله كل شيء هين عليه، لكن هو أهون عليه في نظر العقل. هذا حق، كل عقول الناس تقول: (إن الإعادة أهون من البداية)، أنت مثلًا- ولله المثل الأعلى- لو بنيت دارًا، ثم هدمتها، ألا تقدر على إعادتها من باب أولى؟ يسهل عليك بناؤها مرة ثانية؛ لأنك عرفتها، وعرفت كيف تقيمها، أخذت تدريبًا عليها، هذا في نظر العقول والعادات أن الإعادة أهون من البداية في نظر العقول.

قوله: (**وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ فَوْقَ العَرْشِ يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ أَحَالَ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى التَّأْوِيلِ**)، وكذلك من ينفي الاستواء على العرش والعلو على المخلوقات لله عَزَّوَجَلَّ، يقول: (العقل يحيل هذا؛ لأنه إذا قلنا: إنه مستوٍ على العرش، فهو محتاج إلى العرش، ويدل أنه في العلو، صار في جهة، والله ليس في جهة، هذا معناه أنه في حيز وفي مكان)، والله منزه عن المكان عندهم، فهم وضعوا قواعد من عند أنفسهم، وصاروا يحكمونها على الكتاب والسنة، ويقولون: (هذا هو العقل).

نقول: كذبتم، العقل ما يمنع هذا، العقل لا يحيط بالله عَزَّوَجَلَّ، هذا شيء خارج العقول، وثانيًا: العقل لا يحيل هذا، إنما العقل الملوث هو الذي يحيل هذا، أما العقل السليم، فإنه لا يحيل هذا، بل يُسَلِّم لله عَزَّوَجَلَّ، ويؤمن بالله، ويصدق بخبر الله وخبر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. هذه أمور خارجة عن العقول، ما تدخل فيها العقول.



وَيَكْفِيكَ دَلِيلًا عَلَى فَسَادِ قَوْلِ هَؤُلَاءِ أَنْ لَيْسَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَاعِدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ فِيمَا يُحِيلُهُ العَقْلُ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ جَوَّزَ أَوْ أَوْجَبَ مَا يَدَّعِي الآخَرُ أَنَّ العَقْلَ أَحَالَهُ.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ عَقْلٍ يُوزَنُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؟! فَرَضِيَ اللهُ عَنِ الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ حَيْثُ قَالَ: أَوَكُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ لِجَدَلِ هَؤُلَاءِ؟[1].

الشَّرْح

قوله: (وَيَكْفِيكَ دَلِيلًا عَلَى فَسَادِ قَوْلِ هَؤُلَاءِ أَنْ لَيْسَ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ قَاعِدَةٌ مُسْتَمِرَّةٌ فِيمَا يُحِيلُهُ العَقْلُ)، يكفيك دليلًا على فساد قولهم أنهم لم يتفقوا على شيء، بل الواحد منهم يتذبذب؛ تارة ينفي، وتارة يثبت، ما يثبت على قاعدة، فكيف بمجموعهم؟ ما يمكن أن يتفقوا على قاعدة، الواحد منهم ليس له قاعدة، يضطرب، ينفي ويثبت، ويتغير رأيه، فكيف بمجموعتهم؟ هذا دليل على بطلان قولهم؛ لأن الحق لا يختلف عليه أهل الإيمان أبدًا، وأهل العقول السليمة.

قوله: (بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ العَقْلَ جَوَّزَ أَوْ أَوْجَبَ مَا يَدَّعِي الآخَرُ أَنَّ العَقْلَ أَحَالَهُ)، هم مختلفون في العقل، بعضهم يقول: (العقل يمنع من هذا الشيء)، وبعضهم يقول: (العقل يوجب هذا الشيء)، وبعضهم يقول: (العقل يجيز هذا الشيء)، وبعضهم يقول: (العقل لا يجيز هذا الشيء)، فدل على اضطرابهم، ولو كان ما قالوه حقًّا، لم يختلف، فإن الحق لا يختلف أبدًا.

---

(١) انظر: اعتقاد أهل السنة (١/ ١٤٤)، وحلية الأولياء (٦/ ٣٢٤)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٨٩)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٨).

قوله: (فَيَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ عَقْلٍ يُوزَنُ الكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؟)، هل العقل يوازن الكتاب والسنة؟ الكتاب والسنة وحي من الله العليم الخبير، والعقول إنما هي أفكار البشر ومداركهم، فهل تقاس أفكار البشر وعقولهم بالوحي المنزل الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٢]، لايمكن هذا، لا يمكن أن يوزن الكتاب والسنة بالعقول.

قوله: (فَرَضِيَ اللهُ عَنِ الإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ حَيْثُ قَالَ: أَوَ كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَدَلِ هَؤُلَاءِ؟)، هذا الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، الذي تضرب إليه آباط الإبل للأخذ من علمه رَحِمَهُ اللهُ، ينكر ويقول: (أَوَ كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ)، يعني: أكثر جدالًا (مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهو الوحي (لِجَدَلِ هَؤُلَاءِ؟)، هل نترك الوحي للعقول؟ هذا إنكار من الإمام مالك، يقول: لا نترك الوحي المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لجدل هؤلاء المتخرصين الذين لم يثبتوا هم فيما بينهم على قاعدة، كيف نترك الوحي المنزل من الله جَلَّ وَعَلَا لجدل هؤلاء؟! هذا إنكار منه رَحِمَهُ اللهُ على من قدم آراء هؤلاء على أدلة الكتاب والسنة، وهو القائل رَحِمَهُ اللهُ -أيضًا-: (وَلَنْ يَصْلِحَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةُ إِلَّا بِمَا صَلُحَ بِهِ أَوَّلُهَا)[(١)]، هذه قاعدته رَحِمَهُ اللهُ، وهو القائل: (ما منا إلا راد ومردود

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ١٠) من كلام الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ، انظر: تنقيح تحقيق أحاديث التعليق لابن عبد الهادي (٢/ ٤٢٣). وأخرج الخطيب البغدادي نحوه من كلام علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في خطبة له، في موضح أوهام الجمع والتفريق (١/ ٢٦٣)، قال:(إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله)، وعند ابن عساكر من كلام أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، في تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٥٦)، قال: (إن هذا الأمر الذي هو أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله).

عليه، إلا صاحب هذا القبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[١]، يعني: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هذه مقالاته رَحِمَهُ اللهُ، وهو القائل رَحِمَهُ اللهُ: «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»[٢].

هذه مقالات الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ، وهي مقالات علمية وبراهين علمية.



(١) انظر: الإحكام لابن حزم (٦/ ٣١٧)، ومنهاج السنة النبوية (٣/ ٥٠٣)، والبداية والنهاية (١٤/ ١٤٠)، والآداب الشرعية (٢/ ٢٩٣)، وإعلام الموقعين (٣/ ٢٨٤، ٢٨٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٣٤).

وَكُلٌّ مِنْ هَؤُلاءِ مَخْصُومٌ بِمَا خُصِمَ بِهِ الآخَرُ، وَهُوَ مِنْ وُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: بَيَانُ أَنَّ العَقْلَ لَا يُحِيلُ ذَلِكَ.

الثَّانِي: أَنَّ النُّصُوصَ الوَارِدَةَ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ.

الثَّالِثُ: أَنَّ عَامَّةَ هَذِهِ الأُمُورِ قَدْ عُلِمَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِهَا بِالاضْطِرَارِ، كَمَا عُلِمَ أَنَّهُ جَاءَ بِالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَالتَّأْوِيلُ الَّذِي يُحِيلُهَا عَنْ هَذَا بِمَنْزِلَةِ تَأْوِيلاتِ القَرَامِطَةِ[1]، وَالْبَاطِنِيَّةِ[2] فِي الحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالصَّلاةِ وَسَائِرِ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّبُوَّاتُ.

الرَّابِعُ: أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ العَقْلَ الصَّرِيحَ يُوَافِقُ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ، وَإِنْ كَانَ فِي النُّصُوصِ مِنَ التَّفْصِيلِ مَا يَعْجِزُ العَقْلُ عَنْ دَرْكِ تَفْصِيلِهِ، وَإِنَّمَا عَقَلَهُ مُجْمَلًا إِلَى

---

(١) نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط، كان أحد دعاتهم في الابتداء فاستجاب له في دعوته رجال، فسموا قرامطة وقرمطية، وهم طائفة من الباطنية خرجوا على المسلمين في زمن المعتضد سنة إحدى وثمانين ومائتين، وحكموا البحرين واستحلوا دماء المسلمين، وقطعوا الطريق على الحجاج، واقتلعوا الحجر الأسود من البيت الحرام، وقد غلت هذه الفرقة في أسماء الله وصفاته وبالغوا في نفيها وتأويلها، حتى قالوا: إنه لا يُقال إن الله موجود ولا معدوم، بل قالوا: إنه لا يُعبر عنه بالحروف، وقد جعلوا تأويلها أن المراد بها كلها إمام الزمان عندهم، وهو عندهم المسمى الله، والمراد بلا إله إلا الله. انظر: تلبيس إبليس (ص١٢٦، ١٢٧)، والفرق بين الفرق (١/ ٢٦٦)، وفضائح الباطنية (ص١٢)، وإيثار الحق على الخلق في رد الخلافات لابن الوزير (ص١٢٣).

(٢) سموا بذلك لأنهم يدعون أن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن تجري من الظواهر مجرى اللب من القشر، وأنها بصورتها توهم الجهال صورًا جلية، وهي عند العقلاء رموز وإشارات إلى حقائق خفية، وأن من تقاعد عقله من الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار وقنع بظواهرها كان تحت الأغلال التي هي تكليفات الشرع، ومن ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه، ومرادهم أن ينزعوا من العقائد موجب الظواهر ليقدروا بالتحكم بدعوى الباطن على أبطال الشرائع. انظر: الملل والنحل (١/ ١٩٢)، وتلبيس إبليس (ص١٢٤)، والفرق بين الفرق (١/ ٢٦٦)، وفضائح الباطنية (ص١١).



غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الوُجُوهِ، عَلَى أَنَّ الأَسَاطِينَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَالْفُحُولَ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ العَقْلَ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى اليَقِينِ فِي عَامَّةِ المَطَالِبِ الإِلَهِيَّةِ.

وَإِذَا كَانَ هَكَذَا، فَالْوَاجِبُ تَلَقِّي عِلْمِ ذَلِكَ مِنَ النُّبُوَّاتِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

وَمِن المَعْلُومِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾** [الفتح: ٢٨]، **وَأَنَّهُ بَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ أُمُورِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ.**

الشَّرح

قوله: (**وَكُلٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ مَخْصُومٌ بِمَا خُصِمَ بِهِ الآخَرُ**)، يعني: أن كل هؤلاء مخصوم، يعني: مردود عليه ومُبْطَل قوله بما خُصم به الآخر، بما خُصم به زميله ونظيره، كلهم مُبطل قولهم ومردود قولهم، لم يصح من أقوالهم شيء؛ لأنها مخالفة للكتاب والسنة.

قوله: (**وَهُوَ مِنْ وُجُوهٍ: أَحَدُهَا: بَيَانُ أَنَّ العَقْلَ لَا يُحِيلُ ذَلِكَ**)، وكونهم مخصومين ومفلوجين من وجوه:

الأول: أنتم تقولون: (إن العقل يحيل ذلك)، نقول: كذبتم، العقل لا يحيل ذلك، أنتم كذبتم على العقل، العقل لا يحيل هذا، بأي وجه العقل يحيل هذا، والعقل لا يدرك هذه الأشياء؟ كيف يحكم عليها؟

قوله: (**الثَّانِي: أَنَّ النُّصُوصَ الوَارِدَةَ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ**)، الوجه الثاني: أن النصوص الواردة صريحة ليست محتملة حتى تُؤَوّل الصفات، فهي صريحة في إثبات الصفات، فقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] صريح في الاستواء على العرش، ما يحتمل غير معنى الاستواء على العرش، وقوله:

﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، صريح في العلو، عليٌّ على ماذا؟ على مخلوقاته، ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٨]، لاحظ: ﴿ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾، هذا صريح، ما يحتمل التأويل، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٩]، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴾ [المائدة:١٢٠]، صريح. وكذلك قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٦]، كلام الله أضافه إلى نفسه، والكلام معنى من المعاني، إذا أُضيف، فهو صفة من صفات المضاف إليه، فالمضاف إلى الله على قسمين[1]:

* **أعيان:** مثل الكعبة بيت الله.

* **ومعانٍ:** وهو الكلام -مثلًا-، الكلام معنى من المعاني، لا يمكن أن يكون مخلوقًا، بل هو صفة من صفات الله، أما الكعبة وناقة الله وعبد الله، هذه مخلوقات، هذا صار إضافة مخلوق إلى خالقه، أما الكلام، فهو إضافة صفة إلى الموصوف بها، وهم لا يفرقون بين هذا وهذا.

قوله: (**الثَّالِثُ: أَنَّ عَامَّةَ هَذِهِ الأُمُورِ قَدْ عُلِمَ أَنَّ الرَّسُولَ** ﷺ **جَاءَ بِهَا بِالاضْطِرَارِ، كَمَا عُلِمَ أَنَّهُ جَاءَ بِالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَالتَّأْوِيلُ الَّذِي يُحِيلُهَا عَنْ هَذَا بِمَنْزِلَةِ تَأْوِيلاتِ القَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ فِي الحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالصَّلاةِ وَسَائِرِ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّبُوَّاتُ**)، الثالث من الأمور التي تُبطل قولهم: أننا نعلم أن الرسول ﷺ جاء بهذه الأمور، وهي إثبات الأسماء والصفات، وما دام جاء بها الرسول ﷺ، فالواجب التصديق بها واتباعه، فالذي لا يصدقها هذا يُكذب الرسول ﷺ، ومن كذَّب الرسول ﷺ، فقد كفر، أما لو لم تثبت عن الرسول ﷺ، فإنها لا تُثبت، لكن ما دام ثبتت وصحت عن

---

(١) انظر شرح الطحاوية (ص١٦٨، ٢٩٠)، وفتح المجيد (ص٦٦)، وشرح النونية لابن عيسى (٣١٨/١).

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا مجال للتوقف فيها؛ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، ومن معنى شهادة أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله تصديقه فيما أخبر، فمن لم يصدقه بما أخبر، لم يكن يشهد أنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كيف تشهد أنه رسول الله ولا تصدقه؟! رسول الله لا يكون إلا صادقًا، ونحن نعلم أنه جاء بهذه الأمور، فيجب علينا أن نصدقه، ونثبتها لله عَزَّوَجَلَّ من غير شك ولا ريبة، ونُسلم هذا الأمر.

قوله: (كَمَا عُلِمَ أَنَّهُ جَاءَ بِالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بهذه الأمور، وهي الأسماء والصفات، فيجب الإيمان بها؛ كما أنه جاء بالصلاة، هل الصلاة فيها شك؟ هم يصلون ويصدقونه بالصلاة، لماذا لا يصدقون بأسماء الله وصفاته، مع أن كلا الأمرين جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فإذا كنتم تنفون الأسماء والصفات، إذًا انفوا الصلاة والزكاة والصيام والحج، وانفوا جميع الشرائع، أما أنكم تثبتون شيئًا، وتنفون شيئًا، فهذا من الباطل.

فالواجب قبول كل ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا يكون الإنسان ممن يؤمن ببعض الكتاب، ويكفر ببعض. بل إن الإيمان بالأسماء والصفات أولى من الإيمان بالأحكام العملية؛ لأن الأسماء والصفات من العقيدة.

قوله: (فَالتَّأْوِيلُ الَّذِي يُحِيلُهَا عَنْ هَذَا بِمَنْزِلَةِ تَأْوِيلاتِ القَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ فِي الحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالصَّلاةِ وَسَائِرِ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّبُوَّاتُ)، القرامطة: أتباع حمدان قرمط الشيعي الباطني؛ لأن الشيعة أقسام، منهم الباطنية، وهم الذين يقولون: (إن الشريعة لها ظاهر وباطن؛ الظاهر للعوام، وأما الباطن فهذا للخواص، ما يفهمه إلا الخواص، الصلاة العوام يفهمون أنها ركوع وسجود، وأما الخواص،

فهم يعلمون أنها ما هي بركوع وسجود، وإنما هي الدعاء فقط، الصيام العوام يفهمون أنه ترك الأكل والشرب، والخواص يقولون: لا. إنه كتم الأسرار)، هذا هو الصيام عندهم، (الحج ما هو الذهاب إلى الكعبة، الحج إلى المشاهد وإلى قبور الأولياء)، هذا عند القرامطة، هذا تأويل القرامطة، يقولون: (إن هذا باطن باطن النصوص التي لايفهمها إلا الخواص)، والقرامطة جماعة غالية من الشيعة، أشد ما يكون عداوة للمسلمين، ولذلك قتلوا المسلمين في المسجد الحرام، وألقوهم في بئر زمزم، حمدان قرمط هذا الخبيث جاء في الحج وقتل الحجاج في المسجد الحرام عند الكعبة، وسحبهم، وألقاهم في بئر زمزم، واقتلع الحجر الأسود، وذهب به إلى بلده إلى هجر، يعني: الأحساء، وبقي عنده فوق عشرين سنة.

هؤلاء هم القرامطة الذين يزعمون أن النصوص لها ظاهر وباطن، أما العوام، فيأخذون الظواهر، وأما هم، فيأخذون البواطن.

الذي يؤول نصوص الصفات مثل القرامطة، يقولون: (نصوص الصفات لها ظاهر، ولها باطن)؛ مثل القرامطة تمامًا.

(القَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ)؛ عطف تفسير؛ لأن القرامطة من الباطنية، الذين يقال لهم الآن الإسماعيلية[1]، فالإسماعيلية هم الباطنية، ....

---

(١) هي إحدى فرق الشيعة الباطنية، نسبوا إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر، وزعموا أن دور الإمامة انتهى إليه لأنه سابع، واحتجوا بأن السموات سبع، والأرضين سبع، وأيام الأسبوع سبعة، فدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة، ويقولون: إن الله لا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز، وكذا سائر الصفات، تعالى الله عما يقول الظالمون، وهم يزعمون أن الشريعة لها ظاهر وباطن، وأن الظاهر للعوام، والباطن للخواص، وغرضهم من هذا إبطال الشرع والانسلاخ من الدين. انظر: تلبيس إبليس (١/ ١٢٥)، ومجموع الفتاوى (٤/ ١٦٢)، والفرق بين الفرق (ص٦٨، ٢١٣)، والاعتصام (٤٤٣)، والتعاريف للمناوي (ص٦٢).

منهم ابن سينا[١] من الباطنية، ومنهم الطوسي[٢]، وابن العلقمي[٣] الذين جلبوا التتار إلى بلاد المسلمين، هم من الشيعة الباطنية، ومنهم الفاطميون الذين ظهروا في المغرب[٤]، كل هؤلاء من الباطنية.

---

(١) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، صاحب التصانيف في الفلسفة والطب، مولده سنة سبعين وثلاثمائة، كان يقول بقدم العالم، ونفى المعاد الجسماني، وأثبت المعاد النفساني، قال عنه الذهبي: (هو رأس الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابي مثله، فالحمد لله على الإسلام والسنة، وله كتاب الشفاء وغيره، وأشياء لا تحتمل، وقد كفره الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال) اهـ. وقيل: إنه تاب ورجع عن أقواله قبل الممات، فالله أعلم بخاتمته، توفي سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧)، والوافي بالوفيات (١٢/ ٢٤٢ - ٢٥٠)، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص٤٣٧)، وسير الأعلام (١٧/ ٥٣٥)، والعبر (٣/ ١٦٧)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٣٤).

(٢) النصير الطوسي هو مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن نصير الدّين أَبُو عبد الله الطوسي الفيلسوف، قَرَأَ على المعِين سَالم بن بدران المصْريّ المعتزلي الرافضي وَغَيره، وَكَانَ ذَا حُرْمَة وافرة ومنزلة عالية عِنْد هولاكو، وَكَانَ يطيعه فِيمَا يُشِير بِهِ عَلَيْهِ وَالْأَمْوَال فِي تصريفه، مولده: (٥٩٧هـ)، ووفاته: (٦٧٢هـ). انظر: فوات الوفيات (٣/ ٢٤٦)، والوافي بالوفيات (١/ ١٤٧)، والأعلام (٧/ ٣٠).

(٣) هو محمد بْن مُحَمَّد بْن عَليّ بْن أَبِي طَالِب الوزير الكبير، الخنزير، المُدْبر، المُبِير، مؤيَّد الدين ابن العَلْقَمِيّ، البغداديّ، الشيعي، الرافضي، وزير الخليفة الإمام المستعصم بالله. وُلّي وزارة العراق أربع عشرة سنة، فأظهر الرَّفْض قليلًا. ذكره بهاء الدين ابن الفخْر عيسى الموقع يومًا، فقال: كَانَ وزيرًا كافيًا، قادرًا على النَّظْم والنثر، خبيرًا بتدبير المُلك، ولم يزل ناصحًا لمخدومه حتى وقع بينه وبين حاشية الخليفة وخَوَاصه مُنازعة فيما يتعلق بالأموال والاستبداد بالأمر دونه. وكان فِي قلبه غلٌّ عَلَى الإسلام وأهله، فأخذ يكاتب التّتار، ويتخذ عندهم يدًا ليتمكن مِنْ أغراضه الملعونة. وهو الَّذِي جرأ هولاكو وقوى عزمه عَلَى المجيء، وقرر معه لنفسه أمورًا انعكست عليه، وندم حيث لا ينفعه النّدم، وبقي يركب أكديشًا، فرأته امرأتُه فصاحت بِهِ: يا ابن العلْقميّ أهكذا كنتَ تركب فِي أيام أمير المؤمنين؟ وولي الوزارة للتتار عَلَى بغداد مشاركًا لغيره، ثُمَّ مرض ولم تطُل مدّتُه، ومات غمًا وغبنًا سنة ٦٥٦هـ. انظر: تاريخ الإسلام (١٤/ ٨٤١- ٨٤٢)، وفوات الوفيات (٣/ ٢٥٢)، وسير أعلام النبلاء (٢٣/ ٣٦١)، والأعلام (٥/ ٣٢١).

(٤) فرقة من فرق الإسماعيلية، ويسمون بالفاطميين، كانوا يتظاهرون بالإسلام، ويقولون: إنهم شيعة. والظاهر عنهم الرفض، وكان باطنهم الإلحاد والزندقة، والمتسمون بالخلافة من العبيديين أربعة عشر: ثلاثة بالمغرب: المهدي، والقائم، والمنصور، وأحد عشر بمصر: المعز، والعزيز، =

قوله: (الرَّابِعُ: أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ العَقْلَ الصَّرِيحَ يُوَافِقُ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ)، الوجه الرابع: أن يُبين أن العقل الصريح -يعني: السالم من النقص والتلوث- العقل السليم والعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح عن الرسول ﷺ.

هم يزعمون أن النصوص تخالف العقل، وهذا كذب، النصوص الصحيحة لا تخالف العقول الصريحة -كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية-، يقول: فإن اختلفا، فلابد إما أن العقل غير صريح، وإما أن النقل غير صحيح، أما إن كان النقل صحيحًا والعقل صريحًا، فلا يختلفان أبدًا. وله كتاب في هذا سماه: «درء تعارض العقل والنقل»، وهو مطبوع، وبعضهم يسميه «كتاب العقل والنقل»، وبعضهم يسميه «موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول»، أسماء كلها لكتاب واحد.

قوله: (العَقْلَ الصَّرِيحَ يُوَافِقُ مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ)، بلا شك أن العقل السليم لايخالف النصوص الصحيحة أبدًا، لكن العقل قد يتقاصر عن إدراك ما جاءت به النصوص، ما يحيط بكل شيء، أما أنه يخالفها، فلا، وأما أنه لا يدركها، فنعم، قد لايدرك كل ما جاءت به النصوص؛ ولهذا يقولون: النقل لم يأت بما يخالف العقول، وإنما قد يأتي بما تحار به العقول.

قوله: (وَإِنْ كَانَ فِي النُّصُوصِ مِنَ التَّفْصِيلِ مَا يَعْجِزُ العَقْلُ عَنْ دَرْكِ تَفْصِيلِهِ)، العقل الصحيح الصريح في الجملة لا يخالف النقل الصحيح في الجملة، أما التفاصيل، فهناك أشياء لا يدركها العقل؛ مثل: ما في الجنة من النعيم، وما فيها

= والحاكم، والظاهر، والمستنصر، والمستعلي، والآمر، والحافظ، والظافر، والفائز، والعاضد، وكان ابتداء أمر مملكتهم سنة بضع و تسعين و مائتين، وانقراضها في سنة سبع و ستون و خمسمائة، قال الذهبي: «وهي الدولة المجوسية واليهودية لا العلوية والباطنية لا الفاطمية وكانوا أربعة عشر متخلفًا لا مستخلفًا» انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢١٢)، والرد على المنطقيين (ص٢٨٠)، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٦٤).

من الأشياء، لا يدركها العقل أبدًا، مثل: ما في النار، هذه أمور غيبية، لا يدركها العقل.

قوله: (**وَإِنَّمَا عَقَلَهُ مُجْمَلًا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الوُجُوهِ**)، القاعدة: أنه لا يختلف العقل السليم مع النقل الصحيح أبدًا، هذه هي القاعدة، وأنه قد يعجز العقل عن الإحاطة بكل ما جاءت به النصوص.

قوله: (**عَلَى أَنَّ الأَسَاطِينَ مِنْ هَؤُلاءِ وَالْفُحُولَ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّ العَقْلَ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى اليَقِينِ فِي عَامَّةِ المَطَالِبِ الإِلَهِيَّةِ**): (**الأَسَاطِينَ**) يعني: الأكابر من هؤلاء الفلاسفة وعلماء الكلام، أكابرهم يسلمون أن هناك أشياء لا يدركها العقل ولا يحيط بها، أكابرهم معترفون بهذا؛ (العَقْلَ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى اليَقِينِ فِي عَامَّةِ المَطَالِبِ الإِلَهِيَّةِ).

قوله: (**وَإِذَا كَانَ هَكَذَا، فَالْوَاجِبُ تَلَقِّي عِلْمِ ذَلِكَ مِنَ النُّبُوَّاتِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ**)، إذا كان كذلك، وأن العقل يعجز عن مدارك النصوص على سبيل التفصيل، فإنما يُرجع في هذا إلى ما جاءت به النبوات، ويُسَلَّم لها، ولا ندخل في متاهات لا نُحسن الخروج منها، هذا هو طريق السلامة.

قوله: (**وَمِنَ المَعْلُومِ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿**بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا**﴾ [الفتح:٢٨])، معلوم للمؤمنين أن الله بعث محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق، الهدى: هو العلم النافع، ودين الحق: هو العمل الصالح.

ومن العلم النافع ما ذكره في حق الله جَلَّ وَعَلَا من وحدانيته وأسمائه وصفاته، هذا أصل العلم النافع وأساس العلم النافع الذي جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كيف يأتي ببيان حكم الوضوء وحكم البيع والشراء، ولا يأتي ببيان حكم العقيدة

والإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ؟! كيف لا يأتي ببيان هذه الأمور؟! الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بالبيان التام لكل ما يحتاجه البشر من أمور دينهم وأمور دنياهم، فكيف يكون بعثه بالهدى، ولم يبين للناس هذا الباب؟! إذًا لم يأت بالهدى، إذا كان ما بيَّن، هو لم يأت بالهدى، والله شهد له أنه بعثه بالهدى.

(﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣])، على سائر الأديان، يظهر الإسلام على سائر الأديان، وقد تحقق هذا، ظهر الإسلام على اليهودية والنصرانية وسائر الأديان، وانتشر في المشارق والمغارب، ظهر بالحجة والدليل والبرهان، وظهر أيضًا بالفعل والجهاد والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، والإسلام ظاهر -ولله الحمد- بدليله وبرهانه وأدلته، وظاهر -أيضًا- بانتشاره وقبول الناس له واعتناقهم له؛ كما نرى الآن كثرة من يدخلون في الإسلام عن رغبة وانقياد؛ لأنهم اتضح لهم نور هذا الإسلام وأحقيته، فاعتنقوه عن محبة، فهذا مصداق قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ بالحجة وبالسلاح والجهاد.

(﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٧٩])، هذا دليل على صدق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لو كان كاذبًا، لم يمهله الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله يشاهده ويعلم تحركاته وأقواله وأفعاله، ولو كان مفتريًا على الله، لم يمهله، بل أخذه كما أخذ الكذابين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٧]، لو أن الرسول تقوَّل على الله، لم يمهله الله عَزَّوَجَلَّ، عاجله بالعقوبة والهلاك، فكونه ينصره ويؤيده، ويقول: إن الله بعثني رسولًا إليكم، ويقره على ذلك، هذا دليل على صدقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣]، وهم علماء أهل الكتاب يشهدون للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بالرسالة؛ كالنجاشي، وعبد الله بن سلام، ومن أسلم من اليهود والنصارى، أما غيرهم، فهم يعلمون أنه رسول الله، لكن يكتمون الحق؛ ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

فأهل الكتاب على قسمين:

* قسم يكتمون الحق، وهم يعلمون؛ ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦].

* وقسم آمنوا به، واتبعوه، وشهدوا له بالرسالة، هؤلاء أهل الكتاب ومن عنده علم الكتاب.

قوله: **(وَأَنَّهُ بَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ أُمُورِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ)**، الرسول ﷺ بيَّن للناس، أرسله بالهدى ودين الحق، فبيَّن للناس أمور دينهم وعقيدتهم، وبيَّن لهم الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب والرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، بيَّن لهم أركان الإيمان وأركان الإسلام، وبيَّن لهم شُعب الإيمان، وبيَّن لهم ﷺ البيان الكامل الشافي، فكيف يترك باب الأسماء والصفات لم يبينه، وقد بيَّن لأمته كل شيء؟!



وَالإِيمَـانُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يَتَضَمَّنُ الإِيمَـانَ بِالمَبْدَأ وَالمَعَاد، وَهُوَ الإِيمَانُ بِالْخَلْقِ وَالْبَعْثِ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم:٢٧].

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ مَا هَدَى اللهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَكَشَفَ بِهِ مُرَادَهُ.**

وَمَعْلُومٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَنْصَحُ لِلأُمَّةِ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَفْصَحُ مِنْ غَيْرِهِ عِبَارَةً وَبَيَانًا، بَلْ هُوَ أَعْلَمُ الخَلْقِ بِذَلِكَ، وَأَنْصَحُ الخَلْقِ لِلأُمَّةِ وَأَفْصَحُهُمْ، وَقَد اجْتَمَعَ فِي حَقِّهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **كَمَالُ العِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ.**

الشَّرح

قوله: (وَالإِيمَانُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يَتَضَمَّنُ الإِيمَانَ بِالمَبْدَأ وَالمَعَادِ)، أركان الإيمان ستة، منها الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر، تارة يذكرها كلها، وتارة يذكر الإيمان بالله واليوم الآخر فقط؛ ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٢، ٣] إلى قوله: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤]، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء:١٣٦]، تارة يذكر أركان الإيمان كلها، وتارة يذكر الإيمان بالله واليوم الآخر فقط؛ لأن الإيمان بالله يقتضي المبدأ -مبدأ الخلق-، والإيمان باليوم الآخر يقتضي النهاية؛ المبدأ والمعاد، والمبدأ هو الخلق، خلق المخلوقات من عدم، والمعاد هو إعادة الخلق يوم القيامة.

قوله: (وَهُوَ الإِيمَانُ بِالخَلْقِ وَالْبَعْثِ)، بعث الناس، يخلقهم أولًا من عدم، ثم يميتهم، ثم يعيدهم كما كانوا.

قوله: (كَمَا جَمَعَ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾)، ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر؛ لأن هذا الإيمان بالمبدأ والمعاد، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، وهم المنافقون، ﴿ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٨]، الشاهد أن الله ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر، المبدأ والمعاد.

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾)، ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ ﴾، هذا المبدأ، ﴿ وَلَا بَعْثُكُمْ ﴾، هذا المعاد، ﴿ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾، فالذي يقدر على نفس واحدة يبدؤها ويعيدها قادر على خلق الناس وإعادتهم جميعًا، لا يُعجزه شيء.

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾)، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ﴾، هذا الإيمان بالمبدأ، ﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾، هذا الإيمان بالمعاد، ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم:٢٧] في نظر العقول، وإلا فكل الأشياء هينة على الله جَلَّ وَعَلَا، والله جَلَّ وَعَلَا عليه كل شيء يسير، لا يعجزه شيء، لكن هذا من باب التنزل معهم في حسب العقول، وهو أن الذي يقدر على البداية يقدر على الإعادة من باب أولى؛ ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ في نظر العقول. مثلًا: الساعة التي تستعمل للوقت، لو نقضتها مسمارًا مسمارًا، ألا تقدر على تركيبها مرة ثانية من باب أولى؟ من باب أولى لأنك عرفت كيف تنقضها وكيف تركبها، هذا في نظر العقول، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فهو من باب أولى على كل شيء قدير.

قوله: (وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ مَا هَدَى اللهُ بِهِ عِبَادَهُ، وَكَشَفَ بِهِ مُرَادَهُ)، بيَّن الله جَلَّ وَعَلَا من الإيمان

بالله والإيمان باليوم الآخر في آيات كثيرة ما هدى الله به عباده، وبين به مراده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ففي هذا حجة على الذين يظنون أن النصوص لا تفيد العلم في أسماء الله وصفاته؛ لأنها أدلة ظنية عندهم، وأما العقول عندهم، فهي أدلة يقينية. والواجب العكس: أن النصوص هي اليقينية، وأما العقول فهي ظنية.

قوله: (**وَمَعْلُومٌ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ**)، سبق لنا في صفات الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أعلم الخلق، وأنه أفصح الخلق لسانًا، وأنه أنصح الخلق، فإذا اجتمعت هذه الصفات، ألا يبين للناس؟ بلى، إذا اجتمع في حقه العلم والفصاحة والقدرة على البيان والنصح وعدم الغش، فإنه لابد أن يبين للناس، وكونه يبين أمور العقيدة هذا من باب أولى، أولى من بيان المعاملات والبيع والشراء؛ لأن العقيدة هي الأساس.

فهو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلم الخلق وأفصح الخلق لسانًا وأقدرهم على البيان، وهو أنصح الخلق، لا يكتم شيئًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تجمعت فيه هذه الصفات، فلابد أن يبين.

فالخلل إنما يأتي من قلة العلم، هذه واحدة، أو يأتي من عدم القدرة، يكون الإنسان ما عنده لسان، ولا عنده فصاحة ليبين، عنده علم، لكن لا يستطيع أن يبين، أو عنده غش، لا يريد أن يبين للناس، فلا يأتي الخلل إلا من إحدى هذه الأمور: إما الجهل، وإما عدم القدرة على البيان، وإما عدم النصح. وهذه كلها منتفية عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهو أعلم الخلق، وأفصح الخلق، وأنصح الخلق.

(**أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِ**)، هذه مرتبة العلم؛ أنه أعلم الخلق بالله عَزَّوَجَلَّ، هو أعلم الخلق بالله.

قوله: (وَأَنْصَحُ لِلأُمَّةِ مِنْ غَيْرِهِ)، وأنصح؛ ما عنده غش أو كتمان.

قوله: (وَأَفْصَحُ مِنْ غَيْرِهِ عِبَارَةً وَبَيَانًا)، وعنده المقدرة على البيان؛ لأنه أفصح الخلق لسانًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا أحد يساوي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفصاحة.

قوله: (بَلْ هُوَ أَعْلَمُ الخَلْقِ بِذَلِكَ وَأَنْصَحُ الخَلْقِ لِلأُمَّةِ، وَأَفْصَحُهُمْ)، هذا تأكيد.

قوله: (وَقَد اجْتَمَعَ فِي حَقِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَالُ العِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ)، كمال العلم والقدرة، وهي الفصاحة والبيان، والإرادة: إرادة البيان وعدم الكتمان والغش للناس.



وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ وَالْفَاعِلَ إِذَا كَمُلَ عِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَإِرَادَتُهُ: كَمُلَ كَلامُهُ وَفِعْلُهُ، وَإِنَّمَا يَدْخُلُ النَّقْصُ إِمَّا مِنْ نَقْصِ عِلْمِهِ، وَإِمَّا مِنْ عَجْزِهِ عَنْ بَيَانِ عِلْمِهِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ إِرَادَتِهِ الْبَيَانَ.

وَالرَّسُولُ ﷺ هُوَ الْغَايَةُ فِي كَمَالِ الْعِلْمِ، وَالْغَايَةُ فِي كَمَالِ إِرَادَةِ الْبَلاغِ الْمُبِينِ، وَالْغَايَةُ فِي الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَلاغِ الْمُبِينِ.

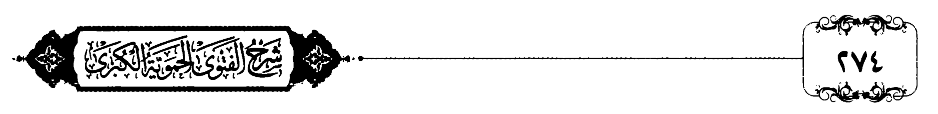
الشرح

قوله: (وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ وَالْفَاعِلَ إِذَا كَمُلَ عِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَإِرَادَتُهُ: كَمُلَ كَلامُهُ وَفِعْلُهُ)، هذا في غير الرسول ﷺ، إذا تكاملت هذه الصفات في غير الرسول، كمُل علمه وبيانه وقدرته، فكيف بالرسول ﷺ الذي أرسله الله، وحمَّله الرسالة، وأمره بالبلاغ؛ أن يُبلغ الناس ما أُنزل إليه؟ كيف يترك باب الأسماء والصفات دون أن يبينه، حتى يأتي هؤلاء، ويبينونها للناس، ويقولون: (إن المراد بها كذا، وهي ما على ظاهرها، أو المراد بها كذا، أو ليس لها معنى، الله أعلم بها)؟!

قوله: (وَإِنَّمَا يَدْخُلُ النَّقْصُ إِمَّا مِنْ نَقْصِ عِلْمِهِ)، هذا واحد.

قوله: (وَإِمَّا مِنْ عَجْزِهِ عَنْ بَيَانِ عِلْمِهِ)، ما عنده فصاحة، أبكم، ما يستطيع أن يتكلم، أخرس.

قوله: (وَإِمَّا لِعَدَمِ إِرَادَتِهِ الْبَيَانَ)، أو أنه عنده علم، وعنده قدرة على البيان، لكن لا يريد هذا، لا يريد البيان، يكتم العلم ولا يبين للناس، أو يبين لهم خلاف الحق -والعياذ بالله !



قوله: (**وَالرَّسُولُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **هُوَ الغَايَةُ فِي كَمَالِ العِلْمِ، وَالْغَايَةُ فِي كَمَالِ إِرَادَةِ البَلاغِ المُبِينِ، وَالْغَايَةُ فِي القُدْرَةِ عَلَى البَلاغِ المُبِينِ**) كل هذا تأكيد، هذا التكرار كله تأكيد لصفات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرد على هؤلاء الذين يقولون: (إنه جاء بشيء ليس هو على ظاهره)، بل منهم من يقول أقوالًا قبيحة -كما يأتي.



وَمَعَ وُجُودِ القُدْرَةِ التَّامَّةِ، وَالإِرَادَةِ الجَازِمَةِ: يَجِبُ وُجُودُ المُرَادِ، فَعُلِمَ قَطْعًا أَنَّ مَا بَيَّنَهُ مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ حَصَلَ بِهِ مُرَادُهُ مِنَ البَيَانِ، وَمَا أَرَادَهُ مِنَ البَيَانِ هُوَ مُطَابِقٌ لِعِلْمِهِ، وَعِلْمُهُ بِذَلِكَ هُوَ أَكْمَلُ العُلُومِ، فَكُلُّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ غَيْرَ الرَّسُولِ ﷺ أَعْلَمُ بِهَذِهِ مِنْهُ، أَوْ أَكْمَلُ بَيَانًا مِنْهُ، أَوْ أَحْرَصُ عَلَى هَدْيِ الخَلْقِ مِنْهُ، فَهُوَ مِنَ المُلْحِدِينَ، لَا مِنَ المُؤْمِنِينَ.

وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ السَّلَفِ هُمْ فِي هَذَا البَابِ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِقَامَةِ.

الشَّرح

قوله: (**وَمَعَ وُجُودِ القُدْرَةِ التَّامَّةِ، وَالإِرَادَةِ الجَازِمَةِ: يَجِبُ وُجُودُ المُرَادِ**)، مع وجود العلم والقدرة والإرادة التامة يجب أن يوجد المراد، وهو البيان الكامل، وقد وُجد -ولله الحمد.

قوله: (**فَعُلِمَ قَطْعًا أَنَّ مَا بَيَّنَهُ مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ حَصَلَ بِهِ مُرَادُهُ مِنَ البَيَانِ**)، معلوم أنه بلَّغ البلاغ المبين ﷺ، قال الله له: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة:٦٧]، بلَّغ ﷺ حتى قال في خطبة الوداع: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت، فقال ﷺ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَى هَؤُلَاءِ**»[(١)]، وقال ﷺ: «**لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٤).

(٢) سبق تخريجه (ص٣١).



قوله: (وَمَا أَرَادَهُ مِنَ البَيَانِ هُوَ مُطَابِقٌ لِعِلْمِهِ، وَعِلْمُهُ بِذَلِكَ هُوَ أَكْمَلُ العُلُومِ، فَكُلُّ مَنْ ظَنَّ أَنَّ غَيْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ بِهَذِهِ مِنْهُ، أَوْ أَكْمَلُ بَيَانًا مِنْهُ، أَوْ أَحْرَصُ عَلَى هَدْيِ الخَلْقِ مِنْهُ، فَهُوَ مِنَ المُلْحِدِينَ، لَا مِنَ المُؤْمِنِينَ)، من اتهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه لايعلم، وأنه جاهل، أو اتهمه بأنه لا يقدر على البيان، وأنه عنده عِي وعدم قدرة على البيان، أو اتهمه بأنه لم يرد البيان، وكتم ما أنزله الله إليه، فهذا من الملاحدة، لا من المؤمنين. لا يمكن لمؤمن أن يعتقد هذا، وإن كان يقول بلسانه: «أشهد أن محمدًا رسول الله». الله جَلَّ وَعَلَا قال في المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١]، فإن كان يشهد أنه رسول الله، إذا قال: (إنه ما عنده علم، الفلاسفة وعلماء الكلام أعلم منه في هذا الباب)، هذا ملحد. أو قال: (إنه عنده علم، لكنه ما بيَّن للناس)، هذا ملحد. أو قال: (إنه علم، ويريد البيان، لكنه ما يقدر، ما عنده فصاحة، ما عنده تعبير)، فهذا -أيضًا- ملحد.

قوله: (وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ السَّلَفِ هُمْ فِي هَذَا البَابِ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِقَامَةِ)، لا شك أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن سلك سبيلهم في باب الأسماء والصفات وفي غيره على سبيل الاستقامة؛ لأنهم يؤمنون بأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءهم بالحق، وبلغهم إياه، وبيَّنه لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم على سبيل الاستقامة، بخلاف الملحدين الذين قالوا في الرسول، أو اعتقدوا، حتى لو لم يقولوا، إذا اعتقدوا بقلوبهم هذه الأمور، فهم ملاحدة.

(الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ)، يشمل تلاميذ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويشمل من جاء بعدهم، كلهم من التابعين، لكن اختص لفظ التابعين بالقرن الذين بعد الصحابة، وإلا كل من اتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو من التابعين، قال

تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ ﴾ [التوبة:١٠٠]، هذا عام للمعاصرين للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والذين جاؤوا من بعدهم، كلهم من التابعين، لكن بإحسان، قوله: ﴿ بِإِحْسَـٰنٍ ﴾، لا يكون فيه غلو في الاتباع، ولايكون فيه تساهل، وإنما هو اتباع معتدل بين الغلو وبين التساهل؛ لأن بعض الناس قد يدعي أنه متبع للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لكنه يغلو أو يتساهل، فهذا ليس متبعًا للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لابد أن يكون الاتباع بإحسان، وهذا لا يتم إلا بالعلم، لا يتم الاعتدال إلا بالعلم.

قوله: (وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ السَّلَفِ هُمْ فِي هَذَا البَابِ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِقَامَةِ)، لما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ مذهب المعطلة للأسماء والصفات من الجهمية والمعتزلة ومن سار على نهجهم في هذا الباب، ذكر مذهب السلف، والسلف: هم الصحابة والتابعون والقرون المفضلة والأئمة الأربعة، وكل من سار على منهج الصحابة، فهم سلف، على اعتقاد السلف من هذه الأمة، واعتقادهم في هذا الباب موافق للكتاب والسنة؛ إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل؛ كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، هذا رد على المشبهة والممثلة، ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، هذا رد على المعطلة. هذه الآية ميزان في هذا الباب، وهي من كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذا هو مذهب السلف ومن سار على نهجهم ممن جاء بعدهم إلى أن تقوم الساعة، وهو المنهج الصحيح الحق الذي لا مرية فيه ولا تكلف فيه، وليس فيه قول على الله بغير علم، من سار عليه، سلم، ومن حاد عنه هلك، ولا عبرة بالمتحذلقين والمتعالمين، ولا عبرة بمن نحا غير منحى الكتاب والسنة من المتكلمين وعلماء

الكلام وعلماء الجدل، لا عبرة بهؤلاء كلهم؛ لأنهم يتكلمون على الله بغير علم، أضلوا وضلوا، هذا هو المنهج السليم الذي لا تكلف فيه ولا تنطع، ولا تعد لحدود الله عَزَّوَجَلَّ، فهو يجمع بين السهولة والوضوح، وبين السلامة من الضلال، لاشك في هذا.

ولكن تعلمون أن شياطين الإنس والجن لا يرضون للمسلمين أن يسيروا على هذا المنهج، بل يريدون أن يحرفوهم عنه؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، لولا أنه سيكون هناك سبل وسيكون هناك مذاهب باطلة، لما حذر الله من ذلك؛ ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾؛ لأنه سبحانه علام الغيوب، يعلم ما سيكون.

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطلعه الله من علمه على ما ينفع البشر، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(١)]، والبدعة تكون في العقيدة؛ كبدعة الجهمية والمعتزلة ومن سار على نهجهم، وتكون في العبادة؛ كبدع الصوفية والقبورية وغيرهم ممن يعبدون الله بغير ما شرع وغير ما جاء به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ السَّلَفِ هُمْ فِي هَذَا البَابِ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِقَامَةِ)، على سبيل الاستقامة على هذا المنهج، استقاموا عليه، ولم ينحرفوا يمنة ولا يسرة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

وَأَمَّا الْمُنْحَرِفُونَ عَنْ طَرِيقِهِمْ، فَهُمْ ثَلاثُ طَوَائِفَ: أَهْلُ التَّخْيِيلِ، وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَأَهْلُ التَّجْهِيلِ.

فَأَهْلُ التَّخْيِيلِ: هُم الْمُتَفَلْسِفَةُ وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ مُتَكَلِّمٍ، وَمُتَصَوِّفٍ، وَمُتَفَقِّهٍ.

فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَا ذَكَرَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ لِلْحَقَائِقِ؛ لِيَنْتَفِعَ بِهِ الْجُمْهُورُ، لا أَنَّهُ بَيَّنَ بِهِ الْحَقَّ، وَلا هَدَى بِهِ الْخَلْقَ، وَلا أَوْضَحَ الْحَقَائِقَ.

ثُمَّ هُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ:

مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْلَم الْحَقَائِقَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ.

وَيَقُولُونَ: إِنَّ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الإِلَهِيَّةِ مَنْ عَلِمَهَا، وَكَذَلِكَ مِنَ الأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُسَمُّونَهُمْ أَوْلِيَاءَ مَنْ عَلِمَهَا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مِنَ الْفَلاسِفَةِ أَو الأَوْلِيَاءِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ وَالآخِرِ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَهَذِهِ مَقَالَةُ غُلاةِ الْمُلْحِدِينَ مِنَ الْفَلاسِفَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ: بَاطِنِيَّةِ الشِّيعَةِ، وَبَاطِنِيَّةِ الصُّوفِيَّةِ.

الشَّرح

قوله: (**وَأَمَّا الْمُنْحَرِفُونَ عَنْ طَرِيقِهِمْ فَهُمْ ثَلاثُ طَوَائِفَ: أَهْلُ التَّخْيِيلِ، وَأَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَأَهْلُ التَّجْهِيلِ**)، أهل التخييل: الذين يقولون: (إن ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس حقيقة، وإنما هو شيء تخيله وأبداه للناس، تَخَيُّل، وليس هناك شيء وراءه)، هكذا يصفون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا كفر برسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كفر بالقرآن وكفر بالسنة.

وأهل التأويل: هم الذين نعنيهم هنا، وهم الذين يؤولون الأسماء والصفات عن معانيها إلى معانٍ أخرى من الجهمية والمعتزلة ومن جاء بعدهم.



وأهل التجهيل: هم المفوضة الذين يقولون: (إن الرسول ﷺ لا يعلم معاني ما أنزل الله إليه، وإنما هي ألفاظ لا تُعلم، ولا يُعرف معناها، نتلوها ونفوض معناها إلى الله، فالرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم يجهلون معاني هذه النصوص، ويفوضون معناها إلى الله)!!

قوله: (فَأَهْلُ التَّخْيِيلِ: هُم المُتَفَلْسِفَةُ)، والفلاسفة: الذين يدعون الحكمة ومعرفة الأمور في الأمم، ولا يؤمنون بالرسل، بل يرون أنهم أعلم من الرسل، وأنهم يعرفون ما لا يعرفه الرسل.

قوله: (وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنْ مُتَكَلِّمٍ وَمُتَصَوِّفٍ وَمُتَفَقِّهٍ)، المتكلم هو: الذي يقول بعلم الجدل وعلم الكلام، الذي يتبع أدلة علماء الكلام في المناظرة، هؤلاء المتكلمون، وعلمهم يُسمى علم الكلام، الذي أضل كثيرًا من الناس، والذي دخل على المسلمين -كما سبق-، لما عُربت الكتب الرومية على عهد المأمون، جاء علم الكلام، واستبدلوه بعلم الكتاب والسنة، وظنوا أنه يفيد اليقين، وأن الكتاب والسنة يفيدان الظن، ولا شك أن اليقين مقدم على الظن عند الجميع، لكن لا نُسَلِّم ولانوافق أن علم الكلام يفيد اليقين، وأن علم الكتاب والسنة يفيد الظن، بل العكس: الكتاب والسنة يفيدان اليقين، وعلم الكلام هو الذي يفيد الظن، لكن عكسوا هم، هؤلاء علماء الكلام.

قوله: (وَمُتَصَوِّفٍ)، والتصوف اختلفوا في تفسيره:

فمنهم من يقول: (إنه مأخوذ من الصوف؛ لأنهم يلبسون الصوف، ويتقشفون، لذلك سموا بالصوفية؛ لأن شعارهم لبس الصوف من الزهد)، وهذا أقرب.

ومنهم من يقول: (سموا بالصوفية أخذًا من أهل الصُّفّة الذين على عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم الذين وفدوا على المدينة لطلب، العلم وليس لهم أهل، فأنزلهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صُفّة في المسجد، وجعل يطعمهم من الصدقات ومما يسر الله عَزَّ وَجَلَّ، هؤلاء هم أهل الصُّفة)، وهذا غلط، وليس بصحيح، ليس اسم الصوفية مأخوذًا من هذا، فرق بين هؤلاء وهؤلاء.

ومنهم من يقول: (سموا الصوفية من الصفاة؛ لأن قلوبهم صوفية)، وهذا -أيضًا- غلط لغة ومعنى، ما يؤخذ من الصفاة صوفية، وإنما يؤخذ من الصفاة صفوي مثلًا أو صافي، فهذا غلط، والصحيح الأول؛ أنهم سموا صوفية؛ لأنهم يتقشفون -بزعمهم-، ويظهرون النسك والزهد.

وكانوا في أول التصوف لم ينحرفوا، هناك عباد، لكنهم مستقيمون، وإن كانوا قد اجتهدوا في العبادة وتقشفوا، ولكنهم مستقيمون؛ كالجنيد، وبشر الحافي، وإبراهيم بن أدهم، هؤلاء متعبدة مستقيمون، والفضيل بن عياض، هؤلاء متعبدة وعلماء، ومتمسكون بالعقيدة الصحيحة، لكن فيما بعد تطور التصوف، فدخله البدع، ودخله تصوف الفلاسفة والهنود، ودخلته القبورية، بل تطور إلى وحدة الوجود -والعياذ بالله-؛ كمذهب ابن عربي، وابن سبعين[1]، وغيرهم من غلاة الصوفية. تطور إلى أن وصل إلى الإلحاد.

وهكذا الخروج عن الكتاب والسنة، وإن كان في أوله عن مقصد صحيح وعن حب للخير، إلا أنه ينحرف بأصحابه، أما الذين تمسكوا بالكتاب والسنة،

---

(١) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي، الرقوطي نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية، ولد سنة أربع عشرة وستمائة، واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة، فتولد له من ذلك نوع من الإلحاد، وصنف فيه. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٦١)، والوافي بالوفيات (١٨/ ٣٧)، وشذرات الذهب (٥/ ٣٢٩).



فإنهم سلموا من هذا، أما التصوف لكونه خارجًا عن الكتاب والسنة، آل بأصحابه إلى الإلحاد -والعياذ بالله!

فهذا مما يدل على لزوم الكتاب والسنة في العبادة وفي غيرها، والكتاب والسنة فيهما الخير. ولما قال جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ثلاثة-؛ «فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنِّي أَصُومُ الدَّهْرَ، فَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، وَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا»؛ أتبتل، فلما علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمقالتهم، غضب، وخطب، وقال: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلهِ** عَزَّ وَجَلَّ **وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي**»[(١)]، فالاعتدال والاستقامة ولزوم الكتاب والسنة هما الخير عاجلًا وآجلًا. فلا يخرج عن الكتاب والسنة إلا من يؤول إلى الضلال، وإن كان في بداية أمره يريد الخير ونيته صالحة، لكن يتطور الأمر، والشيطان لا يقف عند حد، يتدرج به، ولا يقمع الشيطان إلا التمسك بالكتاب والسنة.

قوله: (وَمُتَفَقِّهٍ)، فالذي يدعي الفقه، وهو ليس بفقيه، ثم يخطئ ويَضِل ويُضِل الناس، ويقول على الله بغير علم، ويُفتي بغير علم، متعالم. ولهذا يقولون:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (٥) (١٤٠١) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا بِهَا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَقَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا، فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الآخَرُ: إِنِّي أَصُومُ الدَّهْرَ، فَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الآخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، وَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: **أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ** عَزَّ وَجَلَّ **وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي، فَلَيْسَ مِنِّي**».

(يُفسد الدنيا أربعة: نصف متكلم، ونصف طبيب، ونصف متفقه، ونصف نحوي)[(١)]، أما الأول -وهو نصف المتكلم-، فهذا يُفسد الأديان، وأما الثاني -وهو نصف الطبيب-، فهذا يفسد الأبدان، وأما الثالث -وهو نصف المتفقه-، فهذا يفسد البلدان؛ لأنه يفتي بغير علم، ويقضي بغير علم، فيفسد البلدان، والرابع نصف النحوي يفسد اللسان، وهي اللغة العربية.

قوله: (**فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَا ذَكَرَهُ الرَّسُولُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنْ أَمْرِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ لِلْحَقَائِقِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ الْجُمْهُورُ، لا أَنَّهُ بَيَّنَ بِهِ الحَقَّ، وَلا هَدَى بِهِ الخَلْقَ، وَلا أَوْضَحَ الحَقَائِقَ**)، يقولون: (إن هذا الذي قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس حقيقة، وإنما هو تخييل لأجل المصلحة -مصلحة الناس-، أو من الكذب من أجل المصلحة)؛ كما يقولون -قبحهم الله-: (الرسول قال للناس غير الحقيقة، ستر عنهم الحقيقة)، هؤلاء هم أهل التخييل، وهم الفلاسفة ومن قلدهم من المتكلمة والمتصوفة والمتفقهة. (وإنما الرسول خيَّل إلى الناس هذه الأشياء، تخيلها وأخبر بها الناس لأجل مصلحتهم)!!!

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (**ثُمَّ هُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ**):

* منهم من يقول: (إن الرسول يعرف الحقيقة، ولكنه لم يبينها)!

* ومنهم من يقول: (لا. الرسول لا يعرف الحقيقة، الفلاسفة أعرف منه بالحقيقة)!

قوله: (**ثُمَّ هُمْ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الرَّسُولَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لَمْ يَعْلَمِ الحَقَائِقَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ**)، يعني: جاهل على هذا.

---

(١) سيأتي هذا في آخر هذه الرسالة المباركة.



قوله: (وَيَقُولُونَ: إِنَّ مِنَ الفَلَاسِفةِ الإِلَهِيَّةِ)، يعني: الذين يعترفون بالإله؛ لأن الفلاسفة على قسمين: فلاسفة يعترفون بالإله، وفلاسفة ملاحدة لا يعترفون برب.

قوله: (مَنْ عَلِمَهَا)، فهو أعرف من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الفيلسوف عندهم أعلم من الرسول، والصوفية عندهم الولي فوق الرسول، الأولياء فوق الرسل، ولهذا يقولون[1]:

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ   فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيّ

هكذا يقولون -قبحهم الله-: (إن الولي عند الصوفية أقرب إلى الله وأعرف من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)!!!

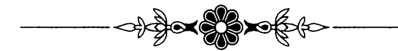
قوله: (وَكَذَلِكَ مِنَ الأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُسَمُّونَهُمْ أَوْلِيَاءَ مَنْ عَلِمَهَا)، هؤلاء الذين يفضلون الولي على الرسول، الصوفية يفضلون الولي على الرسول، يقولون: (إنه أعلم من الرسول)!!!

قوله: (وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مِنَ الفَلَاسِفةِ أَوِ الأَوْلِيَاءِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ وَالآخِرِ مِنَ المُرْسَلِينَ، وَهَذِهِ مَقَالَةُ غُلَاةِ المُلْحِدِينَ مِنَ الفَلَاسِفَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ)، الباطنية من الشيعة، الباطنية الإسماعيلية، هؤلاء أصلهم الفاطميون، والفاطميون هؤلاء باطنية الشيعة؛ ومنهم القرامطة، ومنهم الإسماعيلية، ومنهم طوائف يدعون أن النصوص لها باطن ولها ظاهر؛ الظاهر يعلمه العوام، وأما الباطن، فلا يعلمه إلا العلماء وخواصهم.

---

(١) قائل هذا البيت هو ابن عربي كما ذكره شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في منهاج السنة (٨/ ٢٢)، ودرء التعارض (١٠/ ٢٠٤)، وابن أبي العز في شرح الطحاوية (٥٥٦)، والفتوحات المكية (٢/ ٢٥٢).

قوله: (بَاطِنِيَّةِ الشِّيعَةِ، وَبَاطِنِيَّةِ الصُّوفِيَّةِ)، (بَاطِنِيَّةِ الشِّيعَةِ) الذين هم الإسماعيلية والفاطمية والقرامطة، (وَبَاطِنِيَّةِ الصُّوفِيَّةِ) كابن عربي، وابن الفارض[1]، وابن سبعين، وغيرهم.



(١) أبو حفص عمر بن علي بن المرشد بن علي المعروف بابن الفارض، الحموي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، وكان أبوه يكتب فروض النساء والرجال، وقد تكلم فيه غير واحد بسبب قصيدته التائية في السلوك على طريقة المتصوفة، والتي ينعق فيها بالاتحاد الصريح، مات ابن الفارض سنة ٦٣٢هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٦٨)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٤٣)، ولسان الميزان (٤/ ٣١٧).



وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَل الرَّسُولُ عَلِمَهَا، لَكِنْ لَمْ يُبَيِّنْهَا، وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِمَا يُنَاقِضُهَا، وَأَرَادَ مِنَ الخَلْقِ فَهْمَ مَا يُنَاقِضُهَا؛ لأَنَّ مَصْلَحَةَ الخَلْقِ فِي هَذِهِ الاعْتِقَادَاتِ الَّتِي لا تُطَابِقُ الحَقَّ.

وَيَقُولُ هَؤُلاءِ: يَجِبُ عَلَى الرَّسُولِ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى اعْتِقَادِ التَّجْسِيمِ مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِلَى اعْتِقَادِ مَعَادِ الأَبْدَانِ مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ؛ لأَنَّهُ لا يُمْكِنُ دَعْوَةُ الخَلْقِ إِلَّا بِهَذِهِ الطَّرِيقِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الكَذِبَ لِمَصْلَحَةِ العِبَادِ. فَهَذَا قَوْلُ هَؤُلاءِ فِي نُصُوصِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ.

وَأَمَّا الأَعْمَالُ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُقِرُّهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجْرِيهَا هَذَا المَجْرَى، وَيَقُولُ: إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، وَيُؤْمَرُ بِهَا العَامَّةُ دُونَ الخَاصَّةِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ البَاطِنِيَّةِ المَلاحِدَةِ، وَالإِسْمَاعِيلِيَّةِ[1]، وَنَحْوِهِمْ.

وَأَمَّا أَهْلُ التَّأْوِيلِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ النُّصوصَ الوَارِدَةَ فِي الصِّفَاتِ لَمْ يَقْصِدْ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَعْتَقِدَ النَّاسُ البَاطِلَ، وَلَكِنْ قَصَدَ بِهَا مَعَانِيَ، وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ تِلْكَ المَعَانِيَ، وَلا دَلَّهُمْ عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرُوا فَيَعْرِفُوا الحَقَّ بِعُقُولِهِمْ، ثُمَّ يَجْتَهِدُوا فِي صَرْفِ تِلْكَ النُّصُوصِ عَنْ مَدْلُولِهَا، وَمَقْصُودُهُ امْتِحَانُهُمْ وَتَكْلِيفُهُمْ، وَإِتْعَابُ أَذْهَانِهِمْ وَعُقُولِهِمْ فِي أَنْ يَصْرِفُوا كَلامَهُ عَنْ مَدْلُولِهِ وَمُقْتَضَاهُ، وَيَعْرِفُوا الحَقَّ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ، وَهَذَا قَوْلُ المُتَكَلِّمَةِ الجهميَّةِ، وَالمُعْتَزِلَةِ وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَالَّذِينَ قَصَدْنَا الرَّدَّ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الفُتْيَا هُمْ هَؤُلاءِ؛ إِذْ كَانَ نُفُورُ النَّاسِ عَنِ الأَوَّلِينَ مَشْهُورًا، بِخِلافِ هَؤُلاءِ؛ فَإِنَّهُمْ تَظَاهَرُوا بِنَصْرِ السُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ،

---

(١) سبق التعريف بهم (ص٢٦٣).

وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ لَا للإِسْلامِ نَصَرُوا، وَلا لِلْفَلاسِفَةِ كَسَرُوا، وَلَكِنْ أُولَئِكَ الفَلاسِفَةُ أَلْزَمُوهُمْ فِي نُصُوصِ المَعَادِ نَظِيرَمَا ادَّعَوْهُ فِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ، فَقَالُوا لَهُمْ: نَحْنُ نَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ الرُّسُلَ جَاءَتْ بِمَعَادِ الأَبْدَانِ، وَقَدْ عَلِمْنَا الشُّبَهَ المَانِعَةَ مِنْهُ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ لِهَؤُلاءِ: وَنَحْنُ نَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ الرُّسُلَ جَاءَتْ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، وَنُصُوصُ الصِّفَاتِ فِي الكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ نُصُوصِ المَعَادِ.

وَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَعْلُومٌ أَنَّ مُشْرِكِي العَرَبِ وَغَيْرَهُمْ كَانُوا يُنْكِرُونَ المَعَادَ، وَقَدْ أَنْكَرُوهُ عَلَى الرَّسُولِ وَنَاظَرُوهُ عَلَيْهِ، بِخِلافِ الصِّفَاتِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ شَيْئًا مِنْهَا أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ.

فَعُلِمَ أَنَّ إِقْرَارَ العُقُولِ بِالصِّفَاتِ أَعْظَمُ مِنْ إِقْرَارِهَا بِالمَعَادِ، وَأَنَّ إِنْكَارَ المَعَادِ أَعْظَمُ مِنْ إِنْكَارِ الصِّفَاتِ، وَكَيْفَ يَجُوزُ مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ لَيْسَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ المَعَادِ هُوَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ.

الشَّرح

قوله: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: بَلِ الرَّسُولُ عَلِمَهَا لَكِنْ لَمْ يُبَيِّنْهَا)، هذا الفريق الثاني منهم، يقول: (علمها، لكن ما بينها، خيَّل للناس خلافها؛ لأجل مصلحتهم)!

قوله: (وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِمَا يُنَاقِضُهَا، وَأَرَادَ مِنَ الخَلْقِ فَهْمَ مَا يُنَاقِضُهَا؛ لأَنَّ مَصْلَحَةَ الخَلْقِ فِي هَذِهِ الاعْتِقَادَاتِ الَّتِي لَا تُطَابِقُ الحَقَّ. وَيَقُولُ هَؤُلاءِ: يَجِبُ عَلَى الرَّسُولِ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى اعْتِقَادِ التَّجْسِيمِ)، التجسيم الذي هو إثبات الصفات؛ لأن الصفات عندهم ما تقوم إلا بجسم، فالذي يثبت الصفات مجسم، ولهذا يلمزون الحنابلة بالمجسمة، لماذا؟ لأنهم يثبتون الصفات.

قوله: (مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ)، الذي هو إثبات الصفات، (مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ)، التجسيم ما جاء في الكتاب ولا في السنة لا نفيه ولا إثباته، فنحن لا ننفيه ولا نثبته، نحن نثبت الأسماء والصفات، ولا نقول بالتجسيم. هذا عندهم هم.

قوله: (وَإِلَى اعْتِقَادِ مَعَادِ الأَبْدَانِ مَعَ أَنَّهُ بَاطِلٌ)، وقال لهم: (إنه سيكون بعث ونشور يوم القيامة وجزاء، وهذا ليس بصحيح، ليس لنا بعث، لكن الرسول قال هذا من أجل يردعهم عن الأخلاق السيئة والكذب من باب التخويف لهم، وإلا ليس لنا بعث ولا نشور)! هذا قول الباطنية.

قوله: (وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ)، ويخبرهم أن هناك جنة ونارًا بعد الموت، وفيها أكل وشرب، وهذا باطل؛ لأن الميت لا يمكن أن يُبعث، ولا يمكن أن يأكل ويشرب! هكذا يقولون -قبحهم الله!

قوله: (لأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ دَعْوَةُ الخَلْقِ إِلَّا بِهَذِهِ الطَّرِيقِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الكَذِبَ لِمَصْلَحَةِ العِبَادِ)، يقولون: (الرسول فعل هذا من أجل مصلحة الخلق، لا يمكن دعوتهم إلا بهذه الطريقة -طريقة التخييل-؛ ولذلك جاء بها)!

والآن هناك ناس يحدثون أشياء، ويقولون: (هذه من وسائل الدعوة)، أشياء مخالفة لدعوة الرسول ﷺ ومنهج الرسول، هذا قريب من منهج التخييل.

الواجب اتباع الرسول ﷺ في كل شيء وعدم الخروج وعدم الزيادة في الدعوة وغيرها، ما نُحدث شيئًا ونقول: (هذا لأجل المصلحة)، ونجعله من أمور الدين، أو من أمور الدعوة.

قوله: (فَهَذَا قَوْلُ هَؤُلاءِ فِي نُصُوصِ الإِيمَانِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَأَمَّا الأَعْمَالُ

فَمِنْهُمْ مَنْ يُقِرُّهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجْرِيهَا هَذَا المَجْرَى، وَيَقُولُ: إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِهَا بَعْضُ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ)، أما الأعمال -وهي الصلاة والصيام والحج والطاعة-، فمنهم من ينكرها، ويقول: (ما لها أصل، لا حاجة إلى العبادات، ولا حاجة إلى...)!!

ومنهم من يقرها من أجل مصلحة العوام، أما الخواص، فما يحتاجون للعبادة، ولذلك ولاة الصوفية ما يصومون، ولا يصلون، ولا يحجون، ولا يحرمون شيئًا، بل يستبيحون المحرمات، يستبيحون اللواط والزنا والفاحشة، ويقولون: (التحليل والتحريم للعوام، أما الخواص، فليس عليهم تحليل ولا تحريم؛ لأنهم عرفوا، ولا يحتاجون إلى هذا)، هذا موجود الآن في عقائد الصوفية، وإذا أردت أن تقف على هذا، فاقرأ «مصرع التصوف»، للشيخ عبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك رد البقاعي على تائية ابن الفارض «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي»، كتاب مطبوع، وحققه الشيخ عبدالرحمن الوكيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أنصار السنة في مصر، جاء ودرَّس هنا في المعاهد، ومعروف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فله هذان الكتابان.

وهناك كتب أخرى ترد على الصوفية، كتب شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الصوفية كثيرة.

قوله: (وَيُؤْمَرُ بِهَا العَامَّةُ دُونَ الخَاصَّةِ)، الخاصة عندهم هم الأولياء والأقطاب الذين وصلوا إلى الله؛ فلا يحتاجون إلى رسل، ولا يحتاجون إلى شريعة، ولا إلى شيء، وصلوا إلى الله، ولا يحرم عليهم شيء، ولا يجب عليهم شيء، هذه للعوام يقولون.

قوله: (وَهَذِهِ طَرِيقَةُ البَاطِنِيَّةِ المَلَاحِدَةِ، وَالإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ)، الإسماعيلية: نسبة إلى إسماعيل بن جعفر؛ لأن أئمة الشيعة معروفون، منهم جعفر الصادق،

وكان له ولدان: موسى الكاظم(١)، وإسماعيل، وإسماعيل ابنه قالوا: انقطعت إمامته؛ لأنه مات قبل أبيه، أما موسى الكاظم، فهو عاش بعد أبيهن فهو الذي تؤول إليه الإمامة، ولذلك أتباعه يسمون بالموسوية والجعفرية، وهم الرافضة(٢) الموجودون الآن، والقسم الثاني قالوا: (لا. إسماعيل هو الأكبر، انتقلت الإمامة من أبيه جعفر إلى إسماعيل؛ لأنه هو الكبير)، ويسمون بالإسماعيلية، وهم أخبث من الجعفرية، باطنية -والعياذ بالله-، ومنهم الفاطميون، ومنهم القرامطة.

قوله: (وَأَمَّا أَهْلُ التَّأْوِيلِ)، هذا الصنف الثاني، أهل التأويل وهم الذين صنَّف الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الرسالة ردًّا عليهم، وهم الذين يقولون: الأسماء والصفات ليست على ظاهرها، وإنما تؤوَّل إلى معانٍ أخرى؛ الوجه معناه: الذات، واليد معناها: القدرة، والرحمة معناها: إرادة الإنعام، وما أشبه ذلك، والاستواء معناه: الاستيلاء، إلى غير ذلك من التأويلات الباطلة.

قوله: (فَيَقُولُونَ: إِنَّ النَّصوصَ الوَارِدَةَ فِي الصِّفَاتِ لَمْ يَقْصِدْ بِهَا الرَّسُولُ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَعْتَقِدَ النَّاسُ البَاطِلَ، وَلَكِنْ قَصَدَ بِهَا مَعَانِيَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ تِلْكَ

---

(١) موسى الكاظم، ولد سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة، قال أبو بكر الخطيب: «كان موسى بن جعفر يُدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده» اهـ، وقال الذهبي: «قال أبو حاتم: ثقة إمام من أئمة المسلمين، وقال غيره: أقدمه الرشيد معه من المدينة فحبسه ببغداد ومات في الحبس رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان صالحًا عابدًا جوادًا حليمًا كبير القدر» اهـ. توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة. انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٢٧)، وسير أعلام النبلاء(٦/ ٢٧٠)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٨٣)، وشذرات الذهب (١/ ٣٠٤).

(٢) هي فرقة من فرق الشيعة الضالة، سُمُّوا (رافضة)؛ لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، ويقال: سموا بالروافض؛ لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خرج على هشام بن عبدالملك، فطعن عسكره على أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فمنعهم من ذلك، فرفضوه، فقال لهم زيد بن علي: رفضتموني؟! قالوا: نعم؛ فبقي عليهم هذا الاسم. وهم يُدْعون الإماميةَ؛ لقولهم بالنص على إمامة على ابن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. انظر: مقالات الإسلاميين (ص١٦وما بعدها)، والفَرْق بين الفِرَق (ص١٥)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٥٢).

المَعَانِيَ، وَلا دَلَّهُمْ عَلَيْهَا)، يقولون: (الرسول ما قصد الباطل)؛ مثلما يقوله أهل التخييل، (ما قصد الباطل، بل قصد الحق، وجاء بهذه النصوص، ولم يُرد من الناس أن يعتقدوها على ظاهرها، وإنما أراد منهم أن يؤولوها عن ظاهرها؛ لأن ظاهرها عندهم لا يليق بالله)؛ بزعمهم.

والتأويل: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، هذا تأويل المتأخرين.

فهم يقولون: (لابد من تأويلها؛ لأن الرسول أراد تأويلها، ما أراد أن نعتقدها على ظاهرها)، معناه: أن الرسول جاء بألغاز وأحاجي؛ لأن الشيء الذي ما هو على ظاهره هذا لغز، هذا هو اللغز والأحجية، الرسول إنما جاء بالألغاز، ولم يأت بكلام فصيح واضح ظاهر!! مع أنه سبق أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو أعلم الخلق وأفصح الخلق وأنصح الخلق، فهو أرادها على ظاهرها، وبيَّن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يجب اعتقادها.

وهذا اتهام للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه لم يُبلغ، ولم يُفهم الناس المراد، وصف للرسول بالعجز أو بالخيانة؛ أنه أتاهم بنصوص ليست على ظاهرها، ولم يُبين لهم ذلك؛ لأنه يريد منهم هم أن يجتهدوا، ويفسروها من عندهم.

قوله: (**وَلَكِنْ قَصَدَ بِهَا مَعَانِيَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَهُمْ تِلْكَ المَعَانِيَ، وَلا دَلَّهُمْ عَلَيْهَا**)، هذا اتهام للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه لم يبين، هذا اتهام، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ**﴾ [المائدة:٦٧]، هذا اتهام معناه: أن الرسول لم يبلغ الرسالة -تعالى الله عن ذلك!

قوله: (**وَلَكِنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرُوا فَيَعْرِفُوا الحَقَّ بِعُقُولِهِمْ**)، أراد أنهم عندهم عقول، فيعرفونه بعقولهم وعلم الكلام وعلم الجدل، يعرفونه بعقولهم.



لو كانت العقول كافية، ما احتجنا للرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، العقول موجودة ما نحتاج للرسول، تكفينا العقول على هذا الكلام الباطل!

قوله: (يَجْتَهِدُوا فِي صَرْفِ تِلْكَ النُّصُوصِ عَنْ مَدْلُولِهَا، وَمَقْصُودُهُ امْتِحَانُهُمْ وَتَكْلِيفُهُمْ، وَإِتْعَابُ أَذْهَانِهِمْ وَعُقُولِهِمْ فِي أَنْ يَصْرِفُوا كَلامَهُ عَنْ مَدْلُولِهِ وَمُقْتَضَاهُ)؛ كما يقصد أصحاب الألغاز، يقصدون أن يجتهد الناس في فهم اللغز وتفسيره، الرسول أراد هذا، جاءهم بألغاز يريد منهم النبيه الجيد الذي يفسرها، كأنها مسابقة وأحاجي. هذا اعتقادهم في الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأنه ما جاء بالبيان، وإنما بلغهم النصوص فقط، ووكل تفسيرها إليهم.

قوله: (وَيَعْرِفُوا الْحَقَّ مِنْ غَيْرِ جِهَتِهِ)، من غير جهة الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، يعرفون الحق من جهتهم هم من جهة عقولهم وأذهانهم.

قوله: (وَهَذَا قَوْلُ الْمُتَكَلِّمَةِ وَالجهميَّةِ)، المتكلمة: الذين يستدلون بعلم المنطق وعلم الجدل والمقدمات والنتائج. وعلم الكلام موجود، عليه عقائدهم نثرًا ونظمًا، وهي التي بأيدي الأشاعرة الآن والماتُريدية، والمعتزلة، عقائدهم موجودة نثرًا ونظمًا، مثل: الجوهرة التي تُدرس في الأزهر وغيره، جوهرة التوحيد يسمونها، هي علم المنطق وعلم الكلام، التوحيد عندهم هو علم الكلام.

والجهمية: أتباع الجهم بن صفوان، أصل البلاء، والمعتزلة أتباع واصل بن عطاء الغزال[١]، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري إمام التابعين، كان من تلاميذ

(١) واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذًا في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، وانضم إليه عمرو بن عبيد، واعتزلا مجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها، وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، =

الحسن البصري، فلما سُئل الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مرتكب الكبيرة، قال: (إنه مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته)، لم يُكفره، فاعتزل واصل بن عطاء، وقال: (لا. هو خارج من الإسلام، وغير داخل في الكفر، فهو في منزلة بين المنزلتين)، وجلس وتحلَّق عليه أتباعه، فسُموا بالمعتزلة؛ لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إمام التابعين.

وهكذا في وقتنا الذين ينفصلون عن العلماء، وينحازون إلى دعاة الضلال وإلى الجماعات المشبوهة، ويأخذون عنها منهجهم وعقائدهم، يصيبهم ما أصاب المعتزلة من الانحراف والضلال، فالواجب الالتفاف على أهل العلم وأخذ العلم عن العلماء المعروفين به، وليس أخذه عن فلان المجهول، أو فلان الجاهل، أو فلان الذي جاء من كذا وكذا، ونحن لا نعرف أين درس، ولا من أين تفقه، ولا من أين تلقى العلم. هذا آل إلى أمور لا تُحمد عقباها الآن، كله بسبب الانفصال عن أهل العلم وعن دروس التوحيد وعلم العقيدة الصحيحة والانصراف إلى الكتب الفكرية الحركية، صارت هي مراجعهم، حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن، فالواجب أن نحذر من هذا الأمر الخطير، وأن نلزم جماعة المسلمين وإمام المسلمين وعلماء المسلمين ومنهج المسلمين، وأن نأخذ العلم من كتب السلف الصالح، لا من كتب الحركيين والمفكرين وغيرهم.

قوله: (وَمَنْ دَخَلَ مَعَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ)، مثلما ذكرنا الذين دخلوا الآن في هذا المسلك تركوا العلماء، وتركوا كتب السلف، وقالوا: (إنها صفراء، وإنها

= وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنما أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة. انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ ـ ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨).

قديمة، وإنها لناس ذهبوا، غيروا المناهج، ائتوا بمناهج توافق العصر والحضارة، واقطعوا عنا كلام السلف، واقطعوا عنا كتب العقيدة القديمة، معقدة، فيها قصور)!! هكذا الضلال يأتي على الناس من مثل الأمور هذه.

قوله: (وَالَّذِينَ قَصَدْنَا الرَّدَّ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْفُتْيَا هُمْ هَؤُلَاءِ)، (هُمْ هَؤُلَاءِ)؛ الصنف الثاني، وهم أهل التأويل من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم، الذين يؤولون الأسماء والصفات إلى غير معانيها، الشيخ قصد بهذه الفتوى الرد على هؤلاء، أما أهل التخييل وأهل التجهيل، فرد عليهم في كتب أخرى غير هذه الفتوى؛ لأنه سئل عن الأسماء والصفات: ما قول السلف الصالح في أسماء الله وصفاته؟ فهو يجيب على هذا السؤال.

قوله: (إِذْ كَانَ نُفُورُ النَّاسِ عَنِ الأَوَّلِينَ مَشْهُورًا)، قصدنا الرد على أهل التأويل؛ لأن الناس ينفرون عن الصنف الأول الذين هم أهل التخييل والفلاسفة؛ لكن أهل التأويل يضرون الناس؛ لأنهم علماء، ويدّعون أنهم من علماء المسلمين، وأنهم تلقوا العلم عن العلماء، فهم يضرون الناس، أما أهل التخييل الناس ما يغترون بهم؛ من أين أخذتم؟ يقولون: عن كتب الفلاسفة. ما يطيعونهم الناس، بخلاف المؤولة؛ فإن الناس يغترون بهم بصفتهم من العلماء وبصفتهم من المتخصصين -بزعمهم.

قوله: (بِخِلافِ هَؤُلاءِ فَإِنَّهُمْ تَظَاهَرُوا بِنَصْرِ السُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ)، المعتزلة أو الجهمية معروف ضلالهم وكفرهم وإلحادهم، وأما المعتزلة، فنعم عندهم جدل وعندهم قوة حجة، فلذلك الناس يغترون بهم، وعندهم شيء من العلم، ما هم مثل الجهمية، الجهمية ما عندهم علم جُهال، أما المعتزلة، فعندهم علم

غزير، ولكنهم في العقيدة صفر؛ لأنهم لم يتبعوا الكتاب والسنة، وهم يردون على الجهمية، العجيب أن المعتزلة يردون على الجهمية، وهم لم يردوا عليهم بالكتاب والسنة، وإنما ردوا عليهم بالجدل وعلم المنطق، فلم يحصل المقصود من ردهم، الرد إنما يكون بالكتاب والسنة، ما يكون الرد بعلم الجدل وعلم المنطق والقواعد المنطقية؛ هذا لا ينصر الحق، ولا يزيل الجهل، ولا يزيل اللبس.

قوله: (فَإِنَّهُمْ تَظَاهَرُوا بِنَصْرِ السُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ)، المعتزلة عندهم ردود على الجهمية، وعلى القدرية الجبرية[1]، وإلا فهم قدرية، يردون على الجبرية، ويردون على الجهمية.

قوله: (وَهُمْ فِي الحَقِيقَةِ لَا للإِسْلامِ نَصَرُوا، وَلا لِلْفَلاسِفَةِ كَسَرُوا)، هم يردون على الفلاسفة وعلى الجهمية، لكن ما ردوا عليهم بالكتاب والسنة، وإنما ردوا عليهم بعلم المنطق وعلم الكلام، وهذا لا ينصر الإسلام، ولا يكسر الباطل، وإنما يزيد الشر شرًّا.

فالذي يرد على أهل الضلال بغير الشرع وبغير ما جاء به الرسول، هذا لايفيد شيئًا، بل يزيد الأمر خطورة.

قوله: (وَلَكِنْ أُولَئِكَ الفَلاسِفَةُ أَلْزَمُوهُمْ فِي نُصُوصِ المَعَادِ نَظِيرَ مَا ادَّعَوْهُ فِي نُصُوصِ الصِّفَاتِ)، لما ردوا على الباطنية الذين ردوا البعث والنشور، وقالوا: (ما هو على ظاهره، وليس هناك بعث، ولا هناك جنة ونار، وإنما هذه أمور تخيلها

---

(١) الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف: فالجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلًا ولا قدرة على الفعل أصلًا، والجبرية المتوسطة هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلًا. انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص٦٨)، والملل والنحل (١/ ٨٥)، والتعريفات (ص١٠١).



الرسول من أجل مصالح الناس)، قالوا لهم: (نحن أوَّلنا، وأنتم أوَّلتم، نحن أوَّلنا البعث والنشور، وأنتم أوَّلتم الأسماء والصفات، والأسماء والصفات في كتاب الله أكثر من ذكر البعث، فلماذا تأويلكم سائغ وتأويلنا باطل؟ فلماذا تردون علينا وأنتم أشد منا ضلالًا؟).

قوله: (**فَقَالُوا لَهُمْ: نَحْنُ نَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ الرُّسُلَ جَاءَتْ بِمَعَادِ الأَبْدَانِ، وَقَدْ عَلِمْنَا الشُّبَهَ المَانِعَةَ مِنْهُ. وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ لِهَؤُلاءِ: وَنَحْنُ نَعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ الرُّسُلَ جَاءَتْ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ**)، إذا كان البعث والنشور حقًّا، أنتم يا معتزلة تردون على الفلاسفة قولهم بأن البعث والنشور ما هو بحقيقة، وإن كان جاء في القرآن ذكره، ليس حقيقة، وإنما هو تخييل، ويؤولونه بتأويلاتهم، فلماذا أنتم تؤولون الأسماء والصفات، وتقولون: (إنها ما هي بحقيقة)؟، وتقولون: (مذهبنا باطل ومذهبكم صحيح)، لماذا؟ أهل السنة والجماعة ردوا على الطائفتين، على أهل التخييل وأهل التأويل، وقالوا: (كلاكما ضال عن الحق؛ لأنكم لا تستدلون بكلام الله وكلام رسوله، وإنما تستدلون بأشياء وضعتموها من عندكم وقوانين قننتموها، وكلاكما قوله باطل، والصواب ما عليه أهل السنة والجماعة. فإذا فسد مذهب الفلاسفة في تأويل البعث، فسد مذهب المؤولة في الأسماء والصفات من باب أولى، وإذا فسد مذهب أهل التخييل، ففساد مذهب أهل التأويل أولى).

قوله: (**وَنُصُوصُ الصِّفَاتِ فِي الكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ نُصُوصِ المَعَادِ**)، نصوص الصفات في الكتب الإلهية -التوراة، والإنجيل، والقرآن، والكتب المنزلة- أكثر من ذكر البعث والجنة والنار، ولماذا تغلظون على أهل التخييل في نفي المعاد، وأنتم ترتكبون ما هو أشد منه وأكثر منه ذكرًا في القرآن وفي الكتب، وهو الأسماء والصفات؟!

قوله: (وَيَقُولُونَ لَهُمْ: مَعْلُومٌ أَنَّ مُشْرِكِي العَرَبِ وَغَيْرَهُمْ كَانُوا يُنْكِرُونَ المَعَادَ، وَقَدْ أَنْكَرُوهُ عَلَى الرَّسُولِ وَنَاظَرُوهُ عَلَيْهِ، بِخِلَافِ الصِّفَاتِ)، المعاد: هو البعث؛ ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾ [التغابن:٧]، ﴿ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴾ [يس:٧٨]، وهذا وجه آخر، وهو أن العرب في الجاهلية كانوا ينكرون البعث؛ ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ [الصافات:١٦، ١٧]، ينكرون البعث، لكن الأسماء والصفات لاينكرونها، واليهود لا ينكرون الأسماء والصفات، ولهذا لما جاء الحبر إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذكر له أنه يجد في التوراة أن الله يقبض السماوات بيد والأرض بيد. ضحك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقول الحبر؛ تصديقًا له، وأنزل الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧]، فما في القرآن صدَّق ما في التوراة، فاليهود ما ينكرون الأسماء والصفات، العرب في الجاهلية لا ينكرون الأسماء والصفات، وأنتم -يا جهمية ومعتزلة وأشاعرة- تنكرون الأسماء والصفات؟ فأنتم إذًا أضل من اليهود ومن العرب في الجاهلية في هذا الباب، لا في كل شيء.

قوله: (فَإِنَّهُ لَمْ يُنْكِرْ شَيْئًا مِنْهَا أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ)، بل إنك تجد في أشعار الجاهلية شيئًا من ذكر الأسماء والصفات، هذا موجب الفطرة وموجب بقايا الدين السماوي في العرب. يقرون بالأسماء والصفات.

قوله: (فَعُلِمَ أَنَّ إِقْرَارَ العُقُولِ بِالصِّفَاتِ أَعْظَمُ مِنْ إِقْرَارِهَا بِالمَعَادِ)، أنتم تعتمدون على العقول بزعمكم، إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالبعث، فهذا يدل على بطلان قولهم.

قوله: (وَأَنَّ إِنْكَارَ المَعَادِ أَعْظَمُ مِنْ إِنْكَارِ الصِّفَاتِ) عندهم، مع أن العكس إنكار الصفات أعظم من إنكار البعث.

قوله: (وَكَيْفَ يَجُوزُ مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ لَيْسَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ، وَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ المَعَادِ هُوَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ)، هذا إلزام لهم، أنتم تقولون -أيها المعتزلة-: (إن ما أخبر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البعث على حقيقته؛ لأن المعتزلة لا ينكرون البعث، بل يقرون به، تقولون: (إنه حق)، فلماذا الأسماء والصفات لا تكون حقًّا؟ مع أن نصوصها في القرآن أكثر من نصوص البعث.



وأَيْضًا: فَقَدْ عُلِمَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَدْ ذَمَّ أَهْلَ الكِتَابِ عَلَى مَا حَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ**(١)، **وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْرَاةَ مَمْلُوءَةٌ مِنْ ذِكْرِ الصِّفاتِ، فَلَوْ كَانَ هَذا مِمَّا حُرِّفَ وَبُدِّلَ، لَكَانَ إِنْكَارُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوْلَى، فَكَيْفَ وَكَانُوا إِذَا ذَكَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ الصِّفَاتِ يَضْحَكُ تَعجُّبًا مِنْهُمْ وَتَصْدِيقًا**(٢)؛ **وَلَمْ يَعِبْهُمْ قَطُّ بِمَا تَعِيبُ النُّفَاةُ لأَهْلِ الإِثْبَاتِ، مِثْلُ لَفْظِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، بَلْ عَابَهُمْ بِقَوْلِهِمْ:** ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، **وَقَوْلِهِمْ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، **وَقَوْلِهِمْ: اسْتَرَاحَ لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، فَقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، **وَالتَّوْرَاةُ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ المُطَابِقَةِ لِلصِّفَاتِ المَذْكُورَةِ فِي القُرْآنِ وَالحَدِيثِ، وَلَيْسَ فِيهَا تَصْرِيحٌ بِالمَعَادِ كَمَا فِي القُرْآنِ، فَإِذَا جَازَ أَنْ نَتَأَوَّلَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا الكِتَابَانِ، فَتَأْوِيلُ المَعَادِ الَّذِي انْفَرَدَ بِهِ أَحَدُهُمَا أَوْلَى، وَالثَّانِي مِمَّا يُعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أَنَّهُ بَاطِلٌ، فَالأَوَّلُ أَوْلَى بِالبُطْلَانِ.**

---

(١) تصديق ذلك ما جاء في كتاب الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة:٥٩]، وغير ذلك من الآيات.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآيَةَ».

الشرح

قوله: (وأَيْضًا: فَقَدْ عُلِمَ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ ذَمَّ أَهْلَ الكِتَابِ عَلَى مَا حَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْرَاةَ مَمْلُوءَةٌ مِنْ ذِكْرِ الصِّفاتِ، فَلَوْ كَانَ هَذَا مِمَّا حُرِّفَ وَبُدِّلَ لَكَانَ إِنْكَارُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوْلَى)، الله جَلَّ وَعَلَا أنكر على اليهود والنصارى تحريف التوراة والإنجيل؛ ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]، ولم يُنكر عليهم تحريف الأسماء والصفات؛ لأنهم لم يحرفوها، وإنما حرفوا غيرها، فالأسماء والصفات حتى عند اليهود موجودة، بدليل قول الحبر الذي جاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (فَكَيْفَ وَكَانُوا إِذَا ذَكَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ الصِّفَاتِ يَضْحَكُ تعجُّبًا مِنْهُمْ وَتَصْدِيقًا)، إذا ذكر اليهود بين يد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصفات، ضحك مسرورًا بموافقتهم لما في القرآن.

قوله: (وَلَمْ يَعِبْهُمْ قَطُّ بِمَا تَعِيبُ النُّفاةُ لأَهْلِ الإِثْبَاتِ، مِثْلُ لَفْظِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعب اليهود في إثباتهم الأسماء والصفات مثلما تعيب الجهمية والمعتزلة أهل السنة في إثبات الأسماء والصفات، ولم يقل لليهود: أنتم مجسمة تصفون الله بأن له يمينًا يقبض بها السماوات والأرض ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، له قبضة وله يمين، لم يعب عليهم هذا، ولم يقل: (أنتم مجسمة)، فدل على أنها حق، والإقرار من الحق، وإن كان من الكافر، فهو مقبول، وأنتم -يا معتزلة- تقولون: (إذا أثبتنا اليد لله، أنتم مجسمون)!!

قوله: (بَلْ عَابَهُمْ بِقَوْلِهِمْ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾)، هو أقرهم بأن الله له يد، لكن قالوا: (مغلولة)، عابهم على قولهم: (مغلولة)؛ كناية عن البخل -حاشا لله!

قوله: (وَقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾)، عابهم على قولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾، يعني: إن الله يطلب منا الصدقة، يقول لنا: تصدقوا، فدل على أن الله فقير ونحن أغنياء، هذا يريد به تكذيب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا فهو يعلم أن الله غني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويعلم أن الله أمر بالزكاة والصدقة، لكن يريد بذلك تكذيب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والسخرية منه؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾.

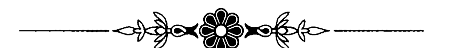
قوله: (وَقَوْلِهِمْ: اسْتَرَاحَ لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ)، يقولون: (إن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام: أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، رد الله عليهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، رد عليهم الله جَلَّ وَعَلَا في قولهم: (إن الله قد أصابه التعب)، ولم يرد عليهم في إثباتهم الأسماء والصفات، وإنما رد عليهم في إثبات النقائص لله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: (فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾، وَالتَّوْرَاةُ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ المُطَابِقَةِ لِلصِّفَاتِ المَذْكُورَةِ فِي القُرْآنِ وَالحَدِيثِ)؛ لأن التوراة من عند الله، والقرآن من عند الله، فهما متطابقان.

قوله: (وَلَيْسَ فِيهَا تَصْرِيحٌ بِالمَعَادِ كَمَا فِي القُرْآنِ)، فالتوراة مملوءة من الأسماء والصفات مثل القرآن، وأنتم أنكرتم الأسماء والصفات، في حين أن ما في القرآن من ذكر البعث أكثر مما في التوراة من ذكر البعث، وأنتم تنكرون على الفلاسفة، فأنتم أولى بالإنكار.

قوله: (**فَإِذَا جَازَ أَنْ نَتَأَوَّلَ الصِّفَاتِ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا الكِتَابَانِ، فَتَأْوِيلُ المَعَادِ الَّذِي انْفَرَدَ بِهِ أَحَدُهُمَا أَوْلَى، وَالثَّانِي مِمَّا يُعْلَمُ بِالاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ** ﷺ **أَنَّهُ بَاطِلٌ، فَالأَوَّلُ أَوْلَى بِالْبُطْلانِ**)، الثاني -وهو إنكار البعث-: باطل بلا شك، لكنه أخف من إنكار الأسماء والصفات، وإن كان باطلًا، الباطل يتفاوت، بعضه أشد من بعض، فإنكار الأسماء والصفات أعظم من إنكار البعث.

(**فَالأَوَّلُ أَوْلَى بِالْبُطْلانِ**)، الذي هو الأسماء والصفات.



وَأَمَّا الصِّنْفُ الثَّالِثُ -وَهُمْ أَهْلُ التَّجْهِيلِ-: فَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ وَأَتْبَاعِ السَّلَفِ. يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَانِيَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ، وَلا جِبْرِيلُ يَعْرِفُ مَعَانِيَ الآيَاتِ، وَلا السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ عَرَفُوا ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ: إِنَّ مَعْنَاهَا لا يَعْلَمُهُ إِلا اللهُ، مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ تَكَلَّمَ بِهَذَا ابْتِدَاءً، فَعَلَى قَوْلِهِمْ تَكَلَّمَ بِكَلامٍ لا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ.

وَهَؤُلاءِ يَظُنُّونَ أَنَّهُم اتَّبَعُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آلِ عِمْرَانَ:٧]، فَإِنَّهُ وَقْفَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وَهُوَ وَقْفٌ صَحِيحٌ[1]، لَكِنْ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ مَعْنَى الكَلامِ وَتَفْسِيرِهِ، وَبَيْنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي انْفَرَدَ اللهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ، وَظَنُّوا أَنَّ التَّأْوِيلَ فِي كَلامِ اللهِ هُوَ التَّأْوِيلُ الْمَذْكُورُ فِي كَلامِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَغَلِطُوا فِي ذَلِكَ.

الشَّرح

قوله: (وَأَمَّا الصِّنْفُ الثَّالِثُ -وَهُمْ أَهْلُ التَّجْهِيلِ-: فَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/ ١٨٣)، والقرطبي (٤/ ٢٠)، والدر المنثور (٢/ ١٥٢).
وقال العلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ في أضواء البيان (١/ ١٩٢): (ومما يؤيد أن الواو استئنافية لا عاطفة: دلالة الاستقراء في القرآن؛ أنه تعالى إذا نفى عن الخلق شيئًا وأثبته لنفسه، أنه لا يكون له في ذلك الإثبات شريك؛ كقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، وقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:١٨٧]، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، فالمطابق لذلك أن يكون قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، معناه أنه لا يعلمه إلا هو وحده؛ كما قاله الخطابي، وقال: لو كانت الواو في قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧] للنسق لم يكن لقوله: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧] فائدة، والقول بأن الوقف تام على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وأن قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ ابتداء كلام هو قول جمهور العلماء...) اهـ.



السُّنَّةِ وَأَتْبَاعِ السَّلَفِ)، تقدم أن المخالفين لمنهج السلف في باب الأسماء والصفات ثلاث طوائف:

* **الطائفة الأولى:** أهل التخييل.

* **الطائفة الثانية:** أهل التأويل.

* **الطائفة الثالثة:** أهل التجهيل.

وبيّن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يندرج تحت كل طائفة من هذه الطوائف.

فطائفة التجهيل: يعني تجهيل السلف وتجهيل العلماء، بل تجهيل الرسل، في أنهم لا يعرفون معنى الأسماء والصفات، وإنما يرددون ألفاظها، وأما معناها، فيفوضونه إلى الله، هؤلاء هم المفوضة، يسمون المفوضة، وهم مع الأسف ينتسبون إلى السنة، ينتسبون إلى اتباع السلف، ويظنون أن مذهب السلف هو التفويض، ينسبون إلى السلف أنهم مفوضة، وهذا قول باطل، لا يقل شناعة عن القولين السابقين؛ إذ معناه: أن الرسل يجهلون، وأن السلف يجهلون، وأن علماء هذه الأمة يجهلون معنى هذه النصوص، وإنما يقرؤون ألفاظها دون معرفة لمعناها، فكأنها من الأمور التي لم نتعبد بفهمها والعمل بها، وإنما نرددها فقط، هكذا يقولون، ولهذا يقولون: (الله أعلم بمراده)، فإذا جاء لفظ الاسم أو الصفة لله، قالوا: (الله أعلم بمراده)، وهذا خطأ فاحش؛ فإن معناه: أن الله أنزل علينا نصوصًا لا نعرفها، وهذا يخالف قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص:٢٩]، الله أمرنا أن نتدبر آيات القرآن، وأعظمها آيات الأسماء والصفات، أعظم من آيات الأحكام، أمرنا الله بتدبرها، ولو كان معناها لا يفهم، ما فائدة التدبر؟ نتدبر شيئا لا نفهمه؟ يكلّفنا الله بالمحال؟ وقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون:٦٨]، يعني: القرآن، هذا إنكار من الله على الذين لا يتدبرون القرآن، لماذا



يتدبرون القرآن وهو ما يفهم؟ بل قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، قال: ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾، ولم يستثن شيئًا من القرآن لا يتدبر، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -خصوصًا- كما يأتي من أقوالهم؛ أنهم ما يتجاوزون عشر آيات حتى يعرفوا معانيهن والعمل بهن، ما استثنوا شيئًا[1].

يقول مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: (عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أَقِفُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ أَسْأَلُهُ عَنْهَا)[2]، ما قال: أقفه عند بعض الآيات، بل قال: (عند كل آية)؛ إذًا فالقول باستثناء شيء من القرآن لا يتدبر قول ظاهر البطلان، ونسبته إلى السلف كذب وافتراء، فليس هو مذهب السلف، فيجب التنبه لهذا؛ لأن هذا المذهب خطير جدًّا.

قوله: (فَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ وَأَتْبَاعِ السَّلَفِ)، وهم ليسوا كذلك، انتسابهم إلى السنة وإلى السلف غير صحيح، إلا إن كان في بعض الأمور، وإلا الانتساب المطلق لا.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٦٦)، والطبري في تفسيره (١/ ٧٤) عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: «حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ».

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِف مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ». أخرجه الطبري في تفسيره (١/ ٧٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢/ ٣٩٥)، والإمام أحمد في فضل الصحابة بنحوه (٢/ ٩٥٨)، والدارمي في سننه (١١٢٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٥٤رقم ٣٠٢٨٧)، والطبراني في الكبير (١١٠٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٩، ٢٨٠)، المستدرك على الصحيحين (٢/ ٣٠٧)، والذهبي في السير (٤/ ٤٥٠).



قوله: (يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَانِيَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ)، هذا من أعظم الفرية على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتجهيل للرسول، (لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ مَعَانِيَ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ)، والله جَلَّ وَعَلَا قال له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤]، كيف يبين للناس، وهو ما يعرف معاني هذه الآيات التي هل أجل ما في القرآن.

قوله: (وَلا جِبْرِيلُ يَعْرِفُ مَعَانِيَ الآيَاتِ، وَلا السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ عَرَفُوا ذَلِكَ)، وكذلك جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، كذبوا على جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وإنما ينقل ألفاظًا أعجمية، لا يفهم لها معنى)، إذا كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يعرفان، فغيرهم من باب أولى!!

قوله: (وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ: إِنَّ مَعْنَاهَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ)، مثلما قالوا في الآيات كذلك الأحاديث الواردة عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصفات لا يفهم معناها! وقد كذبوا في هذا، بل معناها يعلمه العلماء.

قوله: (مَعَ أَنَّ الرَّسُولَ تَكَلَّمَ بِهَذَا ابْتِدَاءً)، الأحاديث تكلم بها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهل يتكلم بشيء لا يفهم معناه؟! ما أحد من سائر الناس يتكلم بشيء وهو لا يفهم معناه.

قوله: (فَعَلَى قَوْلِهِمْ تَكَلَّمَ بِكَلامٍ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ)، ما شاء الله! كيف يكون هذا؟ هذا ما يليق بغير الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكيف بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

قوله: (وَهَؤُلاءِ يَظُنُّونَ أَنَّهُم اتَّبَعُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾)، يستدلون بهذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ

﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]، والأم: الذي يرجع إليه الشيء، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾؛ متشابهات في المعنى، معانيها محتملة، فهذه المتشابهات ترد إلى المحكمات، تفسرها وتبينها، ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧]، ثم ذكر جَلَّ وَعَلَا أن الناس انقسموا نحو المحكمات والمتشابهات إلى قسمين:

* أهل الزيغ، وهم الذين يأخذون المتشابه من الآيات، ويتركون المحكم، ويقولون: (نحن نستدل بالقرآن)، وقد كذبوا؛ ما استدلوا بالقرآن، الذي يستدل بالقرآن يرد المتشابه إلى المحكم؛ لأن المحكم يفسر المتشابه، والقرآن يفسر بعضه بعضا، ويصدق بعضه بعضًا؛ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، فلو كان لا يفسر بعضه بعضا، لصار مختلفا، هذا ينزه عنه القرآن، هؤلاء أهل الزيغ، والزيغ معناه: الانحراف؛ ﴿فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، يعني: في قلوبهم انحراف عن الحق، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، سبب زيغهم: أنهم زاغوا هم أولا، فأزاغهم الله، جزاء لهم -نسأل الله العافية! ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾، الفتنة والشر والطعن في كتاب الله، والتشكيك في كتاب الله هذا أعظم الفتنة، ويضربون كلام الله بعضه ببعض، ويشككون الناس، ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾، المراد بالتأويل: التفسير، أو المراد بالتأويل: ما يؤول إليه الشيء والعاقبة، ما يؤول إليه الشيء في المستقبل، فالتأويل في القرآن يراد به التفسير، ويراد به ما يؤول إليه الشيء في النهاية، فإن كان المراد الأول الذي هو التفسير، فيكون الوقف على قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، يعني: والراسخون في العلم يعرفون تأويله، يعني: تفسيره، يعرفون تفسيره.

أما إذا أريد بالتأويل المعنى الثاني، وهو ما يؤول إليه الشيء في النهاية، فالوقف على لفظ الجلالة: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، فهذا ينبني على المراد بالتأويل: هل هو التفسير، أو المراد ما يؤول إليه الشيء؟ فإن كان الأول، فالعلماء يعرفونه، ويكون الوقف على ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾، وإن كان الثاني، فالوقف على لفظ الجلالة؛ ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وليس معناه: ما يعلم تفسيره إلا الله، ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾، يعني: ما يؤول إليه في المستقبل، ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾، مثل قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى الرؤيا في أول عمره، وفي النهاية نال الملك، واستدعى أهله ووالديه، في الأول رأى أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، في أول صباه رأى هذه الرؤيا، ولم يتبين تفسيرها إلا في آخر عمره، لما نال الملك، واستدعى أهله من فلسطين، ذهبوا إلى مصر، فلما دخلوا عليه، رفع أبويه على العرش، وسجدوا له كلهم أبواه وأخوته الأحد عشر، سجدوا له سجود تحية؛ لأن هذا كان جائزًا في شريعتهم، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ [يوسف:١٠٠] متى؟ في أول عمره، ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾، هذا تأويلها يعني: ما آلت إليه في النهاية، فهذا المعنى الثاني على المآل وما يؤول إليه الشيء.

كذلك ما أخبر الله عنه مما يكون في يوم القيامة، نحن نعرف معناه، لكن ما ندرك حقيقته، الجنة نعرف معناها، ونعرف معنى الأنهار، ونعرف معنى الحور العين، لكن ما ندرك حقيقتها، إلا إذا رأيناها، في الآخرة تختلف؛ «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»[1]؛ ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]، فلا يعرف حقيقة ما في الجنة إلا بعد انكشافها في الآخرة، وكذلك النار -والعياذ بالله-،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

النار نعرفها، ونعرف أنها عذاب، وأنها حارة، لكن حقيقة النار لا تعرف إلا عند المعاينة -والعياذ بالله-؛ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٧، ٢٨]، فإذا وقفوا على النار، رأوا الحقيقة التي كانوا يكذبون بها في الأول، يتمنون الرجوع، وهم يكذبون، لو رجعوا، لما آمنوا؛ لأن الله يعلم ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، نسأل الله العافية!

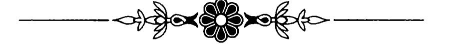
الحاصل: أن حقيقة ما في الجنة وما في النار وما يكون يوم القيامة لا يعرف ذلك إلا الله جَلَّ وَعَلَا، أما نحن، فنعرف معانيها، لكن لا نعرف كيفيتها، كذلك الأسماء والصفات نعرف معانيها، لكن لا نعلم كيفيتها، لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهناك فرق بين التأويلين، والوقف في الآية ينبني على الرأيين، فهم يستدلون بهذه الآية، وهم ما يعرفون معناها، ما يعرفون معنى التأويل، يحملونه على الأول، وهو التفسير، يقولون: (ما يعلمه إلا الله)، وهو غلط، المراد بالتأويل هنا: ما يؤول إليه الشيء. يظنون أنهم اتبعوا، وهم في الحقيقة لم يتبعوا الآية.

قوله: (**فَإِنَّهُ وَقْفَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، وَهُوَ وَقْفٌ صَحِيحٌ**)، المراد به: المآل والنهاية.

وقوله: (**وَقْفٌ صَحِيحٌ**) باعتبار أن المراد بالتأويل: ما يؤول إليه الشيء في المستقبل.

قوله: (**لَكِنْ لَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ مَعْنَى الكَلامِ وَتَفْسِيرِهِ، وَبَيْنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي انْفَرَدَ اللهُ تَعَالَى بِعِلْمِهِ**)، لم يفرقوا لجهلهم بين التأويل الذي هو التفسير، والتأويل الذي هو الحقيقة التي يؤول إليها الشيء.

قوله: (**وَظَنُّوا أَنَّ التَّأْوِيلَ فِي كَلامِ اللهِ هُوَ التَّأْوِيلُ المَذْكُورُ فِي كَلامِ المُتَأَخِّرِينَ، وَغَلِطُوا فِي ذَلِكَ**)، المتأخرون من علماء الكلام أحدثوا معنى ثالثا للتأويل، لم يكن معروفا من قبل، ولا هو في الكتاب ولا في السنة، وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر؛ مثلما صرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلى معنى آخر، قالوا: (المراد باليد القدرة، والمراد بالوجه الذات، المراد بالاستواء الاستيلاء، المراد بالنزول الإلهي نزول أمره)، هذا تأويل باطل؛ لأنه ليس معروفا في كتاب الله ولا في سنة رسوله، ولا معروف عن السلف، فهو محدث في كلام المتأخرين، وليس هو عند المتقدمين، الذين هم أهل العلم وأهل اللغة العربية.



فَإِنَّ التَّأْوِيلَ يُرَادُ بِهِ ثَلاثَةُ مَعَانٍ:

فَالتَّأْوِيلُ فِي اصْطِلاحِ كَثِيرٍ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ هُوَ: صَرْفُ اللَّفْظِ عَنِ الاحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى الاحْتِمَالِ المَرْجُوحِ لِدَلِيلٍ يَقْتَرِنُ بِذَلِكَ.

فَلا يَكُونُ مَعْنَى اللَّفْظِ المُوَافِقِ لِدَلالَةِ ظَاهِرِهِ تَأْوِيلًا عَلَى اصْطِلاحِ هَؤُلاءِ، وَظَنُّوا أَنَّ مُرَادَ اللهِ بِلَفْظِ التَّأْوِيلِ ذَلِكَ، وَأَنَّ لِلنُّصُوصِ تَأْوِيلًا مُخَالِفٌ لِمَدْلُولِهَا لا يَعْلَمُهُ إِلا اللهُ، أَوْ يَعْلَمُهُ المُتَأَوِّلُونَ.

ثُمَّ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلاءِ يَقُولُونَ: تُجْرَى عَلَى ظَاهِرِهَا، فَظَاهِرُهَا مُرَادٌ. مَعَ قَوْلِهِمْ: إِنَّ لَهَا تَأْوِيلًا بِهَذَا المَعْنَى لا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ. وَهَذَا تَنَاقُضٌ وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلاءِ المُنْتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ.

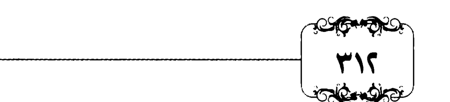
الشَّرح

قوله: (فَإِنَّ التَّأْوِيلَ يُرَادُ بِهِ ثَلَاثَةُ مَعَانٍ)، ثلاثة معانٍ: معنيان صحيحان، ومعنى محدث غير صحيح.

قوله: (فَالتَّأْوِيلُ فِي اصْطِلاحِ كَثِيرٍ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ هُوَ: صَرْفُ اللَّفْظِ عَنِ الاحْتِمَالِ الرَّاجِحِ إِلَى الاحْتِمَالِ المَرْجُوحِ لِدَلِيلٍ يَقْتَرِنُ بِذَلِكَ)، هذا النوع الثالث المحدث.

قوله: (فَلا يَكُونُ مَعْنَى اللَّفْظِ المُوَافِقِ لِدَلالَةِ ظَاهِرِهِ تَأْوِيلًا عَلَى اصْطِلاحِ هَؤُلاءِ، وَظَنُّوا أَنَّ مُرَادَ اللهِ بِلَفْظِ التَّأْوِيلِ ذَلِكَ)، ظنوا أن المراد بالتأويل الوارد في كلام الله هو هذا التأويل المحدث عند المتأخرين، وليس الأمر كذلك.

قوله: (وَأَنَّ لِلنُّصُوصِ تَأْوِيلًا مُخَالِفًا لِمَدْلُولِهَا لَا يَعْلَمُهُ إِلا اللهُ، أَوْ يَعْلَمُهُ المُتَأَوِّلُونَ)؛ لأن المعطلة والمفوضة كلهم فهموا من النصوص ما لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ،



فالمعطلة أولوها إلى غير ظاهرها، والمفوضة قالوا: (ما هي على ظاهرها، فنفوض معناها، لها معنى لا يعلمه إلا الله)، كل منهم عطلوا معناها؛ طائفة أولوها إلى معنى آخر، وطائفة لم يؤولوها بل فوضوها إلى الله.

قوله: (ثُمَّ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلاءِ يَقُولُونَ: تُجْرَى عَلَى ظَاهِرِهَا، فَظَاهِرُهَا مُرَادٌ. مَعَ قَوْلِهِمْ: إِنَّ لَهَا تَأْوِيلًا بِهَذَا المَعْنَى لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ)، تجرى على ظاهرها بمعنى: أنها تقرأ وتمر؛ كما جاءت، لكن لا تفسر، قالوا: (ما يفسرها إلا الله)، هؤلاء المفوضة.

قوله: (وَهَذَا تَنَاقُضٌ)، كيف تجرى على ظاهرها، ولا يعلم ظاهرها إلا الله؟ هذا تناقض.

قوله: (وَقَعَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنْ هَؤُلاءِ المُنْتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ مِنْ أَصْحَابِ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ)، ينتسبون إلى الأئمة الأربعة، وهم مفوضة، ويقولون: (هذا مذهب الأئمة الأربعة)، هذا غلط؛ الأئمة الأربعة ليسوا مفوضة.



وَالمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ التَّأْوِيلَ هُوَ تَفْسِيرُ الكَلامِ، سَوَاءٌ وَافَقَ ظَاهِرَهُ أَوْ لَمْ يُوَافِقْهُ، وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي اصْطِلاحِ جُمْهُورِ المُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِوَقْفِ مَنْ وَقَفَ مِنَ السَّلَفِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧]؛ كَمَا نُقِلَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ(١)، وَمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ(٢)، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ(٣)، وَابْنِ قُتَيْبَةَ(٤) وَغَيْرِهِمْ، وَكِلا القَوْلَيْنِ حَقٌّ بِاعْتِبَارٍ؛ كَمَا قَدْ بَسَطْنَاهُ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ(٥)، وَلِهَذَا نُقِلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا وَهَذَا، وَكِلاهُمَا حَقٌّ.

---

(١) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي، شيخ القراء وإمام المفسرين، روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه، وعرض عليه القرآن أكثر من ثلاثين مرة، ولد سنة إحدى وعشرين، وتوفي سنة أربع ومائة. انظر: تاريخ دمشق (٥٧/ ١٧)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٤٥٠)، ولسان الميزان (٧/ ٣٤٩)، وطبقات الحفاظ (ص٤٣).

(٢) هو محمد بن جعفر بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي المدني، قال عنه ابن حبان: (كان من فقهاء أهل المدينة وقرائهم)، ووثقه النسائي، مات سنة بضع عشر ومائة. انظر: التاريخ الكبير (١/ ٥٤)، والثقات (٧/ ٣٩٤)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٨١).

(٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي مولاهم المدني صاحب السيرة، كان بحرًا من بحور العلم، مولده سنة نيف وثمانين، وتوفي سنة خمسين ومائة أو بعدها بيسير. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣٢١)، وتاريخ بغداد (١/ ٢١٤)، والعبر (١/ ٢١٦)، وسير الأعلام (٧/ ٣٣)، والتحفة اللطيفة (٢/ ٤٤٧).

(٤) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب التصانيف في فنون العلم والآداب، صاحب كتاب المعارف، وأدب الكاتب، وغريب القرآن، ومشكل الحديث، وطبقات الشعراء، وإعراب القرآن، وكتاب الميسر والقداح، وغيرها، توفي سنة ست وسبعين ومائتين. انظر: تاريخ دمشق (١٠/ ١٧٠)، والعبر (٢/ ٦٢)، وسير أعلام النبلاء(١٣/ ٢٩٦)، والوافي بالوفيات (١٧/ ٣٢٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٤٢)، وشذرات الذهب (٢/ ١٦٩).

(٥) انظر: التدمرية (ص٩٠ وما بعدها)، ومجموع الفتاوى (٥/ ٢٣٤، ٣٤٧)، (١٣/ ٢٧٥).

الشَــرح

قوله: (وَالمَعْنَى الثَّانِي: أَنَّ التَّأْوِيلَ هُوَ تَفْسِيرُ الكَلامِ، سَوَاءٌ وَافَقَ ظَاهِرَهُ أَوْ لَمْ يُوَافِقْهُ، وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي اصْطِلاحِ جُمْهُورِ المُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ)، وهذا هو التأويل المعروف عند قدماء المفسرين كابن جرير وغيره، يقول: «القول في تأويل قوله تعالى»، يعني: في تفسيره، تجدون ابن جرير يعبر بهذه العبارة.

قوله: (وَهَذَا التَّأْوِيلُ يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ)، الذي هو تفسير المعنى، يعلمه الراسخون في العلم، فيكون الوقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾، معناها: الثابتون في العلم، الرسوخ هو الثبوت، الذين ثبتت أقدامهم في العلم لغزارة علمهم وثبوتهم على الحق، خلاف المتعالم، فهذا ليس راسخًا في العلم، هذا يتزعزع، هو مبتدئ في طلب العلم، أو يدعي أنه عالم، هذا ليس من الراسخين في العلم، هذا مزعزع؛ مثل: الذي يمشي في طريق الوحل ينزلق؛ لأنه ما عنده استعداد أو ثبات في المشي.

قوله: (وَهُوَ مُوَافِقٌ لِوَقْفِ مَنْ وَقَفَ مِنَ السَّلَفِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾)، هذا مأثور عن السلف أنهم يقفون على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾، بمعنى: التفسير.

قوله: (كَمَا نُقِلَ ذَلِكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ وَابْنِ قُتَيْبَةَ وَغَيْرِهِمْ)، أي: الوقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾.

قوله: (وَكِلا القَوْلَيْنِ حَقٌّ بِاعْتِبَارٍ)، القولان كلاهما حق، إن اعتبر المآل والعاقبة، فهو تأويل، وإن اعتبر التفسير، فهو تأويل، كلاهما حق.

قوله: (كَمَا قَدْ بَسَطْنَاهُ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ)، من كتب الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المطولة.

قوله: (وَلِهَذَا نُقِلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا وَهَذَا، وَكِلاهُمَا حَقٌّ)، نقل عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ترجمان القرآن وإمام المفسرين، نقل عنه هذا وهذا، يعني: المعنى الأول الذي هو التفسير، والمعنى الثاني الذي هو المآل والعاقبة.



وَالمَعْنَى الثَّالِثُ: أَنَّ التَّأْوِيلَ: هُوَ الحَقِيقَةُ الَّتِي يَؤُولُ الكَلامُ إِلَيْهَا، وَإِنْ وَافَقَتْ ظَاهِرَهُ، فَتَأْوِيلُ مَا أَخْبَرَ بِهِ فِي الجَنَّةِ مِنَ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللِّبَاسِ وَالنِّكَاحِ وَقِيَامِ السَّاعَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، هُوَ الحَقَائِقُ المَوْجُودَةُ أَنْفُسُهَا، لَا مَا يُتَصَوَّرُ مِنْ مَعَانِيهَا فِي الأَذْهَانِ، وَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِاللِّسَانِ.

وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي لُغَةِ القُرْآنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ **أَنَّهُ قَالَ:** ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ [يُوسُفُ:١٠٠]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأَعْرَافُ:٥٣]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، **وَهَذَا التَّأْوِيلُ هُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ.**

الشَّرح

قوله: (وَالمَعْنَى الثَّالِثُ: أَنَّ التَّأْوِيلَ: هُوَ الحَقِيقَةُ الَّتِي يَؤُولُ الكَلامُ إِلَيْهَا، وَإِنْ وَافَقَتْ ظَاهِرَهُ،...)، نحن نعرف الأكل والشرب في الدنيا، وأهل الجنة يأكلون ويشربون، ليس أكلهم وشربهم مثل أكلنا، نحن نعرف اللباس في الدنيا، أهل الجنة لهم لباس؛ ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [الحج:٢٣]، لكن ليست ملابسهم في الجنة مثل ملابسنا في الدنيا، تختلف، وهكذا.

قوله: (وَهَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ فِي لُغَةِ القُرْآنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ [يوسف:١٠٠])، يعني ما حصل الآن من سجود الأبوين والإخوة الأحد عشر هو تفسير رؤياه التي

رآها في صغره، لم يعرفها إلا لما وقعت، فكذلك ما في الآخرة لايعرف إلا إذا شوهد يوم القيامة، هذا التأويل بمعنى ما يؤول إليه الشيء وحقيقة الشيء المغيبة عنا.

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾) ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾، أي: ما ينتظر الكفار إلا تأويله، تأويل القرآن حين يقع ما أخبر الله عنه من يوم القيامة وما فيه من الجنة والنار، حينئذ يدركون أنهم أخطؤوا في الدنيا، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف:٥٣]، حينذاك يدركون صدق الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، لما رأوا حقيقة ما أخبرت به الرسل وعاينوه، كانوا في الدنيا يكذبونهم، فإذا شاهدوا القيامة، عرفوا صدق الرسل -عليهم الصلاة والسلام-؛ ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾، يعني: هذا ما أخبرتنا به الرسل، لكن فات الأوان.

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]) ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، يعني: عاقبة، أحسن عاقبة، فرد النزاع إلى كتاب الله وسنة رسوله أحسن عاقبة ومنتهى، فهذا يدل على أن التأويل المراد به العاقبة والمآل.

قوله: (وَهَذَا التَّأْوِيلُ هُوَ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ)؛ لأنه من علم الغيب، فحقائق الأسماء والصفات، وحقائق ما في الجنة، وحقائق ما في النار، وما يكون يوم القيامة هذا مغيب عنا، حقائق ما يكون في القبور من النعيم والعذاب لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



فَتَأْوِيلُ الصِّفَاتِ هُوَ الحَقِيقَةُ الَّتِي انْفَرَدَ اللهُ بِعِلْمِهَا، وَهُوَ الكَيْفُ المَجْهُولُ الَّذِي قَالَ فِيهِ السَّلَفُ؛ كَمَالِكٍ وَغَيْرِهِ: (الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ)[1]، فَالاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، يُعْلَمُ مَعْنَاهُ وَتَفْسِيرُهُ، وَيُتَرْجَمُ بِلُغَةٍ أُخْرَى، وَهُوَ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ ذَلِكَ الاسْتِوَاءِ، فَهُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلا اللهُ تَعَالَى.

الشَّرح

قوله: (فَتَأْوِيلُ الصِّفَاتِ هُوَ الحَقِيقَةُ الَّتِي انْفَرَدَ اللهُ بِعِلْمِهَا)، تأويل الصفات على هذا هو حقيقتها وكيفيتها، وهذا لا يعلمه إلا الله، أما معناها بالمعنى الأول، وهو التفسير، فنحن نعرفها، نعرف معناها.

قوله: (وَهُوَ الكَيْفُ المَجْهُولُ)، ولهذا السلف يقولون: (المعنى معلوم، والكيف مجهول)، قاعدة عظيمة، المعنى معنى الصفات معلوم لنا، وأما كيفيتها، فهي مجهولة؛ كما قاله الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره.

قوله: (الَّذِي قَالَ فِيهِ السَّلَفُ؛ كَمَالِكٍ وَغَيْرِهِ: الاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ)؛ كما قال مالك وربيعة وأم سلمة وغيرهم من السلف.

قوله: (فَالاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، يُعْلَمُ مَعْنَاهُ وَتَفْسِيرُهُ، وَيُتَرْجَمُ بِلُغَةٍ أُخْرَى)، الاستواء معلوم، يعلم معناه: الارتفاع عن الشيء، استوى على العرش، استوى على الدابة، استوى على الفلك، يعني: علا عليه، وارتفع عليه، استوى الزرع على

---

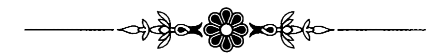
(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠، ١٥١)، وفي الاعتقاد (ص١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٠)، وفي العلو (ص١٣٩).

سوقه، يعني: ارتفع سنبله على سوقه، على أغصانه، فمعناه العلو والارتفاع، هذا معناه في اللغة[١]، لكن كيفية استواء الله على عرشه هذه مجهولة لنا، ونحن نقول: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، يعني: علا وارتفع على العرش. كيفية استوائه لا نعلمها، ما يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وينقل من اللغة العربية إلى لغة أخرى؛ لأنه معروف، لو كان غير معروف، ما أمكن ترجمته.

قوله: (وَهُوَ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)، وعلى هذا يكون الوقف على قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾.

قوله: (وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ ذَلِكَ الاسْتِوَاءِ، فَهُوَ التَّأْوِيلُ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلا اللهُ تَعَالَى)، كذلك النزول؛ «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا»[٢]، النزول معروف، أما كيفيته كيف ينزل ربنا، هذا لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



---

(١) انظر: (ص ١٨).

(٢) سبق تخريجه (ص١٨١).



وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا ذَكَرَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ[(١)] وَغَيْرُهُ فِي تَفْسِيرِهِمْ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (تَفْسِيرُ القُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: تَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ العَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ العُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، مَن ادَّعَى عِلْمَهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ)[(٢)].

الشَّرْح

هذا كلام مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: (تَفْسِيرُ القُرْآنِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: تَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ العَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا)؛ مفردات اللغة، يعرف من مفردات اللغة، لأن القرآن نزل باللغة العربية، مثل: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس:٣١]، ما معنى ﴿ وَفَٰكِهَةً ﴾؟ وما معنى ﴿ وَأَبًّا ﴾؟ راجع القاموس، تعرف، راجع كتب اللغة، تعرف معنى الأب، وأنه العلف الذي يعطى للدواب[(٣)]، فمفردات الألفاظ في القرآن يرجع فيها إلى اللغة؛ لأنه نزل باللغة العربية.

والنوع الثاني: لا يعذر أحد بجهالته؛ مثل: التوحيد والشرك، والصلاة والصيام، وتحريم الربا، وتحريم الزنا، وتحريم الميتة، وتحريم الخمر، هذا لا أحد

---

(١) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الإمام الحافظ أبو بكر الصنعاني الحميري، مولده سنة ست وعشرين ومائة، سمع الكثير، وروى عنه خلق من كبار المحدثين مثل أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما، ومات باليمن في النصف من شوال سنة إحدى عشرة ومائتين. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٥٤٨)، وتاريخ دمشق (٣٦/ ١٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣، ٥٦٤)، والوافي بالوفيات (١٨/ ٢٤٤)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢١٦)، وطبقات الحفاظ (ص١٥٨).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٣٤)، والطبراني في مسند الشاميين (٢/ ٣٠٢). وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ٧)، والدر المنثور للسيوطي (٢/ ١٥١، ١٥٢)، وفتح القدير للشوكاني (١/ ٣١٩).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٤٢٩)، والصحاح (١/ ٨٦)، ومقاييس اللغة (١/ ٦)، ولسان العرب (١/ ٢٠٤).

يجهله، واضح من القرآن، يعرفه العامي والمتعلم، كل يعرف هذه الأمور، لا يعذر أحد بجهالة التوحيد؛ أنه إفراد الله بالعبادة، ولا أحد لا يعلم معنى الشرك، وهو عبادة غير الله، هذا هو الشرك، كل يعرف أن الربا حرام، أن الزنا حرام، أن الميتة حرام، العامي والمتعلم، ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥]، هل العامي لا يعرف هذا؟ ما يعرف أن البيع حلال، وأن الربا حرام؟ يعرف، لا يعذر أحد بجهالته، الشرك هل أحد يجهل معنى الشرك أو يجهل معنى التوحيد؟ لا أحد يجهل هذا، العوام يعرفونه، لا يعذر أحد بجهالته.

الثالث: لا يعلمه إلا العلماء الراسخون في العلم، وهو مثل: المطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، هذا ما يعلمه المتعالمون والمبتدئون، إنما يعلمه الراسخون في العلم، هذه قواعد علمية، لازم من علم غزير من أجل معرفتها، وهذا هو رد المتشابه إلى المحكم، ورد المتشابه إلى المحكم هذا ما يقوم به إلا الراسخون في العلم، لا يعلمه إلا العلماء.

وأما الرابع: لا يعلمه إلا الله، وهو الكيفية؛ كيفية الأسماء والصفات، كيفية ما في الجنة، كيفية ما في الآخرة، هذا لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن ادعى علمه، فهو كاذب، فكلام ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هنا كلام عظيم.

(تَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ العَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا)، يعني: من مفردات اللغة، إذا أردت أن تعرف معنى كلمة من القرآن، ارجع إلى اللغة.

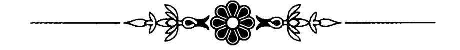
(وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ)، وهو الأحكام التي أوجبها الله علينا، أو الأشياء التي حرمها الله علينا، الحلال والحرام، مجملات الحلال والحرام.



(**وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ العُلَمَاءُ**)، وهو الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمطلق والمقيد، والعام والخاص، والمجمل والمبين، هذه أمور تحتاج إلى علم غزير، ليس كلٌ يستطيع أن يدخل فيها، كذلك تفاصيل الحلال والحرام، ما يستطيعها إلا الراسخون في العلم، أما المجمل، يستطيعون أن يعرفوه مجملًا لا مفصلًا، ولهذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ**»، يعرفه كل أحد، «**وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ**»، يعني: لا يدرى هل هي من الحلال ولا من الحرام، متشابهات، «**لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ**»[1]، أما العلماء، فهم يعرفونها، يعرفون المتشابهات؛ هذه حلال أم حرام، أما كثير من الناس، فلا يعرفونها، لا يعلمها كثير من الناس.

(**وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلا اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ**، مَن ادَّعَى عِلْمَهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ**)، هذه الكيفية ما يعلمها أحد.

(**مَن ادَّعَى عِلْمَهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ**)؛ علم الكيفية.



(١) أخرجه البخاري (٥٢، ٢٠٥١)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧]، وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(١).

وَكَذَلِكَ عِلْمُ السَّاعَةِ وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَهَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَإِنْ كُنَّا نَفْهَمُ مَعَانِيَ مَا خُوطِبْنَا بِهِ، وَنَفْهَمُ مِنَ الكَلامِ مَا قُصِدَ إِفْهَامُنَا إِيَّاهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [مُحَمَّدٌ:٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المُؤْمِنُونَ:٦٨]، فَأَمَرَ بِتَدَبُّرِ القُرْآنِ كُلِّهِ، لَا بِتَدَبُّرِ بَعْضِهِ.

الشرح

قوله: (وَهَذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٧])، هذا في الجنة، لا يعلم ما أعد الله لعباده المؤمنين في الجنة إلا الله، لكن الله أعطانا أشياء نعرفها مجملة من الجنة: الأكل، الشرب، الفاكهة، الحرير، الخمر، الخمر يختلف؛ خمر الدنيا خبيث، وخمر الآخرة طيب، العسل، العسل معروف عندنا، لكن عسل الجنة ما هو مثل عسل الدنيا، اللبن عندنا موجود، لكن لبن الجنة ليس مثل لبن الدنيا، أنهار تجري، هل الدنيا فيها أنهار عسل، فيها أنهار لبن، فيها أنهار خمر لذة للشاربين؟ ليس مثل خمر الدنيا الذي هو غصة وبلاء، ﴿لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصافات:٤٦]، قيده.

فهذه أمور لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن نعرف معنى العسل، ونعرف معنى اللبن، ومعنى الخمر في الدنيا، نعرف هذا، الخمر: ما خامر العقل وغطاه، هذا في الدنيا، لكن في الآخرة لا، خمر الآخرة طيب لذة للشاربين، ولا ينشأ عنه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤، ٤٧٧٩)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ [الصافات:٤٧]، ليس فيها غول؛ ما تغتال العقول وتسكر، نفى الله عن خمر الجنة كل آفة في خمر الدنيا.

وقال الله سبحانه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة:١٦، ١٧]، قال العلماء: (وجه المناسبة: أنهم لما أخفوا قيامهم بالليل، وأخلصوه لله عَزَّوَجَلَّ في الدنيا، فإن الله أخفى جزاءهم في الآخرة؛ لأن الجزاء من جنس العمل)[(١)]؛ ﴿ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

قوله: (**وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَت، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»**)، هذا مثل: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم ﴾؛ أنه لا يعلم ما أعد الله لعباده في الجنة إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن أخبرهم عنها في الدنيا بأسمائها ومعانيها، لكن حقيقتها لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الدنيا فيها نساء، تعرفون النساء، وأنتم أولاد النساء، والجنة فيها نساء، لكن نساء الجنة ما هي مثل نساء الدنيا، أنتم تأكلون وتشربون وتقضون حاجتكم -البول والغائط-، الجنة ليس فيها ذلك، تأكلون وتشربون، ولا فيها تبول ولا تغوط، فهذا مما يختلف فيه أمر الآخرة عن أمر الدنيا، النار في الدنيا -والعياذ بالله- تحرق من دخلها، ويموت بسرعة، أما من يدخلون النار في الآخرة -والعياذ بالله-، فلايموتون، تحترق أجسامهم، ويعذبون، لكن لا يموتون؛ ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [طه:٧٤]، ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ [فاطر:٣٦]، كيف يعيشون في النار؟ هل النار في الدنيا يعيش فيها أحد؟

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨/ ٦٢٣)، وتفسير الماوردي (٤/ ٣٦٤)، وتفسير البغوي (٣/ ٦٠٢)، وتفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٥).

لا يعيش فيها أحد، لكن نار الآخرة -والعياذ بالله- يعيشون فيها، ويخلدون فيها، أمور الآخرة تختلف عن أمور الدنيا تماما.

قوله: (وَكَذَلِكَ عِلْمُ السَّاعَةِ وَنَحْوُ ذَلِكَ)، كذلك متى تقوم الساعة، هو سبحانه أخبرنا أن الساعة ستقوم، والساعة هي نهاية الدنيا وبداية الآخرة، لكن متى؟ الله أعلم، ما يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب، لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله؛ لأنه ليس لنا مصلحة من معرفة قيامها، وإنما المصلحة في أننا نعرف أنه لابد من قيام الساعة، فنعمل، نعمل لها، أما متى تقوم، هذا ما لنا فيه مصلحة، أخفاها الله عنا.

قوله: (فَهَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ)، هذا من المغيبات التي لا يعلمها إلا الله، فهو من التأويل، أي: المآل التي لا يعلمها الخلق كلهم؛ لا الملائكة، ولا الرسل، ولا الأنبياء، ولا غيرهم.

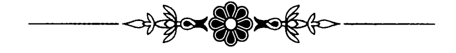
قوله: (وَإِنْ كُنَّا نَفْهَمُ مَعَانِيَ مَا خُوطِبْنَا بِهِ)، انظر! هناك فرق بين المعنى وبين الكيفية، أنت تعرف معنى الخمر، لكن ما تعرف كيفيتها في الجنة، تعرف معنى الأكل والشرب، لكن ما تعرف معنى كيفيته في الجنة، هكذا، فأنت تدرك معانيها، ولكن ما تعرف حقائقها وكيفيتها، تعرف معنى الصفات، ولكن لا تعرف كيفيتها؛ إن هذا لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (وَنَفْهَمُ مِنَ الكَلَامِ مَا قُصِدَ إِفْهَامُنَا إِيَّاهُ)، هذا رد على المفوضة، يقولون: ما نعرف معانيها.

قوله: (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [مُحَمَّد:٢٤])، لو كان القرآن فيه شيء ما نعرف معناه، ما أمرنا الله بتدبره كله؛

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾، ما قال: (بعض القرآن)، بل قال: ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾، فدل على أن كل القرآن ممكن فهم معناه لمن تدبره، وإلا كيف يكلفنا الله بشيء لا نعرف معناه؟

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾، فَأَمَرَ بِتَدَبُّرِ القُرْآنِ كُلِّهِ لَا بِتَدَبُّرِ بَعْضِهِ)، يعني: القرآن؛ لأنه قول الله وكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يتدبرونه يعني: يبحثون عن معناه وتفسيره، لا يقرأ القرآن للبركة، ولا للتلاوة، ولا للتجويد، ولا لتحسين الصوت، تقرؤه للتدبر والعمل، هذا هو المطلوب التدبر، وهو التفقه في معانيه والعمل بذلك، أما التلاوة، فهي وسيلة فقط، ولهذا يقول بعض السلف: (أنزل الله القرآن ليعمل به، فاتخذوا تلاوته عملًا)[1]؛ وقفوا عند التلاوة فقط، همهم تحسين الصوت والتجويد والتنغيم، وأما المعنى لو تسأله، ما يدري عنه شيئًا، ما يجوز للمسلم هذا، لابد أن يتعلم تفسير القرآن ومعنى القرآن؛ لأجل أن يعمل به، يتعلمه، ويفهمه، ويعمل به، لابد من الأمور الثلاثة: تعلم، افهم، اعمل، ولهذا يقول بعض السلف: (حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِؤونَنَا القُرْآنَ: عُثْمَانُ بْنُ عفَّانَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَغَيْرُهُمَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَتَجَاوَزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ العِلْمِ وَالْعَمَلِ. قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا القُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا)[2]؛ كما سيأتي.



(١) هذا قول الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ. انظر: تأويل مشكل القرآن (ص ١٤٨)، وتفسير السمعاني (٤/ ١١٩)، وتلبيس إبليس (ص ١٠١)، ومجموع الفتاوى (٢٥/ ١٧٠).

(٢) سيأتي تخريجه الصفحة القادمة.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ[(١)]: (حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِؤُونَنَا الْقُرْآنَ: عُثْمَانُ بْنُ عفَّانَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَغَيْرُهُمَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَتَجَاوَزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا)[(٢)].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أَقِفُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ أَسْأَلُهُ عَنْهَا)[(٣)].

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ[(٤)]: (مَا ابْتَدَعَ أَحَدٌ بِدْعَةً إِلَّا وَفِي كِتَابِ اللهِ بَيَانُهَا)[(٥)].

وَقَالَ مَسْرُوقٌ[(٦)]: (مَا قَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي

---

(١) هو الإمام العلم عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي، مولده في حياة النبي ﷺ، كان يقرئ القرآن بالكوفة من خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى إمرة الحجاج، قال الذهبي: «توفي سنة أربع وسبعين، وقيل: مات في إمرة بشر بن مروان على العراق، وقيل مات سنة ثلاث وسبعين، وقيل قبل سنة ثمانين...» اهـ. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ١٧٢)، وتاريخ بغداد (٩/ ٤٣٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٦٧)، والوافي بالوفيات (١٧/ ٦٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٨/ ٤٦٦)، وابن أبي شيبة في مسنده (٢/ ٤١٣)، وفي مصنفه (٦/ ١١٧)، والبيهقي بنحوه في السنن الكبرى (٣/ ١١٩)، وفي شعب الإيمان له (٢/ ٣٣٠).

(٣) سبق تخريجه (ص٣٠٥).

(٤) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي من شعب همدان، ولد لست سنين خلت من خلافة عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومات سنة أربع ومائة، وقيل سنة سبع ومائة، كان علامة أهل الكوفة إمامًا حافظًا ذا فنون. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٢٤٦)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٧)، وتاريخ دمشق (٢٥/ ٣٣٥)، وحلية الأولياء (٤/ ٣١٠)، وسير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٢)، والوافي بالوفيات (١٦/ ٣٣٦)، والبداية والنهاية (٩/ ٢٣٠).

(٥) أخرجه الخلال في السنة (٣/ ٥٤٧)، وقال: (إسناده صحيح)، ولفظه عنده: «وفي كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ما يكذبه» اهـ.، وذكره ابن القيم في الصواعق المرسلة (٣/ ٩٢٥).

(٦) هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ثم الوادعي، سُرق وهو صغير ثم وجد فسمي مسروقًا، وأسلم أبوه الأجدع فسُمي عبد الرحمن، قال الشعبي: (ما علمت أحدًا كان أطلب للعلم منه). انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/ ٧٦)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٢٣٢)، والعبر (١/ ٦٨)، وسير أعلام النبلاء(٤/ ٦٣)، والأنساب (٥/ ٦٥٠)، وطبقات الحفاظ (ص٢١).

القُرْآنِ، وَلَكِنَّ عِلْمَنَا قَصُرَ عَنْهُ)[(١)].

وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ قَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعِهِ.

وَالمَقْصُودُ هُنَا: التَّنْبِيهُ عَلَى أُصُولِ المَقَالاتِ الفَاسِدَةِ الَّتِي أَوْجَبَتِ الضَّلالَ فِي بَابِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَأَنَّ مَنْ جَعَلَ الرَّسُولَ غَيْرَ عَالِمٍ بِمَعَانِي القُرْآنِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَلا جِبْرِيلَ، جَعَلَهُ غَيْرَ عَالِمٍ بِالسَّمْعِيَّاتِ، لَمْ يَجْعَلِ القُرْآنَ هُدًى وَلا بَيَانًا لِلنَّاسِ.

ثُمَّ هَؤُلاءِ يُنْكِرُونَ العَقْلِيَّاتِ فِي هَذَا البَابِ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلا يَجْعَلُونَ عِنْدَ الرَّسُولِ ﷺ وَأُمَّتِهِ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لا عُلُومًا عَقْلِيَّةً وَلا سَمْعِيَّةً، وَهُمْ قَدْ شَارَكُوا المَلاحِدَةَ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَهُمْ مُخْطِئُونَ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ وَإِلَى السَّلَفِ مِنَ الجَهْلِ؛ كَمَا أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلاتِ الفَاسِدَةِ، وَسَائِرُ أَصْنَافِ المَلاحِدَةِ.

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِؤُونَنَا القُرْآنَ: عُثْمَانُ بْنُ عفَّانَ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَغَيْرُهُمَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَتَجَاوَزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ العِلْمِ وَالْعَمَلِ. قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا القُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا)، عشر آيات، لا يحفظ القرآن سردًا، ولا يعرف معناه، بل يأخذه شيئًا فشيئًا، يُروى عن عمر رضي الله عنه أنه أخذ سنين في

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ٥٦، ٥٧)، وذكره ابن القيم في الصواعق المرسلة (٣/ ٩٢٥).

حفظ سورة البقرة[١]، هل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنده عجز في الحفظ، يستطيع أن يحفظ القرآن في شهر مثلًا أو أكثر، لكن ليس فقط الحفظ، لابد من التدبر والفهم.

(فَتَعَلَّمْنَا القُرْآنَ)، يعني: حفظناه، وتعلمنا معانيه وتفسيره، وعملنا به، هذا هو المطلوب، هذا عمل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ يتعلمون القرآن، ويحفظونه، ويتعلّمون ويفهمون تفسيره، ويروونه عن بعضهم، ويعملون به؛ لأن الثمرة هي العمل، وأما الحفظ، وأما فهم المعنى، فهذه وسائل للعمل.

قوله: (وَقَالَ مُجَاهِدٌ: عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أَقِفُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ أَسْأَلُهُ عَنْهَا)، مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إمام المفسرين وأحد كبار التابعين كان عند كل آية، ما قال: (عند بعض الآيات)، ومنها الأسماء والصفات، (عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ) يدخل فيها آيات الأسماء والصفات، هذا رد على المفوضة.

(أَسْأَلُهُ عَنْهَا)، يعني: يسأله عن معناها، ولو كان في القرآن شيء لا يفهم معناه، ما سأل مجاهد ابن عباس عن القرآن كله، لقال: سألته عن بعضه.

قوله: (وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: مَا ابْتَدَعَ أَحَدٌ بِدْعَةً إِلَّا وَفِي كِتَابِ اللهِ بَيَانُهَا)، ما ابتدع أحد بدعة في الدين، إلا وفي كتاب الله ما يبطلها، ويرد عليها، فدل على أن القرآن يفهم ويعرف، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩]، ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، كيف يكون هدى، وهو ما يعرف معناه؟! ما يكون هدى إلا إذا كان يعرف معناه، ﴿ذَٰلِكَ

---

(١) انظر تفسير القرطبي (١/ ١٩٧).

ٱلْكِتَٰبُ﴾، يعني: القرآن ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، كله هدى، أما لو كان فيه شيء ما يعرف، ما صار هدى.

قوله: (**وَقَالَ مَسْرُوقٌ: مَا قَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ** ﷺ **عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّ عِلْمَنَا قَصُرَ عَنْهُ**)، أصحاب محمد ﷺ رضي الله عنهم علمهم يقولونه من القرآن، أما المتأخرون، فقصر فهمهم للقرآن، أما الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم -كما ذكر- ما يتجاوزن عشر آيات حتى يتعلموا معانيهن والعمل بهن.

قوله: (**وَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ قَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعِهِ**)، وهذا الباب -وهو أن القرآن كله يعرف معناه لمن تدبره- باب واسع وما نقل عن السلف فيه كثير، والغرض الآن هو الرد على المفوضة، الرد بهذه المنقولات على المفوضة الذين يقولون: (لايعلم معناه أو تأويله إلا الله).

قوله: (**وَالمَقْصُودُ هُنَا التَّنْبِيهُ عَلَى أُصُولِ المَقَالاتِ الفَاسِدَةِ**)؛ مقالات أهل التأويل وأهل التجهيل، هذه مقالات فاسدة باطلة، هذا هو غرض الشيخ رحمه الله.

أما التفصيل، فيحتاج إلى وقت، يحتاج إلى كتب كثيرة، لكن يكفي الإجمال في هذا.

قوله: (**الَّتِي أَوْجَبَتِ الضَّلالَ فِي بَابِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ** ﷺ)، المقالات هذه هي التي أوجبت الضلال، مقالات هؤلاء وقواعدهم التي قعدوها وأمروا بالرجوع إليها هي التي أفسدت العقول، وأفسدت الإيمان، وعطلت العلم؛ لأن العلم في القرآن والسنة، ولهذا يقول ابن القيم[1]:

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٣١٥).

فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الْهُدَى   فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

قوله: (وَأَنَّ مَنْ جَعَلَ الرَّسُولَ غَيْرَ عَالِمٍ بِمَعَانِي القُرْآنِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْهِ وَلا جِبْرِيلَ، جَعَلَهُ غَيْرَ عَالِمٍ بِالسَّمْعِيَّاتِ)، هؤلاء المفوضة الذين سبق الكلام عنهم آنفًا الذين يقولون: (إن الرسول ما يعلمها)، والمراد بالسمعيات: ما يقابل العقليات، وهي الأدلة القرآنية أدلة الوحي، والسمع هو الوحي.

قوله: (لَمْ يَجْعَلِ القُرْآنَ هُدًى وَلا بَيَانًا لِلنَّاسِ)، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في أول السورة، ويقول في وسط السورة: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ عمومًا، ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: هداية توفيق وقبول، ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾: دلالة إرشاد وبيان، فالقرآن فيه الهدايتان:

* **هداية الدلالة والإرشاد:** وهذا لجميع الناس المؤمن والكافر.

* **وهداية توفيق وقبول:** وهذا إنما يكون للمؤمنين خاصة؛ ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

قوله: (ثُمَّ هَؤُلاءِ يُنْكِرُونَ العَقْلِيَّاتِ فِي هَذَا البَابِ بِالْكُلِّيَّةِ)، حتى العقليات التي يزعمون أن فيها الأدلة ينكرونها -أيضا-، القرآن جاء بالعقليات، إذا تدبرت القرآن، وجدته يستدل بالعقليات؛ ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]، هذا دليل عقلي، أن تنظر في هذه المخلوقات، فتستدل بها على خالقها، وأنه هو المستحق للعبادة، فالقرآن فيه أدلة عقلية، القرآن ما ألغى العقل؛ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء:٨٢]، التدبر هو التعقل، ما يفهم القرآن بدون عقل.

(ثُمَّ هَؤُلاءِ يُنْكِرُونَ العَقْلِيَّاتِ فِي هَذَا البَابِ بِالْكُلِّيَّةِ)؛ في هذا الباب، وهو باب الأسماء والصفات.

قوله: (**فَلا يَجْعَلُونَ عِنْدَ الرَّسُولِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَأُمَّتِهِ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ **لَا عُلُومًا عَقْلِيَّةً وَلا سَمْعِيَّةً**)، يقولون: (ما يعلمها إلا الله؛ لا العقل، ولا السمع يبين معناها)، يعني: جحدوا العقل، قالوا: (حتى العقل ما يدل على معنى آيات الصفات)، مع أن العقل يدل على الصفات، فالخلق يدل على العلم، يدل على القدرة؛ لأن الذي لا يقدر ما يستطيع، الذي لا يعلم ما يستطيع أن يخلق هذه المخلوقات، هذا دليل عقلي، هم أغلقوا هذا الباب، قالوا: (الأسماء والصفات ما يدل عليها شيء؛ لا عقل ولا سمع، مفوضة إلى الله)!!

قوله: (**وَهُمْ قَدْ شَارَكُوا المَلاحِدَةَ، مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ**)، يعني: المفوضة شاركوا الملاحدة الباطنية الذين يقولون: (إن القرآن ليس على ظاهره، له ظاهر وله باطن)، هؤلاء يقولون: (ظاهره إثبات الصفات، والأمر ليس كذلك، ليس على ظاهره).

قوله: (**وَهُمْ مُخْطِئُونَ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَى الرَّسُولِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَإِلَى السَّلَفِ مِنَ الجَهْلِ**)، يسمونه تجهيلًا للرسول وتجهيلًا للسلف؛ لأنهم لا يعرفون معانيها، والذي لايعرف معناه جاهل.

قوله: (**كَمَا أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلاتِ الفَاسِدَةِ، وَسَائِرُ أَصْنَافِ المَلاحِدَةِ**)، شاركوا الملاحدة في هذا.



فَصْــلٌ

وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْ أَلْفَاظِ السَّلَفِ بِأَعْيَانِهَا، وَأَلْفَاظِ مَنْ نَقَلَ مَذْهَبَهُمْ بِحَسَبِ مَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا الْمَوْضِعُ مَا يُعْلَمُ بِهِ مَذْهَبُهُمْ.

رَوَى أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ(١) فِي «الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ(٢) قَالَ: (كُنَّا -وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ- نَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ)(٣).

الشَّرح

انتهى رَحِمَهُ اللَّهُ من التقعيد، وسينتقل إلى ذكر نماذج من أقوال السلف في إثبات الأسماء والصفات.

قوله: (**وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْ أَلْفَاظِ السَّلَفِ بِأَعْيَانِهَا، وَأَلْفَاظِ مَنْ نَقَلَ مَذْهَبَهُمْ بِحَسَبِ مَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا الْمَوْضِعُ مَا يُعْلَمُ بِهِ مَذْهَبُهُمْ**)، لما ذكر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في المقدمة القواعد التي يجب اتباعها في باب الأسماء والصفات، وذكر ضلال من خالف هذه القواعد، وذكر أن إثبات الأسماء والصفات هو ما عليه سلف هذه

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢١٨).

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو الأوزاعي، إمام أهل الشام في الحديث والفقه، ولد في حياة الصحابة سنة ثمان وثمانين، وكان رأسًا في العلم والعمل جم المناقب، ومع علمه كان بارعًا في الكتابة والترسل، كان يسكن دمشق خارج باب الفراديس بمحلة الأوزاع، ثم تحول إلى بيروت فسكنها مرابطًا إلى أن مات بها سنة سبع وخمسين ومائة. انظر: تاريخ دمشق (٣٥/ ١٤٧)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٢٧)، والوافي بالوفيات (١٨/ ١٢٣)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، والبداية والنهاية (١٠/ ١١٥)، وشذرات الذهب (١/ ٢٤١).

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥٠)، والذهبي في السير (٧/ ١٢٠، ١٢١)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٧٩، ١٨٠) وصححه، وذكره ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦)، وقال: (أخرجه البيهقي بإسناد جيد).

الأمة، وما عليه أهل السنة والجماعة، فإثبات الأسماء والصفات دل عليه كتاب الله، ودلت عليه سنة رسول الله، ودل عليه إجماع السلف الصالح ومن سار على نهجهم من أهل السنة والجماعة على ذلك، وسيذكر في بقية الرسالة النصوص التي تدل على هذا، ونقل جملة من كلام أهل العلم والأئمة تدل على هذا الذي ذكره، وأن كلامهم يتوافق على وتيرة واحدة؛ لأنهم يثبتون ما جاء في الكتاب والسنة، فيصفون الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتكلفون في ذلك كما تكلف المتنطعون، فلا يتكلفون محاولة معرفة كيفية هذه الأسماء والصفات، وإنما يثبتونها كما جاءت بلفظها ومعناها، وأما كيفيتها، فلا يعلمها إلا الله، هذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، وكذلك لا يثبتون لله شيئًا لم يثبته لنفسه ولم يثبته له رسوله، لا يتكلفون علم الكيفية، ولا يتكلفون أن يثبتوا شيئًا لم يثبته الله ولا رسوله، هذا هو المنهج السليم الواضح، وكانوا ينكرون على من يسأل عن الكيفية؛ كما يأتي في كلام ربيعة بن عبدالرحمن، وكلام الإمام مالك؛ لأن هذا لا نعلمه، وينكرون على من يثبت شيئًا لم يثبته الله ولا رسوله في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن بعض المتكلفين وبعض المبتدئين في طلب العلم يريدون أن يثبتوا أشياء ليس لها أصل في كتاب الله ولا في السنة، يريدون أن يثبتوا لله أسماء وصفات لم ترد، ويتكلفون في هذا، وهذا من قصور علمهم، وإلا فالواجب أن يتوقفوا، ما لم يرد في الكتاب والسنة يجب السكوت عنه، ما سكت الله عنه وسكت عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسكت عنه، ولانحدث عبارات من عندنا، أو اصطلاحات من عندنا، أو نحاول كلما قرأنا نصًّا أن نأخذ منه شيئًا لم يأخذه السلف، بعض طلبة العلم المبتدئين كلما قرأ آية أو حديثًا، يريد أن يأخذ منها شيئًا ينسبه لله،

لم يقل به السلف الصالح، هذا خطر عظيم، ما يجوز هذا الأمر، ولا يجوز لنا أن نعبر بعبارات لم يقولوها، بل نتبع عباراتهم؛ لأن هذا الباب خطير جدا، من خرج عن القاعدة، ضل ضلالًا مبينًا، فلا يجوز التكلف في هذه الأمور؛ لا طلب الكيفية، ولا إحداث شيء أو عبارة ليست في القرآن ولا في السنة، ولم يقل بها من هم أسبق منا وأعلم منا في هذا الباب، فعلينا أن نعبر بعباراتهم، ولا نتعداها؛ لأنهم أفقه منا وأعلم منا، وأقرب منا إلى عصور العلم والفقه، فنتأدب في هذا الباب؛ لأن هناك من جاء بعبارات جديدة، فأخطأ في هذا، وشوّش على الناس في هذا.

قوله: (وَنَحْنُ نَذْكُرُ مِنْ أَلْفَاظِ السَّلَفِ بِأَعْيَانِهَا)، انظر! نذكرها بأعيانها، حتى المعنى ما نأتي بها بالمعنى، نأتي بها بالحرف؛ لأن هذا الباب مزلق خطير، نحن نأتي بعبارات السلف بحروفها وألفاظها، ما نغير منها شيئًا، أو نحدث عبارات من عندنا؛ بناء على فهمنا نحن.

قوله: (وَأَلْفَاظِ مَنْ نَقَلَ مَذْهَبَهُمْ)، يعني: نعتمد على النقل؛ لأنك لما تنسب إلى أحد شيئًا، فلابد أن تثبت هذه النسبة بالسند المتصل الصحيح، ما يجوز لأحد أن ينسب لأحد شيئًا -لاسيما في هذا الباب-، إلا بسند ثابت صحيح ومرجع معتمد؛ حتى تكون النسبة صحيحة ثابتة، فهذا مما يوجب على طلبة العلم التحفظ في هذا الباب غاية التحفظ.

قوله: (بِحَسَبِ مَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا المَوْضِعُ)، بحسب ما تحتمله الفتوى، وإلا النقولات كثيرة، فالشيخ عنده علم غزير في هذا الباب، لكنه ما يكتب إلا قدر الحاجة فقط، ولو أفاض في الكتابة، لاستغرق مجلدات.

قوله: (مَا يُعْلَمُ بِهِ مَذْهَبُهُمْ)، المطلوب معرفة مذهبهم، وهذا يحصل ولو بعبارات قليلة.

قوله: (رَوَى أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ قَالَ: كُنَّا - وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ - نَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَنُؤْمِنُ بِمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِهِ)، أبو بكر البيهقي إمام جليل من أئمة الحديث، وله مصنفات عظيمة في الإسلام؛ «سنن البيهقي»، ومثل: «الأسماء والصفات» مطبوعة.

والإمام الأوزاعي إمام أهل الشام من الأئمة المشهورين في الدنيا، وهو في عصر التابعين، يعني: يكون من أتباع التابعين، من القرن الثالث، فنقل عن التابعين، والتابعي هو من لقي الصحابي، وأخذ عنه العلم.

قوله: (كُنَّا -وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ-)، يعني: كثيرون معاصر لهم، (نَقُولُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ فَوْقَ عَرْشِهِ)؛ كما أن الله أثبت ذلك لنفسه؛ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ في سبعة مواضع من كتابه، كلها بهذا اللفظ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، لفظ واحد ما تغير، فهم أخذوا من هذا إثبات أن الله فوق العرش؛ لأن الاستواء على الشيء معناه: الفوقية عليه، والعلو عليه، والارتفاع عليه، استوى على العرش: ارتفع، استوى على العرش: علا على العرش، استوى على العرش: أنه فوق العرش سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكذلك سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحتج بها؛ لأنها وحي من الله عَزَّ وَجَلَّ، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣، ٤]، فالسنة وحي من الله، وهي المصدر الثاني بعد القرآن، فما ثبت فيها من أسماء الله وصفاته، فهو مثل ما ثبت في القرآن، ونحن نأخذ به.

فَقَدْ حَكَى الأَوْزَاعِيُّ -وَهُوَ أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ فِي عَصْرِ تَابِعِي التَّابِعِينَ الَّذِينَ هُمْ: مَالِكٌ إِمَامُ أَهْلِ الحِجَازِ، وَالأَوْزَاعِيُّ إِمَامُ أَهْلِ الشَّامِ، وَاللَّيْثُ[1] إِمَامُ أَهْلِ مِصْرَ، وَالثَّوْرِيُّ[2] إِمَامُ أَهْلِ العِرَاقِ- حَكَى شُهْرَةَ القَوْلِ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ بِالإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ، وَبِصِفَاتِهِ السَّمْعِيَّةِ. وَإِنَّمَا قَالَ الأَوْزَاعِيُّ هَذَا بَعْدَ ظُهُورِ أَمْرِ جَهْمٍ المُنْكِرِ لِكَوْنِ اللهِ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَالنَّافِي لِصِفَاتِهِ؛ لِيَعْرِفَ النَّاسُ أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ كَانَ خِلَافَ ذَلِكَ.

الشَّرح

مالك إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام، والليث بن سعد إمام أهل مصر، وسفيان الثوري إمام أهل العراق، هؤلاء الأئمة الأربعة في عصر التابعين.

قوله: (حَكَى شُهْرَةَ القَوْلِ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ بِالإِيمَانِ بِأَنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ، وَبِصِفَاتِهِ السَّمْعِيَّةِ)، صفات الله السمعية يعني: التي وردت في القرآن والسنة، يسمونها: السمع، في مقابل العقل، الثبوت بأحد أمرين: إما بالسمع، وهو الوحي، وإما بالعقل.

قوله: (وَإِنَّمَا قَالَ الأَوْزَاعِيُّ هَذَا بَعْدَ ظُهُورِ أَمْرِ جَهْمٍ المُنْكِرِ لِكَوْنِ اللهِ فَوْقَ عَرْشِهِ)، الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (كُنَّا -وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ-)، هذا يدل على

---

(١) هو أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، إمام أهل مصر في الفقه والحديث، ولد بقرقشند وهي قرية من أسفل أرض مصر سنة أربع وتسعين، وتوفي سنة خمس وسبعين ومائة. انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣)، وتاريخ دمشق (٥٠/ ٣٤١)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٢٧)، والوافي بالوفيات (٢٤/ ٣١٢)، والبداية والنهاية (١٠/ ١٦٦)، وطبقات الحفاظ (ص١٠١).

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري، من أهل الكوفة، ولد سنة سبع وتسعين في خلافة سليمان بن عبد الملك، كان من كبار أئمة المسلمين لا يختلف في إمامته وأمانته وحفظه وعلمه وزهده، وتوفي بالبصرة وهو مستخف في شعبان سنة إحدى وستين ومائة في خلافة المهدي. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣٧١)، وحلية الأولياء (٦/ ٣٥٦)، وتاريخ بغداد (٩/ ١٢٥)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٨٦)، والوافي بالوفيات (١٥/ ١٧٤)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩)، وطبقات الحفاظ (ص٩٥).

أن هذا قول التابعين، ولم ينكره أحد منهم، وهو أن الله فوق العرش، وإنما قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه المقالة لما ظهرت مقالة الجهم بن صفوان، يعني: لما ظهر قول الجعد بن درهم، الذي تبعه الجهم، وإلا الجهم متأخر، لكن الجعد بن درهم متقدم عليه، ولكن نسبت المقالة إلى الجهم؛ لأنه هو الذي أظهرها.

قوله: (وَالنَّافِي لِصِفَاتِهِ)، الجهمية مذهبهم نفي الأسماء والصفات عن الله جَلَّ وَعَلَا، فهم المعطلة، هم أئمة المعطلة الذين ينفون عن الله أسماءه وصفاته -تعالى الله عما يقولون!-، ولا يزالون إلى الآن على هذا المذهب الخبيث، واعتنق مذهبهم المعتزلة، وأخذوا عنهم، واعتنقه الإباضية[1]، وأخذوا بهذا المذهب، اعتنقه الشيعة، الشيعة يقولون بهذا القول، الزيدية[2] والجعفرية كلهم يقولون بهذا القول، وهو قول الجهمية؛ نفي الأسماء والصفات.

قوله: (لِيَعْرِفَ النَّاسُ أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ كَانَ خِلافَ ذَلِكَ)؛ أن مذهب السلف يخالف مذهب الجهمية، فمعنى هذا أننا لا نلتفت لمذهب الجهمية.

---

(١) **الإباضية**: فرقة من فرق الخوارج ينسبون إلى عبد الله بن أباض، وهو من بنى مرة بن عبيد، من بنى تيم، رهط الاحنف بن قيس، وتفترق الاباضية فيما بينهم أربع فرق، وهى: الحفصية، والحارثية، واليزيدية، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها. ويجمعهم القول بأن مخالفيهم من هذه الأمة ليسوا مؤمنين ولا مشركين، ولكنهم كفار، وأجازوا شهادتهم، وحرموا دماءهم في السر، واستحلوها في العلانية، وصححوا مناكحتهم والتوارث منهم، وزعموا أنهم في ذلك محاربون لله ولرسوله لايدينون الحق، وقالوا باستحلال بعض أموالهم دون بعض، والذى استحلوه الخيل والسلاح، فأما الذهب والفضة، فإنهم يردونهما على أصحابها عند الغنيمة.
انظر: المعارف (ص٦٢٢)، ومقالات الإسلاميين (ص١٠١، وما بعدها)، والعقد الفريد (١/ ١٨٦- ١٨٧)، والفرق بين الفرق (ص ٨٢)، والملل والنحل (١/ ١٣٤)، والتعريفات (ص٨).

(٢) **الزيدية**: فرقة من الشيعة، وهم المنسوبون إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهم فرق: الجارودية، والسليمانية، والصالحية، والبترية، وهذه يجمعها القول بإمامة زيد بن علي في أيَّام خروجه في زمن هشام بن عبد الملك.
انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٦٦- ٧٥)، والفرق بين الفرق (ص ٢٢- ٢٣)، والملل والنحل (١/ ١٥٤- ١٦٢)، وكشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١١٣).

وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ الخَلَّالُ[(١)] فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ» عَنِ الأَوْزَاعِيِّ، قَالَ: (سُئِلَ مَكْحُولٌ[(٢)]، وَالزُّهْرِيُّ[(٣)] عَنْ تَفْسِيرِ الأَحَادِيثِ، فَقَالا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ)[(٤)].

وَرَوَى -أَيْضًا- عَنِ الوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ[(٥)] قَالَ: (سَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، وَالأَوْزَاعِيَّ عَنِ الأَخْبَارِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الصِّفَاتِ، فَقَالُوا: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ».

وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالُوا: (أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلا كَيْفٍ)[(٦)].

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢١٩).

(٢) هو أبو عبد الله مكحول الأزدي البصري، وثقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: (لا بأس به). انظر: التاريخ الكبير (٨/ ٢١)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ١٦٠)، وتقريب التهذيب (ص٥٤٥)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٢٥٨).

(٣) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة أبو بكر القرشي الزهري، أحد الأعلام من أئمة الإسلام، تابعي جليل، سمع غير واحد من التابعين وغيرهم، ولد سنة خمسين، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (١/ ١٥٧)، وتاريخ دمشق (٣٣/ ١٩٩)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٧٧)، والوافي بالوفيات (٥/ ١٧)، والعبر (١/ ١٥٨)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦)، والبداية والنهاية (٩/ ٣٤٠)، وطبقات الحفاظ (ص٤٩).

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٩٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٥/ ٣٦٠)، وابن قدامة في ذم التأويل (ص١٨)، وذكره الذهبي في السير (٥/ ١٦٢).

(٥) هو محدث الشام أبو العباس الوليد بن مسلم، توفي بذي المروة راجعًا من الحج في المحرم سنة خمس وتسعين ومائة وله ثلاث وسبعون سنة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٤٧٠) والعبر (١/ ٣١٩)، وشذرات الذهب (١/ ٣٤٤).

(٦) أخرجه الخلال في السنة (١/ ٢٥٩)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٤١)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢)، والأسماء والصفات (٢/ ١٩٨)، والاعتقاد (ص١١٨)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٩)، وابن قدامة في ذم التأويل (ص٢٠)، والذهبي في العلو (ص١٣٩، ١٤٠).

الشَّرح

قوله: (وَرَوَى أَبُو بَكْرٍ الخَلَّالُ فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ» عَنِ الأَوْزَاعِـيِّ، قَالَ: (سُئِلَ مَكْحُولٌ وَالزُّهْرِيُّ عَنْ تَفْسِيرِ الأَحَادِيثِ، فَقَالا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ)، أبو بكر الخلال هذا من تلاميذ الإمام أحمد، وهو الإمام المشهور الذي جمع مسائل الإمام أحمد في مجموع كبير اسمه «مسائل الخلال»، جمع ما أفتى به الإمام أحمد، وجمع رسائله وما صدر عن الإمام أحمد، ولكن مع الأسف هذا المجموع ضاع، ولا يوجد منه إلا قطع يسيرة، ولكن مضامينه -ولله الحمد- موجودة في مذهب الإمام أحمد وفي كتب الحنابلة.

والخلال له مؤلفات؛ منها «السنة»، السنة يعني: التوحيد؛ لأنهم كانوا يسمون في ذلك الوقت التوحيد بكتب السنة، يسمونه كتب الإيمان، ويسمونه كتب التوحيد، المعنى واحد.

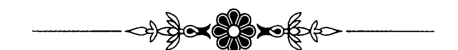
ومكحول والزهري من أئمة التابعين.

(أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ)، أي: من غير تحريف ومن غير تكييف.

قوله: (وَرَوَى أَيْضًا عَنِ الوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: (سَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، وَالأَوْزَاعِيَّ عَنِ الأَخْبَارِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الصِّفَاتِ؟ فَقَالُوا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ)، هؤلاء الأئمة الأربعة في عهد التابعين، سألهم كلهم فقالوا: (أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ) بمعناها ومدلولها وألفاظها، من غير تحريف ولا تفسير باطل ولاتأويل، ومن غير تكييف وتمثيل، بل تمر كما جاءت عن الله ورسوله، ما نستشكل منها شيئا، أو نتوقف منها عند شيء.

(كَمَا جَاءَتْ)، يعني: لا تغير من لفظها شيئًا، أو ترويها بالمعنى أبدًا، اضبطها بلفظها؛ لأن الباب باب خطير، أدنى زلة منه تفضي إلى الضلال، فهذا يدل على العناية بألفاظ السلف وتعبيرات السلف، فكيف بالنصوص في كتاب الله وسنة رسوله هي أولى أنها لا يُغيَّر من ألفاظها شيءٌ.

(بِلا كَيْـفٍ)، يعني: بلا سؤال عن كيفية الأسماء والصفات؛ لأنها لا يعلمها إلا الله جَلَّ وَعَلَا، وقد علمتم غير مرة أن المعنى يعلمه العلماء، وأما الكيفية، فلايعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



فَقَوْلُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ) رَدٌّ عَلَى المُعَطِّلَةِ، وَقَوْلُهُمْ: (بِلا كَيْفٍ) رَدٌّ عَلَى المُمَثِّلَةِ، وَالزُّهْرِيُّ وَمَكْحُولٌ هُمَا أَعْلَمُ التَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِمْ، وَالأَرْبَعَةُ البَاقُونَ هُمْ أَئِمَّةُ الدُّنْيَا فِي عَصْرِ تَابِعِي التَّابِعِينَ.

وَمِنْ طَبَقَتِهِمْ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ[1]، وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ[2]، وَأَمْثَالُهُمَا.

الشَّرح

قوله: (فَقَوْلُهُمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: (أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ) رَدٌّ عَلَى المُعَطِّلَةِ)، هذا شرح من الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لهذه العبارة.

(رَدٌّ عَلَى المُعَطِّلَةِ) الذين يغيرون في ألفاظها ومعانيها، ورد على المشبهة أيضا.

(أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ) هذا رد على المعطلة.

(وَقَوْلُهُمْ: بِلا كَيْفٍ) رَدٌّ عَلَى المُمَثِّلَةِ.

قوله: (وَالزُّهْرِيُّ وَمَكْحُولٌ هُمَا أَعْلَمُ التَّابِعِينَ فِي زَمَانِهِمْ)، من أئمة التابعين: محمد بن شهاب الزهري الإمام الجليل في علم الحديث.

---

(١) هو إمام أهل البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي مولاهم البصري الضرير أبو إسماعيل، كان من أهل الورع والدين، وكان ثقة ثبتًا حجة كثير الحديث، ولد سنة ثمان وتسعين، ومات يوم الجمعة لعشر خلون من رمضان سنة تسع وسبعين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٢٨٦)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٩٠)، والعبر (١/ ٢٧٤)،وشذرات الذهب (ص٢٩٢)، وطبقات الحفاظ (ص١٠٣).

(٢) هو حماد بن سلمة بن دينار الإمام العلم أبو سلمة البزار الخرقي البطائني شيخ أهل البصرة، كان إمامًا رأسًا في العربية فصيحًا بليغًا كبير القدر، شديدًا على المبتدعة، صاحب أثر وسنة، وله تصانيف في الحديث، توفي سنة سبع وستين ومائة، انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٨٢)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٨٩)، والعبر (١/ ٢٤٩)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٤)، والأنساب (٢/ ٣٥٦)، وشذرات الذهب (١/ ٢٦٢)، وطبقات الحفاظ (ص٩٤).

قوله: (وَالأَرْبَعَةُ البَاقُونَ هُمْ أَئِمَّةُ الدُّنْيَا فِي عَصْرِ تَابِعِي التَّابِعِينَ، وَمِنْ طَبَقَتِهِمْ حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، وَحَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، وَأَمْثَالُهُمَا)، الأربعة الباقون الذين هم مالك، ومن ذكر معه؛ الأوزاعي، والليث بن سعد، وسفيان الثوري من أتباع التابعين، وهم أئمة الدنيا في وقتهم، وفي طبقتهم -أيضا- حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، الحمادان المشهوران.



رَوَى أَبُو القَاسِمِ الأَزَجِيُّ(١) بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ(٢)، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ مَنْ يَدْفَعُ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ يَقُولُ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ(٣): (سَنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوُلاةُ الأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا، الأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللهِ، لَيْسَ لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَغْيِيرُهَا وَلا النَّظَرُ فِي شَيْءٍ خَالَفَهَا، مَنِ اهْتَدَى بِهَا، فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا، فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ، وَلاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى، وَأَصْلاهُ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا)(٤).

---

(١) هو أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد بن الفضل بن شكر بن بكران الأزجي الخياط من أهل باب الأزج، وهي محلة ببغداد، كان ثقة صدوقًا مكثرًا صاحب كتاب، وكانت ولادته في شعبان سنة ست وخمسين وثلاثمائة ومات سنة أربع وأربعين وأربعمائة قال الذهبي: (له مصنف في الصفات لم يهذبه).ا.هـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٤٦٨)، والأنساب (١/ ١١٩)، والعبر (٣/ ٢٠٨)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ١٨)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٧١).

(٢) هو مطرف بن عبد الله بن يسار اليساري، ويكنى أبا مصعب، وكان يسار مكاتبًا لرجل من أسلم فأدى عنه عبد الله بن أبي فروة كتابته فعتق، فصار هو وولده مع آل عبد الله بن أبي فروة وفي دعوتهم، وكان مطرف من أصحاب مالك بن أنس، وكان ثقة، وكان به صمم، ومات بالمدينة في أول سنة عشرين ومائتين. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٣٨)، وطبقات الفقهاء لأبي بكر الشيرازي (ص١٥٣)، والأنساب (٥/ ٦٩٥).

(٣) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو حفص القرشي الأموي المعروف أمير المؤمنين، وأمه أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ولد بحلوان قرية بمصر وأبوه أمير عليها سنة إحدى وقيل ثلاث وستين، وتوفي في رجب سنة إحدى ومائة. انظر: العبر (١/ ١٢٠)، والبداية والنهاية (٩/ ١٩٢)، وشذرات الذهب (١/ ٢١٩)، وطبقات الحفاظ (ص٥٣).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٠٦٧)، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ٣٥٧)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٩٤)، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (١/ ١٧٣)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٤)، وأخرجه الذهبي في السير (٨/ ٩٨) عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ.

الشَـرح

هذا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، تولى الخلافة بعد عمه سليمان بن عبد الملك، وكان إماما من المجددين، وعالما، وكان عـادلًا يشبـه جـده لأمّه عمـر بن الخطـاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في عدله وعلمه، وورعه وتقواه، حتى ألحقه بعض العلماء بالخلفاء الراشدين.

وهذه من عبارات عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول: إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سن سننا، وسن الخلفاء من بعده سننا، يجب الأخذ بها وترك ما خالفها، وهذا لقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١)، ومن حاد عن منهجهم، دخل في قوله تعالى في هذه الآية: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ [النساء:١١٥] فالذي يحيد عن منهج وسبيل المؤمنين يكون من أهل جهنم؛ ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ** ﴾، مشاقة الرسول: أن تكون في شق والرسول في شق آخر، ﴿ **وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾، أخذوا من هذه الآية حجية الإجماع، وأنه حجة، وأن من خالفه ضل، ﴿ **وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ [النساء:١١٥]، والذين تكلموا في الأسماء والصفات خالفوا وشاقوا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخالفوا ما عليه المسلمون والمؤمنون، واتبعوا غير سبيل المؤمنين؛ لأن سبيل المؤمنين اتباع ما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا سبيل المؤمنين، فمن خالف ذلك، فهو من أهل النار.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

وَرَوَى الْخَلَّالُ[(١)] بِإِسْنَادٍ -كُلُّهُمْ أَئِمَّةٌ ثِقَاتٌ- عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ[(٢)] قَالَ: (سُئِلَ رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ[(٣)] عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كَيْفَ اسْتَوَى؟ قَالَ: الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَمِنَ اللهِ الرِّسَالَةُ، وَعَلَى الرَّسُولِ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ، وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ)[(٤)].

الشَّرْح

هذا سفيان الثاني لأن السفيانين: سفيان الثوري، وسفيان بن عيينة من أئمة المحدثين.

(رَبِيعَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ) شيخ الإمام مالك، هذه مقالته في الأسماء والصفات؛ أنها يجب الإيمان بها.

(الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ)، يعني: معروف المعنى، وأنه العلو، وأنه الارتفاع والفوقية، هذا من اللغة العربية، تقول: استوى على كذا، يعني: ارتفع عليه، فالاستواء على الشيء، إذا جاء بـ«على»، فمعناه: الارتفاع عليه، استوى على السطح على الدابة، أي: ارتفع، ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف:١٢، ١٣]، ما معنى ﴿لِتَسْتَوُۥا۟

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢١٩).

(٢) سبقت ترجمته (ص١٩٨).

(٣) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ الفقيه أبو عثمان المدني عالم المدينة، ويقال له ربيعة الرأي، كان من أئمة الفتوى والفقه، توفي سنة ست وثلاثين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/ ٣٢٠)، وتاريخ بغداد (٨/ ٤٢٠)، ووفيات الأعيان (٢/ ٢٨٨)، والوافي بالوفيات (١٤/ ٦٤)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٨٦)، وشذرات الذهب (١/ ١٩٤).

(٤) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٥١)، والذهبي في العلو (ص١٢٩)، وابن قدامة في العلو (ص١١٤).

عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾؟ ترتفعوا على ظهوره، ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح:٢٩]، ما معنى استوى على سوقه؟ يعني: أن السنبل استوى فوق القصب على سوقه، جمع ساق.

فإذا جاء الاستواء بـ«على»، فمعناه: العلو والارتفاع.

وإذا جاء بـ«إلى»، استوى إلى كذا، فمعناه: القصد، يعني: قصد إليه.

وإذا جاء معدى بنفسه «استوى»: بلغ أشده، واستوى لازم، ما هو معدى بحرف، فمعناه: التمام والكمال؛ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾، أي: تكامل عقله ونموه، معناه: الكمال.

وإذا عدي بالواو، فمعناه: المساواة، تقول: «استوى الماء والخشبة»، يعني: تساوى سطح الماء مع الخشبة.

هذه معاني الاستواء، وموارد الاستواء في اللغة العربية؛ إما أن يعدى، وإما ألا يعدى، إذا عدي، فإما أن يعدى بـ«على» أو بـ«إلى»، فبـ«على» معناه: الارتفاع، وبـ«إلى» معناه: القصد إلى الشيء، وإذا لم يعد، وكان لازما، فإن معناه التمام والكمال؛ مثل: بلغ أشده واستوى(١).

فيجب أن نعرف هذه الأمور، والاستواء في حق الله جاء بأي شيء؟ معدى بماذا؟ بـ«على»، في كل الآيات معدى بـ«على»، فمعناه: العلو والارتفاع.

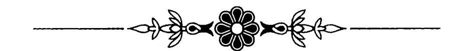
أما كيفية الاستواء؛ كيف يستوي على العرش، فالله أعلم بذلك؛ ليس مثل استواء المخلوق على المخلوق، وإنما هو استواء يليق بجلال الله، ولا يعلم هذا إلا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١/ ١٩٥- ١٩٦).

(وَمِن اللهِ الرِّسَالَةُ)، من الله الرسالة؛ أن يرسل الرسل لهداية الخلق، وقد أرسل الرسل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وَعَلَى الرَّسُولِ البَلاغُ المُبِينُ، وَعَلَيْنَا التَّصْدِيقُ)، وعلى الرسول أن يبلغ الأمة التي أرسل إليها، وقد بلغ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى:٤٨]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]، الرسول بلغ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما واجبنا نحن؟ أن نقبل ما بلغنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ، وعلينا القبول؛ ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [العنكبوت:١٨].



وَهَذَا الكَلامُ مَرْوِيٌّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ تِلْمِيذِ رَبِيعَةَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ.

مِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ الأَصْبَهَانِيُّ[1]، وَأَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ[2]، عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى[3] قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كَيْفَ اسْتَوَى؟ فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلاهُ الرُّحَضَاءُ، ثُمَّ قَالَ: الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا. فَأَمَرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ). اهـ[4].

الشَّرْح

قوله: (وَهَذَا الكَلامُ مَرْوِيٌّ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ تِلْمِيذِ رَبِيعَةَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ)، تلميذ ربيعة، هذا كما أنه مروي عن ربيعة، روي -أيضا- عن تلميذه مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ، لما جاءه السائل -كما يأتي- سأله عن الاستواء.

(مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ)، يعني: من طرق متعددة.

قوله: (مِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ الأَصْبَهَانِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى قَالَ: كُنَّا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كَيْفَ اسْتَوَى؟)، هذا السؤال إساءة أدب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، السؤال عن الكيفية باطل، لا يجوز أن نسأل عن الكيفية، ولا أحد يعلم الكيفية، هذا السؤال تنطع، ولهذا خجل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ من هذا السؤال حتى علته

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢١٨).

(٢) سبقت ترجمته (ص٢١٨).

(٣) سبقت ترجمته (ص٢٢٣).

(٤) سبق تخريجه (ص٢٣٤).



الرحضاء -يعني: العرق-؛ خوفًا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن هذا سؤال قبيح في حق الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (**الاسْتِواء غَيرُ مَجهولٍ**)، الاستواء من ناحية المعنى غير مجهول، معناه: الارتفاع والعلو والفوقية، وهو لا يسأل عن الاستواء، بل يسأل عن الكيفية.

(**وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ**): ما نعرف الكيفية، هذا سؤال عن شيء لا يمكن معرفته.

(**وَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ**): الإيمان بالاستواء واجب.

(**وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ**): والسؤال عنه -يعني: عن الكيفية- بدعة، أما السؤال عن المعنى، فلا بأس به، تقول: ما معنى استوى؟ لا بأس أن تسأل عن معنى الاستواء، ويفسر لك، أما أن تسأل عن الكيفية، فهذا سؤال باطل؛ لأنه لا يمكن الإجابة عنه، ولم نكلف بالبحث عنه.

وهو بدعة لأنه ليس من هدي السنة أن نسأل عن الكيفية، ولا جاء في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ولا في كلام أهل العلم، ما جاء البحث في الكيفية أبدا، والبدعة ما لم يكن له دليل من كتاب الله أو من سنة رسوله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا. فَأُمِرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ**)، (وما أراك) يعني: ما أظنك إلا مبتدعًا؛ لأن هذا السؤال يدل على أنه مبتدع، فأمر به، فطرد من حلقته، وهكذا ينبغي أن هؤلاء المتنطعين الذين يتكلفون مثل هذه الأسئلة أن يعاقبوا ويزجروا ويعزروا، وطرده إياه من باب التعزير والردع لغيره أن يسألوا مثل هذا السؤال، فلو أن هذا يتخذ مع المتنطعين والمتكلفين، لكف كثير منهم عن الكلام.

فَقَوْلُ رَبِيعَةَ وَمَالِكٍ: (الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ) مُوَافِقٌ لِقَوْلِ البَاقِينَ: (أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلا كَيْفٍ)، فَإِنَّمَا نَفَوْا عِلْمَ الكَيْفِيَّةِ، وَلَمْ يَنْفُوا حَقِيقَةَ الصِّفَةِ.

وَلَوْ كَانَ القَوْمُ قَدْ آمَنُوا بِاللَّفْظِ المُجَرَّدِ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِمَعْنَاهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللهِ، لَمَا قَالُوا: (الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ)، وَلَمَا قَالُوا: (أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلا كَيْفٍ)، فَإِنَّ الاسْتِوَاءَ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا، بَلْ مَجْهُولًا بِمَنْزِلَةِ حُرُوفِ المُعْجَمِ.

الشَّرْح

قوله: (فَقَوْلُ رَبِيعَةَ وَمَالِكٍ: «الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ» مُوَافِقٌ لِقَوْلِ البَاقِينَ: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلا كَيْفٍ»)، أمروها كما جاءت هذا معنى الاستواء معلوم، أمروها على معناها من غير تحريف أو تأويل، والكيف غير معروف، فقولهم: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ» رد على المعطلة؛ لأن المعطلة لا يمرونها كما جاءت، بل يحرفونها ويؤولونها، وقولهم: «بِلا كَيْفٍ» رد على المكيفة والممثلة. هذه قاعدة.

قوله: (فَإِنَّمَا نَفَوْا عِلْمَ الكَيْفِيَّةِ، وَلَمْ يَنْفُوا حَقِيقَةَ الصِّفَةِ)، لم ينفوا الصفة ومعنى الصفة، وإنما نفوا علم الكيفية، ومعرفة الكيفية لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى! لا يعلم عظمة الله إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (وَلَوْ كَانَ القَوْمُ قَدْ آمَنُوا بِاللَّفْظِ المُجَرَّدِ مِنْ غَيْرِ فَهْمٍ لِمَعْنَاهُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللهِ...)، هذا رد على المفوضة أهل التجهيل، الذين يقولون: (إن الرسول

بل الرسل والمسلمون والعلماء ما يعرفون معنى الأسماء والصفات، وإنما يرددون ألفاظا لا يفهمون معناها)، هذا تجهيل للرسل وأتباعهم.

قوله: (لَمَا قَالُوا: الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ)، الاستواء غير مجهول المعنى، بل هو معروف المعنى.

قوله: (وَلَمَا قَالُوا: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ بِلا كَيْفٍ»، فَإِنَّ الاسْتِوَاء حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ مَعْلُومًا بَلْ مَجْهُولًا بِمَنْزِلَةِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ)، بمنزلة الحروف المقطعة مثل: ألف، باء، تاء، جيم، ما لها معنى، إلا إذا ركبت في كلمات أو في جمل، صار لها معنى، أما إذا فككت الحروف، فلن يكون لها معنى، ما معنى الباء؟! ما معنى التاء؟! هذه حروف المعجم التي هي ثمانية وعشرون حرفًا، أولها الألف، وآخرها الياء، هذه إذا نثرت كل حرف لحاله، لما صار له معنى.



وأَيْضًا: فَإِنَّهُ لَا يُحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ الْكَيْفِيَّةِ، إِذَا لَمْ يُفْهَمْ مِنَ اللَّفْظِ مَعْنَى، وَإِنَّمَا يُحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ الكَيْفِيَّةِ إِذَا أُثْبِتَتِ الصِّفَاتُ.

وَأَيْضًا: فَإِنَّ مَنْ يَنْفِي الصِّفَاتِ الخَبَرِيَّةَ أَو الصِّفَاتِ مُطْلَقًا لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: «بِلا كَيْفٍ»، فَمَنْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ عَلَى العَرْشِ»، لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: «بِلا كَيْفٍ»، فَلَوْ كَانَ مِنْ مَذْهَبِ السَّلَفِ نَفْيُ الصِّفَاتِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، لَمَا قَالُوا: «بِلا كَيْفٍ».

وأَيْضًا: فَقَوْلُهُمْ: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ» يَقْتَضِي إِبْقَاءَ دَلالَتِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهَا جَاءَتْ أَلْفَاظًا دَالَّةً عَلَى مَعَانٍ، فَلَوْ كَانَتْ دَلالَتُهَا مُنْتَفِيَةً، لَكَانَ الوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ: «أَمِرُّوا أَلْفَاظَهَا مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ المَفْهُومَ مِنْهَا غَيْرُ مُرَادٍ»، أَوْ «أَمِرُّوا أَلْفَاظَهَا مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ اللهَ لَا يُوصَفُ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ حَقِيقَةً»، وَحِينَئِذٍ فَلا تَكُونُ قَدْ أُمِرَّتْ كَمَا جَاءَتْ، وَلا يُقَالُ حِينَئِذٍ: «بِلا كَيْفٍ»؛ إِذْ نَفْيُ الكَيْفِيَّةِ عَمَّا لَيْسَ بِثَابِتٍ لَغْوٌ مِنَ القَوْلِ.

الشَّرح

قوله: (وأَيْضًا: فَإِنَّهُ لَا يُحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ الْكَيْفِيَّةِ، إِذَا لَمْ يُفْهَمْ مِنَ اللَّفْظِ مَعْنًى، وَإِنَّمَا يُحْتَاجُ إِلَى نَفْيِ عِلْمِ الكَيْفِيَّةِ إِذَا أُثْبِتَتِ الصِّفَاتُ)، هذا -أيضًا- يفهم من كلامهم أنه ما يحتاج إلى نفي الكيفية، إلا في الشيء الذي علم معناه، لكن لا تعلم كيفيته، أما لو كان الأمران مجهولين، لما قالوا: (الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ)، ولقالوا: «الاستواء وكيفيته مجهولان»، وهم لم يقولوا هذا، بل فرقوا بينهما، وقالوا: (الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ).

قوله: (وَأَيْضًا: فَإِنَّ مَنْ يَنْفِي الصِّفَاتِ الخَبَرِيَّةَ، أَو الصِّفَاتِ مُطْلَقًا لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: بِلَا كَيْفٍ، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَيْسَ عَلَى العَرْشِ، لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَقُولَ: بِلَا كَيْفٍ)، نفاة الصفات على قسمين:



* منهم من ينفي بعض الصفات؛ كالأشاعرة ينفون بعض الصفات، ويثبتون بعضها.

* أو الذين ينفون كل الصفات كالمعتزلة.

* أو الذين ينفون الأسماء والصفات كالجهمية.

هؤلاء كلهم المعطلة بفرقهم الثلاث، كلهم معطلة؛ فالجهمية معطلة، والمعتزلة معطلة، والأشاعرة معطلة.

ومثل ما سبق فكونهم فرقوا في العبارة، فقالوا: (الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ)، هذا دليل على أنهم يعرفون المعنى، وإنما يجهلون الكيفية، فنحن نفوض الكيفية فقط، ولا نفوض المعنى، أما أهل الضلال، فيفوضون الأمرين المعنى والكيفية.

قوله: (**فَلَوْ كَانَ مِنْ مَذْهَبِ السَّلَفِ نَفْيُ الصِّفَاتِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ لَمَا قَالُوا: «بِلا كَيْف»**)، كانوا يقولون: (كل الصفات منفية)، ما يفرقون بين المعنى والكيفية، يقولون: (كلها مجهولة).

قوله: (**وأَيْضًا: فَقَوْلُهُمْ: «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ» يَقْتَضِي إِبْقَاءَ دَلالَتِهَا عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ**)، أما لو لم تبق دلالتها على ما هي عليه، لم تمر كما جاءت، «أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ»، يعني: لفظا ومعنى، أما إمرار اللفظ بدون المعنى، فهذا ليس إمرارا لها، وإنما هو تفويض.

قوله: (**فَإِنَّهَا جَاءَتْ أَلْفَاظًا دَالَّةً عَلَى مَعَانٍ**)، الألفاظ لابد أنها تدل على معان، وإذا لم تدل على معان، فماذا تكون؟ تكون كلامًا أعجميًّا، رطانة، ما نفهمها، الكلام له معان، وليس هناك كلام ما له معنى إلا كلام المجانين، هم الذين يتكلمون بشيء ما له معنى.

قوله: (**فَلَوْ كَانَتْ دَلالَتُهَا مُنْتَفِيَةً، لَكَانَ الوَاجِبُ أَنْ يُقَالَ: أَمِرُّوا أَلْفَاظَهَا مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ المَفْهُومَ مِنْهَا غَيْرُ مُرَادٍ**)؛ كما تقوله المفوضة، وهذا ما قاله علماء الأمة، إنما قاله المفوضة، وهم طائفة يسيرة من المعطلة الذين عطلوا المعنى، عطلوا أولًا، ثم فوضوا ثانيًا.

قوله: (**أَوْ أَمِرُّوا أَلْفَاظَهَا مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ اللهَ لَا يُوصَفُ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ حَقِيقَةً**)، وما قال هذا أحد من علماء أهل السنة، ما قالوا: (أمروا لفظها مع اعتقاد عدم معرفة معناها)، ما قالوا هذا.

قوله: (**وَحِينَئِذٍ فَلا تَكُونُ قَدْ أُمِـرَّتْ كَمَا جَـاءَتْ، وَلا يُقَالُ حِينَئِذٍ: «بِلا كَيْفٍ»؛ إِذْ نَفْيُ الكَيْفِيَّةِ عَمَّا لَيْسَ بِثَابِتٍ لَغْوٌ مِنَ القَوْلِ**)، أيضًا ما يقال: «بلا كيف»، إلا لما هو معروف المعنى.





وَرَوَى الأَثْرَمُ[(١)] فِي «السُّنَّةِ»، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ بَطَّةَ[(٢)] فِي «الإِبَانَةِ»، وَأَبُو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ[(٣)] وَغَيْرُهُمْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ المَاجِشُونِ[(٤)] -وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ المَدِينَةِ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ هُمْ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَابْنُ المَاجِشُونِ، وَابْنُ أَبِي ذِئْبٍ[(٥)]-، وَقَدْ سُئِلَ فِيمَا جَحَدَتْ بِهِ الْجَهْمِيَّةُ: (أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ فَهِمْتُ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ فِيمَا تَتَابَعَت الْجَهْمِيَّةُ وَمَنْ خَالَفَهَا، فِي صِفَةِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الَّذِي فَاقَتْ عَظَمَتُهُ الوَصْفَ وَالتَّقْدِيرَ، وَكَلَّتِ الأَلْسُنُ عَنْ تَفْسِيرِ صِفَتِهِ، وَانْحَسَرَتِ العُقُولُ دُونَ مَعْرِفَةِ قَدْرِهِ، وَرَدَتْ عَظَمَتُهُ العُقُولَ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا، فَرَجَعَتْ خَاسِئَةً وَهِيَ حَسِيرَةٌ، وَإِنَّمَا أُمِرُوا بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ فِيمَا خَلَقَ بِالتَّقْدِيرِ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: «كَيْفَ؟ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ كَانَ، فَأَمَّا الَّذِي لَا يَحُولُ وَلا يَزُولُ، وَلَمْ يَزَلْ، وَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ، فَإِنَّهُ لا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلا هُوَ، وَكَيْفَ يُعْرَفُ قَدْرُ مَنْ لَمْ يُبْدَأْ وَمَنْ لَمْ يَمُتْ، وَلا يَبْلَى، وَكَيْفَ يَكُونُ

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢٢٠).

(٢) سبقت ترجمته (ص٢١٧).

(٣) سبقت ترجمته (ص٢١٧).

(٤) هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون التيمي، وكنيته أبو عبد الله، وقيل أبو الأصبغ، وهو من أهل مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان إمامًا مفتيًا صاحب حلقة، توفي ببغداد سنة أربع وستين ومائة في خلافة المهدي. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤١٤)، وتاريخ بغداد (١٠/ ٤٣٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٦٦)، والوافي بالوفيات (١٨/ ٣١٥، ٣١٦)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٣٠٩)، وشذرات الذهب (١/ ٢٥٩)، وطبقات الحفاظ (ص١٠٠، ١٠١).

(٥) هو الإمام أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب هشام بن شعبة القرشي العامري المدني، كان فقيهًا صالحًا ورعًا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أقدمه المهدي أمير المؤمنين بغداد وحدث بها، ثم رجع يريد المدينة فمات بالكوفة، مولده سنة ثمان ومائة، وتوفي سنة تسع وخمسين ومائة. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٩٦)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٨٣)، والوافي بالوفيات (٣/ ١٨٥، ١٨٦)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ١٣٩، ١٤٠)، وشذرات الذهب (١/ ٢٤٥).

لِصِفَةِ شَيْءٍ مِنْهُ حَدٌّ أَوْ مُنْتَهَى يَعْرِفُهُ عَارِفٌ أَوْ يَحُدُّ قَدْرَهُ وَاصِفٌ، عَلَى أَنَّهُ الحَقُّ المُبِينُ، لا حَقَّ أَحَقُّ مِنْهُ، وَلا شَيْءَ أَبْيَنُ مِنْهُ).

الشَّرْح

قوله: (**وَرَوَى الأَثْرَمُ فِي «السُّنَّةِ»، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ بْنُ بَطَّةَ فِي «الإِبَانَةِ»، وَأَبُو عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيُّ وَغَيْرُهُمْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ المَاجِشُونِ -وَهُوَ أَحَدُ أَئِمَّةِ المَدِينَةِ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ هُمْ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَابْنُ المَاجِشُونِ، وَابْنُ أَبِي ذِئْبٍ- وَقَدْ سُئِلَ فِيمَا جَحَدَتْ بِهِ الجَهْمِيَّةُ**)، ابن بطة من تلاميذ الإمام أحمد، له كتاب «الإبانة»، فابن بطة من الحنابلة، وكتابه مطبوع.

هؤلاء علماء المدينة النبوية في عصر واحد؛ الإمام مالك، والإمام عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، وابن أبي ذئب، وكانوا متعاصرين في وقت مالك أتباع التابعين.

وهذا كلام ابن الماجشون، عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، يلقبونه بالماجشون، هذا لقب له، الظاهر أن الماجشون معناه الأحمر: أحمر اللون[1].

قوله: (**أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ فَهِمْتُ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ فِيمَا تَتَابَعَت الجَهْمِيَّةُ وَمَنْ خَالَفَهَا، فِي صِفَةِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الَّذِي فَاقَتْ عَظَمَتُهُ الوَصْفَ وَالتَّقْدِيرَ، وَكَلَّتِ الأَلْسُنُ عَنْ تَفْسِيرِ صِفَتِهِ**)، يعني: عن بيان كيفية الصفة، التفسير يراد به الكيفية، وليس

---

(١) قال الزبيدي في تاج العروس (١/ ٤٣٤٩): (الماجشون: مُعَرَّبُ: مَاهُ كُون وقِيلَ: مَعْنَاه: يُشْبِهُ القَمَر وقِيلَ: يُشْبِه القَمَرَ بِحُمْرَةِ وَجْنَتَيْه. وفي حاشِيَةِ المَوَاهِبَ: المَاجِشُون بكَسْرِ الجِيمِ وضَمِّ الشين ومَعْنَاهُ: الوَرْدُ وفي شَرْحِ الشِّفاءِ مَعْنَاهُ الأَبْيَضُ المُشْرَبُ بحُمْرَةٍ مُعَرَّب ماهْ). وانظر: القاموس المحيط (١/ ٧٨٠).

المعنى، التفسير الذي هو بيان المعنى هذا معروف، إنما الكيفية. هذا معنى ما جاء عن الإمام أحمد: (أمروها كما جاءت من غير تفسير)[(١)]؛ يعني: من غير سؤال عن الكيفية، أما المعنى، فهو معروف.

قوله: (**وَانْحَسَرَتِ العُقُولُ دُونَ مَعْرِفَةِ قَدْرِهِ، وَرَدَتْ عَظَمَتُهُ العُقُولَ، فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا، فَرَجَعَتْ خَاسِئَةً وَهِيَ حَسِيرَةٌ**)، العقول لا تدرك كيفية الأسماء والصفات، ولا تدرك الأمور الغيبية، فالأمور الغيبية لا تعرف بالعقول، كل الأمور الغيبية وأعظمها الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأسماؤه وصفاته، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، فالعقول لا تدرك المغيبات، التي أعظمها أسماء الرب وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا جاء في أول سورة البقرة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾، من هم؟ ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة:٢، ٣]، أما الذي لا يؤمن بالغيب، هذا كافر، الذين يجحد الذي لا يشاهده، ويقول: هذا ليس بصحيح، فينكرون عذاب القبر، وينكرون البعث والنشور، وينكرون الجنة والنار؛ لأن عقولهم لا تدركها هذا إلحاد -والعياذ بالله!

أمور الغيب يجب الإيمان بها، ولا يعتمد فيها على العقل، وإنما يعتمد فيها على النقل، على الخبر الصحيح، فما أخبر الله به أو أخبرت الرسل عنه من الأمور المستقبلة والأمور الماضية التي لم نرها ولم ندركها، أو لا ندركها في المستقبل، هذه من أمور الغيب، نؤمن بما ثبت، ونعتمد على النقل والدليل، ولا نتكلف أكثر من ذلك.

قوله: (**وَإِنَّمَا أُمِرُوا بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ فِيمَا خَلَقَ بِالتَّقْدِيرِ**)، أمروا بالنظر والتفكير في المخلوقات؛ ليستدلوا بها على عظمة الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أمرنا بالتفكر؛ ﴿ أَوَلَمْ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٧).

يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف:١٨٥]، الواجب عليك أن تدير فكرك في المخلوقات؛ تباينها واختلافها وصفاتها، تفكر في هذا، لا تكن كالبهيمة ما همها إلا الرعي والشرب فقط؛ لأنها لم تكلف، بل خلقت لمهمة وأدت مهمتها، أما أنت فمطلوب منك التفكر في مخلوقات الله والتأمل في الكون؛ الكون هذا أوجد نفسه، أو أوجده غير الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؟ ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣]، الكون مخلوق بلا شك، بدليل أنه يحدث بعد أن لم يكن، توجد أشياء ما كانت موجودة، فهو مخلوق، كل مخلوق لابد له من خالق، قال تعالى: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور:٣٦]، فإذا تفكرت في هذه المخلوقات وانتظامها وكثرتها وتنوعها، دلك هذا على عظمة الخالق وعلى أنه سبحانه قادر على كل شيء، هذا من آثار قدرته، سبحانه على كل شيء قدير، ودلك على علم الله؛ لأنه لا يمكن أن يخلق وهو لا يعلم، فلا يخلق إلا من يعلم، ودلك على صفات الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؛ على حكمة الله، وعلى قوة الله، وعزة الله؛ ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك:١٤]، ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ ﴾، يعني: خلق هذه الأشياء من غير علم؟! أنت لو أتيت عند ماكينة مركبة من مسامير وأجهزة، وتتحرك وتنتج، ألا تستدل على دقة فهم هذا الصانع الذي ركبها وأدركها؟ ما تقول: كيف وصلها إلى هذا؟! هذا في جزئية من الكون، فكيف لا تعتبر بالسماوات والأرض والأفلاك والنجوم والبحار، والأشجار والحيوانات، كيف لا تستدل بهذا على قدرة الخالق وعظمته وعظيم سلطانه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ؟! الواجب أن نتفكر في المخلوقات، ولا نتفكر في الله عَزَّوَجَلَّ وفي أسمائه وصفاته؛ لأننا لا ندرك هذا.



قوله: (وَإِنَّمَا يُقَالُ: «كَيْفَ؟» لِمَنْ لَمْ يَكُنْ ثُمَّ كَانَ، فَأَمَّا الَّذِي لَا يَحُولُ وَلا يَزُولُ، وَلَمْ يَزَلْ، وَلَيْسَ لَهُ مِثْلٌ، فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ كَيْفَ هُوَ إِلا هُوَ)، إنما يسأل عن كيفية المخلوقات؛ كيف تكون هذا الشيء؟ وكيف تجمع؟ وكيف تركب؟ أما الخالق سبحانه، فلا يسأل عن كيفيته، ولا يمكن معرفة كيفيته، وإنما تعرف كيفية المخلوق؛ لأن المخلوق تحيط به، إذا أردت استقصاء المعلومات عن أي جزئية، عرفتها، أما الخالق سبحانه، فلا يمكن أبدا أن تحيط به عَزَّوَجَلَّ، بل هناك مخلوقات لا تحيط بها -كما يأتي-، مثلا الذرة لها سمع ولها بصر، تسمع وتبصر، أنت ترى سمعها وترى بصرها، وترى حواسها؟ ما تراها، فإذا كان لا يعرف في المخلوق، فكيف يعرف في الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (وَكَيْفَ يُعْرَفُ قَدْرُ مَنْ لَمْ يُبْدَأْ وَمَنْ لَمْ يَمُتْ، وَلا يَبْلَى)، الله جَلَّ وَعَلَا ليس له بداية وليس له نهاية؛ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ»(١)، الله جَلَّ وَعَلَا ليس له بداية ولا نهاية، وكل المخلوقات لها بداية ولها نهاية.

قوله: (وَكَيْفَ يَكُونُ لِصِفَةِ شَيْءٍ مِنْهُ حَدٌّ أَوْ مُنْتَهًى يَعْرِفُهُ عَارِفٌ أَوْ يَحُدُّ قَدْرَهُ وَاصِفٌ)، كل هذا من كلام ابن الماجشون.

قوله: (عَلَى أَنَّهُ الحَقُّ المُبِينُ لَا حَقَّ أَحَقُّ مِنْهُ، وَلا شَيْءَ أَبْيَنُ مِنْهُ)، الله جَلَّ وَعَلَا أبين شيء، بآياته ومخلوقاته، هو بيّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بيّن بمعنى أنه هو الخالق، وبيّن بأنه هو العليم القدير، كل هذا يظهر من مخلوقاته، تُثْبِت. المخلوقات نستفيد منها أسماء الله وصفاته، فكيف بالوحي المنزل من عند الله عَزَّوَجَلَّ؟

---

(١) أخرجه مسلم (٦١) (٢٧١٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الدَّلِيلُ عَلَى عَجْزِ العُقُولِ عَنْ تَحْقِيقِ صِفَتِهِ عَجْزُهَا عَنْ تَحْقِيقِ صِفَةِ أَصْغَرِ خَلْقِهِ، لَا تَكَادُ تَرَاهُ صِغَرًا يَحُولُ وَيَزُولُ، وَلا يُرَى لَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ؛ لِمَا يَتَقَلَّبُ بِهِ وَيَحْتَالُ مِنْ عَقْلِهِ، أَعْضَلُ بِكَ وَأَخْفَى عَلَيْكَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ، وَخَالِقُهُمْ وَسَيِّدُ السَّادَاتِ وَرَبُّهُمْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

اعْرِفْ -رَحِمَكَ اللهُ- غِنَاكَ عَنْ تَكَلُّفِ صِفَةِ مَا لَمْ يَصِفِ الرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ بِعَجْزِكَ عَنْ مَعْرِفَةِ قَدْرِ مَا وَصَفَ مِنْهَا، إِذَا لَمْ تَعْرِفْ قَدْرَ مَا وَصَفَ، فَمَا تَكَلُّفُكَ عِلْمَ مَا لَمْ يَصِفْ؟ هَلْ تَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ طَاعَتِهِ، أَوْ تَزْدَجِرُ بِهِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ مَعْصِيَتِهِ؟

الشَرح

قوله: (الدَّلِيلُ عَلَى عَجْزِ العُقُولِ عَنْ تَحْقِيقِ صِفَتِهِ عَجْزُهَا عَنْ تَحْقِيقِ صِفَةِ أَصْغَرِ خَلْقِهِ، لَا تَكَادُ تَرَاهُ صِغَرًا يَحُولُ وَيَزُولُ، وَلا يُرَى لَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ...)، الذرة التي هي النملة الصغيرة، هي تسمع وتبصر، لكن هل تعرف كيف تسمع وكيف تبصر؟ لا تدري، حواسها لا تراها، هي تسمع وتبصر وتشم، ما هناك أشد من حساسية الذر أم لا؟ ما أشد من حساسية الذر، الآن لو تحضر مثلًا الحمل -وهذا شيء شاهدناه سبحان الله-، أو تحضر شيئًا فيه دهن، وتعلقه بحبل في خشبة في السقف؛ حتى لا يأتيه الذر، يرقى مع الجدار، ويأتي مع الخشبة، ثم مع الحبل إلى أن يصل إلى الشيء الذي يريده، كيف عرف هذا؟ كيف شم هذا؟ كيف رآه؟! كيف فكر؟! إنه لا طريق إلا كذا، هذا مخلوق صغير فيه حواس أنت ما

تراها، ما ترى آذانها، ولا ترى عيونها، ولا ترى شيئًا، إذا لم تدرك الأشياء التي في المخلوق وهو أصغر شيء، فكيف تدرك هذا في الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ؟!

قوله: (اعْرِفْ -رَحِمَكَ اللهُ- غَنَاكَ عَنْ تَكَلُّفِ صِفَةِ مَا لَمْ يَصِفِ الرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ بِعَجْزِكَ عَنْ مَعْرِفَةِ قَدْرِ مَا وَصَفَ مِنْهَا)، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اعرف عجزك عن أن تصف الله بما لم يصف به نفسه؛ أن تتكلف ذلك بعجزك عن معرفة ما وصف الله به نفسه، فإذا كنت لا تعرف كيفية ما وصف الله به نفسه، ولا تحيط بكيفيتها، مع أن الله وصف نفسه بها، وسمى نفسه بها، وأنت عجزت أن تدرك الكيفية، وأن تحيط بها، فلأنت أعجز من أن تحدث شيئا لم يصف الله به نفسه، فأمسك عن ذلك، وحسبك ويكفيك أن تقف وتكتفي بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، فتثبت ذلك، وتؤمن به دون أن تتكلف زيادة على ذلك، وتقول: (أنا أُعَظّم الرب، بهذه الصفات)، تزعم أنك تعظم الرب بها، وهي ليس لها أصل من كلام الله ولا من كلام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن هذا تكلف ما أمر الله تعالى به، بل نهى الله عن التكلف، هذا رد على الذين يصفون الله أو يسمون الله بأسماء وصفات لم ترد في الكتاب ولا في السنة، وأمر بالاقتصار على ما ورد في الكتاب والسنة، وفيه الخير والكفاية والبركة؛ لأنه لا أحد أعلم بالله من الله جَلَّ وَعَلَا، ولا أحد من الخلق أعلم بالله من نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحسبنا أن نكتفي بما في كتاب الله وفي سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا نزيد على ذلك، فإن الزيادة نقص وتنقص لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كيف تصف الله وأنت لا تحيط به علما؟ إنما تستطيع أن تصف الأشياء التي تعلمها، أما الشيء الذي لا تعلمه ولا تحيط به علما، فلا يجوز لك أن تدخل فيه.

قوله: (إِذَا لَمْ تَعْرِفْ قَدْرَ مَا وَصَفَ، فَمَا تَكَلُّفُكَ عِلْمَ مَا لَمْ يَصِفْ؟)، المراد بعجزك عن معرفة الكيفية، أما معرفة المعنى، فالمعنى معلوم، لكن المراد معرفة الكيفية، فإن أحدًا لا يعرف ذلك إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(فَمَا تَكَلُّفُكَ)، هذا إنكار، استنكار منه؛ لأن الذي يتكلف ويثبت لله صفات لم ترد في كتابه ولا في سنة رسوله جاهل بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (هَلْ تَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ طَاعَتِهِ أَوْ تَزْدَجِرُ بِهِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ مَعْصِيَتِهِ؟)، يعني: ما فائدة زيادتك في صفات لم ترد في الكتاب والسنة؟ ما فائدتك من ذلك؟ هل تستفيد منها طاعة لله، وتركًا لمعصية الله؟ أبدًا! يكفي ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، وأما الزيادة، فلا يستفيد منها الزائد، ولو كان لنا فيها فائدة، لبينها الله لنا، الله ما ترك شيئًا ينفعنا ويفيدنا ويعرفنا به سبحانه إلا بينه لنا.





فَأَمَّا الَّذِي جَحَدَ مَا وَصَفَ الرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ تَعَمُّقًا وَتَكْلفًا، فَقَدْ ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام:٧١]، فَصَارَ يَسْتَدِلُّ بِزَعْمِهِ عَلَى جَحْدِ مَا وَصَفَ الرَّبُّ وَسَمَّى مِنْ نَفْسِهِ، بِأَنْ قَالَ: لَا بُدَّ إِنْ كَانَ لَهُ كَذَا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَذَا. فَعَمِيَ عَنِ الْبَيِّنِ بِالْخَفِيِّ، وَجَحَدَ مَا سَمَّى الرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ بِصَمْتِ الرَّبِّ عَمَّا لَمْ يُسَمِّ مِنْهَا، فَلَمْ يَزَلْ يُمْلِي لَهُ الشَّيْطَانُ حَتَّى جَحَدَ قَوْلَ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣] فَقَالَ: لَا يَرَاهُ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَجَحَدَ -وَاللهِ- أَفْضَلَ كَرَامَةِ اللهِ الَّتِي أَكْرَمَ بِهَا أَوْلِيَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ، وَنَظْرَتِهِ إِيَّاهُمْ ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر:٥٥]، وَقَدْ قَضَى أَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ، فَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ يَنْضُرُونَ.

الشرح

قوله: (فَأَمَّا الَّذِي جَحَدَ مَا وَصَفَ الرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ تَعَمُّقًا وَتَكْلفًا، فَقَدْ ﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام:٧١]، فَصَارَ يَسْتَدِلُّ بِزَعْمِهِ عَلَى جَحْدِ مَا وَصَفَ الرَّبُّ، وَسَمَّى مِنْ نَفْسِهِ بِأَنْ قَالَ)، هذا طرف ثانٍ، غير الطرف الأول الذي يتكلف، ويصف الله بصفات لم يصف بها نفسه، الطرف الثاني الذي يجحد ما وصف الله به نفسه، على طرفي نقيض، ذاك غلا في الإثبات، حتى زاد صفات لم ترد، وهذا غلا في التنزيه، حتى نفى عن الله ما وصف به نفسه، كلاهما على طرفي نقيض، والوسط هو الخير.

﴿ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾، استهوته يعني: حملته على اتباع الهوى، وهكذا الشياطين تأمر الناس باتباع الهوى، وترك اتباع ما أنزل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الشياطين تزين لهم هذا، وتستهويهم في الضلال، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [الأنعام:٧١]، من شياطين الإنس والجن ﴿ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ﴾، يقولون له: (إن الهدى هنا، تعال، ائتنا)، والرد عليهم أن يقال: ﴿ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾؛ ليس الهدى ما جاء به فلان أو فلان، ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾، فالهدى في اتباع ما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكتاب والسنة.

قوله: (لَا بُدَّ إِنْ كَانَ لَهُ كَذَا مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ كَذَا، فَعَمِيَ عَنِ الْبَيِّنِ بِالْخَفِيِّ)، الذي يفتح لنفسه باب الشبهات، ويقول: يلزم من وصف الله بالعلو أن يكون في مكان، وأن المكان يحويه ويحيط به، ويلزم من إثبات الصفات أن يكون الله جسمًا، أو أنه تحل به الحوادث، هذه لوازم باطلة جاءوا بها من عندهم، فنفوا من أجلها الأسماء والصفات، لهذه اللوازم الباطلة، التي جاءوا بها من عندهم، أما أهل السنة والجماعة، فيثبتون ما أثبته الله لنفسه، وينفون عن الله ما نفاه الله لنفسه، ولايقولون: (يلزم كذا، ويلزم كذا)؛ لأن الله أعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بنفسه وأعلم بغيره، وهو أصدق حديثًا من خلقه، أما نحن، فلا نعلم إلا ما علمنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذه اللوازم الجسمية والحيز والمكان كلها لوازم باطلة، والتركيب وما أشبه ذلك! لا ينفى بها كتاب الله وسنة رسوله أبدًا.

قوله: (فَعَمِيَ عَنِ الْبَيِّنِ بِالْخَفِيِّ)، البين الذي هو إثبات الأسماء والصفات، بالخفي الذي هو علم الكيفية الذي لا يعلمه إلا الله.

قوله: (وَجَحَدَ مَا سَمَّى الرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ بِصَمْتِ الرَّبِّ عَمَّا لَمْ يُسَمِّ مِنْهَا، فَلَمْ يَزَلْ يُمْلِي لَهُ الشَّيْطَانُ حَتَّى جَحَدَ قَوْلَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ

رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾)، ما زال الشيطان يلقي عليهم الشبهات، حتى جحدوا ما أنزل الله في كتابه من إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢]؛ من النضرة وهي البهاء والحسن، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بالظاء، وهي رؤية البصر؛ لأن النظر إذا عُدي بـ«إلى»، فمعناه: المعاينة بالبصر؛ انظر إلى كذا، وإذا عدي بـ«في»، فمعناه التفكر والاعتبار؛ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:١٨٥]، أي: لم يتفكروا في ملكوت السماوات والأرض، وإذا عدي بنفسه بدون حرف، فمعناه الانتظار؛ ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣]، أي: انتظرونا، يقول المنافقون للمؤمنين يوم القيامة: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾، لا تذهبوا عنا وتتركونا في ظلام، انتظروا معنا، هكذا[1]، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾، فالنظر إذا عدي بـ«إلى» فمعناه المعاينة بالأبصار، وقد عدي بـ«إلى» في القرآن؛ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ فمعناه: المعاينة بالبصر، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة؛ ليتنعموا برؤيته؛ لأنهم لما آمنوا به في الدنيا، ولم يروه، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أكرمهم في الآخرة بأن تجلى لهم، وصاروا ينظرون إليه نظرًا حقيقيًّا لا مرية فيه، فهؤلاء نفوا هذا، وقالوا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣]، أي: ناظرة إلى نعمه، وهذا تحريف وتأويل باطل، يخالف الوضع اللغوي لهذه الكلمة العظيمة.

الأولى بالضاد والثانية بالظاء، بينهما فرق، والأولى ما فيها تعدية، والثانية فيها تعدية بـ«إلى».

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٦٦)، والفرق بين الضاد والظاء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفي المشهور من الكلام (ص ٤٦ - ٤٨)، ولسان العرب (٥/ ٢١٦ - ٢١٧).

قوله: (فَقَالَ: لَا يَرَاهُ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَجَحَدَ وَاللهِ أَفْضَلَ كَرَامَةِ اللهِ الَّتِي أَكْرَمَ بِهَا أَوْلِيَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ، وَنَظْرَتِهِ إِيَّاهُمْ ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر:٥٥])، جحد أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وهذا أعظم نعيم يناله أهل الجنة، وهو رؤية ربهم الكريم الذي عبدوه في الدنيا ولم يروه، تجلى لهم يوم القيامة، ورأوه، وتمتعوا برؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأكسبهم ذلك نضرة وحسنا وبهاءً على ما هم فيه من الحسن والبهاء والجمال، أما الكفار لأنهم لم يؤمنوا به في الدنيا، فإن الله حرمهم من رؤيته يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥]، والجزاء من جنس العمل.

قوله: (وَقَدْ قَضَى أَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ، فَهُمْ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ يَنْضُرُونَ)، قضى أنهم لايموتون في الدنيا، الخلق لا يستطيعون النظر إلى الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن أجسامهم ومداركهم ضعيفة، ولهذا لما طلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كليم الله، ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف:١٤٣]، لما سمع كلام الله، اشتاق إلى رؤيته سبحانه، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾، يعني: في الدنيا، فلا أحد يستطيع أن يرى الله في الدنيا لضعف الخلق وضعف المدارك، ثم إن الله أراد أن يضرب له مثلا؛ أنه لا يستطيع أن يرى الله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ ﴾، الجبل الأصم الجبل الجامد القوي الصلب، ﴿ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾، صار الجبل ترابا، منهارا من عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكيف يستطيع البشر أن يرى الله؟! والجبل لم يستطع أن يقوم لتجلي الله له، والجبل أقوى ما في الوجود من الكائنات، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾؛ مغشيًا عليه، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، فتاب إلى الله من هذا السؤال، وآمن بالله، وصدق بالله عن يقين لا يعتريه شك،

﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِي وَبِكَلَـٰمِي ﴾ [الأعراف:١٤٤]، خصه الله بأن الله يكلمه بدون واسطة، يسمع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ صوته، يسمع كلام الله جَلَّ وَعَلَا مباشرة، وهذه مرتبة لم ينلها غيره، ولهذا يسمى بكليم الله، هذه خاصية لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِي وَبِكَلَـٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٤]، ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ ﴾، يعني: التوراة، التوراة كتبها الله بيده سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وخلق آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بيده، ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف:١٤٥]، ألواح التوراة، وهي أعظم كتاب بعد القرآن الكريم، أعظم الكتب على الإطلاق القرآن الكريم، وبعده التوراة، كتاب عظيم، بعده الإنجيل، بعدها الكتب التي أنزلها الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، الشاهد من هذا: أن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لم يستطع رؤية الله في الدنيا، أما في الآخرة، فإن الله يعطي المؤمنين قوة يستطيعون بها أن يروا ربهم، ويتمتعوا برؤيته، ويستلذوا بها؛ لأن عالم الآخرة غير عالم الدنيا، الآخرة عالم آخر لا يعلمه إلا الله، فأجسام المؤمنين في الآخرة غير أجسامهم في الدنيا، ومداركهم في الآخرة غير مداركهم في الدنيا، فيستطيعون رؤية الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في الآخرة.

إِلَى أَنْ قَالَ: وَإِنَّمَا جَحَدَ رُؤْيَةَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ الضَّالَّةِ الْمُضِلَّةِ؛ لأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ إِذَا تَجَلَّى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَأَوْا مِنْهُ مَا كَانُوا بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ مُؤْمِنِينَ، وَكَانَ لَهُ جَاحِدًا.

وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَذَلِكَ»[1].

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَمْتَلِئُ النَّارُ حَتَّى يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»[2].

الشَّرح

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ)، يعني: ابن الماجشون.

قوله: (وَإِنَّمَا جَحَدَ رُؤْيَةَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ الضَّالَّةِ الْمُضِلَّةِ؛ لأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ إِذَا تَجَلَّى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَأَوْا مِنْهُ مَا كَانُوا بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ مُؤْمِنِينَ، وَكَانَ لَهُ جَاحِدًا)، الجهمية والمعتزلة ومن نفوا الرؤية جحدوا أعظم نعمة ينعم الله بها على عباده المؤمنين في الجنة، وهي رؤية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولما حجبوا عن معرفة الله في الدنيا والإيمان به، حجبوا عن رؤيته يوم القيامة، فالذي يجحد الرؤية في الدنيا هذا لن يرى الله يوم القيامة؛ لأن هذا كفر؛ لأن إثبات الرؤية هذا بالتواتر، فمن

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: البخاريُّ (٤٨٤٨، ٦٦٦١، ٧٣٨٤)، ومسلم (٢٨٤٨)، ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦).



جحد رؤية الله، فإنه كافر، والكافر لا يرى الله يوم القيامة، يحرم من هذه النعمة العظيمة، فهذا تحذير لهؤلاء؛ أنهم إذا جحدوا الرؤية في الدنيا، فسوف يحرمون منها يوم القيامة -والعياذ بالله-، لعلهم يرجعون ويتوبون.

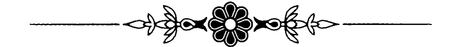
المؤمنون إذا تجلى -يعني: ظهر- الله لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بذاته، عرفوا منه ما كانوا به مؤمنين في الدنيا؛ لأنهم آمنوا به في الدنيا وبأسمائه وصفاته، فإذا ظهر لهم يوم القيامة، عرفوه بما عرفوه به في الدنيا من أسمائه وصفاته، أما الكفار والجهمية والمعتزلة لما جحدوا رؤيته في الدنيا، حرموا من رؤيته في الآخرة؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

قوله: (**وَكَانَ لَهُ جَاحِدًا**)، هذا الجهمي والمعتزلي كان جاحدا لأسماء الله وصفاته في الدنيا، فيكون محروما من ذلك يوم القيامة.

قوله: (**وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» **قَالُوا: لَا. قَالَ:** «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**» **قَالُوا: لَا. قَالَ:** «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَذَلِكَ**»)، المسلمون أشكل عليهم كيف يرون الله يوم القيامة، وهم خلق كثير، والرب واحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كيف يرون واحدًا، وهم جمع كثير، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أزال لهم هذا الإشكال، وضرب لهم مثلًا واضحًا، فقال لهم: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لَا»، الشمس شيء واحد جرم واحد، والخلق منتشرون في الأرض، كلهم يرون الشمس، وكل في مكانه ما يجتمعون ويتزاحمون، بل عادة الناس إذا أرادوا أن يروا شيئًا خفيًّا، تزاحموا عليه، ويتضامون بعضهم مع بعض لرؤية هذا الشيء، الله جَلَّ وَعَلَا بخلاف

ذلك، يرونه من غير أن يتزاحموا، ومن غير أن يتضاروا أو يتضاموا، كل يراه في مكانه، وإذا كان المخلوق يرى بهذه الكيفية، يراه الناس وهم كل في مكانه، ولا يحصل زحام، فالشمس -مثلًا- يراها الجميع وليس هناك زحام، واضحة، القمر ليلة البدر ليلة التمام ليلة الرابع عشر أو الخامس عشر، يراه الناس كلهم، بدون مزاحمة وبدون مضارة، فإذا كان هذا أمكن في المخلوق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا مثال واضح جلي في تقرير رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وهم جمع كثير، والرب واحد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (**وَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَمْتَلِئُ النَّارُ حَتَّى يَضَعَ الجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ قَطْ قَطْ وَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ**»)، النار -والعياذ بالله- لا يزال يلقى فيها، وهي تقول: هل من مزيد، تطلب الزيادة، فيضع الجبار جَلَّ وَعَلَا فيها رجله، وفي رواية: «**قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ**»، يعني: كفاني كفاني، فهذا فيه إثبات القدم لله، وإثبات الرجل لله على ما يليق بالله، ليست كرجل المخلوق أو قدم المخلوق، وإنما هي لائقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي صفة ذاتية من صفات الله جَلَّ وَعَلَا، والنار مخلوقة لله، يمكن أن تقول: كيف يضع رجله فيها وهي محرقة وحارة؟ هذا بالنسبة للناس، أما بالنسبة لله الذي خلقها، فلا يكون فيها شيء من الحرارة أو من...، يمكن أن تقول: إن النار كبيرة وواسعة، كيف إن القدم أو الرجل تضمها؟ نقول: هذا بالنسبة للمخلوق، أما بالنسبة للخالق، فإنه أعظم من كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الخلق كله بالنسبة إليه كالخردلة في كف أحدنا، النار غير هذا، بالنسبة إلى الله حقيرة، فلا تتعاظم أن الله يضع رجله أو قدمه في النار، فينزوي بعضها إلى بعض؛ لأنها خلق الله، وهي خاضعة لله جَلَّ وَعَلَا.





وَقَـالَ لِثَـابِتِ بْـنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَـدْ ضَحِكَ اللهُ مِمَّـا فَعَلْتَ بِضَيْفِكَ الْبَارِحَةَ»[1]**.**

وَقَالَ فِيمَا بَلَغَنَا: «إِنَّ اللهَ لَيَضْحَكُ مِنْ أَزْلِكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةِ إِجَابَتِكُمْ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَـرَبِ: إِنَّ رَبَّنَا لَيَضْحَـكُ؟ قَـالَ: «نَعَمْ». قَالَ: لَا نَعْدِمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا»[2]**. فِي أَشْبَاهٍ لِهَذَا مِمَّا لَا نُحْصِيهِ.**

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ ضَحِكَ اللهُ مِمَّا فَعَلْتَ بِضَيْفِكَ الْبَارِحَةَ»)، ثابت بن قيس الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نزل به ضيف، وليس عنده شيء إلا عشاءه وعشاء زوجته وأولاد، فماذا صنع؟ سكتوا الصغار والأطفال، وجاءوا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٩٨، ٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد وقع خلاف فيمن قال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ضَحِكَ اللهُ...» هل هو ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو أبو طلحة زيد بن سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ابن حجر في الفتح (٧/ ١٢٠): (والصواب الذي يتعين الجزم به في حديث أبي هريرة ما وقع عند مسلم من طريق محمد بن فضيل بن غزوان عن أبيه بإسناد البخاري: فقام رجل من الأنصار يقال له أبو طلحة...») اهـ.

(٢) هذا حديث أبي رزين العقيلي، واسمه لقيط بن عامر، صحابي مشهور بكنيته، أخرجه ابن ماجه (٨١)، والإمام أحمد في المسند (٢٦/ ١٠٦، ١١٨، ١٢١)، والطبراني في الكبير (٤٦٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٤٤)، والدارقطني في الصفات (ص٢٨)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٢٦)، والآجري في الشريعة (٦٨٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤١١)، والطيالسي في مسنده (١٠٩٢)، ومدار الحديث على وكيع بن حدس، ويقال: (عدس) لينه الحافظ في التقريب، وله شاهد عند عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٤/ ١٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٤٠)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤٦٠)، والطبراني في الكبير (٤٧٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٥)، وفيه مقال أيضًا، لكنه يتقوى به. لذا قال ابن القيم: (صححه بعض الحفاظ). اهـ. انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٣٩)، وحسنه شيخ الإسلام في الواسطية (٢/ ٢٦) مع شرح العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ.

بالعشاء ووضعوه، وجلسوا مع الضيف، وأطفأت المرأة السراج، وأظهرت أن السراج قد انطفأ، وهي التي أطفأته؛ من أجل أن لا يراهم الضيف، فجعل الضيف يأكل وهم لا يأكلون، يتظاهرون أنهم يأكلون معه، وهم لا يأكلون، حتى شبع الضيف، وهم باتوا جائعين هم وأولادهم؛ إكراما للضيف، فلما جاء ثابت بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أطلعه الله على ما حصل، فقال: «**لَقَدْ ضَحِكَ اللهُ مِمَّا فَعَلْتَ بِضَيْفِكَ الْبَارِحَةَ**»، فهذا فيه إثبات أن الله يضحك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا من صفات الأفعال، وهو ضحك يليق بجلاله، ليس كضحك المخلوق، فنحن نثبت أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يضحك؛ كما صح في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الله جَلَّ وَعَلَا ضحك متعجبًا من فعل هذا الصحابي وزوجته، وكيف أنهما آثرا هذا الضيف بالعشاء، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر:٩]، الشاهد: أن فيه إثباتًا أن الله يضحك. فنحن نثبت ذلك، ونعلم أنه ليس كضحك المخلوق، وإنما هو ضحك يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الله يضحك ويعجب ويسخط ويغضب ويرضى، كل هذه صفات أفعال وردت لله عَزَّ وَجَلَّ.

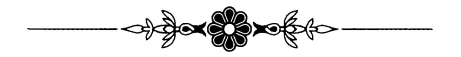
قوله: (**وَقَالَ فِيمَا بَلَغَنَا: «إِنَّ اللهَ لَيَضْحَكُ مِنْ أَزَلِكُمْ وَقُنُوطِكُمْ وَسُرْعَةِ إِجَابَتِكُمْ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ: إِنَّ رَبَّنَا لَيَضْحَكُ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: لَا نَعْدِمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا»**)، وهذا -أيضًا- فيه إثبات أن الله يضحك من أزل المخلوقين -يعني: يأسهم-، المخلوقون -الخلق- إذا انحبس المطر وأجدبت الأرض، فإنهم ييأسون ويقنطون، ويستبعدون نزول المطر، الله جَلَّ وَعَلَا يضحك من ذلك، يضحك من عباده، ينظر إليهم آيسين قنطين، فيظل يضحك، يعلم أن فرجهم قريب، وينزل عليهم المطر، وينبت لهم الكلأ والزروع، ويوفر لهم المياه؛



كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾، يعني: آيسين قنطين، ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم:٤٨-٥٠]، فهذا مثل ما جاء في الحديث: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**»[1].

هذا أعرابي بفطرته استفسر من الرسول: «إِنَّ رَبَّنَا لَيَضْحَكُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: لَا نَعْدِمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا»، الذي يضحك يحصل منه الخير، حتى في المخلوقين، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالأعرابي أحسن الظن بالله عَزَّوَجَلَّ، واستدل بضحك الله بأنه ينزل الخير لعباده.

قوله: (فِي أَشْبَاهٍ لِهَذَا مِمَّا لا نُحْصِيهِ)، والمعطلة نفوا كل هذه الصفات وهذه الأفعال لله عَزَّوَجَلَّ.



---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧٢).

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩]، **وَقَالَ:** ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

فَوَاللهِ مَا دَلَّهُمْ عَلَى عِظَمِ مَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ وَمَا تُحِيطُ بِهِ قَبْضَتُهُ، إِلا صِغَرُ نَظِيرِهَا مِنْهُمْ عِنْدَهُمْ، إِنَّ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَى فِي رُوعِهِمْ، وَخُلِقَ عَلَى مَعْرِفَةِ قُلُوبِهِمْ، فَمَا وَصَفَ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَسَمَّاهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سَمَّيْنَاهُ كَمَا سَمَّاهُ، وَلَمْ نَتَكَلَّفْ مِنْهُ صِفَةَ مَا سِوَاهُ -لَا هَذَا وَلا هَذَا-، وَلَا نَجْحَدُ مَا وَصَفَ، وَلا نَتَكَلَّفُ مَعْرِفَةَ مَا لَمْ يَصِفْ.**

الشَّرح

قوله: (قَالَ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾)، فسمى نفسه بالسميع والبصير، وهما اسمان يدلان على صفتي السمع والبصر، والخلق فيهم سمع وبصر؛ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢]، الخلق سميع بصير، والله سميع بصير، لكن مع الفرق بين سمع الخالق وسمع المخلوق، وبصر الخالق وبصر المخلوق.

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨])، يقول الله تعالى لنبيه لما آذاه المشركون وضايقوه، قال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، يعني: بمرأى منا، هذا فيه إثبات العين لله عَزَّ وَجَلَّ، وإثبات الرؤية لله، وجمعها ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾؛ لأن الضمير جاء مجموعا، ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ (نا) هذا ضمير جمع،

والمراد به هنا المعظم لنفسه هو واحد سبحانه، وجاء بضمير الجمع للتعظيم، يسمّى ضمير العظمة، وجمع الأعين لأجل تتناسب مع المضاف إليه، فالمضاف إذا كان مضافا إلى مفرد، أفرد، وإذا أضيف إلى مجموع، جمع، أو مثنى، يثنى؛ لأجل أن يتناسب المضاف والمضاف إليه.

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩]) بالإفراد، يقول لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، يعني: ولتربى وتنشأ على عيني؛ لأن الله اعتنى بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من صغره، وحفظه من بطش فرعون؛ لأن فرعون كان يقتل المواليد، فلما ولد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، خافت أمه عليه، فأوحى الله إليها -يعني: ألهمها- أن تضعه في تابوت -يعني: في صندوق-، وأن ترسله مع النهر، مع اليم؛ ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ﴾ [القصص:٧]، فذهب به الماء إلى بيت فرعون عدوه اللدود الذي يتلمس الأولاد ليقتلهم، فلما فتحوا الصندوق، وجدوا فيه هذا الطفل، فأحبته امرأة فرعون، من حين ما رأته وقع حبه في قلبها؛ ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص:٩]، فترك قتله، وسلم من القتل، ثم إن الله منعه من الرضاع من النساء، من أجل ماذا؟ من أجل أن يرجع إلى أمه؛ ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص:١٢] صار ما يقبل ثدي امرأة، فجاءت أخت موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تتحسّس، وهم ما عرفوها أنها أخته، ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ۝١٢ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾ [القصص:١٢]، فصارت ترضع ابنها، وتأخذ الأجرة، وتقر عينها بذلك، هذا وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن الله قال لها: ﴿وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧]، فرده الله إليها وأرضعته، ثم لما فطمته، تربى في بيت فرعون وقصوره ونعيمه وأبهته،

وصار يلبس ملابسه، ويركب مراكبه، وهو عدو له، لكن الله جَلَّ وَعَلَا لطيف خبير، إلى أن بلغ أشده واستوى، وحصلت القصة التي قتل فيها القبطي، وهرب من أرض مصر إلى أرض مدين، ونجا من العدو، ورعى الغنم في أرض مدين عشر سنين، وتزوج منهم، ثم رجع إلى مصر، وفي الطريق اختاره الله رسولا، وكلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأرسله إلى فرعون، هذا ملخص قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولهذا قال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، وقال: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ﴾، اختاره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيه إثبات العين لله عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، أي: بمرأى مني، فالله يراه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ يراه في نشأته، ويراه لما أرسله إلى فرعون؛ ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، ففيه إثبات الرؤيا لله عَزَّوَجَلَّ، وإثبات العين لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بجلاله، لكن تضيق عن هذه الآيات وهذه النصوص قلوب الجهمية والمعتزلة وأهل الضلال، أما أهل الإيمان، فتنشرح صدورهم لذلك.

قوله: (وَقَالَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾)، قال الله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خلقه الله بيديه الكريمتين الجليلتين، أما غيره من الخلق، فإن الله يخلقهم بالأمر؛ يقول للشيء: (كن)، فيكون، أما آدم، فإن الله خلقه بيده؛ إكرامًا له، وأسجد له ملائكته، إلا إبليس، فإنه حسد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فحقت عليه اللعنة، فأنكر الله عليه، ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥]، الشاهد منه إثبات اليدين لله عَزَّوَجَلَّ من صفاته الذاتية، وهما يدان لائقتان بالله عَزَّوَجَلَّ، ليستا كيدي المخلوق.

هذا كله من ابن الماجشون يرد به على المعطلة، ويذكر أمثلة من نصوص الصفات.

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧])، هذا فيه إثبات القبضة لله عَزَّوَجَلَّ، وأنه يقبض الأرض يطويها يوم القيامة، ويقبضها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيده، ويقبض السماوات باليد الأخرى، وهي اليمين،﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، ففيه إثبات اليدين لله عَزَّوَجَلَّ، وإثبات اليمين، كلتا يديه يمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، جاء وصف اليدين بالشمال واليمين، وشمال الله جَلَّ وَعَلَا يمين.

قوله: (فَوَاللهِ مَا دَلَّهُمْ عَلَى عِظَمِ مَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ، وَمَا تُحِيطُ بِهِ قَبْضَتُهُ إِلا صِغَرُ نَظِيرِهَا مِنْهُمْ عِنْدَهُمْ، إِنَّ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَى فِي رُوعِهِمْ)، ولذلك جاء في الحديث: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ فِي يَدِ اللهِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»[1]، الخردلة: أصغر شيء في كف أحدكم، هذا من باب التقريب والتمثيل الذي يتضح به المعنى، المخلوقات الهائلة العظيمة؛ السماوات ومن فيهن والأرض ومن فيهن في كف الرحمن كالخردلة في يد أحدنا، هذا يدل على عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلى عظمة يديه، ما هي مثل يدي المخلوق صغيرتان، لا، يداه سبحانه لائقتان به وبعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يعلمها إلا الله.

(نَظِيرِهَا)، وهي الخردلة في كف أحدنا، ماذا تكون الخردلة في الكف؟ ما لها نسبة.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٥٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله: (**وَخُلِقَ عَلَى مَعْرِفَةِ قُلُوبِهِمْ، فَمَا وَصَفَ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ فَسَمَّاهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سَمَّيْنَاهُ كَمَا سَمَّاهُ**)، هذه القاعدة: أنّنا نسمي الله بأسمائه التي سمى بها نفسه، أو سماه بها رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا نتجاوز القرآن والحديث، ولا نتكلف شيئا لم ينزل من الله جَلَّ وَعَلَا، ولامن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نحن متبعون لما في الكتاب والسنة، ولا نتكلف ونقول: (يلزم من كذا كذا)؛ كما تقوله المعطلة، بل نقول: هذا يليق بالله جَلَّ وَعَلَا، ولا يلزم ما تقولون؛ لأننا لا نحيط بالله علمًا، ولا نعلم كيفية أسمائه وصفاته، لا يعلمها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (**وَلَمْ نَتَكَلَّفْ مِنْهُ صِفَةَ مَا سِوَاهُ -لَا هَذَا وَلا هَذَا-، وَلَا نَجْحَدُ مَا وَصَفَ، وَلا نَتَكَلَّفُ مَعْرِفَةَ مَا لَمْ يَصِفْ**)، نتوقف، ما سكت الله عنه وسكت عنه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نتوقف عنه، ونسكت، وما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله، نؤمن به ونثبته، ولا يشكل علينا أبدًا، ولا نتساءل: يلزم من كذا كذا، ويلزم من كذا كذا؟!



اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ الْعِصْمَةَ فِي الدِّينِ أَنْ تَنْتَهِيَ فِي الدِّينِ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ، وَلَا تُجَاوِزْ مَا قَدْ حَدَّ لَكَ؛ فَإِنَّ مِنْ قِوَامِ الدِّينِ مَعْرِفَةَ الْمَعْرُوفِ وَإِنْكَارَ الْمُنْكَرِ، فَمَا بُسِطَتْ عَلَيْهِ الْمَعْرِفَةُ وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ الْأَفْئِدَةُ وَذُكِرَ أَصْلُهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَتَوَارَثَتْ عِلْمَهُ الْأُمَّةُ، فَلَا تَخَافَنَّ فِي ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ مِنْ رَبِّكَ مَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ عَيْبًا؛ وَلَا تَتَكَلَّفَنَّ بِمَا وُصِفَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا.

وَمَا أَنْكَرَتْهُ نَفْسُكَ وَلَمْ تَجِدْ ذِكْرَهُ فِي كِتَابِ رَبِّكَ وَلَا فِي حَدِيثٍ عَنْ نَبِيِّكَ -مِنْ ذِكْرِ صِفَةِ رَبِّكَ-، فَلَا تُكَلِّفَنَّ عِلْمَهُ بِعَقْلِكَ؛ وَلَا تَصِفْهُ بِلِسَانِكَ، وَاصْمُتْ عَنْهُ كَمَا صَمَتَ الرَّبُّ عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ تَكَلُّفَكَ مَعْرِفَةَ مَا لَمْ يَصِفْ مِنْ نَفْسِهِ مِثْلُ إِنْكَارِ مَا وَصَفَ مِنْهَا؛ فَكَمَا أَعْظَمْتَ مَا جَحَدَهُ الْجَاحِدُونَ مِمَّا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ، فَكَذَلِكَ أَعْظِمْ تَكَلُّفَ مَا وَصَفَ الْوَاصِفُونَ مِمَّا لَمْ يَصِفْ مِنْهَا.

الشَّرْح

قوله: (اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّ الْعِصْمَةَ فِي الدِّينِ أَنْ تَنْتَهِيَ فِي الدِّينِ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ، وَلا تُجَاوِزْ مَا حُدَّ لَكَ)، هذا كله من كلام ابن الماجشون رَحِمَهُ اللَّهُ، (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ)، (اعلم): هذه كلمة تنبيه؛ اعلم ما أقول لك، تنبه له، ودعا لك، فقال: (رَحِمَكَ اللهُ)، وهكذا شأن المعلم يدعو لطلابه بالهداية والرحمة.

قوله: (أَنَّ الْعِصْمَةَ)، العصمة من الخطأ في الدين هي أن تلتزم ما جاء عن الله ورسوله، ولا تتكلف شيئًا خارجًا عن ذلك، هذه هي العصمة، فالذي يعتصم بالكتاب والسنة هذا يهتدي، والذي يخرج عن الكتاب والسنة هذا يضل.

قوله: (فَإِنَّ مِنْ قِوَامِ الدِّينِ مَعْرِفَةَ الْمَعْرُوفِ، وَإِنْكَارَ الْمُنْكَرِ)، قوام الدين يقوم على هذين الأمرين؛ معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما أثبته الله لنفسه وأثبته له

رسوله، فإننا نثبته ونعرفه ونؤمن به، وننكر ما أحدثه المبتدعة والضلال من الشبه التي يوردونها على هذا الباب، لا نلتفت إليها أبدا.

قوله: (فَمَا بُسِطَتْ عَلَيْهِ المَعْرِفَةُ وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ الأَفْئِدَةُ وَذُكِرَ أَصْلُهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَتَوَارَثَ عِلْمَهُ الأُمَّةُ، فَلا تَخَافَنَّ فِي ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ مِنْ رَبِّكَ مَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ عَيْبًا)، ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله، أثبته ولا يكن في نفسك حرج من ذلك، أو أن تستحيي من ذكره، أو تستخفي عن ذكره، فعليك أن تصرح به، وأن تظهره للناس؛ كما أظهره الله ورسوله، لا تخف في الله لومة لائم، ولهذا لما كان ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يتحدث عن أسماء الله وصفاته «رَأَى رَجُلًا انتَفَضَ لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصِّفَاتِ؛ استِنْكَارًا لِذَلِكَ»، فانتفض الرجل مما سمع من ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من أسماء الله وصفاته مستنكرا ذلك، فقال: «مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟!»، الفرق يعني: الخوف، يستنكر هذا، «مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ؟! يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ!»(١)، هذه صفتهم؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]، فالأسماء والصفات من المحكم، يجب الإيمان بها وإثباتها وعدم الخوف من ذكرها، بل تعلن وتدرس للناس، وتبين لهم؛ لأنها حق، ولا يخاف من ذكرها. فلا تخش في الله لومة لائم في هذا.

قوله: (وَلا تَكَلَّفَنَّ بِمَا وَصَفَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا)، يعني: الكيفية، القدْر: الكيفية.

قوله: (وَمَا أَنْكَرَتْهُ نَفْسُكَ، وَلَمْ تَجِدْ ذِكْرَهُ فِي كِتَابِ رَبِّكَ وَلا فِي الحَدِيثِ عَنْ نَبِيِّكَ ـ مِنْ ذِكْرِ رَبِّكَ ـ فَلا تَتَكَلَّفَنَّ عِلْمَهُ بِعَقْلِكَ، وَلا تَصِفْهُ بِلِسَانِكَ)،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٣٩)، وفي مصنَّفه (١١/ ٤٢٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢١٢).

أنت في راحة وعافية ومكفي أبدا، ما في كتاب الله وسنة رسوله تؤمن به وتثبته، وما لم تجده في كتاب الله ولا في سنة رسوله مما هو يتعلق بالله عَزَّوَجَلَّ، فإنك في عافية منه، لا تدخل فيه.

قوله: (**وَاصْمُتْ عَنْهُ كَمَا صَمَتَ الرَّبُّ عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ**)، الله جَلَّوَعَلَا سكت عن هذا الشيء، وما سكت الله عنه، فاسكت عنه أنت؛ لأنه لو كان فيه خير وفيه منفعة، لبينه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ ولهذا جاء في الحديث: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلا تَعْتَدُوهَا وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلا تَبْحَثُوا عَنْهَا**»(١).

قوله: (**فَإِنَّ تَكَلُّفَكَ مَعْرِفَةَ مَا لَمْ يَصِفْ مِنْ نَفْسِهِ كَإِنْكَارِكَ مَا وَصَفَ مِنْهَا**)، هذا مثل ما سبق؛ أن الإنسان يمسك، ولا ينسب إلى الله شيئًا لم يثبت في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، وليس هو منهج السلف الصالح الذين هم أعلم الخلق بما يليق بالله، فلا نكلّف أنفسنا، ونحدث عبارات أو كلمات في حق الله أو أسماء وصفات لم ترد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، ولم يقل بها سلف هذه الأمة والأئمة.

قوله: (**فَكَمَا أَعْظَمْتَ مَا جَحَدَ الْجَاحِدُونَ مِمَّا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ، فَكَذَلِكَ أَعْظِمْ تَكَلُّفَ مَا وَصَفَ الْوَاصِفُونَ مِمَّا لَمْ يَصِفْ مِنْهَا**)، كما أنك أنكرت على المعطلة لتعطيلهم للأسماء والصفات؛ لأنهم خالفوا كتاب الله وسنة رسوله، كذلك عليك بإنكار ما تكلفه المتكلفون من إحداث شيء لم يرد في الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٤/ ١٨٣، ١٨٤)، والطبراني في الكبير (٥٨٩) وفي مسند الشاميين (٤/٣٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٩/ ١٧)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٢٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٢) من حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وحسنه النووي في الأربعين.

فَقَدْ -وَاللهِ- عَزَّ المُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ المَعْرُوفَ وَبِمَعْرِفَتِهِمْ يُعْرَفُ، وَيُنْكِرُونَ المُنْكَرَ وَبِإِنْكَارِهِمْ يُنْكَرُ، يَسْمَعُونَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا فِي كِتَابِهِ، وَمَا يَبْلُغُهُمْ مِثْلُهُ عَنْ نَبِيِّهِ، فَمَا مَرِضَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا وَتَسْمِيَتِهِ قَلْبُ مُسْلِمٍ، وَلا تَكَلَّفَ صِفَةَ قَدْرِهِ وَلا تَسْمِيَةَ غَيْرِهِ مِنَ الرَّبِّ مُؤْمِنٌ.

وَمَا ذُكِرَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ سَمَّاهُ مِنْ صِفَةِ رَبِّهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَا سَمَّى وَمَا وَصَفَ الرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ.

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ -الْوَاقِفُونَ حَيْثُ انْتَهَى عِلْمُهُمْ، الْوَاصِفُونَ لِرَبِّهِمْ بِمَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ، التَّارِكُونَ لِمَا تَرَكَ مِنْ ذِكْرِهَا- لا يُنْكِرُونَ صِفَةَ مَا سَمَّى مِنْهَا جَحْدًا، وَلا يَتَكَلَّفُونَ وَصْفَهُ بِمَا لَمْ يُسَمِّ تَعَمُّقًا؛ لأَنَّ الْحَقَّ تَرْكُ مَا تَرَكَ وَتَسْمِيَةُ مَا سَمَّى، وَمَنْ يَتَّبِعْ ﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، **وَهَبَ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ حُكْمًا وَأَلْحَقَنَا بِالصَّالِحِينَ). اهـ**(١).

وَهَذَا كُلُّهُ كَلامُ ابْنِ المَاجِشُونِ الإِمَامِ، فَتَدَبَّرْهُ، وَانْظُرْ كَيْفَ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ وَنَفَى عِلْمَ الْكَيْفِيَّةِ؛ مُوَافَقَةً لِغَيْرِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ، وَكَيْفَ أَنْكَرَ عَلَى مَنْ نَفَى الصِّفَاتِ بِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِهَا كَذَا وَكَذَا؛ كَمَا تَقُولُهُ الْجَهْمِيَّةُ: أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا، فَيَكُونُ مُحْدَثًا.

الشَّرح

قوله: (فَقَدَ -وَاللهِ- عَزَّ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ المَعْرُوفَ وَبِمَعْرِفَتِهِمْ يُعْرَفُ)، (عزَّ) يعني: قل المسلمون الذين يتميزون بهذه الصفات، وجاء ضدهم

---

(١) رسالة ابن الماجشون أخرجها بتمامها ابن بطة في الإبانة (٣/ ٦٣- ٦٩).



كثرة من أهل الضلال، كلما تأخر الوقت، يكثر أهل الضلال، ويقل أهل المعرفة بالله والعلم بالله، ويفشو الجهل في آخر الزمان. هذا في وقت ابن الماجشون.

قوله: (وَيُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ وَبِإِنْكَارِهِمْ يُنْكَرُ، يَسْمَعُونَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ هَذَا فِي كِتَابِهِ، وَمَا يَبْلُغُهُمْ مِثْلُهُ عَنْ نَبِيِّهِ، فَمَا مَرِضَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا وَتَسْمِيَتِهِ قَلْبُ مُسْلِمٍ)، قلب المسلم يزداد يقينًا بأسماء الله وصفاته، ولا ينكرها، وإنما ينكرها الذين في قلوبهم مرض وزيغ -والعياذ بالله.

قوله: (وَلا تَكَلَّفَ صِفَةَ قَدْرِهِ وَلا تَسْمِيَةَ غَيْرِهِ مِنَ الرَّبِّ مُؤْمِنٌ. وَمَا ذُكِرَ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَمَّاهُ مِنْ صِفَةِ رَبِّهِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَا سَمَّى وَمَا وَصَفَ الرَّبُّ مِنْ نَفْسِهِ)، أحاديث الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأسماء والصفات إذا صحت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسانيد صحيحة، فهي مثل ما في القرآن؛ لأن السنة وحي من الله، والرسول مبلغ عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾، فهذا فيه رد على الذين يقولون: (إن أحاديث الآحاد لا يحتج بها في العقائد، ولا يثبت بها أسماء ولا صفات)، هذا رد عليهم أن كل ما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أسماء الله وصفاته وجب الإيمان به؛ لأنه كلام من لا ينطق عن الهوى، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾، وكلام من قال الله فيه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧]، فلا فرق بين الكتاب والسنة من ناحية أن ما فيهما حق على حقيقته، يجب الإيمان به.

قوله: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ -الْوَاقِفُونَ حَيْثُ انْتَهَى عِلْمُهُمْ، الْوَاصِفُونَ لِرَبِّهِمْ بِمَا وَصَفَ مِنْ نَفْسِهِ)، الراسخون في العلم يعني: الذين لهم سبق في العلم وثبات، ليسوا مزعزعين، الراسخ هو الذي لا يتزعزع، وإنما هو ثابت على الحق؛

مهما كلفه ذلك من لوم الناس أو أذى الناس، فإنه لا يتزعزع عن الحق قيد شعرة، أليست الدنيا في عهد الإمام أحمد كلها أطبقت على القول بخلق القرآن إلا من رحم الله من أهل العلم، والخليفة معهم، والسلاطين معهم؟

وبقي الإمام أحمد وحده ما تزعزع قيد شعرة، ضُرب وسُجن وعُذّب وحُمل إلى المأمون ليقتله، وما تنازل عن شيء، هؤلاء هم الراسخون في العلم، خلاف المزعزع الذي عند أدنى عاصفة وعند أدنى شدة يتغير حاله.

قوله: (التَّارِكُونَ لِمَا تَرَكَ مِنْ ذِكْرِهَا- لَا يُنْكِرُونَ صِفَةَ مَا سَمَّى مِنْهَا جَحْدًا، وَلا يَتَكَلَّفُونَ وَصْفَهُ بِمَا لَمْ يُسَمِّ تَعَمُّقًا)، التعمق هو التكلف، ما يتكلفون شيئًا لم يؤمروا به ولم ينزل في كتاب الله وسنة رسوله، ولا يجحدون شيئًا مما في كتاب الله وسنة رسوله، ولا يكون في أنفسهم حرج منه أبدًا.

قوله: (لأَنَّ الحَقَّ تَرْكُ مَا تَرَكَ وَتَسْمِيَةُ مَا سَمَّى)، هذا هو الحق، وهذا هو القاعدة العظيمة التي يسير عليها أهل السنة الجماعة، وهي مأخوذة من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فأثبت لنفسه السمع والبصر، ونفى عن نفسه مشابهة المخلوقين ومماثلة المخلوقين.

قوله: (وَمَنْ يَتَّبِعْ ﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥])، من خالف هذا، فإنه متوعد بهذا الوعيد؛ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾، فدَلَّ على أنه يجب على المؤمن أن يتمسك بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، لا يشذ ويشاقق، ويكون في ناحية غير

ناحية المؤمنين، ويتبع غير سبيل المؤمنين، فهذا فيه النهي عن التفرق والاختلاف والانشقاق على كلام الله وكلام الرسول، والانشقاق عن جماعة المسلمين.

قوله: (**وَهَبَ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ حُكْمًا وَأَلْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ. وَهَذَا كُلُّهُ كَلَامُ ابْنِ الْمَاجِشُونِ الإِمَامِ**)، كل هذا الكلام قطعة من كلام ابن الماجشون في رسالته التي أرسلها إلى صاحبه الذي سأله.

قوله: (**وَانْظُرْ كَيْفَ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ وَنَفَى عِلْمَ الْكَيْفِيَّةِ مُوَافَقَةً لِغَيْرِهِ مِنَ الأَئِمَّةِ**)، هذا تعليق من شيخ الإسلام على كلام ابن الماجشون، يقول: (**فَتَدَبَّرْهُ**)؛ تدبر كلام ابن الماجشون وتأمل فيه.

هذه القاعدة: أثبت الصفات، ونفى علم الكيفية، هذا معنى كلام ابن الماجشون رَحِمَهُ اللَّهُ.

والأئمة كلهم على هذا، كلهم على هذا؛ أنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه، وينفون عن الله ما نفاه الله عن نفسه، ولا يتكلفون زيادة على ذلك.

قوله: (**وَكَيْفَ أَنْكَرَ عَلَى مَنْ نَفَى الصِّفَاتِ بِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِهَا كَذَا وَكَذَا؛ كَمَا تَقُولُهُ الجَهْمِيَّةُ: أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا، فَيَكُونُ مُحْدَثًا**)، يعني: لو أثبتنا لله الصفات، يلزم أن يكون الله جسمًا، أو يكون عرضًا، وهذه ألفاظ محدثة ما أنزل الله بها من سلطان، ولوازم باطلة جاءوا بها من عند أنفسهم؛ الأجسام محدثة، يلزم من إثبات الصفات أن الله جسم والأجسام محدثة، هكذا يقولون.



وَفِي كِتَابِ «الْفِقْهِ الأَكْبَرِ»[(١)] الْمَشْهُورِ عِنْدَ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ[(٢)]، الَّذِي رَوَوْهُ بِالإِسْنَادِ عَنْ أَبِي مُطِيعٍ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَلْخِيِّ[(٣)] قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عَنِ الْفِقْهِ الأَكْبَرِ، فَقَالَ: لا تُكَفِّرَنَّ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَلا تَنْفِ أَحَدًا بِهِ مِنَ الإِيمَانِ، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلا تَتَبَرَّأْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلا تُوَالِ أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ، وَأَنْ تَرُدَّ أَمْرَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) كتاب «الفقه الأكبر» لأبي حنيفة النعمان، طُبع عدة طبعات، وعليه عدة شروح، منها: «شرح الفقه الأكبر» للماتريدي، و«منح الروض الأزهر» للملا علي القاري الحنفي، وغير ذلك.
وكتاب «الفقه الأكبر» له روايتان عن أبي حنيفة:
إحداهما: رواية حماد بن أبي حنيفة، والثانية: رواية أبي مطيع البلخي.
وكلا الروايتين لا تخلو من مقال من ناحية السند، فمن العلماء من ينفي نسبة الكتاب لأبي حنيفة؛ كالذهبي، وابن أيبك الصفدي، ومنهم من ينسبه إليه مطلقًا؛ كشيخ الإسلام، وابن أبي العز الحنفي، وغيرهما، ولعل أصل الكتاب من أمالي أبي حنيفة جمعها أبو مطيع البلخي. انظر: الفهرست (ص٢٨٤)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٧٠)، والعبر للذهبي (١/ ٣٣٠)، وكشف الظنون (٢/ ١٢٨٧).

(٢) هو فقيه أهل العراق وإمام أصحاب الرأي، أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي الكوفي مولى بني تيم الله بن ثعلبه، يقال إنه من أبناء الفرس، ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لما قدم عليهم الكوفة. انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣٢٣)، ووفيات الأعيان (٥/ ٤٠٥)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠)، وطبقات الحفاظ (ص٨٠).

(٣) هو الحكم بن عبد الله بن مسلمة بن عبد الرحمن أبو مطيع البلخي، تفقه بأبي حنيفة، وولي قضاء بلخ، وكان بصيرًا بالرأي، وقيل كان من رؤوس المرجئة، قال ابن معين: (هو ضعيف)، وقال أبو داود: (تركوا حديثة لأنه كان جهميًّا)، توفي سنة تسع وتسعين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٧٤)، وتاريخ بغداد (٨/ ٢٢٣)، والوافي بالوفيات (١٣/ ٧١)، والأنساب (٣/ ٣٨)، وطبقات الحنفية (ص٢٦٥).

الشَّرح

قوله: (وَفِي كِتَابِ «الْفِقْهِ الأَكْبَرِ» المَشْهُورُ عِنْدَ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ)، من جملة النقول التي نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية عن الأئمة هذا النقل عن الإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو أقدم الأئمة الأربعة، وهو أخذ عن التابعين، وقيل: إنه أخذ عن بعض الصحابة، ولكن الراجح والمشهور أنه من أتباع التابعين، هذا الإمام نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية من كتاب يروى عنه، وهو كتاب الفقه الأكبر، رسالة مشهورة عند الحنفية، وعليها شروح لهم، وهو كتاب ثابت عندهم عن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يروونه عنه، والفقه الأكبر معناه: التوحيد؛ لأن الفقه على قسمين:

* القسم الأول من الفقه الأكبر: وهو فقه التوحيد والعقيدة.
* القسم الثاني: فقه المعاملات والعبادات، وهو الفقه المعروف.

والنوع الأول من الفقه يعتمد على النقل من الكتاب والسنة، وعن السلف.

وأما الفقه الثاني -وهو فقه العبادات والمعاملات-، فهو يعتمد على الاجتهاد والاستنباط من الأدلة، والفقه الأكبر لا يعذر أحد بجهله؛ لأنه فقه العقيدة وفقه التوحيد، وتعلمه فرض عين على كل مسلم، وهذا الكتاب الصغير الفقه الأكبر جاءت فيه مسائل عظيمة، نقلها الشيخ في هذه الرسالة من جملة ما نقل عن الأئمة في هذا الباب باب الأسماء والصفات.

قوله: (الَّذِي رَوَوْهُ بِالإِسْنَادِ عَنْ أَبِي مُطِيعٍ الحَكَمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَلْخِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عَنِ الْفِقْهِ الأَكْبَرِ فَقَالَ: لَا تُكَفِّرَنَّ أَحَدًا بِذَنْبٍ)، هذه المسألة

الأولى: أنه لا يكفر أحد بذنب ما لم يستحله، وهذا رد على الخوارج الذين يكفرون بالكبائر، فالكبائر التي دون الشرك لا تقتضي الكفر، وإنما تقتضي نقص الإيمان، ومرتكب الكبيرة يعتبر مؤمنا ناقص الإيمان، أو مؤمنا بإيمانه فاسقا بكبيرته، ولا يحكم عليه بالكفر؛ خلاف الخوارج الذين يكفرون بالكبائر، والمرجئة على النقيض لا يكفرون بشيء، ويتساهلون في هذا الباب، ويقولون: (لا يضر مع الإيمان معصية)، فالمرجئة يتساهلون في أمور الكبائر، ويرون أنها لا تنقص الإيمان، وأن صاحبها كامل الإيمان، والخوارج والمعتزلة على النقيض؛ يكفرون مرتكب الكبيرة، لكن الخوارج يحكمون عليه بالكفر، والمعتزلة يحكمون عليه بالخروج عن الإسلام، ولا يدخلونه في الكفر، ويقولون: (هو في المنزلة بين المنزلتين بين الكفر والإيمان)، أما أهل السنة الجماعة، فيتوسطون، ويقولون: (الكبائر تضر صاحبها، وتنقص إيمانه -لا كما تقوله المرجئة-، ولكنها لا تقتضي كفر صاحبها -كما تقوله الخوارج والمعتزلة-، وإنما تقضي أنها تنقص الإيمان، حتى ربما لا يبقى مع صاحبها إلا إيمان ضعيف، لكنه لا يخرج بها من الإيمان)، وهذا هو القول الوسط الذي يجمع بين الأدلة، وهذا ما صرح به الإمام أبو حنيفة في هذه الرسالة، قال: (لَا تُكَفِّرَنَّ أَحَدًا بِذَنْبٍ)، هذا رد على الخوارج والمعتزلة، ولكن ليس معنى ذلك أن المعصية لا تضره أو الذنب لا يضره، بل هو ينقص إيمانه؛ لا كما تقوله المرجئة.

قوله: (**وَلا تَنْفِ أَحَدًا بِهِ مِن الإِيمَانِ، وَتَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ**)، هذه المسألة الثانية: مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف: هو كل ما أمر الله تعالى به أو أمر به رسوله، والمنكر: هو كل ما نهى الله عنه أو نهى عنه رسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بحسب استطاعته، قال ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِلِسَانِهِ،**

فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(١)، لابد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولو بالقلب، أما الذي لا ينكر المنكر، هذا ليس بمؤمن، ولكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له ضوابط، وله درجات، وهو بحسب الاستطاعة، لاكما يقوله المعتزلة: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندهم معناه الخروج على ولي الأمر، أمّا أهل السنة والجماعة، فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لكن يقولون بالسمع والطاعة لولاة الأمور.

قوله: (**وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**)، وهذا رد على القدرية، وهم الذين ينفون القدر، وهم المعتزلة، الذين يقولون: (إن العباد يفعلون أفعالهم وأعمالهم بقدرتهم واختيارهم، دون أن يكون لله جَلَّوَعَلَا تقدير لها ومشيئة لها، وإنما هم يستقلون بها)، وهم على طرف نقيض مع الجبرية، الذين يغلون في إثبات القدر، ويقولون: (إن العبد مجبور على أفعاله يفعلها بغير اختياره)، والمعتزلة يقولون: (العبد مستقل بفعله، وليس لله تقدير في أفعاله، وإنما هو الذي يخلقها ويفعلها)، فهم على طرفي نقيض، وأهل السنة والجماعة في الوسط، يقولون: (العبد له مشيئة، وله قدرة، وله اختيار، ولكنه لا يخرج عن قضاء الله وقدره)؛ كما جاءت بذلك الأدلة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، فأثبت للعبد مشيئة؛ بخلاف الجبرية الذين يقولون: (العبد ليس له مشيئة، إنما هو مجبر)، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ هذا رد على القدرية، الذين ينفون القدر، ويقولون: (إن العبد يستقل بأفعاله)، فالآية ترد على الطرفين، وهي دليل على مذهب أهل السنة؛ أن العبد له مشيئة،

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والله جَلَّوَعَلَا له مشيئة، ومشية العبد تابعة لمشيئة الله سبحانه؛ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

فالإمام أبو حنيفة يرد على هؤلاء؛ (وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ)؛ لأنه بقضاء الله وقدره.

قوله: (وَلا تَتَبَرَّأْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، وهذا رد على الشيعة وعلى الخوارج -أيضًا-، رد على الشيعة وعلى الخوارج الذين يتبرؤون من أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ويكفرونهم، الشيعة يكفرون الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، إلا أهل البيت، إلا علي وأولاده من الأئمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومن عداهم، فهو كافر، هذا عند الشيعة.

الخوارج يكفرون الجميع، أول ما يبدؤون بعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويكفرون الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فهذا مذهب طائفتين خبيثتين في الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

أهل السنة والجماعة يتولون الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ويحبونهم، ويقتدون بهم، ولايتبرؤون من أحد منهم، بل كل صحابة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هم سلف الأمة ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١٨]، وقال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(١)، والأدلة في هذا كثيرة.

فمن أصول العقيدة: محبة أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وموالاتهم والاقتداء بهم جميعا، وأنهم خير القرون وخير الأمة، هم خير الأمة، خير قرون

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، مسلم (٢٢٢) (٢٥٤١)، من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الأمة بشهادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)، هذا مذهب أهل السنة والجماعة مع صحابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (وَلا تُوَالِ أحدًا دُونَ أَحَدٍ)، ولا توال أحدا من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ دون أحد؛ كما تفعله الشيعة الجعفرية الذين يتولون عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وبنيه فقط، ويبغضون غيرهم من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (وَأَنْ تَرُدَّ أَمْرَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ)، أمر عثمان وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فيه مسألتان:

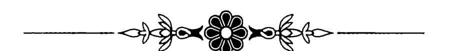
المسألة الأولى: مسألة الخلافة، الأمة مجمعة على أن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو الخليفة بعد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، هو الخليفة الثالث، وأن عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هو الخليفة الرابع، هذا بالإجماع، بإجماع الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فمن خالف فيه، فهو ضال؛ لأن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعوا على مبايعة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ واختيار عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، هذه مسألة لا خلاف فيها.

المسألة الثانية: مسألة التفضيل؛ أيهما أفضل علي أو عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؟ هذه فيها خلاف، بعضهم يفضل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وبعضهم يفضل عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولكن لا يضلل من فضل عليًّا على عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بخلاف الخلافة؛ فإنه يضلل من جعل الخلافة لعلي بدل عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، هذا يضلل، وهو مخالف للإجماع، أما مسألة التفضيل، وإن كان الراجح أن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل، لكن الذي يقول: (إن عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أفضل) لا يضلل في هذا. مسألة التفضيل أخف من مسألة الخلافة،

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٢).

والصواب: أن عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنده فضائل ليست عند علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنده فضائل ليست عند عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكل واحد منهما له فضائل، هذا في التفضيل، وكلام أبي حنيفة أن تتوقف في مسألة أيهما أفضل عثمان أم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؟ السلامة أنّك تتوقّف، هذا رأي أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: الْفِقْهُ الأَكْبَرُ فِي الدِّينِ خَيْرٌ مِنَ الْفِقْهِ فِي الْعِلْمِ، وَلأَنْ يَفْقَهَ الرَّجُلُ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجْمَعَ الْعِلْمَ الْكَثِيرَ. اهـ.

قَالَ أَبُو مُطِيعٍ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَفْضَلِ الْفِقْهِ. قَالَ: تَعَلُّمُ الرَّجُلِ الإِيمَانَ وَالشَّرَائِعَ وَالسُّنَنَ وَالْحُدُودَ وَاخْتِلافَ الأَئِمَّةِ. وَذَكَرَ مَسَائِلَ الإِيمَانِ، ثُمَّ ذَكَرَ مَسَائِلَ الْقَدَرِ، وَالرَّدَّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ بِكَلامٍ حَسَنٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ.

ثُمَّ قَالَ: قُلْت: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَتَّبِعُهُ عَلَى ذَلِكَ أُنَاسٌ، فَيَخْرُجُ عَلَى الْجَمَاعَةِ؟ هَلْ تَرَى ذَلِكَ؟ قَالَ: لا. قُلْتُ: وَلِمَ وَقَدْ أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهُوَ فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ؟ قَالَ: كَذَلِكَ، وَلَكِنْ مَا يُفْسِدُونَ أَكْثَرُ مَا يُصْلِحُونَ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَاسْتِحْلالِ الْحَرَامِ.

قَالَ: وَذَكَرَ الْكَلامَ فِي قِتَالِ الْخَوَارِجِ وَالْبُغَاةِ إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ عَمَّنْ قَالَ: «لا أَعْرِفُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الأَرْضِ؟» فَقَدْ كَفَرَ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

قُلْت: فَإِنْ قَالَ: «إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»، وَلَكِنَّهُ يَقُولُ: «لا أَدْرِي، الْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الأَرْضِ»؟ قَالَ: هُوَ كَافِرٌ؛ لأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ فِي السَّمَاءِ؛ لأَنَّهُ تَعَالَى فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لا مِنْ أَسْفَلَ.

وَفِي لَفْظٍ: سَأَلْتُ أَبَا حَنِيفَةَ عَمَّنْ يَقُولُ: «لا أَعْرِفُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الأَرْضِ». قَالَ: قَدْ كَفَرَ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾،

وَلَكِنْ لَا يَدْرِي الْعَرْشَ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ، قَالَ: إِذَا أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، فَقَدْ كَفَرَ(١).

الشَّرح

قوله: (**قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: الْفِقْهُ الأَكْبَرُ فِي الدِّينِ خَيْرٌ مِنَ الْفِقْهِ فِي الْعِلْمِ، وَلأَنْ يَفْقَهَ الرَّجُلُ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجْمَعَ الْعِلْمَ الْكَثِيرَ**)، الفقه الأكبر في العقيدة والتوحيد خير من الفقه الأكبر في مسائل العبادات والمعاملات؛ لأنه هو الأصل وهو الأساس.

ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه على الوجه المطلوب خالصا لوجه الله سليما من البدع والمحدثات خير له من أن يتبحر في مسائل الفقه والمواريث والمعاملات والجنايات، هذا ما فيه شك؛ الفقه يتفاضل، بعضه أفضل من بعض، بل إن منه ما هو فرض عين على كل مسلم، وهو ما لا يستقيم الدين إلا به؛ بالصلاة والزكاة والصيام والحج. وأما المعاملات والمواريث والأنكحة والجنايات، فهذه الأمة بحاجة إليها بلا شك، الأمة بحاجة إليها، ولكن فقه العبادات أهم من فقه المعاملات، وفقه العبادات واجب على الأعيان، فقه المعاملات هذا واجب على الكفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم على الباقين، فيجب أن نعرف هذا؛ أن العلم يتفاضل، بعضه أفضل من بعض.

فأولًا: فقه العقيدة.

ثانيًا: فقه العبادات.

---

(١) انظر: الفقه الأكبر (١٣٥) برواية أبي مطيع البلخي، وشرح الفقه الأكبر للماتريدي (ص٢-١٧)، وذكر ابن قدامه بعضه في إثبات صفة العلو (ص١١٦)، والذهبي في العلو (ص١٣٤).

ثالثًا: فقه المعاملات.

لأنه إذا فقه كيف يعبد ربه، عَبَدَ الله على بصيرة، أما إذا عَبَدَ اللهَ من غير فقه، فهذا يكون ضلالا، يعبد الله على جهل وضلال -كفعل النصارى-، فالفقه لابد منه، الفقه في دين الله لابد منه، والفقه معناه: الفهم، ليس معناه الحفظ، حفظ النصوص، الحفظ هذا وسيلة للفهم، لا يقتصر عليه؛ لأن بعض الناس يظن أنه إذا حفظ القرآن وحفظ الأحاديث وحفظ أقوال العلماء أنه يصبح عالمًا، لا هذا ليس بعالم، العالم هو الفقيه الذي يفهم الأحكام الشرعية، وينزلها على منازلها، هذا هو العالم، أما الذي يحفظ ولا يفقه، فهذا إنما هو بمثابة الكتاب الذي يدون فيه الأحاديث والمسائل، هذا مثل الكتاب سواء، ما له ميزة هذا، ولو سئل عن مسألة، لما استطاع أن يجيب الجواب الصحيح، وإن كان يحفظ المئات من الأحاديث، ما يستطيع أن يجيب عن المسألة والنازلة إذا نزلت؛ لأنه ليس بفقيه يجب أن يُعرف هذا.

قوله: (**قَالَ أَبُو مُطِيعٍ الحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ أَفْضَلِ الْفِقْهِ قَالَ: تَعَلُّمُ الرَّجُلِ الإِيمَانَ وَالشَّرَائِعَ وَالسُّنَنَ، وَالْحُدُودَ، وَاخْتِلافَ الأَئِمَّةِ. وَذَكَرَ مَسَائِلَ الإِيمَانِ**)، هذا مجمل ما سبق، أفضل الفقه معرفة العبد لربه بأسمائه وصفاته، ومعرفة العبد كيف يعبد ربه على الوجه المشروع، معرفة العبد بأحكام الحلال والحرام، هذا هو الفقه.

قوله: (**ثُمَّ ذَكَرَ مَسَائِلَ الْقَدَرِ، وَالرَّدَّ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ بِكَلامٍ حَسَنٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُهُ**)، موجود في الرسالة، رسالة الفقه الأكبر.

قوله: (**ثُمَّ قَالَ: قُلْت: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيَتَّبِعُهُ عَلَى ذَلِكَ أُنَاسٌ، فَيَخْرُجُ عَلَى الجَمَاعَةِ؟ هَلْ تَرَى ذَلِكَ؟**)، هذا فقه الخوارج

والمعتزلة، يخرجون على جماعة المسلمين وعلى إمام المسلمين بحجة أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وهذا يترتب عليه من المفاسد وسفك الدماء وتفريق الكلمة ما لا يعلمه إلا الله، فلا يجوز الخروج على إمام المسلمين وجماعة المسلمين، وإن كان هناك أخطاء وتقصير لكن الخروج وشق عصا الطاعة وتفريق الكلمة وسفك الدماء أشد من المخالفات التي قد تقع من ولي الأمر أو من بعض الرعية أو من المسؤولين، بحجة أن هذا أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، بل هذا هو المنكر نفسه، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض كلامه: (إن إنكار المنكر قد يكون منكرًا)[(١)]، إنكار المنكر يكون منكرا إذا لم يكن على الطريقة الشرعية، مثل هذه المسألة، هم يشقون عصا الطاعة، ويخرجون على جماعة المسلمين، ويقولون: (نحن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، نحن نجاهد في سبيل الله)، نقول: لا،

---

(١) قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الأمر والنهى وإن كان متضمنًا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له؛ فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورًا به، بل يكون محرمًا إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، ولا اجتهد رأيه لمعرفة الأشباه والنظائر، وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيرًا بها وبدلالتها على الأحكام. وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما؛ بل إما أن يفعلوهما جميعًا أو يتركوهما جميعًا، لم يجز أن يُؤمروا بمعروف ولا أن يُنهوا عن منكر، بل يُنظر؛ فإن كان المعروف أكثر أُمر به وإن استلزم ما هو دونه من المنكر، ولم يُنه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه؛ بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله، والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزوال فعل الحسنات. وإن كان المنكر أغلب نُهي عنه وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف، ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرًا بمنكر وسعيًا في معصية الله ورسوله. وان تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يُؤمر بهما، ولم يُنه عنهما. فتارة يصلح الأمر، وتارة يصلح النهي، وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المنكر والمعروف متلازمين، وذلك في الأمور المعينة الواقعة...).ا.هـ. مجموع الفتاوى (٢٨/ ١٢٩ -١٣١).

هذا جهاد في سبيل الشيطان، وليس جهادا في سبيل الله؛ الجهاد في سبيل الله بجمع الكلمة والسمع والطاعة لولي أمر المسلمين، والجهاد معه تحت رايته، هذا هو الجهاد في سبيل الله، أما الخروج على ولي الأمر وعلى جماعة المسلمين، فهذا هو المنكر نفسه، وهذا يحصل بسببه منكرات أشد من المنكر الذي تظنون أنكم ستزيلونه، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الإسلام، ولكن له ضوابط وله أحكام، لابد من التقيد بها، وإلا كان منكرا أشد من الذي يزعمون أنهم ينكرونه، فهم يأتون بمنكر أشد؛ مثل الخوارج؛ ما ارتكبوا ما ارتكبوه إلا بحجّة أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، خرجوا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكفروه، وكفروا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بحجة أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مقصرون، وأنهم تاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا مذهب الخوارج، ومذهب خوارج كل زمان بحسبه، هم على هذا المذهب، كل من خرج على جماعة المسلمين وإمام المسلمين بحجة إنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهو من الخوارج.

قوله: (**قَالَ: لَا. قُلْتُ: وَلِمَ وَقَدْ أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِالأَمْرِ المَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ؟ قَالَ: كَذَلِكَ، وَلَكِنْ مَا يُفْسِدُونَ أَكْثَرُ مَا يُصْلِحُونَ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَاسْتِحْلالِ الحَرَامِ**)، الإمام أبو حنيفة يقول: لا. هذا الإمام الجليل يقول: لا. إذا بلغ الإنكار إلى هذا الحد، فلا يجوز، هذا يلزم عليه مفاسد أشد، وهذا قول الأئمة كلهم.

(**مَا يُفْسِدُونَ أَكْثَرُ مَا يُصْلِحُونَ**)، يفسدون المجتمع، ويشقون عصا الطاعة، ويسفكون الدماء، وتصبح الأمور فوضى، هذا هو المنكر، هذا أشد من المنكر

الذي أنكروه؛ لأنهم ليس عندهم فقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يفهمون كيف يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

قوله: (قَالَ: وَذَكَرَ الْكَلامَ فِي قِتَالِ الخَوَارِجِ وَالْبُغَاةِ)، الخوارج هم الذين يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم، والبغاة لا يكفّرون، ولكنّهم يشقون عصا الطاعة من غير تكفير، فهم أخف من الخوارج.

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ عَمَّنْ قَالَ: «لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الأَرْضِ»)، هذه المسألة المتعلقة بالرسالة؛ لأن الرسالة في الأسماء والصفات، فهذا هو الشاهد من هذا النقل، وإن كان الذي قبله مسائل عظيمة جدًّا.

هو لا يقول: «ما أعرف ربي»، هو يعرف أنّ له ربًّا، لكن ما يدري أهو في السماء أم في الأرض، هذا كافر؛ لأن الله أخبر أنه في السماء، وأنه مستو على العرش، فالذي يقول: «أنا ما أدري»، هذا منكر للقرآن، فهذا كافر، هذا في الذي يقول: «أنا ما أعرف أين هو»، فهو يكفر، وأشدّ منه الحلولي؛ الذي يقول: (إن الله في كل مكان)، هذا أشد كفرًا من الشاك الذي ما يدري أين الله؛ لأنه يجب على العبد أن يعرف الله عَزَّوَجَلَّ، وأن يثبت لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله، والله أثبت لنفسه أنه في العلو وأنه فوق السماوات وفوق العرش، فالذي يشك أين الله، هذا يكون كافرًا؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين، هذا إذا توقف وشك، فكيف بالذي يعتقد وينفي العلو، وينفي الاستواء على العرش، ويجزم بذلك؟ هذا أشد كفرًا.

قوله: (فَقَدْ كَفَرَ)؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين؛ بأن الله في السماء فوق العرش، فوق مخلوقاته.

قوله: (لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥])؛ انظر لماذا صار كافرًا؟ لأنه مكذب للقرآن.

قوله: (وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، وَلَكِنْ لَا يَدْرِي الْعَرْشَ فِي الأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ، قَالَ: إِذَا أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، فَقَدْ كَفَرَ)؛ كما هو معلوم أن العرش هو أعلى المخلوقات فوق السماوات، والله فوق العرش، إذًا يكون الله جَلَّ وَعَلَا فوق مخلوقاته، فوق المخلوقات في العلو.



فَفِي هَذَا الْكَلامِ المَشْهُورِ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ كَفَّرَ الْوَاقِفَ الَّذِي يَقُولُ: «لا أَعْرِفُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الأَرْضِ»، فَكَيْفَ يَكُونُ الْجَاحِدُ النَّافِي الَّذِي يَقُولُ: «لَيْسَ فِي السَّمَاءِ، أَوْ لَيْسَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ»، وَاحْتَجَّ عَلَى كُفْرِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] قَالَ: وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ.

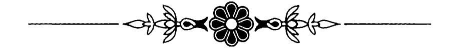
الشَّرح

العرش في السماء، من غير شك، وهو فوق المخلوقات كلها، وهو أعلى المخلوقات، ليس فوقه مخلوق، فالّذي يشك في هذا، ويقول: (لا أدري العرش في السماء ولا في الأرض)، هذا كافر.

والله جَلَّوَعَلَا في أعلى عليين؛ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل:٥٠].

فالأدلة دلّت على أنه في العلو، وهي تزيد على ألف دليل؛ كما ذكر العلماء[١]، هذه الأدلة النقلية.

ثانيًا: دليل الفطرة، وهو: كل من يدعو الله يتجه إلى أين؟ يتجه إلى السماء، حتى العوام الذين ما تعلموا ولا درسوا ولا معهم شهادات، حتى البدو إذا دعوا، يرفعون أيديهم إلى السماء؛ لأنها الفطرة التي فطرهم الله عليها.



---

(١) راجع (ص١١٦).

وَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ يُبَيِّنُ أَنَّ اللهَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّ الاسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ دَلَّ عَلَى أَنَّ اللهَ نَفْسَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، ثُمَّ أَرْدَفَ ذَلِكَ بِتَكْفِيرِ مَنْ قَالَ: «إِنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»، وَلَكِنْ تَوَقَّفَ فِي كَوْنِ الْعَرْشِ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: لأَنَّهُ أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ؛ لأَنَّ اللهَ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لا مِنْ أَسْفَلَ، وَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ بِتَكْفِيرِ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَاحْتَجَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لا مِنْ أَسْفَلَ، وَكُلٌّ مِنْ هَاتَيْنِ الْحُجَّتَيْنِ فِطْرِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَفْطُورَةٌ عَلَى الإِقْرَارِ بِأَنَّ اللهَ فِي الْعُلُوِّ، وَعَلَى أَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لا مِنْ أَسْفَلَ، وَقَدْ جَاءَ اللَّفْظُ الآخَرُ صَرِيحًا عَنْهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: إِذَا أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، فَقَدْ كَفَرَ.

الشَّرح

هذا تأكيد للكلام الأول؛ أن من اعترف أن الله على العرش استوى، لكن ما يدري العرش أين هو فيه، هذا كافر؛ لأن العرش فوق المخلوقات، فوق السماوات، الذي يعتقد أن العرش في الأرض، أو ما يدري أين هو فيه، هذا كافر بالله عَزَّوَجَلَّ، عقيدته باطلة وفاسدة.

قوله: (وَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ بِتَكْفِيرِ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَاحْتَجَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ، وَكُلٌّ مِنْ هَاتَيْنِ الْحُجَّتَيْنِ فِطْرِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَفْطُورَةٌ عَلَى الإِقْرَارِ بِأَنَّ اللهَ فِي الْعُلُوِّ، وَعَلَى أَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ، وَقَدْ جَاءَ اللَّفْظُ الآخَرُ صَرِيحًا عَنْهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: إِذَا أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، فَقَدْ كَفَرَ)، لماذا يكفر؟ لأنه مكذب للقرآن والسنة وإجماع العلماء على أن الله في السماء؛ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ

بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦، ١٧] في السماء، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[1]، والحديث في الصحيح، والأدلة تضافرت على هذا، فالذي ينكر علو الله على مخلوقاته هذا كافر بالله عَزَّوَجَلَّ.

هذه الرسالة -رسالة الفقه الأكبر- مشهورة ومعروفة، شرحها كثير من العلماء، ومنهم الشيخ ملا على قاري، شرح هذه الرسالة في شرح اسمه «شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة»، وإن كان في شرحها بعض المؤاخذات، لكن هذا يثبت أن هذه الرسالة ثابتة عن أبي حنيفة. وقد سمعنا أن بعض العصريين أو بعض المتعالمين ينكر ثبوت هذه الرسالة عن أبي حنيفة، وهي مشهورة عند الحنفية أصحاب أبي حنيفة القدماء والمحدثون، يثبتونها، ما أنكروها.

فالذي يقول: (إن الله لا فوق ولا تحت، ولا يمنة ولا يسرة، ولا كذا وكذا)، فيصبح عدمًا، يصبح من العدم، يصف الله بأنه معدوم؛ لأن الذي ليس في السماء وليس في الأرض، وليس يمنة ولا يسرة، ولا فوق ولا تحت، ولا ولا، هذا معدوم، تعالى الله عن ذلك!

وهذا بالإجماع؛ أن العرش فوق السماوات، وهو أعلى المخلوقات، هذا بالإجماع.

فهنا تعليق من شيخ الإسلام على هذا النقل، (وَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ بِتكْفِيرِ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَاحْتَجَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَأَنَّهُ يُدْعَى مِنْ أَعْلَى لَا مِنْ أَسْفَلَ)، هذا كلام شيخ الإسلام.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٢٩).

فالداعي حينما يدعو لا يتجه إلى يمين ولا إلى شمال ولا إلى أسفل، وإنما يتجه إلى العلو، هذا دليل على أن الله في العلو، وأن الفطر مقرة بذلك، إلا الفطر التي خربت وتلوثت، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[1]، الفطرة قد تخرب تفسد تنحرف بفعل المربين الفاسدين، ولو بقيت الفطرة وغذيت بالوحي وغذيت بالعلم النافع، لاستمرت على نزاهتها وعلى معرفتها.



(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٢) (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَرَوَى هَذَا اللَّفْظَ عَنْهُ بِالإِسْنَادِ شَيْخُ الإِسْلامِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الأَنْصَارِيُّ الْهَرَوِيُّ[(١)] بِإِسْنَادِهِ فِي كِتَابِ «الْفَارُوقِ»[(٢)].

وَرَوَى هُوَ -أَيْضًا- وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[(٣)] أَنَّ هِشَامَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ الرَّازِيَّ[(٤)] -صَاحِبَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ[(٥)]، قَاضِيَ الرَّيِّ- حَبَسَ رجلًا فِي التَّجَهُّمِ، فَتَابَ، فَجِيءَ بِهِ إِلَى هِشَامٍ لِيُطْلِقَهُ، فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّوْبَةِ»، فَامْتَحَنَهُ هِشَامٌ، فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ

---

(١) هو الإمام الحافظ الكبير أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر ابن منصور بن مت الأنصاري الهروي، من ذرية أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان إمام الزمان في فنون الفضائل وأنواع المحاسن، صنف كتاب الفاروق في الصفات، وكتاب ذم الكلام، وكتاب الأربعين حديثًا، وله في التصوف كتاب منازل السائرين، وقصيدة في مذهبه، ومناقب أحمد بن حنبل، كان مولده سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وتوفي في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. انظر: الوافي بالوفيات (١٧/ ٣٠٧)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٠٣)، والبداية والنهاية (١٢/ ١٣٥)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٦٥).

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥١٤): (غالب ما رواه في كتاب الفاروق صحاح وحسان، وفيه باب إثبات استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة بائنًا من خلقه من الكتاب والسنة، فساق دلائل ذلك من الآيات والأحاديث، إلى أن قال: وفي أخبار شتى أن الله في السماء السابعة على العرش، وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان).

(٣) هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، ولد سنة أربعين ومائتين، أحد الأئمة في الحديث والتفسير والعبادة والزهد والصلاح، حافظ بن حافظ، أخذ عن أبيه وأبي زرعة، وصنف الكتب المهمة كالتفسير الجليل، وكتاب الجرح والتعديل، وكتاب العلل المبوب على أبواب الفقه، ومناقب الشافعي، ومناقب أحمد، وغير ذلك.، توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. انظر: الوافي بالوفيات (١٨/ ١٣٥، ١٣٦)، و سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٦٣)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٨)، وطبقات الحفاظ (ص٣٤٦، ٣٤٧).

(٤) هو هشام بن عبيد الله الرازي البستي، الفقيه أحد أئمة السنة، قال أبو حاتم: «صدوق ما رأيت في بلده أعظم قدرًا منه، ولا أجل منه».اهـ. مات سنة إحدى وعشرين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٤٧)، وطبقات الحفاظ (ص١٦٩).

(٥) هو محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني مولاهم، صاحب أبي حنيفة، وإمام أهل الرأي، أصله دمشقي من أهل قرية تسمى حرستا، قدم أبوه العراق، فوُلد محمد بواسط، ونشأ بالكوفة، وسمع العلم بها من أبي حنيفة، توفي بالري سنة تسع وثمانين ومائة. انظر: تاريخ بغداد =



اللهَ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ؟ فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ، وَلا أَدْرِي مَا بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ»، فَقَالَ: رُدُّوهُ إِلَى الْحَبْسِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتُبْ[1].

الشَّرْح

قوله: (**وَرَوَى هَذَا اللَّفْظَ عَنْهُ بِالإِسْنَادِ شَيْخُ الإِسْلامِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الأَنْصَارِيُّ الهَرَوِيُّ**)، شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروي، صاحب «منازل السائرين»، الذي شرحه الإمام ابن القيم في «مدارج السالكين شرح منازل السائرين»، وإن كان هذا الكتاب الأصل فيه تصوف، لكن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرحه بشرح واف، وتعقب ما فيه من مسائل الصوفية.

قوله: (**وَرَوَى هُوَ -أَيْضًا- وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ أَنَّ هِشَامَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ الرَّازِيَّ -صَاحِبَ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ قَاضِيَ الرَّيِّ- حَبَسَ رجلًا فِي التَّجَهُّمِ، فَتَابَ، فَجِيءَ بِهِ إِلَى هِشَامٍ لِيُطْلِقَهُ**)، وهشام كأنه هو القاضي.

قوله: (**فَقَالَ: «الحَمْدُ للهِ عَلَى التَّوْبَةِ»، فَامْتَحَنَهُ هِشَامٌ، فَقَالَ: أَتَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ؟ فَقَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ، وَلا أَدْرِي مَا بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ»**)، (**بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ**) معناه: أنه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، فكلمة بائن من خلقه هذه ليست في الكتاب ولا في السنة، لكن هي مأخوذة من معنى ما جاء في الكتاب والسنة؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا فوق مخلوقاته وفوق السماوات، وهذا معناه: أنه ليس حالًّا في مخلوقاته، فليس في ذاته شيء من

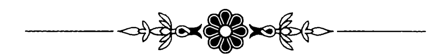
= (٢/ ١٧٢)، ووفيات الأعيان (٤/ ١٨٤)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢٤٧)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤)، والأنساب (٣/ ٤٨٣)، وشذرات الذهب (١/ ٣٢٢).

(١) ذكره الذهبي في العلو (ص١٦٩)، وشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٢٥، ٥٢٦).

مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، هذا معنى (بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ)، رد على الحلولية الذين يقولون: (إنه حالٌّ في المخلوقات).

(وَلا أَدْرِي مَا بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ)، يعني: لم ينزه الله عن الحلول.

قوله: (فَقَالَ: رُدُّوهُ إِلَى الحَبْسِ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَتُبْ)، إذا كان لا يعتقد أن الله بائن من خلقه، فإن معناه أنه لم يتب من نفي العلو، يلزم من العلو أن يكون الله بائنًا من خلقه، ولازم الحق حق.





وَرَوَى -أيضًا- عَنْ يَحْيَى بْنِ مُعَاذِ الرَّازِيِّ[(١)] أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ بَائِنٌ مِن الْخَلْقِ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، لَا يَشُكُّ فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ إِلَّا جَهْمِيٌّ رَدِيءٌ ضِلِّيلٌ، وَهَالِكٌ مُرْتَابٌ، يَمْزُجُ اللَّهَ بِخَلْقِهِ، وَيَخْلِطُ مِنْهُ الذَّاتَ بِالأَقْذَارِ وَالأَنْتَانِ)[(٢)].

الشَّرح

قوله: (وَرَوَى -أيضًا- عَنْ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللهَ عَلَى الْعَرْشِ بَائِنٌ مِن الخَلْقِ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)، هذا صريح في القرآن، (بَائِنٌ مِن الخَلْقِ)، هذا لازم القرآن والسنة، ولازم الحق حق، وفيه الرد على الحلولية، من لم يقل: (إنه بائن من خلقه)، فقد وصفه بالحلول.

وهو سبحانه فوق مخلوقاته وهو يعلم كل شيء، علمه في كل مكان؛ في السماء وفي الأرض، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام:٣]، فالله فوق سماواته، وهو يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه شيء من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو في السماء، وعلمه محيط بكل شيء.

قوله: (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا، لَا يَشُكُّ فِي هَذِهِ المَقَالَةِ إِلَّا جَهْمِيٌّ رَدِيءٌ ضِلِّيلٌ)، (جهمي) يعني: من أتباع الجهم بن صفوان الخبيث الملحد، يعني: الذي ينفي الأسماء والصفات.

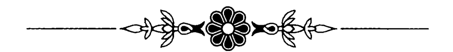
---

(١) هو يحيى بن معاذ أبو زكريا الرازي، الزاهد العارف حكيم زمانه وواعظ عصره، توفي في جمادى الأولى بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين. انظر: حلية الأولياء (١٠/ ٥١)، وتاريخ بغداد (١٤/ ٢٠٨)، ووفيات الأعيان (٦/ ١٦٥)، والعبر (٢/ ٢٣)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥)، والنجوم الزاهرة (٣/ ٣٠).

(٢) ذكر هذا الأثر الذهبي في العلو (ص١٩٠) عن أبي إسماعيل الأنصاري بسنده.

قوله: (وَهَالِكٌ مُرْتَابٌ، يَمْزُجُ اللهَ بِخَلْقِهِ)، يعني: الحلول، من لم يعتقد هذه العقيدة، فهو حلولي.

قوله: (وَيَخْلِطُ مِنْهُ الذَّاتَ بِالأَقْذَارِ وَالأَنْتَانِ): ما ينزه الله عن المحلات القذرة، يقول: (إن الله في كل مكان)، معناه: أنه حتى في الحمامات والمراحيض -تعالى الله عن ذلك!



وَرَوَى -أَيْضًا- عَنِ ابْنِ الْمَدِينِيِّ(١)، لَمَّا سُئِلَ: مَا قَوْلُ أَهْلِ الْجَمَاعَةِ؟ قَالَ: (يُؤْمِنُونَ بِالرُّؤْيَةِ وَالْكَلَامِ، وَأَنَّ اللهَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)، فَسُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، فَقَالَ: اقْرَأْ مَا قَبْلَهَا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧])(٢).

وَرَوَى -أيضًا- عَنْ أَبِي عِيسَى التِّرمِذِيِّ قَالَ: (هُوَ عَلَى الْعَرْشِ كَمَا وَصَفَ فِي كِتَابِهِ، وَعِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ)(٣).

وَرَوَى عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ(٤) أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، فَقَالَ: (تَفْسِيرُهُ كَمَا تَقْرَأُ، هُوَ عَلَى الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ)(٥).

---

(١) هو الإمام أحد الأعلام أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم البصرى، المعروف بابن المديني، الحافظ صاحب التصانيف، أحد أئمة الحديث في عصره، والمقدم علي حفاظ وقته، قال البخاري: (ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني). اهـ. توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٨)، والعبر (١/ ٤١٨)، والأنساب (٥/ ٢٣٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٨١)، وطبقات الحفاظ (ص١٨٧).

(٢) ذكر هذا الأثر الذهبي في العلو (ص١٧٥) عن أبي إسماعيل الهروي بسنده.

(٣) انظر: سنن الترمذي (٥/ ٤٠٤).

(٤) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ أبو زرعة الرازي مولى عياش بن مطرف القرشي، الحافظ أحد الأئمة الأعلام، قال عنه أبو حاتم: «لم يخلف بعده مثله علمًا وفقهًا وصيانة وصدقًا» اهـ. توفي سنة أربع وستين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٢٦)، والوافي بالوفيات (١٩/ ٢٥٦)، والعبر (٢/ ٣٤)، وسير أعلام النبلاء(١٢/ ٦٥)، وشذرات الذهب (٢/ ١٤٨).

(٥) ذكر هذا الأثر الذهبي في العلو (ص١٨٧) عن أبي إسماعيل الأنصاري بسنده.

الشَّرح

قوله: (وَرَوَى -أَيْضًا- عَنِ ابْنِ المَدِينِيِّ) (وَرَوَى) يعني: أبا إسماعيل الهروي. وعلي بن المديني هو: الإمام المحدث الجليل المعروف.

قوله: (لَمَّا سُئِلَ: مَا قَوْلُ أَهْلِ الجَمَاعَةِ؟ قَالَ: يُؤْمِنُونَ بِالرُّؤْيَةِ)، يؤمنون بإثبات الرؤية -رؤية المؤمنين لربهم في الجنة-؛ كما تواترت بذلك الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين(١)، والرؤية متواترة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في الجنة كما يرى القمر ليلة البدر(٢)، وكما ترى الشمس صحوا ليس دونها سحاب(٣)؛ كما جاء في الأحاديث(٤).

قوله: (وَالْكَلامِ)، إثبات الكلام لله، وأن الله يتكلم، هذا فيه رد على الجهمية الذين يقولون: (إن كلام الله مخلوق، والله لا يتكلم، وإنما معناه خلق الكلام في

---

(١) انظر: حادي الأرواح (ص٢٨٥-٣٤٤).

(٢) كما في حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٢١١) (٦٣٣) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً -يَعْنِي البَدْرَ- فَقَالَ: **إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]».

(٣) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: **هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ...**».

(٤) أحاديث الرؤية متواترة كما ذكر هذا عدد من أهل العلم، منهم العلامة ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ١٥٨-١٦٠)، وانظر: صحيح البخاري (٥٧٣)، ومسلم (٦٢٩) (١٨٠)، (٢٩٧) (١٨١)، (٢٩٨) (١٨٢).

جبريل أو في اللوح المحفوظ)، فكلام الله مخلوق عندهم، وليس صفة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (وَأَنَّ اللهَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)، وهذه الصفة الثالثة: إثبات العلو فوق السماوات وفوق المخلوقات، وهو مستو على عرشه، هذا من عقيدة أهل السنة والجماعة، فالذي لا يؤمن بعلو الله واستوائه على عرشه، يعتبر كافرا؛ كما سبق في كلام الإمام أبي حنيفة.

قوله: (فَسُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، فَقَالَ: اقْرَأْ مَا قَبْلَهَا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧]) فمعنى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، إلا هو رابعهم يعني: بعلمه؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا بدأ الآية بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، أما أن يبتر الآية، ويأخذ بعضها، يترك أولها وآخرها؛ ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧]، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بدأ الآية بالعلم، وختمها بالعلم)[١]، فدَلَّ على أن المراد بالمعية معية العلم والإحاطة، وهكذا الاستدلال ما يكون ببعض الكلام وترك بعضه، كلام الله لا يتناقض، بل يفسر بعضه بعضًا، فالذي يبتر بعض النص، ويأخذ قدر ما يريد، ويترك الباقي، هذا من أهل الضلال الذين في قلوبهم زيغ، يتبعون ما تشابه منه، يتركون المحكم، ويستدلون بالمتشابه المحتمل.

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٥/ ٤٧٠)، ومنهاج السنة النبوية (٨/ ٣٧٨).

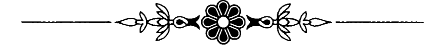
قوله: (وَرَوَى -أيضًا- عَنْ أَبِي عِيسَى التِّرمِذِيِّ قَالَ: هُوَ عَلَى الْعَرْشِ كَمَا وَصَفَ فِي كِتَابِهِ)، أبو عيسى الترمذي هو الإمام المحدث صاحب السنن رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (وَعِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَسُلْطَانُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ)، يجب على المسلم أن يعتقد هذا؛ أن الله على العرش فوق مخلوقاته، وأن علمه في كل مكان؛ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].

قوله: (وَرَوَى عَنْ أَبِي زُرْعَةَ الرَّازِيِّ)، الإمام المحدث أبو زرعة الرازي.

قوله: (أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، فَقَالَ: تَفْسِيرُهُ كَمَا تَقْرَأُ، هُوَ عَلَى الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ)، تفسيره كما تقرأ، الآية واضحة؛ ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، يعني: أن الله جَلَّ وَعَلَا فوق العرش، والعرش هو أعلى المخلوقات، وعلمه سبحانه في كل مكان؛ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧]، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، يعلم كل شيء.

ومن نفى العلو، فهو كافر، ومن نفى علم الله بكل شيء، فهو كافر.





وَرَوَى أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالَكَائِيُّ[١] -صَاحِبُ أَبِي حَامِدٍ الإِسْفَرَايِينِيِّ[٢]- فِي «أُصُولِ السُّنَّةِ» بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ[٣] -صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ- قَالَ: (اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ عَلَى الإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ وَالأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صِفَةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ، وَلا وَصْفٍ، وَلا تَشْبِيهٍ، فَمَنْ فَسَّرَ الْيَوْمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ خَرَجَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا، وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، ثُمَّ سَكَتُوا، فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ، فَقَدْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ لَا شَيْءَ) اهـ[٤].

مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ أَخَذَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَطَبَقَتِهِمَا مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَقَدْ حَكَى عَلَى هَذَا الإِجْمَاعُ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْجَهْمِيَّةَ تَصِفُهُ بِالأُمُورِ السَّلْبِيَّةِ غَالِبًا، أَوْ دَائِمًا.

وَقَوْلُهُ: (مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ)، أَرَادَ بِهِ تَفْسِيرَ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ الَّذِينَ ابْتَدَعُوا تَفْسِيرَ الصِّفَاتِ، بِخِلافِ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ مِنَ الإِثْبَاتِ.

الشَّرح

قوله: (وَرَوَى أَبُو الْقَاسِمِ اللَّالَكَائِيُّ)، صاحب كتاب «شرح أصول أهل السنة والجماعة».

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢١٧).

(٢) هو أبو حامد الإسفراييني أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد، شيخ العراق، وإمام الشافعية ومن انتهت إليه رئاسة المذهب، قدم بغداد صبيًّا وتفقه على ابن المرزبان وأبي القاسم الداركي، وصنف التصانيف، وطبق الأرض بالأصحاب، وتعليقاته في نحو خمسين مجلدًا، ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وتوفي في شوال سنة ست وأربعمائة. انظر: وفيات الأعيان (١/ ٧٢)، والوافي بالوفيات (٧/ ٢٣٣، ٢٣٤)، والعبر (٣/ ٩٤)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٣، ١٩٤).

(٣) سبقت ترجمته (ص٤٠٥).

(٤) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٣٢)، وابن قدامة في ذم التأويل (ص١٣، ١٤)، وذكره الذهبي في العلو (١٥٣).

قوله: (صَاحِبُ أَبِي حَامِدٍ الإِسْفَرَايِينِيِّ فِي «أُصُولِ السُّنَّةِ» بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الحَسَنِ -صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ- قَالَ: اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ عَلَى الإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ والأَحَادِيثِ)، تلاميذ أبي حنيفة المشهورون الذين نقلوا عنه فقهه ثلاثة: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وزُفَرُ بن الهذيل.

قوله: (اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ عَلَى الإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ والأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صِفَةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ، وَلا وَصْفٍ)، (اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ كُلُّهُمْ)، يعني: العلماء، المراد بالفقهاء: العلماء.

(مِنَ المَشْرِقِ إِلَى المَغْرِبِ)، هذه حكاية للإجماع (عَلَى الإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ)، وأنه كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، (والأَحَادِيثِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الثِّقَاتُ)، والإيمان بالسنة الثابتة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها وحي من الله عَزَّ وَجَلَّ؛ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [النجم:٣]، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر:٧]، ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء:٨٠].

(الَّتِي جَاءَ بِهَا الثِّقَاتُ)، وهي الأحاديث الصحيحة.

قوله: (فِي صِفَةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ)، يراد بها الصفات، ما ثبت في القرآن والسنة الصحيحة من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ يجب الإيمان بها.

قوله: (مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ)، يعني: من غير تكييف ولا تمثيل، (مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ)، قصده تفسير أهل الضلال، الذين يفسرونها بغير معناها الصحيح، ويؤولونها عن مدلولها، أما التفسير الصحيح الذي هو معناها، فهذا يجب الإيمان به، ويعرف ويفسر.

قوله: (وَلا وَصْفٍ)، وصف يعني: تكييف، (مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ)، يعني: تأويل لها عن مدلولها، (ومن غير وصف)، يعني: كيفية؛ لأنه لا يعلم كيفيتها إلا الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (وَلا تَشْبِيهٍ)، وهو التمثيل والتشبيه؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾: صفات الخالق تليق به، صفات المخلوقين تليق بهم.

قوله: (فَمَنْ فَسَّرَ الْيَوْمَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَدْ خَرَجَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَارَقَ الجَمَاعَةَ) (فَمَنْ فَسَّرَ)، فسره يعني: أوله عن ظاهره؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بها على ما دلت عليه، والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ تلقوها، ولم يستنكروا شيئا منها، ومن جاء بعدهم تلقوها، ولم تشكل عليهم، إنما أشكلت على أهل الضلال، فأولوها عن ظاهرها، وفسروها بغير معناها.

قوله: (فَإِنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا وَلَمْ يُفَسِّرُوا) (لَمْ يَصِفُوا)، يعني: لم يُكَيِّفُوا صفات الله، (وَلَمْ يُفَسِّرُوا)؛ التفسير المنحرف الذي هو تفسير أهل الضلال، يحولونها عن معانيها إلى معانٍ أخرى لا تدل عليها.

قوله: (وَلَكِنْ أَفْتَوْا بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، أفتوا بما في الكتاب والسنة، ولايتعدون ذلك، أفتوا به على ظاهره ومدلوله.

قوله: (ثُمَّ سَكَتُوا)، سكتوا عن الكيفية.

أول شيء: هم اقتصروا على الكتاب والسنة؛ فلا يصفون الله، ولا يسمونه بشيء لم يرد في الكتاب والسنة.

ثانيًا: أنهم لم يكيفوا ويمثلوا ما ورد في الكتاب والسنة.

قوله: (فَمَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ، فَقَدْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ، فَإِنَّهُ قَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ لَا شَيْءَ)، الجهمي ينفي أسماء الله وصفاته، والشيء الذي ليس له أسماء ولا صفات هذا معدوم؛ ليس هناك شيء موجود إلا له صفات.

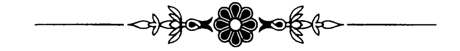
قوله: (مُحَمَّدُ بْنُ الحَسَنِ أَخَذَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَطَبَقَتِهِمَا مِنَ الْعُلَمَاءِ)، الإمام محمد بن الحسن تتلمذ على الإمام مالك، وروى عنه الحديث في المدينة، ثم تتلمذ على أبي حنيفة، وأخذ عنه الفقه، فهو إمام جليل في الحديث وفي الفقه، وهذا كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (وَقَدْ حَكَى عَلَى هَذَا الإِجْمَاعُ)؛ لأنه قال: (أجمع الفقهاء في الدنيا كلها).

قوله: (وَأَخْبَرَ أَنَّ الجَهْمِيَّةَ تَصِفُهُ بالأُمُورِ السَّلْبِيَّةِ غَالِبًا، أَوْ دَائِمًا) (السَّلْبِيَّةِ)، السلب معناه: النفي، والتعطيل.

وقَوْلُهُ: (مِنْ غَيْرِ تَفْسِيرٍ)، هذه مشكلة؛ قد يظن بعضهم أنها تفويض.

قوله: (أَرَادَ بِهِ تَفْسِيرَ الجَهْمِيَّةِ المُعَطِّلَة)، انتبهوا لهذا؛ لأنه قد يأتي بكلام الإمام أحمد أو غيره من غير تفسير، فبعض الناس يظن أن هذا معناه التفويض، لا، هو قصده رَحِمَهُ اللَّهُ من غير تفسير أهل الضلال.



وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ صَحِيحَةٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ[1] قَالَ: (هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ»[2]، «وَأَنَّ جَهَنَّمَ لا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رَبُّكَ فِيهَا قَدَمَهُ»[3]، «وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ»[4]، وَهَذِهِ الأَحَادِيثُ فِي الرُّؤْيَةِ هِيَ عِنْدَنَا حَقٌّ، حَمَلَهَا الثِّقَاتُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، غَيْرَ أَنَّا إِذَا سُئِلْنَا عَنْ تَفْسِيرِهَا، لا نُفَسِّرُهَا، وَمَا أَدْرَكْنَا أحدًا يُفَسِّرُهَا) اهـ[5].

---

(١) هو الإمام اللغوي صاحب التصانيف أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله، اشتغل بالحديث والأدب والفقه، وولي قضاء طرطوس، وفسر غريب الحديث، وله كتاب فيه، وكتابه «الأموال» مشهور، وثقه أبو داود وابن معين وأحمد وغير واحد، وقال عنه ابن راهويه: (أبو عبيد أوسعنا علمًا، وأكثرنا أدبًا، وأكثرنا جمعًا، إنا نحتاج إلى أبي عبيدة وأبو عبيدة لا يحتاج إلينا). اهـ. ولد سنة سبع وخمسين ومائة، وتوفي بمكة سنة أربع وعشرين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٣)، والوافي بالوفيات (٢٤/ ٩١)، والعبر (١/ ٣٩٢)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩١،٤٩٠)، وطبقات الحفاظ (ص١٨٢، ١٨٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٧٢).

(٣) سبق تخريجه (ص٣٦٩).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٢٥١)، وابن أبي شيبة في العرش (ص٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٤٩١)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٢)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص٢١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٠) وصححه، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٤٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٢٥١)، والهروي في الأربعين (ص٥٧) موقوفًا على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كما أخرجه ابن أبي شيبة في العرش (ص٧٨)، والطبري في تفسيره (٣/ ٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٤)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص٢١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٤٨) موقوفًا على أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكلا الإسنادين صحيح عنهما. انظر: مختصر العلو للألباني (ص١٢٣، ١٢٤).

(٥) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٩٠)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٢٦)، والدارقطني في الصفات (ص٤٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٩، ١٥٠)، والذهبي في العلو (ص١٧٣)، وفي سير الأعلام (١٠/ ٥٠٥)، وذكره البخاري في خلق أفعال العباد (ص٣١)، وابن قدامة في ذم التأويل (ص٢٠)، وإثبات صفة العلو (ص٩٩).

أَبُـو عُبَيْـدٍ أَحَـدُ الأَئِمَّـةِ الأَرْبَعَةِ -الَّذِيـنَ هُمْ: الشَّافِعِـيُّ، وَأَحْمَـدُ، وَإِسْحَاقُ، وَأَبُو عُبَيْدٍ-، وَلَهُ مِنَ المَعْرِفَةِ بِالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالتَّأْوِيلِ مَا هُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ، وَقَدْ كَانَ فِي الزَّمَـانِ الَّـذِي ظَهَرَتْ فِيهِ الْفِـتَنُ وَالأَهْوَاءُ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَـا أَدْرَكَ أَحَدًا مِنَ الْعُلَمَاءِ يُفَسِّرُهَا، أَيْ: تَفْسِيرَ الْجَهْمِيَّةِ.

الشَّرْح

قوله: (**وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ صَحِيحَةٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ قَالَ: (هَذِهِ الأَحَادِيثُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا: «ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ»**)، ما زال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في سرد النقولات عن الأئمة في الأسماء والصفات لله عَزَّ وَجَلَّ، قولهم فيها، وهذا النقل من رواية الإمام الحافظ المحدث أبي بكر البيهقي الإمام الجليل صاحب التصانيف العظيمة في الحديث والفقه والعقيدة، عن أبي عبيد القاسم بن سلام، إمام مشهور، صاحب كتاب «الأموال» وغيره من كتب عظيمة، و«سلَّام» بالتشديد، وأما غيره فيقال: ابن سلَام، مثل: عبد الله ابن سلام الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالتخفيف، وأما هذا الإمام هو قال: ابن سلَّام، وهو إمام جليل في اللغة وفي الحديث وفي سائر العلوم، يقول: إن هذه الأحاديث التي وردت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ، وَقُرْبِ غِيَرِهِ**»، وفي رواية: «**وَقُرْبِ خَيْرِهِ**»[1]، أي تغييره للأحوال، فهذا فيه إثبات أن الله يضحك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهي صفة فعل من أفعاله، «**مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ**» إذا أجدبوا وانحبس المطر، حصل عندهم قنوط واستبعاد لنزول المطر، ثم إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينزله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧٢).

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:٢٨]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ [الروم:٤٩]، يعني: آيسين، فيغير الله من أحوالهم، ويضحك إليهم رحمة بهم، وتعجبا من قنوطهم، مع أن الله قريب مجيب، ولكن الإنسان طبيعته أنه يؤوس قنوط -كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-؛ لضعف الإيمان، أما من كان إيمانه بالله قويًّا، فإنه لا يقنط مهما اشتد الأمر، بل إنه إذا اشتد الأمر، يكون رجاؤه أشد؛ كما ذكر الله عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]؛ كما ذكر عن يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما فقد أولاده: ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧]، فكلما اشتد اليأس، قرب الفرج؛ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥، ٦]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤]، ولكن الإنسان بطبيعته البشرية يصيبه القنوط والاستبعاد، فهذا الحديث على بابه يثبت لله أنه يضحك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، صفة من صفاته الفعلية، وكذلك حديث: (**«لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ -وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ- فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ»**[1])، أي: كفاني، فهذا فيه إثبات القدم وإثبات الرجل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، صفة ذاتية من صفاته جَلَّ وَعَلَا، لكنها ليست كرجل المخلوق أو قدم المخلوق، وإنما هي لائقة بالله وبعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: («وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رَبُّكَ فِيهَا قَدَمَهُ»، «وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ») «وَالْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ»، قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٦٩).

﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، السماوات والأرض بالنسبة للكرسي[١] كسبعة دراهم ملقاة في ترس[٢]، والكرسي بالنسبة للعرش[٣] كحلقة ملاقاة في أرض فلاة[٤]، فالعرش أعظم من الكرسي، والعرش موضع استواء الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والكرسي موضع القدمين لله، وفيه إثبات القدمين لله عَزَّ وَجَلَّ، فأهل السنة والجماعة يثبتون هذه الأحاديث، ولا يتوقفون في إثباتها لله، ما دامت قد صحت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا مجال للتردد في إثباتها، وإن كانت عقولنا لا تحيط بها، لكن عقولنا ليست مقياسًا، الله جَلَّ وَعَلَا أعظم من كل شيء، لا تحيط به العقول، ولاتدركه الأفهام، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالمدار على صحة الخبر، وما دام قد صح الخبر، فلا مجال للتردد في الإيمان به، إلا عند أهل النفاق وأهل الزيغ، أما أهل الإيمان، فلا يشكون، ولا يترددون في إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله على حقيقته، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، المعنى معروف، وأما الكيفية، فغير معروفة لنا، لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) انظر: مادة: (ك ر س) في لسان العرب (٦/ ١٩٤)، ومختار الصحاح (ص٢٣٦)، وتاج العروس (١٦/ ٤٣٦).

(٢) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثني أَبِي، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**». أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٩)، وكذا أبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٨٧)، والذهبي في العلو (ص١١٧).

(٣) انظر: مادة (ع ر ش) في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٠٧)، ولسان العرب (٦/ ٣١٣)، ومختار الصحاح (ص١٧٨).

(٤) كما في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ**». أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٥٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٣٦).

قوله: (**وَهَذِهِ الأَحَادِيثُ فِي الرُّؤْيَةِ**)، يعني: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة في الجنة، تواترت بها الأحاديث[١]، وجاءت في القرآن: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾، ناضرة: بالضاد من النضرة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣] بالظاء، معدى بإلى، معناه: المعاينة بالأبصار، والله جَلَّوَعَلَا يرى يوم القيامة، ويعاينه المؤمنون بأبصارهم؛ كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب[٢]، كما يرون القمر ليلة البدر[٣]؛ لأنهم لما آمنوا به في الدنيا إيمانًا بالغيب ولم يروه، فإن الله جَلَّوَعَلَا جزاهم بأن يتجلى لهم يوم القيامة، أما الذين لا يؤمنون به في الدنيا، فإنه يحجبون عن رؤيته يوم القيامة؛ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥][٤]، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يعني: الجنة[٥]، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ رؤية الرب، رؤيتهم لربهم سبحانه معاينة بالأبصار، قال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، والمزيد هو رؤيتهم لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ[٦]، فالرؤية ثابتة في الكتاب الكريم وبالسنة المتواترة، نحن نؤمن بها، ونثبتها، ولا نتردد في إثباتها.

---

(١) انظر: (ص٤١١).

(٢) انظر: (ص٣٦٩).

(٣) انظر: (ص٤١١).

(٤) قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَمَّا حَجَبَ قَوْمًا بِالسُّخْطِ، دَلَّ عَلَى أَنَّ قَوْمًا يَرَوْنَهُ بِالرِّضَا). انظر: تفسير الثعلبي (١٠/ ١٥٤)، والتفسير البسيط (٢٣/ ٣٢٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٦١)، والبحر المحيط في التفسير (١٠/ ٤٢٩).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ١٥٨-١٥٩)، وزاد المسير (٢/ ٣٢٦)، وابن كثير (٤/ ٢٦٣).

(٦) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨١): عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: **تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** عَزَّوَجَلَّ».

قوله: (**هِيَ عِنْدَنَا حَقٌّ حَمَلَهَا الثِّقَاتُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، غَيْرَ أَنَّا إِذَا سُئِلْنَا عَنْ تَفْسِيرِهَا لَا نُفَسِّرُهَا، وَمَا أَدْرَكْنَا أحدًا يُفَسِّرُهَا**) (**حَمَلَهَا الثِّقَاتُ**)، بمعنى أنهم رووها فما دام رواها الثقات، فهي صحيحة، فلا مجال للتردد فيها أو التشكيك فيها أو البحث فيها، وإذا سُئلنا عن تفسيرها عن كيفيتها، لا نكيفها، ولا نمثلها، وليس معنى التفسير بيان المعنى، المعنى معروف، وإنما المراد بالتفسير تفسير الكيفية؛ تفسير الجهمية والمعتزلة، الذين يقولون: (المراد باليد النعمة، والمراد بالوجه الذات، والمراد بكذا وكذا)، فيفسرونها بالتحريف عن معناها إلى معنى غير مراد، فمراده بالتفسير تفسير الجهمية والمعتزلة الذين يحرفونها، وكذلك تفسير الكيفية، (وَمَا أَدْرَكْنَا أحدًا يُفَسِّرُهَا) يعني: تفسير الجهمية.

قوله: (**أَبُو عُبَيْدٍ أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ -الَّذِينَ هُمْ: الشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، وَأَبُو عُبَيْدٍ-، وَلَهُ مِنَ المَعْرِفَةِ بِالْفِقْهِ وَاللُّغَةِ وَالتَّأْوِيلِ مَا هُوَ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ**)، التأويل المراد به التفسير.

قوله: (**وَقَدْ كَانَ فِي الزَّمَانِ الَّذِي ظَهَرَتْ فِيهِ الْفِتَنُ والأَهْوَاءُ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَا أَدْرَكَ أَحَدًا مِنَ الْعُلَمَاءِ يُفَسِّرُهَا، أَيْ: تَفْسِيرَ الجَهْمِيَّةِ**)؛ فلذلك قال هذه المقالة العظيمة؛ لأنه في زمن فتن وأهواء، وهكذا العالم يبين الحق إذا التبس على الناس، ولا يسكت، ولا يخاف في الله لومة لائم، إذا التبس الحق على الناس أو وجد من يريد طمس الحق، فإن العالم يبرز علمه، ويبين للناس، ويرد الباطل.

قوله: (**مَا أَدْرَكَ أَحَدًا مِنَ الْعُلَمَاءِ يُفَسِّرُهَا، أَيْ: تَفْسِيرَ الجَهْمِيَّةِ**)، علماء السلف ليس فيهم من يفسرها تفسير الجهمية، أما تفسير المؤمنين -وهو بيان المعنى الصحيح-، فهم يفسرونها.

وَرَوَى اللّالَكَائِيُّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنِّي أَكْرَهُ الصِّفَةَ -عَنَى صِفَةَ الرَّبِّ-، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: (أَنَا أَشَدُّ النَّاسِ كَرَاهَةً لِذَلِكَ، وَلَكِنْ إِذَا نَطَقَ الْكِتَابُ بِشَيْءٍ، قُلْنَا بِهِ، وَإِذَا جَاءَتِ الآثَارُ بِشَيْءٍ، جَسَرْنَا عَلَيْهِ)[1]، وَنَحْوُ هَذَا.

أَرَادَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: أَنَّا نَكْرَهُ أَنْ نَبْتَدِئَ بِوَصْفِ اللهِ مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِنَا، حَتَّى يَجِيءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالآثَارُ.

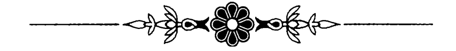
الشَّرح

البيهقي سبقت ترجمته، واللالكائي هو الإمام المشهور صاحب الكتاب المشهور «شرح أصول أهل السنة»، وهذا الكتاب كتاب عظيم في باب التوحيد والأسماء والصفات، هذا الإمام روى عن عبد الله بن المبارك الإمام الجليل الحافظ الثقة المعروف عالم المشرق: (أَنَّ رَجُلًا قَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّي أَكْرَهُ الصِّفَةَ - عَنَى صِفَةَ الرَّبِّ-)، يعني: أن أصف الرب من عندي، أن أصف الرب من فكري أو من عندي، فلا شك أن كل مسلم يكره هذا، لكن نقتصر على ما ورد في الكتاب والسنة، فما ورد في الكتاب والسنة، فلا مجال لإنكاره أو التوقف فيه، أما أن الإنسان يجتهد ويصف الرب بشيء لم يرده الكتاب والسنة، فهذا باطل مردود؛ لأن الخلق لايعلمون، ولا يحيطون بالله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، فهذا يعطينا قاعدة عظيمة: أن الإنسان ما يتدخل بفكره، ويثبت لله أشياء لم يثبتها لنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن الإنسان يتوقف على النصوص، ما جاء في

---

(١) أخرجه: اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٣١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٦٣)، وذكره الذهبي في العلو (ص١٤٩، ١٥٠).

النصوص الصحيحة، قال به، وما لم يأت، يتوقف، ولا يكلف نفسه ويدخل نفسه في شيء لايعلمه، الإنسان لا يقول بعلمه في جميع الأشياء، فكيف في شأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]، فالإنسان يتوقف عند حد علمه، ولا يتكلف في جميع الأمور في الحلال والحرام والفتاوى، وفي شأن الرب أعظم وأخطر، فالإنسان يتوقف، ولا يقول إلا بما ثبت في النصوص من أسماء الله وصفاته.



وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ صِحَاحٍ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: بِمَاذَا نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: (بِأَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ هَهُنَا فِي الْأَرْضِ)[1]، وَهَكَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[2].

وَرَوَى بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ[3] الْإِمَامِ، سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ[4] وَذَكَرَ هَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةَ فَقَالَ: (إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ)[5].

الشرح

قوله: (وَرَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ صِحَاحٍ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: بِمَاذَا نَعْرِفُ رَبَّنَا؟ قَالَ: (بِأَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ هَهُنَا فِي الْأَرْضِ)، كذلك أجاب ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ لما سئل:

---

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ١١١، ١٧٥، ٣٠٧)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ١٥٥، ١٥٦)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٦٩)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١١٧، ١١٨)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٢، ٤٠٣).

(٢) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد بن حنبل (ص٣٩)، والإبانة لابن بطة (٣/ ١٥٥، ١٥٦)، وإثبات صفة العلو لابن قدامة (١١٨)، والعلو للذهبي (ص١٧٦).

(٣) هو سليمان بن حرب بن بجيل، أبو أيوب الأزدي الواشجي البصري، قدم بغداد وحدث بها، وولي قضاء مكة، كان مولده سنة أربعين ومائة في صفر، ومات سنة أربع وعشرين ومائتين، ذكره أبو حاتم الرازي فقال: (إمام من الأئمة، كان لا يدلس...) اهـ. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٠٠)، وتاريخ بغداد (٩/ ٣٣)، ووفيات الأعيان (٢/ ٤١٩)، والأنساب (٥/ ٥٦٣)، وشذرات الذهب (٢/ ٥٤).

(٤) سبقت ترجمته (ص٣٤٢).

(٥) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ١١٧، ١١٨)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ١٩٤)، والذهبي في العلو (ص١٢٩)، وقال: (هذا إسناد كالشمس وضوحًا، وكالأسطوانة ثبوتًا، عن سيد أهل البصرة وعالمهم) اهـ. وذكره ابن قدامة في العلو (ص١١٨) وعزاه إلى أبي بكر الأثرم بسنده.

بم نعرف ربنا؟ ذكر وأجاب أن الله يعرف بأسمائه وصفاته، التي أثبتها لنفسه أو أثبتها له رسوله، الله يعرف بها، ومن ذلك أن الله جَلَّ وَعَلَا في السماء، في العلو، وهذا الأمر تواترت به الأدلة، أي: إثبات العلو لله عَزَّوَجَلَّ، ومن نفاه، فقد كفر، من قال: (إن الله في كل مكان، أو إنه في الأرض)، فهذا كافر بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله في العلو، في السماء، فوق العرش، فوق مخلوقاته، هذا الذي يجب الاعتقاد والإيمان به وإثباته؛ كما سبق عن الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كفره، الذي يقول: (ما أدري الله في السماء أو في الأرض) حكم عليه الإمام أنه كافر، والذي يقول: (إن الله على العرش، لكن ما أدري هل العرش في السماء أو في الأرض) هذا -أيضًا- كافر.

قوله: (عَلَى عَرْشِهِ) في السماء، وهذا ثابت في القرآن وفي السنة، على عرشه هذا ثابت في القرآن وفي السنة، (بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ)؛ بائن البينونة معناها: الانفصال، هذا فيه رد على الحلولية الذين يقولون: (إن الله حال في مخلوقاته)، أو (إن مخلوقاته حالة فيه)، فيجب أن نعتقد أن الله بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، هذا معنى أنه بائن من خلقه، من لم يقل هذا، فهو كافر؛ لأنه حلولي، لا ينزه الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (وَلَا نَقُولُ كَمَا تَقُولُ الجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ هَهُنَا فِي الأَرْضِ)، الجهمية لا يثبتون العلو، يقولون: (إنه في الأرض) أو (إنه في كل مكان)، تعالى الله عن ذلك! أو يقولون: (إنه لا داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا يمنة ولا يسرة)، إلى آخر السلوب التي يقولونها، وهذا يقتضي أن الله معدوم؛ لأن الذي ليس هو داخل العالم ولا خارج العالم، ولا يمنة ولا يسرة معناه: إنه معدوم.

قوله: (وَهَكَذَا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ)؛ كما قال من قبله من الأئمة ومن عاصره من الأئمة يقول بهذا القول: (إن الله في السماء، وإنه على العرش وإنه بائن من خلقه).

قوله: (وَرَوَى بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ حَرْبٍ الإِمَامِ، سَمِعْتُ حَمَّادَ بْنَ زَيْد وَذَكَرَ هَؤُلاءِ الجَهْمِيَّةَ فَقَالَ: إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ)، حماد بن زيد: أحد الأئمة المشهورين، وحماد بن سلمة: أيضًا من الأئمة المشهورين، فإذا قيل: الحمادان، فمعناه: حماد بن زيد وحماد بن سلمة، وهناك حماد بن أبي سليمان[1]، هذا شيخ الإمام أبي حنيفة، وهناك حماد رابع، وهو حماد بن أبي حنيفة[2]، لكن المشهور اثنان؛ حماد بن زيد وحماد بن سلمة.

الجهمية كلامهم يقتضي أنه ليس فوق السماء إله، وليس فوق العرش إله، وهذا كفر صريح.



(١) فقيه الكوفة: أبو إسماعيل حماد بن أبي سليمان الأشعري، مولاهم صاحب إبراهيم النخعي روى عن أنس بن مالك وسعيد بن المسيب وطائفة وكان جوادًا سريًّا محتشمًا يفطر كل ليلة من رمضان خمسمائة إنسان وقال شعبة: كان صدوق اللسان، توفي سنة: عشرين ومائة). انظر: شذرات الذهب (١/ ١٥٧) وسير أعلام النبلاء (٥/ ٢٣١)، وتهذيب التهذيب (٣/ ١٦).

(٢) الفقيه حماد بن أبي حنيفة كان ذا علم ودين وصلاح وورع تام لما توفي والده كان عنده ودائع كثيرة وأهلها غائبون، فنقلها حماد إلى الحاكم ليتسلمها، فقال: بل دعها عندك؛ فإنك أهل، فقال: زنها واقبضها حتى تبرأ منها ذمة الوالد، ثم افعل ما ترى، ففعل القاضي ذلك، وبقي في وزنها وحسابها أيامًا، واستتر حماد، فما ظهر حتى أودعها القاضي عند أمين. توفي حماد سنة ست وسبعين ومئة كهلا، له رواية عن أبيه وغيره، حدث عنه ولده الإمام إسماعيل بن حماد قاضي البصرة) اهـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٣).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[(١)] فِي كِتَابِ «الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ الضُّبَعِيِّ[(٢)] -إِمَامِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عِلْمًا وَدِينًا مِنْ شُيُوخِ أَحْمَدَ- أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَهُ الْجَهْمِيَّةُ، فَقَالَ: (هُمْ شَرٌّ قَوْلًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَقَدِ اجْتَمَعَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَأَهْلُ الأَدْيَانِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ اللهَ عَلَى الْعَرْشِ، وَقَالُوا هُمْ: لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ)[(٣)].

الشَّرْح

قوله: (**وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي كِتَابِ «الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ الضُّبَعِيِّ -إِمَامِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عِلْمًا وَدِينًا مِنْ شُيُوخِ أَحْمَدَ- أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَهُ الْجَهْمِيَّةُ، فَقَالَ: هُمْ شَرٌّ قَوْلًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى**)؛ لأن اليهود والنصارى يثبتون الأسماء والصفات لله عَزَّوَجَلَّ، والجهمية ينفون الأسماء والصفات، فهم شر، اليهود والنصارى أهل كتاب، وفي كتابهم أسماء الله وصفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وهم يؤمنون بها في الجملة، وإن كان عندهم تحريف، لكن الأصل فيهم أنهم يؤمنون بما في التوراة والإنجيل، أما الجهمية، فإنهم خالفوا الكتب كلها -القرآن، والتوراة، والإنجيل-، خالفوا الكتب الإلهية كلها -والعياذ بالله.

مع قبح اليهود والنصارى، الجهمية شر منهم.

قوله: (**وَقَدِ اجْتَمَعَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَأَهْلُ الأَدْيَانِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ اللهَ عَلَى الْعَرْشِ، وَقَالُوا هُمْ: لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ**)، الجهمية قالوا: ليس على العرش شيء، وأهل الديانات السماوية يثبتون الاستواء على العرش.

---

(١) سبقت ترجمته (ص٤٠٥).

(٢) هو سعيد بن عامر الضبعي، أبو محمد البصري الزاهد، قال أبو حاتم: (كان رجلًا صالحًا، وكان في حديثه بعض الغلط، وهو صدوق»اهـ، وقال الإمام أحمد: «ما رأيت أفضل منه). اهـ. توفي سنة ثمان ومائتين لأربع بقين من شوال. انظر: الوافي بالوفيات (١٥/ ١٤٤)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٣٨٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٠)، وطبقات الحفاظ (ص١٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٣١)، وذكره الذهبي في العلو (ص١٥٨).

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ[(١)]، إِمَامُ الأَئِمَّةِ: (مَنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَجَبَ أَنْ يُسْتَتَابَ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ؛ لِئَلَّا يَتَأَذَّى بِنَتْنِ رِيحِهِ أَهْلُ الْقِبْلَةِ، وَلَا أَهْلُ الذِّمَّةِ)، ذَكَرَهُ عَنْهُ الْحَاكِمُ[(٢)] بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[(٣)].

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ، إِمَامُ الأَئِمَّةِ)، صاحب «كتاب التوحيد»، «التوحيد» لابن خزيمة، وأيضًا هو محدث جليل، وله كتاب: «صحيح ابن خزيمة» في الحديث.

قوله: (مَنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ اللهَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَجَبَ أَنْ يُسْتَتَابَ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ؛ لِئَلَّا يَتَأَذَّى بِنَتْنِ رِيحِهِ أَهْلُ الْقِبْلَةِ، وَلا أَهْلُ الذِّمَّةِ. ذَكَرَهُ عَنْهُ الحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ)، هذا محمد ابن خزيمة إمام الأئمة، يلقبونه بإمام الأئمة لمكانته وعلمه، يقول: (مَنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ اللهَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَجَبَ أَنْ يُسْتَتَابَ)؛ لأنه مرتد،

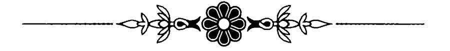
---

(١) سبقت ترجمته (ص٢١٩).

(٢) هو صاحب المستدرك محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، أبو عبدالله الحاكم الضبي الحافظ، ويعرف بابن البيع، من أهل نيسابور، وكان من أهل العلم والحفظ والحديث، ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، سمع الكثير وطاف الآفاق وصنف الكتب الكبار والصغار، فمنها: المستدرك على الصحيحين، وعلوم الحديث، والإكليل، وتاريخ نيسابور. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٤٧٣)، والوافي بالوفيات (٣/ ٢٥٩)، وسير أعلام النبلاء(١٧/ ١٦٣،١٦٢)، والأنساب (١/ ٤٣٢)، والبداية والنهاية (١١/ ٣٥٥).

(٣) أخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث (ص٧٤)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١٢٦، ١٢٧)، وذكره الذهبي في العلو (ص٢٠٧).

ولا يستتاب إلا المرتد، (فَإِنْ تَابَ وَإِلّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ)، وقتل كافرًا مرتدًّا، ثم لا يقبر؛ لأنه ليس له كرامة، (ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى مَزْبَلَةٍ، لِئَلّا يَتَأَذَّى بِنَتْنِ رِيحِهِ أَهْلُ الْقِبْلَةِ، وَلا أَهْلُ الذِّمَّةِ).



وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ الْعَوَّامِ الْوَاسِطِيِّ[١] -إِمَامِ أَهْلِ وَاسِطَ، مِنْ طَبَقَةِ شُيُوخِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ- قَالَ: (كَلَّمْتُ بِشْرًا المَرِيسِيَّ، وَأَصْحَابَ بِشْرٍ، فَرَأَيْتُ آخِرَ كَلامِهِمْ يَنْتَهِي أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ)[٢].

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ[٣] -الإِمَامِ المَشْهُورِ- أَنَّهُ قَالَ: (لَيْسَ فِي أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ شَرٌّ مِنْ أَصْحَابِ جَهْمٍ، يَدُورُونَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ. أَرَى وَاللهِ أَنْ لَا يُنَاكَحُوا، وَلا يُوَرَّثُوا)[٤].

الشَّرْح

قوله: (وَقَدْ رَوَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ الْعَوَّامِ الْوَاسِطِيِّ -إِمَامِ أَهْلِ وَاسِطَ، مِنْ طَبَقَةِ شُيُوخِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ- قَالَ: كَلَّمْتُ بِشْرًا المَرِيسِيَّ، وَأَصْحَابَ بِشْرٍ، فَرَأَيْتُ آخِرَ كَلامِهِمْ يَنْتَهِي أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ)، هذا بشر المريسي الخبيث، الذي كان على عهد المأمون، والذي امتحن بسبب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ،

---

(١) هو عباد بن العوام بن عمر بن عبد الله بن المنذر بن مصعب بن جندل أبو سهل مولى أسلم ابن زرعة الكلابي الواسطي، قال عنه الذهبي: (كان صاحب حديث وإتقان) اهـ. انظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٠٤)، والعبر (١/ ٢٩٣)، وشذرات الذهب (١/ ٣١٠)، وطبقات الحفاظ (ص١١٨).

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ١٢٦، ١٢٧، ١٧٠، ٢٧٥)، وذكره الذهبي في العلو (١٥١).

(٣) هو الإمام الحجة القدوة عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن أبو سعيد العنبري، وقيل مولى الأزد، صاحب اللؤلؤ، كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين ممن حفظ وجمع وتفقه وصنف وحدث، وما كان يروي إلا عن الثقات، ولد سنة خمس وثلاثين ومائة وتوفي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٢٩٧)، وتاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٠)، والأنساب (٥/ ١٤٥)، وشذرات الذهب (١/ ٣٥٥)، وطبقات الحفاظ (ص١٤٤).

(٤) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ١٥٧).

هذا الخبيث بشر المريسي وابن أبي دؤاد، هؤلاء غرّروا بالخليفة المأمون، حتى اعتقد عقيدتهم، وحملوه على أن يؤذي أهل السنة، وأن يمتحنهم، حصل على أهل السنة من المأمون بسبب هؤلاء محن عظيمة، ومنهم -أو في مقدمتهم- الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا الخبيث المريسي يقول: (إنه ليس على العرش إله)، وهذا من أخبث قول الجهمية.

(لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ)، يعني: ليس في السماء إله، فيجحدون قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤]، ﴿ فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ ﴾ يعني: معبود، أنه معبود في السماء ومعبود في الأرض، فمعنى الإله المعبود، لكن قوله تعالى: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك:١٦] هذا فيه إثبات العلو لله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٨] فيه إثبات الفوقية لله عَزَّوَجَلَّ، وما جاء في الأحاديث: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(١)، إلى غير ذلك، فهؤلاء الخبثاء ينفون هذه الأدلة، ويعتقدون أن الله ليس في السماء، فيكذبون الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

قوله: (وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ -الإِمَامِ الْمَشْهُورِ- أَنَّهُ قَالَ: لَيْسَ فِي أَصْحَابِ الأَهْـوَاءِ شَرٌّ مِنْ أَصْحَابِ جَهْمٍ)، (أَصْحَاب الأَهْـوَاءِ) المراد بهم: الذين يتبعون أهواءهم، ولا يتبعون الأدلة، وإنما يحكمون عقولهم ومداركهم، ولايأخذون إلا ما يوافق رغباتهم، هؤلاء هم أهل الأهواء -والعياذ بالله-، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [القصص:٥٠]، فالذي لا يستجيب للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متبع لهواه، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ

---

(١) سبق تخريجه (ص١٢٩).

﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨]، فمن خالف الكتاب والسنة، فقد اتبع هواه، ولذلك يقال لهم: أهل الأهواء؛ لأنهم يخالفون الكتاب والسنة.

قوله: (لَيْسَ فِي أَصْحَابِ الأَهْوَاءِ)، وهم أصحاب الأفكار المخالفة للكتاب والسنة، سموا أهل الأهواء؛ لأنهم يقولون بأهوائهم، ولا يقولون بما جاء في الكتاب والسنة، فعبد الرحمن بن مهدي الإمام الجليل امتحنهم، فلم يجد فيهم شرا من الجهمية، هم شر أهل الأهواء.

قوله: (يَدُورُونَ عَلَى أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ. أَرَى وَاللهِ أَنْ لَا يُنَاكَحُوا، وَلا يُوَرَّثُوا)، هؤلاء الأئمة حكموا بكفر الجهمية، لماذا؟ لأنهم ينفون علو الله على عرشه فوق سماواته، ومن نفى ذلك، فقد كفر، ولهذا يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في النونية: (وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرهُمْ)، يعني: الجهمية[1].

وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي ... عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

وَاللَّالَكَائِيُّ الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْـ ... ـهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي

يعني: خمسمائة عالم حكموا بكفر الجهمية، لماذا؟ لأنهم ينفون علو الله على عرشه، ويكذبون الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فهؤلاء الأئمة حكموا بكفر الجهمية، والإمام ابن مهدي يقول: (أرى أن لا يناكحوا)؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة:٢٢١]، ويقول في نفس الآية: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾، ويقول: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة:١٠]، هؤلاء كفار ومرتدون

---

(١) انظر النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٢٩٠).

لا يناكحون، ولا تؤكل ذبائحهم؛ لأن ذبيحة المشرك حرام بالإجماع، إلا أهل الكتاب فقط، استثناهم الله؛ ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة:٥]؛ كما أن الله أباح نساء أهل الكتاب، أما هؤلاء المرتدون، فهم من جملة الكفرة؛ لا تؤكل ذبائحهم، ولا تنكح نساؤهم، ولا يزوجون من المسلمات، فهذا حكم على الجهمية أنهم كفار ومرتدون.

قوله: (وَلا يُوَرَّثُوا)، وكذلك لا يورثوا؛ لأنه في الحديث الصحيح: «**لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ**»[1]، الله جَلَّوَعَلَا منع المناصرة بين المسلمين والكفار، ومن ذلك الميراث؛ فلا توارث بين مسلم وكافر لانقطاع المناصرة بينهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٦٤)، ومسلم (١٦١٤)، من حديث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.



وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي كِتَابِ "الرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ" عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، قَالَ: (أَصْحَابُ جَهْمٍ يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ. أَرَى أَنْ يُسْتَتَابُوا، فَإِنْ تَابُوا، وَإِلَّا قُتِلُوا)(١).

وَعَنِ الأَصْمَعِيِّ(٢) قَالَ: (قَدِمَتِ امْرَأَةُ جَهْمٍ، فَنَزَلَت الدَّبَّاغِينَ، فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَهَا: اللهُ عَلَى عَرْشِهِ، فَقَالَتْ: مَحْدُودٌ عَلَى مَحْدُودٍ؟ وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: كَافِرَةٌ بِهَذِهِ المَقَالَةِ)(٣).

الشَّرح

قوله: (وَرَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي كِتَابِ «الرَّدِّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ» عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، قَالَ: أَصْحَابُ جَهْمٍ يُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: إِنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ)، الجهمية لهم مقالات شنيعة كفرية، كل واحدة منها تكفي لتكفيرهم؛ الأولى: أنهم ينفون عن الله الكلام، فيقولون: (إن الله لا يتكلم، وإنما خلق الكلام في غيره؛ خلقه في جبريل، أو في محمد، أو في اللوح المحفوظ، أما الله جَلَّوَعَلَا، فإنه لا يتكلم)! ولذلك قالوا:

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٨٦)، واللالكائي مختصرًا في اعتقاد أهل السنة (١/ ٣١٦، ٣١٧)، وذكره البخاري مختصرًا في خلق أفعال العباد (ص٣٨)، وذكره الذهبي في العلو (١٥٩)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٩، ٢٠٠).

(٢) هو الإمام العلامة حجة الأدب، ولسان العرب، عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أبو سعيد الأصمعي صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح، قال الشافعي: (ما عبر أحد عن العرب بمثل عبارة الأصمعي). اهـ. وقال ابن معين: (لم يكن ممن يكذب، وكان من أعلم الناس في فنه). اهـ. انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٠)، والوافي بالوفيات (١٩/ ١٢٦)، والعبر (١/ ٣٧٠)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٦).

(٣) ذكره الذهبي في العلو (١٥٩).

(إن الله لم يكلم موسى تكليمًا)؛ لأن هذا فيه إثبات أن الله يتكلم، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] تكليما تأكيد؛ لئلا يقال: (إن هذا مجاز)، فقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾، ثم أكده بقوله: ﴿تَكۡلِيمًا﴾، الله كلم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من غير واسطة، وسمع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كلام الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولذلك يسمى كليم الله؛ لأنه اختصه: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤]، اصطفاه الله على سائر الرسل وعلى سائر البشر بأن الله كلمه من غير واسطة، وسمع موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كلام الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، الجهمية يقولون: (لم يكلم موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ)؛ بناء على أنهم ينفون الكلام عن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولهذا يروى أن جهميًّا أتى إلى أحد القراء المشهورين -أظنه أبا عمرو بن العلاء(١)-، وقال: أريد منك أن تقرأ الآية: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، فيكون موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ هو الذي كلم الله، قال: هبني فعلت ذلك، ما تقول: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؟ فانخصم الخبيث لما قال: ما تقول في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، هذه ما تتحمل أبدًا، وهو يريد أن يقرأ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾، يحاول الخبيث، فدمغه بالآية الأخرى التي لايستطيع أن يحرفها، ولهذا جاء خالد بن عبد الله القسري(٢)، وقتل الجعد

(١) هو الإمام المقرئ المشهور أبو عمرو بن العلاء زبان البصري، وقد سأله عمرو بن عبيد رأس المعتزلة، انظر ترجمة أبي عمرو في السير (٦/ ٤٠٧)، وترجمة عمرو بن عبيد في سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٤)، وميزان الاعتدال (٣/ ٢٧٣)، وشذرات الذهب (١/ ٢١٠)، والبداية والنهاية (١٠/ ٨٠).

(٢) هو الأمير الكبير أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي الدمشقي أمير العراقيين لهشام وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك ثم لسليمان، روى عن أبيه وعنه سيار أبو الحكم وإسماعيل بن أوسط البجلي وإسماعيل بن أبي خالد وحميد الطويل. مات سنة ست وعشرين ومائة. من حسناته قتله الجعد بن درهم والمغيرة الكذاب. قاله الذهبي. انظر سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٢٥-٤٣٢)، وشذرات الذهب (١/ ١٦٩).

ابن درهم القائل بهذه المقالة، قال على المنبر في عيد الأضحى: (أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم؛ فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليما، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا)، ثم نزل فذبحه، فشكر أهل السنة هذا العمل؛ ولهذا يقول الإمام ابن القيم[1]:

وَلِأَجْلِ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدُ الـ	ـقَسْرِيُّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ	كَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمَ الدَّانِي
شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ	لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ

فهذا الخبيث ينفي أن الله كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذه واحدة.

والثانية: (ويريدون أن يقولوا: ليس في السماء شيء)، وكذلك المسألة الثانية أنهم ينفون العلو، وهذا كفر بالله عَزَّ وَجَلَّ، اتفقت كلمات الأئمة -كما سبق- على أنه كفر مخرج من الملة.

قوله: (وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ)، كذلك ينفون قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

قوله: (أَرَى أَنْ يُسْتَتَابُوا، فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا)؛ لأن هذا شأن المرتد، أن المرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قتل؛ حماية للعقيدة؛ لأن الإسلام جاء بحماية الضرورات الخمس، أولها: العقيدة، فمن ارتد، يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل؛ حماية للعقيدة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[2]، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي،**

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٥٠-٥١).

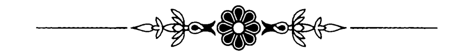
(٢) أخرجه البخاري (٣٠١٧، ٦٩٢٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»(١)، فالمرتد يستتاب، فإن تاب، وإلا فإنه يقتل حماية للعقيدة من التلاعب.

قوله: (وَعَنِ الأَصْمَعِيِّ) الأصمعي إمام أهل اللغة المشهور، إمام أهل اللغة، عبد الملك بن قريب الأصمعي الراوية اللغوي العالم الجليل.

قوله: (قَالَ: قَدِمَتِ امْرَأَةُ جَهْمٍ، فَنَزَلَت الدَّبَّاغِينَ، فَقَالَ رَجُلٌ عِنْدَهَا: اللهُ عَلَى عَرْشِهِ، فَقَالَتْ: مَحْدُودٌ عَلَى مَحْدُودٍ)، امرأة الجهم تعتقد اعتقاد الجهم؛ لأن الغالب أن المرأة تكون على عقيدة زوجها، فهي تعتقد اعتقاد الجهم، ولذلك لا يجوز للمسلمين أن يزوجوا الكفرة والزنادقة والمرتدين أن يزوجوا المسلمات من هؤلاء؛ لأنهم يؤثرون عليهن، ويخرجونهن من دينهن إلى دينهم، فهذه امرأة الجهم على دين الجهم، امتحنها أحد العلماء، فقال: (الله على العرش)، يريد أن يمتحنها بذلك، أنكرت، قالت: (مَحْدُودٌ عَلَى مَحْدُودٍ؟)، يعني: أن الله يكون محدودًا، والعرش محدود، وهم يريدون أن الله في كل مكان من غير حد، تعالى الله عن ذلك!

قوله: (وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: كَافِرَةٌ بِهَذِهِ المَقَالَةِ)؛ لأنها نفت علو الله على عرشه، فكذبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.



(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ(١) -شَيْخِ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ وَطَبَقَتِهِمَا-، قَالَ: (نَاظَرْتُ جَهْمًا، فَتَبَيَّنَ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَنَّ فِي السَّمَاءِ رَبًّا)(٢).

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، ثنا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ(٣)، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ نَافِعٍ الصَّائِغَ(٤)، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: (اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ)(٥).

الشَّرْح

قوله: (وَعَنْ عَاصِمِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَاصِمٍ -شَيْخِ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ وَطَبَقَتِهِمَا-، قَالَ: (نَاظَرْتُ جَهْمًا، فَتَبَيَّنَ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَنَّ فِي السَّمَاءِ رَبًّا)، اتفقت كلمات

---

(١) هو عاصم بن علي بن عاصم بن صهيب مولى قريبة بنت محمد بن أبي بكر الصديق، يكنى أبا الحسين، وهو واسطي نزل بغداد زمانًا طويلًا، قال أحمد: «صحيح الحديث قليل الغلط، وكان يحضر مجلسه خلائق حزروا بعشرين ومائة ألف» اهـ. مات سنة إحدى وعشرين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٢٤٧)، والوافي بالوفيات (١٦/ ٣٢٥)، والعبر (١/ ٣٨١)، وطبقات الحفاظ (ص١٧٧).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (١/ ١٦٨)، وذكره الذهبي في العلو (ص١٦٧).

(٣) هو سريج بن النعمان بن مروان أبو الحسن اللؤلؤي، خراساني الأصل، بغدادي الدار، سمع حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة، وروى عنه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم، قال عنه الذهبي: (كان من أعيان المحدثين) اهـ. توفي سنة سبع عشرة ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٢١٧)، والوافي بالوفيات (١٥/ ٨٩)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٠).

(٤) هو عبد الله بن نافع الصائغ، ويكنى أبا محمد، مولى لبني مخزوم، وكان قد لزم مالك بن أنس لزومًا شديدًا، وكان لا يُقدم عليه أحدًا، مات بالمدينة في شهر رمضان سنة ست ومائتين. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٤٣٨)، وسير أعلام النبلاء (١٠/ ٣٧١)، وشذرات الذهب (٢/ ١٥).

(٥) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ١٠٦، ١٠٧)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٤١٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٣٨)، وابن قدامة في العلو (١/ ١١٥)، وذكره الذهبي في العلو (١٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ١٠١) من رواية عبد الله بن الإمام أحمد.

الأئمة -كما سبق- على أن الجهمية لا يؤمنون بوجود الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا أعظم الإلحاد أعظم الكفر -والعياذ بالله.

قوله: (وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، ثنا سُرَيْجُ بْنُ النُّعْمَانِ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَاللهِ بْنَ نَافِعِ الصَّائِغَ، قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ)، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة؛ أن الله فوق سماواته، مستو على عرشه، وأن علمه في كل مكان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا يخفى عليه شيء؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران:٥]؛ محيط بعباده، يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ شامل، لا يخفى عليه شيء، هذا معنى أن الله فوق سماواته، وأن علمه في كل مكان، ليس معناه: أنه إذا كان فوق سماواته وعلى عرشه أنه لا يعلم ما يحصل في الأرض وما يحصل في البر والبحر، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، لا يخفى عليه شيء، فعلمه في كل مكان، بمعنى: أنه لا يحول شيء دون علمه، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] معهم بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، معية العلم، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: (خِلافَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَقٌّ قَضَاهَا اللهُ فِي سَمَائِه، وَجَمَعَ عَلَيْه قُلُوبَ عِبَادِه)[(١)].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْتَخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ: (زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُمْ، وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ)[(٢)]، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ الشَّافِعِيِّ.

وَقِصَّةُ أَبِي يُوسُفَ -صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ- مَشْهُورَةٌ فِي اسْتِتَابَةِ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ، حَتَّى هَرَبَ مِنْهُ لَمَّا أَنْكَرَ الصِّفَاتِ، وَأَظْهَرَ قَوْلَ جَهْمٍ، قَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ[(٣)].

الشَّرح

قوله: (**وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: خِلافَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَقٌّ قَضَاهَا اللهُ فِي سَمَائِهِ وَجَمَعَ عَلَيْهِ قُلُوبَ عِبَادِهِ**)، هذا رد على الشيعة الذين يقولون: (إن الوصي بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإن الخلافة له، ولكن اغتصبها الصحابة منه)، هكذا يقولون -قبحهم الله-، ولهذا يلعنون أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويكفرونهما، ويقولون: (الخلافة لعلي، واغتصبوها)، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ممن بايع لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حضر البيعة، وسمع وأطاع، هل يكتم هذا لو أن الرسول

---

(١) أخرجه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) القصة ذكرها الذهبي في العلو (ص١٥١) عن ابن أبي حاتم بسنده، قال: (جاء بشر بن الوليد الكندي إلى القاضي أبي يوسف، فقال له: تنهاني عن الكلام وبشر المريسي وعلي الأحول وفلان يتكلمون؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون: الله في كل مكان. فقال أبو يوسف: علي بهم. فانتهوا إليهم وقد قام بشر، فجيء بعلي الأحول وبالآخر شيخ، فقال أبو يوسف -ونظر إلى الشيخ-: لو أن فيك موضع أدب لأوقعتك، فأمر به إلى الحبس، وضرب الأحول وطوف به). اهـ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطاه الخلافة؟! أيليق به أنه يكتم هذا؟! ما يليق به، هل يخفى على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لو أن الخلافة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأنه وصي؟! هل يخفى هذا على صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فخلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حق؛ رد على الرافضة الذين يطعنون فيها، ويقولون: (الخلافة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، هذا كفر بالله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه تكذيب لإجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الصحابة أجمعوا على مبايعة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما فيهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والعباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كلهم بايعوا أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والمهاجرون والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما تخلف أحد عن بيعة أبي بكر -رضي الله تعالى عنه-، وهو الخليفة الأول بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: **(قَضَاهَا اللهُ فِي سَمَائِهِ)**، بدليل إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لا يجمعون على خلاف ما قضاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فخلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثابتة بالإجماع وثابتة -أيضًا- بالنص؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستخلفه على الصلاة، لما مرض صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»(١)، استخلفه على الصلاة، فيؤخذ من هذا أنه هو الخليفة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا لما بايعوا أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأراد أن يتمنع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالوا له: أيرضاك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لديننا، ولا نرضاك لدنيانا؟!(٢)، فبايعوه، وأجمعوا على بيعته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والشاهد منه: أنها حق قضاها الله في السماء، هذا دليل على أن الله في السماء.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤، ٦٧٩، ٦٨٣، ٦٨٧، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٦، ٣٣٨٤، ٧٣٠٣)، ومسلم (٤١٨)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) انظر: الإنباء في تاريخ الخلفاء (ص٤٧)، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢٢/ ١١٠)، والمقفى الكبير (١/ ٤٨٨).



قوله: (وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْتَخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقُولُ: «زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُمْ، وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ الشَّافِعِيِّ)، زينب أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الله هو الذي زوجها لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتولى عقدها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]، دخل عليها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا العقد، الله هو الذي تولى عقدها، قال الله: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾، فهي تفتخر على أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنهن زوجهن أهليهن، وهي زوجها الله، هذا لا شك فيه، ولكن قولها: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»، هذا فيه إثبات العلو لله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: (وَقِصَّةُ أَبِي يُوسُفَ -صَاحِبِ أَبِي حَنِيفَةَ- مَشْهُورَةٌ فِي اسْتِتَابَةِ بِشْرٍ المَرِيسِيِّ حَتَّى هَرَبَ مِنْهُ)، أبو يوسف القاضي تلميذ أبي حنيفة؛ لأن التلاميذ الذين اشتهروا من تلاميذ أبي حنيفة الذين حملوا مذهبه هم: أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وزفر بن الهذيل، فأبو يوسف ولي القضاء، فلما ظهرت مقالة الجهم على يد بشر المريسي الخبيث، أمر القاضي أبو يوسف بإحضاره -لأنه هو القاضي-؛ ليستتيبه من مقالته، فلما علم الخبيث أنه مطلوب، هرب.

قوله: (لَمَّا أَنْكَرَ الصِّفَاتِ، وَأَظْهَرَ قَوْلَ جَهْمٍ، قَدْ ذَكَرَهَا ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُه)، يعني: كون القاضي أبي يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ طلب بشر المريسي ليستتيبه لماذا؟ لأنه قال بمقالة الجهمية وتبناها.



وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي زَمَنِينَ[(١)] -الإِمَامُ المَشْهُورُ مِنْ أَئِمَّةِ المَالِكِيَّةِ- فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي «أُصُولِ السُّنَّةِ»، قَالَ فِيهِ: بَابُ الإِيمَانِ بِالْعَرْشِ.

قَالَ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ الْعَرْشَ، وَاخْتَصَّهُ بِالْعُلُوِّ وَالارْتِفَاعِ فَوْقَ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد:٤]؛ فَسُبْحَانَ مَنْ بَعُدَ وَقَرُبَ بِعِلْمِهِ، فَسَمِعَ النَّجْوَى. وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ؟ قَالَ: «فِي عَمَاءٍ، مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ»[(٢)].

قَالَ مُحَمَّدٌ[(٣)]: الْعَمَاءُ[(٤)]: السَّحَابُ الْكَثِيفُ الْمُطْبِقُ، فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ[(٥)]. وَذَكَرَ آثَارًا أُخَرَ.

---

(١) ابن أبي زمنين هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري الأندلسي الألبيري، نزيل قرطبة وشيخها ومفتيها، وصاحب التصانيف الكثيرة في الفقه والحديث والزهد، قال الذهبي: (كان راسخًا في العلم، متفننًا في الآداب، مقتفيًا لآثار السلف، صاحب عبادة وإنابة وتقوى)، ولد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وتوفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة. انظر: العبر (٣/ ٧٣)، و سير الأعلام (١٧/ ١٨٨)، والوافي بالوفيات (٣/ ٢٦٠)، وشذرات الذهب (٣/ ١٥٦).

(٢) حديث أبي رزين العقيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبق تخريجه (ص٣٧٢).

(٣) هو: ابن أبي زمنين.

(٤) انظر في معنى (عماء): بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٥٤)، والإبانة الكبرى (٣/ ١٧٠)، والعلو للذهبي (ص١٨)، والعين (٢/ ٢٦٦)، ومقاييس اللغة (٤/ ١٣٥)، ولسان العرب (١٥/ ٩٩).

(٥) هو الإمام صاحب العربية ومنشئ علم العروض أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري أحد الأعلام، توفي سنة سبعين ومائة، قال عنه الذهبي: (كان رأسًا في لسان العرب، ديِّنًا، ورعًا، قانعًا، متواضعًا كبير الشأن). انظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢٤٤)، وسير الأعلام (٧/ ٤٢٩)، وشذرات الذهب (١/ ٢٧٥).

الشرح

قوله: (وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي زَمَنِينَ -الإِمَامُ المَشْهُورُ مِنْ أَئِمَّةِ المَالِكِيَّةِ- فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي «أَصُولِ السُّنَّةِ»، قَالَ فِيهِ)، وهذا الكتاب مطبوع.

قوله: (بَابُ الإِيمَانِ بِالْعَرْشِ. قَالَ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خَلَقَ الْعَرْشَ، وَاخْتَصَّهُ بِالْعُلُوِّ وَالارْتِفَاعِ فَوْقَ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ)، أعظم المخلوقات وأعلاها هو العرش، والله جَلَّوَعَلَا فوق العرش في سبعة مواضع من كتابه ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، أي: علا وارتفع سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فوق العرش، في سبعة مواضع من كتابه، كلها بلفظ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فنحن نؤمن أن الله استوى على العرش بمعنى ارتفع وعلا، ولكن كيفية الاستواء هذه لانعلمها، بل نتوقف عنها، كيف استوى؟ لا، ما لنا بها علم، كيف ينزل إلى السماء الدنيا؟ ما لنا علم بهذا، لكن نثبت النزول، وهكذا.

قوله: (كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد:٤]) ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، هذا معنى ما مر؛ أن الله فوق مخلوقاته، وعلمه في كل مكان.

قوله: (فَسُبْحَانَ مَنْ بَعُدَ وَقَرُبَ بِعِلْمِهِ، فَسَمِعَ النَّجْوَى)، فهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، الظاهر فوق مخلوقاته، الباطن بعلمه في كل شيء، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

(بَعُدَ) يعني: ارتفع، وعلا فوق مخلوقاته.

(وَقَرُبَ بعِلْمِهِ)، وقرب منهم بعلمه وإحاطته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة:١٨٦] قربًا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعظمته.

(فَسَمِعَ النَّجْوَى)، والنجوى: هي الحديث الخفي، بخلاف النداء، فهو الصوت المسموع؛ ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢]، ناديناه، وقربناه نجيا، النداء هو الصوت المسموع، والمناجاة هي الصوت الخفي.

قوله: (وَذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ الْعُقَيْلِيِّ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ؟ قَالَ: «فِي عَمَاءٍ»)، لا شك أن السماوات والأرض مخلوقة حادثة بعد أن لم تكن؛ كما ذكر الله ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في القرآن؛ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، وفصل هذه الستة في سورة فصلت: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [فصلت:٩]، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١٠،١١]، هذه أربعة أيام، ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ نعم، كم هذه؟ ستة أيام، خلق الأرض في يومين، وتقدير أقواتها في يومين، هذه أربعة أيام، وخلق السماوات في يومين، هذه ستة أيام، هذه فصلت قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف:٥٤].

قوله: (مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ»)، العرش والسماوات كلها مخلوقات حادثة بعد أن لم تكن، أما الله جَلَّوَعَلَا، فإنه لا بداية له، أين يكون قبل خلق السماوات والأرض؟ كان في السحاب، عماء يعني سحاب، ما فوقه هواء، وما تحته هواء؛ لأنه ليس بحاجة إلى السماوات والأرض والعرش، فهذه مخلوقات، هو غني عن ذلك سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هي التي محتاجة إليه.

قوله: (قَالَ مُحَمَّدٌ: الْعَمَاءُ: السَّحَابُ الْكَثِيفُ الْمُطْبِقُ، فِيمَا ذَكَرَهُ الْخَلِيلُ)، الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام أهل اللغة.

قوله: (وَذَكَرَ آثَارًا أُخَرَ)، فهذا الحديث يبين أن الله جَلَّوَعَلَا في العلو قبل خلق السماوات والأرض، ثم خلق الأرض، ثم خلق السماء، ثم خلق العرش.



ثُمَّ قَالَ: بَابُ الإِيمَانِ بِالْكُرْسِيِّ: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ(١): وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْكُرْسِيَّ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ. ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَنَسٍ الَّذِي فِيهِ التَّجَلِّي يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي الآخِرَةِ، وَفِيهِ: «فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ هَبَطَ مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ يَحُفُّ بِالْكُرْسِيِّ مَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٌ بِالْجَوَاهِرِ، ثُمَّ يَجِيءُ النَّبِيُّونَ فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا»(٢).

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ قَالَ: بَابُ الإِيمَانِ بِالْكُرْسِيِّ)، والكرسي -أيضًا- من المخلوقات العظيمة، لكنه دون العرش، العرش أعظم منه؛ أولًا: الأرض، ثم السماوات، ثم الكرسي، والكرسي فوق السماوات؛ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، ثم فوق الكرسي البحر، ثم العرش، ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، نعم هذه المخلوقات.

---

(١) هو: ابن أبي زمنين.

(٢) حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه الشافعي في مسنده (ص٧٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٧٧) والعرش (٩٥)، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ٢٥٠)، وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٢٢٨)، والطبري في تفسيره (٢٦/ ١٧٥)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص٩٠)، والدارقطني في الرؤية (٧٦-٧٨)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٨)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٤١٣)، (٧/ ١٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٦٢٠)، والذهبي في العلو (ص٣٠) وقال: (وهذه الطرق بعضها يعضد بعضًا)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص٧٠).

وقد ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ روايات هذا الحديث وبعض طرقه، وقال بعد أن ذكر رواية ابن بطة: (فإذا كان الحديث قد روي من تلك الطريق الجيدة اندفع الحمل عليه) ا.هـ. انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤١١ - ٤١٦).

وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤٨٩): (رواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد). اهـ.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٢١): (رواه الطبراني في الأوسط بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وقد وثقه غير واحد، وضعفه غيرهم..) اهـ.

قوله: (**قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الْكُرْسِيَّ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ**)؛ كما سبق أن الكرسي موضع القدمين لله عَزَّوَجَلَّ، أما العرش، فهو محل الاستواء لله عَزَّوَجَلَّ، والعرش أوسع من الكرسي وأعظم.

قوله: (**ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَنَسٍ الَّذِي فِيهِ التَّجَلِّي يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي الآخِرَةِ، وَفِيهِ: «فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ هَبَطَ مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ يَحُفُّ بِالْكُرْسِيِّ مَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ مُكَلَّلَةٌ بِالْجَوَاهِرِ**)، النزول معلوم؛ أن الله ينزل سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهو فوق عرشه وفوق سماواته، ثم ينزل حين شاء، ينزل كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، وينزل في الجنة، ويأتي إلى عباده على كرسيه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كما يليق بجلاله، ويأتي يوم القيامة، يجيء لفصل القضاء بين عباده، هذه أفعال لله عَزَّوَجَلَّ، يفعلها متى شاء كيف يشاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله: (**هَبَطَ مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَى كُرْسِيِّهِ**)، يعني: نزل، والنزول ثابت لله عَزَّوَجَلَّ، لكنه نزول يليق بجلاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ليس كنزول المخلوق عن المخلوق.



وَذَكَرَ مَا ذَكَرَهُ يَحْيَى بْنُ سَلَّامٍ[(١)] صَاحِبُ التَّفْسِيرِ المَشْهُورِ: حَدَّثَنِي المُعَلَّى بْنُ هِلالٍ[(٢)]، عَنْ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ[(٣)]، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ[(٤)]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ الْكُرْسِيَّ الَّذِي وَسِعَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ لَمَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَلا يَعْلَمُ قَدْرَ الْعَرْشِ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ»[(٥)].

---

(١) هو يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، الإمام العلامة أبو زكريا البصري، نزيل المغرب بإفريقية، حدث عن سعيد بن أبي عروبة وفطر بن خليفة وشعبة والمسعودي والثوري ومالك، وأخذ القراءات عن أصحاب الحسن البصري، وجمع وصنف، ولد سنة أربع وعشرين ومائة، وتوفي سنة مائتين. قال عنه أبو عمرو الداني: (كان ثقة ثبتًا عالمًا بالكتاب والسنة، وله معرفة باللغة والعربية) اهـ. وقال ابن عدي: «يكتب حديثه مع ضعفه». انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩/ ١٥٥)، والكامل لابن عدي (٧/ ٢٥٣)، والضعفاء لابن الجوزي (٣/ ١٩٦)، وسير الأعلام (٩/ ٣٩٦)، وميزان الاعتدال (٧/ ١٨٣).

(٢) هو معلى بن هلال بن سويد الحضرمي أبو عبد الله الطحان الكوفي، اتفق العلماء على تكذيبه، قال الذهبي: (رماه السفيانان بالكذب، وقال ابن المبارك وابن المديني: كان يضع الحديث، وقال ابن معين: هو من المعروفين بالكذب والوضع، وقال النسائي وغيره: متروك، وقال أحمد: كل أحاديثه موضوعة) اهـ. انظر: الضعفاء للعقيلي (٤/ ٢١٥)، والجرح والتعديل (٨/ ٣٣١)، والكامل (٦/ ٣٧١)، وميزان الاعتدال (٦/ ٤٧٨ ـ ٤٨٠).

(٣) هو الإمام المحدث أبو معاوية عمار بن معاوية بن أسلم البجلي ثم الدهني الكوفي، وثقه أحمد بن حنبل وجماعة، توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة. انظر: التاريخ الكبير (٧/ ٢٨)، وسير الأعلام (٦/ ١٣٨)، وميزان الاعتدال (٥/ ٢٠٨)، والوافي بالوفيات (٦/ ١٣٨)، وشذرات الذهب (١/ ١٩١).

(٤) هو الإمام الحافظ المقرئ المفسر الثقة أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي، أحد أعلام التابعين، قتله الحجاج سنة خمس وتسعين للهجرة، في قصة مشهورة ذكرها غير واحد. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٢٥٦)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٧١)، والوافي بالوفيات (١٥/ ١٢٩)، والسير (٤/ ٣٢١)، وطبقات الحفاظ (ص٣٨).

(٥) سبق تخريجه (ص٤١٨).



الشَّرح

قوله: (وَذَكَرَ مَا ذَكَرَهُ يَحْيَى بْنُ سَلّامٍ صَاحِبُ التَّفْسِيرِ الْمَشْهُورِ: حَدَّثَنِي الْمُعَلَّى ابْنُ هِلالٍ، عَنْ عَمَّارٍ الدُّهْنِيِّ)، هذه تسمى الزيارة، زيارة رب العالمين، فأهل الجنة يزورون رب العالمين في كل يوم جمعة، و يسمى يوم المزيد، ينزل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على كرسيهن ويكلم عباده، ويكلمونه، وأقرب المؤمنين إلى ربهم يوم القيامة أقربهم إلى الإمام في صلاة الجمعة في الدنيا.

قوله:(عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ الْكُرْسِيَّ الَّذِي وَسِعَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ لَمَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ»)، الكرسي الذي وسع السماوات والأرض موضع القدمين، فكيف بالرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: («وَلا يَعْلَمُ قَدْرَ الْعَرْشِ إِلّا الَّذِي خَلَقَهُ»)، والعرش أعظم من الكرسي، والكرسي بالنسبة للعرش كالحلقة الملقاة في فلاة، ماذا يكون حجم الحلقة في الفلاة؟!



وَذَكَرَ حَدِيثَ أَسَدِ بْنِ مُوسَى[١]: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ[٢]، عَنْ عَاصِمٍ[٣]، عَنْ زِرٍّ[٤]، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالمَاءِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»[٥].

---

(١) هو الإمام الحافظ الثقة صاحب التصانيف أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ابن مروان الأموي المرواني المصري، يلقب بأسد السنة، ولد بمصر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وتوفي سنة اثنتي عشرة ومائتين، قال النسائي: (ثقة)، وقال البخاري: (مشهور الحديث)، وقال ابن يونس: (ثقة). انظر: التاريخ الكبير (٢/ ٤٩)، والوافي بالوفيات (٩/ ٧)، وسير الأعلام (١٠/ ١٦٢)، وطبقات الحفاظ (ص١٧٠، ١٧١).

(٢) سبقت ترجمته (ص٣٤٢).

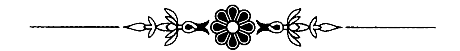
(٣) هو عاصم بن بهدلة أبي النجود أبو بكر الأسدي الكوفي، وبهدلة هو أبو النجود، وقيل هي أمه، كان أحد القراء السبعة والمشار إليه في القراءات، أخذ القراءة عن أبي عبد الرحمن السلمي وزر ابن حبيش، وأخذ عنه أبو بكر بن عياش وأبو عمر البزار، توفي سنة سبع وعشرين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣٢٠)، وتاريخ دمشق (٢٥/ ٢٢٠) ووفيات الأعيان (٣/ ٩)، وسير الأعلام (٥/ ٢٥٦).

(٤) هو زر بن حبيش بن حباشة بن أوس بن بلال الكوفي، أبو مريم ويقال أبو مطرف الأسدي، أدرك الإسلام بعد الجاهلية، وعمر دهرًا مائة وعشرين سنة، وحدث عن كبار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال عنه عاصم: (ما رأيت أقرأ من زر)، وتوفي سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وثمانين. انظر: تاريخ دمشق (١٩/ ١٨)، والوافي بالوفيات (١٤/ ١٢٧)، وسير الأعلام (٤/ ١٦٦ - ١٦٨)، وطبقات الحفاظ (ص٢٦).

(٥) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٣)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٤٥)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٦٥، ٥٦٦)، والطبراني في الكبير (٨٩٨٧)، و اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٩٦)، وابن قدامة في العلو (ص١٠٤). قال في مجمع الزوائد (١/ ٩١): (رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح) اهـ.

الشرح

قوله: (وَذَكَرَ حَدِيثَ أَسَدِ بْنِ مُوسَى: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»)، وهذا كما سبق في آخر كتاب التوحيد[1]، حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -حديث الأوعال-، الذي فيه تفصيل المسافات بين الأرض والسماء الدنيا وبين كل سماء وسماء، وبين السماء السابعة والكرسي، وبين الكرسي والماء البحر، وبين البحر والعرش مسافات، كلّ مسافة خمسمائة عام، والله جَلَّ وَعَلَا فوق العرش[2].



(١) انظر كتاب التوحيد (ص٧٥٢) مع فتح المجيد؛ باب: ما جاء في قول الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ ط مؤسسة قرطبة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (٣/ ٢٩٢) عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، وَكِثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ».

ثُمَّ قَالَ: فِي بَابِ الإِيمَانِ بِالْحُجُبِ: قَالَ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللهَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ بِالْحُجُبِ، فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا؛ ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ [الكهف:٥]، وَذَكَرَ آثَارًا فِي الْحُجُبِ(١).

الشَّرح

قوله: (**ثُمَّ قَالَ: فِي بَابِ الإِيمَانِ بِالحُجُبِ: قَالَ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللهَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ يَحْتَجِبُ عَنْهُمْ بِالحُجُبِ، فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا**)، لازال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نقله عن ابن أبي زمنين، وفي هذه الجملة يقول في الحجب التي احتجب الله جَلَّ وَعَلَا بها عن خلقه، وفي الحديث: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: **نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»(٢)، وفي رواية: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٣)، والله جَلَّ وَعَلَا لا يراه أحد في هذه الدنيا؛ لأنه أعظم من أن يراه الناس، وأيضًا: الناس لا يستطيعون رؤيته، ولو تجلى لهم، لاحترقوا من نوره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا لما قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما كلمه ربه وسمع كلام ربه، اشتاق إلى رؤيته، فقال: ﴿ قَالَ

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى:٥١]، وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي رواه مسلم (٢٩٣) (١٧٩)، وفيه: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**».

(٢) رواه مسلم (٢٩١) (١٧٨) من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

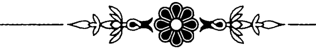
(٣) رواه مسلم (٢٩٣) (١٧٩) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾، أي: كما خصصتني بكلامك بدون واسطة، امنن علي برؤيتك! قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، و«لن» هذه للنفي ليس للأبد، وإنما هو للنفي غير المؤبد، للنفي المؤجل، أما «لم» فإنها للنفي المؤبد، ما قال: لم تراني، أو لا تراني، بل قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، فـ«لن» هذه للنفي غير المؤبد، يعني: لن تراني في هذه الدنيا، ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾، الجبل الجماد القاسي، ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف:١٤٣]، انهار الجبل، وصار ترابا من عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ مغشيًّا عليه، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فالمؤمنون يؤمنون بربهم وإن لم يروه، بناء على ما يرون من آياته سبحانه، من آياته الكونية من خلق السماوات والأرض وما فيهما، وما يرون من حكمته في تنظيم هذه المخلوقات بدقة تحتار بها العقول، فآياته تدل عليه سبحانه، وكذلك آياته المنزلة على الرسل، وهي الكتب المنزلة، فهم آمنوا بربهم؛ بناء على ما رأوه من آياته الكونية، وآياته المنزلة ووحيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فآمنوا به إيمانا صادقا لا يخالجه شك، أنه رب العالمين، وأنه مالك الملك، وأنه خالق كل شيء، وأنه المستحق للعبادة جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الذي لا يخلق لا يستحق العبادة؛ ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:١٧]، ولذلك إذا كان يوم القيامة، تجلى الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لأهل الجنة، فيرونه عيانا؛ إكراما لهم، وجزاء لهم على إيمانهم به في الدنيا، وهم لم يروه، الله يكرمهم يوم القيامة بأن يتجلى لهم، ويرونه عيانا بأبصارهم، ويتنعمون برؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويحجب الكفار الذين كفروا به في هذه الدنيا عن رؤيته يوم القيامة، قال تعالى في الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]؛ عقوبة لهم، فالحجب التي جعلها الله بينه وبين خلقه

تحول دون رؤيتهم له، ولكنها لا تحول دون رؤيته لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو يراهم أينما كانوا، ويسمعهم ويبصرهم أينما كانوا، لا يخفون عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالحجب هذه تمنع الناس من رؤية الله في الدنيا.

قوله: (بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ)، هذا رد على الحلولية، يعني: أن الله جَلَّ وَعَلَا ليس داخل المخلوقات، وليس حالًا في سماواته ولا في أرضه، فالمخلوقات لا تقله ولا تظله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو غني عنها، وهي بحاجة إليه؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١]، فهي بحاجة إليه، وهو ليس بحاجة إليها، وهو فوقها وبائن منها، ليس في ذاته شيء من مخلوقات، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، هذا معنى بائن منها، يعني: ليس في ذاته شيء من مخلوقات، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، هذا رد على الحلولية الذين يقولون: (إن الله حالٌّ في خلقه)، تعالى الله عما يقولون!

قوله: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ [الكهف:٥]) ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾ [الكهف:٥] على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهم يصفونه بما نزه نفسه عنه، وينفون عنه ما وصف به نفسه جَلَّ وَعَلَا؛ على العكس، يصفونه بما نزه نفسه عنه من الحلول، وغير ذلك، وينكرون ما وصف الله به نفسه من صفات الكمال ونعوت الجلال.



ثُمَّ قَالَ: فِي بَابِ الإِيمَانِ بِالنُّزُولِ: قَالَ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَيُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحُدُّوا فِيهِ حَدًّا، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَخْبَرَنَا وَهْبٌ[(١)]، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ[(٢)]، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَبَّادٍ[(٣)]، قَالَ: (مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ الْمَشَايِخِ -مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَعِيسَى[(٤)]، وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَوَكِيعٍ[(٥)]- ....

---

(١) هو وهب بن مسرة بن مفرج بن بكر أبو الحزم التميمي الأندلسي الحجاري المالكي، الحافظ صاحب التصانيف، ولد في حدود الستين ومائتين، وتوفي في شعبان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، قال الذهبي: (كان إمامًا في مذهب مالك محققًا بصيرًا بالحديث وعلله مع زهد وورع، روى الكثير عن محمد بن وضاح وجماعة) اهـ. انظر: العبر (٢/ ٢٨٠)، وسير الأعلام (١٥/ ٥٥٦)، وطبقات الحفاظ (ص٣٦٤).

(٢) هو الإمام الحافظ محدث الأندلس محمد بن وضاح بن بزيع أبو عبد الله، مولى عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك الأندلسي القرطبي، ولد سنة تسع وتسعين ومائة، وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين، قال ابن الفرضي: (كان عالمًا بالحديث، بصيرًا بطرقه، متكلمًا على علله، كثير الحكاية عن العباد، ورعًا زاهدًا فقيرًا متعففًا، صابرًا على الأسماع، محتسبًا في نشر علمه) اهـ. انظر: تاريخ العلماء بالأندلس (٢/ ١٧، ١٨)، وتاريخ دمشق (٥٦/ ١٧٩)، وسير الأعلام (١٣/ ٤٤٥)، وطبقات الحفاظ (ص٢٨٧)

(٣) هو زهير بن عباد بن مليح بن زهير أبو محمد الرؤاسي الكوفي، ابن عم وكيع بن الجراح، ذكره ابن حبان في الثقات، وقال: (يخطئ ويخالف) ا.هـ، ووثقه أبو زرعة وروح بن الفرج وأحمد بن أبي الحواري، وآخرون، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين. انظر: الجرح والتعديل (٣/ ٥٩١)، والثقات (٨/ ٢٥٦)، وتاريخ دمشق (١٩/ ١٠٨)، وتهذيب التهذيب (٣/ ٢٩٧).

(٤) هو الإمام عيسى بن يونس بن أبي إسحاق الهمداني الكوفي، أبو عمرو، ويقال: أبو محمد السبيعي، قال ابن سعد: (كان ثقة ثبتًا) اهـ. وقال الذهبي: (ذُكِر لابن المديني فقال: بخ بخ ثقة مأمون) اهـ، توفي سنة سبع وثمانين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٤٨٨)، وتاريخ بغداد (١١/ ١٥٢)، وتاريخ دمشق (٤٨/ ٢٥)، والعبر (١/ ٣٠٠)، وشذرات الذهب (١/ ٣٢٠).

(٥) هو الإمام العلم أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، الرؤاسي الكوفي، قال ابن معين: (كان وكيع في زمانه كالأوزاعي في زمانه) اهـ. وقال أحمد: (ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع) اهـ. وقال ابن سعد في الطبقات: (كان ثقة مأمونًا عالمًا رفيعًا كثير الحديث حجة) اهـ، توفي سنة سبع وتسعين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣٩٤)، وتاريخ بغداد (١٣/ ٤٩٦، ٤٩٧)، وتاريخ دمشق (٦٣/ ٥٨)، وشذرات الذهب (١/ ٣٤٩).

كَانُوا يَقُولُونَ: النُّزُولُ حَقٌّ)[١].

قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: سَأَلْتُ يُوسُفَ بْنَ عَدِيٍّ[٢] **عَنِ النُّزُولِ، قَالَ: (نَعَمْ، أُؤْمِنُ بِهِ وَلا أَحُدُّ فِيهِ حَدًّا)، وَسَأَلْتُ عَنْهُ ابْنَ مَعِينٍ**[٣]**، فَقَالَ: (أُقِرُّ بِهِ وَلا أَحُدُّ فِيهِ حَدًّا).**

قَالَ مُحَمَّدٌ[٤]**: (وَهَذَا الْحَدِيثُ يُبَيِّنُ أَنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **عَلَى عَرْشِهِ فِي السَّمَاءِ دُونَ الأَرْضِ، وَهُوَ أيضًا بَيِّنٌ فِي كِتَابِ اللهِ، وَفِي غَيْرِ حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، قَالَ تَعَالَى:** ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، **وقال تعالى:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦، ١٧]، **وقال تعالى:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠]، **وقال:** ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨]، **وقال تعالى:** ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، **وقال:** ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨].

---

(١) أحاديث النزول متواترة؛ كما ذكر عدد من أهل العلم، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية؛ كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧٠) قال: (هو حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث). اهـ.

(٢) هو يوسف بن عدي بن زريق بن إسماعيل - ويقال ابن عدي بن الصلت - أبو يعقوب التيمي الكوفي، مولى تيم الله، قال أبو زرعة: (ثقة وأضر قبل موته بيسير) اهـ. وقال الذهبي: (الإمام الثقة الحافظ) اهـ.، توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين. انظر: الوافي بالوفيات (٢٩/ ١١٤)، وسير الأعلام (١٠/ ٤٨٤)، وشذرات الذهب (٢/ ٧٥).

(٣) هو يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن، وقيل يحيى بن معين بن غياث بن زياد بن عون بن بسطام، أبو زكريا المري مولاهم البغدادي، قال ابن المديني: (ما أعلم أحدًا كتب ما كتب يحيى بن معين» اهـ، وقال الخطيب: «كان إمامًا ربانيًا عالمًا حافظًا ثبتًا متقنًا) اهـ، ولد سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٧٧)، وتاريخ دمشق (٦٥/ ٣)، ووفيات الأعيان (٦/ ١٣٩)، والأنساب (٥/ ٢٧٠)، وطبقات الحفاظ (ص١٨٨).

(٤) هو: ابن أبي زمنين.

وَذَكَرَ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «فَأَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[(١)].

قَالَ: وَالأَحَادِيثُ مِثْلُ هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا، فَسُبْحَانَ مَنْ عِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاءِ كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الأَرْضِ، لَا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

الشَّرْح

قوله: (**ثُمَّ قَالَ: فِي بَابِ الإِيمَانِ بِالنُّزُولِ: قَالَ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**)، الإيمان بالنزول -نزول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى سماء الدنيا-؛ كما صح في الحديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»[(٢)]، فلذلك يستحب الاستيقاظ في آخر الليل والدعاء والصلاة والاستغفار؛ لأن هذا وقت الإجابة ووقت النزول الإلهي، فهو ينزل جَلَّ وَعَلَا إلى السماء الدنيا -كما صح في الحديث-، ولكن لا نعلم كيفية نزوله، ينزل كما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس كنزول المخلوق، بل هو نزول يليق بجلال الله جَلَّ وَعَلَا، لا نعلم كيفيته، لكنه ثابت في حقه سبحانه، وقد ألّف شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا مستقلًّا في شرح حديث النزول[(٣)]، ورد على أهل الباطل الذين ينفون نزوله، وينكرون الحديث، ويدلون بشبهات باطلة، فيقولون: (هل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟)، يقولون: (إن ثلث الليل يختلف باختلاف الأقاليم)، هذه كلها شبهات باطلة؛ الله ينزل كيف يشاء

---

(١) سبق تخريجه (ص١٢٩).

(٢) سبق تخريجه (ص١٨١).

(٣) وهي مطبوعة مستقلة وأيضًا موجودة ضمن مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢١-٥٨٥).

سبحانه، وهو الذي خلق الأقاليم، وهو الذي خلق الليل والنهار، فهو ينزل كما يشاء سبحانه، ولا ندلي بهذه الشبهات، نثبت النزول، ونؤمن به، ونكل كيفيته إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونقول: ينزل كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَيُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحُدُّوا فِيهِ حَدًّا) (مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحُدُّوا فِيهِ حَدًّا) يعني: كيفية، لا يبحثون في كيفية نزوله؛ لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ليس كنزول المخلوق عن المخلوق، بل هو نزول إلهي يليق بجلاله، ينزل ويستوي على العرش؛ كما أثبت الله ذلك، فنثبت من غير أن نتدخل في السؤال عن كيفيته وإيراد الشبهات التي يوردها أهل الباطل.

قوله: (وَذَكَرَ الحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَخْبَرَنَا وَهْبٌ، عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَبَّادٍ، قَالَ: مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ المَشَايِخِ -مَالِكٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَعِيسَى، وَابْنِ المُبَارَكِ، وَوَكِيعٍ- كَانُوا يَقُولُونَ: النُّزُولُ حَقٌّ)، هؤلاء الأئمة وغيرهم من أئمة أهل السنة والجماعة مجمعون على ذلك؛ على القاعدة: ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله، فنحن نثبته من غير تحريف، ومن غير تعطيل، ومن غير تكييف، ومن غير تمثيل، هذه القاعدة؛ النزول وغيره.

قوله: (سَأَلْتُ يُوسُفَ بْنَ عَدِيٍّ عَنِ النُّزُولِ، قَالَ: نَعَمْ، أُؤْمِنُ بِهِ وَلَا أَحَدُّ فِيهِ حَدًّا) (أُؤْمِنُ بِهِ) يعني: أثبته وأصدق به، من غير شك، (وَلَا أَحَدُّ فِيهِ حَدًّا): لاأبحث في كيفيته وأحدده؛ لأن هذا ليس من شأن العبد، وإنما من شأنه التسليم والإيمان، ولايتدخل فيما لا يدركه وما لا يصل إليه علمه.

قوله: (وَسَأَلْتُ عَنْهُ ابْنَ مَعِينٍ، فَقَالَ: أُقِرُّ بِهِ وَلَا أُحُدُّ فِيهِ حَدًّا)، كذلك الإمام يحيى بن معين الإمام المحدث الجليل يقول: (أُقِرُّ بِهِ): أؤمن به؛ بالنزول،

(وَلَا أَحُدُّ فِيهِ حَدًّا)، أي: لا أبحث عن حده وكيفيته؛ لأن الله لم يبين لنا هذا، فنحن نقف عند ما وقفنا الله جَلَّوَعَلَا، وهذا هو الإيمان الصادق الذي يتمشى مع الأدلة، فيثبتها، ويؤمن بها كما جاءت، ولا يتعرض لكيفيتها ويحدد فيها حدودًا من عنده، لا أحد يدرك هذا أبدا، مهما كلفت نفسك، فلن تدرك هذا.

قوله: (قَالَ مُحَمَّدٌ: وَهَذَا الحَدِيثُ يُبَيِّنُ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ فِي السَّمَاءِ دُونَ الأَرْضِ)، محمد هو: ابن أبي زمنين. كل هذه النقولات تدل على أنهم يؤمنون أن الله جَلَّوَعَلَا فوق العرش فوق المخلوقات -كما أخبر عن نفسه-، أنهم يؤمنون بهذا، ويثبتونه.

قوله: (فِي السَّمَاءِ دُونَ الأَرْضِ)، الله جَلَّوَعَلَا فوق المخلوقات، فوق السماوات، في العلو، يستوي على العرش كيف يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس في الأرض -كما يقوله الحلولية-، إنما في الأرض علمه جَلَّوَعَلَا وإحاطته بالمخلوقات.

قوله: (وَهُوَ -أَيضًا- بَيِّنٌ فِي كِتَابِ اللهِ، وَفِي غَيْرِ حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهذا المذهب -مذهب السلف- بيّن في كتاب الله في الآيات القرآنية وفي الأحاديث النبوية، والعقيدة إذا كانت مبنية على الكتاب والسنة، فهي عقيدة صحيحة، أما إذا كانت مبنية على التخرص والأوهام والعقول، فهي عقيدة فاسدة.

قوله: (قَالَ تَعَالَى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]) ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، هذا دليل على أنه جَلَّوَعَلَا في السماء، ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾، فدل على أنه ليس في الأرض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾، يعني: يصعد الأمر إليه، فهذا دليل على علوه سبحانه؛ لأن العروج لا يكون إلا إلى أعلى.

قولـه: (وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك:١٦، ١٧]) ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ كررها مرتين في آيتين متجاورتين، ومعنى: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ إن أريد بالسماء، فـ«في» ظرفية، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: في العلو، وإن أريد بالسماء السماوات المبنية، فإن «في» بمعنى «على»؛ كقوله: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١١]، يعني: على الأرض، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]، يعني: على جذوع النخل، فـ«في» تأتي بمعنى «على»، فإذا أريد بالسماء السماوات الطباق المبنية، فمعنى كونه في السماء أي: فوق السماوات، وإن أريد بالسماء العلو، فهي على بابها.

قوله: (وقال تـعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]) ﴿إِلَيْهِ﴾، أي: إلى الله جَلَّوَعَلَا، ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يصعد: يرتفع، فدل على علوه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأن الصعود لا يكون إلا إلى أعلى، والكلم الطيب: كل كلام مشروع وفيه خير، فإنه طيب؛ من ذكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعاء، فهذا فيه حث على تطييب الكلام، وتجنب الكلام السيء، ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، هذا دليل على أنه لا يكفي القول، بل لابد من العمل؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢]، فلابد من العمل مع القول الطيب.

قوله: (وَقَـالَ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨])، القاهر والقهار، هو الذي لا يعجزه شيء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، الذي لا يعجزه شيء، ولا يخرج شيء عن قدرته جَلَّوَعَلَا، ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، وهذا فيه إثبات الفوقية لله، إثبات العلو لله،

وكلمة ﴿فَوْقَ﴾ تأتي كذا، وتأتي بـ«من»؛ كما في قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، يعني: لا عن يمينهم أو شمالهم، أو أسفل منهم، بل من فوقهم، هذا فيه إثبات فوقية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فوقية الذات، وفوقية القدر، وفوقية القهر، ثلاثة معانٍ للفوقية والعلو، أما أهل الضلال فيقولون: (﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: فوقهم في القدر، والقهر، لا بالذات)، وهذا باطل، بل هو فوقهم بذاته، وفوقهم بقدره وفوقهم بقهره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، جميع أنواع الفوقية ثابتة له جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥]) قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾؛ عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حينما مكر به اليهود وأرادوا قتله، ودخلوا عليه يريدون قتله -على عادتهم في قتل الأنبياء قبحهم الله-، لما دخلوا عليه، رفعه الله من بينهم، وألقى شبهه على رجل، أمسكوا الرجل، وقتلوه وصلبوه، يظنون أنه عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأما عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإن الله رفعه من بينهم، ولم يشعروا بذلك، ولهذا يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]، وهذا الرجل ألقى الله شبه المسيح عليه، وقَبِلَ ذلك هو، وفداه بنفسه، وقَبِلَ أنه يقتل ويصلب، فالله جَلَّ وَعَلَا يكرمه، ولا يضيع هذه الفعلة مع المسيح، وقيل: إن الذي ألقي الشبه عليه إنه الخائن الذي دلهم على عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي خان عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ودلهم عليه، إن الله ألقى شبهه عليه، فقتلوه، لكن القول الأول أشهر؛ أن هذا من باب الإكرام والاختيار، فإن هذا الرجل قدم نفسه لله عَزَّ وَجَلَّ، وقتل وصلب من أجل المسيح حتى يسلم منهم، والله أعلم.

رفعه الله إليه حيًّا بروحه وجسمه، لا كما يقول أهل الجهل: (إنه رفع بروحه فقط)، وإنما رفع بروحه وجسمه، حيا لم يمسوه بسوء، وأما قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، الوفاة تطلق ويراد بها الموت، وتطلق ويراد بها النوم؛ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي

﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام:٦٠]، فهي وفاة نوم -والله أعلم-، أو ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني: قابضك، يطلق التوفي على القبض -أيضًا-؛ توفى حقه من فلان، يعني: قبضه، فليست الوفاة هنا وفاة الموت؛ لأن المسيح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لا يزال حيًّا، وهو في السماء، وينزل آخر الزمان يقتل الدجال، ثم يموت بعد ذلك؛ لأن كل نفس ذائقة الموت، يموت بعد ذلك صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

الشاهد من هذا: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، والرفع لا يكون إلا إلى أعلى، فدل على أن الله في العلو جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (**وَذَكَرَ مِنْ طَرِيقِ مَالِكٍ قَوْلَ النَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: مَنْ أَنَا؟، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: فَأَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»**)، هذا معاوية بن الحكم السلمي كانت عنده جارية مملوكة، فغضب عليها ولطمها، ثم ندم على فعله، وأراد أن يعتقها كفارة لما صنع، ثم جاء إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يستفتيه، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟ قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ**» قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»؛ تؤمن بالله، وتؤمن بعلو الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فهي مؤمنة، فهذا دليل على أن من أثبت علو الله، فهو مؤمن، ومن نفى علو الله على خلقه، فهو كافر، والمعطلة يقولون: (لا يجوز أن تسأل: أين الله؟)، ما عندهم أشد من كلمة (أين الله)، وما عليهم أشد من هذا الحديث الذي فيه أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**أين الله؟**»، فهم يغلطون الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ما عليهم أشد من الحديث هذا؛ «**أين الله؟**»، لا يرون جواز أن يقال: «**أين الله؟**»، الرسول قالها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وهو أعرف الخلق بالله عَزَّ وَجَلَّ، يقولون: (**«أين الله؟»** معناها: من الله؟)، يعني: كأنه يسألها عن حقيقة الله جَلَّ وَعَلَا؛ كقول فرعون:

﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٤٩] «**أين الله؟**»: من الله؟ هكذا يقولون، وهذا كذب على اللغة؛ لأنه ليس في اللغة العربية أن «أين» تأتي بمعنى «من» أبدًا، لكنه الضلال -والعياذ بالله- يدخل الإنسان في المضايق، ولو أنهم آمنوا بما جاء عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسلموا الأمر، لما حصل منهم هذا التعسف وهذا الكذب على الله وعلى رسوله وعلى اللغة العربية، ليس في اللغة أن «أين» بمعنى «من»، ثم أيهما أسهل، أن يقول: «من» أو يقول «أين»؟ لو كان المقصود «من»، لقال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من الله»؛ لأنها أقل حروفًا، لماذا يقول: «**أين الله؟**» ثلاثة حروف وهذه حرفان، وهذا تكلف، فهذا كذب على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكذب على اللغة، وقبل ذلك كذب على الله جَلَّ وَعَلَا، فـ«أين الله» على بابها، والله يُسأل عنه، فيقال: «**أين الله؟**»؛ في أي جهة هو سبحانه؟ قالت: «**فِي السَّمَاءِ**»، يعني: في العلو، هذا فيه دليل على إثبات العلو لله عَزَّ وَجَلَّ فوق مخلوقاته، وأن من آمن بعلو الله، فهو مؤمن، وأن من نفى علو الله، فهو كافر.

قوله: (قَالَ: وَالأَحَادِيثُ مِثْلُ هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا)، الأحاديث في إثبات علو الله كثيرة جدًّا، الأدلة على العلو كثيرة، يقولون: تزيد على ألف دليل، ألف دليل على العلو، وقد ألف الإمام الحافظ الذهبي كتابًا مستقلًّا في أدلة العلو اسمه «العلو للعلي الغفار»[(١)]، وقد طبع مختصر هذا الكتاب، وساق الإمام ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية»[(٢)] أدلة كثيرة على هذا.

---

(١) كتاب العلو للعلي العظيم (الأصل) للإمام الذهبي طبع بتحقيق عبد الله بن صالح البراك بدار الوطن سنة (١٤٢٠ هـ) وأما المختصر فهو لفضيلة الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ. طبعة المكتب الإسلامي سنة (١٤١٢ هـ).

(٢) مطبوع ومتداول.

قوله: (فَسُبْحَانَ مَنْ عِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاءِ كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الأَرْضِ)؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران:٥]، وكونه جَلَّوَعَلَا في العلو لا يكون جَلَّوَعَلَا بعيدًا عن خلقه، بل هو قريب من خلقه بعلمه وإحاطته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وسمعه وبصره، فهو في العلو، وهو لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، علمه في كل مكان، ولا يخلو مكان من علمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، علمه بما قرب وبعد سواء، ما هو مثل غيره، إذا بعد الشيء عنه، لا يعلمه، بل ليس هناك شيء بعيد عنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو جَلَّوَعَلَا ليس كغيره.



وَقَالَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي الإِيمَانِ بِصِفَاتِ اللهِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ، قَالَ: وَاعْلَمْ بِأَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بِاللهِ وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُ وَرُسُلُهُ يَرَوْنَ الْجَهْلَ بِمَا لَمْ يُخْبِرْ بِهِ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ عِلْمًا، وَالْعَجْزَ عَنْ مَا لَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ إِيمَانًا، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَنْتَهُونَ مِنْ وَصْفِهِ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ إِلَى حَيْثُ انْتَهَى فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ.

الشَّرح

قوله: (يَرَوْنَ الجَهْلَ بِمَا لَمْ يُخْبِرْ بِهِ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ عِلْمًا)، بمعنى: أنك لا تتكلف في حق الله أن تثبت شيئًا لم يثبته لنفسه، بل تقف مع النصوص الواردة في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تزد عليها شيئًا من عندك، هذا هو العلم، ليس العلم أنك تضيف أشياء، هذا جهل، العلم أنك تقف عند الحدود، عند النصوص، هذا هو العلم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أما الذي يأتي بأشياء في حق الله لم ترد، هذا من جهله بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (وَالْعَجْزَ عَنْ مَا لَمْ يَدْعُ إِلَيْهِ إِيمَانًا)، الجهل والعجز عما لم يثبته لنفسه إيمان، وقوفك عند النصوص هذا هو الإيمان، وهذا هو العلم، أما التكلف ومحاولة الخروج على النصوص والزيادة عليها، فهذا من الجهل بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن كان أصحابه يزعمون أنه هو العلم.

قوله: (وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَنْتَهُونَ مِنْ وَصْفِهِ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ إِلَى حَيْثُ انْتَهَى فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ)، ينتهون في أسمائه وصفاته إلى حيث انتهى جَلَّ وَعَلَا وحيث انتهى رسوله، فلا يزيدون على ذلك، هذا هو الإيمان وهو العلم، وهو العقيدة الصحيحة، وهو الراحة أيضا، الإنسان ما يكلف نفسه بأشياء لا يستطيعها.



وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى -وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ-: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، **وَقَالَ:** ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:١٩]، **وَقَالَ:** ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨]، **وَقَالَ:** ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر:٢٩]، **وَقَالَ:** ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨]، **وَقَالَ:** ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩]، **وَقَالَ:** ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، **وَقَالَ:** ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:٦٧] **الْآيَةَ. وَقَالَ:** ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، **وَقَالَ:** ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥] **الْآيَةَ، وَقَالَ:** ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] **الْآيَةَ، وَقَالَ:** ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، **وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.**

فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَهُ وَجْهٌ وَنَفْسٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَيَسْمَعُ وَيَرَى وَيَتَكَلَّمُ، الْأَوَّلُ وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ الْبَاقِي إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ، وَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرُ الْعَالِي فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْبَاطِنُ بَطَنَ عِلْمُهُ بِخَلْقِهِ، فَقَالَ:** ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩]، **حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ.**

الشَّرح

قوله: (﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]) المخلوقات تفنى، ويبقى الله جَلَّ وَعَلَا؛ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنبياء:٣٥]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧]، فهذا فيه إثبات الوجه لله

جَلَّ وَعَلَا، صفة من صفاته الذاتية، وفيه وصف الله بالبقاء والدوام؛ لأنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء.

قوله: (وقال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:١٩])، لما كذبوا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونفوا رسالة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمره الله أن يستدل على صدق رسالته بشهادة الله جَلَّ وَعَلَا، بشهادة الله؛ فإنه لو كان كاذبا على الله؛ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة:٤٤-٤٦]، فكون الله جَلَّ وَعَلَا يقره على دعواه النبوة، ويؤيده وينصره، ويهلك أعداءه، هذا دليل على صدقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ [الأنعام:١٩]، أي: مشاهدة ورؤية لما أفعل وما أقول، الله يسمعني ويراني، وأقول: إن الله قال كذا وكذا، وهو جَلَّ وَعَلَا يعلم ذلك ويراه ويبصره، ومع هذا يمهل رسوله وينصره ويؤيده، هذا دليل على صدقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾، فهذا من أعظم الأدلة على صدقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٤٣]، أهل العلم من أهل الكتاب يعرفون هذا، يشهدون للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالصدق؛ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، فمنهم من آمن به، ومنهم من جحد بعد علمه، لا عن جهل، بل عن عناد، لكنهم يشهدون أنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا من أعظم المعجزات ومن أعظم دلائل النبوة شهادة الله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣]، فالله جَلَّ وَعَلَا لا يمهل الذين كذبوا عليه وادعوا النبوة، ادعى النبوة خلق كثير، أين هم؟ أين نبوتهم؟ أين رسالتهم؟ محاهم الله جَلَّ وَعَلَا، وأبطل دعواهم، أما الرسل -عليهم الصلاة

والسلام-، فإن الله صدقهم، وأبقاهم، وأيدهم، فهذا دليل على صدقهم وأمانتهم، وأنهم رسل الله حقًّا.

قوله: (وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨])، هذا فيه إثبات النفس لله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى عن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، فيه إثبات النفس لله عَزَّوَجَلَّ، ولكنها كسائر صفاته تليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليست كنفس المخلوق.

قوله: (وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر:٢٩])، ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾، يعني: خلقت آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، (سويته) يعني: خلقته، وجعلته بشرًا سويًّا، ونفخت فيه من روحي، فهذا فيه إثبات الخلق لله عَزَّوَجَلَّ، وأنه خلق آدم بيده؛ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]، فآدم من كراماته أن الله خلقه بيديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما غيره من المخلوقات، فيخلقه بأمره؛ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، أما آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن الله خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، ففضله بالعلم، وفضله بأنه خلقه بيديه، وفضله بأنه أسجد له ملائكته؛ إجلالا له، وعبادة لله عَزَّوَجَلَّ، السجود ليس عبادة لآدم، وإنما هو عبادة لله؛ لأن الله هو الذي أمر به، فالسجود لآدم عبادة لله وإكرام لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله: (وَقَالَ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨])، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾، يعني: نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، يعني: بمرأى منا، فهذا فيه إثبات للعين عَزَّوَجَلَّ، وجمعها لأجل ضمير الجمع، (أعيننا)، (نا) هذا ضمير جمع، فجمع المضاف؛ ليتناسب مع المضاف إليه.

قوله: (وَقَالَ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه:٣٩])، وقال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، أي: بمرأى مني، هذا فيه إثبات العين لله وإثبات الرؤية لله عَزَّوَجَلَّ. وشف لما جاء بضمير المفرد جعل العين مفردة، ولما جاء بضمير الجمع جعل الأعين مجموعة للمناسبة.

قوله: (وَقَالَ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤])، اليهود يصفون الله بالبخل، ويصفونه بالفقر، وليس هذا بغريب على اليهود، اليهود عندهم قبائح وشناعات في حق الله وفي حق الرسل وفي حق المؤمنين، ولا يزالون على هذه الأخلاق القبيحة، إلا أهل الإيمان منهم، الذين استثناهم الله؛ ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣]، أما الكثرة منهم، فهم على هذه الصفة القبيحة، ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، يعني: إنه بخيل، ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء:٢٩]، ما هو المعنى؟ يعني: لا تبخل، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾؛ لا تسرف في الإنفاق ولا تبخل، بل اعتدل، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾، فمراد اليهود بهذا الكلام: وصف الله بالبخل، رد الله عليهم فقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، ما هناك أبخل في العالم من اليهودي، هم البخلاء -والعياذ بالله-، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾، وصفهم الله بالبخل، وهذا واقع من صفاتهم البخل، فهم يمتصون أموال العالم، يمتصونها ولا ينفقون منها شيئًا أبدًا، ما هناك أحرص من اليهود على الكسب وجمع المال -من حلال ومن حرام-، والآن اقتصاد العالم في أيديهم، وهم في الإنفاق لا ينفقون في الخير أبدًا، لا ينفقون إلا في الشر، ويسعون في الأرض فسادًا، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ -واللعن هو الطرد والإبعاد عن

رحمة الله[1]-، بما قالوا من وصفهم لله جَلَّوَعَلَا بأن يده مغلولة، لعنهم الله بموجب ذلك، يعني: طردهم وأبعدهم من رحمته، ووضع عليهم البخل، فلا ينفقون في الخير، ولا يقدمون لأنفسهم من أموالهم أبدًا، وإنما ينفقون في التدمير والخراب وإفساد الناس، هذا شغل اليهود، لا يزالون هكذا، ينفقون أموالهم في اختراع الأسلحة المدمرة ليدمروا العالم، ينفقون أموالهم في إفساد أخلاق العالم في العري، في الإباحية، في الانسلاخ من الأخلاق والتفسخ والانحلال، يقيمون دور البغاء ودور الخمور، ومؤسسات الشر في العالم، هذا عمل اليهود دائما وأبدا، ثم إنه جَلَّوَعَلَا أثبت لنفسه ما نفوه، أثبت لنفسه الكرم والجود، فقال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، هل الذي ينفق على الخلق من خلق آدم إلى يوم القيامة من هو؟ هل يقال: إنه بخيل؟ يقال: إنه بخيل الذي ينفق على الخلق ويعطيهم ويرزقهم؟! تعالى الله عما يقولون! ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المنافقون:٧]، فهو الذي ينفق على العباد، «**يَمِينُ اللهِ مَلأَى لَا يَغِيضهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»، ولا يغيض ذلك أو ينقص ما عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ**»[2]؛ فإنه لم ينقص ما في يمينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا فيه إثبات اليدين لله جَلَّوَعَلَا، وإثبات الكرم، إثبات اليدين من صفات ذاته سبحانه؛ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٥٥)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٥٢).

(٢) حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورد بألفاظ متقاربة، رواه البخاري (٤٦٨٤، ٧٤١١) بلفظ: «**يَدُ اللهِ مَلأَى**»، وفيه: «**وَبِيَدِهِ المِيزانُ، يَخفِضُ ويَرفَعُ**»، ورواه مسلم(٣٧) (٩٩٣) بلفظ: «**وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقَبْضُ**»، وكلاهما ليس فيه «**الْقِسْطَ**».

وروى نحوه ابن ماجه (١٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى المِيزَانُ يَرْفَعُ الْقِسْطَ وَيَخْفِضُ**».

قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الزمر:٦٧]، يقبضها الله جَلَّوَعَلَا يقبضها بيده، ويطويها بيده، ﴿وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾، فيه إثبات اليد لله جَلَّوَعَلَا، وأنه يقبض السماوات والأرض، ويطويها بكف الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَقَالَ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦])، قال الله جَلَّوَعَلَا لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لما ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ ﴾ [طه:٤٥]، يعني: فرعون، ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾؛ لأنه صاحب جبروت وبطش، جبار ظالم، فلما أرسلهما إليه، ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ ﴾، هذا عياذ بالله من شره، ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾، ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦]، فهذا فيه إثبات المعية، وهي معية خاصة، المعية على قسمين:

* معية عامة لجميع المخلوقات بمعنى الإحاطة بها والعلم بها، وأنها لا تخفى على الله جَلَّوَعَلَا.

* ومعية خاصة، وهي معيته لأوليائه، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]، والنبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة:٤٠]، يعني في الغار، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ معية خاصة بالنصر والتأييد، ليس معهم بمعنى أنه معهم في الغار بذاته، ولكنه معهم بنصره وتأييده، وإحاطته وإعانته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذه معية خاصة، ثم قال: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾، فيه إثبات السمع لله وإثبات الرؤية لله عَزَّوَجَلَّ. فهذا فيه: إثبات الأسماء والصفات.

قوله: (وَقَالَ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤])، هذا فيه إثبات الكلام لله؛ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ كلمه، بمعنى أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع كلام الله، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿تَكْلِيمًا ﴾، هذا تأكيد فيه إثبات الكلام لله

عَزَّوَجَلَّ، وفيه تشريف لموسى، وأن الله اختصه بهذه الصفة، وهي أنه كلمه الله من غير واسطة، وسمع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلامه، أما غيره من الأنبياء، فإن الله يكلمه بالواسطة، بواسطة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:٥١]، كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من وراء الحجاب، وكلم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج من وراء الحجاب؛ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى:٥١]، إلهام، وحي الإلهام، ويقذف في روعه ما يوحيه إليه، أو من وراء حجاب، يكلمه الله من وراء حجاب، ويسمع كلامه؛ لأن الله لا يرى في الدنيا -كما سبق-، لم يره أحد، لا الأنبياء ولا الملائكة ولا غيرهم، إنما هذا في الآخرة، ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾، وهو الملك، ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بشرعه ﴿مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى:٥١]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، فيه: إثبات الكلام لله عَزَّوَجَلَّ على حقيقته، لا كما تقول الجهمية: (إن الله يتكلم بمعنى أنه يخلق الكلام، يخلقه في اللوح، أو في جبريل، أو في محمد)، تعالى الله عما يقولون! وإنما معناه على ظاهره، أن الله يكلمه بكلام يسمع منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفيه تشريف لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على غيره من المرسلين، ولهذا يسمى كليم الله.

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥])، هذا فيه إثبات النور لله عَزَّوَجَلَّ، والنور على قسمين:

* نور هو صفة من صفات الله؛ نور ذاته، ونور وجهه سبحانه، ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:٦٩]، هذا نور لصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

* ونور مخلوق، وهو نور الشمس والقمر والكون، هذا نور مخلوق ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [النور:٣٥]، أي: منور السماوات ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾، ولذلك ضرب

له مثلا، لو كان المراد بنور الله الذي هو صفته، لا يضرب له مثلا، فهذا مثال النور المخلوق، وهو الإيمان الذي يكون في قلب العبد المؤمن، هذا نور، ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾، أي: مثل الإيمان الذي يكون في قلب العبد المؤمن يقذف الله فيه النور، النور المخلوق؛ لأن الإيمان مخلوق، ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾، والمشكاة هي الكوة في الجدار، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾: سراج، ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾، شجرة الزيتون؛ لأنهم يوقدون من زيتها، ويستصبحون منها ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾، هي معتدلة، مكانها معتدل بين الشرق والغرب، ليست في إظلال دائم، وليست في شمس دائم، بل هي معتدلة، هذا أصفى ما يكون للزيت -زيت الشجرة-، ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور:٣٥]؛ نور الوحي ونور الإيمان، الله جَلَّوَعَلَا اسمه النور، وصفته النور، وكتابه نور، ورسوله نور، وكل النور ينسب إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وصفًا وخلقًا، كل النور مصدره من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، والإيمان من الله جَلَّوَعَلَا، هو الذي يخلقه في قلب المؤمن، فهذا مثال للإيمان في قلب المؤمن؛ كالمصباح في المشكاة، الذي يوقد من أصفى الزيت، هذه صفة الإيمان في قلب العبد المؤمن.

قوله: (وَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥])، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق إلا هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأن الإله معناه المعبود، والإلهية العبادة، التأله أي: التعبد، فـ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق سواه، ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، صفتان عظيمتان، ﴿ٱلْحَىُّ﴾ صفة ذات، و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ صفة فعل، فـ﴿ٱلْحَىُّ﴾ ترجع إليه صفات الذات، و﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ ترجع إليه جميع صفات الأفعال، ومعنى ﴿ٱلْحَىُّ﴾ أي: الذي لا يعتريه موت، الله جَلَّوَعَلَا كامل الحياة،

لا يعتري حياته نوم، ولا نعاس، ولا موت، له الحياة الكاملة، ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾، وفي قراءة (القَيَّام)[(١)]، ومعناه: القائم بنفسه المقيم لغيره، القائم بنفسه يعني: الغني عن من سواه، المقيم لغيره: كل شيء محتاج إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا معنى القيوم، وقد قيل: إن هذا هو الاسم الأعظم، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢]، قيل: إن هذا هو الاسم الأعظم الذي إذا دعي به سبحانه، أجاب[(٢)].

قوله: (وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣])، قال الله جَلَّ وَعَلَا في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، فسرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**أَنْتَ الأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ، فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ، فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»[(٣)]، لا شيء يحول دون علم الله ودون بصر الله جَلَّ وَعَلَا أبدًا؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ

---

(١) قال النحاس في معاني القرآن (١/ ٢٦٠): (وقرأ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ القيام). ونسب ابن جني هذه القراءة إلى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وإبراهيم النخعي والأعمش وأصحاب عبد الله وزيد بن علي وجعفر بن محمد وأبي رجاء. انظر: المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (١/ ١٥١).

(٢) حديث أسماء بنت يزيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، **وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ** ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢]»، أخرجه أبو داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٨)، وابن ماجه (٣٨٥٥)، والدارمي (٣٣٨٩)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وقد رواه أحمد (٤٥/ ٥٨٤) بلفظ: «سمعت رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول فِي هَذَيْنِ الآيَتَيْنِ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢] **إِنَّ فِيهِمَا اسْمَ اللهِ الْأَعْظَمَ**». وأخرج الحاكم (١/ ٦٨٤)، والطبراني في مسند الشاميين (٧٧٨)، والأوسط (٨٣٧١)، والكبير (٧٩٢٥)، من حديث أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَطه**» قال القاسم: فالتمستها إنه الحي القيوم، وأخرجه ابن ماجه (٣٨٥٦) موقوفًا على القاسم ومرفوعًا.

(٣) سبق تخريجه (ص٣٦٠).

عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾، وهذه أربعة الأسماء متقابلة، الأول يقابله الآخر، والظاهر يقابله الباطن، فهي أسماء متقابلة لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ)، ومثل هذه الآيات التي ذكر ابن أبي زمنين كثيرة في القرآن.

قوله: (فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ؛ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ) ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، سبق التفصيل في النور.

قوله: (وَلَهُ وَجْهٌ)؛ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

قوله: (وَنَفْسٌ)؛ ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].

قوله: (وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ) ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨]، وقد وصف نفسه بصفات، وسمى نفسه بصفات تدل على عظمته سبحانه، فيجب علينا الإيمان بذلك، وإثباته لله عَزَّوَجَلَّ، وعدم التدخل في شيء لم يكله الله إلينا ولم يكلفنا به، فعلينا التسليم والإيمان، ولا ندخل في شيء لا نعرفه ولاندركه من حق الله جَلَّوَعَلَا؛ لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، لا أحد يحيط بالله جَلَّوَعَلَا، لكن يعلم من صفاته وأسمائه كما ورد.

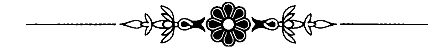
قوله: (وَيَسْمَعُ وَيَرَى وَيَتَكَلَّمُ)، ويسمع؛ ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، ويتكلم ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤].

قوله: (الأَوَّلُ وَلا شَيْءَ قَبْلَهُ، والآخِرُ الْبَاقِي إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ وَلا شَيْءَ بَعْدَهُ)، هذا تفسير الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

قوله: (**وَالظَّاهِرُ الْعَالِي فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَالْبَاطِنُ بَطَنَ عِلْمُهُ بِخَلْقِهِ**)، باطن بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يستر بصره وعلمه شيء من المخلوقات، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، معكم بعلمه وإحاطته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾؛ في بر أو بحر، أو ظلام أو نور، أو مع الناس أو خالين، هو معكم سبحانه، لا تخفون عليه، وهو معكم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول؛ ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء:١٠٨].

قوله: (**فَقَالَ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [البقرة:٢٩]) ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، هذا معنى الباطن أنه بكل شيء عليم.

قوله: (**حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**)، (**حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ**)، وهي أول النوم، ولا نوم مستغرق، الله منزه عن النوم كله؛ لأن النوم نقص وغفلة.





وَذَكَرَ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ، ثُمَّ قَالَ: فَهَذِهِ صِفَاتُ رَبِّنَا الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ، وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا تَحْدِيدٌ وَلا تَشْبِيهٌ وَلا تَقْدِيرٌ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ، فَتَحُدَّهُ كَيْفَ هُوَ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ فِي حَقَائِقِ الإِيمَانِ. اهـ.

الشَّرح

قوله: (وَذَكَرَ أَحَادِيثَ الصِّفَاتِ ثُمَّ قَالَ: فَهَذِهِ صِفَاتُ رَبِّنَا الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَوَصَفَهُ بِهَا نَبِيُّهُ، وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا تَحْدِيدٌ وَلا تَشْبِيهٌ وَلا تَقْدِيرٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١])، لما ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول الفتوى منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، أردف ذلك بالنقول عن الأئمة التي تؤيد ما ذكره، ومن ذلك ما نقله عن الإمام ابن أبي زمنين المغربي، ورسالته معروفة، وقد طُبعت، وهي رسالة جيدة في هذا الموضوع، ومنها هذه الجملة يقول: إن ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس فيه تشبيه الله بخلقه، وليس فيه تعطيل، بل هو على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، هذا نفي للتشبيه والتمثيل، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، هذا رد للتعطيل والنفي.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه وصفاته، لا يشبهه أحد من خلقه، ولا يلزم من وصفه بالصفات مشابهة المخلوقات؛ كما توهمته المعطلة الذين توهموا أن إثبات هذه الأسماء والصفات لله يقتضي تشبيهه بخلقه، فلذلك نفوها وعطلوها. فهذا هو الغرض من نقل هذه الجملة؛ أنها ليس فيها ما توهمه الفريقان، لا المشبهة ولا المعطلة. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، الله

جَلَّ وَعَلَا ما ترك لهم حجة حتى يتعلقوا بها، فليس فيها حجة للمشبهة، وليس فيها حجة للمعطلة.

قوله: (لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ، فَتَحُدَّهُ كَيْفَ هُوَ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ فِي حَقَائِقِ الإِيمَانِ)، الله جَلَّ وَعَلَا لا يُرى في هذه الدنيا بالأبصار؛ لأنه أعظم من ذلك، أعظم من أن يراه الناس في هذه الدنيا، فلا يستطيعون رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه الدنيا، أما الرؤيا في الآخرة، فهي ثابتة؛ أن المؤمنين يرون ربهم عيانًا -كما يأتي-، ففي هذه الدنيا لم تره العيون، حتى تحده، إذًا كيف آمنت به، وهي لم تره؟ آمنت به بناءً على آياته ومخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، آياته المنزلة ومخلوقاته، وهي الكائنات التي تدل عليه، فهم آمنوا به بالبصائر -يعني: بالقلوب-، لا بالأبصار، رأته القلوب رؤية علمية، لا رؤية بصرية.





وَكَلامُ الأَئِمَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ أَطْوَلُ وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَسَعَ هَذِهِ الْفُتْيَا عُشْرَهُ، وَكَذَلِكَ كَلامُ النَّاقِلِينَ لِمَذْهَبِهِمْ.

مِثْلُ مَا ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ فِي رِسَالَتِهِ الْمَشْهُورَةِ فِي «الْغُنْيَةِ عَنِ الْكَلامِ وَأَهْلِهِ»، قَالَ: فَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنَ الصِّفَاتِ، وَمَا جَاءَ مِنْهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ إِثْبَاتُهَا وَإِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا، وَنَفْيُ الْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ عَنْهَا، وَقَدْ نَفَاهَا قَوْمٌ، فَأَبْطَلُوا مَا أَثْبَتَهُ اللهُ، وَحَقَّقَهَا قَوْمٌ مِنَ الْمُثْبِتِينَ، فَخَرَجُوا فِي ذَلِكَ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ، وَإِنَّمَا الْقَصْدُ فِي السُّلُوكِ الطَّرِيقَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ، وَدِينُ اللهِ تَعَالَى بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْمُقَصِّرِ عَنْهُ.

الشَّرح

قوله: (وَكَلامُ الأَئِمَّةِ فِي هَذَا الْبَابِ أَطْوَلُ وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَسَعَ هَذِهِ الْفُتْيَا عُشْرَهُ)، كلام الأئمة في هذا الباب -وهو باب الأسماء والصفات- كثير، ولا يمكن جمعه في هذه الفتوى المختصرة؛ لأن الفتوى جواب عن سؤال، ليست تأليفًا؛ والجواب لا يتحمل التطويل، وإنما يكفي من ذلك طرف من كلام أهل العلم.

قوله: (مِثْلُ مَا ذَكَرَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الخَطَّابِيُّ فِي رِسَالَتِهِ الْمَشْهُورَةِ فِي «الْغُنْيَةِ عَنِ الْكَلامِ وَأَهْلِهِ»)، فالشيخ نقل عنهم كلامهم، ونقل عنهم -أيضًا- ما نقلوه عن غيرهم، ومن ذلك ما ذكره أبو سليمان حمد الخطابي، الإمام الجليل المشهور، الذي له باع طويل في الحديث وشروحه، والنقل عنه كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من مؤلفاته شرحه على سنن أبي داود، وهو شرح حافل، وله مؤلفات وكلام طويل، وينقل عنه العلماء؛ لأنه إمام جليل.

(«**الْغُنْيَةِ عَنِ الْكَلامِ وَأَهْلِهِ**»)، يعني: علم الكلام وعلم الجدل وعلم المنطق، وهذا الكتاب بيَّن فيه أن المسلم قد أغناه الله عن علم المنطق وعلم الجدل بعلم الكتاب والسنة.

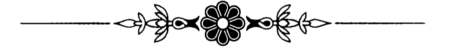
قوله: (**قَالَ: فَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنَ الصِّفَاتِ، وَمَا جَاءَ مِنْهَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ إِثْبَاتُهَا وَإِجْرَاؤُهَا عَلَى ظَوَاهِرِهَا، وَنَفْيُ الْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ عَنْهَا**)، هذا المنهج الذي سار عليه الجميع: إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتنزيه الله عما نزه نفسه عنه، أو نزهه عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -هذا هو المنهج السليم-، من غير تشبيه لأسمائه وصفاته بصفات خلقه، ومن غير تعطيل -أي: نفي- لأسمائه وصفاته؛ فرارًا من التشبيه -كما يزعمون.

قوله: (**وَقَدْ نَفَاهَا قَوْمٌ، فَأَبْطَلُوا مَا أَثْبَتَهُ اللهُ**)، وهم المعطلة، (نَفَاهَا قَوْمٌ) نفوا ما أثبته الله لنفسه عَزَّوَجَلَّ، وهم المعطلة.

قوله: (**وَحَقَّقَهَا قَوْمٌ مِنَ الْمُثْبِتِينَ، فَخَرَجُوا فِي ذَلِكَ إِلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ**)، الأولون غالوا في التنزيه، حتى عطلوا الله من أسمائه وصفاته، والطرف الثاني غالوا في الإثبات، حتى شبهوا الله بخلقه، وهم المشبهة، أما أهل الحق، فهم الوسط بين الطائفتين؛ إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل، هذا مذهب أهل السنة والجماعة: إثبات بلا تشبيه؛ ردًّا على المشبهة، وتنزيهًا لله عن مشابهة المخلوقين، من غير تعطيل -كما فعلت المعطلة-، وكلتا الطائفتين غلت حتى خرجت عن الحق.

قوله: (**وَإِنَّمَا الْقَصْدُ فِي السُّلُوكِ الطَّرِيقَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ**) (الْقَصْدُ) يعنيك الاعتدال والوسط، هذا هو القصد، وهو أن يكون المسلم بين الطريقتين؛ طريقة المعطلة وطريقة المشبهة، لا يغلو في هذا ولا في هذا، إنما يتوسط ويقتصد.

قوله: (وَدِينُ اللهِ تَعَالَى بَيْنَ الْغَالِي فِيهِ وَالْمُقَصِّرِ عَنْهُ)، دين الله تعالى في هذا وفي غيره؛ في الأسماء والصفات، وفي الأحكام، وفي كل شيء، دين الله وسط بين الغالي وبين الجافي، الغالي هو الذي زاد عن الحد وتشدد، والجافي هو الذي أعرض عن دين الله عَزَّوَجَلَّ، أعرض عنه بالكلية، تساهل فيه وأعرض عنه، فدين الله بين الطرفين؛ بين الغالي الذي زاد في التمسك حتى وصل إلى الغلو والتشدد والإفراط، وبين الجافي الذي تساهل وضيع حتى أهمل الدين وأهمل الحق.



وَالأَصْلُ فِي هَذَا: أَنَّ الْكَلامَ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنِ الْكَلامِ فِي الذَّاتِ، يُحْتَذَى فِي ذَلِكَ حَذْوُهُ وَمِثَالُهُ، فَإِذَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ إِثْبَاتَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتُ وُجُودٍ لَا إِثْبَاتُ كَيْفِيَّةٍ، فَكَذَلِكَ إِثْبَاتُ صِفَاتِهِ إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتُ وُجُودٍ لَا إِثْبَاتُ تَحْدِيدٍ وَتَكْيِيفٍ.

فَإِذَا قُلْنَا: يَدٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ وَمَا أَشْبَهَهَا، فَإِنَّمَا هِيَ صِفَاتٌ أَثْبَتَهَا اللهُ لِنَفْسِهِ، وَلَسْنَا نَقُولُ: إِنَّ مَعْنَى الْيَدِ الْقُوَّةُ أَوِ النِّعْمَةُ، وَلا مَعْنَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ الْعِلْمُ، وَلا نَقُولُ: إِنَّهَا جَوَارِحُ، وَلا نُشَبِّهُهَا بالأَيْدِي وَالأَسْمَاعِ والأَبْصَارِ الَّتِي هِيَ جَوَارِحُ وَأَدَوَاتٌ لِلْفِعْلِ، وَنَقُولُ: إِنَّمَا وَجَبَ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ؛ لأَنَّ التَّوْقِيفَ وَرَدَ بِهَا، وَوَجَبَ نَفْيُ التَّشْبِيهِ عَنْهُ؛ لأَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَعَلَى هَذَا جَرَى قَوْلُ السَّلَفِ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ. اهـ. هَذَا كُلُّهُ كَلامُ الْخَطَّابِيِّ[(١)].

الشَّرْح

قوله: (وَالأَصْلُ فِي هَذَا: أَنَّ الْكَلامَ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنِ الْكَلامِ فِي الذَّاتِ، يُحْتَذَى فِي ذَلِكَ حَذْوُهُ وَمِثَالُهُ) (وَالأَصْلُ فِي هَذَا): في هذا الباب يعني، (أَنَّ الْكَلامَ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنِ الْكَلامِ فِي الذَّاتِ، يُحْتَذَى فِي ذَلِكَ حَذْوُهُ وَمِثَالُهُ)؛ في ذات الله جَلَّ وَعَلَا، فكما أن ذات الله مجهولة لنا، لا يعلم ذات الله إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكذلك صفاته لا يعلمها إلا هو، فالصفات فرع عن الذات، فإذا قال لك قائل: كيف أسماؤه وصفاته؟ فقل له: بيِّن لي كيف ذاته؟ فإذا قال: لا أعرفها، فقل: وأنا -أيضًا- لا أعرف كيفية صفاته، كيفية الصفات لا يعلمها إلا هو؛ كما أن ذات الله لا يعلمها إلا هو، كما أن ذاته لا يُحاط بها، فكذلك صفاته لا يُحاط بها؛ لأنها فرع عنه،

---

(١) ذكر هذا الكلام الذهبي في العلو (ص٢٣٦، ٢٥٣) وعزاه إلى الخطابي.

قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠]، لايحيطون بالله عَزَّوَجَلَّ، قال: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، حتى وإن رأته الأبصار في الآخرة، فإنها لا تدركه، يعني: لا تحيط بالله عَزَّوَجَلَّ.

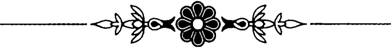
مثلًا -ولله المثل الأعلى- الشمس أنت تراها، لكن هل تحيط بها؟ هل تراها من كل حدودها وأطرافها؟ لا يمكن، فإذا كان هذا في المخلوق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟ السماء أنت تراها فوقك، لكن هل تحيط بها من جميع جوانبها؟ لا. فليس كل شيء تراه تحيط به، وهذا معنى قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾، ليس معناه أنه لا تراه الأبصار، بل معناه: أنها لاتحيط به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهو نفي للإدراك، وليس نفيًا للرؤيا. فإن كنا لا نعلم كيفية الله وذات الله عَزَّوَجَلَّ، فنحن لا نعلم كيفية أسمائه وصفاته، لكننا نثبتها لله كما أثبتها لنفسه، ولا نعلم كيفيتها، الكيفية مجهولة لنا.

قوله: (**فَإِذَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ إِثْبَاتَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتُ وُجُودٍ لَا إِثْبَاتُ كَيْفِيَّةٍ، فَكَذَلِكَ إِثْبَاتُ صِفَاتِهِ إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتُ وُجُودٍ لَا إِثْبَاتُ تَحْدِيدٍ وَتَكْيِيفٍ. فَإِذَا قُلْنَا: يَدٌ وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ وَمَا أَشْبَهَهَا، فَإِنَّمَا هِيَ صِفَاتٌ أَثْبَتَهَا اللهُ لِنَفْسِهِ، وَلَسْنَا نَقُولُ: إِنَّ مَعْنَى الْيَدِ الْقُوَّةُ أَو النِّعْمَةُ، وَلا مَعْنَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ الْعِلْمُ، وَلا نَقُولُ: إِنَّهَا جَوَارِحُ**)، يعني: لا نذهب مذهب الطائفتين: المعطلة والممثلة، اليد أثبتها الله لنفسه، الوجه أثبته الله لنفسه، السمع والبصر أثبتهما الله لنفسه، فنحن نثبتها، ولكن لا نحرفها عن معناها ونؤولها بغير تأويلها، كالذين أولوا اليد بالقدرة؛ يده: يعني قدرته أو نعمته. هذا تأويل باطل، بل يد حقيقية، ولكن كيفيتها لا نعلمها، فنحن نثبت يدًا حقيقية لله جَلَّوَعَلَا؛ ردًّا على المعطلة الذين ينفونها ويؤولونها بغير معناها، ولكن كيفيتها لا نعلمها، لا نقول: جوارح، ولا نقول: غير جوارح؛ لأن لفظ الجارحة لم يرد نفيها ولا إثباتها في كتاب الله ولا في السنة،

فنحن لا نتكلم في الجوارح. مثل الجسم، الجسم لم يثبته الله ولم ينفه، فنحن لا نتدخل فيه، نتوقف عن ما لم يرد نفيه ولا إثباته، لكنها يد حقيقية لائقة بالله جَلَّوَعَلَا، سمع وبصر لائقان بالله جَلَّوَعَلَا، هذا الذي نقوله، أما أنها مثل يد المخلوق أو سمع المخلوق أو بصر المخلوق -كما تقوله الممثلة-، أو أن معناه القدرة أو العلم أو النعمة -كما تقوله المعطلة-، كل هذا باطل.

قوله: (وَلا نُشَبِّهُهَا بالأَيْدِي وَالأَسْمَاعِ والأَبْصَارِ الَّتِي هِيَ جَوَارِحُ وَأَدَوَاتٌ لِلْفِعْلِ، وَنَقُولُ: إِنَّمَا وَجَبَ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ؛ لأَنَّ التَّوْقِيفَ وَرَدَ بِهَا، وَوَجَبَ نَفْيُ التَّشْبِيهِ عَنْهُ؛ لأَنَّ اللهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، نحن نثبتها حقيقة؛ ردًّا على المعطلة والمؤولة، ولا نشبهها بصفات المخلوقين؛ ردًا على الممثلة والمشبهة، نحن نثبتها على حقيقتها اللائقة بالله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو مذهب السلف، هذا هو المنهج السليم.

قوله: (وَعَلَى هَذَا جَرَى قَوْلُ السَّلَفِ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ)، على هذا المنهج جرى قول السلف من الصحابة رَضِيَاللَّهُعَنْهُمْ والتابعين وأتباعهم والأئمة في الأسماء والصفات؛ أنهم يثبتونها على حقيقتها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، جرى على هذا السلف وأتباعهم، خلاف الطوائف الضالة التي تخبطت في هذا الباب، ولم تصل إلى غاية.



وَهَكَذَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ [(١)] الْحَافِظُ فِي رِسَالَةٍ لَهُ، أَخْبَرَ فِيهَا أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ عَلَى ذَلِكَ [(٢)].

وَهَذَا الْكَلَامُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْخَطَّابِيُّ قَدْ نَقَلَ نَحْوًا مِنْهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا لَا يُحْصَى، مِثْلُ: أَبِي بَكْرٍ الإِسْمَاعِيلِيِّ [(٣)]، والإمام يَحْيَى بْنِ عَمَّارٍ السِّجْزِيِّ [(٤)] شَيْخِ شَيْخِ الإِسْلَامِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الأَنْصَارِيِّ الْهَرَوِيِّ، وَمِثْلُ: أَبِي عُثْمَانَ الصَّابُونِيِّ [(٥)] شَيْخِ الإِسْلَامِ،

---

(١) هو الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات، كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين، ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه، فإنه يدل على اطلاع عظيم، وصنف قريبًا من مائة مصنف، وفضله أشهر من أن يوصف، ولد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة. انظر: تاريخ دمشق (٥/ ٣١)، ووفيات الأعيان (١/ ٩٢)، والوافي بالوفيات (٧/ ١٢٦)، وسير الأعلام (١٨/ ٢٧٠)، وشذرات الذهب (٣/ ٣١١).

(٢) أخرجه الذهبي في العلو (٢٥٣)، وفي سير الأعلام (١٨/ ٢٨٣) بسنده عن أبي بكر الخطيب، وقد طُبعت في ذيل كتاب «السنة» للإسماعيلي.

(٣) هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس أبو بكر الإسماعيلي الجرجاني، الحافظ الكبير الرحال الجوال، ولد سنة سبع وسبعين ومائتين، سمع الكثير وحدث وخرج وصنف فأفاد وأجاد وأحسن الانتقاد، وكان سلفي المعتقد، توفي يوم السبت عاشر رجب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. انظر: البداية والنهاية (١١/ ٢٩٨)، والعبر (٢/ ٣٦٤)، وشذرات الذهب (٣/ ٧٢).

(٤) هو يحيى بن عمار بن يحيى بن عمار بن العنبس، الإمام المحدث الواعظ شيخ سجستان أبو زكريا توفي بهراة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، قال الذهبي: (كان فصيحًا مفوهًا، حسن الموعظة، رأسًا في التفسير) اهـ. انظر: سير الأعلام (١٧/ ٤٨١)، والعبر (٣/ ١٥٣)، والأنساب (٤/ ٢٩٢)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٢٦).

(٥) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل أبو عثمان الصابوني النيسابوري الحافظ الواعظ المفسر، كان من أئمة الأثر، شديدًا على المبتدعة، ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وتوفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة، وله كتاب «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» مشهور متداول. انظر: تاريخ دمشق (٩/ ٣)، والبداية والنهاية (١٢/ ٧٦)، والوافي بالوفيات (٩/ ٨٦)، وسير الأعلام (١٨/ ٤٠)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٨٢).

وَأَبِي عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ النَّمرِيِّ[١] إِمَامِ المَغْرِبِ، وَغَيْرِهِمْ.

وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ الأَصْبَهَانِيُّ[٢] صَاحِبُ «الْحِلْيَةِ»[٣] فِي عَقِيدَةٍ لَهُ فِي أَوَّلِهَا: (طَرِيقَتُنَا طَرِيقَةُ الْمُتَّبِعِينَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ)، قَالَ: (فَمِمَّا اعْتَقَدُوهُ أَنَّ الأَحَادِيثَ الَّتِي تَثْبُتُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرْشِ وَاسْتِوَاءِ اللهِ يَقُولُونَ بِهَا وَيُثْبِتُونَهَا مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ وَلا تَشْبِيهٍ، وَأَنَّ اللهَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَالْخَلْقُ بَائِنُونَ مِنْهُ، لَا يَحِلُّ فِيهِمْ، وَلَا يَمْتَزِجُ بِهِمْ، وَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ فِي سَمَائِهِ دُونَ أَرْضِهِ وَخَلْقِهِ)[٤].

الشَّرح

قوله: (وَهَكَذَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الخَطِيبُ الحَافِظُ فِي رِسَالَةٍ لَهُ أَخْبَرَ فِيهَا أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ عَلَى ذَلِكَ)، حكى أن هذا مذهب السلف كجميع الأئمة، جميع الأئمة حكوا أن هذا هو مذهب السلف، الذي هو الإثبات بلا تشبيه ولا تمثيل والتنزيه بلا تعطيل، هذا منهج السلف الذي حكاه الجميع، جميع الأئمة حكوه عن السلف.

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢١٨).

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة، منها حلية الأولياء في مجلدات كثيرة دلت على اتساع روايته وكثرة مشايخه وقوة اطلاعه على مخارج الحديث وشعب طرقه، وله معجم الصحابة، وصفة الجنة، ودلائل النبوة، وكتاب في الطب النبوي، وغير ذلك، ولد في رجب سنة ست وثلاثمائة بأصبهان، وتوفي سنة ثلاثين وأربعمائة، وقد رمي بالتمشعر وشيء من التصوف، والله أعلم. انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٤٥)، والعبر (٣/ ١٧٢)، وسير الأعلام (١٧/ ٤٥٣، ٤٥٤)، وطبقات الشافعية الكبرى (٤/ ١٨)، وشذرات الذهب (٣/ ٢٤٥).

(٣) كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني مشهور ومطبوع في عشرة مجلدات، ط. دار الكتاب العربي - بيروت.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٠، ١٩١)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٠)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٨٦)، والعلو للذهبي (ص٢٤٣).

قوله: (وَهَذَا الْكَلامُ الَّذِي ذَكَرَهُ الخَطَّابِيُّ قَدْ نَقَلَ نَحْوًا مِنْهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَا لَا يُحْصَى، مِثْلُ: أَبِي بَكْرٍ الإِسْمَاعِيلِي، والإمام يَحْيَى بْنِ عَمَّارٍ السِّجْزِيِّ شَيْخِ شَيْخِ الإِسْلامِ أَبِي إِسْمَاعِيلَ الأَنْصَارِيِّ الهَرَوِيِّ، وَمِثْلُ: أَبِي عُثْمَانَ الصَّابُونِيِّ شَيْخِ الإِسْلامِ، وَأَبِي عُمَرَ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ النَّمِرِيِّ إِمَامِ المَغْرِبِ، وَغَيْرِهِمْ)، كل هؤلاء الأئمة حكوا أن هذا هو مذهب السلف، وأجمعوا عليه؛ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري إمام أهل المغرب، المحدث الحافظ المفسر، المتقن الفقيه، الذي له المؤلفات الواسعة في مختلف العلوم رَحِمَهُ اللَّهُ، هو حكى أن هذا هو مذهب السلف، وهو إمام جليل وثقة، وغيره من الأئمة.

قوله: (وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ الأَصْبَهَانِيُّ صَاحِبُ «الحِلْيَةِ» فِي عَقِيدَةٍ لَهُ فِي أَوَّلِهَا)، أبو نعيم وهو من المحدثين المعروفين، وله كتاب «الحلية» في تراجم أهل العلم، وهو كتاب مشهور يروي فيه أحاديث كثيرة، وهو إمام جليل، وكتابه «حلية الأولياء» هو تراجم لأهل العلم والعباد، وهو موسوعة في التراجم، هذا الإمام له رسالة -كما ذكر الشيخ- في هذا الباب؛ في الاعتقاد.

قوله: (طَرِيقَتُنَا طَرِيقَةُ المُتَّبِعِينَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الأُمَّةِ، قَالَ: فَمِمَّا اعْتَقَدُوهُ أَنَّ الأَحَادِيثَ الَّتِي تَثْبُتُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرْشِ وَاسْتِوَاءِ اللهِ يَقُولُونَ بِهَا وَيُثْبِتُونَهَا مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلا تَمْثِيلٍ وَلا تَشْبِيهٍ)، هذا ما حكاه أبو نعيم عن الأئمة أنهم يثبتون الاستواء على العرش لله جَلَّ وَعَلَا من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وغيره من أفعال الله وأسمائه وصفاته، هم على هذا المنهج الوسط.

قوله: (وَأَنَّ اللهَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَالخَلْقُ بَائِنُونَ مِنْهُ)، بمعنى أنه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته سبحانه، هذا معنى بائن

مـن خلقه، يعنـي: منفصل من خلقه؛ ردًا على الحلولية ومن سـار على نهجهم من أهـل وحدة الوجـود، الذين يقولـون: (إن الله حال في مخلوقاتـه)، أو (إنه لا فرق بـين الخالـق والمخلوق، الكون كلـه هو الله)، هذا هو مذهب أهـل وحدة الوجود -قبحهم الله!

فقول السلف: (بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ) يريدون الرد على هؤلاء.

لفظة (بَائِنٌ) هذه لم ترد في الكتاب والسنة، ولكن العلماء اضطروا إلى أن يقولوها؛ ردًا على الذين يقولون: (إن الله داخل المخلوقات)، أو (إن المخلوقات داخلة فيه)، تعالى الله عن ذلك! هذا معنى بائن من خلقه.

قوله: (لَا يَحِلُّ فِيهِمْ وَلَا يَمْتَزِجُ بِهِمْ)، هذا معنى بائن من خلقه أنه (لَا يَحِلُّ فِيهِمْ)؛ كما تقوله الحلولية، يقولون: (إن الله في كل مكان)، (وَلَا يَمْتَزِجُ بِهِمْ)؛ كما تقوله أهل وحدة الوجود.

قوله: (وَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ فِي سَمَائِهِ دُونَ أَرْضِهِ وَخَلْقِهِ)، وهو مستوٍ جَلَّ وَعَلَا على عرشه؛ كما أخبر الله عن ذلك في سبعة مواضع من كتابه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان:٥٩]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، سبعة مواضع.

والاستواء معناه: العلو والارتفاع والصعود.

والعرش: هو مخلوق عظيم، هو أعلى المخلوقات وأكبر المخلوقات، والله مستوٍ عليه -بمعنى: أنه مرتفع عليه وفوقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ استواءً يليق بجلاله، ليس مثل استواء المخلوق على المخلوق. المخلوق إذا كان مستويًا على شيء -يعني: مرتفعًا عليه-، فإن المخلوق محتاج لهذا الشيء لكي يركب عليه، ولو زال هذا



الشيء، لسقط من فوقه، بينما الله جَلَّوَعَلَا غنيٌّ عن مخلوقاته، غنيٌّ عن العرش وما دونه، فهو لم يستو عليه؛ لأنه بحاجة إليه، بل هو الذي يُمسك العرش، ويمسك السماوات والأرض أن تزولا، هو الذي يمسكها، فليس معنى استوائه عليه مثل استواء المخلوق على الدابة أو على السطح، بل هو غنيٌّ عن ذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا مثل سائر صفاته أنها ليست كصفات المخلوقين، استواؤه ليس كاستواء المخلوق على المخلوق، بل هو استواء خالق على المخلوق.

قوله: (فِي سَمَائِهِ دُونَ أَرْضِهِ وَخَلْقِهِ)، العرش فوق السماوات، العرش هو أعلى المخلوقات، ليس فوقه إلا الله جَلَّوَعَلَا، هذا هو العرش، ليس العرش في الأرض كما تقوله الحلولية، العرش في السماء، يعني: في الارتفاع فوق المخلوقات.



وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي كِتَابِ «مَحَجَّةِ الْوَاثِقِينَ وَمَدْرَجَةِ الْوَامِقِينَ» تَأْلِيفُهُ:

وَأَجْمَعُوا أَنَّ اللهَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ، لَا مُسْتَوْلٍ عَلَيْهِ كَمَا تَقُولُ الْجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ بِكُلِّ مَكَانٍ. خِلَافًا لِمَا نَزَّلَ فِي كِتَابِهِ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، لَهُ الْعَرْشُ الْمُسْتَوِي عَلَيْهِ وَالْكُرْسِيُّ الَّذِي وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَكُرْسِيُّهُ جِسْمٌ، وَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَلَيْسَ كُرْسِيُّهُ عِلْمُهُ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ، بَلْ يُوضَعُ كُرْسِيُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَهُ النَّبِيُّ ﷺ[1]، وَأَنَّهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا صَفًّا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢]، وَأَنَّهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مُذْنِبِي الْمُوَحِّدِينَ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران:١٢٩]. اهـ.

---

(١) كما جاء في حديث ثعلبة بن الحكم الذي رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣٨١)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص٣٤٥) أن رسول الله ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ **لِلْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا قَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ لِقَضَاءِ عِبَادِهِ: إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ عِلْمِي، وحُكْمِي فِيكُمْ، إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْفِرَ لَكُمْ، عَلَى مَا كَانَ فِيكُمْ، وَلَا أُبَالِي**»، ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ١٢٦)، وقال: (رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون). وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٤٢): (إسناده جيد).
وقد سبق في كلام الإمام ابن أبي زمنين أحاديث وآثار فيها ذكر الكرسي، من حديث أنس، وابن مسعود، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وغيرهم..

الشَّـرح

قوله: (وَقَالَ الحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي كِتَابِ «مَحَجَّةِ الْوَاثِقِينَ وَمَدْرَجَةِ الْوَامِقِينَ») «محجة الواثقين ومدرجة الوامقين» يعني: المحبين، الومق: هو المحبة؛ لأن أبا نعيم رَحِمَهُ اللَّهُ كان عنده شيء من التصوف، لكنه وإن كان عنده شيء من التصوف فهو إمام جليل محدث، وليس هو من التصوف الممقوت، بل هو التصوف بمعنى التعبد والعبادة والمحبة لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (وَأَجْمَعُوا أَنَّ اللهَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ)، (أجمعوا)، أي: أجمع أهل العلم سلفًا وخلفًا، والإجماع حجة قاطعة، الأدلة هي: الكتاب، والسنة، والإجماع. أجمعوا على أن الله فوق سماواته مستوٍ على عرشه بائن من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا محل إجماع لا شك فيه.

قوله: (لَا مُسْتَوْلٍ عَلَيْهِ)، ليس معنى الاستواء الاستيلاء؛ كما تقوله الأشاعرة والمؤولة: (﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، أي: استولى عليه)، لو كان هذا هو المعنى ما صار هناك فرق بين العرش وغيره؛ لأن الله مستولٍ على كل شيء، بيده الملك هو مالكٌ لكل شيء، فما ميزة العرش بأنه استولى عليه؟ هذا كلام باطل، فمعنى استوى على العرش أي: علا وارتفع عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس معناه استولى عليه؛ لأن هذا تأويل باطل، لو كان كذلك، لم يكن للعرش ميزة على غيره من المخلوقات، فالله مالك للسماوات وللأرض ولجميع المخلوقات.

قوله: (كَمَا تَقُولُ الجَهْمِيَّةُ: إِنَّهُ بِكُلِّ مَكَانٍ)، الحلولية الذين يقولون: (إنه بكل مكان، هو في السماوات وفي الأرض وفي كل مكان)، ولا ينزهونه حتى عن المحلات القذرة -تعالى الله عما يقولون!

قوله:(خِلَافًا لِمَا نَزَّلَ فِي كِتَابِهِ: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك:١٦])، الله جَلَّوَعَلَا بيَّن أنه في السماء، والسماء معناها: العلو، ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾، يعني: في العلو، هذا يدل على أن الله في العلو، وليس هو في كل مكان؛ كما تقوله الجهمية ومن شرب مشربهم، في السماء في آيتين: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴾ [الملك:١٦، ١٧]، في آيتين متواليتين، ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾، وهو الله جَلَّوَعَلَا، وهذا فيه رد على الذين يقولون: (إنه في كل مكان).

قوله: (﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠]) قوله: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ﴾، والصعود إنما يكون إلى أعلى ﴿ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾، دل على أن الله في العلو.

قوله: (﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه:٥]) كذلك إثبات الاستواء على العرش، وهذا معناه العلو، فالله فوق سماواته مستوٍ على عرشه جَلَّوَعَلَا.

قوله: (لَهُ الْعَرْشُ الْمُسْتَوِي عَلَيْهِ وَالْكُرْسِيُّ الَّذِي وَسِعَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [البقرة:٢٥٥])، السماوات السبع فوقها بحر، وفوق البحر الكرسي الذي وسع السماوات والأرض، وفوق الكرسي العرش، والله فوق العرش سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، والكرسي غير العرش، الكرسي مخلوق أصغر من العرش، والكرسي أكبر من سائر المخلوقات، كل المخلوقات بالنسبة للكرسي كالسماوات السبع بالنسبة للكرسي كسبعة دراهم أُلقيت في تُرس،﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والكرسي على عظمه

بالنسبة للعرش كحلقة أُلقيت في أرض فلاة، حلقة صغيرة في فلاة ماذا تبلغ؟ صغيرة بالنسبة للفلاة. هذا يدل على عظم المخلوقات، والله أعظم منها جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (وَكُرْسِيُّهُ جِسْمٌ): ليس كما يقال: (إنه العلم، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾، يعني: علمه)! لا. الكرسي ما هو بالعلم، الكرسي مخلوق جسم؛ كما جاء في الأحاديث جسم مخلوق، وهو أعظم من السماوات السبع[1].

قوله: (وَالسَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ عِنْدَ الْكُرْسِيِّ كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ، وَلَيْسَ كُرْسِيُّهُ عِلْمُهُ)؛ كما جاء في بعض التفاسير، يُروى عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن كرسيه علمه[2]، لكن هذا ليس بصحيح، كرسيه غير علمه.

قوله: (كَمَا قَالَت الجَهْمِيَّةُ، بَلْ يُوضَعُ كُرْسِيُّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، كَمَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هذا يدل على أن الكرسي ليس هو العلم؛ لأنه يوضع يوم القيامة لله عَزَّ وَجَلَّ إذا جاء لفصل القضاء بين خلقه، دل على أنه كرسي حقيقي لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (وَأَنَّهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ)، ونثبت أن الله جَلَّ وَعَلَا يأتي ويجيء يوم القيامة؛ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ

---

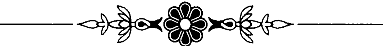
(١) انظر: (ص٤٢١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٩) من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير موقوفًا على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال الذهبي في العلو (ص١١٧): (فهذا جاء من طريق جعفر الأحمر لين، وقال ابن الأنباري: إنما يروى هذا بإسناد مطعون فيه) اهـ.
وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى: (٦/ ٥٨٤): (وقد نُقل عن بعضهم أن كرسيه علمه، وهو قول ضعيف، فإن علم الله وسع كل شيء؛ كما قال: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧]، والله يعلم نفسه ويعلم ما كان وما لم يكن، فلو قيل: وسع علمه السموات والأرض لم يكن هذا المعنى مناسبًا، لا سيما وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥] أي: لا يثقله ولا يكرثه، وهذا يناسب القدرة لا العلم، والآثار المأثورة تقتضي ذلك) اهـ.

يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة:٢١٠]، الله جَلَّ وَعَلَا يأتي يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده مجيئًا يليق بجلاله وعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مجيئًا حقيقيًّا، وليس المراد أنه يجيء أمره؛ كما تقوله المؤولة: (﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر:٢٢]، يعني: جاء أمره)، بل يأتي هو سبحانه مجيئًا حقيقيًا، وليس الذي يأتي هو أمره.

قوله: (وَالمَلائِكَةُ صَفًّا صَفًّا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]) ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ ﴾، يعني: وجاءت الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾، ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة:٢١٠].

قوله: (وَأَنَّهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مُذْنِبِي المُوَحِّدِينَ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران:١٢٩])، الشاهد من هذا: إثبات المجيء لله عَزَّوَجَلَّ وإثبات الإتيان لله، وهذا يوم القيامة يأتي لفصل القضاء بين عباده وجزائهم على أعمالهم.



وَقَالَ الإِمَامُ الْعَارِفُ مَعْمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الأَصْبَهَانِيُّ[(١)] -شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ فِي حُدُودِ المِائَةِ الرَّابِعَةِ فِي بِلادِهِ- قَالَ: (أَحْبَبْتُ أَنْ أُوصِيَ أَصْحَابِي بِوَصِيَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ وَمَوْعِظَةٍ مِنَ الْحِكْمَةِ، وَأَجْمَعُ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالأَثَرِ، وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّصَوُّفِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ).

قَالَ فِيهَا: (وَأَنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِلَا كَيْفٍ، وَلا تَشْبِيهٍ، وَلا تَأْوِيلٍ، والاسْتِوَاءُ مَعْقُولٌ، وَالْكَيْفُ فِيهِ مَجْهُولٌ، وَأَنَّهُ عَزَّوَجَلَّ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَالْخَلْقُ مِنْهُ بَائِنُونَ، بِلَا حُلُولٍ وَلا مُمَازَجَةٍ، وَلَا اخْتِلاطٍ وَلا مُلاصَقَةٍ؛ لأَنَّهُ الْمُنْفَرِدُ الْبَائِنُ مِنَ الْخَلْقِ، الْوَاحِدُ الْغَنِيُّ عَنِ الْخَلْقِ.

وَأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، خَبِيرٌ، يَتَكَلَّمُ، وَيَرْضَى وَيَسْخَطُ، وَيَضْحَكُ، وَيَعْجَبُ، وَيَتَجَلَّى لِعِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَاحِكًا، وَيَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ يَشَاءُ فَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»[(٢)]، وَنُزُولُ الرَّبِّ إِلَى السَّمَاءِ بِلَا كَيْفٍ وَلا تَشْبِيهٍ، وَلا تَأْوِيلٍ، فَمَنْ أَنْكَرَ النُّزُولَ أَوْ تَأَوَّلَ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ، وَسَائِرُ الصَّفْوَةِ مِنَ الْعَارِفِينَ عَلَى هَذَا[(٣)].

---

(١) هو معمر بن أحمد بن محمد بن زياد أبو منصور الأصبهاني، الزاهد شيخ الصوفية في زمانه بأصبهان، روى عن الطبراني، توفي في رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة. انظر: الوافي بالوفيات (٥/ ٢٩)، والأنساب (٥/ ١٤٢)، وشذرات الذهب (٣/ ٢١١).

(٢) سبق تخريجه (ص١٨١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٩١)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٠)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٩٠)، والعلو للذهبي (ص٢٦٨).

الشَرح

قوله: (وَقَالَ الإِمَامُ الْعَارِفُ مَعْمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الأَصْبَهَانِيُّ ـ شَيْخُ الصُّوفِيَّةِ)
الصوفية: طائفة من العباد الذين اجتهدوا في العبادة، قيل: إنهم سموا بالصوفية للبسهم الصوف؛ لأنّهم كانوا يلبسون الصوف من باب التقشف والزهد، هذا أقرب ما قيل في تفسير الصوفية؛ أنهم الذين يلبسون الصوف من باب التعبد والتقشف.

والصوفي: هو المتعبد الذي تفرغ للعبادة وانقطع للعبادة. هذا كان في أول الأمر، وكان منهم أُناس عباد معتدلون، مثل: بشر الحافي، ومثل: الفضيل بن عياض، ومثل: الجُنيد. وسلفهم كانوا على عقيدة السلف، ولكنهم اجتهدوا في العبادة، وانقطعوا للعبادة، وإن كان هذا فيه مأخذ في أن المسلم لا ينقطع للعبادة فقط، بل يعمل لدنياه ولآخرته، ويجاهد في سبيل الله، ويطلب العلم، ويطلب الرزق مع العبادة لله عَزَّوَجَلَّ، لكن هؤلاء اختاروا هذه الطريقة، فمتقدموهم عقيدتهم طيبة، ومنهجهم سليم، إلا أنهم نحوا منحى الزهد والتعبد أكثر من غيرهم؛ مثل: إبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وبشر الحافي، هؤلاء عباد مشهورون ومعروفون.

لكن تطور التصوف فيما بعد، حتى خرجت الصوفية عن الدين، وأحدثوا مذاهب إلحادية آلت بهم إلى الإلحاد، إلى وحدة الوجود، وإلى غير ذلك من الشطحات الهائلة، وحتى إنهم يزعمون أن العارف إذا وصل إلى درجة من العبادة، يسقط عنه الأمر والنهي، ولا يحتاج إلى الحلال والحرام، ما عليه حلال ولا عليه حرام، تسقط عنه التكاليف، يسمونهم خاصة الخاصة، وأنه يفعل ما يريد،

ولا لوم عليه. هذا من ضلالهم وكفرهم لا شك، من وصل إلى هذه الدرجة، فهو كافر، لكن هذا ما آل إليه التصوف.

وهذه البدعة وإن كانت البدعة في أولها شيء سهل، لكن تؤول إلى الضلال، وتؤول إلى الإلحاد، أما التمسك بالسنة والطريقة المحمدية، فهذا هو الطريق الصحيح الذي يثبت عليه أصحابه ولا يتغيرون.

التصوف مبدؤه طيب، ولكن لما كان فيه بدعة، آل إلى هذا الحد -والعياذ بالله!

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إنما ينقل عن المتصوفة المعتدلين، ولا ينقل عن المتصوفة.

قوله: (فِي حُدُودِ المِائَةِ الرَّابِعَةِ فِي بِلَادِهِ)، بلاده أصفهان يعني. وكان أئمة الصوفية في الزمان السابق أئمة علم وأئمة تُقى وحديث، ما هم مثل المتصوفة المتأخرين.

قوله: (قَالَ: أَحْبَبْتُ أَنْ أُوصِيَ أَصْحَابِي بِوَصِيَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ وَمَوْعِظَةٍ مِنَ الحِكْمَةِ، وَأَجْمَعُ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الحَدِيثِ وَالأَثَرِ، وَأَهْلُ المَعْرِفَةِ وَالتَّصَوُّفِ مِنَ المُتَقَدِّمِينَ وَالمُتَأَخِّرِينَ. قَالَ فِيهَا: وَأَنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِلَا كَيْفٍ، وَلا تَشْبِيهٍ، وَلا تَأْوِيلٍ)، هذا على الطريقة السليمة، (اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ بِلَا كَيْفٍ)، يعني: لاندري كيف استوى على عرشه، الكيفية لا ندري عنها، ليست كاستواء المخلوق على المخلوق. ولهذا لما قال رجل للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] كَيْفَ اسْتَوَى؟)، سأله عن الكيفية، فأطرق الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ خوفًا من الله عَزَّوَجَلَّ، (فَأَطْرَقَ مَالِكٌ بِرَأْسِهِ حَتَّى عَلاهُ الرُّحَضَاءُ)، يعني: العرق، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ

وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا، فَأُمِرَ بِهِ أَنْ يُخْرَجَ)(١)، فأمر به فأُخرج من مجلسه، وطُرد من مجلسه.

فالشاهد في قوله: «وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ»: كيفية الاستواء مجهولة، لكن معنى الاستواء معلوم، وهو العلو والارتفاع.

قوله: (والاسْتِوَاءُ مَعْقُولٌ) يعني: معروف معناه، وهو العلو والارتفاع على الشيء؛ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ [الفتح:٢٩]، يعني: ارتفع، هذا شيء معروف عند العرب، استوى على الشيء يعني: ارتفع عليه؛ ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف:١٣]، يعني: تركبوا على ظهوره؛ الارتفاع.

قوله: (وَالْكَيْفُ فِيهِ مَجْهُولٌ)، أما الكيفية -كيفية استواء الله على عرشه-، هذه مجهولة مثل سائر صفاته لا نعلمها.

قوله: (وَأَنَّهُ عَزَّوَجَلَّ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ)؛ كما سلف، ردٌّ على الحلولية ووحدة الوجود.

قوله: (وَالخَلْقُ مِنْهُ بَائِنُونَ، بِلَا حُلُولٍ)، هذا رد على الحلولية الذين يقولون: إن الله حالٌّ في كل مكان، (وَلا مُمَازَجَةٍ)، ردٌّ على أهل وحدة الوجود.

قوله: (وَلَا اخْتِلاطٍ وَلا مُلاصَقَةٍ)، بمعنى واحد.

قوله: (لأَنَّهُ المُنْفَرِدُ الْبَائِنُ مِنَ الخَلْقِ)، ليس في خلقه شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، هناك خالق وهناك مخلوق، فالله خالق، وما سواه مخلوق.

قوله: (الْوَاحِدُ الْغَنِيُّ عَنِ الخَلْقِ)، والخلق محتاجون إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، هو غني عنهم، وهم محتاجون إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٣٤).

قوله: (وَأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، عَلِيمٌ، خَبِيرٌ، يَتَكَلَّمُ، وَيَرْضَى وَيَسْخَطُ، وَيَضْحَكُ، وَيَعْجَبُ)؛ كما جاء في الأدلة، كل هذه الصفات وردت في السنة.

قوله: (وَيَتَجَلَّى لِعِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَاحِكًا) (وَيَتَجَلَّى)، يعني: يظهر لعباده المؤمنين يوم القيامة، يرونه عيانًا كما يرون القمر ليلة البدر[١]، وكما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب[٢]، لا يمارون في رؤيته، بل يرونه حقيقة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. أما في هذه الدنيا، فلا يتجلى؛ لأن الخلق لا يستطيعون رؤيته، ولما سأل موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾، صار الجبل الصلب رملًا منهالًا من عظمة الله جَلَّ وَعَلَا، فعند ذلك أدرك موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه أخطأ في سؤاله لله عَزَّوَجَلَّ فقال: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣].

قوله: (وَيَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ يَشَاءُ)، هذا ثابت أن الله ينزل إلى سماء الدنيا، والنزول يدل على العلو؛ لأن النزول لا يكون إلا من علو، ونزوله كما يليق بجلاله جَلَّ وَعَلَا ليس كنزول المخلوق عن المخلوق، نزوله يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يعلم كيفيته إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس كنزول الشخص عن المرتفع، شخص في السطح وينزل من السطح، لا.. نزول الله خاص به، لايعلمه إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (فَيَقُولُ: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»)، ولذلك يستحب للمسلم أن يكون

---

(١) سبق تخريجه (ص٤١١).

(٢) سبق تخريجه (ص٤١١).

مستيقظًا آخر الليل وقت السحر، يصلي ويسأل الله، ويستغفره ويدعوه؛ لأن هذا وقت نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يكون مستيقظًا ويصلي ما تيسر، ويوتر، ويستغفر، ويدعو الله، ثم يُتبع ذلك بصلاة الفجر مع الجماعة.

قوله: (**وَنُزُولُ الرَّبِّ إِلَى السَّمَاءِ بِلَا كَيْفٍ وَلا تَشْبِيهٍ، وَلا تَأْوِيلٍ**)، لا نقول: كيف ينزل؟ هو يخلو من العرش أو ما يخلو؟ وهل ينتقل؟ هل يخلو منه العرش؟ وكيف ينزل وثلث الليل يختلف باختلاف الأقاليم؟

بل نقول: لا ندري، ينزل فقط، وليس هو مثل نزول المخلوق عن المخلوق، وإنما هو نزول يليق بجلال الله جَلَّ وَعَلَا، ولا نتساءل، فكل هذه أسئلة باطلة، نقول: الله على كل شيء قدير، وهو الذي خلق الأقاليم، وخلق السماوات والأرض، ينزل سبحانه كيف يشاء، ولا نتدخل، بل نثبت النزول لله كما يليق بجلال الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (**فَمَنْ أَنْكَرَ النُّزُولَ**)، قال: (ما ينزل، النزول لا يكون إلا للمخلوق، والله منزه عن ذلك)، نقول: كذبت، الله له نزول يليق به، وليس مثل نزول المخلوق، نزول يليق بجلال الله مثل استوائه على عرشه يليق بجلاله، وسائر أفعاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن أنكره، فهو ضال.

قوله: (**أَوْ تَأَوَّلَ**)، بعضهم يقول: (ينزل ربنا يعني: ينزل أمره)، نقول: سبحان الله ! هل أمره يقول: «**هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟**» هل الأمر يستجيب؟ «**هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»، «**هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟**»، الأمر يتكلم ويقول كذا؟! هذا كلام باطل.

قوله: (**فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ**)، مبتدع: لأنه مخالف للسنة، وضال: لأنه ترك الحق ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢].

قوله: (وَسَائِرُ الصَّفْوَةِ مِنَ الْعَارِفِينَ عَلَى هَذَا)، سائر الصفوة من العارفين بالله عَزَّوَجَلَّ على هذا المذهب؛ أنهم يثبتون لله ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، وما كُلفنا بالبحث في هذه الأمور التي لا تصل إليها أفهامنا ولا مداركنا، والله فوق كل شيء وأعظم من كل شيء جَلَّوَعَلَا؛ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠].



وَقَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الْخَلَّالُ[(١)] فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ»: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ الأَثْرَمُ[(٢)]، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَارِثِ -يَعْنِي الْعَبَّادِيَّ[(٣)]-، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الأَشْعَثِ[(٤)] -قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهُوَ صَاحِبُ الْفُضَيْلِ-، قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ[(٥)] يَقُولُ: (لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَوَهَّمَ فِي اللهِ كَيْفَ هُوَ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى وَصَفَ نَفْسَهُ فَأَبْلَغَ، فَقَالَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص]، **فَلا صِفَةَ أَبْلَغُ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ.**

وَكُلُّ هَذَا: النُّزُولُ، وَالضَّحِكُ، وَهَذِهِ الْمُبَاهَاةُ، وَهَذَا الاطِّلاعُ، كَمَا يَشَاءُ أَنْ يَنْزِلَ، وَكَمَا يَشَاءُ أَنْ يُبَاهِيَ، وَكَمَا يَشَاءُ أَنْ يَضْحَكَ، وَكَمَا يَشَاءُ أَنْ يَطَّلِعَ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَوَهَّمَ كَيْفَ وَكَيْفَ؟ فَإِذَا قَالَ الْجَهْمِيُّ: أَنَا أَكْفُرُ بِرَبٍّ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ. فَقُلْ: بَلْ أُؤْمِنُ بِرَبٍّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ[(٦)]).

وَنَقَلَ هَذَا عَنِ الْفُضَيْلِ جَمَاعَةٌ، مِنْهُم الْبُخَارِيُّ فِي «خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ»[(٧)]،

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢١٩).

(٢) سبقت ترجمته (ص٢٢٠).

(٣) هو إبراهيم بن الحارث بن مصعب بن الوليد بن عبادة بن الصامت، أبو إسحاق العبادي، قال أبو بكر الخلال: (كان الإمام أحمد يعظمه ويرفع قدره، ويحتمله في أشياء لا يحتمل فيها غيره) اهـ. انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٥٥)، والأنساب (٤/ ١٢٥)، وتهذيب الكمال (٢/ ٦٧).

(٤) هو إبراهيم بن الأشعث البخاري خادم الفضيل بن عياض، ويعرف بلام، قال عنه أبو حاتم: (كنا نظن به الخير، فقد جاء بمثل هذا الحديث) وذكر حديثًا ساقطًا. انظر: الجرح والتعديل (٢/ ٨٨)، وميزان الاعتدال (١/ ١٣٧)، ولسان الميزان (١/ ٣٦).

(٥) سبقت ترجمته (ص١٩٩).

(٦) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٠٤، ٢٠٥).

(٧) ذكر البخاري جزءًا منه معلقًا في خلق أفعال العباد (ص٣٦)، وأخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٤٥٢).

وَنَقَلَهُ شَيْخُ الإِسْلامِ[١] بِإِسْنَادِهِ فِي كِتَابِهِ «الْفَارُوقِ»، فَقَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ، ثنا أَبِي، ثنا يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثنا حَرَمِيُّ بْنُ عَلِيٍّ الْبُخَارِيُّ، وَهَانِئُ بْنُ النَّضْرِ عَنِ الْفُضَيْلِ.

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ الخَلَّالُ فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ»)، (أَبُو بَكْرٍ الخَلَّالُ) إمام مشهور، وهو من تلاميذ تلاميذ الإمام أحمد بن حنبل، هو ليس من تلاميذ الإمام، ولكنه من تلاميذ تلاميذه، ولكنه فاق أقرانه بالإمامة والعلم، وهو الذي جمع مسائل الإمام أحمد وفتاواه في جامع مشهور يُسمى «جامع الخلال»، وهو ضخم، ولكنه فقد إلا أجزاء يسيرة منه، فلعله -إن شاء الله- أن يُعثر عليه، فإنه جمع علم الإمام أحمد، فلو أنه عُثر عليه، لتوفرت ثروة عظيمة من فقه الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن مؤلفاته: «كتاب السنة»، والسنة: يُراد بها ما كان عليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ والقرون المفضلة من الاعتقاد، هذه هي السنة، يسمونها السنة، ويسمونها التوحيد، ويسمونها الإيمان، هناك كتب تُسمى كتب الإيمان، وكتب تُسمى كتب السنة، وكتب تُسمى كتب التوحيد، مثل: «كتاب التوحيد» لابن منده، كلها بمعنى واحد، كلها تذكر اعتقاد السلف الصالح؛ لأنه لما ظهرت الفرق المنحرفة، احتاج المسلمون إلى أن يدونوا منهج السلف؛ حتى يتبين الحق من الباطل، فقاموا بهذا المجهود العلمي رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، كتب السنة موجودة، كتاب «السنة» للخلال، كتاب «السنة» للأثرم، كتاب «السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد، وهكذا كتاب «السنة» للمروزي، و» شرح أصول أهل

---

(١) هو أبو إسماعيل الأنصاري الهروي، سبقت ترجمته (ص٤٠٥).

السنة» للالكائي، كلها -ولله الحمد- مدونة ومضبوطة، وطُبعت وحُققت في جملتها، وهذا من فضل الله على هذه الأمة لأجل حفظ دينها وعقيدتها.

قوله: (**حَدَّثَنَا أَبو بَكْرٍ الأَثْرَمُ، حَدَّثَنَا أَبو بَكْرٍ الأَثْرَمُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الحَارِثِ -يَعْنِي الْعَبَّادِيَّ- حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ يَحْيَى، قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الأَشْعَثِ -قَالَ أَبو بَكْرٍ: وَهُوَ صَاحِبُ الْفُضَيْلِ- قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ**)، هذا الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من المشهورين في العبادة والزهد، هو -أيضًا- يحكي مذهب السلف، وهو أنه ليس لنا إلا ما كان عليه السلف الصالح، وما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن ننبذ الأقوال والمذاهب المخالفة لذلك.

قوله: (**قال: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ: لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَوَهَّمَ فِي اللهِ كَيْفَ هُوَ؟**)، نعم، الكيفية مجهولة لنا، الذات وكيفية الصفات، بل كيفية المغيبات كلها، الأمور الآخرة نؤمن بها، ولكن لا نعلم كيفيتها، لا نعلم كيفية ما في الجنة، وما في النار، وما في اليوم الآخر، وهي تسمى التأويل، وهو: المآل الذي تؤول إليه هذه الأخبار، هذا هو التأويل: الذي هو علم الكيفية، ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، الذي هو المآل والكيفية لا يعلمها إلا الله، أما التفسير والمعنى، فنحن نعرف هذا من لغتنا؛ كما قال يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في آخر ما انتهى إليه أمره؛ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:١٠٠]، رآها في أول عمره، قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]، في النهاية قال: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾، التأويل: يُراد به الكيفية التي يؤول إليها الشيء في المستقبل، وهذا عام في كل أمور الغيب، نحن نؤمن بها، ونثبتها كما

جاءت، ولكن لا نعلم كيفيتها حتى تحصل وتتبين، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣]، ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ يعني: الكيفية والحقيقة التي أخبرت عنها الرسل، يتمنى الكفار أنهم أسلموا وأطاعوا الرسل، ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف:٥٣]، فأهل الإيمان آمنوا اعتمادًا على الخبر الصادق عن الله، وعن رسله، آمنوا بذلك، وإن كانوا لا يعلمون الكيفية، وأما أهل الكفر، فإنهم كفروا -والعياذ بالله-، وكذبوا بذلك؛ بناء على عقولهم الكاسدة القاصرة،؛ ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:٣٩]، هذه طريقة أهل الضلال، الأشياء التي لا تُدركها عقولهم يكذبون بها، وإن كانت ثابتة من ناحية النقل، أما أهل الإيمان، فإنهم يؤمنون بذلك، ويكلون الكيفية إلى عالمها، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن ذلك الأسماء والصفات، الله وصف نفسه بصفات، والرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصف ربه بصفات، نثبتها كما جاءت وعلى معناها، لا نحرفها ولا نشبهها بصفات الخلق، نكل كيفيتها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذه قاعدة عظيمة.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص] هذه السورة سورة عظيمة، سورة الإخلاص، وهي تعدل ثلث القرآن(١) في الفضل، لماذا؟ لأنها خلصت في التوحيد، صفات الله عَزَّوَجَلَّ، والقرآن على ثلاثة أقسام: إخبار وأحكام وتوحيد،

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠١٣، ٦٦٤٣، ٧٣٧٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وَكَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَالُّهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**».

هذه أقسام القرآن: إخبار وأحكام وتوحيد، فهي جاءت في القسم الثالث الذي هو التوحيد، ولذلك صارت تعدل ثلث القرآن، وهي صفة الرحمن عَزَّوَجَلَّ، وكان بعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ يقرأ لأصحابه في صلاتهم،فيختم بـ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، «فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: **سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**» فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا»، فقال له صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»(١)، الشاهد قوله: «لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ»، وقد جمع الله فيها بين النفي والإثبات؛ نفي النقائص والعيوب عن الله، وإثبات الكمالات له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذا إثبات، ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ هذا إثبات، ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ هذا نفي، نفى عن نفسه النقائص، ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾؛ لأن هذه نقائص، ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ يعني: مشابهًا، لا يُشبهه أحد؛ كما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فهي سورة على وجازتها جمعت هذا الأصل العظيم الذي هو وصف الله جَلَّوَعَلَا بما يليق به، وتنزيهه عما لا يليق به.

قوله: (**فَلا صِفَةَ أَبْلَغُ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ**)؛ لأن الله أعلم بنفسه، وأعلم بغيره، وأما نحن، فلا ندرك حقيقة صفاته، ولا حقيقة وكيفية ذاته، قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴾ [طه:١١٠]، لا أحد يحيط بالله عَزَّوَجَلَّ،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، واللفظ له، ومسلم (٢٦٣) وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**».



الله أعظم مما تتصوره ومما تتخيله، فلا يمكن أن أحدًا يعلم كيفية ذات الله، وكيفية أسمائه وصفاته، إلا هو سبحانه، ثم رسوله ﷺ؛ لأن الله بلغه ذلك من بين الخلق، وخصه بذلك، فلا أحد من الخلق أعلم بالله من الرسول ﷺ، فنحن نثبت ما أثبته الله لنفسه، وننفي ما نفاه الله عن نفسه، ونثبت ما أثبته الرسول ﷺ لربه، وننفي ما نفاه الرسول ﷺ عن ربه.

قوله: (**وَكُلُّ هَذَا: النُّزُولُ، وَالضَّحِكُ، وَهَذِهِ المُبَاهَاةُ، وَهَذَا الاطِّلَاعُ، كَمَا يَشَاءُ أَنْ يَنْزِلَ، وَكَمَا يَشَاءُ أَنْ يُبَاهِيَ، وَكَمَا يَشَاءُ أَنْ يَضْحَكَ، وَكَمَا يَشَاءُ أَنْ يَطَّلِعَ**)، كل هذه الصفات: النزول كما قال النبي ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا**»[1]، وصف ربه بالنزول، هل هذا النزول مثل النزول الذي نعرفه الانتقال من أعلى إلى أسفل؟ لا. بل هو نزول يليق بالله جَلَّ وَعَلَا، لا يعلمه إلا الله، ولكننا نثبت أنه ينزل؛ لأن الصادق المصدوق أخبرنا بذلك، فنحن نؤمن أن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، كيف ينزل؟ لا ندري.

الضحك: ثبت في الأحاديث أن الله يضحك جَلَّ وَعَلَا، المخلوق يضحك -أيضًا-، ولكن ضحك الخالق يليق به سبحانه، ليس كضحك المخلوق، نحن لا نعلم الكيفية -كيفية ضحك الله-، ولكننا نثبت ذلك؛ كما أثبته له الرسول ﷺ، وثبت أن الله عَزَّ وَجَلَّ يغضب، فنثبت الغضب لله عَزَّ وَجَلَّ، المخلوق يغضب، ولكن ليس غضب الخالق كغضب المخلوق، الله جَلَّ وَعَلَا يباهي ملائكته بعباده المؤمنين، يباهي بهم في الجهاد، ويباهي بهم في الوقوف بعرفة، يباهي الملائكة بعباده المؤمنين، هذه المباهاة لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نحن نثبتها كما جاءت، كيف يباهي؟ ما ندري.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨١).

قوله: (فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَوَهَّمَ كَيْفَ وَكَيْفَ؟)، نترك كيف وكيف، ولا نسأل عن هذا، نحن نسأل ما معنى كذا؟ نعم. لا بأس، نسأل عن معنى كذا وكذا، ولكن لانسأل عن كيف كذا وكذا، ولهذا يقول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ»[1]، الاستواء معلوم معناه في اللغة، ولكن كيفيته مجهولة، كذلك سائر الصفات.

قوله: (فَإِذَا قَالَ الجَهْمِيُّ: أَنَا أَكْفُرُ بِرَبٍّ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ. فَقُلْ: بَلْ أُؤْمِنُ بِرَبٍّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) (أَنَا أَكْفُرُ بِرَبٍّ يَزُولُ عَنْ مَكَانِهِ)، من قال لك: (إن الله يزول عن مكانه)، هل هذا جاء عن الله أو عن رسوله؟ ولكن نحن نثبت أن الله يفعل ما يشاء، ينزل سبحانه، ينزل ويستوي على العرش، ولكن لا يعلم كيفية ذلك إلا الله، أما أن نقول: يزول عن مكانه، هذا من الكذب على الله، والقول على الله بغير علم، ولكن نقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [الحج: ١٨]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ!

(فَـإِذَا قَالَ الجَهْمِيُّ)، الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي أو السمرقندي الخبيث الذي أخذ عقيدته عن اليهود.

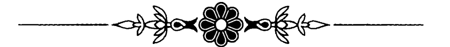
(فَقُلْ: بَلْ أُؤْمِنُ بِرَبٍّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)، يفعل ما يشاء، ولا أقول: يزول أو ما يزول. ما أدري، أنا لا أعلم ولا أدري، ما جاء لفظ (يَزُولُ) لا في الكتاب، ولا في السنة. (فَقُلْ: بَلْ أُؤْمِنُ بِرَبٍّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)، هذا كلام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (وَنَقَلَ هَذَا عَنِ الْفُضَيْلِ جَمَاعَةٌ، مِنْهُم الْبُخَارِيُّ فِي «خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ»)، البخاري له مصنف اسمه «خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ»، رد على القدرية، نقل هذا عن الفضيل بن عياض.

---

(١) سبق تخريجه (ص ٥٦).

قوله: (وَنَقَلَهُ شَيْخُ الإِسْلامِ بِإِسْنَادِهِ فِي كِتَابِهِ «الْفَارُوقِ» فَقَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَمَّارٍ، ثنا أَبِي، ثنا يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثنا حَرَمِيُّ بْنُ عَلِيٍّ الْبُخَارِيُّ، وَهَانِئُ بْنُ النَّضْرِ عَنِ الْفُضَيْلِ)، والإمام الهروي، شيخ الإسلام الهروي صاحب منازل السائرين الذي شرحه ابن القيم في مدارج السالكين -أيضًا- نقل هذا عن الفضيل.



وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْمَكِّيِّ[(١)] فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ «التَّعَرُّفَ بِأَحْوَالِ الْعِبَادِ وَالْمُتَعَبِّدِينَ»، قَالَ: (بَابُ مَا يَجِيءُ بِهِ الشَّيْطَانُ لِلتَّائِبِينَ)، وَذَكَرَ أَنَّهُ يُوقِعُهُمْ فِي الْقُنُوطِ، ثُمَّ فِي الْغُرُورِ وَطُولِ الأَمَلِ، ثُمَّ فِي التَّوْحِيدِ، فَقَالَ: (مِنْ أَعْظَمِ مَا يُوَسْوِسُ فِي التَّوْحِيدِ بِالتَّشْكِيكِ، أَوْ فِي صِفَاتِ الرَّبِّ بِالتَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، أَوْ بِالْجَحْدِ لَهَا وَالتَّعْطِيلِ).

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ عَمْرُو بْنُ المَكِّيِّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ (التَّعَرُّفَ بِأَحْوَالِ الْعِبَادِ وَالْمُتَعَبِّدِينَ)، قَالَ: بَابُ مَا يَجِيءُ بِهِ الشَّيْطَانُ لِلتَّائِبِينَ. وَذَكَرَ أَنَّهُ يُوقِعُهُمْ فِي الْقُنُوطِ) (ما يحب الشيطان للتائبين)، يعني: الشيطان يحب للعباد الضلال والكفر، أو ما (يجيء به)، يوسوس به، فالعبارة عبارة سليمة على أيهم.

قوله: (ثُمَّ فِي الْغُرُورِ وَطُولِ الأَمَلِ)، يوقعهم أول شيء في القنوط من رحمة الله، يقول لهم: أنتم أذنبتم وعصيتم، ولا لكم توبة. فيقنطهم من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦]، ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]، فمهما عملت من الذنوب، فلا تقنط، تب إلى الله، والله يتوب على من تاب، رحمته واسعة سبحانه، وهو التواب، فالشيطان يقنِّط بني آدم، وييئسهم من رحمة الله؛ من أجل

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص، أبو عبد الله المكي، الزاهد شيخ الصوفية وصاحب التصانيف، قال الذهبي: (كان من نظراء الجنيد كبير القدر، مات قبل الثلاثمائة توفي حدودها)، ورجح الخطيب أن وفاته في سنة سبع وتسعين ومائتين. انظر: طبقات المحدثين بأصبهان (٣/ ٤٥٧)، وحلية الأولياء (١٠/ ٢٩١)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٣)، والعبر (ص٢١٣)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٢٥).

أن لا يتوبوا، هذا قصده من أجل أن يهلكهم، هذه خطوة. ثم بالغرور، طائفة يأتيهم بالغرور والإعجاب بأعمالهم وتعداد الحسنات، فيبلغ بهم الغرور إلى أن يستكثروا أعمالهم، ولا يخافوا من أنها تُرد، أو أنها لا تُقبل، أو أنها فيها خلل، ما يخافون، يزكون أنفسهم، هذا الذي قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢]، قال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٤٩]، يمدحونها، يزكونها، ويعجبون بأعمالهم، ولا يأتي على بالهم أنها قد يحصل فيها خلل، أنها لا تُقبل، أنها ناقصة، أنها لا تفي بحق الله جَلَّوَعَلَا، هذا لا يجوز؛ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠، ٦١]، فهم يأتون بالأعمال الجليلة، ومع هذا لا يزكون أنفسهم، يخافون أنها تُرد ولا تُقبل، وأن فيها خلل، فيها رياء، فيها سمعة، يخافون من ربهم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فالشيطان يأتيهم من هذا الطريق، من طريق تزكية النفس والإعجاب بالأعمال والأمن من مكر الله، هو يأتيهم إما من ناحية التقنيط من رحمة الله، وإما من ناحية الأمل والأمن من مكر الله عَزَّوَجَلَّ، وكلا الطريقين طريق هلاك، فالمؤمن يجمع بين الأمرين، يجمع بين الخوف -فلا يأمن من مكر الله- والرجاء -فلا يقنط من رحمة الله-، بل يكون خائفًا راجيًا، ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦]، ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

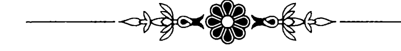
قوله: (ثُمَّ فِي التَّوْحِيدِ، فَقَالَ: (مِنْ أَعْظَمِ مَا يُوَسْوِسُ فِي التَّوْحِيدِ بِالتَّشْكِيكِ)

ثم يدخل عليهم في العقيدة، يدخل عليهم في التوحيد فيشككهم ما كيفية كذا، فيُلقي عليهم الأسئلة والوساوس، فهو يأتيهم من كل جهة؛ خطوات الشيطان: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ

شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٧]، يأتيهم من كل الجهات، إن لم يتحفظوا منه، ويأخذوا حذرهم منه، ويحترسوا منه.

قوله: (أَوْ فِي صِفَاتِ الرَّبِّ بِالتَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ)؛ إما بالتشكيك في الأخبار الواردة عن الله في القرآن والسنة، يُشككهم في ثبوتها وفي معناها، ويُلقي في قلوبهم الشكوك وعدم الإيمان، أو في الصفات يوقعهم في التشبيه، أو يوقعهم في التعطيل؛ إما إنه يحملهم على الغلو في التنزيه حتى ينفوا الصفات، وإما أن يحملهم على الغلو في الإثبات حتى يشبهوا الله بخلقه، وهو قصده أن يخرجهم عن الوسط، إما كذا وإما كذا، إما إلى التشبيه والغلو في الإثبات، وإما إلى الغلو في التنزيه، والوسط هو الخير؛ إثبات بلا تشبيه، وتنزيه بلا تعطيل؛ ردًّا على الطائفتين.

قوله: (أَوْ بِالجَحْدِ لَهَا وَالتَّعْطِيلِ)؛ نفيها مثلما نفتها المعطلة.



فَقَالَ بَعْدَ ذِكْرِ حَدِيثِ الْوَسْوَسَةِ[(١)]: (وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ تَعَالَى- أَنَّ كُلَّ مَا تَوَهَّمَهُ قَلْبُكَ، أَوْ سَنَحَ فِي مَجَارِي فِكْرِكَ، أَوْ خَطَرَ فِي مُعَارَضَاتِ قَلْبِكَ -مِنْ حُسْنٍ، أَوْ بَهَاءٍ، أَوْ ضِيَاءٍ، أَوْ إِشْرَاقٍ، أَوْ جَمَالٍ، أَوْ شَبَحٍ مَائِلٍ، أَوْ شَخْصٍ مُتَمَثِّلٍ-، فَاللهُ تَعَالَى بِغَيْرِ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَجَلُّ وَأَكْبَرُ، أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، أَيْ: لَا شَبِيهَ وَلَا نَظِيرَ وَلَا مُسَاوِيَ لَا مِثْلَ، أَوَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا تَجَلَّى لِلْجَبَلِ، تَدَكْدَكَ لِعِظَمِ هَيْبَتِهِ وَشَامِخِ سُلْطَانِهِ، فَكَمَا لَا يَتَجَلَّى لِشَيْءٍ إِلَّا انْدَكَّ، كَذَلِكَ لَا تَوَهَّمُهُ أَحَدٌ إِلَّا هَلَكَ، فَرُدَّ بِمَا بَيَّنَ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ نَفْيِهِ عَنْ نَفْسِهِ التَّشْبِيهَ وَالْمِثْلَ وَالنَّظِيرَ وَالْكُفْؤَ.

فَإِنِ اعْتَصَمْتَ بِهِ، وَامْتَنَعْتَ مِنْهُ، أَتَاكَ مِنْ قِبَلِ التَّعْطِيلِ لِصِفَاتِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَكَ: إِذَا كَانَ مَوْصُوفًا بِكَذَا أَوْ وَصَفْتَهُ، أَوْجَبَ لَكَ التَّشْبِيهَ. فَأَكْذِبْهُ؛ لِأَنَّهُ اللَّعِينُ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَسْتَزِلَّكَ وَيُغْوِيَكَ وَيُدْخِلَكَ فِي صِفَاتِ الْمُلْحِدِينَ الزَّائِغِينَ الْجَاحِدِينَ لِصِفَةِ الرَّبِّ تَعَالَى.

الشَّرْح

قوله: (فَقَالَ بَعْدَ ذِكْرِ حَدِيثِ الْوَسْوَسَةِ: وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ تَعَالَى- أَنَّ كُلَّ مَا تَوَهَّمَهُ قَلْبُكَ، أَوْ سَنَحَ فِي مَجَارِي فِكْرِكَ، أَوْ خَطَرَ فِي مُعَارَضَاتِ قَلْبِكَ...)، الله جَلَّ وَعَلَا لا يتصور في العقول والأفهام، ولا يُشبه، ولا يُمثل؛ لأنه أعظم من ذلك، كل ما

---

(١) لعله الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٠٩) (١٣٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «جَاءَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلُوهُ: إِنَّا نَجِدُ فِي أَنْفُسِنَا مَا يَتَعَاظَمُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، قَالَ: وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ».

خطر في قلبك، فالله أعظم من ذلك، لا في الجمال، ولا في الكمال، ولا في أي شيء، فالله أعظم من ذلك، لا تدركه الظنون والأوهام، ولكن ما أخبرنا به عن نفسه، أو أخبرنا به رسوله عنه، قلنا به، وما لم يقله الله ولا رسوله، فإننا لا نقول به.

قوله: (أَلَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، كيف يأتي في بالك أن الله كذا أو كذا، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، أي شيء الله جَلَّ وَعَلَا فوقه وأعلى منه.

قوله: (وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]) أَيْ: لَا شَبِيهَ وَلا نَظِيرَ وَلا مُسَاوِيَ لَا مِثْلَ) ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، يعني: مماثلًا، الكفؤ: هو المماثل، الله لا مثل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا شبيه له، ولا أحد يساويه.

قوله: (أَوَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا تَجَلَّى لِلْجَبَلِ تَدَكْدَكَ لِعِظَمِ هَيْبَتِهِ، وَشَامِخِ سُلْطَانِهِ)، لما سمع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كلام ربه، كلمه الله جَلَّ وَعَلَا؛ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣] اشتاق إلى ربه لما سمع كلامه، ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، قَالَ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾؛ ما تستطيع رؤيتي، ما تستطيع؛ لأن المخلوق في هذه الدنيا ضعيف، ما يستطيع رؤية الله، أن يتجلى الله له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، المخلوق ما يستطيع رؤية الملك من الملائكة، فكيف يستطيع رؤية الله جَلَّ وَعَلَا؟ ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، ثم إن الله أراد أن يضرب له مثلًا، قال: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾؛ جبل شامخ، من الجبال الشمخ الشداد الصلاب، ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣]، صار ترابًا من عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الجبل صار ترابًا من عظمة الله جَلَّ وَعَلَا، فكيف يستطيع ابن آدم أن يرى

الله في هذه الدنيا، أما في الجنة، فإن الله يعطي المؤمنين قوة يستطيعون أن يروا الله جَلَّوَعَلَا بها؛ لأنهم آمنوا به في الدنيا من غير أن يروه، فالله جَلَّوَعَلَا جزاهم بأن يتجلى لهم في الجنة، ويرونهم عيانًا، أما الكفار لما كفروا به في هذه الدنيا، حجبهم عنه يوم القيامة، ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥]، لا يرون الله جَلَّوَعَلَا(١).

قوله: (**فَكَمَا لَا يَتَجَلَّى لِشَيْءٍ إِلَّا انْدَكَّ، كَذَلِكَ لَا تَوَهَّمُهُ أَحَدٌ إِلَّا هَلَكَ**)، إذا توهمه الإنسان، هلك، إذا حكم على الله بأنه كذا وكذا، فإنه يهلك، ويكفر بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (**فَرَدَّ بِمَا بَيَّنَ اللهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ نَفْيِهِ عَنْ نَفْسِهِ التَّشْبِيهَ وَالْمِثْلَ وَالنَّظِيرَ وَالْكُفْؤَ**)، كلام واضح مثل وضوح الشمس في رابعة النهار، أنك ما تكلف نفسك شيئًا لم يذكره الله عن نفسه، ولم يخبر به الرسول صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قف حيث وقفت الأدلة، ولاتكلف نفسك العناء فيما وراء ذلك، هذه طريقة أهل العلم الراسخين في العلم.

قوله: (**فَإِنِ اعْتَصَمْتَ بِهِ وَامْتَنَعْتَ مِنْهُ**)، يعني: من الشيطان.

قوله: (**أَتَاكَ مِنْ قِبَلِ التَّعْطِيلِ لِصِفَاتِ الرَّبِّ** تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ)، يعني: إذا لم يُدركك من ناحية التمثيل والتشبيه، جاءك من ناحية التعطيل، وهو إما أن يأتيك من ناحية الغلو في الإثبات حتى تُشبه الله بخلقه، وإما أن يأتيك من ناحية التنزيه، ويزيد عليك في التنزيه، حتى تعطل الله من أسمائه وصفاته؛ خشية من التشبيه.

قوله: (**وَتَقَدَّسَ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ** صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **فَقَالَ لَكَ: إِذَا كَانَ مَوْصُوفًا بِكَذَا أَوْ وَصَفْتَهُ أَوْجَبَ لَكَ التَّشْبِيهَ**)، هذه مقالة الجهمية والمعتزلة الذين

---

(١) انظر: (ص٤٢٢).

عطلوا أسماء الله وصفاته، يقولون: نخاف أننا نشبه الله بخلقه، لو نثبتها، صار تشبيهًا. ولم يعلموا أن هناك فرقًا بين صفات الله وصفات المخلوقين.

(إِذَا كَانَ موْصُوفًا بِكَذَا أَوْ وَصَفْتَهُ أَوْجَبَ لَكَ التَّشْبِيهَ)، يقول الشيطان كذا، يقول: لا تثبت له شيئًا من أجل أن لا تُشبهه بخلقه.

قوله: (فَأَكْذِبْهُ؛ لأَنَّهُ اللَّعِينَ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَسْتَزِلَّكَ وَيُغْوِيَكَ وَيُدْخِلَكَ فِي صِفَاتِ الْمُلْحِدِينَ الزَّائِغِينَ الجَاحِدِينَ لِصِفَةِ الرَّبِّ تَعَالَى)، إذا قال لك هذا، فأكذبه، واعلم أنه يريد أن يوقعك في طريقة الهالكين والجاحدين لله عَزَّوَجَلَّ، أكذبه، وامتنع من أن تتجارى معه في هذه الوساوس، هذا ما هو خاص بشياطين الجن، فَشياطين الإنس الذين هم جنود إبليس يأتون الناس بهذه الأمور، بهذه الوساوس إما مشافهة وإما كتابة، فالإنسان الذي ما عنده علم ولا رسوخ في العلم يغتر بمقالاتهم، فالأمر خطير جدًّا.





فَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ تَعَالَى- أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ تَعَالَى، لَا كَالآحَادِ، فَرْدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

إِلَى أَنْ قَالَ: خَلَصَتْ لَهُ الأَسْمَاءُ السَّنِيَّةُ فَكَانَتْ وَاقِعَةً فِي قَدِيمِ الأَزَلِ بِصِدْقِ الْحَقَائِقِ، لَمْ يَسْتَحْدِثْ تَعَالَى صِفَةً كَانَ مِنْهَا خَلِيًّا، أَو اسْمًا كَانَ مِنْهُ بَرِيًّا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، **فَكَانَ هَادِيًا سَيَهْدِي، وَخَالِقًا سَيَخْلُقُ، وَرَازِقًا سَيَرْزُقُ، وَغَافِرًا سَيَغْفِرُ، وَفَاعِلًا سَيَفْعَلُ، لَمْ يَحْدُثْ لَهُ الاسْتِوَاءُ إِلَّا وَقَدْ كَانَ فِي صِفَةِ أَنَّهُ سَيَكُونُ ذَلِكَ الْفِعْلُ، فَهُوَ يُسَمَّى بِهِ فِي جُمْلَةِ فِعْلِهِ كَذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾** [الفجر:٢٢] **بِمَعْنَى أَنَّهُ سَيَجِيءُ، فَلَمْ يَسْتَحْدِثِ الاسْمَ بِالْمَجِيءِ، وَتَخَلَّفَ الْفِعْلُ لِوَقْتِ الْمَجِيءِ، فَهُوَ جَائِي سَيَجِيءُ، وَيَكُونُ الْمَجِيءُ مِنْهُ مَوْجُودًا بِصِفَةٍ لَا تُلاحِقُهُ الْكَيْفِيَّةُ وَلا التَّشْبِيهُ؛ لأَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الرُّبُوبِيَّةِ، فَيَسْتَحْسِرُ الْعَقْلُ وَتَنْقَطِعُ النَّفْسُ عِنْدَ إِرَادَةِ الدُّخُولِ فِي تَحْصِيلِ كَيْفِيَّةِ الْمَعْبُودِ، فَلا تَذْهَبْ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ -لَا مُعَطِّلًا، وَلا مُشَبِّهًا-، وَارْضَ لِلَّهِ بِمَا رَضِيَ بِهِ لِنَفْسِهِ، وَقِفْ عَنْ خَبَرِهِ لِنَفْسِهِ مُسَلِّمًا مُسْتَسْلِمًا مُصَدِّقًا، بِلا مُبَاحَثَةِ التَّنْفِيرِ وَلا مُنَاسَبَةِ التَّنْقِيرِ.**

الشَّرح

قوله: (فَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ تَعَالَى- أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ تَعَالَى لَا كَالآحَادِ، فَرْدٌ صَمَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) هذه السورة العظيمة اجعلها مقياسًا لك، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص]، هذه مقياس، ولهذا يُحكى أن بعض النصارى لما سمع هذه السورة أسلم، قالوا له: كيف؟ قال: أنا كنت متحيرًا في قول النصارى: إن الله جَلَّ وَعَلَا ثلاثة في واحد، الله وروح القدس وعيسى، كيف أن الثلاثة يجتمعون

ويزالون واحدًا؟ يقول: فما زلت أكد ذهني وعقلي، أتصور هذا القول وعجزت، فلما سمعت هذه السورة، استرحت من هذا العناء، فعلمت أن هذا هو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ:)، لا يزال الكلام للفضيل.

قوله: (خَلَصَتْ لَهُ الأَسْمَاء السَّنِيَّةُ فَكَانَتْ وَاقِعَةً فِي قَدِيمِ الأَزَلِ بِصِدْقِ الحَقَائِقِ، لَمْ يَسْتَحْدِثْ تَعَالَى صِفَةً كَانَ مِنْهَا خَلِيًّا)، الله جَلَّ وَعَلَا بصفاته قديم أزلي، لم تحدث له صفات، لم تكن الصفات معدومة ثم حدثت له سبحانه، بل الله جَلَّ وَعَلَا بصفاته أزلي قديم أبدي، ليس قبله شيء، ولا بعده شيء، هو الأول الذي ليس قبله شيء، هو الأول في أسمائه وصفاته، والآخر بأسمائه وصفاته، الذي ليس بعده شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأسماؤه وصفاته لازمة لذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لم تُحدث له؛ كما تقوله الجهمية وغيرهم، يقولون: (لو أثبتناها معه، للزم تعدد الآلهة)، سبحان الله! تعدد الصفات تكون آلهة؟ أليس الإنسان يكون له صفات، هل يلزم من تعدد الصفات تعدد الموصوف؟ الآن مثلًا عالم، عالم بالنحو، وعالم بالفقه، وعالم بالبلاغة، هل معنى هذا أنه يكون شخص فقيه، وشخص نحوي، وشخص بليغ، لا. هو نفسه، فتعدد الصفات لا يلزم منه تعدد الموصوف، والله جَلَّ وَعَلَا بصفاته واحد موصوف بهذه الصفات، ولكن هذا من وساوس الشيطان التي أوقعهم فيها، ترى هذا الكلام ما هو تخيل، هذا كلام واقع منهم، ومدون في كتبهم. فالله جَلَّ وَعَلَا عليم سميع بصير قدير، لم يزل كذلك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس لأسمائه وصفاته بداية؛ كما أنه هو سبحانه ليس له بداية، ليس لأسمائه وصفاته بداية، كما أن ذاته ليس لها بداية، هو الأول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس قبله شيء.

قوله: (أَو اسْمًا كَانَ مِنْهُ بَرِيًّا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، **فَكَانَ هَادِيًا سَيَهْدِي، وَخَالِقًا سَيَخْلُقُ، وَرَازِقًا سَيَرْزُقُ، وَغَافِرًا سَيَغْفِرُ، وَفَاعِلًا سَيَفْعَلُ**)، صفات الأفعال كما يقولون: صفات الأفعال قديمة النوع حادثة الآحاد. مثلًا: الكلام، كلام الله جَلَّ وَعَلَا قديم النوع، الله يوصف بأنه يتكلم من غير بداية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تكلمه من غير بداية تابع لذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن أفراد الكلام هذا حادث الآحاد، القرآن متى نزل؟ التوراة متى نزلت؟ لها تواريخ، الإنجيل متى نزل؟ متى كلم موسى؟ هذه آحاد تحدث في أوقاتها، أما صفة الكلام، فهي أزلية مع الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (وَخَالِقًا سَيَخْلُقُ) الله هو الخالق والخلاق؛ فصفة الخالقية ملازمة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا بداية لها؛ كما أنه لا بداية له في ذاته، ولكن الخلق يوجد شيئًا فشيئًا، أفراد الخلق توجد شيئًا فشيئًا، يخلق الأشياء شيئًا فشيئًا، هذا يُسمى حادث الآحاد، أما النوع، فهو قديم، نوع الخلق قديم، أما آحاده وأفراده، فهي متجددة كائنة بعد أن لم تكن، وهذا ميزان في جميع أسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عليم جَلَّ وَعَلَا، صفة العلم أزلية معه، صفة السمع والبصر أزلية معه.

قوله: (وَرَازِقًا سَيَرْزُقُ)، كذلك الله هو الرزاق، اسمه: الرزاق، وصفته الرزاق، هذه أزلية معه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن تجدد الرزق وإحداث الأرزاق للعباد هذه حادثة الآحاد.

قوله: (وَغَافِرًا سَيَغْفِرُ)، غفار صفة المغفرة، واسمه الغفار أزلي معه سبحانه، ولكن تجدد أنواع المغفرة لعباده هذه حادثة.

(وَفَاعِلًا سَيَفْعَلُ)؛ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج:١٦]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، الأفعال حادثة الأفراد قديمة النوع، فأفعال الله قديمة أزلية

معه سبحانه ما لها حد، ليس لأفعال الله حد، وإنما ما يزال يفعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، صفة الفاعلية فيه أزلية، ولكن آحاد الفعل تتجدد لكل وقت بحسبه، وهكذا قس على هذا، هذا أصل عظيم في هذا الباب.

قوله: (لَمْ يَحْدُثْ لَهُ الاسْتِوَاءُ إِلَّا وَقَدْ كَانَ فِي صِفَةِ أَنَّهُ سَيَكُونُ ذَلِكَ الْفِعْلُ)، من صفاته الاستواء، وهو العلو، العلو لازم لذاته سبحانه، وأما الاستواء صفة فعل تجدد، يستوي على العرش إذا شاء، أما علوه على خلقه، فهذه صفة لازمة له سبحانه، صفة ذات، فرق بين صفة الذات، وصفة الفعل، فالعلو صفة ذات، وأما الاستواء، فهو صفة فعل يفعله إذا شاء، ولهذا جاء ترتيبه بـ (ثم)، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، لماذا رتب بـ(ثم)؟ لأنه صفة فعل يفعله متى شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (فَهُوَ يُسَمَّى بِهِ فِي جُمْلَةِ فِعْلِهِ كَذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢])، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ هذا إخبار عن المستقبل بصيغة الماضي، لتحقق وقوعه، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ يعني: سيجيء ربك، متى؟ يوم القيامة لفصل القضاء، والإتيان ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، فالمجيء والإتيان هذا في المستقبل يوم القيامة، ولكنه حكاه بصيغة الماضي ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ لتحقق وقوعه، مثل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل:١]، يعني: سيأتي أمر الله جَلَّوَعَلَا، فلا تستعجلوه وتقولوا: متى؟ هو لابد آت، ولكن عليكم بالإيمان به، وأما وقت مجيئه، فلا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو آت سيأتي، وجاءٍ سيجيء، وصفة المجيء والإتيان من صفات الأفعال يفعلها إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يأتي إذا شاء كيف يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ على كيفية لا يعلمها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس كمجيء المخلوق وإتيان المخلوق، وإنما هو إتيان ومجيء الخالق



سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ مثل النزول، النزول ليس مثل نزول المخلوق، نزول يليق بالخالق جَلَّ وَعَلَا، كيفيته لا نعلمها.

﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ جمع الملائكة، الملائكة يجمعون على ملك؛ كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر:٢٢] يعني: وجاءت معه الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾.

قوله: (بِمَعْنَى أَنَّهُ سَيَجِيءُ، فَلَمْ يَسْتَحْدِثِ الاسْمَ بِالْمَجِيءِ، وَتَخَلَّفَ الْفِعْلُ لِوَقْتِ الْمَجِيءِ، فَهُوَ جَائِي سَيَجِيءُ): هو جاء في الماضي، وسيجيء في المستقبل، فهذا من صفات الأفعال التي هي قديمة النوع حادثة الآحاد.

قوله: (وَيَكُونُ الْمَجِيءُ مِنْهُ مَوْجُودًا بِصِفَةٍ لَا تُلاحِقُهُ الْكَيْفِيَّةُ وَلا التَّشْبِيهُ)؛ يجيء كما يشاء، كيف يجيء؟ مثل ما يأتي المخلوق؟ لا. يأتي على كيفية لا يعلمها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ينزل على كيفية لا يعلمها إلا هو، يستوي على العرش على كيفية لا يعلمها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

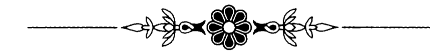
قوله: (لأَنَّ ذَلِكَ فِعْلُ الرُّبُوبِيَّةِ)؛ لأن هذا يتعلق بالربوبية، هذا المجيء وهذا الإتيان وهذا الاستواء وهذا النزول يتعلق بالربوبية، لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعني: لا يعلم الكيفية إلا الله.

قوله: (فَيَسْتَحْسِرُ الْعَقْلُ وَتَنْقَطِعُ النَّفْسُ عِنْدَ إِرَادَةِ الدُّخُولِ فِي تَحْصِيلِ كَيْفِيَّةِ الْمَعْبُودِ)، لا يمكن أن تدرك كيفية أفعال المعبود، ولا ذات المعبود، ولا صفاته، لايعلم هذا إلا الله جَلَّ وَعَلَا، لا يعلمها إلا الله.

قوله: (فَلا تَذْهَبْ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ لَا مُعَطِّلًا، وَلا مُشَبِّهًا)، لا تذهب مع أحد الجانبين: جانب المعطلة، وجانب المشبهة، فعليك بالإثبات بلا تشبيه، وعليك

بالتنزيه بلا تعطيل، هذه القاعدة السليمة المستوحاة من القرآن؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص].

قوله: (**وَارْضَ للهِ بِمَا رَضِيَ بِهِ لِنَفْسِهِ وَقِفْ عَنْ خَبَرِهِ لِنَفْسِهِ مُسَلِّمًا مُسْتَسْلِمًا مُصَدِّقًا، بِلا مُبَاحَثَةِ التَّنْفِيرِ وَلا مُنَاسَبَةِ التَّنْقِيرِ**)، لا تتكلف شيئًا في حق الله جَلَّ وَعَلَا ليس عندك فيه برهان ولا علم، لا تقل على الله بغير علم، فإن القول على الله بغير علم أعظم من الشرك؛ ﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].



إِلَى أَنْ قَالَ: فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَائِلُ: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾[1]، لَا الشَّجَرَةُ، الْجَائِي قَبْلَ أَنْ يَكُونَ جَائِيًا، لَا أَمْرُهُ، الْمُتَجَلِّي لِأَوْلِيَائِهِ فِي الْمِيعَادِ؛ فَتَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُهُمْ، وَتُفْلَجُ بِهِ عَلَى الْجَاحِدِينَ حُجَّتُهُمْ، الْمُسْتَوِي عَلَى عَرْشِهِ بِعَظَمَةِ جَلَالِهِ فَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ، فَسَمِعَ مُوسَى كَلَامَ اللهِ؛ لِأَنَّهُ قَرَّبَهُ نَجِيًّا، تَقَدَّسَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ مَخْلُوقًا أَوْ مُحْدَثًا أَوْ مَرْبُوبًا، وَالْوَارِثُ لِخَلْقِهِ السَّمِيعُ لِأَصْوَاتِهِمْ، النَّاظِرُ بِعَيْنِهِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ، يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ، وَهُمَا غَيْرُ نِعْمَتِهِ، خَلَقَ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ -وَهُوَ أَمْرُهُ-، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَنْ يَحِلَّ بِجِسْمٍ، أَوْ يُمَازِجَ بِجِسْمٍ، أَوْ يُلَاصِقَ بِهِ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا! الشَّائِي لَهُ الْمَشِيئَةُ، الْعَالِمُ لَهُ الْعِلْمُ، الْبَاسِطُ يَدَيْهِ بِالرَّحْمَةِ، النَّازِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، لِيَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ خَلْقُهُ بِالْعِبَادَةِ، وَلِيَرْغَبُوا إِلَيْهِ بِالْوَسِيلَةِ، الْقَرِيبُ فِي قُرْبِهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، الْبَعِيدُ فِي عُلُوِّهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَلَا يُشَبَّهُ بِالنَّاسِ.

الشَّرح

قوله: (**إِلَى أَنْ قَالَ: فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْقَائِلُ: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾، لَا الشَّجَرَةُ**)، هو القائل لما جاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما رأى النار وهو في ليل وبرد وضاع عن الطريق، قال لأهله: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾؛ اجلسوا ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ﴾، رأى من جانب الطور نارًا، وهو الجبل، ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ يعني: رأيت نارًا، ﴿لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص:٢٩]، يشعرون بالبرد، ويريدون نارًا يصطلون عليها، وأيضًا يستوصف الطريق؛ لأنهم ضائعون ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ

---

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القصص:٣٠].

﴿هُدًى﴾ [طه:١٠]، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه:١٢]، فالله جَلَّوَعَلَا هو الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، يا موسى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤]، الجهمية يقولون: (إن الشجرة هي التي قالت هذا)، الشجرة تقول: أنا ربك؟! أو تقول: أنا الله؟!! تعالى الله عن ذلك! لا. الذي يقول هذا هو الله، لا يستطيع أحد أن يقول: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾، حتى الكفرة وفرعون، ما استطاع أحد أن يقول: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾، وإنما يقول هذا الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾، هل تقول الشجرة هذا الكلام؟! ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ الشجرة تقول لموسى: أنا ربك؟! تعالى الله عما يقولون! يقولون: (إن الله خلق الكلام في الشجرة، فتكلمت)، خلق الكلام في الشجرة فتكلمت قالت: ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾، ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾؟!! هل بعد هذا الكفر كفر -والعياذ بالله؟!! ما قالت الشجرة: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾. وإنما الذي قال: ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ هو الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله: (الجَائِي قَبْلَ أَنْ يَكُونَ جَائِيًا لَا أَمْرُهُ، المُتَجَلِّي لأَوْلِيَائِهِ فِي المِيعَادِ)، ويتجلى لأوليائه يوم القيامة، يعني: يظهر لهم بصورته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حتى يروه عيانًا بأبصارهم كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب[1]، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته[2]، كل يراه على راحة، ما يتزاحمون، الناس الآن إذا أرادوا أن يروا شيئًا، يتزاحمون ويتقاتلون، يريدون أن يروا هذا الشيء، ولكن في الجنة ما يحصل هذا، كل يرى ربه وهو مرتاح، ما فيه زحام ولا فيه مضايقات؛ «**لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»، أو «**لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**» سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولله المثل الأعلى، مخلوق من المخلوقات يراه الناس بدون مزاحمة، الشمس -مثلًا- كل يراها،

---

(١) سبق تخريجه (ص٤١١).

(٢) سبق تخريجه (ص٤١١).

ولا يتزاحمون؛ كما يرون الشمس، وكما يرون القمر، كلٌّ يراه في مكانه، ولا يتزاحمون، إذا كان هذا في المخلوق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

قوله: (فَتَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُهُمْ، وَتُفْلَجُ بِهِ عَلَى الجَاحِدِينَ حُجَّتُهُمْ) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، المؤمنون إذا رأوا ربهم تبيض وجوههم، يكسبهم ذلك جمالًا وحسنًا وسرورًا، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢]، من النضرة، وهي اللون الحسن ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣] بأبصارها، فيكسبها ذلك نضرة ومظهرًا عظيمًا من أجل رؤيتهم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (الْمُسْتَوِي عَلَى عَرْشِهِ بِعَظَمَةِ جَلَالِهِ فَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ) (الْمُسْتَوِي عَلَى عَرْشِهِ) حقيقة، وليس مستوليًا كما تقوله الجهمية والمعطلة، بل هو مستوٍ مرتفع، مستوٍ بمعنى مرتفع على عرشه حقيقة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(فَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ)؛ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام:٦١].

قوله: (الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا)، لماذا قال: ﴿تَكْلِيمًا﴾؟ تأكيد؛ لئلا يُقال: إنه كلمه بواسطة. بل كلمه تكليمًا، هذا من باب التأكيد حتى يرفع التوهم، فالجهمية يقولون: (كلمه يعني: جرحه؛ من الكلم، جرحه تجريحًا)، قبحهم الله! (جرحه بأظافر الحكمة تجريحًا)، انظر الضلال أين يذهب بأهله، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، جاء واحد من الجهمية، وطلب من بعض القراء أن يقرأ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهَ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾؛ حتى يصير المُكلِّم هو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمُكلَّم هو الله، فقال

له: هب أني قرأتها هكذا، فكيف تفعل بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾؟ فانخصم الخبيث، وألقمه حجرًا[١].

قوله: (وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ، فَسَمِعَ مُوسَى كَلَامَ اللهِ) (فَسَمِعَ مُوسَى كَلَامَ اللهِ) حقيقة بدون بواسطة، واختص موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذه الميزة العظيمة على الرسل؛ أن الله كلمه تكليمًا بدون بواسطة؛ ولذلك يُسمى كليم الله.

قوله: (لِأَنَّهُ قَرَّبَهُ نَجِيًّا)، والمناجاة: هي كلام السر، والمناداة: كلام الظاهر، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢]، جمع له بين الصفتين: المناجاة والمناداة. كل هذا من باب التأكيد وقطع أعناق هؤلاء المؤولة والمحرفة.

قوله: (تَقَدَّسَ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ مَخْلُوقًا)؛ كما تقوله الجهمية، يقولون: (إن الله خلق كلامه في اللوح المحفوظ، أو في جبريل، أو في محمد، أو في الشجرة التي كلمت موسى) بزعمهم، تعالى الله عن ذلك!

قوله: (أَوْ مُحْدَثًا) من جهة النوع، أما من جهة الآحاد، فهو محدث، ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢]، هذا من الآحاد، أما النوع، فهو غير محدث، قديم.

قوله: (أَوْ مَرْبُوبًا)، بل هو صفة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ما يُقال: رب الكلام، رب القرآن. ما يُقال هكذا.

قوله: (وَالْـوَارِثُ لِخَلْقِهِ)، الوارث معناه: الباقي بعد فناء خلقه، فمن أسمائه سبحانه: الباقي والوارث؛ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم:٤٠].

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٣٧).

قوله: (السَّمِيعُ لأَصْوَاتِهِمْ، النَّاظِرُ بِعَيْنِهِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ)، السمع يختص بالأصوات، والبصر يختص بالمرئيات، صفتان لله عَزَّوَجَلَّ يرى ويسمع، قال لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]؛ أسمع كلام فرعون، وأرى تصرفاته وأفعاله.

قوله: (يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) بالعطاء والرزق، «سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» جَلَّوَعَلَا؛ رد على اليهود الذين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، يعني: الله بخيل، كناية عن البخل، فالله جَلَّوَعَلَا غني منفق رزاق، يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مبسوطتان بالعطاء والبذل، والكرم والجود.

وفيه: إثبات اليدين لله جَلَّوَعَلَا، وأنهما مبسوطتان بالخير والرزق والعطاء والمد والإحسان، لا كما تقوله اليهود: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤] قبحهم الله! يصفون الله بالبخل، كما يصفونه بالفقر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١].

قوله: (وَهُمَا غَيْرُ نِعْمَتِهِ)، هذا رد على الذين يؤولون اليد بالنعمة، النعمة شيء، واليد شيء آخر، فلا تُفسر اليد بالنعمة ولا بالقدرة، وإنما اليد اليد الحقيقية صفة ذات لله جَلَّوَعَلَا، لا يعلم كيفيتها إلا الله.

قوله: (خَلَقَ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ -وَهُوَ أَمْرُهُ)، روحه ليس معناه أنه من روح الله التي هي صفة من صفاته، وإنما روحه أمره، ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة:٩]، يعني: من أمره، مثل عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، نفخ فيه من روحه المخلوقة.

قوله: (تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَنْ يَحِلَّ بِجِسْمٍ)؛ كما تقوله الحلولية، فهم يزعمون أن الله حال في خلقه، تعالى الله عن ذلك! والبهائية يقولون: (إن الله حال في خلقه)، فهذا الجهال من أجل بهاء الله ونور الله عَزَّوَجَلَّ تعالى الله عما يقولون!

قوله: (**أَوْ يُمَازِجَ بِجِسْمٍ أَوْ يُلاصِقَ بِهِ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا**) (أو يُلاصق به) هذا كلام وحدة الوجود، يقولون: (إن الله هو الكون كله، الكون ما ينقسم إلى خالق ومخلوق، كله هو الخالق)، تعالى الله عما يقولون! هؤلاء أهل وحدة الوجود كابن عربي وغيره.

قوله: (**الشَّائِي لَهُ المَشِيئَةُ، الْعَالِمُ لَهُ الْعِلْمُ**) يعني: كل اسم يُشتق منه صفة، الشائي يُشتق منه المشيئة، العليم يُشتق منه العلم، السميع يُشتق منه السمع، وهكذا، كل اسم لله فإنه يدل على صفة من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (**الْبَاسِطُ يَدَيْهِ بِالرَّحْمَةِ، النَّازِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا**)؛ كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، النزول ثابت، متواتر عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما كيفيته، فلا يعلمها إلا الله، فنحن نثبت أنه ينزل كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (**لِيَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ خَلْقُهُ بِالْعِبَادَةِ، وَلِيَرْغَبُوا إِلَيْهِ بِالْوَسِيلَةِ**)، الحكمة من كونه ينزل إلى السماء الدنيا من أجل أن يتقرب إليه عباده بالاستغفار، بالسؤال، بالتوبة؛ «**هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**»(١).

قوله: (**الْقَرِيبُ فِي قُرْبِهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**)، الله جَلَّ وَعَلَا عليٌّ في سماواته وقريب من خلقه، ليس معنى أنه عليٌّ أنه بعيد عن الخلق، بل هو يجتمع في حقه سبحانه العلو والقرب، وهذا خاص به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قريبٌ في علوه، عليٌّ في دنوه، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فلا تفهم أنه إذا قيل: إن الله مستو على عرشه عال فوق مخلوقاته. أنه بعيد عن الخلق، ولا تفهم من قول: إنه قريب. أنه مخالط للخلق، بل هو قريب، وهو فوق عرشه وفوق سماواته قريب من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨١).

(الْقَرِيبُ فهو أقرب فِي قُرْبِهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد) حبل الوريد: الذي هو العرق، عرق العنق الذي يضخ الدم، الوريد الذي يضخ الدم في الجسم، هذا حبل الوريد يعني: العِرق، هذا ملاصق للإنسان وقريب منه، الله أقرب من ذلك، قرب يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قريب مع علوه جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (الْبَعِيدُ فِي عُلُوِّهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ بَعِيدٍ)، يعني: جمع بين القرب والعلو في حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا قال: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، الظاهر: العليُّ، والباطن: القريب، جمع بينهما، بين علوه وبين قربه من خلقه، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسر هذا، قال: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ، فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ، فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»(١).

قوله: (وَلا يُشَبَّهُ بِالنَّاسِ)، ما فيه شك، لا يُشبه بالخلق.

قوله: (الْقَرِيبُ فهو فِي قُرْبِهِ أقرب مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد، الْبَعِيدُ فِي عُلُوِّهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَلا يُشَبَّهُ بِالنَّاسِ)، من صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه قريب من عباده، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، ومع قربه سبحانه فهو في العلو مستو على عرشه، فليس معنى أنه قريب ما قد يتخيله الذهن، أنه مع الناس أو مختلط بالناس، بل هو علي أعلى، وهو قريب دانٍ من عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه: «**أَنْتَ الْأَوَّلُ، فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ، فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ، فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»(٢)، وهذا تفسير لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٦٠).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٦٠).

﴿وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، الأول: الذي ليس قبله شيء، والآخر: الذي ليس بعده شيء، والظاهر: الذي ليس فوقه شيء، والباطن: الذي ليس دونه شيء، وهذا تفسير من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو في الصحيح.

فجمع سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بين أبديته وأزليته؛ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾ الأول هذه الأزلية، والآخر هذه الأبدية، بين أزليته وأبديته، وبين علوه وقربه، «**وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ، فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ**»، وهذا لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والقرب على معنيين[1]:

* **قرب عام**: فهو قريب من جميع العباد، يحيط بهم، ويحصي أعمالهم، ويراقبهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يخفون عليه لا المؤمن ولا الكافر، كلهم هو قريب منهم.

* **وقرب خاص**: وهو القرب من عباده المؤمنين، بمعنى: أنه مع قربه فهو يجيب دعاءهم ويحفظهم ويرزقهم الإيمان والعلم، فهو قرب خاص، مثل المعية الخاصة والمعية العامة.

فهو مع جميع العباد إحاطة وعلمًا، وهو مع عباده المؤمنين نصرة وولاية وعناية منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكذلك القرب؛ هو قريب من جميع العباد بمعنى أنهم لا يخفون عليه، ولا يختفون عنه، ولا يعزب عنه شيء من أعمالهم وتصرفاتهم،

---

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه وداعيه، وهو من ثمرة التعبد باسمه الباطن)، وقال: (وفي الصحيح عن النبي قال: أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وأقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل. فهذا قرب خاص غير قرب الإحاطة وقرب البطون). في طريق الهجرتين (ص٤٤). وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٤وما بعدها)، وبدائع الفوائد (٣/ ٥١٣).



سواءً المؤمن أو الكافر، وهو قريب من عباده المؤمنين قربًا خاصًّا بالعناية بهم ورحمته، والتيسير لهم وحفظهم. فهذا هو معنى أنه قريب، وأنه عليٌّ على خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (الْبَعِيدُ)، الله جَلَّ وَعَلَا ليس ببعيد، ولكنه يُقال: العالي على خلقه، العلي على خلقه.

(وَلا يُشَبَّهُ بِالنَّاسِ)؛ لأن الإنسان عندما يكون مرتفعًا يكون بعيدًا عن الناس، وعندما يكون مع الناس لا يكون مرتفعًا، بل يكون في مستواهم، هذا في المخلوق، لا يجتمع في حق المخلوق القرب والبعد في آن واحد، أو القرب مع العلو في آن واحد، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فيجتمع في حقه ذلك، ولا يُقاس بخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، الْقَائِلُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك:١٦، ١٧]، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَنْ يَكُونَ فِي الأَرْضِ كَمَا فِي السَّمَاءِ جَلَّ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا) اهـ[(١)].

الشَّرْح

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠])، وهو سبحانه القائل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، يصعد يعني: يرتفع، ويُرفع إليه الكلم الطيب -من التسبيح والتهليل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحمد والثناء والشكر-، كل كلام طيب فإنه يصعد إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأنه طيب يحب الطيب، ففي هذا دلالة على علو الله؛ لأن الصعود لايكون إلا إلى شيء أعلى؛ ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، لابد مع الكلام الطيب من العمل، لابد مع الكلم الطيب من العمل الصالح، أما الكلام بدون عمل، فإنه لايرتفع، ولذلك قال: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، يعني: يرفع الكلم الطيب.

قوله: (الْقَائِلُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك:١٦، ١٧])، يقول الله جَلَّ وَعَلَا مخوفًا عباده: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو الذي في السماء؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، وهذا

---

(١) أخرج أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٩١، ٢٩٢) جزءًا من هذا الأثر، وكذلك الخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٢٢٣)، وذكر جزءًا منه الذهبي في العلو (ص٢١٢، ٢١٣) وعزاه إلى عمرو بن عثمان المكي، كما ذكره شيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٢٧)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٧٣).

يأتي إن شاء الله، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ إن أريد ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: العلو، فـ«في» على معناها ظرفية، وإن أريد بالسماء السماوات المبنية، فـ«في» بمعنى «على»، ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: على السماء؛ لأن الله ليس داخل السماوات، ليس هو في شيء من مخلوقاته؛ كما أنه ليس في ذاته شيء من خلقه، وهذا سبق أنه بائن من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

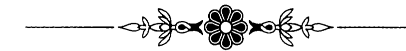
فإذا أريد بالسماء العلو مثل: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة:٢٢]، يعني: من العلو، فـ«في» على بابها ظرفية، وإن أريد بالسماء السماوات المبنية، فـ«في» بمعنى «على»، وقد تأتي «في» بمعنى «على»؛ كما في قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٢]، أي: على الأرض، ما هو المعنى أنكم تدخلون فيها، بل سيحوا على ظهرها، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] يعني: على جذوع النخل، فـ«في» تأتي بمعنى «على». وكرر هذا في آيتين متجاورتين من سورة الملك: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]؛ يقطع الأرض بكم، فتغوصون فيها، والخسف معروف، والخسوف الآن كثيرة، تحصل زلازل وتخسف الأرض بمن فيها، تتصدع، ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾؛ تضطرب بدل أن كانت قرارًا وساكنة تضطرب، وينهدم ما عليها من المباني، تندك الجبال، وهو قادر على كل شيء؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر:٤١]، هو الذي يمسكها، فلولا إمساك الله لها لاضطربت، ولاندكت بمن فيها، فمن رحمته أنه يمسكها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك:١٦،١٧]، وهي الريح التي تحمل الحصباء والحجارة، فيهلككم بذلك؛ كما حصل لقوم لوط، الله حصبهم بالحجارة حتى أهلكهم، إما أن يسلط عليكم الريح كما سلطها على قوم عاد، وكما أرسل الحجارة على قوم لوط وحصبهم بها، فالله قادر على كل شيء، من الذي يأمن هذا؟

فالناس إذا عصوا ربهم، فإن العقوبة قريبة منهم، إذا عصوا ربهم وخالفوا أمره وأشركوا به.

والشاهد من الآيتين: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فيها: إثبات للعلو؛ أن الله في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَنْ يَكُونَ فِي الأَرْضِ كَمَا فِي السَّمَاءِ جَلَّ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا)، نعم، هو في السماء، وليس في الأرض، وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، يعني: معبود، الإله معناه: المعبود، فهو المعبود في الأرض، وهو المعبود في السماء؛ فهو معبود يعبده أهل الأرض، ويعبده أهل السماء، وليس معناه أن الله في السماء وفي الأرض بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (تَعَالَى وَتَقَدَّسَ أَنْ يَكُونَ فِي الأَرْضِ كَمَا فِي السَّمَاءِ جَلَّ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا)، هذا رد على الحلولية الذين يقولون: (إن الله في كل مكان).



وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَارِثُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَسَدِ الْمُحَاسَبِيُّ[(١)] فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى: «فَهْمُ الْقُرْآنِ»[(٢)]، قَالَ فِي كَلَامِهِ عَلَى النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَأَنَّ النَّسْخَ لَا يَجُوزُ فِي الأَخْبَارِ، قَالَ: (لَا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ مَدْحَ اللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ يَجُوزُ أَنْ يُنْسَخَ مِنْهَا شَيْءٌ)، إِلَى أَنْ قَالَ: (وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ إِذَا أَخْبَرَ أَنَّ صِفَاتِهِ حَسَنَةٌ عُلْيَا أَنْ يُخْبِرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهَا دَنِيَّةٌ سُفْلَى، فَيَصِفُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ جَاهِلٌ بِبَعْضِ الْغَيْبِ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ عَالِمٌ بِالْغَيْبِ، وَأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ مَا قَدْ كَانَ، وَلَا يَسْمَعُ الأَصْوَاتَ، وَلَا قُدْرَةَ لَهُ، وَلَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا الْكَلَامُ كَانَ مِنْهُ، وَأَنَّهُ تَحْتَ الأَرْضِ، لَا عَلَى الْعَرْشِ جَلَّوَعَلَا عَنْ ذَلِكَ.

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَارِثُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَسَدِ المُحَاسَبِيُّ)، هذا المحاسبي الذي صار بينه وبين الإمام أحمد شيء من القطيعة؛ لأنه يميل إلى التصوف، وله كلام في التصوف، فالإمام أحمد هجره، وحذر منه، ولكن له كلامًا طيبًا في العقيدة، والحق يُقبل ممن جاء به، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الحق حتى من اليهودي، لما قال له: (إنكم تشركون)، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل هذا[(٣)]، ولما قال

---

(١) هو شيخ الصوفية أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد البغدادي المحاسبي، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين، نقم عليه الإمام أحمد دخوله في علم الكلام، وحذر من مجالسته، ويُقال: لعله رجع عن ذلك، والله أعلم.. انظر: حلية الأولياء (١٠/ ٧٣، ٧٤)، وتاريخ بغداد (٨/ ٢١١)، وسير الأعلام (١٢/ ١١٠)، وميزان الاعتدال (٢/ ١٦٤، ١٦٥).

(٢) كتاب «فهم القرآن» للحارث المحاسبي مطبوع في مجلد واحد، ط. دار الكندي ودار الفكر ـ بيروت.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٤٦٩٦) عَنْ قُتَيْلَةَ: «أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ».

اليهودي: (إن الله يقبض السماوات والأرض بيده)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرح بهذا[1]؛ لأن هذا يوافق القرآن، ويصدق ما في القرآن؛ ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، فالحق يُقبل، إذا كان يُقبل من الكافر، فإنه يُقبل من باب أولى من المسلم الذي عنده بعض الأخطاء، الحق ضالة المؤمن، أين وجده أخذه، فليس معنى أن المحاسبي له بعض الشطحات في التصوف أنه يُترك كلامه، وإن كان حقًّا، لا. بل يؤخذ.

قوله: (فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى: «فَهْمُ الْقُرْآنِ»، قَالَ فِي كَلَامِهِ عَلَى النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَأَنَّ النَّسْخَ لَا يَجُوزُ فِي الأَخْبَارِ)، الناسخ والمنسوخ هذا من علوم القرآن؛ كما هو من علوم السنة -أيضًا-، القرآن فيه ناسخ وفيه منسوخ، والسنة كذلك فيها أحاديث ناسخة وفيها أحاديث منسوخة، والله جَلَّ وَعَلَا ينسخ ما يشاء، والنسخ معروف في علم المصطلح، وفي علوم القرآن، وفي علوم السنة، النسخ ثابت بالإجماع، ولم ينكره إلا اليهود؛ لأنهم يريدون أن القرآن لم ينسخ التوراة، وأن التوراة باقية، رد الله عليهم، قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦]، ولما اعترضوا على نسخ القبلة، قال الله سبحانه: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:١٤٢]، فهو ينسخ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وله الحكمة في ذلك،

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ الآيَةَ».



والنسخ قد يكون إلى بدل، وقد يكون إلى أخف، وقد يكون إلى أثقل. هذا شيء معروف في القرآن، وقد ألف فيه العلماء مؤلفات في الناسخ والمنسوخ.

قوله: (وَأَنَّ النَّسْخَ لَا يَجُوزُ فِي الأَخْبَار)، والنسخ إنما يكون في الأوامر والنواهي، أما الأخبار، فلا يدخلها نسخ، مثل: الأخبار التي في القرآن عن الأمم السابقة، وعن المستقبل، هذا لا يدخله نسخ، إنما النسخ يكون في الأوامر والنواهي، قد يأمر الله بأمر في وقت، ثم ينسخه في وقت آخر، يشرع شريعة في وقت، ثم ينسخها لمصالح العباد وحاجاتهم إلى ذلك، ينسخ الله ما يشاء ويثبت، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٨، ٣٩]، وهو اللوح المحفوظ.

قوله: (قَالَ: لَا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ مَدْحَ اللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ يَجُوزُ أَنْ يُنْسَخَ مِنْهَا شَيْءٌ)، هذا هو القصد من قوله: (وَأَنَّ النَّسْخَ لَا يَجُوزُ فِي الأَخْبَار)؛ لأن الله أخبر عن نفسه بأن له أسماء وصفات، أخبر عن نفسه بذلك، فلا يجوز أن يُنفى هذا عنه سبحانه، ويُقال: هذا منسوخ؛ لأن هذه أخبار، والأخبار لا يدخلها النسخ، فهي أخبار محكمة.

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ إِذَا أَخْبَرَ أَنَّ صِفَاتِهِ حَسَنَةٌ عُلْيَا أَنْ يُخْبِرَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهَا دَنِيَّةٌ سُفْلَى)، إذا أخبر أن صفاته سبحانه عالية كريمة، لا يمكن أن يأتي ما يغير هذا الخبر، أو هذا الإخبار بأنها دنية سفلى -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا!

قوله: (فَيَصِفُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ جَاهِلٌ بِبَعْضِ الْغَيْبِ بَعْدَ أَنْ أَخْبَرَ أَنَّهُ عَالِمٌ بِالْغَيْبِ)، إذا قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام:٧٣]، ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١٠٩]،

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران:٥]، ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ:٣]، لا يمكن أنه يُنسخ هذا، ويكون بعض الغيوب لا يعلمها.

قوله: (وَأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ مَا قَدْ كَانَ، وَلَا يَسْمَعُ الأَصْـوَاتَ، وَلا قُدْرَةَ لَهُ، وَلا يَتكَلَّمُ وَلَا الْكَلامُ كَانَ مِنْهُ)، هذا رد على المؤولة أو المعطلة الذين ينفون عن الله أسمائه وصفاته؛ لأن هذا معناه النسخ في الأسماء والصفات، وهذا باطل؛ لأن هذه أخبار عن الله لا تُنسخ، بل هي ثابتة ومستمرة، والله لا يزال بأسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كان ولا يزال بصفاته لا تنفك عنه أبدًا.

قوله: (وَأَنَّهُ تَحْتَ الأَرْضِ لَا عَلَى الْعَرْشِ جَلَّ وَعَلَا عَنْ ذَلِكَ)، ولا يمكن أن يُخبر أنه تكلم بالوحي، ثم يُخبر أنه لا يتكلم -كما تقوله الجهمية، تعالى الله عما يقولون!-، ولا يُخبر أنه في العلو، وأنه استوى على العرش، ثم يخبر بخلاف ذلك؛ كما يقوله النفاة.





فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ وَاسْتَيْقَنْتَهُ: عَلِمْتَ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ النَّسْخُ وَمَا لَا يَجُوزُ، فَإِنْ تَلَوْتَ آيَةً فِي ظَاهِرِ تِلَاوَتِهَا تَحْسَبُ أَنَّهَا نَاسِخَةٌ لِبَعْضِ أَخْبَارِهِ؛ كَقَوْلِهِ عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس:٩٠]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد:٣١].

وَقَالَ: قَدْ تَأَوَّلَ قَوْمٌ أَنَّ اللهَ عَنَى أَنْ يُنْجِيَهُ بِبَدَنِهِ مِنَ النَّارِ إِذْ قَدْ آمَنَ عِنْدَ الْغَرَقِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا ذَكَرَ اللهُ قَوْمَ فِرْعَوْنَ يَدْخُلُونَ النَّارَ دُونَهُ، وَقَالَ: ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود:٩٨]، **وَقَالَ:** ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥]، **وَلَمْ يَقُلْ بِفِرْعَوْنَ.**

وَقَالَ: وَهَكَذَا الْكَذِبُ عَلَى اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٥]، **وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [العنكبوت:٣]، **فَأَقَرَّ التِّلَاوَةَ عَلَى اسْتِئْنَافِ الْعِلْمِ مِنَ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **عَنْ أَنْ يَسْتَأْنِفَ عِلْمًا بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ مَنْ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِمَا يُرِيدُ أَنْ يَصْنَعَهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَنْ يَصْنَعَهُ نَجِدُهُ ضَرُورَةً.**

الشَّرح

قوله: (**فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ وَاسْتَيْقَنْتَهُ: عَلِمْتَ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ النَّسْخُ وَمَا لَا يَجُوزُ**)، النسخ يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام، ولكنه لا يدخل في الأخبار.

قوله: (**فَإِنْ تَلَوْتَ آيَةً فِي ظَاهِرِ تِلَاوَتِهَا تَحْسَبُ أَنَّهَا نَاسِخَةٌ لِبَعْضِ أَخْبَارِهِ؛ كَقَوْلِهِ عَنْ فِرْعَوْنَ:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس:٩٠]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾)، الله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ

﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، أخبر أن فرعون وقومه في النار، وأنهم يُعذبون في البرزخ، وإذا قامت القيامة يُدخلون النار، لا يمكن أن يُنسخ هذا، ويكون فرعون قد نجا، ويؤخذ من قوله لما قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠]، ما ينفع الإيمان عند هذه الحالة، عند الغرغرة عند النزع ما يُقبل الإيمان، ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس:٩٢]، أنجى الله جثته من البحر لأجل أن يراها الناس؟ ما يقولون: ذهب، فرعون هرب، أو ذهب للسماء. بل أخرج الله جثته ليروها ويشاهدوا موته، فلا مجال للتشكيك في هلاكه؛ ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةً﴾، فلا يأتي واحد ويقول: (إن فرعون صار مؤمنًا لما قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، وأنه نجا، وأنه صار في الجنة)؛ كما يقوله أهل الضلال والمبتدعة؛ لأن هذا خبر، الله أخبر أن فرعون في النار، فلايمكن أنه يُنسخ هذا، ويكون فرعون في الجنة، وأما تلفظه وقت الموت، فهذا لا ينفعه كما لا ينفع غيره.

قوله: (**وَقَالَ: قَدْ تَأَوَّلَ قَوْمٌ أَنَّ اللهَ عَنَى أَنْ يُنْجِيَهُ بِبَدَنِهِ مِنَ النَّارِ إِذْ قَدْ آمَنَ عِنْدَ الْغَرَقِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا ذَكَرَ اللهُ قَوْمَ فِرْعَوْنَ يَدْخُلُونَ النَّارَ دُونَهُ، وَقَالَ: ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾**) ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود:٩٨] والعياذ بالله! ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾، هو أمامهم يقدمهم ويقودهم إلى النار، كيف يُقال: إنه نجا؟!!

قوله: (**وَقَالَ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٥]، وَلَمْ يَقُلْ بِفِرْعَوْنَ**)، يعني: يقولون هم كذلك، ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ إذا قيل: بآل فلان،



يدخلهم فيهم فلان، فهو يدخل في آله وأتباعه. الرسول ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**»(١)، يعني: أبا أوفى، فيُقال: آل فلان، ويُراد به الشخص نفسه.

قوله: (**وَقَالَ: وَهَكَذَا الْكَذِبُ عَلَى اللهِ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ:** ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٥])، كذلك هذه الآية تدل على أنه في النار، ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النازعات:٢٤، ٢٥]، أخذه الله في الأولى وفي الآخرة، فلا يبقى لأهل الباطل متعلق في آية سورة يونس، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ [يونس:٩٠].

قوله: (**وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [العنكبوت:٣])، الله جَلَّ وَعَلَا أخبر أنه عالم بكل شيء؛ ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨]، أخبر أنهم لا يتركون الكفر، حتى ولو ردوا إلى الدنيا، لعادوا إلى الكفر، أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه عالم بكل شيء.

وأما قوله: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٣]، الآيات التي فيها أن الله يعلم الشيء إذا حصل ليس معنى هذا أنه كان من قبل لايعلمه، وإنما علمه لما وقع، لا. يعلمه قبل أن يقع بالعلم الأزلي، ثم لما وقع علم وجوده وحصوله، وهذا ما يُسمى بعلم الظهور، علم أنه سيحصل، ثم علمه لما حصل ووقع.

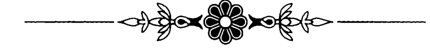
---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٧، ٤١٦٦)، ومسلم (١٠٧٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ﴾: هذا مستقبل، يعني: هل الله ما يعلم إلا في المستقبل إذا حصل الشيء؟ لا. ولكن هذا علم ظهور ووقوع، وإلا فهو عالم به قبل أن يوجد في الأزل، فلا تنافي بين هذا وهذا.

قوله: (فَأَقَرَّ التِّلَاوَةَ عَلَى اسْتِئْنَافِ الْعِلْمِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عَنْ أَنْ يَسْتَأْنِفَ عِلْمًا بِشَيْءٍ؛ لأَنَّهُ مَنْ لَيْسَ لَهُ عِلْمٌ بِمَا يُرِيدُ أَنْ يَصْنَعَهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَنْ يَصْنَعَهُ نَجِدُهُ ضَرُورَةً)، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، الذي لا يعلم الشيء كيف يصنعه وكيف يوجده؟ إلا أن علم به من قبل، فهو الذي يعلم كيف يخلق، ثم يخلق الشيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما علم.

لو أتيت بواحد ليصنع سيارة، وهو لم يتعلم الهندسة، لا يمكن أن يصنع، لازم يكون عنده دراسة من ذوي التخطيط والمعرفة، أما أن تأتي بواحد ساذج، وتقول له: ابن لي قصرًا. وهو ما يعرف أن يبني، ما يمكن هذا، لازم يكون عنده معرفة بالبناء والهندسة والأشياء، هذا في المخلوق، فكيف بالخالق الذي خلق السماوات والأرض كيف لا يعلم؟!! ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، فخلقه يدل على علمه.





قَالَ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

وَقَالَ: وَإِنَّمَا قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد:٣١]، إِنَّمَا يُرِيدُ حَتَّى نَرَاهُ، فَيَكُونُ مَعْلُومًا مَوْجُودًا؛ لأَنَّهُ لَا جَائِزَ أَنْ يَكُونَ يَعْلَمُ الشَّيْءَ مَعْدُومًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ، وَيَعْلَمُهُ مَوْجُودًا كَانَ قَدْ كَانَ، فَيَعْلَمُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مَعْدُومًا مَوْجُودًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا المُحَالُ.

وَذَكَرَ كَلَامًا فِي هَذَا فِي الإِرَادَةِ.

الشَّرح

قوله: (**قَالَ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، وَقَالَ: وَإِنَّمَا قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾**)؛ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]، هذه الآية التي ساقها هناك، ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ يعني: في المستقبل؛ لأن ﴿نَعْلَمَ﴾ هذا للحال والمستقبل، فليس معناه أنه لم يعلم قبل ذلك، بل هو عالم هذا الشيء، ولكن يعلمه علم ظهور وحصول ووقوع، يعلمه قبل أن يقع، ويعلمه إذا وقع كيف وقع.

قوله: (**إِنَّمَا يُرِيدُ حَتَّى نَرَاهُ، فَيَكُونُ مَعْلُومًا مَوْجُودًا**)، هذا علم وجود، والعلم الشامل: علم إحاطة وعلم وجود.

قوله: (**لأَنَّهُ لَا جَائِزَ أَنْ يَكُونَ يَعْلَمُ الشَّيْءَ مَعْدُومًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ، وَيَعْلَمُهُ مَوْجُودًا كَانَ قَدْ كَانَ، فَيَعْلَمُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ مَعْدُومًا مَوْجُودًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا المُحَالُ**)؛ لأنه محال أن لا يعلم الشيء قبل وجوده، وإنما يعلمه إذا وجد فقط، فهذا محال في حق الله جَلَّ وَعَلَا؛ لأن هذا نقص في حقه، ووصف له بالجهل -تعالى الله عن ذلك!

إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:١٥] لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنْ يُحْدِثَ لَهُ سَمْعًا، وَلا تَكَلَّفَ بِسَمْعِ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِمْ، وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ لِلَّهِ اسْتِمَاعًا حَادِثًا فِي ذَاتِهِ، فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ مَا يَعْقِلُ مِنَ الْخَلْقِ أَنَّهُ يَحْدُثُ مِنْهُمْ عِلْمُ سَمْعٍ لِمَا كَانَ مِنْ قَوْلٍ؛ لأَنَّ الْمَخْلُوقَ إِذَا سَمِعَ، حَدَثَ لَهُ عَقْلٌ فَهِمَ عَمَّا أَدْرَكَتْهُ أُذُنُهُ مِنَ الصَّوْتِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:١٠٥]، لَا يَسْتَحْدِثُ بَصَرًا مُحدَثًا فِي ذَاتِهِ، وَإِنَّمَا يَحْدُثُ الشَّيْءُ فَيَرَاهُ مُكَوَّنًا كَمَا لَمْ يَزَلْ يَعْلَمُ قَبْلَ كَوْنِهِ.

الشَّرْح

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:١٥] لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنْ يُحْدِثَ لَهُ سَمْعًا، وَلا تَكَلَّفَ بِسَمْعِ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِمْ)، قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾، قال لموسى وهارون: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾، لما أرسلهما إلى فرعون، قال: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾؛ كما في سورة طه: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى موصوف بأنه يسمع ويرى من قبل، سميع بصير، ولكن إذا حصل الشيء سمعه وعلمه وأبصره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إبصار وجود وعلم وجود.

(لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنْ يُحْدِثَ لَهُ سَمْعًا، وَلا تَكَلَّفَ بِسَمْعِ مَا كَانَ مِنْ قَوْلِهِمْ)، عرفنا هذا أن فيه علمًا شاملًا محيطًا أزليًا، و أن فيه علمًا للشيء عند وجوده، وليس معناه أنه لا يعلم الشيء إلا إذا وجد، وإنما يعلمه قبل، ويعلمه إذا وجد واقعًا موجودًا لا يخفى عليه شيء سبحانه؛ ولهذا يكون عالمًا بالموجودات والمعدومات.

قوله: (وَقَدْ ذَهَبَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ للهِ اسْتِمَاعًا حَادِثًا فِي ذَاتِهِ، فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ مَا يَعْقِلُ مِنَ الخَلْقِ أَنَّهُ يَحْدُثُ مِنْهُمْ عِلْمُ سَمْعٍ لِمَا كَانَ مِنْ قَوْلٍ؛ لأَنَّ المَخْلُوقَ إِذَا سَمِعَ حَدَثَ لَهُ عَقْلٌ فَهِمَ عَمَّا أَدْرَكَتْهُ أُذُنُهُ مِنَ الصَّوْتِ)، هذا كلام فلسفة، وقد عرفنا القاعدة في هذا، أمّا أنه يحدث له سمع، أو يحدث له علم، فهذا كله من الحذلقة، الله جَلَّ وَعَلَا يعلم الشيء قبل وقوعه، ويعلمه إذا وقع، وليس معنى ذلك أنه يحدث له صفة لم تكن موجودة من قبل.

قوله: (وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:١٠٥] لَا يَسْتَحْدِثُ بَصَرًا، مُحْدَثًا فِي ذَاتِهِ) ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ [التوبة:٩٤]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [التوبة:١٠٥]، ليس معناه أنه لا يعلم إلا إذا عملوا الأعمال، وإنما يعلم ما هم عاملون من قبل، يعلم أنكم ستعملون كذا وستعلمون كذا، فإذا وجد هذا العمل بارزًا، علمه -أيضًا- علم ظهور ووجود، يعلمه علم وجود يطابق ما علمه سابقًا في الأزل، لا يختلف، ولايتجدد له علم زائد عما سبق.

قوله: (وَإِنَّمَا يَحْدُثُ الشَّيْءُ فَيَرَاهُ مُكَوَّنًا كَمَا لَمْ يَزَلْ يَعْلَمُ قَبْلَ كَوْنِهِ)، عرفنا أنه يعلم الشيء قبل كونه، ويعلمه إذا كان، وعلمه إذا كان مطابق لعلمه قبل أن يوجد. وكذلك يرى الله جَلَّ وَعَلَا، يوصف بالبصر، وأنه سميع بصير، فإذا حصل الشيء، فإن الله يراه رؤية وجود مطابقة لما كان من قبل من الرؤية التي هي صفة أزلية من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، **وَقَالَ لِعِيسَى:** ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران:٥٥] **الآيَة، وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وَذَكَرَ الآلِهَةَ أَنْ لَوْ كَانُوا آلِهَةً لابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا، إِلَى طَلَبِهِ حَيْثُ هُوَ، فَقَالَ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١].

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: فَلَنْ يُنْسَخَ ذَلِكَ أَبَدًا.

كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام:٣]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] **الآيَة، فَلَيْسَ هَذَا بِنَاسِخٍ لِهَذَا، وَلا هَذَا ضِدٌّ لِذَلِكَ.**

الشَّرح

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم



مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك:١٦]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر:١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة:٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج:٤])، العروج: هو الصعود، هذه كلها تدل على العلو: يعرج، يصعد، يرفع إليه، كلها تدل على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو في السماء العلو ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾، ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾، كلها من آيات العلو التي تدل على علوه سبحانه فوق مخلوقاته.

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾، تصعد يعني، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ [المعارج:٤، ٥]، وفي الآية التي في سورة السجدة: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [السجدة:٥]، فما الجمع بين الآيتين؛ آية فيها ألف سنة، وآية فيها خمسين ألف سنة؟ قالوا -والله أعلم-: إن هذا يختلف باختلاف السير، فسير أسرع من سير، الألف سنة هذه للسير السريع، وخمسين ألف سنة للسير البطيء، والله أعلم. وقيل: إن خمسين ألف سنة من الأرض السابعة السفلى إلى العرش الذي هو أعلى المخلوقات، هذه مسيرة خمسين ألف سنة، وأما ألف سنة، فهي ما بين الأرض إلى السماء الدنيا، هذا ألف سنة، وابن القيم لما ساق الأقوال، توقف في هذا ولم يُرجح[(١)].

ولكن الشاهد من الآية لا يختلف، وهو: أن العروج معناه: العلو، فدل على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أما المسافة والسير والمدة، فهذا شيء آخر.

قوله: (وَقَالَ لِعِيسَى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران:٥٥] الآية، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء:١٥٨])، لما أراد اليهود قتله وصلبه،

---

(١) انظر النونية بشرح ابن عيسى (١/ ٤٠٤-٤٠٧)

وجاءوا إليه ودخلوا عليه، فإن الله رفعه من بينهم، ولم يشعروا به، وألقى شبهه على رجل معهم، فقتلوا الرجل وصلبوه يظنونه المسيح، والمسيح رفعه الله من بينهم، ولم يشعروا بذاك، ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران:٥٤]، الله مكر للمسيح مكرًا لم يمكروه هم، ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ﴾، يعني: متى مكر الله؟ ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ هذا تفسير لقوله: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ومعنى ﴿مُتَوَفِّيكَ ﴾: ليس معناه الموت؛ لأن عيسى لم يمت، وإنما التوفي هنا قيل: إنه النوم، فالنائم يُسمى متوفى، يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [الأنعام:٦٠]، فالنوم يسمونه الوفاة الصغرى. وقيل: ﴿مُتَوَفِّيكَ ﴾ يعني: قابضك، متوفي بمعنى القبض، أن الله قبض عيسى ورفعه إليه من بينهم، وأما الوفاة التي هي الموت، فلا. ليست مرادة هنا؛ لأن عيسى لم يمت إلى الآن، وسينزل في آخر الزمان، ثم يموت بعد ذلك، ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ [النساء:١٥٩]، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [الأنبياء:٣٥]، سيموت صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويُدفن في الأرض كغيره من بني آدم.

والشاهد من الآية: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾؛ لأن الرفع لا يكون إلا إلى أعلى.

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨]) فيه آيتان: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٥٧، ١٥٨].



قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ [الأعراف:٢٠٦]) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ هذا يدل على العلو، وهم الملائكة المقربون ﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾، ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء:١٧٢]، وقوله: ﴿عِندَ رَبِّكَ ﴾ هذا دليل على علو الله؛ لأنه لو كان ﴿عِندَ رَبِّكَ ﴾ بمعنى: في ملكه، ما صار لهؤلاء ميزة، كل الناس في ملك الله عَزَّوَجَلَّ، وكلهم يكونون عند الله، الذين في الأرض والذين في السماء كلهم في ملكه، الذين يقولون: (إن ﴿عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعني: في ملكه)، هذا غلط كبير، وإنما هؤلاء ملائكة اختصهم الله برفعهم عنده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، عند عرشه.

قوله: (وَذَكَرَ الآلِهَةَ أَنْ لَوْ كَانُوا آلِهَةً لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا، إِلَى طَلَبِهِ حَيْثُ هُوَ، فَقَالَ: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٤٢])، لو كان الله معه آلهة -تعالى الله عن ذلك، لحصلت المغالبة، الشركاء لايرضون بالشركة، لابد أن واحدًا منهم ينفرد بالملك، ما يصير ملكان في مكان واحد أبدًا، ولا أميران في مكان واحد، لابد أن يحصل بينهم مغالبة، الذي يظفر هو الذي يصير الملك أو الأمير، فلو كان مع الله شركاء، لحصلت المغالبة، ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الإسراء:٤٢]، ﴿ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾ يعني: صاحب العرش، وهو الله جَلَّوَعَلَا، ﴿سَبِيلًا ﴾ بالمغالبة، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢]، فلا يمكن أن يكون هناك إلهان أو ربان يدبران الكون، يحصل فساد في الكون، كل واحد يريد له شيئًا، ويخالفه الآخر، فإما أن تنفذ الإرادتان جميعًا، فيحصل الشقاق، وإما أن ينفذ أحدهما دون الآخر، فيكون هذا هو الإله، الذي نفذت إرادته هو الإله؛ ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون:٩١].



﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء:٤٢]، ﴿ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ ﴾، وهو الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿ سَبِيلًا ﴾ بالمغالبة؛ لأنه لا يمكن أن يكون هناك إلهان وربان جميعًا يصرفون الكون، لابد أن يكون المتصرف واحدًا، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس معه أحد، والدليل على ذلك انتظام هذا الكون ودقة نظامه وعدم اختلافه، دليل على أن الذي يدبر واحد، لو كان يدبره عدد، لاختل الكون، وحصل فيه اختلاف ونزاع وشقاق -كما هو معروف-، فلما لم يحصل شيء من ذلك، دل على أن مدبره واحد، وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى:١])، فيه وصف الله بأنه الأعلى على كل شيء، هذا فيه إثبات العلو لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: فَلَنْ يُنْسَخَ ذَلِكَ أَبَدًا)، أبو عبد الله المحاسبي يقول: لن يُنسخ هذه الآيات أبدًا؛ لأنها أخبار، فهي باقية على ما أخبرت.

قوله: (كَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف:٨٤])، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ معنى ﴿ إِلَٰهٌ ﴾: معبود، فهو جَلَّ وَعَلَا معبود في السماء، ومعبود في الأرض، وليس معناه أن الله في السماء وفي الأرض بذاته، أنه في الأرض بذاته.

قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦])، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ هذا المحتضر، المحتضر الذي في السياق تقرب منه ملائكة الموت بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما قوله: ﴿ وَنَحْنُ ﴾ إما أن يكون ضمير المعظم، يُطلق ضمير الجماعة على واحد من باب التعظيم، وهو الله جَلَّ وَعَلَا أو أن المراد الملائكة، وأنه على ظاهره أنه ضمير الجمع، ويُراد به الملائكة، ملائكة الموت الذين يحضرون لقبض الميت، ﴿ وَنَحْنُ ﴾ بملائكتنا أقرب إليه من حبل الوريد.



قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ [الأنعام:٣])، ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ ﴾، يعلم ما في السماء، ويعلم ما في الأرض، وليس معناه أن الله بذاته في الأرض، ولكن يعلم، يعلم ما في الأرض.

قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧])، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾،﴿رَابِعُهُمْ﴾، ﴿سَادِسُهُمْ﴾، ﴿مَعَهُمْ﴾ هذه معية، ليس معناه أنه -سبحانه- معهم بذاته، وإنما هو معهم بعلمه؛ ولذلك بدأ الآية بالعلم، وختمها بالعلم؛ كما قال الإمام أحمد: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧]، فبدأ الآية بالعلم وختمها بالعلم(١)، فدل على أن المراد بالمعية معية العلم، وليست معية الاختلاط، الله منزه على أن يكون مختلطًا بخلقه، وأن يكون بينهم بذاته، وإنما هو معهم بعلمه سبحانه واطلاعه، والمعية لها معانٍ، ما يُقال: إن هذا تأويل، بل يُقال: هذا تفسير للمعية؛ لأن المعية لها معانٍ:

* ومن معناها: المخالطة، وليست مرادة هنا.

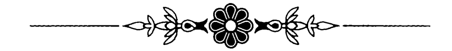
* ومن معناها الإحاطة والمقارنة.

---

(١) سبق عزوه (ص٤١٢).

فالمعية لها معانٍ، فتفسيرها بالعلم هذا تفسيرها بأحد المعاني اللائقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليس هذا من التأويل -كما يقوله الجهال أو المغرضون-، وإنما هو من باب التفسير. المخلوق وهو القمر تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا. هل معنى هذا أن القمر يمشي معكم أو معناه أنه في السماء؟ ولكنَّ نوره وضياءه معكم، إذا كان هذا في المخلوق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ تقول: متاعي معي، وهو على الراحلة، أو على السيارة، إذا قلت: إن متاعي معي. هل معناه أنه في جيبك أم أنه مصاحب لك؟ معناه المصاحبة، أن متاعك مصاحب لك، سواءً في جيبك أو في السيارة أو في الطائرة أو على الراحلة، فهو مصاحب، فالمعية من معناها المقارنة والمصاحبة والمخالطة، والذي يليق بالله عَزَّوَجَلَّ هو مطلق العلم والإحاطة، تقول: زوجتي معي. وقد تكون أنت في المشرق، وهي في المغرب، ما معنى أنها معك؟ أنها في عصمتك، ما هو معناه أنها معك أنها إلى جنبك، لا. المعية معانيها واسعة، وتُفسر في كل مقام بحسبه، وبحسب السياق، فلا تُفسر في هذا بمعنى المخالطة، الله جَلَّ وَعَلَا منزه عن ذلك، وإنما تفسر بمعنى الاطلاع والإحاطة والعلم، هذا الذي تُفسر به معية الله لخلقه سبحانه، أو النصر والتأييد إذا كانت المعية الخاصة، النصر والتأييد، ليس معناه أنه مختلط بخلقه -تعالى الله عما يقولون!

قوله: (فَلَيْسَ هَذَا بِنَاسِخٍ لِهَذَا، وَلا هَذَا ضِدٌّ لِذَلِكَ)، ليس قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] إلى آخر الآية، ليس معناه: أنه ناسخ لقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، ليس بناسخ، وإنما هذا له تفسير يليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الآيَاتِ لَيْسَ مَعْنَاهَا أَنَّ اللهَ أَرَادَ الْكَوْنَ بِذَاتِهِ، فَيَكُونُ فِي أَسْفَلِ الأَشْيَاءِ، أَوْ يَنْتَقِلُ فِيهَا لانْتِقَالِهَا، وَيَتَبَعَّضُ فِيهَا عَلَى أَقْدَارِهَا، وَيَزُولُ عَنْهَا عِنْدَ فَنَائِهَا -جَلَّ وَعَزَّ عَنْ ذَلِكَ-، وَقَدْ نَزَعَ بِذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَزَعَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ بِنَفْسِهِ كَائِنًا، كَمَا هُوَ فِي الْعَرْشِ، وَلا فَرْقَ بَيْنَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَحَالُوا فِي النَّفْيِ بَعْدَ تَثْبِيتِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِمْ مَا نَفَوْهُ؛ لأَنَّ كُلَّ مَنْ يُثْبِتُ شَيْئًا فِي المَعْنَى ثُمَّ نَفَاهُ بِالْقَوْلِ لَمْ يُغْنِ عَنْهُ نَفْيُهُ بِلِسَانِهِ، وَاحْتَجُّوا بِهَذِهِ الآيَاتِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ بِنَفْسِهِ كَائِنًا، ثُمَّ نَفَوْا مَعْنَى مَا أَثْبَتُوا، فَقَالُوا: لا كَالشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد:٣١]، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٩٤]، و﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:١٥]، فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: حَتَّى يَكُونَ المَوْجُودُ، فَيَعْلَمَهُ مَوْجُودًا، وَيَسْمَعَهُ مَسْمُوعًا، وَيُبْصِرَهُ مُبْصَرًا، لا عَلَى اسْتِحْدَاثِ عِلْمٍ وَلا سَمْعٍ وَلا بَصَرٍ.

الشَّرح

قوله: (وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الآيَاتِ لَيْسَ مَعْنَاهَا أَنَّ اللهَ أَرَادَ الْكَوْنَ بِذَاتِهِ فَيَكُونُ فِي أَسْفَلِ الأَشْيَاءِ)، والمعنى واضح، أنه لا يريد أن الله داخل في الكون أو حال في الكون بذاته سبحانه، وإنما هو فوق المخلوقات، المعنى واضح.

أما هذه العبارة (أَنَّ اللهَ أَرَادَ الْكَوْنَ بِذَاتِهِ): أراد أنه في داخل الكون بذاته، هذا هو المقصود.

(فَيَكُونُ فِي أَسْفَلِ الأَشْيَاءِ)، ليس أنه في أسفل الأشياء، في الأرض السابعة، أو مع الناس، وإنما معناه: أنه فوق سماواته محيط بخلقه يراهم ويعلمهم، ولا يخفون عليه، وهو قريب منهم قربًا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما سبق أنه عال

على مخلوقاته، وهو قريب من خلقه قربًا يليق به -سبحانه-، ليس مثل قرب المخلوق من المخلوق، وإنما هو قرب الخالق من المخلوق.

قوله: (أَوْ يَنْتَقِلُ فِيهَا لَاسْتِفَالِهَا، وَيَتَبَعَّضُ فِيهَا عَلَى أَقْدَارِهَا، وَيَزُولُ عَنْهَا عِنْدَ فَنَائِهَا)، هذا يُفسر كلمته (أن الله أراد الكون بذاته) يقول: إنه ما أراد أنه يكون في داخل الكون، داخل المخلوقات، وأنه في الأرض، وأنه مع الناس، وأنه ينتقل معهم، ما أراد الله بذاته، وإنما هذا بعلمه وسمعه وإحاطته.

قوله: (جَلَّ وَعَزَّ عَنْ ذَلِكَ)، جل وعز أن يكون مختلطًا بخلقه.

قوله: (وَقَدْ نَزَغَ بِذَلِكَ بَعْضُ أَهْلِ الضَّلَالِ، فَزَعَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ بِنَفْسِهِ كَائِنًا، كَمَا هُوَ فِي الْعَرْشِ)، كل هذا يوضح ما سبق، يرد على الحلولية، الذين يقولون: (إن معنى الآيات أن الله في داخل المخلوقات، وأن الله حال فيها)، ولم ينزهوا الله عن القاذورات ودورات المياه، يقولون: إنه في كل مكان -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا-، ويستدلون بهذه الآيات: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣]، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]، يستدلون بهذه على أن الله مختلط بخلقه، ويعتبرون هذا ناسخًا لقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] تعالى الله عما يقولون! فلابد من الجمع بين الآيات، والآيات يُفسر بعضها بعضًا، وهي آيات أخبار لا يدخلها النسخ حتى يُقال: إن هذه ناسخة لتلك أبدًا.

(فَزَعَمُوا أَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ بِنَفْسِهِ كَائِنًا، كَمَا هُوَ فِي الْعَرْشِ)، هذا قول الحلولية، وهم طائفة كافرة -والعياذ بالله-، الحلولية منهم من يزعم من الصوفية أن الله حال فيه.

قوله: (وَلَا فَرْقَ بَيْنَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ، ثُمَّ أَحَالُوا فِي النَّفْيِ بَعْدَ تَثْبِيتِ مَا يَجُوزُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِمْ مَا نَفَوْهُ؛ لأَنَّ كُلَّ مَنْ يُثْبِتُ شَيْئًا فِي المَعْنَى ثُمَّ نَفَاهُ بِالْقَوْلِ لَمْ يُغْنِ عَنْهُ نَفْيُهُ بِلِسَانِهِ)، هم ينفون عن أنفسهم أنهم حلولية، إذا قيل لهم: أنتم حلولية وترون أن الله بكل مكان؟ قالوا: لا. مع أنهم يقولون: (إن الله معنا، وإنه مختلط بخلقه، وإنه في الأرض)، ولكن ينفون إذا قيل لهم: أنتم حلولية، ما ينفع الكلام هذا، ما ينفع النفي مع وجود كلام الإثبات.

قوله: (وَاحْتَجُّوا بِهَذِهِ الآيَاتِ، أَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ بِنَفْسِهِ كَائِنًا ثُمَّ نَفَوْا مَعْنَى مَا أَثْبَتُوا، فَقَالُوا: لَا كَالشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ): إن الله حال في الأرض وفي كل مكان، وليس هو كالشيء في الشيء. ما ينفع الكلام هذا، هذا كلام باطل.

قوله: (قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ [محمد:٣١]، ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٩٤]، و﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:١٥]،، فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: حَتَّى يَكُونَ المَوْجُودُ، فَيَعْلَمَهُ مَوْجُودًا)، حتى يكون المعلوم لله في الأزل موجودًا ومطابقًا لما علمه الله.

قوله: (وَيَسْمَعَهُ مَسْمُوعًا، وَيُبْصِرَهُ مُبْصَرًا، لَا عَلَى اسْتِحْدَاثِ عِلْمٍ وَلَا سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ)، كما أنه علمه قبل أن يوجد علمه -سبحانه- بعد أن وجد، ولم يتجدد له علم عند وجوده لم يكن موجودًا من قبل.



وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ ﴾ [الإسراء:١٦]: إِذَا جَاءَ وَقْتُ كَوْنِ الْمُرَادِ فِيهِ.

وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]، ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢]، فَهَذَا وَغَيْرُهُ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠].

هَذَا مُنْقَطِعٌ يُوجِبُ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَوْقَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، مُنَزَّهٌ عَنِ الدُّخُولِ فِي خَلْقِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ؛ لِأَنَّهُ أَبَانَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ ذَاتَهُ بِنَفْسِهِ فَوْقَ عِبَادِهِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، يَعْنِي: فَوْقَ الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ مَنْ قَدْ كَانَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى السَّمَاءِ فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ قَالَ: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٢]، يَعْنِي: عَلَى الْأَرْضِ، لَا يُرِيدُ الدُّخُولَ فِي جَوْفِهَا.

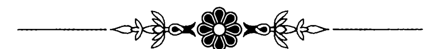
وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] يَعْنِي: فَوْقَهَا عَلَيْهَا.

الشرح

قوله: (وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ ﴾: إِذَا جَاءَ وَقْتُ كَوْنِ الْمُرَادِ فِيهِ)، ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ [الإسراء:١٦]، فهذا معناه أنه عندما يحدث الشيء، فإن الله قد أراده، أراد إيجاده وحدوثه، وليس معناه أنه ما أراد إلا في ذاك الوقت، ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ ﴾ ليس معناه أن الإرادة لم تكن لله قبل ذلك، وإنما الله موصوف بالإرادة، ولكن إذا أراد شيئًا وحصل، فقد أراد حصوله ووجوده، وهي إرادة داخلة في الإرادة السابقة العامة.



قوله: (وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾... إلى قوله: وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] يَعْنِي: فَوْقَهَا عَلَيْهَا)، هذا سبق، إن أُريد بالسماء العلو، فإن (في) ظرفية على بابها، وإن أُريد بالسماء السماء المبنية المخلوقة، فمعنى (في السماء) يعني: على السماء، مثل: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٢]، ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١١]، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾، يعني: على هذه الأشياء.



وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، ثُمَّ فَصَلَ فَقَالَ: ﴿أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾، وَلَمْ يَصِلْ فَلَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ مَعْنَى -إِذا فَصَلَ قَوْلَهُ: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ثُمَّ اسْتَأْنَفَ التَّخْوِيفَ بِالْخَسْفِ- إِلَّا أَنَّهُ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾ [السجدة:٥]، وَقَالَ: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج:٤]، فَبَيَّنَ عُرُوجَ الأَمْرِ وَعُرُوجَ الْمَلائِكَةِ، ثُمَّ وَصَفَ وَقْتَ صُعُودِهَا بِالارْتِفَاعِ صَاعِدَةً إِلَيْهِ، فَقَالَ: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج:٤] فَقَالَ صُعُودُهَا إِلَيْهِ، وَفَصْلُهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِلَيۡهِ﴾؛ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: اصْعَدْ إِلَى فُلانٍ فِي لَيْلَةٍ أَوْ يَوْمٍ وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي الْعُلُوِّ وَأَنَّ صُعُودَكَ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ، فَإِذَا صَعِدُوا إِلَى الْعَرْشِ، فَقَدْ صَعِدُوا إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَإِنْ كَانُوا لَمْ يَرَوْهُ، وَلَمْ يُسَاوُوهُ فِي الارْتِفَاعِ فِي عُلُوِّهِ، فَإِنَّهُمْ صَعِدُوا مِن الأَرْضِ، وَعَرَجُوا بِالأَمْرِ إِلَى الْعُلُوِّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء:١٥٨]، وَلَمْ يَقُلْ: عِنْدَهُ.

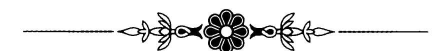
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾، ثُمَّ اسْتَأْنَفَ الْكَلامَ فَقَالَ: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:٣٦،٣٧] فِيمَا قَالَ لِي أَنَّ إِلَهَهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ.

فَبَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ فِرْعَوْنَ ظَنَّ بِمُوسَى أَنَّهُ كَاذِبٌ فِيمَا قَالَ، وَعَمَدَ لِطَلَبِهِ حَيْثُ قَالَهُ مِنَ الظَّنِّ بِمُوسَى أَنَّهُ كَاذِبٌ، وَلَوْ أَنَّ مُوسَى قَالَ: إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ لَطَلَبَهُ فِي بَيْتِهِ أَوْ بَدَنِهِ، أَوْ حُشِّهِ، فَتَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يُجْهِدْ نَفْسَهُ بِبُنْيَانِ الصَّرْحِ.

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] ثُمَّ... إلى قوله: فِيمَا قَالَ لِي أَنَّ إِلَهَهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ)، هذا مما يدل على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لفرعون: إن الله في السماء. ولذلك أراد أن يُكذب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال لوزيره هامان: ﴿ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ صرحًا يعني: برجًا مرتفعًا، ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٧، ٣٦]، فهذا فيه دليل على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبره بأن الله في السماء، وهو يريد أن يتظاهر أمام قومه بتكذيب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذا هو الشاهد من الآية: أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر أن الله في السماء، فدل على علو الله على مخلوقاته.

قوله: (فَبَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ فِرْعَوْنَ ظَنَّ بِمُوسَى أَنَّهُ كَاذِبٌ فِيمَا قَالَ، وَعَمَدَ لِطَلَبِهِ حَيْثُ قَالَهُ مِنَ الظَّنِّ بِمُوسَى أَنَّهُ كَاذِبٌ، وَلَوْ أَنَّ مُوسَى قَالَ: إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ لَطَلَبَهُ فِي بَيْتِهِ أَوْ بَدَنِهِ، أَوْ حُشِّهِ، فَتَعَالَى اللهُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يُجْهِدْ نَفْسَهُ بِبُنْيَانِ الصَّرْحِ)، لو كان الله في كل مكان -كما تقوله الحلولية-، لما تكلف فرعون أنه يبني الصرح، وأن يتظاهر بتكذيب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان يبحث حوله في كل مكان، كان يبحث في بيته، أو في قصره، فهذا دليل على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبره أن الله في السماء؛ كما أخبرت بذلك الأنبياء كلهم، وكما أخبر الله عن نفسه بذلك.



قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: وَأَمَّا الآيَةُ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهَا قَدْ وَصَلَهَا -وَلَمْ يَقْطَعْهَا كَمَا قَطَعَ الْكَلامَ الَّذِي أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى عَرْشِهِ-، فَقَالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧]، فَأَخْبَرَ بِالْعِلْمِ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ مَعَ كُلِّ مُنَاجٍ، ثُمَّ خَتَمَ الآيَةَ بِالْعِلْمِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَخَتَمَ بِالْعِلْمِ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ يَعْلَمُهُمْ حَيْثُ كَانُوا لا يَخْفُونَ عَلَيْهِ، وَلا يَخْفَى عَلَيْهِ مُنَاجَاتُهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ الْقَوْمُ فِي أَسْفَلَ وَنَاظِرٌ إِلَيْهِمْ فِي الْعُلُوِّ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَزَلْ أَرَاكُمْ، وَأَعْلَمُ مُنَاجَاتِكُمْ. لَكَانَ صَادِقًا -وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى أَنْ يُشْبِهَ الْخَلْقَ- فَإِنْ أَبَوْا إِلَّا ظَاهِرَ التِّلاوَةِ، وَقَالُوا: هَذَا مِنْكُمْ دَعْوَى. خَرَجُوا عَنْ قَوْلِهِمْ فِي ظَاهِرِ التِّلاوَةِ؛ لأَنَّ مَنْ هُوَ مَعَ الاثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ هُوَ مَعَهُمْ لا فِيهِمْ، وَمَنْ كَانَ مَعَ الشَّيْءِ، فَقَدْ خَلا مِنْهُ جِسْمُهُ، وَهَذَا خُرُوجٌ مِنْ قَوْلِهِمْ.

الشَّرح

قوله: (قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: وَأَمَّا الآيَةُ.. إلى قوله: وَلا يَخْفَى عَلَيْهِ مُنَاجَاتُهُمْ)، فإن أهل الباطل دائمًا وأبدًا يريدون أن يستدلوا على باطلهم بشيء من القرآن، أو من السنة؛ ليمسحوا به باطلهم أمام الناس بمسحة الحق، أو كما يُعبر الآن يلمعونه؛ تلميع، وإلا فإنهم لا يحبون القرآن، ولكن يستدلون بالآيات والأحاديث من باب التغرير بالناس، فمثلًا: الحلولية يستدلون بهذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة:٧]، قالوا: (إن هذه دليل على أن الله مع الناس، دليل على الحلول، وأنه مع الناس في الأرض)، هذا معنى المعية عندهم، معناها: المماسة والمخالطة. مع أنه سبق لنا أن المعية لها عدة معانٍ؛ تُطلق ويُراد بها المماسة والمخالطة، تُطلق ويُراد بها مطلق



المقارنة من غير مماسة ومن غير مخالطة، فتقول -مثلًا-: متاعي معي. وهو على الراحلة، أو على السيارة، بمعنى أنه بصحبتك، معك يعني: بصحبتك، أو مصاحب لك، ويقولون: ما زلنا نسير والقمر معنا. مع أن القمر في السماء الدنيا، ولكنه مصاحب لهم بنوره وضيائه، ويرونه دائمًا في أي مكان؛ لأنه فوقهم مرتفع، هذا لمطلق المصاحبة من غير مقارنة، من غير مماسة، هل القمر مع الناس بجسمه؟ لا. معهم برؤيته وضيائه وإن كان فوقهم وبعيدًا عنهم، هذا في المخلوق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

فالمعية في الآية في مطلق المصاحبة من غير مماسة، يعني: ما تختص بالمماسة والمخالطة، بل لها عدة معان، وليس معناها هنا ما يريدون من المخالطة قطعًا؛ لأن الله ليس حالًّا في مخلوقاته -تعالى الله عن ذلك-، المخلوقات حقيرة بالنسبة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو عظيم لا يحيط بعظمته إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، المخلوقات بالنسبة إليه لا شيء، ولو أنهم قرؤوا الآية -إن كانوا يريدون الحق-، قرؤوا أولها وآخرها، لعرفوا تفسيرها؛ لأن كلام الله يُفسر بكلام الله، أول شيء يُفسر بكلام الله، ثم بكلام النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الآية فيها ما يُفسرها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ إلى آخره، إلى أن قال: ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧]، فبدأ الآية بالعلم، وختمها بالعلم(١)، فدل على أن المعية معية العلم، وليست معية المخالطة والمماسة، أولها وآخرها يفسرها، وهذا شيء واضح من الآية، ترد عليه نفس الآية التي يستدلون بها، ولهذا يقولون: ما من مبطل يستدل بشيء من القرآن، إلا وفي

---

(١) سبق عزوه (ص٤١٢).

هذه الآية الذي يستدل به ما يرد عليه. هذا شيء، ومن ذلك هذه الآية الكريمة؛ فإن فيها ما يرد عليهم، والحمد لله.

(فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، وَخَتَمَ بِالْعِلْمِ، فَبَيَّنَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ يَعْلَمُهُمْ حَيْثُ كَانُوا لَا يَخْفُونَ عَلَيْهِ، وَلا يَخْفَى عَلَيْهِ مُنَاجَاتُهُمْ)، فدل على أن المعية معية العلم، وليست معية المخالطة والمماسة -كما يقولون.

يأتي بعض المتحذلقين الآن، ويقول: (أنتم تمنعون التأويل، وأنتم تؤولون هذه الآية، تفسرونها بالعلم، ولم لا تجعلونها على ظاهر أن الله مختلط بالناس؟!)، هذا ظاهرها عنده هو، مع أن هذا ليس بظاهر الآية، ولكن هو يقول: (هذا ظاهرها، اجعلوها على ظاهرها)، نقول له: كذبت، أنت ما فهمت الآية، أو أنك ملبس على الناس، فالآية يُفسر بعضها بعضًا، بأن المراد: معية العلم، ليست معية المخالطة؛ لأن الله بدأها بالعلم، وختمها بالعلم، مع الأدلة الأخرى المتواترة أن الله فوق سماواته عالٍ على مخلوقاته، لا يمكن أن يكون في داخل مخلوقاته أبدًا، حتى لو ما في هذه الآية ما يفسرها، تفسرها الأدلة الأخرى أن الله جَلَّ وَعَلَا فوق مخلوقاته مستوٍ على عرشه، ليس حالًّا في مخلوقاته.

قوله: (وَلَو اجْتَمَعَ الْقَوْمُ فِي أَسْفَلَ وَنَاظِرٌ إِلَيْهِمْ فِي الْعُلُوِّ، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَزَلْ أَرَاكُمْ، وَأَعْلَمُ مُنَاجَاتِكُمْ. لَكَانَ صَادِقًا -وَللهِ المَثَلُ الأَعْلَى أَنْ يُشْبِهَ الخَلْقَ)، هذا مثال للمخلوقين، لو واحد فوق السطح وهم في الأرض، وهو يطالعهم، ماذا يقول؟ أما يصلح أنه يقول: أنا معكم؟!! يقول: أنا معكم. ولكن معهم بماذا؟ بجسمه؟ معهم بنظره والاطلاع عليهم، هذا في المخلوقين -ولله المثل الأعلى-، هذا في المخلوقين، فلو كان واحد في مرتفع على جبل أو على سطح أو في طائرة،

ويقول للناس: أنا معكم، أنا أنظر إليكم. صار كلامه صحيحًا، ولكن هل هو معهم بجسمه؟ لا. معهم باطلاعه عليهم ورؤيته لهم، وإن كان بعيدًا عنهم ومرتفعًا فوقهم، إذا كان هذا في المخلوق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! وكما مثلوا بالقمر: ما زلنا نسير والقمر معنا. معية مصاحبة، أن القمر مصاحب لهم بنوره وضيائه.

قوله: (**وَللهِ المَثَلُ الأَعْلَى أَنْ يُشْبِهَ الخَلْقَ**)، إذا كان هذا أمكن في الخلق، فهو في حق الخالق من باب أولى، الله جَلَّ وَعَلَا قال لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، ما قال: إنني معكما فقط، قال: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾، معنى المعية أنه يسمع كلامهم وكلام فرعون لهم، يراهم ويرى فرعون، لا يخفون عليه، معية خاصة، ليس معناه أن الله جاء مع موسى ومع هارون إلى فرعون، وأنه معهم في المجلس أو في المكان -تعالى الله عن ذلك!

قوله: (**فَإِنْ أَبَوْا إِلّا ظَاهِرَ التِّلاوَةِ، وَقَالُوا: هَذَا مِنْكُمْ دَعْوَى. خَرَجُوا عَنْ قَوْلِهِمْ فِي ظَاهِرِ التِّلَاوَةِ؛ لأَنَّ مَنْ هُوَ مَعَ الاثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ هُوَ مَعَهُمْ لَا فِيهِمْ**)، كذلك مما يرد به عليهم -مع أن هذا ليس ظاهر الآية، لكن قالوا: هذا ظاهر الآية-، نقول: الذي مع غيره ليس مختلطًا به، فالذي مع غيره بائن منه منفصل عنه، ليس داخلًا فيه، أنتم تقولون: (﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ أنه داخل في مخلوقاته)، فالمعية لا تقتضي دخول شيء في شيء، وإنما معناها المصاحبة المطلقة، قريبة أو بعيدة؛ لأن من هو مع الشيء ليس هو في الشيء، وإنما هو خارجه.

قوله: (**وَمَنْ كَانَ مَعَ الشَّيْءِ، فَقَدْ خَلا مِنْهُ جِسْمُهُ**)، «معه» ليس معناه: أنه داخل فيه، وإلا لو كان كذلك -تعالى الله-، لقال: إنا فيكم. لقال الله: أنا فيكم،

ولم يقل: أنا معكم. فرق بين كون الشيء في الشيء، وكون الشيء مع الشيء، هناك فرق واضح.

قوله: (وَهَذَا خُرُوجٌ مِنْ قَوْلِهِمْ)، فرددنا عليهم نفس كلامهم؛ أنهم يقولون: (إن الآية على ظاهرها ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يعني: مختلط فينا حالٌّ في خلقه).



وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]؛ لأَنَّ مَا قَرُبَ مِنَ الشَّيْءِ لَيْسَ هُوَ فِي الشَّيْءِ، فَفِي ظَاهِرِ التِّلاوَةِ عَلَى دَعْوَاهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حَبْلِ الْوَرِيدِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤] لَمْ يَقُلْ: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ثُمَّ قَطَعَ -كَمَا قَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، ثُمَّ قَطَعَ، فَقَالَ: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾-، فَقَالَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾؛ إِلَهُ أَهْلِ السَّمَاءِ وَإِلَهُ أَهْلِ الأَرْضِ، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي اللُّغَةِ؛ تَقُولُ: فُلَانٌ أَمِيرٌ فِي خُرَاسَانَ وَأَمِيرٌ فِي بَلْخَ، وَأَمِيرٌ فِي سَمَرْقَنْدَ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَيَخْفَى عَلَيْهِ مَا وَرَاءَهُ، فَكَيْفَ الْعَالِي فَوْقَ الأَشْيَاءِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الأَشْيَاءِ يُدَبِّرُهُ، فَهُوَ إِلَهٌ فِيهِمَا إِذَا كَانَ مُدَبِّرًا لَهُمَا، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ -تَعَالَى عَنِ الأَمْثَالِ!) اهـ[(١)].

الشرح

قوله: (وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]؛ لأَنَّ مَا قَرُبَ مِنَ الشَّيْءِ لَيْسَ هُوَ فِي الشَّيْءِ، فَفِي ظَاهِرِ التِّلاوَةِ عَلَى دَعْوَاهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حَبْلِ الْوَرِيدِ)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، ما قلنا: ونحن فيه، قال: ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ والقريب من الشيء ليس داخلًا في الشيء، بل هو خارج عنه.

(فَفِي ظَاهِرِ التِّلاوَةِ عَلَى دَعْوَاهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حَبْلِ الْوَرِيدِ)، ليس في حبل الوريد ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، فليس معناه: أنه في الإنسان

---

(١) انظر: كتاب فهم القرآن للمحاسبي (ص٣٣٢- ٣٥٦).

المتحدث عنه في أول الآية، وإنما هو قريب منه، وأقرب إليه من غيره قربًا يليق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ، فالله قريب من خلقه قربًا يليق به، ليس معناه المخالطة، والقريب من الشيء ليس هو في الشيء، وإنما هو خارج عنه.

قوله: (وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤] لَمْ يَقُلْ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ قَطَعَ -كَمَا قَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] ثُمَّ قَطَعَ فَقَالَ: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾-، فَقَالَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ إِلَهُ أَهْلِ السَّمَاءِ وَإِلَهُ أَهْلِ الأَرْضِ، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي اللُّغَةِ)، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤] معناه: أنه معبود في السماء ومعبود في الأرض؛ لأن معنى الإله: المعبود، من الألوهية، وهي العبادة، فالله إله في السماء، وإله في الأرض، بمعنى: أنه معبود فيهما، وليس معناه أنه في الأرض بذاته، الله في السماء يعني: في العلو، ولكن في الأرض أنه معبود فيها وليس هو حالًا في الأرض.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، والآيات التي تدل على أن الله في السماء والأحاديث كثيرة، ولكن لم يأت آية ولا حديث يخبرنا أن الله في الأرض أبدًا، ما جاء أن الله قال في الأرض فقط، حتى يستدلوا على ذلك، ولا آية ولا حديث أن الله في الأرض، وإنما معناه هنا: أنه معبود في السماء، ومعبود في الأرض. وأيضًا الآية نفسها فيها ما يرد عليهم، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤]، ففيها العلم.

قوله: (تَقُولُ: فُلَانٌ أَمِيرٌ فِي خُرَاسَانَ وَأَمِيرٌ فِي بَلْخَ، وَأَمِيرٌ فِي سَمَرْقَنْدَ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَيَخْفَى عَلَيْهِ مَا وَرَاءَهُ، فَكَيْفَ الْعَالِي فَوْقَ الأَشْيَاءِ لَا يَخْفَى



عَلَيْهِ شَيْءٌ مِن الأَشْيَاءِ يُدَبِّرُهُ، فَهُوَ إِلَهٌ فِيهِمَا إِذَا كَانَ مُدَبِّرًا لَهُمَا، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ -تَعَالَى عَنِ الأَمْثَالِ!)، هذا -أيضًا- مثل في المخلوقين، وهو أنه يجوز أن تقول: فلان أمير في كذا، وأمير في كذا وأمير في كذا من البلاد، مع أن موضعه ومسكنه وقصره في بلد واحد، ولكن معنى ذلك أنه أمير في جميع البلاد يدبرها ويسيطر عليه، وتأتيه أخبارها، فكأنه فيها، كأنه في جميع البلاد بما يصل إليها من أخبارها ومن أحوالها، ويدبر شؤونها، إذا كان في المخلوق، فكيف بالخالق؟! تقول: أمير في الرياض، وأمير في القصيم مثلًا. هو فلان أمير في الرياض وفي كذا، يعني: إمارة البلدان كلها له، فهو أمير هنا، وأمير هناك، مع أنه في مكان واحد، فإذا كان هذا التعبير يصح في المخلوقين، فالخالق من باب أولى؛ لأنه محيط بكل شيء وعالم بكل شيء، كل شيء بتدبيره وملكه وقبضته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. انتهى النقل عن المحاسبي.



وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَفِيفٍ[١] فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ: «اعْتِقَادُ التَّوْحِيدِ بِإِثْبَاتِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ»، قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ: (فَاتَّفَقَتْ أَقْوَالُ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فِي تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَقَضَائِهِ، قَوْلًا وَاحِدًا، وَشَرْعًا ظَاهِرًا، وَهُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ، حَتَّى قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»[٢]. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَحَدِيثَ «لَعَنَ اللهُ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا»[٣].

الشَّرْح

قوله: (وَقَالَ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَفِيفٍ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ: «اعْتِقَادُ التَّوْحِيدِ بِإِثْبَاتِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ: (فَاتَّفَقَتْ أَقْوَالُ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فِي تَوْحِيدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَقَضَائِهِ، قَوْلًا وَاحِدًا، وَشَرْعًا ظَاهِرًا)، أجمع المهاجرون والأنصار على توحيد الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته، ومعرفة معانيها من غير تحريف، ومن غير تكييف ومن غير تمثيل.

قوله: (وَهُمُ الَّذِينَ نَقَلُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي» وَذَكَرَ الحَدِيثَ)، هم الذين نقلوا لنا العقيدة وغيرها، نقلوا لنا الدين كله، عقيدة وشريعة وجميع أمور الدين، هم الواسطة بيننا وبين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن خفيف بن أسفكشاد الضبي الفارسي الشيرازي شيخ الصوفية، ولد سنة ثمان وستين ومائتين، وتوفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. انظر: حلية الأولياء (١٠/ ٣٨٥)، وتاريخ دمشق (٥٢/ ٤٠٥)، وسير الأعلام (١٦/ ٣٤٢)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٤٩)، وشذرات الذهب (٣/ ٧٦).

(٢) سبق تخريجه (ص٣١).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



ولذلك لو جاء حديث لم يُذكر عن صحابيٍّ يُعلل، فيُقال: هذا مرسل. أما إذا ذُكر الصحابي، فيُقال: هذا مرفوع، والمرفوع أقوى من المرسل بلا شك.

«**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»، وذكر ابن خفيف الحديث بتمامه، قال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»[1]، فأوصى بسنته، وأوصى بسنة الخلفاء الراشدين الأربعة -أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، فهذا دليل على أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يؤخذ بأقوالهم؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ**»، فيؤخذ بقول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله: (وَحَدِيثَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا**») وَحَدِيثَ «**لَعَنَ اللهُ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا**»، وهو البدعة في الإسلام، ملعون من أحدث بدعة في الإسلام، وملعون من حمى المبتدع ودافع عنه، وقيل: المراد من عليه حد من حدود الله، لا أحد يحميه من إقامة الحد؛ لأنه محدث، فالحديث يشمل «**مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا**» في الإسلام بدعة، أو عليه حد من حدود الله، فلا يجوز لأحد أن يدافع عنه وأن يحميه، فدل على أن الصحابة يحذرون من البدع والمحدثات، وهم الذين رووا هذا الحديث: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا**».



(١) سبق تخريجه (ص٣١).

وَقَالَ: فَكَانَتْ كَلِمَةُ الصَّحَابَةِ عَلَى اتِّفَاقٍ مِنْ غَيْرِ اخْتِلافٍ، وَهُمُ الَّذِينَ أُمِرْنَا بِالأَخْذِ عَنْهُمْ؛ إِذْ لَمْ يَخْتَلِفُوا بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى فِي أَحْكَامِ التَّوْحِيدِ وَأُصُولِ الدِّينِ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كَمَا اخْتَلَفُوا فِي الْفُرُوعِ، وَلَوْ كَانَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ اخْتِلافٌ، لَنُقِلَ إِلَيْنَا كَمَا نُقِلَ سَائِرُ الاخْتِلَافِ، فَاسْتَقَرَّ صِحَّةُ ذَلِكَ عَنْ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، حَتَّى أَدَّوْا إِلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَاسْتَقَرَّ صِحَّةُ ذَلِكَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْمَعْرُوفِينَ، حَتَّى نَقَلُوا ذَلِكَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ؛ لأَنَّ الاخْتِلَافَ كَانَ فِي الأَصْلِ عِنْدَهُمْ كُفْرٌ، وَلِلَّهِ الْمِنَّةُ.

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ: فَكَانَتْ كَلِمَةُ الصَّحَابَةِ عَلَى اتِّفَاقٍ مِنْ غَيْرِ اخْتِلافٍ وَهُمُ الَّذِينَ أُمِرْنَا بِالأَخْذِ عَنْهُمْ)؛ مثل حديث: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي»[1]، ومثل الآية: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، فأُمرنا باتباعهم، أُمرنا باتباع المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم يتبعون الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم الواسطة بيننا وبين الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عنهم أخذنا ديننا، وهم أخذوه عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذه عن الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (إِذْ لَمْ يَخْتَلِفُوا بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى فِي أَحْكَامِ التَّوْحِيدِ وَأُصُولِ الدِّينِ مِنَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كَمَا اخْتَلَفُوا فِي الْفُرُوعِ)، لم يختلف الصحابة -المهاجرون والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- في العقيدة وأصول الدين، التي هي: الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، لم يختلفوا في أركان الإسلام الخمسة، بل هم مجمعون على هذا، فالعقيدة لم يحصل فيها خلاف بين السلف،

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

وإنما هم على ما جاء في الكتاب والسنة، وأما الفروع التي يسمونها الفروع، وهي: المسائل الفقهية المستنبطة من الأدلة، فهذا محل اجتهاد، يجتهدون فيها، ويبحثون عن الحكم الشرعي من الأدلة، وقد يخطئ بعضهم، وقد يصيب، والنبي ﷺ قال: «**إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنِ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ**»[(١)]، والخطأ مغفور، أما المسائل الفقهية، فهي محل الاجتهاد، ومحل الاختلاف -أيضًا-، فالمسائل المجمع عليها في الفقه قليلة، والخلاف فيه كثير، ولكن يُرجع إلى الدليل، ويُرجح ما ترجح به الدليل، وإذا لم يكن لأحد القولين رجحان بالدليل، فإنه لا يُنكر على صاحب الرأي الآخر، ما دام أنه ما عندنا دليل يُرجح غيره، فلا ميزة لقول عالم على عالم آخر إلا بدليل، ولهذا قيل: (لا إنكار في مسائل الاجتهاد)، يعني: المسائل التي لم يتبين الدليل مع أحد الطرفين، وإنما كل واحد محتمل، وهذه لا إنكار فيها، أما إذا تبين الدليل، فيجب المصير إليه، هذا في الفقه، أما في العقيدة، فلم يحصل اختلاف بين السلف، وهذا محل البحث.

قوله: (**وَلَوْ كَانَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ اخْتِلافٌ، لَنُقِلَ إِلَيْنَا كَمَا نُقِلَ سَائِرُ الاخْتِلَافِ**)، لو كان في العقيدة اختلاف بين السلف، لنُقل، لقيل: اختلفوا في الاستواء، اختلفوا في العلو. ولم يُنقل هذا؛ كما نُقل الاختلاف حتى بين الصحابة في مسائل الفقه، ولذلك إذا قرأتم الخلاف، يقول: القول الأول قال به فلان وفلان وفلان من الصحابة رضي الله عنهم، والقول الثاني قال به فلان وفلان وفلان، فهم يختلفون في مسائل الفقه، بينما لم يختلفوا في مسائل العقيدة، وإن قلت: إنهم اختلفوا. نقول: هات لنا ما يثبت أنهم اختلفوا، ليس هناك ما يثبت أنهم اختلفوا في شيء من أمور

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٥) (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

العقيدة أبدًا، وإنما الاختلاف في مسائل العقيدة حدث بعد القرون المفضلة، لما جاء الجهمية والمعتزلة ومشتقاتهم، وهؤلاء لا عبرة بخلافهم، النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً. قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»(١)، هذا إنما حدث بعد القرون المفضلة.

قوله: (فَاسْتَقَرَّ صِحَّةُ ذَلِكَ عَنْ خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ) (فَاسْتَقَرَّ صِحَّةُ ذَلِكَ): صحة إجماعهم على العقيدة، فإن قال قائل: إنهم اختلفوا في العقيدة. قلنا: هات ما يثبت هذا.

قوله: (حَتَّى أَدَّوْا إِلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ)، حتى أدوا ما رووه عن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى تلاميذهم من التابعين، والتابعين لهم بإحسان، والتابعون أدوه لمن بعدهم، فنقلته الأمة جيلًا بعد جيل -ولله الحمد-، عقيدة واحدة صافية، ليس فيها اختلاف، وإنما الاختلاف من الفرق الضالة، وهذه لا عبرة فيها، أما أهل السنة والجماعة، فلم يختلفوا.

قوله: (التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ) بإحسان يعني: بإتقان لمذهب السلف؛ لأن هناك من ينتسب إلى السلف، ولكن ليس بإحسان، ولكن يخالفهم وينتسب إليهم، ويقول: أنا سلفي. ولكن يخالفهم إما في الغلو والتطرف، ويقول: هذا مذهب السلف. أو أنه يُحدث أشياء، وينسبها للسلف، وهي ليست من مذهب السلف، فالمدار على الإحسان؛ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التوبة:١٠٠] بهذا القيد، والإحسان: هو الإتقان بعد العلم والمعرفة.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧٧).

قوله: (فَاسْتَقَرَّ صِحَّةُ ذَلِكَ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ المَعْرُوفِينَ حَتَّى نَقَلُوا ذَلِكَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ)، ولا يزالون -ولله الحمد-؛ لأن الله تكفل بحفظ هذا الدين، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، فهو محفوظ في ألفاظه ونصوصه، ومحفوظ في معانيه وفقهه، الدين محفوظ -ولله الحمد- بالكتاب والسنة، والسنة محفوظة ومدونة؛ الصحيح منها، والحسن والضعيف والموضوع، كلها مفروزة فرزًا دقيقًا، ولها ضوابط، وهذا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحفظ هذا الدين، حُفظ القرآن وحُفظت السنة؛ لأجل أن يبقى هذا الدين قائمًا إلى آخر الزمان إلى قيام الساعة، وهذا الدين موجود -ولله الحمد- كما أُنزل على محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والشبهات والضلالات على جانب بعيدة عنه، معزولة عنه -والحمد لله.

قوله: (لأَنَّ الاخْتِلَافَ كَانَ فِي الأَصْلِ عِنْدَهُمْ كُفْرٌ، وَللهِ المِنَّةُ)، الاختلاف في العقيدة يصل إلى حد الكفر، من خالف في أصل من أصول العقيدة، كفر، فالذي يجحد الملائكة، أو يجحد الكتب أو بعض الرسل، أو يجحد القضاء والقدر، أو يجحد اليوم الآخر ينكره، هذا كافر، والله جَلَّ وَعَلَا نهى عن الاختلاف، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ﴾ [آل عمران:١٠٥]، والاختلاف يُحدث سفك الدماء؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:٢٥٣]، الاختلاف يجر إلى شر، ويجر إلى فتنة، وهذا الاختلاف في العقيدة، أما الاختلاف في الفقه، فلا يجر إلى شيء -والحمد لله-، العلماء مختلفون ولم يحصل بينهم شقاق، إنما هذا عند الجهال، أما العلماء في الحقيقة لا يحصل بينهم بغضاء، ولا يحصل بينهم فتنة،

الأئمة الأربعة ومن قبلهم ومن بعدهم يختلفون في مسائل الفقه، ولا يحصل بينهم عداوة ولا بغضاء ولا تشتت، فهذا الخلاف الفقهي، الخلاف في العقيدة لا، ليس بينهم اختلاف، السلف ومن تبعهم ممن جاء بعدهم لم يحصل بينهم اختلاف، ولذلك الأئمة والراسخون في العلم لم يحصل بينهم اختلاف في العقيدة، هم على خط واحد، ولا يزالون -والحمد لله.



ثُمَّ إِنِّي قَائِلٌ -وَبِاللهِ أَقُولُ-: إِنَّهُ لَمَّا أَحْدَثُوا فِي أَحْكَامِ التَّوْحِيدِ وَذِكْرِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى خِلافِ مَنْهَجِ المُتَقَدِّمِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَخَاضَ فِي ذَلِكَ مَنْ لَمْ يُعْرَفُوا بِعِلْمِ الآثَارِ، وَلَمْ يَعْقِلُوا قَوْلَهُمْ بِذِكْرِ الأَخْبَارِ، وَصَارَ مُعَوَّلُهُمْ عَلَى أَحْكَامِ هَوَاجِسِ النُّفُوسِ المُسْتَخْرَجَةِ مِنْ سُوءِ الطَّوِيَّةِ وَمَا وَافَقَ عَلَى مُخَالَفَةِ السُّنَّةِ، وَالتَّعَلُّقِ مِنْهُمْ بِآيَاتٍ لَمْ يُسْعِدْهُمْ فِيهَا مَا وَافَقَ النُّفُوسَ، فَتَأَوَّلُوا عَلَى أَهْوَائِهِمْ، وَصَحَّحُوا بِذَلِكَ مَذَاهِبَهُمْ: احْتَجْتُ إِلَى الْكَشْفِ عَنْ صِفَةِ المُتَقَدِّمِينَ، وَمَأْخَذِ المُؤْمِنِينَ، وَمِنْهَاجِ الأَوَّلِينَ؛ خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي جُمْلَةِ أَقَاوِيلِهِم الَّتِي حَذَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُمَّتَهُ وَمَنَعَ المُسْتَجِيبِينَ لَهُ حَتَّى حَذَّرَهُمْ.

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ إِنِّي قَائِلٌ -وَبِاللهِ أَقُولُ-: إِنَّهُ لَمَّا أَحْدَثُوا فِي أَحْكَامِ التَّوْحِيدِ وَذِكْرِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى خِلافِ مَنْهَجِ المُتَقَدِّمِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَخَاضَ فِي ذَلِكَ مَنْ لَمْ يُعْرَفُوا بِعِلْمِ الآثَارِ)، ثم إنه قال ابن خفيف رَحِمَهُ اللَّهُ: إنه لما جاء من خالف السلف ضل وهلك، خالفتهم القدرية، وخالفتهم الخوارج، وخالفتهم الشيعة، وخالفتهم الجهمية، خالفهم من خالفهم، ولكن مذهب السلف -ولله الحمد- باقٍ، ومن يسير عليه آمنون من الاختلاف والبغضاء، وإنما هذا التطاحن عند الجهال وعند أهل الضلال.

هل ما تجده الآن من التطاحن بين طلبة العلم الموجودين إلا بسبب الجهل؟ وإلا لو كان عندهم علم بمذهب السلف وعقيدة السلف في مسائل الاختلاف ومسائل الاتفاق، ما حصل بينهم هذا الشيء، إما عن جهل وعن هوى، أو عن أحد الاثنين، وكلا الأمرين آفة قاتلة.

(**فَخَاضَ فِي ذَلِكَ مَنْ لَمْ يُعْرَفُوا بِعِلْمِ الآثَارِ**)، هذا هو السبب؛ أنهم لم يعتنوا بالآثار والأحاديث، بل إنهم يحذرون من السنة، ويحذرون من القرآن، ويحثون على علم الكلام وعلم الجدل وعلم المنطق، ويقولون: (هذا هو اليقين، وأما أدلة الكتاب والسنة، فهي ظنية، بينما أدلة العقل والمنطق فهي يقينية)، ولذلك هلكوا -والعياذ بالله-؛ لأنهم اتبعوا أهواءهم.

(**الآثَار**) يعني: الأحاديث.

قوله: (**وَلَمْ يَعْقِلُوا قَوْلَهُمْ بِذِكْرِ الأَخْبَارِ، وَصَارَ مُعَوِّلُهُمْ عَلَى أَحْكَامِ هَوَاجِسِ النُّفُوسِ الْمُسْتَخْرَجَةِ مِنْ سُوءِ الطَّوِيَّةِ وَمَا وَافَقَ عَلَى مُخَالَفَةِ السُّنَّةِ، وَالتَّعَلُّقِ مِنْهُمْ بِآيَاتٍ لَمْ يُسْعِدْهُمْ فِيهَا مَا وَافَقَ النُّفُوسَ**)، هم أصيبوا بآفتين:

الآفة الأولى: أنهم لم يستدلوا بالآيات والأحاديث والنصوص، وقالوا: (هذه تفيد الظن، وقواعد الكلام والمنطق تفيد اليقين، أدلة عقلية، وهذه أدلة سمعية)، فلذلك وقعوا فيها وقعوا فيه؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١]، هذا القرآن هو المخرج من الظلمات إلى النور، فمن تركه، وقع في الظلمات، ومن تمسك به، دخل في النور، وهم تركوا هذا، ومن اتباع القرآن اتباع السنة؛ لأن السنة مفسرة للقرآن، وهي وحي من الله عَزَّوَجَلَّ، وحي من الله أوحاه إلى نبيه، فهي نور وبرهان، هذا السبب الأول تركهم للكتاب والسنة.

السبب الثاني: اعتمادهم على عقلياتهم وعلى مقولات أئمتهم ومشايخهم بدون هدى.

(وَالتَّعَلُّقِ مِنْهُمْ بِآيَاتٍ لَمْ يُسْعِدْهُمْ فِيهَا مَا وَافَقَ النُّفُوسَ).

والأمر الثالث: أنهم أخذوا بالمتشابه من القرآن، أومن الأحاديث المتشابه، وتركوا المحكم، بمعنى: أنهم لا يردون النصوص بعضها إلى بعض، فما اشتبه يُرد إلى الواضح ويفسره، والقرآن يُفسر بعضه بعضًا، والسنة تُفسر القرآن، والأحاديث يُفسر بعضها بعضًا، فهم قد أخذوا بالمتشابه، وتركوا المحكم، ولم يردوه إليه ويفسروه به، فمثلًا الخوارج أخذوا بآيات الوعيد والتخويف، ولم يردوها إلى آيات الرحمة وآيات سعة رحمة الله وآيات التوبة والمغفرة، لم يردوها إلى هذا، بينما المرجئة على العكس، أخذوا بآيات الوعد، وتركوا آيات الوعيد، أما أهل السنة، فجمعوا بين هذا وهذا، جمعوا بين المحكم والمتشابه، والله جَلَّ وَعَلَا ذكر هذا، قال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران:٧]، فيردون المتشابه إلى المحكم، ويقولون: كل من عند الله عَزَّوَجَلَّ، فنفسر بعضه ببعض؛ لأن كلًّا من عند الله، الذي أنزل المتشابه هو الذي أنزل المحكم ليُفسر بعضه بعضًا، وهذا لا يتقنه إلا أهل العلم الراسخون في العلم؛ ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا ﴾، الراسخون في العلم ليس المتعالم، أو صاحب الهوى ما ينفع، ما ينفع إلّا العالم المخلص الراسخ في العلم الثابت، هذا هو الذي يفسر القرآن، ويفسر السنة، ويستدل، ويُحسن الاستدلال، ويرجع المنسوخ إلى الناسخ، والمطلق إلى المقيد، والمجمل إلى المبين، والعام إلى الخاص، وهذه عملية تحتاج إلى علم، وتحتاج إلى مهارة، ما يتقنها إلا الراسخون في العلم، يأتيك ويقول: أنا دليلي

من القرآن. نقول: كذبت، هل دليلك من القرآن أن تأخذ المتشابه، وتقول: هذا دليل من القرآن؟ ما كملت، القرآن يُفسر بعضه بعضًا، فلماذا تأخذ بطرف وتقطع؟ ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:٢٧]، هذا من قطع ما أمر الله به أن يوصل، فرد المتشابه إلى المحكم هذا مما أمر الله به أن يوصل، أما الذي يأخذ طرفًا ويترك الطرف الثاني، فهذا ممن قطعوا ما أمر الله به أن يوصل؛ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥]، نسأل الله العافية! هم يسيئون إلى القرآن، ويقولون: نحن نستدل بالقرآن. وهم لم يستدلوا بالقرآن، الذي يستدل بالقرآن هو الذي يُحكم رد المتشابه إلى المحكم، هذا هو الذي يستدل بالقرآن.

لو جاء لك واحد مثلًا، وقال: الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البقرة:٢٤٠]، عدة الوفاة تجب عليها سنة، هذا أنا استدللت بالقرآن. نقول: كذبت، الله قال قبلها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤]، فدل على أن آية الحول منسوخة بآية أربعة أشهر وعشرًا، وهذا هو الذي استقر عليه الإجماع بين أهل العلم(١)، فإذا كان حقًّا يستدل بالقرآن، فليرجع الآية الأخيرة إلى الآية الأولى، ولكن هذا لا يتقنه إلا من اتصف بصفتين:

* صفة العلم.

* صفة الإخلاص، وعدم الهوى والتضليل والتلبيس على الناس، وهذه قاعدة في المحكم والمتشابه.

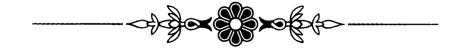
---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/ ٢٧٩)، والقرطبي (٣/ ١٦٥).



قوله: (فَتَأَوَّلُوا عَلَى أَهْوَائِهِمْ، وَصَحَّحُوا بِذَلِكَ مَذَاهِبَهُمْ: احْتَجْتُ إِلَى الْكَشْفِ عَنْ صِفَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَمَأْخَذِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنْهَاجِ الأَوَّلِينَ؛ خَوْفًا مِنَ الْوُقُوعِ فِي جُمْلَةِ أَقَاوِيلِهِم الَّتِي حَذَّرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ وَمَنَعَ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُ حَتَّى حَذَّرَهُمْ)، أخذوا آيات قطعوها، ولم يرجعوها، وبعضهم يأخذ أول الآية، ويترك آخرها، مثل الذي قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] أن معناها: المخالطة، ولم يرجعوا إلى أوّلها وآخرها، قطعوا بعض الآية من بعض، ويقولون: نحن نستدل بالقرآن. هذه مصيبة وتلبيس على الناس.

قوله: (وَصَحَّحُوا بِذَلِكَ مَذَاهِبَهُمْ)، يأخذون ما يصلح لهواهم من القرآن أو من الآيات، ويتركون ما يخالف هواهم، هذه طريقة أهل الزيغ، ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).



(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (١) (٢٦٦٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧]، قَالَتْ: فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ».

ثُمَّ ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ خُرُوجَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ فِي الْقَدَرِ وَغَضَبَهُ (١).

وَحَدِيثَ «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ» (٢)، وَحَدِيثَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» (٣)، وَأَنَّ النَّاجِيَةَ مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ.

ثُمَّ قَالَ: فَلَزِمَ الأُمَّةَ قَاطِبَةً مَعْرِفَةُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَلَمْ يَكُنِ الْوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ الْمَعْرُوفِينَ بِنَقْلِ الأَخْبَارِ مِمَّنْ لَا يَقْبَلُ الْمَذَاهِبَ الْمُحْدَثَةَ، فَيَتَّصِلُ ذَلِكَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ مِمَّنْ عُرِفُوا بِالْعَدَالَةِ وَالأَمَانَةِ، الْمُحَافِظِينَ عَلَى الأُمَّةِ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ إِثْبَاتِ السُّنَّةِ.

إِلَى أَنْ قَالَ: فَأَوَّلُ مَا نَبْتَدِئُ بِهِ مَا أَوْرَدْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مِنْ أَجْلِهَا، ذِكْرُ أَسْمَاءِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَصِفَاتِهِ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا بَيَّنَ ﷺ مِنْ صِفَاتِهِ فِي سُنَّتِهِ،

---

(١) كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي الْقَدَرِ فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِئَ فِي وَجْنَتَيْهِ الرُّمَّانُ، فَقَالَ: **أَبِهَذَا أُمِرْتُمْ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الأَمْرِ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَتَنَازَعُوا فِيهِ**».
أخرجه الترمذي (٢١٣٣)، وأبو يعلى في مسنده (١٠/ ٤٣٣)، وأخرجه بنحو هذا اللفظ ابن ماجه (٨٥)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: (إسناده صحيح رجاله ثقات)، وأخرجه أحمد في المسند (١١/ ٢٥٠، ٤٣٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٦٢٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٧٧)، والطبراني في الأوسط (١/ ١٦٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفي الباب من حديث أنس، وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣) وقال: (حديث حسن صحيح)، وابن ماجه (١٣)، وأحمد في المسند (٣٩/ ٢٨٦)، والشافعي في مسنده (ص١٥١)، والطبراني في الكبير (٩٣٤)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٩٠)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٧٦) من حديث أبي رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) حديث الافتراق سبق تخريجه (ص١٧٧).

وَمَا وَصَفَ بِهِ عَزَّوَجَلَّ نَفْسَهُ مِمَّا سَنَذْكُرُ قَوْلَ الْقَائِلِينَ بِذَلِكَ مِمَّا لا يَجُوزُ لَنَا فِي ذَلِكَ أَنْ نَرُدَّهُ إِلَى أَحْكَامِ عُقُولِنَا بِطَلَبِ الْكَيْفِيَّةِ بِذَلِكَ، وَمِمَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالاسْتِسْلَامِ لَهُ.

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ ذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ خُرُوجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ فِي الْقَدَرِ وَغَضَبَهُ)، ذكر أبو عبد الله حديث أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج إلى أصحابه، وهم يختصمون في القدر، ويقولون: ما دام أن الله قدر علينا هذه الأشياء، فلماذا نعمل؟ الله قدر أهل الجنة، وقدر أهل النار، فنحن نعتمد على القضاء والقدر، ولا حاجة للعمل. فخرج إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغضب، وغضب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ضرب كتاب الله بعضه ببعض، ثم قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[1]، وأنزل الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-١٠]، فلا نعتمد على القضاء والقدر ونترك العمل، نؤمن بالقضاء والقدر ونعمل، الله أمرنا بذلك، فلانعتمد على العمل ونكفر بالقضاء والقدر كالمعتزلة، ولا نعتمد على القضاء والقدر ونترك العمل كالجبرية، وإنما نجمع بينهم.

قوله: (وَحَدِيثَ «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ»)، حديث الذي ينكر السنة، يقول: أبدًا، ما نعمل إلا بالقرآن. وهؤلاء موجودون الآن، يقولون: (السنة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٧) (٢٦٤٧) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل:٦]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:١٠]».

هذه مروية بالأسانيد، وفيها اختلاف، وأما القرآن، فهو من عند الله عَزَّوَجَلَّ، وهو متواتر النقل، أما السنة فغالبها ما هو بمتواتر، وإنما تعتمد على السند، والسند يدخله ما يدخله)، ولذلك ينكرون الأحاديث، والنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أخبر عن ذلك، فقال: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ**»[1]، وقال صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»[2]، وقال صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنِّي تَارِكٌ فيكم مَا إِنْ تَمسَّكتم بِهِ، لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَي: كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّتِي**»[3]، فما يصلح أنه يؤخذ القرآن وتترك السنة؛ لأن السنة مفسرة للقرآن ومبينة للقرآن وموضحة للقرآن، ولهذا لما جاء الخوارج من الذين ينكرون السنة إلى عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُاللَّهُ، وقالوا له: نأخذ بالقرآن. قال لهم: (الله جَلَّوَعَلَا أمر بالصلاة في القرآن كم عدد ركعاتها؟ هل الله ذكر عدد ركعات الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر؟ وكيف صلاة المسافر؟ وكيف صلاة المقيم؟)، الله ما ذكر العدد، وكَّله إلى نبيه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقال لهم: (الله أمر بالزكاة، ما هي الأموال التي تجب فيها الزكاة؟ وما هي الأنصبة التي تجب فيها الزكاة من الأموال؟)، فخصمهم بذلك رَحِمَهُاللَّهُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وأحمد في المسند (٢٨/ ٤١٠)، والدارمي (٦٠٦)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢٧٤)، وفي مسند الشاميين (٢/ ١٣٧)، والمروزي في السنة (ص٧٠)، وابن عبد البر في التمهيد (١/ ١٥٠) من حديث المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ الْكِنْدِيِّ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص٣١).

(٣) سبق تخريجه (ص٣١).



قوله: (وَحَدِيثَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً») وذكر حديث، يعني: أبا عبد الله ذكر حديث: «وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً. قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»[1]، فذكر أن جميع الفرق المخالفة لما عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في النار، ولا ينجو إلا من كان على مثل ما هو عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قوله: (وَأَنَّ النَّاجِيَةَ مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ)، فدل على تحريم مخالفة الكتاب والسنة والأخذ بالآراء والأقوال، وأنه لا ينجو إلا من تمسك بالكتاب والسنة.

قوله: (ثُمَّ قَالَ: فَلَزِمَ الأُمَّةَ قَاطِبَةً مَعْرِفَةُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ) (لَزِمَ الأُمَّةَ قَاطِبَةً مَعْرِفَةُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ)؛ لأنه قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[2]، فيلزم على كل طالب علم أن يتعلم ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ من أجل أن يتمسك به، أما أنه ينتسب إلى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو لا يدري ما هم عليه، فهذا لا فائدة فيه.

قوله: (وَلَمْ يَكُنِ الْوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ)، فلا تعرف ما عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلا إذا عرفت تلاميذهم التابعين ومن تبعهم وهكذا.

قوله: (الْمَعْرُوفِينَ بِنَقْلِ الأَخْبَارِ مِمَّنْ لَا يَقْبَلُ الْمَذَاهِبَ الْمُحْدَثَةَ، فَيَتَّصِلُ ذَلِكَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ مِمَّنْ عُرِفُوا بِالْعَدَالَةِ وَالأَمَانَةِ، الْمُحَافِظِينَ عَلَى الأُمَّةِ مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧٧).

(٢) سبق تخريجه (ص١٧٧).

مِنْ إِثْبَاتِ السُّنَّةِ)، لا يحصل هذا إلا بالرجوع إلى الذين رووا لنا ما عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالأسانيد الصحيحة؛ عدلًا عن عدل، جيلًا بعد جيل.

(وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ إِثْبَاتِ السُّنَّةِ) السنة النبوية، الحفاظ الذين حفظوا السنة وأزاحوا عنها كل دخيل، وكذلك الفقهاء -فقهاء السنة- الذين جمعوا بين حفظ السنة ومعرفة معانيها، وهؤلاء هم الدرجة الأولى والطبقة الأولى، ففقهاء المحدثين أفضل من المحدثين فقط الذين يحفظون فقط، ولا يشتغلون بفقه الأحاديث، وإن كان في الجميع خير، هؤلاء حفظوا السنة، وهؤلاء فهموا السنة، ووضحوها للناس، كلهم فيهم خير الحفاظ والفقهاء، وإنما الهلاك لمن ترك طريقتهم، وابتكر طريقة من عنده، واستغنى عنهم؛ كما نسمع الآن يقولون: (نحن رجال وهم رجال)، نقول لهم: هذا قول الإمام أحمد، أو قول الشافعي، أو قول مالك، أو قول أبي حنيفة. نحن رجال وهم رجال! ما نسبته إليهم؟ نسبته إليهم كم تبلغ؟ ولا واحد بالألف، بل لاشيء، هل أنت مثل الإمام أحمد، أو مثل الشافعي، تقول: نحن رجال وهم رجال؟! رجال يعني: ذكر، وهم ذكور، نعم، صحيح أنت ذكر، وهم ذكور، ولكن الرجال وَاحِدٍ كَالأَلْفِ إِنْ أَمْرٌ عَنَى، وأنت كالصفر ما فيك فائدة، متى صرت رجلًا؟ الرجال هم بمعنى الرجولة الصحيحة هم فحول العلماء، هم الرجال؛ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣]، رجال، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، هؤلاء هم الرجال، أما إنك تقول: هم رجال ونحن رجال. ففرق بين الرجال.

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمُ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَالأَلْفِ إِنْ أَمْرٌ عَنَى[1]

فرق بين الرجال، وهل فهمك وعلمك وحفظك مثل هؤلاء؟!!

(١) من شعر أبي بكر بن دُرَيْدٍ الأنصاري، انظر: الدر الفريد وبيت القصيد (٤/ ١٨٥)، والمستطرف (ص٢٢٥).

قوله: (**إِلَى أَنْ قَالَ: فَأَوَّلُ مَا نَبْتَدِئُ بِهِ مَا أَوْرَدْنَا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مِنْ أَجْلِهَا، ذِكْرُ أَسْمَاءِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ **وَصِفَاتِهِ مِمَّا ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَمَا بَيَّنَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مِنْ صِفَاتِهِ فِي سُنَّتِهِ**)، من جملة النقولات التي نقلها شيخ الإسلام في هذه الفتوى عن الأئمة ما نقله عن ابن خفيف في كتابه «التوحيد»، والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

* توحيد الربوبية.
* توحيد الألوهية.
* توحيد الأسماء والصفات.

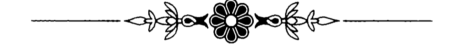
والمقصود الآن: هو القسم الثالث، توحيد الأسماء والصفات؛ لأن هذه الفتوى في هذا الموضوع، الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أخذ ما يتعلق بهذه الفتوى في باب الأسماء والصفات، وكما هو معلوم ومتقرر أن الأسماء والصفات تؤخذ كما وردت بالكتاب وبالسنة؛ لأنها توقيفية في القرآن الكريم، وفي سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما صح من الأحاديث، فإن ما جاء في السنة مثل ما جاء في القرآن كله من عند الله، قال الله جَلَّ وَعَلَا عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم:٤]، فما ذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته هو مثل ما ذكره الله في كتابه، لا فرق بينهما.

لابد من أن يؤخذ علم الأسماء والصفات من الكتاب والسنة فقط، لا من العقول ولا من الآراء.

قوله: (**وَمَا وَصَفَ بِهِ** عَزَّوَجَلَّ **نَفْسَهُ مِمَّا سَنَذْكُرُ قَوْلَ الْقَائِلِينَ بِذَلِكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ لَنَا فِي ذَلِكَ أَنْ نَرُدَّهُ إِلَى أَحْكَامِ عُقُولِنَا بِطَلَبِ الْكَيْفِيَّةِ بِذَلِكَ، وَمِمَّا قَدْ أُمِرْنَا بِالاسْتِسْلَامِ لَهُ**)، الواجب نحو نصوص الصفات تلقيها بالقبول، وإثباتها كما جاءت لفظًا

ومعنى، فالمعنى معروف من اللغة التي نتخاطب بها، وأما الكيفية، فلا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا ندخل في الكيفية، وإنما نثبت ما جاء في الكتاب والسنة على مدلوله ومعناه، لا نحرفه ونتأوله -كما فعلت طوائف الضلال-، ولانكيفه ونمثله أيضًا -كما فعلت الممثلة-، وإنما نثبته إثباتًا بلا تمثيل، وننزه الله عن مشابهة المخلوقين تمثيلًا بلا تعطيل، هذه هي القاعدة في هذا الباب العظيم.

وليس للعقول مدخل في إثبات شيء لم يرد في الكتاب والسنة، وليس للعقول مدخل في تحريف الكلم عن مواضعه، ويُقال: هذا غير مراد. أو هذا ليس على ظاهره، فيؤول. أو يُقال: إنه غير مفهوم المعنى، فيُفوض. لا، كل هذا باطل، لا تفويض ولا تأويل ولا تكييف.



إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَرَّفَ إِلَيْنَا بَعْدَ إِثْبَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَإِقْرَارِ الأُلُوهِيَّةِ: أَنْ ذَكَرَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بَعْدَ التَّحْقِيقِ، بِمَا بَدَأَ بِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَكَّدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ، فَقَبِلُوا مِنْهُ كَقَبُولِهِمْ لأَوَائِلِ التَّوْحِيدِ مِنْ ظَاهِرِ قَوْلِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

إِلَى أَنْ قَالَ بِإِثْبَاتِ نَفْسِهِ بِالتَّفْصِيلِ مِنَ الْمُجْمَلِ، فَقَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه:٤١]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٣٠]. وَلِصِحَّةِ ذَلِكَ، وَاسْتِقْرَارِهِ نَاجَاهُ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤].

وَأَكَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صِحَّةَ إِثْبَاتِ ذَلِكَ فِي سُنَّتِهِ، فَقَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»[١]، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَتَبَ كِتَابًا بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»[٢]، وَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ رِضَى نَفْسِهِ»[٣]، وَقَالَ فِي مُحَاجَّةِ آدَمَ لِمُوسَى: «أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ وَاصْطَنَعَكَ لِنَفْسِهِ»[٤].

فَقَدْ صَحَّ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ أَنَّهُ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ نَفْسًا، وَأَثْبَتَ لَهُ الرَّسُولُ ذَلِكَ، فَعَلَى مَنْ صَدَّقَ اللهَ وَرَسُولَهُ اعْتِقَادُ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مَبْنِيًّا عَلَى ظَاهِرِ قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٢) سبق تخريجه (ص١٢٩).
(٣) أخرجه مسلم (٧٩) (٢٧٢٦) من حديث ابن عباس عن جويرية رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
(٤) أخرجه البخاري (٣٤٠٩، ٤٧٣٦، ٤٧٣٨، ٦٦١٤، ٧٥١٥)، ومسلم (١٥) (٢٦٥٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الشَّرح

قوله: (**إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَرَّفَ إِلَيْنَا بَعْدَ إِثْبَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَإِقْرَارِ الأُلُوهِيَّةِ: أَنْ ذَكَرَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ بَعْدَ التَّحْقِيقِ، بِمَا بَدَأَ بِهِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ**) التوحيد على ثلاثة أنواع:

* توحيد الربوبية؛ وهو إفراد الله جَلَّوَعَلَا بأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير.

* وتوحيد الألوهية؛ وهو توحيد الله جَلَّوَعَلَا بأفعال العباد التي يتقربون بها إليه، فلا شريك لله في ذلك.

* وتوحيد الله بأسمائه وصفاته؛ بإثباتها والإيمان بها كما جاءت في الكتاب والسنة.

قوله: (**وَأَكَّدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ، فَقَبِلُوا مِنْهُ كَقَبُولِهِمْ لأَوَائِلِ التَّوْحِيدِ مِنْ ظَاهِرِ قَوْلِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**)، أثبتوه كما جاء عن الرسول صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من غير تدخل بزيادة أو نقصان، فأثبتوه كما جاء في الكتاب والسنة، فالقرآن هو الأصل، والسنة مؤكدة للقرآن، ومفسرة للقرآن، وموضحة للقرآن.

قوله: (**إِلَى أَنْ قَالَ بِإِثْبَاتِ نَفْسِهِ بِالتَّفْصِيلِ مِنَ الْمُجْمَلِ**)، من جملة ما أثبته الله لنفسه النفس، فإن الله ذكر أن له نفسًا في آيات وفي الأحاديث، فنثبت النفس لله عَزَّوَجَلَّ، ونمايز بينها وبين أنفس المخلوقين؛ المخلوق له نفس، والله جَلَّوَعَلَا له نفس، ولكن مع الفرق العظيم بين نفس الخالق ونفس المخلوق.

قوله: (**فَقَالَ لِمُوسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه:٤١])، قال الله جَلَّوَعَلَا لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما كلمه في الطور فيما قصه الله عَزَّوَجَلَّ، لما سار موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ



من بلاد مدين إلى مصر راجعًا لأهله، ورأى نارًا بجانب الطور، قد أصابهم البرد وتاهوا الطريق هو وأهله، فذهب إلى هذه النار ليقتبس منها ما يصطلون به من البرد، وليسأل عن الطريق؛ ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه:١٠]، فلما قرب منها، ناداه الله عَزَّوَجَلَّ وكلمه، ومن جملة ما كلمه أن الله قال: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه:٤١]، ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾ يعني: خلقتك وهيئتك وتربيتك لنفسي، يعني: خاصًّا لنفسي، ففيه إثبات النفس لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (وَقَالَ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾)، قال جَلَّوَعَلَا في سورة آل عمران: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٣٠] في آيتين متقاربتين، فأثبت أن له نفسًا.

قوله: (وَلِصِحَّةِ ذَلِكَ، وَاسْتِقْرَارِهِ نَاجَاهُ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]) المسيح ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ناجى ربه، فقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى﴾ نفس المسيح، ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾، أي: نفس الله جَلَّوَعَلَا فأثبت لله نفسًا، والمسيح له نفس مع الفرق بين النفسين؛ النفس المخلوقة والنفس الخالقة.

قوله: (وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤])، وكذلك ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ في سورة الأنعام، ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ أي: أوجب على نفسه الرحمة فضلًا منه وإحسانًا، لا أن أحدًا أوجب عليه، وإنما هو الذي أوجب على نفسه ذلك فضلًا منه وإحسانًا.

الشاهد من الآية: ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ أثبت له النفس.

قوله: (وَأَكَّدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صِحَّةَ إِثْبَاتِ ذَلِكَ فِي سُنَّتِهِ، فَقَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»)، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت لله النفس فيما يرويه عن

ربه عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي أن الله جَلَّوَعَلَا قال: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ» يعني: ولم يتكلم، «ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»، وهذا من باب المقابلة بالإحسان، «وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ»، يعني: الملائكة.

قوله: (وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَتَبَ كِتَابًا بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي») الله جَلَّوَعَلَا كتب- سبحانه- كتابًا فهو عنده، «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»، فالشاهد منه: «كَتَبَ كِتَابًا بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ»، بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله يكتب، كتب التوراة بيده في الألواح التي تلقاها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من الله عَزَّوَجَلَّ، لما واعده وذهب موسى إلى الموعد، أعطاه الألواح، ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٤]، ألواح التوراة التي كتبها الله بيده جَلَّوَعَلَا.

«كَتَبَ كِتَابًا بِيَدِهِ» جَلَّوَعَلَا، فيه إثبات اليد لله، وإثبات الكتاب. «عَلَى نَفْسِهِ» هذا هو الشاهد «عَلَى نَفْسِهِ»، أثبت له النفس.

«إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» الله جَلَّوَعَلَا أحب إليه الرحمة والإثابة من العذاب، والرحمة فضل منه جَلَّوَعَلَا، والعذاب عدل منه، لا يوقعه إلا بمن يستحقه.

قوله: (وَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ رِضَى نَفْسِهِ»)، في الحديث -أيضًا- أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»، وهذا التسبيح من خير التسبيح وأكمل الكلام.

الشاهد منه: (رِضَى نَفْسِهِ)، أثبت له النفس.

قوله: (وَقَالَ فِي مُحَاجَّةِ آدَمَ لِمُوسَى: «أَنْتَ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ وَاصْطَنَعَكَ لِنَفْسِهِ»)، آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه لما التقى موسى وآدم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فإن

موسى قال لأبيه آدم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنْ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ آدَمَ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، فَهَلْ وَجَدْتَ ذَلِكَ مَكْتُوبًا عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»(١)، فاحتج آدم على موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بالقدر الذي قدره الله، وأن خروجه من الجنة مقدر لابد منه، والاحتجاج بالقدر على المصائب سائغ، أما الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعاصي، فلا يجوز، الواجب على المذنب أن يتوب، ولا يقول: هذا مقدر عليّ. بل يتوب إلى الله، والله يغفر له ويتوب عليه، الاحتجاج على القدر لا ينفع على الذنوب، بل ربما يزيده إثمًا؛ لأنه يخاصم الله جَلَّ وَعَلَا كما خاصمه إبليس بقوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف:١٦]، فاحتج بالقدر ولم يستغفر، وآدم استغفر ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]، استغفر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما إبليس، فإنه صار جبريًّا، احتج بالجبر، ولم يستغفر، فآدم احتج بالقدر على المصيبة؛ لأن المصيبة ما لك فيها حيلة إلا أن ترضى وتسلم، بخلاف الذنب، فلك حيلة أن تستغفر وتتوب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ففرق بين الاحتجاج بالقدر على المصائب، والاحتجاج بالقدر على المعائب، المعائب لايجوز، وأما على المصائب، فمأمور به؛ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، هذا احتجاج بقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

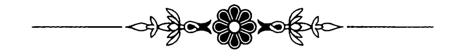
محل الشاهد: (وَاصْطَنَعَكَ لِنَفْسِهِ)، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:٤١].

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٩٠).

قوله: (فَقَدْ صَحَّ بِظَاهِرِ قَوْلِهِ أَنَّهُ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ نَفْسًا، وَأَثْبَتَ لَهُ الرَّسُولُ ذَلِكَ) فيثبت أن لله نفسًا كما في القرآن والسنة.

قوله: (فَعَلَى مَنْ صَدَّقَ اللهَ وَرَسُولَهُ اعْتِقَادِ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مَبْنِيًّا عَلَى ظَاهِرِ قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١])، النفس كسائر ما أثبته الله، يُثبت من غير تكييف وتمثيل ومن غير تعطيل، كسائر ما أثبته الله لنفسه، والنفس: هي الذات، هي ذات الله جَلَّوَعَلَا الموصوفة بالصفات.





ثُمَّ قَالَ: فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ -خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ- قَبُولُ كُلِّ مَا وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ حَتَّى يَتَّصِلَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ مِمَّا قَصَّ اللهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَرَدَتِ السُّنَّةُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ أَنْ قَالَ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ثُمَّ قَالَ عَقِيبَ ذَلِكَ: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور:٣٥]، وَبِذَلِكَ دَعَاهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»[(١)]، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي مُوسَى: «حِجَابُهُ النُّورُ -أَو النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[(٢)]، وَقَالَ: سُبُحَاتُ وَجْهِهِ: جَلَالُهُ وَنُورُهُ، نَقَلَهُ عَنِ الْخَلِيلِ وَأَبِي عُبَيْدٍ[(٣)]، وَقَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «نُورُ السَّمَاوَاتِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ»[(٤)].

الشرح

قوله: (ثُمَّ قَالَ: فَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ -خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ- قَبُولُ كُلِّ مَا وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، هذا الواجب على المؤمنين والمؤمنات قبول ما ورد عن الله ورسوله من غير اعتراض، لا كما فعلت الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم الذين اعترضوا على الله جَلَّ وَعَلَا، وقالوا: (لا يليق بالله هذه الأسماء والصفات؛ لأنه يلزم عليها التمثيل والتشبيه)، فأولوها وحرفوها، وجحدوها بحجة التنزيه، وهذا باطل، هذا تعطيل، وليس تنزيهًا، تنزيه الله واجب، ولكن ما يصل إلى حد التعطيل، وإنما هو التنزيه اللائق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) سبق تخريجه (ص٤٥٥).

(٣) انظر: العين للخليل (٣/ ١٥٢)، وغريب الحديث لأبي عبيد (٣/ ١٧٣).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٨٨٦)، وأبو الشيخ في العظمة (١/ ٤٠٥، ٤٠٦)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص٥٣، ٥٤)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٧).

(خَاصَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ)، خاصتهم: وهم العلماء، وعامتهم: وهم غير العلماء من المؤمنين.

قوله: (بِنَقْلِ الْعَدْلِ عَنِ الْعَدْلِ حَتَّى يَتَّصِلَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، هذا هو المهم أن يصح الحديث عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بنقل الراوي العدل عن مثله إلى أن ينتهي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالحديث الصحيح: هو ما رواه عدل تام الضبط عن مثله من بداية السند إلى نهايته، مع السلامة من الشذوذ والعلل[١]. هذا تعريف الحديث الصحيح، سواءً في الأسماء والصفات أو في غيرها، يجب الإيمان به. وأما الذين يقولون: (إن أخبار الآحاد ما يُحتج بها؛ لأنها تفيد الظن)، فنحن نقول: أخبار الآحاد إذا صحت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحتج بها، وتفيد العلم الذي لا شكّ فيه[٢]؛ لأنه خبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هل الرسول يخبر عن ظن؟ ما دام صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالرسول لا ينطق عن الهوى، سواءً كان الحديث متواترًا أو كان آحادًا، والآحاد أقسام: منه المشهور، ومنه العزيز، ومنه الغريب، كله من أقسام الآحاد.

قوله: (وَأَنَّ مِمَّا قَصَّ اللهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَرَدَتِ السُّنَّةُ بِصِحَّةِ ذَلِكَ أَنْ قَالَ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥])، مما أثبته الله لنفسه النور، فالله جَلَّ وَعَلَا نور؛ نور بذاته، وبأسمائه وصفاته، وبكلامه، فذاته نور، وصفاته

---

(١) انظر: (ص١١٨).

(٢) قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق (٤٥٧): (فممن نص على أن خبر الواحد يفيد العلم: مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة، وداود بن علي وأصحابه كأبي محمد بن حزم، ونص عليه الحسين بن علي الكرابيسي، والحارث بن أسد المحاسبي). اهـ. وانظر أيضًا: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥١)، وشرح الطحاوية (ص٣٩٩)، وشرح أحمد شاكر على ألفية السيوطي (ص٣-٥).



من صفاته النور، وكلامه نور؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٧٤]، يعني: القرآن، فالقرآن نور، قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى:٥٢]، فالقرآن نور، وهو كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالنور على قسمين:

* نور غير مخلوق؛ وهو نور الله جَلَّ وَعَلَا، نور الله وكلامه، وما يتصف به، هذا غير مخلوق.

* ونور مخلوق؛ وهو الإيمان الذي يكون في قلب المؤمن، هذا نور مخلوق.

فالإيمان نور؛ ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ [النور:٣٥]، هذا الإيمان في صدر المؤمن، الإيمان مثل السراج في مشكاة -وهي الكوة-، وهو صدر المؤمن، فالإيمان في صدر المؤمن مثل المصباح في المشكاة، وهي الكوة التي تجمع النور حتى يكون قويًّا ما يتفرق، ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾، يزيد النور -أيضًا- إذا صار من وراء زجاجة، فإن النور يزيد -كما هو معلوم-، الزجاجة صافية ما فيها كدر ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ تزهر ﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾ وقوده أيضًا؛ لأنه كان من عادتهم أن يوقدوا المصابيح بالزيت -زيت الزيتون-، وليس كل زيتون، بل الزيتون الصافي، فإذا كان الوقود صافيًا وفي زجاجة وفي كوة، ماذا يكون النور؟ هذا مثل الإيمان في قلب المؤمن، المؤمن ينظر بنور الله، هذا وصف للإيمان في قلب المؤمن، ثم قال: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [النور:٣٦]؛ لأن المساجد هي بيوت الإيمان والصلاة وذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (ثُمَّ قَالَ عَقِيبَ ذَلِكَ: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾) ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾: نور المصباح،

ونور المشكاة، ونور الزجاجة، ونور الزيتون الصافي ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾، الإيمان كذلك في قلب المؤمن ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ نور العقيدة، ونور البصيرة، نور العلم، أنوار مجتمعة. أما الكفار، فهم في ظلمات بعضها فوق بعض ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ﴾ [النور:٣٩]، ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور:٤٠]، والعياذ بالله! الشكوك والأوهام والضلالات والشبه اجتمعت عليهم، فصاروا في ظلمات لا يخرجون منها -نسأل الله العافية!

هذا بعد ما ذكر الله نور المؤمنين، ذكر ظلمات الكافرين، وأنهم في ظلمات بعضها فوق بعض.

قوله: (وَبِذَلِكَ دَعَاهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ»)**، فوصف ربه بأنه نور السماوات والأرض، فالنور على قسمين:

* نور غير مخلوق، وهو: نوره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ووحيه، هذا غير مخلوق.

* ونور مخلوق، وهو: نور الشمس والقمر والكواكب، ونور المصابيح والكهرباء، هذا مخلوق لله عَزَّ وَجَلَّ، ونور معنوي، وهو الإيمان في قلب المؤمن، ونور العلم أيضًا، العلم نور.

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ النور، ومنه النور، وكل نور السماوات والأرض من نوره خلقًا ووحيًا، وما في السماوات أو في الأرض من نور حسي أو معنوي فهو من نور الله جَلَّ وَعَلَا خلقًا أو وحيًا.

قوله: (ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي مُوسَى: «حِجَابُهُ النُّورُ -أَو النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»)، الله جَلَّ وَعَلَا حجابه نور،

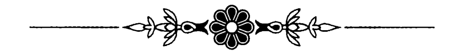
هو نور، وحجابه نور، لا يراه أحد من النور، ولهذا لما سُئل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»(١)، يعني: حجبني عنه النور، فحجابه النور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، «لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ» جَلَّ وَعَلَا، أي: نور وجهه، سبحات وجهه: أي نور وجهه، «مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»؛ لأن الخلق لا يطيقون رؤية الله جَلَّ وَعَلَا، وأما في الآخرة فإن المؤمنين يقويهم الله جَلَّ وَعَلَا، فيرون ربهم معاينة رؤية بصرية؛ ليتنعموا بذلك؛ جزاءً لهم حيث آمنوا به في الدنيا ولم يروه، الله جَلَّ وَعَلَا يظهر لهم يوم القيامة، فيرونه عيانًا كما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب(٢)، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يتضامون في رؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(٣).

(سُبُحَاتُ وَجْهِهِ)، السبحات هي الأنوار.

قوله: (وَقَالَ: سُبُحَاتُ وَجْهِهِ: جَلَالُهُ وَنُورُهُ، نَقَلَهُ عَنِ الخَلِيلِ)؛ الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام أهل اللغة وشيخ سيبويه الإمام الجليل.

(وَأَبِي عُبَيْدٍ) القاسم بن سلام.

قوله: (وَقَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: نُورُ السَّمَاوَاتِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ)، كل النور الذي في الكون فهو من نور الله جَلَّ وَعَلَا، النور المخلوق وهو نور الشمس والقمر والكواكب، والنور المعنوي وهو نور الوحي، والقرآن والعلم كله من نور الله جَلَّ وَعَلَا.



(١) سبق تخريجه (ص٤٥٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٤١١).

(٣) سبق تخريجه (ص٤١١).

ثُمَّ قَالَ: وَمِمَّا وَرَدَ بِهِ النَّصُّ أَنَّهُ حَيٌّ، وَذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَالْحَدِيثَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»(١).

قَالَ: وَمِمَّا تَعَرَّفَ اللهُ إِلَى عِبَادِهِ أَنْ وَصَفَ نَفْسَهُ أَنَّ لَهُ وَجْهًا مَوْصُوفًا بِالْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، فَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ وَجْهًا، وَذَكَرَ الآيَاتِ.

ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي مُوسَى الْمُتَقَدِّمَ(٢)، فَقَالَ: فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ أَوْصَافِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ (لَا يَنَامُ) مُوَافِقٌ لِظَاهِرِ الْكِتَابِ ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا مَوْصُوفًا بِالأَنْوَارِ، وَأَنَّ لَهُ بَصَرًا كَمَا أَعْلَمَنَا فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ.

الشَّرْح

قوله: (ثُمَّ قَالَ: وَمِمَّا وَرَدَ بِهِ النَّصُّ أَنَّهُ حَيٌّ، وَذَكَرَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]) كذلك ورد وصف الله بالحياة، ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ فالله جَلَّوَعَلَا وصف نفسه بالحياة، وحياته كاملة لا يعتريها سنة ولانوم، الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام؛ لأن النوم نقص وموت، والنوم وفاة صغرى وموت، والله منزه عن ذلك، ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ ﴾، وهو النعاس، ﴿وَلَا نَوْمٌ ﴾، لما وصف نفسه بالحي، نفى عنه نقص الحياة بالنوم والنعاس، إنما هذا من شأن

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٤٧)، والطبراني في الأوسط (٤/ ٤٣)، والصغير (١/ ٧٣٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٧٦، ٤٧٧) من حديث أنس رَضِوَاللَّهُعَنْهُ.

(٢) حديث أبي موسى رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: «قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: **إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ -وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ- لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**». سبق تخريجه (ص٤٥٥).

المخلوق، المخلوق حي أيضًا، ولكن حياته ناقصة؛ لأنها موجودة بعد عدم، وأما حياة الله، فلا بداية لها؛ ولأنها يعتريها النقص بالنوم والموت والنعاس والغفلة، أما الله جَلَّوَعَلَا، فحياته كاملة، ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨]، منزه عن النعاس، وعن السنة وعن النوم وعن الموت.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، والقيوم: هو القائم بشؤون عباده، قيوم السماوات والأرض، هو القائم بأمور عباده: الخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير، هو الذي قامت به السماوات والأرض ومن فيهن.

قوله: (وَالحَدِيثَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»)، وفي الحَدِيثَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ» دعاء، يتوسل إلى الله بهاتين الصفتين: الحي القيوم، وقالوا: (والحي ترجع إليه كل صفات الذات، ترجع إلى الحي، من السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة والمشيئة، وكل صفات الذات ترجع إلى الحي، والقيوم ترجع إليه كل صفات الأفعال من الخلق والرزق والإعطاء والأخذ والإحياء والإماتة، كل صفات الأفعال ترجع إلى القيوم)، فهذان الاسمان يشتملان على كل صفات الله جَلَّوَعَلَا الفعلية والذاتية، ولهذا جاء أن هذا هو اسم الله الأعظم: الحي القيوم(١).

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٢٠/ ٦١، ٢١/ ١٩٢، ٣١٠)، وأبو داود (١٤٩٥)، والترمذي (٣٥٤٤)، والنسائي (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨): عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الحَلْقَةِ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي. فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ جَلَسَ وَتَشَهَّدَ، ثُمَّ دَعَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، المَنَّانُ، بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَا الجَلَالِ وَالْإِكْرَام، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى».

قوله: (قَالَ: وَمِمَّا تَعَرَّفَ اللهُ إِلَى عِبَادِهِ أَنْ وَصَفَ نَفْسَهُ أَنَّ لَهُ وَجْهًا مَوْصُوفًا بِالجَلالِ وَالإِكْرَامِ، فَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ وَجْهًا، وَذَكَرَ الآيَاتِ)، من صفات الله جَلَّ وَعَلَا الذاتية الوجه، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧]، وصف وجهه بالكرم والجلال، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، فهو وجه حقيقي، ولكنه ليس كوجوه المخلوقين، بل هو يليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو من صفاته الذاتية مثل اليد، اليد صفة ذاتية، ولكنها ليست كأيدي المخلوقين، وأما الذين يفسرون الوجه بالذات، فهذا تأويل باطل، الوجه غير الذات، يقولون: (﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ يعني: الذات)، ما يُفسر الوجه بالذات، الوجه معروف معناه في اللغة.

(فَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ وَجْهًا وَذَكَرَ الآيَاتِ) مثل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

قوله: (ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي مُوسَى الْمُتَقَدِّمَ)، حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ».

قوله: (فَقَالَ: فِي هَذَا الحَدِيثِ مِنْ أَوْصَافِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (لَا يَنَامُ) مُوَافِقٌ لِظَاهِرِ الْكِتَابِ ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾)؛ لأن السِّنة والنوم نقص في الحياة، والله جَلَّ وَعَلَا منزه عن النقص وعن العيوب، فحياته كاملة لا يعتريها نعاس ولا نوم ولا موت ولا ذهول.

قوله: (وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا مَوْصُوفًا بِالأَنْوَارِ) (بالأنوار): «أحرقت سبحات وجهه»، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ»[1]، فوصف وجه ربه بأن له نورًا.

---

(١) قاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة رجوعه من الطائف وقد رواها الطبري في تاريخه (١/ ٥٥٤)، =

قوله: (وَأَنَّ لَهُ بَصَرًا كَمَا أَعْلَمَنَا فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)، وأن له جَلَّ وَعَلَا بصرًا، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، وصف نفسه بالسمع والبصر.



= والطبراني في الدعاء (ص٣١٥)، وابن عدي في الكامل (٦/ ١١١)، والرافعي في تاريخ قزوين (٢/ ٨٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٩/ ١٥٢) من حديث عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثُمَّ ذَكَرَ الأَحَادِيثَ فِي إِثْبَاتِ الْوَجْهِ، وَفِي إِثْبَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَالآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَرَّفَ إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ قَالَ: لَهُ يَدَانِ قَدْ بَسَطَهُمَا بِالرَّحْمَةِ. وَذَكَرَ الأَحَادِيثَ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ ذَكَرَ شِعْرَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ[1]، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ: «يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رِجْلَهُ»، وَهِيَ رِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «يَضَعُ عَلَيْهَا قَدَمَهُ»[2].

الشرح

قوله: (ثُمَّ ذَكَرَ الأَحَادِيثَ فِي إِثْبَاتِ الْوَجْهِ، وَفِي إِثْبَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَالآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى ذَلِكَ)، وذكر الآيات من الكتاب والسنة لإثبات السمع والبصر وإثبات الوجه.

قوله: (ثُمَّ قَالَ: ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَرَّفَ إِلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ قَالَ: لَهُ يَدَانِ قَدْ بَسَطَهُمَا بِالرَّحْمَةِ. وَذَكَرَ الأَحَادِيثَ فِي ذَلِكَ)، يعني ابن خفيف. لا يزال الكلام لابن خفيف.

(لَهُ يَدَانِ)، وهما صفة ذات من صفاته الذاتية، قال سبحانه لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، الله خلق آدم بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، فالله جَلَّ وَعَلَا له يدان تليقان بجلاله، والمخلوق له يدان، ولكن ليست يد الخالق كيد المخلوق، وأما الذين يقولون: (المراد باليد القدرة)، فهل يُفسرون قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٢).

(٢) سبق تخريجه (ص١٩).

بِيَدَىَّ ﴾ [ص:٧٥]، يعني: بقدرتي؟ ما يمكنهم هذا، ما أحد قال: لله قدرتان، بل الله له قدرة واحدة، ثم قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾، ما قال: ﴿خَلَقْتُ ﴾ وسكت، بل قال: ﴿بِيَدَىَّ ﴾، فلا يمكنهم تأويل هذه اليد بالقدرة أو النعمة، يقولون: (إن لك يدًا عندي، يعني: لك عندي نعمة أنعمتها عليَّ)، هذا تأويل باطل، ليست اليد في هذه الآيات في حق الله، ليست معناها النعمة أو القدرة، بل معناها اليد الحقيقية، وهي صفة ذاتية لله جَلَّوَعَلَا.

قوله: (**ثُمَّ ذَكَرَ شِعْرَ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ**)، هذا من شعراء الجاهلية، وكان متعبدًا ناسكًا، قرأ الكتب ووحد الله عَزَّوَجَلَّ، وكان يتوقع أن يكون هو النبي الذي يُبعث من بني إسماعيل، ويُتحرى هذا، فلما بُعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حسده وكفر به، ومات على الكفر -والعياذ بالله-؛ «**آمَنَ شِعْرُهُ، وَكَفَرَ قَلْبُهُ**»؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١)، والذي حمله على هذا هو الحسد، والنبوة اصطفاء من الله جَلَّوَعَلَا، ما هو الإنسان يتهيأ لها ويتطلع لها، وإنما هي اصطفاء من الله جَلَّوَعَلَا، الله يصطفي؛ ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام:١٢٤]، ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج:٧٥]، فالرسالة اصطفاء من الله، وهو يعلم من يصلح لها، وليس الإنسان يتحراها ويتطلع لها مثلما فعل أمية بن أبي الصلت، هذا من جهله وغروره بنفسه.

شعر أمية بن أبي الصلت أنه قال(٢):

مَجِّدُوا اللهَ فَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ ... رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرَا

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣٢).

(٢) سبق عزوه (ص١٣٣).

وصف ربه بأنه في السماء، وأنه كبير جَلَّوَعَلَا.

بِالْبِنَاءِ الأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ ... وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرَا

(سريرًا) يعني: العرش.

شَرْجَعًا مَا يَنَالُهُ بَصَرُ العَيْنِ ... تَرَى دُونَهُ المَلائِكَ صُورَا

يعني: مائلة أعناقهم من عظمة الله جَلَّوَعَلَا.

هذا شعره، وهو شعر توحيد وإيمان؛ لأنه قرأ في الكتب، قرأ في التوراة والإنجيل، وعرف التوحيد، وكان متنسكًا متعبدًا، إلا أنه -والعياذ بالله- لما بُعث محمد صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حسده، وكان يرى أنه أحق بالرسالة منه، فمات على الكفر -والعياذ بالله-، ولكن شعره شاهد بأن هذا موجود في الكتب السابقة.

قوله: (**ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ: «يُلْقَى فِي النَّارِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رِجْلَهُ»، وَهِيَ رِوَايَةُ الْبُخَارِيِّ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «يَضَعُ عَلَيْهَا قَدَمَهُ»**)، الله جَلَّوَعَلَا يوصف بأن له رجلًا، وأن له قدمًا؛ كما صح في الحديث، هذه من صفات الذات؛ مثلما يوصف بأن له يدًا، وأن له قدمًا، وأن له رجلًا، وأنه يضع قدمه على النار يوم القيامة، فينزوي بعضها على بعض، فتقول: «**قطٍ قطٍ**»؛ كفاني، النار تقول: «**هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟**»، لا يزال يُلقى فيها، وهي تقول: «**هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟**»، ثم يضع رب العزة جَلَّوَعَلَا رجله -وفي رواية: «**قَدَمَهُ**»-، فينزوي بعضها إلى بعض، تقول: «**قطٍ قطٍ**»، يعني: كفاني كفاني.

الشاهد منه: إثبات القدم والرجل لله جَلَّوَعَلَا، وأهل الضلال يقولون: (المراد بالرجل الجماعة، «**حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رِجْلَهُ**» يعني: يضع فيها جماعة، والجماعة يُسمون رجل؛ مثلما يُقال: رجل الجراد)، هذا من خرافاتهم وخزعبلاتهم، بل الرِّجل على ظاهرها لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.



ثُمَّ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ الْبَطِينُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ الْكُرْسِيَّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ. وَأَنَّ الْعَرْشَ لَا يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ»[1]، وَذَكَرَ قَوْلَ مُسْلِمٍ الْبَطِينِ نَفْسِهِ، وَقَوْلَ السُّدِّيِّ، وَقَوْلَ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: «مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ»، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: «وَاضِعٌ رِجْلَيْهِ عَلَيْهِ».

ثُمَّ قَالَ: فَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ قَدْ رُوِيَتْ عَنْ هَؤُلَاءِ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُوَافِقَةً لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ مُتَدَاوَلَةً فِي الْأَقْوَالِ، وَمَحْفُوظَةً فِي الصُّدُورِ، لَا يُنْكِرُ خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، وَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنْ نُظَرَائِهِمْ، نَقَلَتْهَا الْخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ مُدَوَّنَةً فِي كُتُبِهِمْ، إِلَى أَنْ حَدَثَ فِي آخِرِ الْأُمَّةِ مَنْ قَلَّلَ اللهُ عَدَدَهُمْ مِمَّنْ حَذَّرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَمُكَالَمَتِهِمْ، وَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَعُودَ مَرْضَاهُمْ، وَلَا نُشَيِّعَ جَنَائِزَهُمْ[2]، فَقَصَدَ هَؤُلَاءِ إِلَى هَذِهِ الرِّوَايَاتِ، فَضَرَبُوهَا بِالتَّشْبِيهِ، وَعَمَدُوا إِلَى الْأَخْبَارِ، فَعَمِلُوا فِي دَفْعِهَا عَلَى أَحْكَامِ الْمَقَايِيسِ، وَكَفَّرُوا الْمُتَقَدِّمِينَ، وَأَنْكَرُوا عَلَى الصَّحَابَةِ، وَرَدُّوا عَلَى الْأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤١٨).

(٢) كما جاء في حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّالِ».
وورد هذا الحديث بألفاظ متقاربة عن جمع من الصحابة، منهم: ابن عمر، وجابر، وأنس، وأبو هريرة، وابن عباس، وسهل بن سعد، وعائشة، رضوان الله عليهم أجمعين. أخرجه أبو داود (٤٦٩١، ٤٦٩٢)، وابن ماجه (٩٢)، وأحمد في المسند (٣٨/ ٤٤٣)، والبزار في مسنده (٧/ ٣٣٨)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٤٤ـ ١٥١)، وابن المستفاض في القدر (ص١٧٣ ـ ١٩١)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٦٥)، (٤/ ٢٨١)، والصغير (١/ ٣٦٨)، (٢/ ٧١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٥٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٠٣).

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ الْبَطِينُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّ الْكُرْسِيَّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ)، أثبت القدمين لله جَلَّوَعَلَا، وأن الكرسي موضع القدمين، الكرسي تحت العرش، وهو أعظم من السماوات والأرض، ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والعرش أعظم من الكرسي، فهو أعظم المخلوقات وأكبر المخلوقات، وفوقه الرحمن سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَأَنَّ الْعَرْشَ لَا يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ)، أما العرش، فهو أعظم المخلوقات، ولا يعلم قدره إلا الله، ولهذا وصفه الله بالعرش العظيم، والعرش الكريم، والعرش المجيد، هذه أوصاف تدل على عظمة ذلك العرش.

قوله: (وَذَكَرَ قَوْلَ مُسْلِمٍ الْبَطِينِ نَفْسِهِ، وَقَوْلَ السُّدِّيِّ، وَقَوْلَ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، وَأَبِي مَالِكٍ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: «مَوْضِعَ قَدَمَيْهِ»، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: «وَاضِعٌ رِجْلَيْهِ عَلَيْهِ»)، الرجلان والقدمان وردت لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله: (ثُمَّ قَالَ: فَهَذِهِ الرِّوَايَاتُ قَدْ رُوِيَتْ عَنْ هَؤُلاءِ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ مُوَافِقَةً لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُتَدَاوَلَةً فِي الأَقْوَالِ، وَمَحْفُوظَةً فِي الصُّدُورِ، لَا يُنْكِرُ خَلَفٌ عَنْ سَلَفٍ، وَلا يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنْ نُظَرَائِهِمْ، نَقَلَتْهَا الخَاصَّةُ وَالْعَامَّةُ مُدَوَّنَةً فِي كُتُبِهِمْ إِلَى أَنْ حَدَثَ فِي آخِرِ الأُمَّةِ مَنْ قَلَّلَ اللهُ عَدَدَهُمْ)، السلف الصالح والقرون المفضلة ما كانوا يتوقفون في نصوص الأسماء والصفات، ولا تُشكل عليهم أبدًا، يؤمنون بها ويثبتونها، ولم يحصل عندهم إشكال، وبعد القرون المفضلة جاءت خلوف من الأعاجم ومن غيرهم، فحصل منهم هذا الخوض في الأسماء والصفات، فاحتاج أهل السنة إلى أن يردوا عليهم ويبطلوا شبهاتهم.

قوله: (**مِمَّنْ حَذَّرَنَا رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَمُكَالَمَتِهِمْ، وَأَمَرَنَا أَنْ لَا نَعُودَ مَرْضَاهُمْ، وَلا نُشَيِّعَ جَنَائِزَهُمْ**)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن ظهور القدرية الذين ينفون القدر، وقال: «**لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَّالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُلْحِقَهُمْ بِالدَّجَّالِ**»، وهذا فيه التحذير من مجالسة المبتدعة وأهل الضلال؛ لأنهم يؤثرون على من جالسهم.

قوله: (**فَقَصَدَ هَؤُلاءِ إِلَى هَذِهِ الرِّوَايَاتِ فَضَرَبُوهَا بِالتَّشْبِيهِ**)، قالوا: (لو أثبتناها، دلت على التشبيه، والله منزه عن التشبيه)، فقاموا بتأويلها وصرفها عن ظاهرها وتعطيل أسماء الله وصفاته خوفًا من التشبيه، ولم يعلموا أن الله جَلَّ وَعَلَا لا يُشبهه أحد من خلقه؛ لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (**وَعَمَدُوا إِلَى الأَخْبَارِ فَعَمِلُوا فِي دَفْعِهَا عَلَى أَحْكَامِ المَقَايِيسِ**)، القرآن أولوه؛ لأنهم ما يمكن أن ينفوه، أما الأحاديث، قالوا: (هذه ما تصح؛ لأنها أخبار آحاد، وتفيد الظن، ولا يصح الاحتجاج بها في العقائد)، وأما القرآن، فما لهم حيلة فيه، فذهبوا يؤولونه تأويلًا، وأما الأحاديث، فإنهم طعنوا فيها، وقللوا من شأنها، وقالوا: (إنها لا تصح للاحتجاج؛ لأنها أخبار آحاد)، العلة ما هي؟ قالوا: (لأن هذه تدل على التشبيه، والله منزه عن التشبيه)، نقول: نعم، الله جَلَّ وَعَلَا منزه عن التشبيه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ولكن لا يقتضي هذا أننا ننفي أسماء الله وصفاته، بل نثبتها على وجه يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنقول: صفاته لاتشبه صفات المخلوقين؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولافي أسمائه وصفاته.

قوله: (**وَكَفَّرُوا المُتَقَدِّمِينَ**)، كفَّروا الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكفروا من جاء بعدهم ممن يثبتون الأسماء والصفات كفروهم، قالوا: (لأنهم مشبهة، والتشبيه كفر).

قوله: (**وَأَنْكَرُوا عَلَى الصَّحَابَةِ وَرَدُّوا عَلَى الأَئِمَّةِ الرَّاشِدِينَ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**)، في الحقيقة هم الأولى بالكفر والتضليل، ولكن لا نحكم عليهم عامة بالكفر، بل منهم من هو متأول، ومنهم من هو مقلد، فنقول: إنما هذا ضلال. إذا كان عالمًا بالنصوص، ومتعمدًا لنفيها بعد أن صحت عنه، فيكفر، ولكن إذا كان متأولًا، أو مقلدًا لمن قبله، فهذا يُدفع عنه أو يُدرأ عنه التكفير، ولكن يُحكم عليه بالضلال.



ثُمَّ ذَكَرَ المَأْثُورَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَوَابَهُ لِنَجْدَةَ الحَرُورِيِّ[(١)]؛ ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ الصُّورَةِ[(٢)]، وَذَكَرَ أَنَّهُ صَنَّفَ فِيهِ كِتَابًا مُفْرَدًا، وَاخْتِلَافَ النَّاسِ فِي تَأْوِيلِهِ.

الشَّرْح

قوله: (**ثُمَّ ذَكَرَ المَأْثُورَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَوَابَهُ لِنَجْدَةَ الحَرُورِيِّ**)، نجدة الحروري هذا من الخوارج، يُقال له: الحروري، نسبة إلى حروراء أرض بالعراق، اجتمعوا فيها للجهاد -بزعمهم- والتآمر على المسلمين، فالذي يأتي منها يُسمى حروريًّا، ومنهم نجدة هذا، وجاء إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأورد على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من المتشابه من القرآن، وأجاب عنه ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأجوبة معروفة، أجابه بأجوبة شافية معروفة، وكشف ما عنده من الشبهات والمتشابه كعادة ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه يغطي بالعلم والحجة من يناظره ويتغلب عليه.

قوله: (**ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثَ الصُّورَةِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ صَنَّفَ فِيهِ كِتَابًا مُفْرَدًا**)، حديث الصورة هذا ورد وصح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أثبت لله الصورة، قال: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»، وفي الحديث الآخر: «**لَا تُقَبِّحُوا الْوَجْهَ فَإِنَّ ابْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ**»[(٣)]، فالصورة ثابتة لله عَزَّ وَجَلَّ، ما فيها مجال للتشكيك، أن الله له صورة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»، بمعنى أن آدم سميع

---

(١) هو نجدة بن عامر الحنفي الخارجي الحروري، أحد رؤوس الخوارج الزائغين عن الحق، قتله أصحابه سنة تسع وستين. انظر: لسان الميزان (٦/ ١٤٨)، وشذرات الذهب (١/ ٧٦).

(٢) وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»، أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٩)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٨٥)، والآجري في الشريعة ص (٣١٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٣٠) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

بصير متكلم؛ كما أن الله جَلَّوَعَلَا سميع بصير، وله وجه، وله يدان، فهو على صورة الله جَلَّوَعَلَا، بمعنى أن له صفات، ولله جَلَّوَعَلَا صفات، الوجه واليدان والسمع والبصر والكلام كل هذا موجود في آدم، فهو على صورة الرحمن من هذه الكيفية، من هذه الحيثية، من هذا المعنى، لا على أنه على صورة الرحمن بمعنى أنه يُشبه صورة الرحمن، هذا لا يجوز التشبيه، والحديث هذا أشكل على بعض العلماء، حتى إن ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ -على قوة تمسكه بالسنة- أشكل عليه هذا الحديث، وصار يؤوله في كتابه «التوحيد»[1]، ولكن الحديث ثابت، وهو على حقيقته[2]، ولا يلزم منه التشبيه -تشبيه صورة الخالق بصورة المخلوق-، وإن توافقت صورة المخلوق مع صورة الخالق في بعض الأسماء والصفات في السمع والبصر والكلام والوجه واليدين، فإنها وإن توافقت معها في الاسم، فإنها تختلف عنها في الكيفية؛ كما هو معلوم في سائر الأسماء والصفات، فكما أن لله سمعًا وللمخلوق سمعًا، وكما أن لله بصرًا وللمخلوق بصرًا، وللمخلوق وجه وللخالق وجه، وللمخلوق يدان وللخالق يدان، فكذلك للمخلوق صورة، وللخالق صورة، ولا تشابه بين هذا وهذا، فلا محظور في هذا الحديث أبدًا.

قوله: (وَاخْتِلافَ النَّاسِ فِي تَأْوِيلِهِ)، والحق أنه ما يحتاج إلى تأويل ولا شيء، وأنه يُثبت على حقيقته، ولا يلزم من إثبات الصورة لله مشابهة صورة المخلوق؛ كما أنه لا يلزم من إثبات الوجه لله التشابه مع وجه المخلوق والسمع والبصر واليدان والرجلان والقدمان، كله ما يلزم منه ذلك.

---

(١) انظر: التوحيد لابن خزيمة (ص٨٥).

(٢) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٨٧): (زلَّ ابن خزيمة في حديث الصورة غفر الله له) ورد شيخ الإسلام على ابن خزيمة كلامه في تضعيف هذا الحديث في نحو مائة صفحة في رده على الرازي في جزء مخطوط (٣/ ٢١٨-٢٢٠) لم يُطبع، وقد أورده الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «عقيدة أهل الإيمان» (ص٧٣-٧٦).

ثُمَّ قَالَ: وَسَنَذْكُرُ أُصُولَ السُّنَّةِ وَمَا وَرَدَ مِن الاخْتِلَافِ فِيمَا نَعْتَقِدُهُ فِيمَا خَالَفْنَا فِيهِ أَهْلَ الزَّيْغِ، وَمَا وَافَقْنَا فِيهِ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ مِنَ الْمُثْبِتَةِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

الشَّرْح

ما زال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينقل عن ابن خفيف في كتابه الذي ألفه في العقيدة، يقول ابن خفيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَسَنَذْكُرُ أُصُولَ السُّنَّةِ)، سنذكر أصول أهل السنة والجماعة. والأصول: جمع أصل، وهو ما يُبنى عليه غيره[1]، والفرع: ما يُبنى على غيره، أصول اعتقاد أهل السنة هي الدعائم التي تُبنى عليها العقيدة، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، تُسمى أصول الإيمان، وتُسمى أركان الإيمان، والمعنى واحد، وأولها: الإيمان بالله، ويشمل الإيمان بربوبيته، وأنه الخالق المُحيي المميت المدبر لكل شيء الفعال لما يريد، ويشمل توحيد الألوهية، وهو إفراده بالعبادة التي أمر الله جَلَّ وَعَلَا بها، ويشمل الإيمان بالأسماء والصفات، والقاعدة في ذلك: أننا نثبت ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الأسماء والصفات على حقيقتها، لا نتأولها ولاننفيها -كما تفعل المعطلة-، ولانشبهها بصفات خلقه -كما تفعل المُشبهة والممثلة-، وذلك لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، هذا رد على المُشبهة والممثلة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ رد على المعطلة، فدل على أن إثبات الأسماء والصفات لا يقتضي التمثيل ولا التشبيه؛ لأن أسماء الخالق وصفات الخالق

---

(١) قال ابن فارس في مقاييس اللغة (١/ ١٠٩): «(أَصَلَ) الهَمْزَةُ وَالصَّادُ وَاللَّامُ، ثَلَاثَةُ أُصُولٍ مُتَبَاعِدٍ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، أَحَدُهَا: أَسَاسُ الشَّيْءِ،... فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَالْأَصْلُ أَصْلُ الشَّيْءِ، قَالَ الْكِسَائِيُّ فِي قَوْلِهِمْ: (لَا أَصْلَ لَهُ وَلَا فَصْلَ لَهُ): إِنَّ الْأَصْلَ الحَسَبُ، وَالْفَصْلَ اللِّسَانُ». وانظر مادة (أصل) في: الصحاح (٤/ ١٦٢٣)، ولسان العرب (١١/ ١٦).

لا يُشبهها صفات المخلوقين وأسماء المخلوقين، هذا هو الأصل في هذا الباب، وقد انحرف في هذا الأصل كثير من الفرق الضالة: أوّلها الجهمية، ثم المعتزلة، ثم الأشاعرة والماتريدية... إلى آخره، كلها متفرعة عن مذهب الجهمية، ولكن بعضها أخف من بعض، والسلامة هو اعتقاد ما جاء في الكتاب والسنة وإثباته لله جَلَّ وَعَلَا من غير أن نتدخل بعقولنا وأفكارنا، فليس المدار على الأفكار والعقول، وإنما المدار على ما جاء عن الله ورسوله، هذا هو مرجع أهل السنة والجماعة الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]، فإذا كان يجب الرد إلى الله والرسول في الخصومات -في الأموال، في المنازعات-، فمن باب أولى الرد إلى الله والرسول في أمور العقيدة، أهم شيء؛ لأن الضلال والخطأ في العقيدة خطير جدًّا؛ يكون كفرًا ونفاقًا، وقد يكون ضلالًا وانحرافًا، أما الخطأ في أمور الاجتهاد وأمور الخصومات والأحكام بين الناس، النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ، فَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنِ اجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ**»[1]، أما قضايا العقيدة، فليست مجالاً للاجتهاد أو للأخذ والرد، وإنما أمرها التسليم والانقياد، هذه هي القاعدة في هذا الباب العظيم، وبهذا ينحسم النزاع، وتتألف القلوب، وتصح العقيدة كما كان عليه سلف هذه الأمة الذين ما حصل بينهم اختلاف في العقيدة، ولا استشكلوا الأسماء والصفات؛ يقرؤونها ويثبتونها، ولا حصل عندهم إشكال؛ لأنهم يؤمنون بما جاء عن الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يتدخلون بعقولهم، وإنما حدث هذا في القرون المتأخرة الذين يبنون كلامهم على الأدلة العقلية، والعقول قاصرة لا تحكم على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنما الله جَلَّ وَعَلَا أعلم بنفسه، وأعلم الخلق بعد الله جَلَّ وَعَلَا الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعلماء يتبعون

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٧٤).



الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتبعون الكتاب والسنة، أما من نحا منحى آخر، ولم يثق بالآيات أو بالأحاديث؛ لأنها تخالف قواعده -قواعد أشياخه-، فهذا هو الضلال والانحراف والتكلف والتنطع، الذي ما أنزل الله به من سلطان.

قوله: (أهل الزيغ)، والزيغ: هو الانحراف، قال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ** ﴾ [آل عمران:٧]، يعني: انحراف عن الحق اتباعًا للهوى ﴿ **فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ** ﴾؛ يأخذون المتشابه، ويتركون المحكم ﴿ **ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ** ﴾، وهكذا تجد هذه الفئة أنهم دائمًا يذكرون المتشابه، ويحتجون به، ويقطعونه عن المحكم الذي يفسره ويبينه في آيات الصفات والأحاديث أو في غير ذلك، يحرصون دائمًا على الشواذ وعلى الأمور المحتملة والمجملة، ويتركون الأمور المفصلة والمبينة، قد يكون بعضهم جاهلًا متعالمًا لا يدري، وهذا لا يجوز له أن يتكلم في هذا الباب العظيم، وقد يكون بعضهم -وهم الأكثر- علماء، لكن يقصدون الضلال -والعياذ بالله- والتضليل والفتنة بين الناس، الأمر في هذا خطير.

قوله: (**أَصْحَابَ الْحَدِيثِ مِنَ الْمُثْبِتَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ**)، أصحاب الحديث هم الذين يحتجون بالحديث، يروونه ويحتجون به، ولا يحيدون عنه، أهل الحديث هم الذين يحتجون بما ثبت عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث الصحيحة، وهم أهل الحق، فأهل الحديث هم الفرقة الناجية، التي قال عنها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً. قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»(١)،

---

(١) سبق تخريجه (ص١٧٧).

والذي عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هو ما جاء عنه من السنة الصحيحة الثابتة، هؤلاء هم أهل النجاة والسلامة، وهم الفرقة الناجية، وهم الطائفة المنصورة، وهم أهل السنة والجماعة.





ثُمَّ ذَكَرَ الْخِلافَ فِي الإِمَامَةِ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهَا، وَذَكَرَ اتِّفَاقَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ عَلَى تَقْدِيمِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنَّهُ أَفْضَلُ الأُمَّةِ.

الشَّرْح

قوله: (**ثُمَّ ذَكَرَ الخِلافَ فِي الإِمَامَةِ وَاحْتَجَّ عَلَيْهَا**)، الإمامة: ولاية الأمر بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالناس لابد لهم من الإمامة، لابد من تنصيب الإمام الذي يقيم الحدود، وينظم الجهاد في سبيل الله، ويردع الظالم، وينصر المظلوم، لابد للناس من إمام يقودهم، ويرجعون إليه، ولا يصلحون بدون إمام، ولذلك لما توفي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اهتم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ باختيار الإمام بعده قبل تجهيز الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تركوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجى بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثم اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة يتشاورون من يتولى الأمر بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاختاروا أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو أفضلهم وأعلمهم وأقربهم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي قدمه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي بالناس في مرضه هذا، قدمه يصلي بهم إشارة إلى استخلافه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتمت البيعة له من المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبعد ذلك توجهوا إلى تجهيز الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا مما يدل على الاهتمام بأمر الولاية، وأنها ضرورية من الضروريات؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء:٥٩]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ أَطَاعَ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»(١)، والأحاديث في هذا كثيرة في السمع والطاعة؛ «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (٣٢) (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»[(١)]، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اختاروا أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان اختيارًا موفقًا، فهو أقواهم إيمانًا، وأقواهم سياسة، وهو الذي واجه الحوادث التي ثارت بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحسمها، أولها حروب الردة، ارتد كثير من العرب عن الإسلام الذين إيمانهم ضعيف، قالوا: (لو كان نبيًّا ما مات)، فارتدوا عن الدين -والعياذ بالله-، فانبرى أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقتالهم حتى دحر شوكتهم، وثبت الله به الدين بعد هذه الهزة العنيفة، وقالوا: (نحن نطيع الرسول، ولكن كيف نطيع غير الرسول بعد وفاته؟)، ما نظروا في الأدلة، أو في القرآن والسنة.

أول موقف له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه لما مات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في موته، وارتجوا، واجتمعوا يبكون، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (إن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يمت وإنما ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران وسيرجع)، فجاء أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وكان غائبًا لحظة وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، جاء ودخل على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مسجى، كشف عن وجهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعرف أنه قد مات، وهي مصيبة عظيمة، ولكن الإيمان القوي هو الذي يثبت الإنسان عند المحن والشدائد، ما تضعضع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقوة إيمانه؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشر يموت كما يموت غيره، ولكن الشأن في حفظ الأمر من بعده، فخرج على الناس، وقال: (أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).



وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤])[١]، فعرف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات، لما قرأ عليهم هذه الآية، وانحسم ما كانوا فيه من الارتباك، ثبت الله أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذا الموقف الحرج العظيم، وواجه هذه المهمة بالإيمان القوي والثبات الصادق، فلم يتضعضع؛ لأنه متوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قوي الإيمان، إيمانه لا يهزه شيء، ولايتضعضع؛ ولذلك لما أُسري بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة، وأخبر الناس[٢]، بعض ضعاف الإيمان من المسلمين حصل عنده تشكك، والكفار فرحوا، وقالوا: (أترون الذي تزعمون أنه نبي يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس ورجع في ليلة واحدة، ونحن نضرب أكباد الإبل شهرًا إليه)، فلما لقوا أبا بكر، قالوا: «هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكِ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟ قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٧، ٣٦٦٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ، - قَالَ: إِسْمَاعِيلُ يَعْنِي بِالعَالِيَةِ - فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللهِ، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللهُ المَوْتَتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الحَالِفُ عَلَى رِسْلِكَ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ»، فَحَمِدَ اللهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠]، وَقَالَ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤]، قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ». وانظر: تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٢)، والمنتظم لابن الجوزي (٤/ ٤٣)، والكامل لابن الأثير (٢/ ١٨٧)، والبداية والنهاية (٥/ ٢٤٢).

(٢) قصة الإسراء والمعراج رواها البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٥٩) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَوَقَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِي مَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[1]، تأمّل قوة الإيمان؛ لأنه يصدق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يعتريه شك فيما جاء به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما تضعضع في هذا الأمر، وكذلك في قضية وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك في قضية الردة والهزة التي حصلت وتهديد الكفار والمرتدين للمسلمين ثبت الله أبا بكر الصديق حتى قضى عليها، وثبت الله به الدين بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم عهد إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد وفاته الذي هو أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وساس عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الناس بالقوة والشجاعة والثبات، وجاهد وفتح المشارق والمغارب، ونشر الإسلام، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما حضرته الوفاة، عهد بالأمر إلى الستة الباقين من العشرة المفضلين المشهود لهم بالجنة، عهد بالأمر إليهم يختارون من يرون فيه الكفاية لولاية المسلمين، فاختاروا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الثالث، وهو ثالث الخلفاء الراشدين في الخلافة وفي الفضيلة، صاحب المواقف العظيمة، والإيمان القوي، والإنفاق في سبيل الله، والعبادة العظيمة، والمحافظة على القرآن الكريم من الاختلاف، جمع الناس على القرآن على مصحف واحد، هذا هو موقف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم بعدما قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هاجت الفتنة، واختار المسلمون علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رابع الخلفاء الراشدين، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كُفؤ لها وأهل لها، وهو رابع الخلفاء، ولكن هاجت الفتنة، تفرق الناس، ولم يستطع

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٦٠) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القضاء على هذه الفتنة، وآلت إلى قتله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهيدًا في سبيل الله، وآل الأمر إلى الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سبط رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبقي في الخلافة أشهرًا، ثم لما رأى الفتنة، ورأى أنه سيكون هناك سفك دماء، ويستمر القتال بين المسلمين، تنازل عن الخلافة لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ حسمًا للنزاع، وكفًا للفتنة، وآثر مصلحة المسلمين على مصلحته هو، وتحقق فيه قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»(١)، تحقق هذا في تنازله لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قام معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالأمر خير قيام، وساس الناس، واجتمع الناس، وانقطع دابر الفتنة بقوته وصلابته وسياسته ودهائه، ساس المسلمين، واجتمعت الكلمة؛ ولذا سُمي هذا العام بعام الجماعة، العام الذي تنازل فيه الحسن لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، اجتمع المسلمون بعد فتنة وبعد الاختلاف، وكان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من هو في السياسة والدهاء والقوة، وبذل ذلك في مصالح المسلمين، فالخلافة بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هذا الترتيب.

الشيعة -قبحهم الله- يقولون: (لا، الخلافة بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الوصي بعد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ظلموه، وأخذوا حقه)، يا سبحان الله! إذًا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خائن على هذا؛ لأن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا كان يعلم أنه هو الوصي، كيف يُبايع أبا بكر؟! كيف يُبايع عمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟! كيف يُبايع هؤلاء، وهو يعلم أن الخلافة له؟! كيف يوافق على هذا؟! فهم في الحقيقة خونوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لو كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعلم بهذا، وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يعلمون بهذا، فإنهم لايتعدون ما أوصى به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يوصِ بالخلافة من بعده لأحد، وإنما أعطى إشارات بخلافة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

(١) أخرجه البخاري (٣٦٢٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

منها تقديمه في الصلاة في مرض موت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا فهو ما عهد إلى أحد عهدًا واضحًا، فكلمة الوصاية هذه كلمة مكذوبة، يريدون بها إثارة الفتنة بين المسلمين، هؤلاء الشيعة.

الخوارج -أيضًا- هم الآخرون الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلى من بعده من الأمراء، وسفكوا الدماء، وشقوا عصا المسلمين، وصاروا يقتلون أهل الإيمان، ويدعون أهل الأوثان؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)]، فهم أهل شقاق وأهل فتنة، ولكن -الحمد لله- لم تقم لهم قائمة، ولم ينالوا خيرًا في مختلف العصور، ما نالوا إلا الخيبة والخسارة، والمسلمون لا يزالون بخير -ولله الحمد-، ولا يزال الإسلام -ولله الحمد- ثابتًا، ولم ينالوا خيرًا في كل محاولاتهم وكل ثوراتهم.

هذا ملخّص لمبدأ الإمامة في الإسلام؛ فالإمامة في الإسلام عند أهل السنة والجماعة هي طاعة من يتولى الأمر من المسلمين، سواءً كان من أهل البيت أو من غيرهم؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩] (منكم): هذا عام في جميع من تولى الأمر من المسلمين، ولم يخص أهل البيت -كما تقول الشيعة-، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**»[(٢)]، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصرح من هذا يقول: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا**»[(٣)]، ما قال السمع والطاعة بشرط أن تكون لأهل البيت -كما تقوله الشيعة-، بل قال:

---

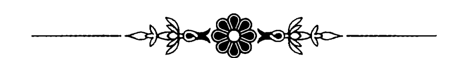
(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (ص٦١٨).

(٣) سبق تخريجه (ص٣١).

«اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[(١)]، هذا مبدأ الإمامة وولاية الأمر في الإسلام.

قوله: (وَذَكَرَ اتِّفَاقَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ عَلَى تَقْدِيمِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ الأُمَّةِ)، اختاروا الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو خير الأمة وأفضلها بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تحقق فيه ما أمله المسلمون، تحقق فيه الخير الكثير.



(١) أخرجه البخاري (٧١٤٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ الاخْتِلَافُ فِي خَلْقِ الأَفْعَالِ: هَلْ هِيَ مُقَدَّرَةٌ أَمْ لَا؟ قَالَ: وَقَوْلُنَا فِيهَا: إِنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مُقَدَّرَةٌ مَعْلُومَةٌ. وَذَكَرَ إِثْبَاتَ الْقَدَرِ.

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ الاخْتِلَافُ فِي خَلْقِ الأَفْعَالِ: هَلْ هِيَ مُقَدَّرَةٌ أَمْ لَا؟)، كذلك من الاختلاف الذي حصل ظهور القدرية في آخر عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ظهر معبد الجهني[1] يُنكر القدر، ويقول: (إن الله لم يُقدر أفعال العباد، وإنما هم الذي يخلقون أفعالهم استقلالًا، وليست بمشيئة الله وإرادته، وإنما هي بمشيئتهم وإرادتهم وخلقهم هم)، هكذا تقول القدرية، سُموا بالقدرية؛ لأنهم ينفون القدر، والإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْإِيمانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[2]، بمعنى: أن الله قدر الخير والشر، فإن الله علم ما كان وما يكون في علمه الأزلي سبحانه، ثم كتب هذا في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة[3]، ثم إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يوجد الأشياء

---

(١) معبد بن خالد الجهني، وهو أول من تكلم في القدر، قال الحسن البصري: إياكم ومعبدًا فإنه ضال مضل. وكان ممن خرج مع ابن الأشعث فعاقبه الحجاج عقوبة عظيمة بأنواع العذاب ثم قتله، وقال سعيد بن عفير: بل صلبه عبد الملك بن مروان في سنة ثمانين بدمشق ثم قتله. وقال خليفة بن خياط: مات قبل التسعين. وقيل: إن الأقرب قتل عبد الملك له. فالله أعلم. انظر ترجمته في تاريخ دمشق(٥٩/ ٣١٢)، والعبر(١/ ٩٢)، والبداية والنهاية(٩/ ٣٤)، والنجوم الزاهرة (١/ ٢٠٦)، وشذرات الذهب (١/ ٨٨).

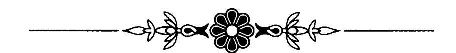
(٢) أخرجه مسلم (٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٦) (٢٦٥٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**».

بمشيئته وإرادته في أوقاتها التي حددها الله لها، لا يتخلف شيء عن وقته المحدد، فما يجري وما يحدث إنما هو من قضاء الله وقدره، ومن ذلك الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، والصلاح والفساد، فالقدرية ينفون القدر، وينكرون الأصل السادس من أصول الإيمان، تقابلهم الجبرية، وهم الجهم بن صفوان ومن تبعه، يغلون في إثبات القدر، هؤلاء ينفون القدر، وهؤلاء يغلون في إثباته حتى جردوا العبد من الإرادة والمشيئة، وجعلوه كالخشبة أو كالحجر ليس له إرادة أو مشيئة، وأنه مجبر على أفعاله، فهم مع القدرية على طرفي نقيض، أما أهل السنة والجماعة، فيقولون: (كل شيء بقضاء الله وقدره)؛ خلافًا للقدرية، (ولكن العبد له مشيئة واختيار وقدرة)؛ خلافًا للجبرية؛ جمع بين الأدلة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨، ٢٩]، ففي قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ رد على الجبرية الذين ينفون مشيئة العبد، ثم قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ رد على القدرية الذين ينفون مشيئة الله، ويجعلون المشيئة للعبد استقلالًا، هذا مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة القضاء والقدر.

قوله: (هَلْ هِيَ مُقَدَّرَةٌ)؛ كما تقوله أهل السنة والجماعة، وكما تدل عليه الأدلة، (أَمْ لَا؟)؛ كما تقوله القدرية.

قوله: (قَالَ: وَقَوْلُنَا فِيهَا: إِنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مُقَدَّرَةٌ مَعْلُومَةٌ وَذَكَرَ إِثْبَاتَ الْقَدَرِ)، قوله: (مُقَدَّرَةٌ مَعْلُومَةٌ) لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مقدرة من عنده، وهي بعد علمه بها سبحانه مقدرة، كتبها في اللوح المحفوظ، وأجلها بآجال توجد في أوقاتها.



ثُمَّ ذَكَرَ الْخِلافَ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ وَمَسْأَلَةَ (الأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ)، وَقَالَ: قَوْلُنَا إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ عَلَى الإِطْلاَقِ، وَأَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ.

وَقَالَ: أَصْلُ الإِيمَانِ مَوْهِبَةٌ يَتَوَلَّدُ مِنْهَا أَفْعَالُ الْعِبَادِ، فَيَكُونُ أَصْلُهُ التَّصْدِيقُ وَالإِقْرَارُ وَالأَعْمَالُ.

وَذَكَرَ الْخِلافَ فِي زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، وَقَالَ: قَوْلُنَا أَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ ذَكَرَ الخِلافَ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ)، كذلك من المسائل التي جرى بها الخلاف أهل الكبائر من المسلمين الذين لا يشركون بالله شيئًا، ولكن يرتكبون شيئًا من الكبائر -كالزنا والسرقة وشرب الخمر، وأكل الربا وما أشبه ذلك-، فحصل الخلاف، أهل السنة والجماعة يرون أن مرتكب الكبيرة التي دون الشرك ليس بكافر؛ كما تقوله الخوارج، الخوارج يُكفرون مرتكب الكبيرة، ويخلدونه في النار إذا مات ولم يتب، المرجئة على العكس، يقولون: (لا تضر المعاصي -لا الكبائر، ولاالصغائر، ولاشيء- ما دام أن الإنسان مؤمن بقلبه، موقن بقلبه، ومهما فعل من الذنوب والمعاصي، فهو مؤمن كامل الإيمان، فالمعاصي لا تنقص الإيمان؛ لأن الإيمان بالقلب، وهو لا يزيد ولا ينقص)؛ كما يقولون، هذا مذهب المرجئة، وهو مذهب خبيث، يفتح الباب لكل شهواني وكل منحرف وكل فاسق أن يفعل ما يشاء، وهو مؤمن كامل الإيمان عند المرجئة -نسأل الله العافية-، بينما الخوارج على العكس، يقولون: (إنه كافر، ما عنده إيمان أصلًا، فهو كافر مخلد في النار)، أهل السنة والجماعة توسطوا، فقالوا: (مرتكب الكبيرة مؤمن -خلافًا للخوارج الذين

يقولون: إنه كافر-، ولكنه ناقص الإيمان -خلافًا للمرجئة الذين يقولون: إنه كامل الإيمان-، فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو هو مؤمن ناقص الإيمان، فيُعطى مطلق الإيمان -أي: الإيمان الناقص-، لا الإيمان المطلق -أي: الكامل-، وإذا مات، فإنه لا يُخلد في النار)، المرجئة يقولون: (ما يدخل النار أصلًا؛ لأنه مؤمن)، الخوارج يقولون: (يدخل النار، ولا يخرج منها)، أهل السنة يقولون: (إنه تحت المشيئة، إذا مات وهو على الكبائر، فهو تحت مشيئة الله؛ إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه، ثم يدخله الجنة بإيمانه وتوحيده، وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨])، هذا مذهب أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة من المسلمين، فالخوارج يقولون: (كافر)، والمرجئة يقولون: (كامل الإيمان، ما عنده نقص في الإيمان، وما يدخل النار ما دام أنه مؤمن)، ففتحوا المجال لكل خبيث وكل شرير، وأعطوه الأمان، وأولئك -والعياذ بالله- قنَّطوه من رحمة الله، وألغوا ما عنده من التوحيد والعقيدة -نسأل الله العافية-، وخالفوا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

وفهم هذه المسألة مهم جدًّا؛ لأنها مزلة ومضلة أفهام، فالعناية بها ومعرفتها مهم جدًّا، بين الإفراط والتفريط، بين الغلو والتساهل، بين الغلو والجفاء، هذا دين الإسلام الوسط في كل شيء، وفي هذه المسألة بالذات مسألة أصحاب الكبائر من المؤمنين.

ونقول: لو كان مرتكب الكبيرة كافرًا، فلماذا يُقام عليه الحد؟ لماذا يُرجم الزاني أو يُجلد؟ لماذا تُقطع يد السارق؟ لو كان كافرًا، كان يُقتل مباشرة، فإقامة الحدود عليهم دليل على أنهم مسلمون، وليسوا كفارًا، الحدود ما تُقام على الكفار،

وإنما تُقام على المسلمين الذين يحصل منهم ما يوجب الحد؛ تطهيرًا لهم، وردعًا لهم لعلهم يتوبون.

قوله: (وَمَسْأَلَةَ: الأَسْمَاءِ وَالأَحْكَامِ)؛ هل مرتكب الكبيرة يُسمى كافرًا، أو يسمى مؤمنًا كامل الإيمان، أو يُسمى مؤمنًا ناقص الإيمان؟ هذه الأسماء والأحكام، الحكم عليه هل هو كافر؟ هل هو مؤمن كامل الإيمان؟ هل هو مؤمن ناقص الإيمان؟ هذه الأسماء والأحكام.

قوله: (وَقَالَ: قَوْلُنَا إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَأَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ)، قوله: (قَوْلُنَا) أي: أهل السنة والجماعة: (إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ)، وإن كانوا يرتكبون الكبائر، ذلك لا يخرجهم من الإيمان، يبقى معهم إيمان ولو قليل، فارتكابهم للكبيرة إذا لم يستحلوها، أما من استحل الحرام، فإنه يكفر، ولكن إذا ارتكبوها وهم لم يستحلوها، وإنما هو بدافع الشهوة، وضعف الإيمان، وهم خجلون -أيضًا-، الآن تجد المؤمن إذا وقع في جريمة، تجده يستحيي ويستخفي، ودائمًا هو منكسر القلب، ودائمًا هو ذليل، العصاة من المؤمنين تجدهم ذليلين؛ لأنهم يخجلون من ذنبوهم ومعاصيهم، وهذا دليل على إيمانهم، أما إذا كانوا كفارًا -كما تقوله الخوارج-، فما يبالون، بل يفتخرون ويجاهرون، فكونهم ينكسرون ويذلون هذا دليل على إيمانهم، وأنهم يعرفون أنهم قد أخطؤوا، ويخافون من ذنوبهم.

قوله: (مؤمنون عَلَى الإِطْلَاقِ)، يعني: معهم مطلق الإيمان، لا الإيمان المطلق، الإيمان المطلق: هو الإيمان الكامل، أما مطلق الإيمان، فهو: الإيمان الناقص.

قوله: (وَأَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ)؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

قوله: (وَقَالَ: أَصْلُ الإِيمَانِ مَوْهِبَةٌ يَتَوَلَّدُ مِنْهَا أَفْعَالُ الْعِبَادِ)، أصل الإيمان في القلب بلا شك، وهو التصديق الجازم، الإيمان في اللغة هو: التصديق الجازم الذي لايعتريه شيء[1]، أما الإيمان في الشرع، فليس هو التصديق فقط، وإنما هو التصديق بالقلب، والنطق باللسان، والعمل بالجوارح[2]. هذا هو الإيمان في الشرع، الحقائق عند الأصوليين ثلاث: لغوية، أو شرعية، أو عرفية. فالإيمان في تعريفه عند أهل السنة والجماعة هذا تعرف شرعي، حقيقة شرعية مثل الصلاة، الصلاة في اللغة الدعاء، أما الصلاة في الشرع، فهي العبادة المعروفة المبتدأة بالتكبير المختتمة بالتسليم، هذه حقيقة شرعية، ليست حقيقة لغوية، وإنما هي حقيقة شرعية، وهكذا.

قوله: (فَيَكُونُ أَصْلُهُ التَّصْدِيقُ والإِقْرَارُ والأَعْمَالُ)، الإيمان هو: الإقرار باللسان -يعني: النطق باللسان-، والتصديق بالقلب، والعمل بالجوارح. هذا تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

قوله: (التَّصْدِيقُ والإِقْرَارُ والإِعْمَالُ)، هذا هو الإيمان ثلاثة أمور:

* التصديق بالقلب.
* والإقرار باللسان.
* والعمل بالجوارح.

هذا تعريف الإيمان، ولقد صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا.

---

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٢١)، ومقاييس اللغة (١/ ١٣٣)، ومختار الصحاح (ص١١)، والنهاية في غريب الحديث (١/ ٦٩). وانظر مبحث في معنى الإيمان في اللغة في: كتاب الإيمان الأوسط (ص٧٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية، والإيمان الكبير (ص٢٧٥ وما بعدها).

(٢) انظر: لمعة الاعتقاد (ص٢٣)، ومجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص٨٤).

قوله: (وَذَكَرَ الخِلافَ فِي زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ)، الخوارج يقولون: (ليس عنده إيمان أصلًا)، المرجئة يقولون: (هو مؤمن كامل الإيمان، ولا ينقص بالمعاصي مهما عمل)، أهل السنة والجماعة يقولون: (هو مؤمن ناقص الإيمان، والإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١]، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢])، هذا دليل على أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، حتى يصير أضعف شيء، ولهذا في الحديث: «**انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(١)، هذا دليل على نقص الإيمان، وأنه يكون في ميزان الخردلة، والنبي ﷺ يقول: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(٢)، فدل على أن هناك إيمانًا ضعيفًا، أن الإيمان يكون ضعيفًا، يعني: ناقصًا، قال ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ- شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(٣)، فدل على أن للإيمان أعلى وأدنى، هذا هو الزيادة والنقص.

قوله: (وَقَالَ: قَوْلُنَا أَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ)، قول أهل السنة والجماعة أنه يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهذا مأخوذ من الأدلة، وليس إيمان الناس سواء.



---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (٣٢٦) (١٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه (ص٣٩٠).

(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، واللفظ لمسلم، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قَالَ: ثُمَّ كَانَ الاخْتِلَافُ فِي الْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَقَوْلنَا وَقَوْلُ أَئِمَّتِنَا: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَنَّهُ صِفَةٌ لِلهِ، مِنْهُ بَدَأَ قَوْلًا، وَإِلَيْهِ يَعُودُ حُكْمًا.

الشَّرح

قوله: (قَالَ: ثُمَّ كَانَ الاخْتِلَافُ فِي الْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ)، الكلام على القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق فرع عن كلام في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عمومًا، هل الله جَلَّ وَعَلَا يوصف بأنه يتكلم أو لا؟ فإذا وصف بأنه يتكلم، فإن القرآن من كلام الله عَزَّ وَجَلَّ، فأهل السنة والجماعة قاطبة على أن الله جَلَّ وَعَلَا يوصف بأنه يتكلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكلام حقيقي يُسمع، ويسمعه من يشاء من عباده، يسمعه جبريل أمين الوحي، وسمعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كلمه الله من غير واسطة؛ ولذلك يُسمى كليم الله، خصه الله من بين الرسل بهذه الميزة؛ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، كلمه ربه، وكلم نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج، فرض عليه الصلوات الخمس بكلام سمعه منه نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الحق أن الله يوصف بأنه يتكلم تكلمًا حقيقيًّا، فهو من صفات أفعاله سبحانه، الكلام من صفات الأفعال التي يفعلها الله متى شاء؛ مثل: النزول والاستواء والخلق والرزق، تكلم في الماضي، ويتكلم في المستقبل، ويتكلم متى شاء، يأمر وينهى، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، فهو يتكلم متى شاء بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكل هذه المخلوقات وهذه الموجودات إنما نشأت بأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بأمره؛ ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، فكلام الله ليس له حد، لا بداية ولا نهاية، هو تابع لذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكما أن الله موصوف بأنه لا بداية له ولا نهاية، فكذلك كلامه لا بداية له ولا نهاية، تابع لذاته، هو يتكلم متى

شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كعلمه وقدرته وإرادته ومشيئته، كل صفاته كذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أزلية أبدية؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، كلام الله لا ينتهي، وليس له حد؛ لأنه يفعل ما يشاء، ويتكلم بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكل مخلوقاته بكلامه، ووحيه جَلَّ وَعَلَا إلى رسله بكلامه، ينزل به جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، يتكلم بالوحي ثم ينزل به جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى من أُوحي إليه من الرسل، فلا نهاية لكلام الله، ولا بداية له؛ كما أن ذاته لا بداية لها ولا نهاية، كذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧]، وفي الآية التي سبقت ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، فكلامه لا يتناهى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

وذهبت الجهمية والمعتزلة إلى خلاف مذهب أهل السنة والجماعة، فقالوا: (إن الله لا يتكلم، ولا يوصف بالكلام)؛ جريًا على مذهبهم الخبيث من أن إثبات الكلام يقتضي التشبيه بالمخلوقات؛ كما أن وصفه بالصفات يقتضي تشبيهه بالمخلوقات، فلذلك شبهوا على الناس، وقالوا: (إنه لا يتكلم من باب التنزيه له - بزعمهم- عن مشابهة المخلوقات)، فالله عندهم لا يتكلم، وإنما هذا الكلام مخلوق، خلقه الله كسائر مخلوقاته، خلقه إما في اللوح المحفوظ، وإما في جبريل، وإما في محمد، خلقه سبحانه لفظًا ومعنىً، هذا قول الجهمية، وتبعهم عليه المعتزلة قاطبة، والشيعة الزيدية والشيعة الجعفرية، كلهم على هذا المذهب الخبيث من أن كلام الله مخلوق، ومنه القرآن، فهو مخلوق لفظًا ومعنىً.

وذهب الأشاعرة والكلابية[(١)] والماتريدية إلى أن الكلام على قسمين:

* معنى الكلام، معناه هذا غير مخلوق، هذا قائم بالذات الإلهية معنىً قائم بالذات.

* أما لفظ الكلام وحروفه، فهي مخلوقة.

فكلام الله يتكون من شيئين: شيء غير مخلوق، وهو المعنى، وشيء مخلوق وهو اللفظ والحروف، فهذا القرآن الذي معنا ليس هو كلام الله عند الأشاعرة، وإنما هو عبارة عن كلام الله، أو حكاية عن كلام الله، عن المعنى القائم بالنفس الإلهية، عبر به جبريل أو محمد، أو حكاه عن المعنى القائم بالذات الإلهية، فعندهم كلام الله والقرآن من جهة المعنى غير مخلوق، ومن جهة الألفاظ مخلوق، فهذا الذي في المصاحف عندهم مخلوق، وهو عبارة أو حكاية عن كلام الله، وهذا من الخلط العجيب، فلا هم مع الجهمية، ولا هم مع أهل السنة، فهذا خلط عجيب، لا يتصور أبدًا، وإنما هو من جنس قول النصارى: (إن المسيح مكون من الرب ومن العبد، اتحاد اللاهوت بالناسوت، يتكون من شيئين: ناحية ربانية، وناحية بشرية)، كذلك القرآن عند الأشاعرة هكذا يتكون من شيء رباني وشيء بشري، فهم شابهوا النصارى في هذا الكلام المختلط العجيب.

فمذهب أهل السنة والجماعة هو الحق، والذي لا يتكلم لا يكون إلهًا، يكون ناقصًا، ولهذا قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ

---

(١) هم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب البصري، رأس المتكلمين، قال بنفي الصفات الاختيارية لله تعالى، وابتدع بدعة القول بالكلام النفسي، وأن القرآن خُلق ليدل على ذلك المعنى، وإنما هو حكاية عن كلام الله تعالى، وأن الله تعالى لا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت. وهو الذي تأثر بمذهبه الأشعري ومن تابعه. تُوُفِّيَ سنة ٢٤٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤)، والفتاوى (١٢/ ١٢٠).

وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم:٤٢]، فكما أنه يسمع ويبصر، فهو يتكلم؛ كما في قوله تعالى في بني إسرائيل لما اتخذوا العجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٨]، وكما في قوله تعالى في سورة طه، أنهم لما اتخذوا العجل أنهم اتخذوا من لا يتكلم، ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه:٨٩]، ﴿أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾، يعني: لا يتكلم، ولا يسمعهم إذا كلموه، ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ ﴾ [فاطر:١٤]، فهو جماد، هذا العجل جماد منحوت من الذهب، هم الذين صنعوه، صنعه السامري، ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه:٨٩]، ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف:١٤٨]، فكيف يكون إلهًا، وهو لايكلم، ولا يأمر، ولا ينهى ولا يدبر؟!! فدل على أن نفي الكلام عن الله نفي لإلهيته وربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن في القرآن أن الذي لا يتكلم، ولا يرد القول أنه ليس برب ولا إله، مع ما جاء في الأدلة الكثيرة المفصلة في إثبات الكلام؛ كما في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٦]، ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ [البقرة:٧٥]، إلى غير ذلك، فنسبة الكلام إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نسبة حقيقية، ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح:١٥]، وهكذا، فالله أثبت الكلام لنفسه، أضافه إلى نفسه إضافة حقيقية كإضافة سمعه وبصره وحياته وإرادته وخلقه؛ فإثبات الكلام لله هذا أمر قطعي بالكتاب والسنة وبالفطرة والعقل، بإجماع المسلمين وإجماع الرسل -عليهم الصلاة والسلام.

ومن طريف ما يُحكى عن هؤلاء: أن واحدًا منهم اجتمع عند السلطان مع واحد من الحنابلة، فقال ذلك الرجل للحنبلي: يا حنبلي، ماذا تقول إذا قال لك الله: من أين أخذت أني أتكلّم؟ ما دليلك على أني أتكلم؟ قال: أقول يا رب، ها أنت ذا

تتكلم الآن. فخصمه من حيث لا يدري، من أين أخذت أني أتكلم؟ قال: أقول أنت الآن تتكلم. فالحقيقة أنهم -والعياذ بالله- ضحك منهم الشيطان، ولعب بعقولهم، واستفزهم حتى اعتقدوا هذا المعتقد الباطل، ونفوا عن الله جَلَّوَعَلَا أعظم صفاته، والله جَلَّوَعَلَا فرق بين الخلق والأمر، قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فلو كان الكلام خلقًا، لِمَ فرق بينهما؟ فالأمر كلام والخلق خلق، الله فرق بينهما، قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، والأمر: هو الكلام الذي يأمر الله به، وينهى، ويخاطب، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، ففرق بين الخلق والأمر، وهؤلاء لا يفرقون بينهما.

قوله: (**فَقَوْلنَا وَقَوْلُ أَئِمَّتِنَا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَنَّهُ صِفَةٌ للهِ مِنْهُ بَدَأَ قَوْلًا، وَإِلَيْهِ يَعُودُ حُكْمًا**)، وهذه المسألة -القول بخلق القرآن- لما ظهر المعتزلة والجهمية في عصر المأمون والمعتصم والواثق، أرادوا أن يلزموا الناس بذلك -بالقول بخلق القرآن-، امتحنوا أئمة أهل السنة؛ ليلزموهم بالقول بخلق القرآن، فمنهم من تأول وأجاب، ومنهم من قُتل، ومنهم من صبر، وهو الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه صبر على المحنة وعلى الضرب والتعذيب، وأبى أن يقول بخلق القرآن، وتوالى عليه التعذيب والامتحان في زمن الخلفاء الثلاثة: المأمون والمعتصم والواثق، وهو كالجبل الشامخ صابر على المحنة على الضرب وعلى التعذيب، حتى نصره الله عليهم، وكان الذي يحرض عليه هو بشر بن غياث المريسي، الذي هو محظي عند المأمون، وابن أبي دؤاد الذي يعدونه قاضي القضاة، هذان الرجلان ابن أبي دؤاد وبشر المريسي هما اللذان تحملوا وزر تعذيب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بل أفتوا بقتله، ولكن الخليفة لم يتجرأ على قتله، لم يتجاسر على قتله، وإلا فقد قالوا له: اقتله ونحن نتحمله.

أهل السنة والجماعة يقولون: كما أن كلام الله غير مخلوق، فالقرآن غير مخلوق، بل هو تنزيل من الله نزله، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [السجدة:٢]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [النساء:١٠٥]، القرآن منزل غير مخلوق (مِنْهُ بَدَأَ)، يعني: تكلم الله به، ولم يخلقه في غيره -كما تقوله الجهمية والأشاعرة ومشتقاتهم-، منه بدأ سبحانه، تكلم الله به وحيًا.

(وَإِلَيْهِ يَعُودُ) في آخر الزمان حين يُرفع؛ كما جاءت بذلك الأحاديث أن القرآن في آخر الزمان يُرفع من الصدور ومن المصاحف، فلا يبقى منه شيء، وذلك عند خراب الدنيا وقيام الساعة[(١)].



(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَدْرُسُ الْإِسْلَامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لَا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ -الشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالْعَجُوزُ-، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا. فَقَالَ لَهُ صِلَةُ: مَا تُغْنِي عَنْهُمْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَهُمْ لَا يَدْرُونَ مَا صَلَاةٌ، وَلَا صِيَامٌ، وَلَا نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ؟! فَأَعْرَضَ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ رَدَّهَا عَلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يُعْرِضُ عَنْهُ حُذَيْفَةُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَالَ: يَا صِلَةُ، تُنْجِيهِمْ مِنَ النَّارِ، ثَلَاثًا».

ثُمَّ ذَكَرَ الْخِلافَ فِي الرُّؤْيَةِ، وَقَالَ: قَوْلُنَا وَقَوْلُ أَئِمَّتِنَا فِيمَا نَعْتَقِدُ: أَنَّ اللهَ يُرَى فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَذَكَرَ الْحُجَّةَ.

الشَّرْح

قوله: (ثُمَّ ذَكَرَ الخِلافَ فِي الرُّؤْيَةِ)، الرؤية: رؤية المؤمنين لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأهل السنة والجماعة متفقون ومجمعون على أن الله يُرى في الآخرة، رؤية حقيقية بالأبصار معاينة، لا لبس فيها، وذلك أن الله يُكرم المؤمنين، فيتجلى لهم، ويرونه عيانًا، ويخاطبهم ويخاطبونه، ويتلذذون برؤيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ كما أنهم آمنوا به في الدنيا، ولم يروه، وإنما آمنوا به في الغيب، صدقوا الرسل، واستدلوا بآياته الكونية عليه سبحانه، وأن هذه المخلوقات ليست عبثًا، وإنما لها خالق ومدبر، فهي لم تخلق نفسها، ولم تـدبر نفسها، وإنما لها خالق أوجدها ودبرها؛ ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران:١٩١]، يتفكرون، فآياته الكونية وآياته القرآنية تدل عليه؛ ولذلك آمنوا به إيمانًا صادقًا يقينًا لا يعتريه شك، فلما آمنوا به في الدنيا، وهم لم يروه، جازاهم الله في الآخرة، فتجلى لهم علانية ليروه سبحانه، وتقر أعينهم وليكرمهم بذلك، أما الكفار، فلما لم يؤمنوا به في هذه الدنيا، فإن الله يحجبهم عن رؤيته يوم القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، فلا يرونه، ويحرمون من رؤية ربهم يوم القيامة جزاءً لكفرهم وجحدهم لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالرؤية ثابتة بالقرآن في آيات، وفي السنة المتواترة؛ القرآن كما في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، الحسنى: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ؛ كما في صحيح مسلم[1]، وكما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١).

﴿نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣]، ﴿نَّاضِرَةٌ﴾، الأولى بالضاد من النضرة والبهاء، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ بالظاء، ناظرة بالأعيان، يرون ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكما في قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]، والمزيد: هو رؤيتهم لله عَزَّوَجَلَّ.

وأما السنة، فكثيرة، منها: الحديث الصحيح الذي في الصحيحين: «قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: **هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ...**»(١)، «**لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»، أو «**لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٢)، فهم يرونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والأحاديث في هذا متواترة(٣).

وذهب المعتزلة إلى نفي الرؤية، قالوا: (إن الله لا يُرى)، وشبهتهم: أن الله قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]، قالوا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾، يعني: لا تراه. وهذا باطل؛ لأن الله لم يقل: لا تراه الأبصار، وإنما قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾، ونفي الإدراك يدل على الرؤية، يدل على أنها تراه، ولكنها لا تدركه، يعني لا تحيط به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإن رأته، فهي لا تدركه، يعني لا تحيط به، فأنت ترى الشيء في هذه الدنيا، ولا تحيط به، مثلًا: الشمس أنت تراها، ولكن هل تحيط بحدودها وحجمها، لا تستطيع هذا، فنفي الإدراك

---

(١) سبق تخريجه (ص٤١١).

(٢) سبق تخريجه (ص٤١١).

(٣) أحاديث الرؤية متواترة كما ذكر هذا عدد من أهل العلم، منهم العلامة ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص ١٥٨-١٦٠)، وانظر: صحيح البخاري (٥٧٣)، ومسلم (٦٢٩) (١٨٠)، (٢٩٧) (١٨١)، (٢٩٨) (١٨٢).



غير نفي الرؤية، بل إن نفي الإدراك يلزم منه إثبات الرؤية، فهي رؤية بلا إدراك، يعني: بلاإحاطة، وليس فيها -ولله الحمد- مستمسك لهم، وإنما هي إلى إثبات الرؤية أقرب.

ويقولون: (في سورة القيامة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، «إلى» نعمة، أي: ناظرة إلى نعمه، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ من الآلاء، وهي النعم)، فنقول لهم: لا، «إلى» حرف جر، وليست «إلى» اسمًا، وإنما هي حرف جر من حروف الجر، والنظر إذا عُدي بـ«إلى» -نظرت إلى كذا، نظرت إلى القمر، نظرت إلى الشمس-، معناه المعاينة بالأبصار، فـ«إلى» لم يقل أحد: إنها اسم أبدًا، والآلاء لا تُجمع بـ«إلى» أبدًا، ليس هذا في لغة من اللغات، آلاء الله لا تُجمع على «إلى»، هذا من المحاولة اليائسة، فليس لهم مستند، إنما هي شبهات وتحكيم آراء وعقول، فآل بهم الأمر إلى هذا الانحطاط -والعياذ بالله-، فلذلك يحرمهم الله من رؤيته يوم القيامة.

عرفنا أن أهل السنة يقولون برؤية الله بالمعاينة بالأبصار، وهي حقيقية، والمعتزلة ينفون الرؤية مطلقًا، الأشاعرة يقولون: (يُرى، ولكن ليست له جهة)، وهذا باطل؛ لأن الشيء إذا رُئي، لابد أن يكون في جهة، ليس هناك شيء يُرى، وهو ليس في جهة، هذا من المستحيل، هم يقولون: (يُرى، ولكن ليس في جهة)؛ لينفوا عنه جهة العلو، وهذا باطل ومستحيل أن الشيء يُرى وهو ليس في جهة.

قوله: (**وَقَالَ: قَوْلُنَا وَقَوْلُ أَئِمَّتِنَا فِيمَا نَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ يُرَى فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَذَكَرَ الْحُجَّةَ**)، أما في الدنيا، فإن الله لا يُرى، ولا أحد يراه حتى يموت؛ لأن الناس لايستطيعون رؤية الله عَزَّوَجَلَّ؛ لضعفهم وضعف مداركهم وقواهم، فلايستطيعون رؤية الله في هذه الدنيا؛ ولهذا لما سأل موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه، قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ

﴿أَنظُرْ إِلَيْكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣]، فالجبل اندك، لما تجلى له ربه، اندك وصار ترابًا، فكيف بجسم الآدمي لو تجلى له الله في هذه الدنيا ماذا يكون؟ فالله أرى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه لن يراه، لن يستطيع رؤية الله في هذه الدنيا، فالله لا يُرى في هذه الدنيا، وإنما يؤمن به الإيمان بالغيب؛ لأن الناس لا يرونه في هذه الدنيا، لا يستطيعون، أما في الآخرة، فإن الله يعطيهم قوة يستطيعون بها رؤيته، فأهل الجنة لهم أجسام ولهم قوة ليست لهم في هذه الدنيا، يعطيهم الله قوة، ويعطيهم أجسامًا غير ما هم فيه في هذه الدنيا، فيستطيعون رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، فأمور الآخرة غير أمور الدنيا، وإنما اختلف العلماء: هل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى ربه ليلة المعراج أو لم يره؟ فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا والجمهور على أنه لم يَرَ ربه، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: إنه رأى ربه معاينة ليلة المعراج[1]. ولكن الصحيح ما ذهب إليه الجمهور؛ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يَرَ ربه ليلة المعراج ببصره، وإنما رآه بقلبه[2]، رؤية قلبية لا رؤية بصرية، ولهذا لما سُئل: هل رأيت ربك؟ قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟!**»[3]، يعني: حجابه النور، ما يرى الله؛ لأن حجابه النور، ما يستطيع أن يراه، «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟!**»، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفى أنه رأى ربه.



---

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٦) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء:٦٠] قَالَ: «هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ [الإسراء:٦٠]: شَجَرَةُ الزَّقُّومِ».

(٢) وهو مروي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رواه مسلم (٢٨٤) (١٧٦). وانظر: زاد المعاد (١/ ٧٩).

(٣) سبق تخريجه (ص٤٥٥).

ثُمَّ قَالَ: وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنِّي ذَكَرْتُ أَحْكَامَ الاخْتِلَافِ عَلَى مَا وَرَدَ مِنْ تَرْتِيبِ الْمُحَدِّثِينَ فِي كُلِّ الأَزْمِنَةِ، وَقَدْ بَدَأْتُ أَنْ أَذْكُرَ أَحْكَامَ الْجُمَلِ مِنَ الْعُقُودِ، فَنَقُولُ وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَهُ عَرْشٌ، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ بِكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، وَلا نَقُولُ: إِنَّهُ فِي الأَرْضِ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ؛ لأَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَجْرِي عَلَى عِبَادِهِ.

الشَّرح

قوله: (**ثُمَّ قَالَ: وَاعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنِّي ذَكَرْتُ أَحْكَامَ الاخْتِلَافِ عَلَى مَا وَرَدَ مِنْ تَرْتِيبِ الْمُحَدِّثِينَ فِي كُلِّ الأَزْمِنَةِ**)، على (تَرْتِيبِ الْمُحَدِّثِينَ) في أبواب العقيدة.

قوله: (**وَقَدْ بَدَأْتُ أَنْ أَذْكُرَ أَحْكَامَ الْجُمَلِ مِنَ الْعُقُودِ**)، يعني: بقيت مسائل غير هذه المسائل التي مرت سيفصلها، وهي تابعة للمسائل التي مرت.

قوله: (**فَنَقُولُ وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لَهُ عَرْشٌ**)، الله جَلَّوَعَلَا له عرش، والعرش: هو السرير، سرير الملك يُسمى بالعرش؛ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل:٢٣]، يعني: بلقيس لها عرش عظيم، فالعرش: هو سرير المُلك الذي يجلس عليه الملك[1]، هذا بالنسبة للمخلوقين يُقال له: عرش، وأما عرش الله عَزَّوَجَلَّ، فهو عرش عظيم ليس كعروش الملوك، إنما هو عرش عظيم، وهو غير الكرسي، هو أوسع وأعظم من الكرسي، وهو أعظم المخلوقات، وهو محل استواء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان:٥٩]، فهو مخلوق عظيم هو أعظم المخلوقات، وهو سقف المخلوقات، ليس فوقه شيء من المخلوقات، فهو أعظمها؛ ولهذا وصفه

---

(١) انظر: (ص١٣٣).

الله بالمجيد، بالكريم، بالعظيم، وأضافه إلى نفسه ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ﴾ [التوبة:١٢٩]، و﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [البروج:١٥].

(لَهُ عَرْشٌ)، ولكنه ليس كعروش الملوك في الدنيا، إنما هو عرش لا يعلم عظمته وخلقته إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فإذا كان كرسيه وسع السماوات والأرض، والعرش أعظم من الكرسي، وما الكرسي في العرش إلا كحلقة ملقاة بين ظهراني فلاة(١)، الكرسي الذي يسع السماوات والأرض كالحلقة بالنسبة للعرش، وهذا يدل على عظم العرش، ولذلك قال: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩].

قوله: (وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتِهِ بِكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ)، هو سبحانه على عرشه مستوٍ، والاستواء: صفة فعل من صفات الأفعال، يستوي إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وينزل إلى السماء الدنيا إذا شاء، أما العلو، فهو صفة ذات، الفرق بين العلو والاستواء أن العلو أعم من الاستواء، والعلو صفة ذات، والاستواء صفة فعل، والعلو لا ينفك عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما الاستواء، فهو من أفعاله يفعله متى شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس:٣]، (ثم) فصار استواؤه على العرش بعد خلق السماوات والأرض مرتبًا على ذلك؛ لأنه فعل يفعله متى شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما العلو، فهو علو ذاتي لا ينفك عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لا في الأزل ولا في الأبد.

(بِكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ) جَلَّ وَعَلَا التي وردت في الكتاب والسنة.

قوله: (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾) ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ في سبع مواضع كلها بهذا اللفظ استوى على العرش: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٢١).



ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس:٣] كلها بلفظ (على)، فهي تدل على علوه على العرش سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس استوى على العرش بمعنى استولى -كما تقوله الأشاعرة-؛ لأنه لو كان معنى الاستواء الاستيلاء، ما صار للعرش ميزة على غيره، فهو مستولٍ على كل شيء، إذًا يُقال: استولى على الأرض، استولى على البحر؛ لأن كله مستول عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فاستوى غير استولى، (استوى) على حقيقته، ارتفع وعلا على العرش، وليس معناه استولى على العرش -كما يقوله المعتزلة والأشاعرة-، وقد ردّ شيخ الإسلام هذا التأويل في رسالة من عشرين وجهًا، وأبطل تفسير الاستواء بالاستيلاء، موجودة في مجموع الفتاوى[1].

قوله: (﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥])، هذا دليل العلو، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾، والعروج: هو الصعود إلى أعلى، فدل على أن الله في العلو؛ لأنه يعرج إليه الأمر، يعني: يصعد إليه.

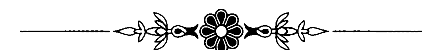
قوله: (**وَلا نَقُولُ: إِنَّهُ فِي الأَرْضِ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ عَلَى عَرْشِهِ؛ لأَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَجْرِي عَلَى عِبَادِهِ**)، لا نقول كما تقوله الحلولية: (إن الله في كل مكان، وإنه بذاته في السماء وفي الأرض)، الذي يقول بهذا يكون كافرًا، هذا حلولي كافر؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا في العلو في السماء، وليس في الأرض، إنما في الأرض علمه وإحاطته، فهو بذاته في العلو، وعلمه وسمعه وبصره في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣]، الله يعني: المعبود والمألوه، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾، يعني: مألوه ومعبود في السماوات وفي الأرض؛ كما في قوله: ﴿وَهُوَ

---

(١) راجع (ص١٨).

﴿ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، أي: معبود في الأرض، ومعبود في السماء، وليس معناه أنه بذاته في السماء والأرض؛ كما تقوله الحلولية؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام:٣]، فالذي في الأرض هو علمه وإحاطته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأما هو بذاته، فهو في العلو الأعلى.

(**لأَنَّهُ عَالِمٌ**)، يعني: معنى أنه في الأرض أن في الأرض علمه وإحاطته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



إِلَى أَنْ قَالَ: وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ.

الشَّرح

قوله: (**إِلَى أَنْ قَالَ: وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ خَلَقَ الجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ**)، الإيمان بالجنة والنار هذا من أصول الإيمان، فالذي يجحد الجنة أو يجحد النار، ويقول: (ليس هناك جنة ولا نار، وإن هذا من باب التخييل للناس، من باب التهذيب لهم؛ لأجل أن يتهذبوا ويتأدبوا ويسلكوا السلوك الحسن ويتوعدوا بالنار، ويوعدوا بالجنة)؛ كما تقوله الملاحدة، وهذا قول باطل، بل الجنة والنار حقيقة، جنة: والجنة في الأصل البساتين الملتفة التي تجن من بداخلها، يعني: تستره؛ من الاجتنان، وهو الاستتار[1]، الجنة هي البساتين والأنهار والمناظر الجميلة، والمآكل والمشارب، والنار -والعياذ بالله- هي دار العذاب هي المحرقة الملتهبة الحارة، الله خلق الجنة والنار؛ الجنة للمتقين والنار للكافرين، قال تعالى في الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقال في النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة:٢٤]، ﴿**فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة:٢٤]، فهما مخلوقتان بلا شك وموجودتان الآن؛ لأن هناك من يقول: (نعم هما يُخلقان، ولكنهما الآن ليستا موجودتين، وسيُخلقان فيما بعد)، نقول: هما مخلوقتان الآن بدليل الحر والبرد، وقد قال النبي ﷺ: «**إِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ**»[2]، وقال ﷺ: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ**

---

(١) انظر مادة (جن) في: العين (٦/ ٢١)، وتهذيب اللغة (١٠/ ٢٦٥)، والصحاح (٥/ ٢٠٩٣)، ولسان العرب (١٣/ ٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٣) من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه مسلم (١٨٠) (٦١٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ، نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ»[1]، هذا دليل على أنهما موجودتان؛ لأن هذه آثارها.

والمسألة الثالثة: أنهما لا يفنيان.

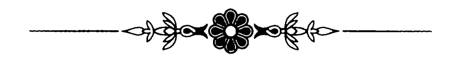
هناك ثلاث مسائل في الجنة والنار:

* **المسألة الأولى:** أنهما مخلوقتان حقيقيتان، وليستا من باب التخييل.

* **المسألة الثانية:** أنهما موجودتان الآن قبل يوم القيامة.

* **المسألة الثالثة:** أنهما لا تفنيان، فأهل النار يخلدون فيها، وأهل الجنة يخلدون فيها، لا تفنيان ولا تبيدان، خلافًا لمن زعم أنهما تفنيان؛ كالجهم بن صفوان يقول: (لأن البقاء لله وحده، فلا يبقى معه غيره)، فنقول: هذا افتراء على الله، فهما لاتبقيان من ذاتهما، وإنما لأن الله أبقاهما، فبقاؤهما مستمد من الله جَلَّ وَعَلَا، وأبو الهُذيل العلاف يقول: (لا تفنيان، ولكن تفنى حركة من فيهما، فيصبحون جمادًا لا يتحركون)، وهذا -أيضًا- قول على الله بغير علم، فالجنة والنار داران باقيتان، لاتفنيان ولا تبيدان، وأهلهما مخلدون فيهما، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

(**وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ لِلْبَقَاءِ لَا لِلْفَنَاءِ**)؛ خلافًا للجهمية.



(١) أخرجه البخاري (٥٣٧)، ومسلم (١٨٥) (٧١٧) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِلَى أَنْ قَالَ: وَنَعْتَقِدُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرِجَ بِنَفْسِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى(١).

الشَّرْح

قوله: (**إِلَى أَنْ قَالَ: وَنَعْتَقِدُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُرِجَ بِنَفْسِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**)، المعراج حق، وهو من معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن كرامته على ربه، فاختص صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا المعراج، وهو الصعود، وذلك أن الله أسرى به ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في فلسطين، ثم عُرج به من هناك من المسجد الأقصى إلى السماء، وهناك فُرضت عليه الصلوات الخمس، ورأى من آيات ربه الكبرى، رأى سدرة المنتهى، ورأى من آيات الله؛ ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨]، فرأى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من آيات ربه في تلك الليلة، ثم عاد إلى مكة في ليلة واحدة، هذا من معجزاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالمسلمون عمومًا يؤمنون بالإسراء والمعراج، ومن جحد الإسراء، أو جحد المعراج، أو جحدهما، فهو كافر مرتد عن دين الإسلام، ولكن اختلفوا: هل عُرج به يقظة أو منامًا؟ جمهور أهل السنة -وهو الحق- أنه عُرج به يقظة لا منامًا(٢)، وبعض العلماء يقول: عُرج به منامًا(٣)، نقول: المنام غير العروج، هو عرج به منامًا، ولكن ما هو في هذه المرة، بل في مرة أخرى، مسألة الرؤية هذه مسألة أخرى، عُرج به في الرؤية، والعروج في الرؤية ليس غريبًا، لو كان أنه عُرج

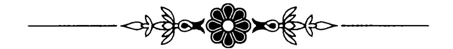
---

(١) حديث الإسراء والمعراج سبق تخريجه (ص٦٢٠).

(٢) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ٥٥٠)، ومجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٨٨)، والسيرة النبوية لابن كثير (٢/ ١٠٤).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص(٢٤٦)، وتفسير ابن كثير: سورة الإسراء (ص١-٢٤).

به منامًا، ما استغرب الكفار هذا؛ لأن الرؤية معلومة معروفة عندهم، فدل على أنه عُرج به يقظة. ثم اختلفوا: هل عُرج بروحه دون جسمه، أو عُرج بروحه وجسمه معًا؟ الذي عليه أهل الحق وأهل البصيرة أنه عُرج بروحه وبجسمه معًا؛ لأن الله قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]، والعبد يُطلق على الروح والجسم، ولا يُطلق على الروح فقط، الروح ما يُقال لها: عبد، وإنما يُقال لمجموع الروح والجسد، ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء:١]، فهذا دليل على أنه عُرج بروحه وبجسمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه يقظة لا منامًا، هذه قضية الإسراء والمعراج، وهذا حصل له قبل الهجرة، وفُرضت عليه الصلوات الخمس في هذه الليلة، وهو بمكة.



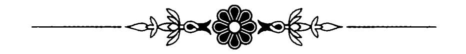
إِلَى أَنْ قَالَ: وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ قَبَضَ قَبْضَتَيْنِ، فَقَالَ: «هَؤُلاءِ إِلَى الْجَنَّةِ وَهَؤُلاءِ إِلَى النَّارِ»(١).

الشَّرْح

قوله: (**إِلَى أَنْ قَالَ: وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ قَبَضَ قَبْضَتَيْنِ، فَقَالَ: «هَؤُلاءِ إِلَى الجَنَّةِ وَهَؤُلاءِ إِلَى النَّارِ»**)، ونعتقد حديث القبضتين الذي ورد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه كالذر -مثل الذر-، وقبض قبضتين واحدة إلى الجنة، وواحدة إلى النار، فكلٍ يصير إلى ما قدره الله له من هاتين القبضتين»، هذا نؤمن به حقًّا.

(**هَؤُلاءِ إِلَى الجَنَّةِ**)، فأهل الجنة يعملون بعمل أهل الجنة، ويدخلون الجنة.

(**وَهَؤُلاءِ إِلَى النَّارِ**) وأهل النار يعملون بعمل أهل النار، ويدخلون النار.



---

(١) حديث القبضتين ورد بألفاظ متقاربة وطرق مختلفة عن جمع من الصحابة، منهم: أبو بكر الصديق، وأبو موسى الأشعري، وأنس، وابن عباس، وعبد الرحمن بن قتادة السلمي، ومعاذ بن جبل، وأبو سعيد الخدري، وأبو الدرداء، رضي الله عنهم أجمعين.

وهو حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨/ ٣٩٤)، (٣٦/ ٣٩٥)، وأبو يعلى في مسنده (٦/ ١٤٤، ١٧٢)، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٤٠٤)، والبزار في مسنده (٨/ ٤٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ١٢٣)، وابن المستفاض في القدر (ص٤٩)، وابن حبان في صحيحه (٢/ ٥٠)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٦٣)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١١١)، والطبراني في الأوسط (٩/ ١٤٧)، وابن منده في الرد على الجهمية (ص٢٨، ٣٢)، وابن بطة في الإبانة (١/ ٣١١، ٣١٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٥).

وَنَعْتَقِدُ أَنَّ لِلرَّسُولِ ﷺ حَوْضًا[(١)]، وَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ. وَذَكَرَ الصِّرَاطَ، وَالمِيزَانَ، وَالمَوْتَ، وَأَنَّ المَقْتُولَ قُتِلَ بِأَجَلِهِ، وَاسْتَوْفَى رِزْقَهُ.

الشَّرح

قوله: (**وَنَعْتَقِدُ أَنَّ لِلرَّسُولِ ﷺ حَوْضًا**)، مما نؤمن به ومما يكون في يوم القيامة الحوض للنبي ﷺ، الذي تواترت به الأحاديث[(٢)]، حوض حقيقي يشخب فيه من الكوثر[(٣)]، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء[(٤)]، من يرده ويشرب منه، فإنه لا يظمأ[(٥)]، والنبي ﷺ واقف على هذا الحوض يسقي أمته بيده الشريفة، ويُذاد أناس يأتون

---

(١) الأحاديث في إثبات الحوض للنبي ﷺ متواترة، منها: ما أخرجه البخاري في صحيحه (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٨٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تواترت الأحاديث في وصف حوض النبي ﷺ، وفيمن يرده من أمته ومن يُزاد عنه، رويت عن أكثر من خمسين صحابيًّا، انظر مجموع طرقها ومن رواها من الصحابة في فتح الباري (١١/ ٤٦٩)، وعمدة القاري (٢٣/ ١٣٦)، قال الحافظ ابن حجر: (وَلِكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ زِيَادَةٌ عَلَى الحَدِيثِ الْوَاحِدِ كَأَبِي هُرَيْرَة، وَأنس، وبن عَبَّاسٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَأَحَادِيثُهُمْ بَعْضُهَا فِي مُطْلَقِ ذِكْرِ الحَوْضِ، وَفِي صِفَتِهِ بَعْضُهَا، وَفِيمَنْ يَرِدُ عَلَيْهِ بَعْضُهَا، وَفِيمَنْ يُدْفَعُ عَنْهُ بَعْضُهَا، وَكَذَلِكَ فِي الْأَحَادِيثِ الَّتِي أَوْرَدَهَا المُصَنِّفُ فِي هَذَا الْبَابِ، وَجُمْلَةُ طُرُقِهَا تِسْعَةَ عَشَرَ طَرِيقًا، وَبَلَغَنِي أَنَّ بَعْضَ المُتَأَخِّرِينَ وَصَلَهَا إِلَى رِوَايَةِ ثَمَانِينَ صَحَابِيًّا). اهـ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، مسلم (٢٢٩٢).

(٥) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٣٠٠) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الحَوْضِ؟ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ المُظْلِمَةِ المُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**».

ليردوا الحوض على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيُزادون -يعني: يمنعون عن الورود-، فالنبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**يَا رَبِّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّك لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[1]، فهؤلاء هم أهل البدع والمحدثات وأهل الشرك والردة الذين ارتدوا بعد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فالذي كان مسلمًا مؤمنًا، ثم ارتد، فهذا لا يرد الحوض، والمبتدع المخالف للسنة لا يرد الحوض على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، «**لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»، فدل على أن من أحدث في الشرع ما ليس منه حريٌّ أن لا يرد الحوض على الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. والحوض طوله شهر، وعرضه شهر، طوله كعرضه[2].

قوله: (وَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ) (**وَنَعْتَقِدُ**) أي: أهل السنة والجماعة أنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ (أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)[3]، الشفاعة تكرر مرارًا بيان معناها، وأنها الوساطة بين الطالب والمطلوب منه في قضاء الطلب، هذا من حيث العموم، أما الشفاعة عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فمعناها أن الله جَلَّوَعَلَا يأذن لأهل الصلاح في أن يدعوا الله لمن استحق العقوبة أو العذاب من أهل الإيمان، فيدعون الله أن يعفو عنه، وهذه الشفاعة ثابتة، والناس في الشفاعة على ثلاثة أقسام؛ طرفان ووسط:

الطرف الأول: الذين نفوا الشفاعة في أهل الكبائر بناءً على مذهبهم أن أهل الكبائر كفار، وأنهم مخلدون في النار، فلا تنفعهم الشفاعة، وهذا مذهب المعتزلة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٩٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧) (٢٢٩٢) من حديث عَبْد اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**».

(٣) أخرج مسلم (٣٣٠) (١٩٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**».

والخوارج؛ بناءً على مذهبهم أن مرتكب الكبيرة كافر، وأنه مخلد في النار، فلا فائدة في الشفاعة له -والعياذ بالله.

الطرف الثاني: الذين غلوا في إثبات الشفاعة في المذنبين، حتى طلبوها من غير الله، فطلبوها من الأموات ومن الأشجار والأحجار والمتعبدات التي يعظمونها بحجة أنها تشفع لهم عند الله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]، ﴿ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾؛ مثل قولهم: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨]، والقبوريون الآن على هذا المذهب؛ لأنهم يعبدون القبور، ويغلون في الأولياء والصالحين، ويطلبون منهم أن يشفعوا لهم عند الله، ويسمون هذا توسلًا، وهو شرك، وليس بتوسل، هذا مذهب القبوريين ومن قبلهم الوثنيين، فهم طلبوا الشفاعة من غير إذن الله عَزَّوَجَلَّ، فطلبوها ممن لا يملك الشفاعة؛ من الأموات والأحجار والأشجار الذين لايملكون الشفاعة.

والوسط: هم أهل السنة والجماعة، يقولون: الشفاعة في أهل الكبائر ثابتة؛ خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين نفوها، ولكنها لا تُطلب إلا من الله بشرطين، لها شرطان:

* **الشرط الأول**: أن يأذن الله للشافع أن يشفع.

* **الشرط الثاني**: أن يكون المشفوع فيه من أهل التوحيد، لا يكون من الكفار والمشركين.

هذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ أن الشفاعة حق في أهل الكبائر من هذه الأمة، وأنها لا تكون إلا بشرطين:

تكون بإذن الله؛ لأن الله هو الذي يملكها؛ ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر:٤٣، ٤٤]، الشفاعة ملك لله، ولا تُطلب إلا بإذنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا تنفع إلا أهل الإيمان الذين هم من أهل الكبائر؛ كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، هذا الشرط الأول: أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله؛ لأنها ملك لله جَلَّ وَعَلَا، فأنت تطلبها ممن يملكها، ولا تطلبها ممن لا يملكها.

والشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل الإيمان، لكنه استحق العذاب لكبيرة ارتكبها دون الشرك، وهذا كما في قوله تعالى للملائكة: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، أي: ارتضى الله قوله وعمله، وهو المؤمن، أما الكافر فلم يرتض الله قوله ولا عمله، قال فيه: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾ [المدثر:٤٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر:١٨]، ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦]، شرطان: ﴿يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾، هذا الشرط الأول، ﴿وَيَرْضَىٰٓ ﴾، يعني: يرضى عن المشفوع فيه، وهذا الشرط الثاني، هذا مذهب أهل السنة والجماعة في الشفاعة في أهل الكبائر.

أما شفاعة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الموقف في أن يفصل الله بينهم ويريحهم من الموقف(١)، هذا محل إجماع لم ينكرها أحد، وهذه تكون للمؤمنين وللكفار، الموقف إذا اشتد يوم القيامة وطال، تتقدم الخلائق إلى الرسل من نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى عيسى، يتقدمون إلى أولي العزم، إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) كما في حديث الشفاعة رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

فيقوم بها؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩]، هذا هو المقام المحمود الذي يقومه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين يدي ربه، فيدعوه بأن يفصل بين عباده، فيستجيب الله دعوته، ويقبل شفاعته، ويأتي جَلَّ وَعَلَا لفصل القضاء بين عباده يوم القيامة؛ ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢] هذا لم يخالف فيه أحد، وهذا ليس مقصود المؤلف هنا (أَنَّهُ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ)، هذا لا خلاف فيه، وهو المقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، إنما الخلاف في أهل الكبائر من هذه الأمة، هذه هي التي فيها الخلاف الذي ذكرناه.

(**وَنَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**)، وهذا من فضائله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن خصائص الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الشفاعة، وهي المقام المحمود.

قوله: (وَذَكَرَ الصِّرَاطَ) الصراط: هو الجسر المنصوب على النار، جسر يُنصب على النار حارًّا دقيقًا، أحر من الجمر وأدق من الشعر[1]، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، كل الناس، الأولون والآخرون يمرون عليه على قدر أعمالهم، تسير بهم أعمالهم فوق الصراط، فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يُخطف ويُلقى في جهنم[2]، وهذا كما

---

(١) تكاثرت الأحاديث في وصف الصراط وأحوال الناس عليه، منها ما أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ١٩٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومنها ما جاء عن أبي سعيد الخدري، وأنس، وابن مسعود، وأُبي بن كعب، رضي الله عن الجميع.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (١٧/ ٢٩٥) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: «يُعْرَضُ النَّاسُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ عَلَيْهِ حَسَكٌ، وَكَلَالِيبُ، وَخَطَاطِيفُ تَخْطَفُ النَّاسَ، قَالَ: فَيَمُرُّ النَّاسُ مِثْلَ الْبَرْقِ، وَآخَرُونَ مِثْلَ الرِّيحِ، وَآخَرُونَ مِثْلَ الْفَرَسِ الْمُجْرَى، وَآخَرُونَ يَسْعَوْنَ سَعْيًا، وَآخَرُونَ يَمْشُونَ مَشْيًا، وَآخَرُونَ يَحْبُونَ حَبْوًا، وَآخَرُونَ يَزْحَفُونَ زَحْفًا.....». =

في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم:٦٨]، إلى قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧١، ٧٢]، هذا هو المرور على الصراط، وهو القنطرة، يُسمى الصراط، ويُسمى القنطرة، ويُسمى الجسر، وهو ممدود على متن جهنم، يجوزه الناس على قدر أعمالهم، منهم من ينجو، وهم أهل التقوى، ومنهم من يسقط، وهم -والعياذ بالله- الظالمون؛ ﴿وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ ظالمين بالكفر الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، يذرهم الله يتركهم ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾، فهذا هو الصراط والمرور عليه.

قوله: (وَالمِيزَانَ) الميزان: الذي توزن به الأعمال، وهو ميزان حقيقي له كفتان، بدليل أن الحسنات توضع في كفة، والسيئات توضع في كفة؛ ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨، ٩]، فهذا هو الميزان، ميزان حقيقي له كفتان، توضع في إحداهما الحسنات، وتوضع في الأخرى السيئات، فمن ثقلت موازينه، أفلح، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾، وطاشت وثقلت سيئاته ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾، ما خسروا أموال أو ممتلكات، لا، بل خسروا أنفسهم -والعياذ بالله-، وفي آية ﴿بِمَا كَانُوا

= وكما في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (٢٩٩) (١٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «... فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو».

بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ﴾، وفي الأخرى ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٣]، هذا هو الميزان، وأهل السنة والجماعة يؤمنون به كما جاء، وأنه ميزان حقيقي، وأما تعدده؛ ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُـهُۥ ﴾، فتعدده بحسب الأعمال، هو ميزان واحد، ولكن الموازين يعني الأعمال التي توزن ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُـهُۥ ﴾، يعني: أعماله الصالحة التي توزن، ﴿ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾، يعني: أعماله.

وأما المعتزلة، فإنهم يقولون: (إنه ميزان معنوي، وليس حقيقيًا، عبارة عن إقامة العدل يوم القيامة)، وذلك لأنهم يحكمون عقولهم في شيء لم يروه؛ ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥ﴾ [يونس:٣٩]، أما أهل السنة والجماعة، فيسلمون لله وللنصوص، فلا يتدخلون فيها ويؤولونها عن معناها، فإذا قيل: الميزان، فهو معروف، فالذي يقول: (إنه معنوي)، نقول له: ما الدليل على أنه معنوي؟ ما المانع أنه يكون حقيقيًّا؟ ولكن هي الشقاوة -والعياذ بالله.

قوله: (وَالمَوْتَ) ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾ [العنكبوت:٥٧]، ما أحد ينكر هذا، حتى البهائم تعرف الموت؛ ولهذا تفر من الخطر، وتمتنع، لو تسوقها وتريد أن تلقيها في نار أو في ماء، تتأخر، ما تطيع؛ لأنها تعرف الموت ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ﴾ [العنكبوت:٥٧]، وهذا لا ينكره أحد لا المؤمن ولا الكافر، ولكن الشأن في الذي يستعد له، لكن ذكره المؤلف -مع أنه لا ينكره أحد-؛ نظرًا لما بعده، وهو القتل، من قُتل فهل استوفى أجله الذي كُتب له، أم أنه قُتل قبل استكمال أجله؟

أهل السنة والجماعة يقولون: استكمل أجله، ما قُتل إلا لأنه استوفى أجله، سواءً مات حتف أنفه، أو مات بسبب -بحرق، بغرق، بحادث، بقتل-، فقد استوفى أجله، ولو بقي له شيء، ما قُتل، لدفع الله عنه الأخطار، فإذا قتل، فهذا



دليل على أن أجله قد انتهى، ولكن تقادير الله متنوعة، منهم من يموت حتف أنفه، ومنهم من يموت على فراشه، ومنهم من يموت بحادث، ومنهم من يموت بالقتال والجهاد في سبيل الله، أو القتال أيًا كان، ومنهم من يُعتدى عليه، ويُقتل وهو غافل، أو يُهجم عليه؛ حسب ما قدره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو ما قُتل إلا بأجله، أما أنه قُتل قبل استكمال أجله، فهذا معناه معارضة قدر الله عَزَّوَجَلَّ، يقولون: (باقي له عمر، ولكنه قُتل قبله)، هذه من مغالطاتهم وتجرئهم على الله عَزَّوَجَلَّ، يعني: إذا كان الله قدر له أجلًا، فالله عاجز على أن يُكمل له أجله حتى جاء هذا الذي اعتدى عليه وقتله؟!! هذا من تجرئهم على الله عَزَّوَجَلَّ، وهم لا يؤمنون بالقدر -كما سبق بيانه-، فالمعتزلة لايؤمنون بالقدر -والعياذ بالله!

قوله: (وَأَنَّ الْمَقْتُولَ قُتِلَ بِأَجَلِهِ، وَاسْتَوْفَى رِزْقَهُ)، هذا في الحديث: «**وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا**»[1]، حديث صحيح.



(١) أخرجه ابن أبي شيبه (٧/ ٧٩)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٦٦،) والحاكم في المستدرك (٢/ ٥) والشهاب القضاعي في مسنده (٢/ ١٨٥) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

إِلَى أَنْ قَالَ: وَمِمَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَبْسُطُ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: «أَلا هَلْ مِنْ سَائِلٍ»(١) الْحَدِيثَ، وَلَيْلَةَ النِّصْفِ(٢)، وَعَشِيَّةَ عَرَفَةَ(٣)، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي ذَلِكَ.

الشَّرْح

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَمِمَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ)، هذا النزول الإلهي؛ كما تواترت به الأحاديث أن الله ينزل كل ليلة

---

(١) حديث النزول سبق تخريجه (ص١٨١).

(٢) أي ليلة النصف من شعبان، والأحاديث الواردة فيها جاءت عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة، منها: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ**». أخرجه الترمذي (٧٣٩)، وابن ماجه (١٣٨٩)، والإمام أحمد في المسند (٤٣/ ١٤٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٠٨)، وابن راهويه في مسنده (٢/ ٣٢٧)، (٣/ ٩٧٩)، وعبد بن حميد في مسنده (ص٤٣٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٧٩).
وقال الترمذي عقب تخريجه: (حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الحجاج، وسمعت محمدًا -يعني البخاري- يضعف هذا الحديث، وقال يحيى بن أبي كثير: لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطأة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير). وانظر: كلام الحافظ ابن رجب عليه في لطائف المعارف (ص١٥٢). وفي الباب من حديث أبي بكر، وعلي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبي موسى الأشعري، وكثير بن مرة الحضرمي، وأبي ثعلبة، رضوان الله عليهم أجمعين.

(٣) حديث النزول عشية عرفة جاء بألفاظ متقاربة، منها ما رواه ابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٦٣)، وأبو يعلى في مسنده (٤/ ٦٩)، وابن حبان في صحيحه (٩/ ١٦٤)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ٢٣٥)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٤٣٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٦٠) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، يَنْزِلُ اللهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الْأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ جَاءُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**». وله شاهد عند مسلم (٤٣٦) (١٣٤٨) عَنِ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**».



إلى السماء الدنيا، فيقول: «**هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟**»(١)، حتى يطلع الفجر كل ليلة؛ تكرمًا منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فنحن نثبت أن الله ينزل، لكن نقول: هذا النزول يليق بجلاله، كيف يشاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ما نبحث في كيفيته؛ هل يخلو منه العرش أو لا يخلو منه العرش؟ الليل يختلف باختلاف الأقاليم، فكيف؟ هذه كلها أسئلة ما ترد على هذه العقيدة المبنية على الأدلة الصحيحة، الله ينزل كيف يشاء جَلَّوَعَلَا، ما هو مثل المخلوق، نزولًا ليس مثل نزول المخلوق من على السطح، أو من على الجبل، بل هو نزول يليق بجلاله سبحانه، ولا نعرف كيفيته؛ كما أننا نقول: استوى استواءً يليق بجلاله، ينزل كما يليق بجلاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وكيف يشاء، لا ندخل في هذه المتاهات، بل نؤمن به، ونثبته، يقولون: (إن الله لا ينزل، الذي ينزل أمره، «ينزل ربنا» يعني: ينزل أمر ربنا)، فنقول: سبحان الله! أمر الله ما ينزل إلا ثلث الليل، أمر الله ينزل دائمًا وأبدًا، ما هو بمحدود بثلث الليل، أوامر الله تنزل وتصعد دائمًا وأبدًا، هذه ناحية.

الناحية الثانية: هل الأمر يقول: «من يسألني فأعطيه»؟! هل الأمر يعطي؟!! «**هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»، هل الأمر يغفر؟!! «**هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟**»، هل الأمر يتوب على الناس؟!! دل على أن الذي يقول هذا هو الله جَلَّوَعَلَا، وأنه هو الذي ينزل، وهو الذي يقول في ثلث الليل الآخر.

الليل ثلاثة أثلاث:

* الثلث الأول.
* والثلث الأوسط.
* والثلث الآخر.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨١).

فالله ينزل في الثلث الأخير إلى أن يطلع الفجر، فلا تتصور أنه ينزل مثل نزول المخلوق، بل هو نزول يليق بجلاله سبحانه وعظمته، لا يعلم كيفيته إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (**فَيَبْسُطُ يَدَيْهِ فَيَقُولُ: «أَلَا هَلْ مِنْ سَائِلٍ» الحَدِيثَ**)، «**هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟**»(١)، ولذلك يُستحب للمسلم أن يستيقظ في آخر الليل قبل الفجر، يصلي ما تيسر له، ويختم بالوتر، ويجلس يستغفر ويدعو الله عَزَّوَجَلَّ، ثم يُتبع هذا بصلاة الفجر، خير كثير يغفل عنه كثير من الناس، ويفوتهم هذا النزول، وهذه الفرصة العظيمة تفوتهم -والعياذ بالله من الحرمان-، يسهر أول الليل أو كل الليل، وإذا أقبل الفجر، ينام، هذا حرمان، ينام حتى عن صلاة الفجر، هذا حرمان عظيم.

قوله: (**وَلَيْلَةَ النِّصْفِ**)، أما ليلة النصف من شعبان، فلم يثبت فيها حديث، ولم يثبت فيها فضل عن غيرها، ما ثبت فيها لا في ليل النصف، ولا في نهار النصف، لا في قيام ليلة النصف من شعبان، ولا في صيام يوم النصف من شعبان، هذا لم يثبت فيه شيء عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢)، بعضهم يقول: (إنها هي ليلة القدر)، وهذا لم يثبت أنها ليلة القدر، ليلة القدر في رمضان؛ لأن الله قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر:١]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥]، فدل على أن ليلة القدر في شهر رمضان، وليست في شعبان، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتحراها في شهر رمضان، تحراها في العشر الأوسط، ثم في آخر

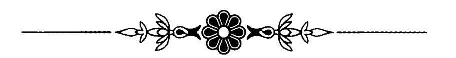
---

(١) سبق تخريجه (ص١٨١).

(٢) انظر لطائف المعارف لابن رجب (ص١٥١).

حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صار يتحراها في العشر الأواخر، ويجتهد في قيام الليل، ويعتكف رجاءً لإدراك ليلة القدر.

قوله: (وَلَيْلَةَ النِّصْفِ، وَعَشِيَّةَ عَرَفَةَ، وَذَكَرَ الحَدِيثَ فِي ذَلِكَ)، صح أن الله جَلَّ وَعَلَا ينزل عشية عرفة حين يدفع الناس من عرفة، إذا غربت الشمس ينزل الجبار جَلَّ وَعَلَا إلى السماء الدنيا، ويباهي الملائكة بأهل الموقف، يقول: «**انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا من كل فج عميق أشهدكم أني قد غفرت لهم**»[1]، فهذا مشهد عظيم وموسم كريم.



(١) رواه أحمد (١٣/ ٤١٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ٢٦٣)، وأبو يعلى (٤/ ٦٩)، والبيهقي في الكبرى (٥/ ٥٨)، وابن حبان في صحيحه (٥/ ٢٠٥، ٩/ ١٦٣).

قَالَ: وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَاتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَأَنَّ الْخُلَّةَ غَيْرُ الْفَقْرِ، لَا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْبِدَعِ.

الشَّرْح

قوله: (وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا)، كلمه تكليمًا حقيقيًّا، سمعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بغير واسطة جبريل، ولذلك سُمي كليم الله جَلَّ وَعَلَا ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]؛ ولهذا قال: ﴿تَكۡلِيمًا﴾ تأكيد ونفي للتأويل والتحريف، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢]، والنداء: هو ما كان بصوت يُسمع، والنجوى: ما كان بصوت خفي، فهو نجيٌّ وهو كليم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وكلم الله نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج، وفرض عليه الصلوات الخمس، وكلم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبا البشرية، وناداه ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾ [الأعراف:١٩]، فهو نبي مكلم، فهذا فيه إثبات الكلام لله عَزَّ وَجَلَّ، وفيه مزية لمن كلمهم الله من خلقه، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ خلافًا للجهمية وللمعتزلة ومن تبعهم من نفي الكلام عن الله، وأن الكلام -كلام الله- مخلوق، وأن القرآن مخلوق -قبحهم الله هذا في الكلام!

والخلة: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء:١٢٥]، والخُلة: هي أعلى درجات المحبة[1]، بحيث لا يبقى في قلب الحبيب محلاً لغير المحبوب، فلا يحب معه غيره؛ ولهذا لما رُزق إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الولد على الكبر، وفرح به وأحبه،

---

(١) انظر: مراتب المحبة في: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٠٣)، والجواب الكافي (١٣٤)، ومدارج السالكين (٣/ ٢٢، ٢٣)، وروضة المحبين (ص٤٧)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص١٦٤).

ابتلاه الله بذبحه، أمره بذبحه، فبادر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بتنفيذ الأمر، فهذا دليل على أنه يُقدم محبة الله على محبة غيره، فنجح في الامتحان، ونُسخ الذبح، وجُعل بدله ذبح الفداء، وذبح الأضحية والنسيكة، سنة إبراهيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، ونبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتخذه الله خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا؛ لِما جاء في الأحاديث الصحيحة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال قبل أن يموت: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»(١)، يعني: فلا يتخذ مع الله خليلاً آخر؛ لأن هذا لا يليق، الخُلة ما تقبل الاشتراك، أما أنواع المحبة الأخرى، فهي تقبل الاشتراك، أما الخلة فلا؛ فهي أعلى درجات المحبة، والخليل هو الذي يتخلل حبه القلب؛ كما يقول الشاعر(٢):

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الـرُّوحِ مِنِّي ... وَبِـذَا سُمِّـيَ الْخَـلِـيـلُ خَلِيلا

الجهمية -أيضًا- أنكرت الخلة، أنكرت أن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، أنكرت هذا، ورأس من أنكره منهم الجعد بن درهم إمامهم، فاحضره خالد بن عبد الله القسري(٣) أمير بني أمية على المشرق، أحضره يوم العيد في مصلى العيد، وخطب الناس في عيد الأضحى، وقال: (أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍ بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا)(٤)، ثم نزل وذبحه، وشكره على ذلك الأئمة والعلماء، ولهذا يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ(٥):

---

(١) رواه مسلم (٦) (٢٣٨٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البيت لبشار بن برد الشاعر العباسي المشهور. انظر: أدب الدنيا والدين (١/ ١٦١)، وتفسير القرطبي (٥/ ٤٠٠).

(٣) سبقت ترجمته (ص٤٣٧).

(٤) انظر: (ص١٨٧).

(٥) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٥٠-٥١).

وَلأَجْلِ ذَا ضَحَّى بِجَعْدٍ خَالِدُ الـ ـقَسْرِيُّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ كَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمَ الدَّانِي
شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ لِلَّهِ دَرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ

قوله: (وَأَنَّ الخُلَّةَ غَيْرُ الفَقْرِ، لَا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْبِدَعِ)، أهل البدع يؤولون الخلة، ويقولون: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥] يعني: فقيرًا. إذًا الفقير يصير خليل الله، كل فقير فهو خليل الله عَزَّوَجَلَّ، فهذا كلام باطل.



وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرُّؤْيَةِ، وَاتَّخَذَهُ خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا.

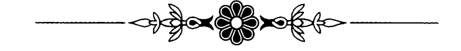
الشَّرْح

مسألة الرؤية، رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ في الدنيا هذا لغير محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محل إجماع أن أحدًا لم يرَ الله، ولن يراه في الدنيا، وفيه خلاف بسيط في محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل رأى ربه ليلة المعراج أو لم يره؟ ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- يقول: إنه رآه بعينه رؤية بصرية، وعائشة -رضي الله عنها أم المؤمنين- تنفي هذا، تقول: إنه لم يره، وإنما رآه بقلبه رؤية قلبية، وليست بصرية. وهذا هو الصحيح، أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يرَ ربه ليلة المعراج؛ لأن أحدًا لن يرى الله في الدنيا، وإنما يُرى في الآخرة، يراه أهل الجنة كما تواترت بهذا الأحاديث، موسى كليم الله لما سأل، ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، ثم إنه أراد جَلَّ وَعَلَا أن يُبين لموسى أنه لا يستطيع رؤية الله، فتجلى للجبل، فاندك الجبل، فعند ذلك موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خر صعقًا، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فالمؤمنون يؤمنون بربهم في الدنيا، وإن لم يروه، بل بناءً على الأدلة اليقينية، الأدلة من آياته ومخلوقاته تثبت لهم وجود ربهم عَزَّ وَجَلَّ وكماله في أسمائه وصفاته، وهذا هو معنى الإيمان، أن تؤمن بشيء غائب لم تره، أما إذا رأيت الشيء، فهذا لا يُسمى إيمانًا، فهذا معنى الإيمان، فهم آمنوا بالله ولم يروه، ولذلك جزاهم بأن يتجلى لهم يوم القيامة، ويرونه عيانًا بأبصارهم، تقر أعينهم برؤية ربهم عَزَّ وَجَلَّ الذي آمنوا به في الدنيا ولم يروه، وأما الكفار، فعلى العكس لما

لم يؤمنوا به، احتجب الله عنهم يوم القيامة؛ ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥]، في الدنيا لم ير أحد ربه عَزَّوَجَلَّ، وفي الحديث: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَـرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**»(١)، لا محمد ولا غيره على الصحيح.

قوله: (**وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّ مُحَمَّدًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِالرُّؤْيَةِ**)، هذا محل نظر كما سبق.

قوله: (**وَاتَّخَذَهُ خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**)؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر بذلك، وهو الصادق المصدوق، يمكن أن يقول أحد: إن القرآن ما فيه أن الله اتخذ محمدًا خليلًا، وإنما فيه ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥]، نقول: ما ثبت في السنة فهو مثل ما ثبت في القرآن، فقد ثبت في السنة أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر أن الله اتخذه خليلًا، ونحن نؤمن به؛ لأنه الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن معاني شهادة أنه رسول الله تصديقه فيما أخبر، فالذي يُكذب بخبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكون منافيًا لشهادته أنه رسول الله.



(١) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/ ٥١٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٤٨)، والدارمي في الرد على الجهمية (ص ١١٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٨٦)، والنسائي في الكبرى (٧/ ١٦٥)، والطبراني في الشاميين (٢/ ١٨٥)، من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى اخْتُصَّ بِمَفَاتِحِ خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ(١) **لا يَعْلَمُهَا إِلا اللهُ** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤]، **وَنَعْتَقِدُ المَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ**(٢)، **ثلاثًا لِلْمُسَافِرِ، ويومًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ.**

الشَّرح

قوله: (**وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى اخْتُصَّ بِمَفَاتِحِ خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلّا اللهُ** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان:٣٤]) الله جَلَّ وَعَلَا هو علام الغيوب؛ ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل:٦٥]، ولكنه يُطلع رسله على بعض الغيوب لمصلحة البشرية ومعجزة لهم، ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧] فإنه يطلعه على ما شاء من الغيب معجزة له، ولمصلحة البشر، ولكن أمورًا خمسة لا يُطلع عليها أحدًا -لا الرسل ولا غيرهم-، وهي مفاتح الغيب، وهذا في موضعين في القرآن:

* **الموضع الأول**: في سورة الأنعام: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام:٥٩].

---

(١) كما جاء في حديث ابن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إلا اللهُ، لا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إلا اللهُ، ولا يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إلا اللهُ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المَطَرُ أَحَدٌ إلا اللهُ، وَلا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إلا اللهُ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَاعَةُ إلا اللهُ**». أخرجه البخاري (٤٦٩٧، ٧٣٧٩). وروى مسلم (٩، ١٠) نحوه مطولًا، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه قصة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسأله متى تقوم الساعة.

(٢) المسح على الخفين تواترت به الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو مما خالف فيه الرافضة أهل السنة والجماعة. انظر أحاديث المسح على الخفين في صحيح البخاري (٢٠٢- ٢٠٦)، وفي صحيح مسلم (٢٧٢ - ٢٧٤).

* **والموضع الثاني:** في آخر سورة لقمان: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان:٣٤]، هذه خمس، فتكون هذه الآية مفسرة لآية الأنعام ومبينة لمفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله جَلَّ وَعَلَا.

(﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ **الآية**)، يعني: إلى آخر الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان:٣٤]، وهي مفسرة لآية الأنعام: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [الأنعام:٥٩].

قوله: (وَنَعْتَقِدُ المَسْحَ عَلَى الخُفَّيْنِ، ثلاثًا لِلْمُسَافِرِ، ويومًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ) الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة:٦]، ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ منصوب معطوف على ﴿ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ معترض بينهما مسح الرأس، ﴿ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾؛ لأنه معطوف على المنصوبات في أول الآية، ﴿ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾، أي: واغسلوا أيديكم، ﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة:٦]، فالمسح للرأس، أدخله بين مغسولين لأجل الترتيب في الوضوء، هذا مذهب أهل السنة والجماعة قاطبة أن المسح على الخفين يجوز رخصة من الله جَلَّ وَعَلَا لمن لبس الخفين تيسيرًا على الناس؛ لأنه إذا لبس الخفين وثبتهما على رجليه، فإنه يصعب نقضهما وخلعهما عند كل وضوء، فلذلك يسر الله ورخص بالمسح عليهما، وتواترت بذلك الأحاديث عن

النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو محل إجماع عند أهل السنة والجماعة، لم يُخالف فيه إلا الرافضة الذين لايرون المسح على الخفين، ويخالفون هذه السنة الثابتة، ولذلك ذكرها المصنف كغيره في كتب العقيدة، مع أن محلها في كتب الفقه، لكن ذكروها في كتب العقيدة من أجل مخالفة أهل البدع؛ لأجل إظهار مخالفة أهل البدع، فنحن نعتقد أن المسح على الخفين ثابت، وأنه رخصة، ونعمل به -ولله الحمد-؛ خلافًا للخوارج وللشيعة الرافضة، ولكن من العجيب أنهم يمنعون المسح على الخفين، ويمسحون على الرجلين، الله يقول: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾، يعني: اغسلوا، وهم يمسحون عليها، فينكرون السنة، ويرتكبون مخالفة القرآن العظيم وسنة الرسول صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، الرسول صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ طول حياته وهو يتوضأ، ويعلم أصحابه، وما مسح على رجليه، ما مسح على رجليه مرة واحدة، وإنما مسح على الخفين، لما توضأ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ووصل إلى غسل الرجلين، أهوى المغيرة بن شعبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لينزع خفيه لأجل أن يغسلها، فقال: «**دَعْهُمَا؛ فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ**»(١)، فمسح عليهما صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. هذه مسألة المسح على الخفين، ومناسبة ذكرها في كتب العقائد: من أجل مخالفة المبتدعة الذين ينكرونها.

والمدة للمقيم: يوم وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليها؛ كما في حديث صفوان بن عسال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفْرًا أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ»(٢)،

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٦)، ومسلم (٢٧٤) عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «كُنْت مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَسِيرٍ، فَأَفْرَغْت عَلَيْهِ مِنَ الْإِدَاوَةِ فَغَسَلَ وَجْهَهُ، وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِأَنْزِعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: **دَعْهُمَا؛ فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ**. فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا».

(٢) أخرجه أحمد (٣٠/ ١٩)، والترمذي (٩٦)، والنسائي (١٢٧).

مدة ثلاثة أيام، «إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ»، يعني: نمسح عليهما من الحدث الأصغر، وليس الحدث الأكبر.

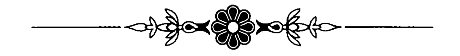
المدة تبدأ من متى؟ نحن عرفنا أنها يوم وليلة للمقيم وللمسافر ثلاثة أيام، تبدأ من متى؟ هذا محل خلاف بن العلماء:

* **القول الأول:** بعضهم يقول: من اللبس، من لبس الخفين.

* **القول الثاني:** بعضهم يقول: من الحدث، إذا أحدث بعد لبسه الخفين، يبدأ المدة.

* **والقول الثالث:** أنه يبدأ من أول مسح، وهذا هو الراجح -والله أعلم-؛ أنه يبدأ من أول مسح، إلى أن يُكمل أربعة وعشرين ساعة للمقيم، وثلاثة أيام للمسافر.

(وَنَعْتَقِدُ المَسْحَ عَلَى الخُفَّيْنِ، ثلاثًا لِلْمُسَافِرِ، ويومًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ) هذا بالنص عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا يقول الإمام أحمد: (لَيْسَ فِي قَلْبِي مِنْ المَسْحِ شَيْءٌ، فِيهِ أَرْبَعُونَ حَدِيثًا عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(١).



(١) انظر: المغني لابن قدامة (١/ ٢٠٦)، والشرح الكبير على متن المقنع (١/ ١٤٨)، وتنقيح التحقيق (١/ ٣٢٤، ٥/ ٣٤٠)، وشرح سنن ابن ماجه لمغلطاي (١/ ٦٢٣)، وشرح الزركشي على مختصر الخرقي (١/ ٣٧٨)، والروض المربع (١/ ٥٩)، والمبدع (١/ ١٣٥).

وَنَعْتَقِدُ الصَّبْرَ عَلَى السُّلْطَانِ مِنْ قُرَيْشٍ مَا كَانَ مِنْ جَوْرٍ أَوْ عَدْلٍ، مَا أَقَامَ الصَّلاةَ مِنَ الْجُمَعِ وَالأَعْيَادِ، وَالْجِهَادُ مَعَهُمْ مَاضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالصَّلاةُ فِي الْجَمَاعَةِ حَيْثُ يُنَادَى لَهَا وَاجِبٌ، إِذَا لَمْ يَكُنْ عُذْرٌ مَانِعٌ، وَالتَّرَاوِيحُ سُنَّةٌ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ عَمْدًا، فَهُوَ كَافِرٌ، وَالشَّهَادَةُ وَالْبَرَاءَةُ بِدْعَةٌ، وَالصَّلاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ سُنَّةٌ، وَلا نُنْزِلُ أَحَدًا جَنَّةً وَلا نَارًا حَتَّى يَكُونَ اللهُ يُنْزِلُهُمْ، وَالْمِرَاءُ وَالْجِدَالُ فِي الدِّينِ بِدْعَةٌ.

الشَّرح

قوله: (**وَنَعْتَقِدُ الصَّبْرَ عَلَى السُّلْطَانِ مِنْ قُرَيْشٍ مَا كَانَ مِنْ جَوْرٍ أَوْ عَدْلٍ**)، هذه مسألة الإمامة في الإسلام وما يلزم المسلمين نحو إمامهم، يلزمهم السمع والطاعة لإمامهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء:٥٩]، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ**»[(١)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَطَاعَ الأَمِيرَ، فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى الأَمِيرَ، فَقَدْ عَصَانِي**»[(٢)]، فطاعة ولي الأمر من طاعة الله ورسوله، ومعصيته من معصية الله ورسوله؛ لما في طاعته من الخير واجتماع الكلمة، والمصالح العظيمة، وحقن الدماء، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحكم بين الناس فيه مصالح، فأهل السنة والجماعة يعتقدون طاعة ولاة الأمور؛ عملًا بالآية وبالأحاديث الثابتة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما في ذلك من المصالح العظيمة التي لا تخفى، ولم ينازع في ذلك إلا أهل البدع -كالخوارج والمعتزلة-، فإنهم نازعوا في هذا، ولايرون طاعة ولي الأمر، لماذا؟ إذا كان عنده معاصٍ أو مخالفات، فإنه

---

(١) سبق تخريجه من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهذا لفظ البيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩٥).
(٢) سبق تخريجه (ص٦١٨).

يجب الخروج عليه، يسمون هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حق، ولكن إذا ترتب عليه منكر أعظم، فإنه لا يُفعل؛ إذا ترتب عليه فساد الكلمة وضياع الولاية، هذه مفاسد أضر وأخطر؛ ولهذا أمر ﷺ أن يُسمع لولي الأمر ويُطاع، ولو كان يظلم الناس، ولو كان فاسقًا، ما لم يخرج من الدين، فيُطاع ولو كان ظالمًا؛ لما في ذلك من المصلحة العظيمة التي تربو على مصلحة الخروج عليه، بل ليس هناك مصلحة، ولكن إن كان -كما يزعمون-، فالمصلحة التي تترتب على الصبر عليه أعظم، والمفسدة التي تحصل بالخروج عليه أعظم من المفسدة في الصبر على ظلمه وجوره وفسقه، فنحن لا نطيعه ونلتزم بطاعته من أجل شخصه، وإنما من أجل نفع المسلمين وكلمة المسلمين، مع أنه تجب مناصحتهم، قال ﷺ: «**الدِّينُ النَصيحَةُ، قُلْنَا: لِمنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لِلهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ**»[1]، فهو يُناصح بالطريقة اللائقة التي توصل إليه النصيحة بدون تشويش وبدون تشهير، وبدون إثارة للناس، لايجوز السكوت لمن يقدر، بل يناصح بالطريقة اللائقة، هذا هو المطلوب في هذه المسألة العظيمة، التي صارت الآن مجال أخذ ورد، واستغلها أهل الضلال، وأثاروا شباب المسلمين على ولاة الأمور، وحصل ما تسمعون وما تقرؤون من الفتن والقتل والتقتيل، كل هذا مخالف لهدي الرسول ﷺ ومخالف لهدي الإسلام.

قوله: (مِنْ قُرَيْشٍ)، لا يلزم أنه من قريش، الرسول ﷺ يقول:

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه، وأخرجه البخاري معلقًا في كتاب الإيمان - باب قول النبي ﷺ: **الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.**



«**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ**»، لكن إذا حصل أنه من قريش، فهو أفضل، من باب الأفضلية لا من باب الوجوب.

قوله: (**مَا كَانَ مِنْ جَوْرٍ أَوْ عَدْلٍ**)، ما يحملنا جوره على أن نخرج عليه، إن كان عادلًا، فالحمد لله، هذا هو المقصود، وإن صار له جور، نصبر عليه؛ لأن الصبر على الجور أخف من الخروج وسفك الدماء، وضياع الكلمة، وتسلط الأعداء، فنحن نقارن بين المصالح والمفاسد.

قوله: (**مَا أَقَامَ الصَّلاةَ مِنَ الجُمَعِ وَالأَعْيَادِ**) (**مَا أَقَامَ الصَّلاةَ**): هذا من قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا: «قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: **لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**»(١)، وفي الحديث الآخر: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(٢).

قوله: (**وَالجِهَادُ مَعَهُمْ مَاضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)، هذا من صلاحيات الإمام إقامة الجهاد، وتشكيل الجيوش والعساكر للغزو في سبيل الله، الجهاد ليس فوضى، ليس كل من يحمل السلاح ويقول: أنا سوف أجاهد. يُسمح له بالجهاد، هذا ما يجوز في الإسلام، لابد أن يكون المسلمون تحت راية ولايتهم، يجاهدون في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ، هذا من المسائل العظيمة التي الآن حصل فيها الخوض والنكث، إقامة

---

(١) أخرجه مسلم(٦٥) (١٨٥٥) عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ بِالسَّيْفِ؟ فَقَالَ: **لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ وُلَاتِكُمْ شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ، فَاكْرَهُوا عَمَلَهُ، وَلَا تَنْزِعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**».

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (٤٢) (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الجهاد من صلاحيات إمام المسلمين، وهو ينظر في المصالح، فإن كان في المسلمين قوة واستطاعة، فإنه يجب الجهاد في سبيل الله، يجب عقد الرايات والغزو في سبيل الله، وإن كان في المسلمين ضعف أمام عدوهم، ولا يقدرون على الجهاد، فإنه يؤجل إلى أن تحصل الاستطاعة؛ كما تعلمون أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقام في مكة أكثر من إقامته في المدينة، أقام في مكة ثلاث عشرة سنة ما أُمر بالجهاد، وكانوا يؤذون ويضايقون، بل أُمروا بكف أيديهم؛ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ ...﴾ [النساء:٧٧] إلى آخر الآية، فكانوا في مكة منهيين عن القتال، القتال حرام في مكة؛ لأنه يثير على المسلمين الشر، ويستأصلون لو قاتلوا وليس عندهم استعداد، يستأصلهم الكافر؛ لأنه أقوى منهم والسلطة له، فلما هاجر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، واجتمع حوله المهاجرون والأنصار والمسلمون من القبائل، عند ذلك أمره الله بالقتال، فنفذ أمر الله، ونظم الجيوش، وقادها بنفسه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي بعض الأحيان يُؤَمِّر عليها من يخلفه بعد ما صار للمسلمين استطاعة وقوة، هذه قضية الجهاد التي صارت الآن محل أخذ ورد، ودخل فيها أهل الأهواء، ودخل فيها الجهال من شباب المسلمين، ودخل فيها العدو الذي يريد أن يثير المسلمين، وأن المسلمين يغامرون بأنفسهم مع الكفار، هذا الذي يريده العدو.

قوله: (**إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)؛ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، الجهاد مستمر، ولكن إذا وجدت شروطه ومقوماته، فإنه واجب، بل عده بعض العلماء ركنًا سادسًا من أركان الإسلام، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ**



الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ»[1]، وليس الأمر كما يقوله الجهال أو المنهزمون من المسلمين الذين يقولون: (الإسلام ما فيه جهاد، ولا فيه قتال، دين رحمة، ودين تعاطف، وإنما دفاع فقط، الذي في الإسلام هو الدفاع فقط)، الدفاع كل يُدافع، حتى الكفار يدافعون عن أنفسهم، حتى البهائم تدافع عن نفسها، فالقتال على قسمين:

* **الأول:** جهاد طلب.

* **الثاني:** جهاد دفاع.

جهاد الطلب عند قوة المسلمين واستطاعتهم، أما جهاد الدفاع، فهو عند ضعف المسلمين، عندما يُهجم عليهم، فإنهم يُقاتلون من هاجم بلادهم، من غزا بلادهم، يدافعون عنها، فهذه مسألة الجهاد التي أصبح يلوكها كثير من الجهال والمغرضين اليوم، بل إن المفجرين والإرهابيين يسمون هذا جهادًا في سبيل الله، هذا من باب قلب الحقائق، هذا ليس جهادًا في سبيل الله، هذا تخريب، فساد، والله لا يحب الفساد؛ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦]، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/ ٣٤٥)، والترمذي (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى (١١٣٣٠) من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣٣، ٣٤]، ليس هذا هو الجهاد، بل هذا إفساد، الله سماه إفسادًا في الأرض، الجهاد هو ما كان تحت راية إسلامية، وكان بتنظيم ولي الأمر، وكان مع الكفار أو مع البغاة أو الخوارج، هذا هو الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ودفع الشر من البغاة والخوارج، هذا الجهاد في سبيل الله.

قوله: (وَالصَّلاةُ فِي الجَمَاعَةِ حَيْثُ يُنَادَى لَهَا وَاجِبٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ عُذْرٌ مَانِعٌ)، ما زال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق النقل عن ابن خفيف، قال: ونعتقد أن صلاة الجماعة واجبة؛ حيث لا عذر. فهذه المسألة مسألة صلاة الجماعة، أما الصلاة من حيث هي الصلوات الخمس، فهي ركن من أركان الإسلام الخمسة -وهذا سيأتي-، من ترك الصلاة نهائيًّا، فإن كان جاحدًا لوجوبها، فهو يكفر بالإجماع، وإن كان يقر بوجوبها، ولكن ترك صلاة الجماعة تكاسلًا، وصلاها منفردًا، فهذا فيه الخلاف -وسيأتي إن شاء الله-، وإنما يقصد هنا صلاة الجماعة، وهي واجبة عند الإمام أحمد وإسحاق وجماعة من أهل الحديث أن صلاة الجماعة واجبة، وليست سنة كما يقوله البعض الآخر، ولذلك أدلة كثيرة:

منها: قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ** ﴾ [البقرة:٤٣]، هذا أمر بأن المسلم يصلي مع المصلين، ولا يصلي منفردًا.

ومنها: أن الله جَلَّ وَعَلَا شرع بناء المساجد والأذان للصلاة، فلو كانت صلاة الجماعة سنة، ما احتيج إلى بناء المساجد، ولا احتيج إلى المؤذنين، فهذا يدل على وجوبها.

وكذلك ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أنه قال: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ، إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**». قَالُوا: وَمَا الْعُذْرُ؟ قَالَ:

«**خَوْفٌ، أَوْ مَرَضٌ**»(١)، فقوله: «**فَلَا صَلَاةَ لَهُ**» هذا يدل على وجوب صلاة الجماعة، وبعض العلماء يحمله على نفي الحقيقة، أن صلاته غير صحيحة؛ لأن صلاة الجماعة شرط. والقول الآخر: إنها ليست بشرط، ولكنه واجب، فقوله: «**فَلَا صَلَاةَ لَهُ**»، أي: لاصلاة له كاملة، نفي للكمال الواجب؛ لأن الكمال في العبادات على قسمين:

* كمال واجب.

* وكمال مستحب.

والمراد هنا الكمال الواجب، نفي للكمال الواجب.

كذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ**»(٢)، فوصفهم بالنفاق، وصف المتخلفين عن صلاة الجماعة بالنفاق، والذي يتخلف عن مستحب لا يُسمى منافقًا، فدل على وجوب صلاة الجماعة.

وأصرح من هذا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا، فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِي بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ**»(٣)، وهذه عقوبة، والعقوبة لا تكون إلا على ترك واجب، فدل على أن صلاة الجماعة واجبة، وهذا هو المذهب الحق؛ أنها واجبة، وسط بين من يقول: إنها شرط، ومن يقول: إنها سنة، فالقول الصحيح: أنها واجبة، وليست شرطًا ولا سنة، وإنما هي واجبة، هذا هو القول الراجح في المسألة.

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٥١)، وابن ماجه (٧٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٧)، ومسلم (٢٥٢) (٦٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٢٥١) (٦٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(**إِذَا لَمْ يَكُنْ عُذْرٌ**)؛ كما بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**فَلَا صَلَاةَ لَهُ، إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»، والعذر: هو الخوف، أن يكون بينه وبين المسجد خوف محقق؛ إما عدو، وإما سبع يخشى أن يعتدي عليه، أو مرض لا يستطيع معه الحضور، فهذا حصل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما مرض، تخلف عن صلاة الجماعة، وأمر أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يصلي بالناس، هذا هو العذر: خوف أو مرض.

قوله: (**وَالتَّرَاوِيحُ سُنَّةٌ**)، التراويح: هي الصلاة التي تؤدى في رمضان، وهي من آكد السنن؛ لأنها تُستحب لها الجماعة، والسنة إذا استحب لها الجماعة، فهذا يدل على آكديتها، فصلاة التراويح هي قيام رمضان، وهي خاصة برمضان، تؤدى بعد صلاة العشاء في أول الليل، وسميت تراويح؛ لأنهم يستريحون بين كل تسليمتين؛ لأنهم يطولون الصلاة في ذاك الوقت، بخلاف قيامنا الآن، فإنهم يخففون الصلاة، فليسوا بحاجة إلى الاستراحة، فسميت تراويح لهذا، وهي سنة مؤكدة، فعلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأصحابه ليالي من رمضان، ثم تخلف عنهم خشية أن تفرض عليهم، وهذا يدل على أنها تؤدى جماعة؛ لأنهم أدوها جماعة مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأما أنها سنة مؤكدة، فلأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1]، «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ**»، وقيام رمضان يكون بصلاة التراويح، ويكون بالتهجد في آخر الليل في العشر الأواخر، هذا قيام رمضان، فينقسم إلى: تراويح، وهذا في العشرين الأول، وإلى تراويح وتهجد، وهذا في العشر الأواخر. وقد رغب في صلاة التراويح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي سنة مؤكدة؛ لأنها تُشرع لها الجماعة، وتُقام في المساجد، وقد فعلها الصحابة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٠٩)، ومسلم (١٧٣) (٧٥٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعات، ثم جمعهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على إمام واحد؛ كما كانوا خلف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جماعة واحدة، فاستقرت سنية التراويح، واستمرت إلى أن تقوم الساعة، ولم ينكرها إلا المبتدعة، وأما أهل السنة والجماعة، يرون أنها سنة؛ ولذلك نص عليها هنا؛ ليرد بذلك على المبتدعة الذين يقولون: إن صلاة التراويح بدعة.

قوله: (وَنَشْهَدُ أَنَّ مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ عَمْدًا، فَهُوَ كَافِرٌ)، هذه المسألة التي أشرنا إليها من قبل، وهي مسألة ترك الصلاة متعمدًا، ترك الصلاة متعمدًا، وصار لايصلي لا مع الجماعة أو وحده، ولا في المسجد أو في بيته، فهذا إن كان جاحدًا لوجوبها، يقول: (ما هي واجبة، إن أردت صليت، وإن أردت ما صليت، والدين ليس بصلاة)؛ كما يقولون. فهذا يكفر بالإجماع؛ لأنه جحد ركنًا من أركان الإسلام، بل جحد عمود الإسلام، وهو الصلاة، لا خلاف في كفره، حتى ولو صلى، وهو يقول: (ما هي بواجبة)، فهو كافر حتى يعتقد فرضيتها ووجوبها، وأنها هي الركن الثاني من أركان الإسلام.

أما إن كان يقر بوجوبها، وتركها تكاسلًا، فهذا فيه الخلاف بين أهل العلم، هو ورد أنه كافر، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ**»[1]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[2]، ولكن اختلفوا في نوعية الكفر: هل هو الكفر الأكبر المخرج من الملة، أم هو الكفر الأصغر؟ على قولين:

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣/ ٢٢٨)، ومسلم (٨٢)، وأبو داود (٤٦٧٨)، والترمذي (٢٦٢٠)، وابن ماجه (١٠٧٨)، والنسائي (٤٦٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣٨/ ٢٠)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩) من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

القول الأول -وهو قول الإمام أحمد وإسحاق، وإجماع كثير من المحدثين-: أنه كفر أكبر يُخرج من الملة، وإن كان يعترف بوجوبها، وذلك لما سمعتم في الحديث: «**بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ**»، والكفر إذا عُرف بالألف واللام، فالمراد به الكفر الأكبر، أما إذا جاء منكرًا، فإنه يُحمل على الكفر الأصغر؛ مثل: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(١)، هذا كفر أصغر، فإذا جاء منكرًا، فإنه يكون من الكفر الأصغر، أما إذا جاء معرفًا بالألف واللام، فإنه يُحمل على الكفر الأكبر المخرج من الملة، وأهل النار إذا قيل لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر:٤٢] أي ما السبب الذي أدخلكم النار؟ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر:٤٣]، هذا هو الجواب الأول، فدل على أن ترك الصلاة كفر يُخرج من الملة، ويدخل صاحبه النار، قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة:٣١، ٣٢]، فقرن أداء الصلاة مع التصديق، وقرن تركها مع التكذيب، فهذا دليل على أن تركها كفر يخرج من الملة -والعياذ بالله-، وهذا هو الراجح أنه يكفر الكفر الأكبر المخرج من الملة، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة:١١]، فدل على أن الذي لا يقيم الصلاة أنه لا يُخلى سبيله، وأنه ليس من إخواننا في الدين، وإذا لم يكن من إخواننا في الدين، فإنه كافر.

قوله: (**وَالشَّهَادَةُ وَالْبَرَاءَةُ بِدْعَةٌ**)، الشهادة لأحد معين بالجنة أو النار، فنحن نشهد أن المؤمنين في الجنة، وأن الكفار في النار، على وجه العموم نشهد بذلك، والشخص المعين إن كان قد شهد له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجنة أو نار، فنحن

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (١١٨) (٦٥) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

نشهد بما شهد له الرسول ﷺ، فنحن نشهد للعشرة الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة(١)، نشهد أنهم في الجنة بأسمائهم وأعيانهم، ونشهد أن ثابت بن قيس بن شماس في الجنة(٢)؛ لأن النبي ﷺ شهد له بالجنة، وكذلك النبي ﷺ شهد بالجنة لأشخاص بأعيانهم، فنحن نشهد لهم بالجنة، وكذلك من شهد له الرسول ﷺ أنه في النار، نشهد أنه في النار؛ كفرعون وهامان وقارون والذين جاءت أسماؤهم أنهم في النار في القرآن أو في السنة، فنحن نشهد أنهم في النار بأعيانهم، أما من لم يشهد له رسول الله ﷺ بجنة أو بنار، فنحن لا نشهد ولا نجزم، ولكننا نخاف على المسيئين، ونرجو للمحسنين، ولا نقطع لهم لا بجنة أو بنار؛ لأننا لا نحكم على الغيب، ولا ندري ما يُختم، وماذا يموتون عليه، هذه قاعدة. فلا نشهد بجنة أو بنار إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ، ولكننا نخاف على المسيئين ونرجو للمحسنين، ولا نجزم لهم.

---

(١) فعن سعيد بن زيد رضي الله عنه حدّث في نفرٍ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ**». قَالَ: فَعَدَّ هَؤُلَاءِ التِّسْعَةَ وَسَكَتَ عَنِ العَاشِرِ، فَقَالَ القَوْمُ: نَنْشُدُكَ اللهَ يَا أَبَا الأَعْوَرِ مَنِ العَاشِرُ؟ قَالَ: نَشَدْتُمُونِي بِاللهِ، أَبُو الأَعْوَرِ فِي الجَنَّةِ». أخرجه أبو داود في سننه (٤٦٤٩)، والترمذي (٣٧٥٧)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (١٦٣٠)، وابن ماجه (١٣٤)، وأحمد (٣/ ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨٥)، وابن أبي عاصم في السنة [١٤٢٨(٢/ ٦١٩)]. والحاكم في مستدركه (٣/ ٣١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١٨٧) (١١٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، مُنَكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: شَرٌّ، كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَأَتَى الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ مُوسَى بْنُ أَنَسٍ: فَرَجَعَ المَرَّةَ الآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ، فَقَالَ: **اذْهَبْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**».

قوله: (وَالْبَرَاءَةُ)، لعله يقصد الرد على الرافضة الذين يتبرؤون من أبي بكر وعمر وعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فيتبرؤون من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فنحن نوالي صحابة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونحبهم ونترضى عنهم، ونقتدي بهم؛ لأن الله قال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، ولما ذكر المهاجرين والأنصار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في سورة الحشر، قال بعد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، ولما طلب الشيعة من محمد بن علي بن أبي طالب الملقّب بابن الحنفية أن يتبرأ من أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أبى، وقال: (هما وزيرا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، أبى أن يتبرأ منهما، فقالوا: إذًا نرفضك. فسموا بالرافضة؛ لأنهم رفضوا من لم يتبرأ من أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما وأرضاهما.

قوله: (وَالصَّلاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مَنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ سُنَّةٌ)، كذلك الصلاة على المسلم الأصل فيها أنها فرض كفاية، لابد أن يُصلى عليه، فإذا صلى عليه من يكفي، سقط الإثم عن الباقين، وبقيت في حق الباقين سنة، وفي الصلاة على أموات المسلمين أجر عظيم، فالذي يصلي على جنازة مسلم له قيراط، والذي يصلي عليها ويتبعها إلى أن تُدفن له قيراطان من الأجر، كل قيراط مثل الجبل العظيم[1]، فالصلاة على المسلم فرض كفاية، إذا قام بها من يكفي، سقط الإثم عن الباقين، وإن تركوها كلهم، أثموا؛ لأنهم تركوا واجبًا، ولكن إن قام بها من يكفي، بقيت سنة في حق

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (٥٢) (٩٤٥) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلِّيَ، فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَ حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ، قِيلَ: وَمَا القِيرَاطَانِ؟ قَالَ: مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ».



البقية، وفيها أجر عظيم، وشفاعة من المسلمين للميت، يقومون على جنازته، يصلون عليه، ويدعون له، وهذا من محاسن هذا الدين العظيم، فإن المسلم إذا مات، يُعتنى به بأن يُغسل، ويُكفن، ويُصلى عليه، ويُدفن، ويُزار قبره بعد ذلك للسلام عليه والدعاء له، وبعد الفراغ من الدفن يُوقف على قبره، ويستغفر له، ويُسأل له التثبيت، فهذا من محاسن هذا الدين الإسلامي، فإنه يكرم المسلم حيًّا وميتًا، وهذا من حقوق المسلمين بعضهم على بعض.

قوله: (**مَنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ**)، يعني: من مات وهو يصلي، فإننا نصلي عليه، وإن كان عنده كبائر من كبائر الذنوب دون الشرك، فإن هذا لا يمنع الصلاة عليه، يُصلى عليه، ولو كان عنده كبائر، ما دام أنه يصلي إلى قبلة المسلمين؛ لأنه لم يخرج من الإيمان، ولو كان يزني ويسرق ويشرب الخمر ويأكل الربا وغير ذلك، ما دام أنه لم يُشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ولم يرتكب ناقضًا من نواقض الإسلام، فله حق على إخوانه المسلمين أنهم يصلون عليه، إنما الذي لا يُصلى عليه هو المرتد الذي ارتد عن الدين، وفعل ناقضًا من نواقض الإسلام -إما الشرك والكفر، وإما السحر، أو أي ناقض من نواقض الإسلام-، فهذا لا يُصلى عليه؛ لأنه مرتد، أما من لم يرتد، فيُصلى عليه، ولو كان ضعيف الإيمان أو فاسقًا بمعصية، وفي الحديث: «**صَلُّوا عَلَى مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»[1].

قوله: (**وَلا نُنْزِلُ أَحَدًا جَنَّةً وَلا نَارًا حَتَّى يَكُونَ اللهُ يُنْزِلُهُمْ**)، هذا الذي مر في الشهادة.

قوله: (**وَالمِرَاءُ وَالجِدَالُ فِي الدِّينِ بِدْعَة**) (**وَالمِرَاءُ**): هو الخصومة والمخاصمة،

(١) أخرجه الدارقطني (٢/ ٤٠٢)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٤٤٧)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣٢٠).

وهو والجدال بمعنى واحد[١]، فالجدال والمراء في الدين في مسائل الدين الثابتة لايجوز هذا، بل يجب الالتزام بها، والقيام بها، وترك المجادلة والمخاصمة فيها؛ لأن هذا يجر إلى شر، يجر إلى التساهل في مسائل الدين والعقيدة، وكثير من الشباب الآن أُبتلوا بالجدال في مسائل عظيمة من مسائل الدين؛ مثل: مسألة الإيمان، هل يدخل فيه العمل أو لا يدخل؟ هذا لا يجوز الجدال في هذه الأمور، وأشياء كثيرة يتجادلون فيها الآن، ويضلل بعضهم بعضًا، وربما يكفر بعضهم بعضًا، فالواجب أن نترك الجدال والمراء في أمور الدين، وأن نستقيم على صراط الله عَزَّوَجَلَّ، ولهذا يقول الشاعر[٢]:

فَلَا مِرَاءَ وَما فِي الدِّينِ مِنْ جَدَلٍ وَهَلْ يُجَادِلُ إِلَّا كُلُّ مَنْ كَفَرْ

والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ [غافر:٥٦]، وفي الأثر: (أنه ما ترك قوم دينهم إلا أُبتلوا بالجدل)[٣]، فيشتغلون بالجدل، ويتركون العمل، وهذا شيء واقع الآن في شباب المسلمين وفي المتعالمين، ويُخشى من جرائه وشره وعواقبه، فالواجب أن يترك طلاب العلم الجدال فيما بينهم، وألا يجتروا مسائل العقيدة ويتخاصموا فيها، ما يجترونها ويتخاصمون فيها؛ لأنه فرغ منها، وحُررت، ودُونت، ودرسها المسلمون، تدارسوها، وتواصوا بها، فلا نبعث جدالًا

---

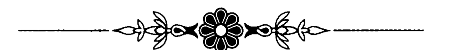
(١) انظر: جمهرة اللغة (٢/ ١٠٦٩)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٢٠٤)، ولسان العرب (١٥/ ٢٧٨).

(٢) البيت من مقدمة أبي زيد القيرواني. انظر: عقيد السلف-مقدمة أبي زيد القيرواني لكتابة الرسالة (ص٦٨).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦/ ٤٩٣، ٥٤٠)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨): عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾.



وخصومات جديدة في أمور الدين؛ لأن هذا يثير شرًّا وتفرقة ويُفرح الأعداء، أما الجدال الذي يُقصد به الرد على أهل الباطل وإظهار الحق ودحض البـاطل، فهذا مـطلوب، قال تعالى: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، أيضًا الجدال لا يكون معه تنفير ويكون معه قسوة، وإنما بالتي هي أحسن بالكلام اللين، والكلام الواضح الذي يكون الهدف منه بيان الحق، من غير عصبية، يجادلهم بالتي هي أحسن.



وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَا شَجَرَ بَيْنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ، وَنَتَرَحَّمُ عَلَى عَائِشَةَ، وَنَتَرَضَّى عَلَيْهَا.

الشَّرْح

قوله: (**وَنَعْتَقِدُ أَنَّ مَا شَجَرَ بَيْنَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ**)، الفتنة وقعت في وقت خلافة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الخليفة الثالث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بسبب أن يهوديًّا من يهود اليمن يُقال له: عبد الله بن سبأ ابن السوداء[1]؛ لأن أمه أمة سوداء، ادعى الإسلام مكرًا وخداعًا، ثم جاء إلى المدينة، وجعل يتكلم في المجالس في عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ويذمه وينتقده، ثم ذهب إلى مصر، وتجول في البلاد، حتى أثار الأوباش وأهل الفتنة على خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستمالهم، أما صحابة رسول الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ والأثبات، فإنه لم يؤثر فيهم، وهو لا يذهب إلى أكابر الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وإلى العلماء، وإنما يذهب إلى الشباب وإلى أحداث أسنان، وإلى أعراب، فيثيرهم على خليفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي النهاية هجموا على عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والناس في الحج، هجموا عليه في داره، وقتلوه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قتلوه شهيدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهذا مصداق قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لما دخل الحائط على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بشر الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بالجنة، قال للذي فتح له

---

(١) هو عبد الله بن سبأ الذي يُنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من أهل اليمن، كان يهوديًا وأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر، وكان يقول لعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنت الإله، فنفاه إلى المدائن، فلما قُتل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ زعم عبد الله بن سبأ أنه لم يمت، وأن ابن ملجم إنما قتل شيطانا تصور بصورة علي، وأن عليًا في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه ينزل إلى الأرض ويملؤها عدلًا، وأتباعه حين يسمعون صوت الرعد يقولون: السلام عليك يا أمير المؤمنين!! انظر: تاريخ دمشق (٢٩/ ٣)، ووفيات الأعيان (٤/ ٣١٠)، والوافي بالوفيات (١٧/ ١٠٠)، والتعريفات (ص١٥٥).

الباب: «**افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تَكُونُ**، قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، قَالَ: فَفَتَحْتُ وَبَشَّرْتُهُ بِالجَنَّةِ، قَالَ وَقُلْتُ الَّذِي قَالَ، فَقَالَ: اللهُمَّ صَبْرًا، أَوِ اللهُ المُسْتَعَانُ»[1]، فوقع ما أخبره به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصبر لئلا يثير فتنة، لم يقاوم الذين هجموا عليه، بل أمر من عنده من الحراس أن يغمدوا سيوفهم؛ لأنه لا يحب أن يثير فتنة بين المسلمين، فقتلوه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثم بعد ذلك ثارت الفتنة، وحصلت بين علي ومعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فمعاوية يطالب بدم عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ويطلب القصاص من الذين قتلوا عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ما يستطيع أن يسيطر عليهم، واندسوا في جيشه، اندسوا في جيش علي، فعند ذلك حصلت واقعة الجمل بين الصحابة، هؤلاء يطالبون بدم عثمان، وعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يستطيع أن يسلمهم؛ لأنهم اندسوا في جيشه، وهم الذين -أيضًا- أنشطوا المعركة، كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قد تفاهموا فيما بينهم، ولكن لما علم أولئك الأشرار، قاموا وافتعلوا قتالًا بينهم، ثم ثارت الحرب، وانتهت واقعة الجمل، ثم جاءت واقعة صفين بين أهل الشام بقيادة معاوية وبين أهل العراق بقيادة علي -رضي الله عن الجميع-، وفي كل جيش من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وانتهت بالتحكيم، فثار الخوارج على علي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقالوا: (أنت حكمت الرجال في دين الله)، مع أنهم الذين طلبوا التحكيم، وأرغموا عليًّا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣)، والفظ له، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَائِطٍ مِنْ حَائِطِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مُتَّكِئٌ يَرْكُزُ بِعُودٍ مَعَهُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ، إِذَا اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ: **افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**، قَالَ: فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالجَنَّةِ، قَالَ ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: **افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**، قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَفَتَحْتُ لَهُ وَبَشَّرْتُهُ بِالجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ آخَرُ، قَالَ فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **افْتَحْ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تَكُونُ**، قَالَ: فَذَهَبْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، قَالَ: فَفَتَحْتُ وَبَشَّرْتُهُ بِالجَنَّةِ، قَالَ وَقُلْتُ الَّذِي قَالَ، فَقَالَ: اللهُمَّ صَبْرًا، أَوِ اللهُ المُسْتَعَانُ».

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قبوله، ثم ثاروا عليه، وقالوا: (أنت حكمت الرجال)، فكفروا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فثارت حرب بينهم وبين أمير المؤمنين في النهروان، فقتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شر قتلة، هذه حروب حصلت، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مجتهدون فيها، يريدون الحق، كلٌ يريد الحق، فهم مأجورون على كل حال؛ المجتهد منهم والمصيب له أجران، والمخطئ له أجر واحد، ولهم فضائل عظيمة تغطي ما حصل من آحادهم، فنحن لا ندخل فيما شجر بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ونكف ألسنتنا؛ امتثالًا لقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، فهذا أصل عظيم من أصول أهل السنة والجماعة، وهو عدم الدخول فيما حصل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم إما مجتهدون مصيبون، فلهم أجران، وإما مجتهدون مخطئون، فلهم أجر واحد، ولهم من الفضائل ما يغطي ما قد يحصل من بعضهم من خطأ، فنحن نحترمهم، ونجلهم، ونترضى عنهم، ونثني عليهم، ونقتدي بهم، هذا حقهم علينا؛ عملًا بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ**»(١)، فلا يذم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلا أحد رجلين:

* إما منافق، والمنافقون من أول الأمر يبغضون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويبغضون صحابته.

* وإما شيعي خبيث، من شيعة الفرس، أو من شيعة اليهود، الذين يريدون القضاء على الإسلام، يتلبسون بالإسلام؛ خديعة كما تلبس به قائدهم الأول عبد الله بن سبأ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٩١).

فلا يسب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلا شيعي أو منافق، أما أهل الإيمان، فإنهم يترضون على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويحبونهم، ويجلونهم، ويثنون عليهم، ولا يدخلون فيما حصل بينهم، يكفون ألسنتهم، ولما سُئل عمر بن عبد العزيز عن ذلك، قال: (أولئك قوم طهر الله أيدينا من دمائهم، فنطهر ألسنتنا من الكلام فيهم)(١).

قوله: **(وَنَتَرَحَّمُ عَلَى عَائِشَةَ ونَتَرَضَّى عَلَيْهَا)**، عائشة أم المؤمنين زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصديقة بنت أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فهي أحب النساء على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبوها أحب الرجال إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي حبيبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبنت حبيب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولها فضل عظيم، ولكن أهل النفاق والشيعة يتكلمون فيها، وذلك في حادث الإفك، الذي برأها الله منه، وأنزل فيه آيات تتلى إلى يوم القيامة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور:١١]، سماه الله إفكًا، والإفك: هو الكذب، وذلك أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره كان إذا أراد الرحيل يقوم الرجال ويشدون على الركائب، ويحملون عليها هوادج النساء، ومن ذلك هودج عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ولكن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذهبت لقضاء حاجتها عند الرحيل، فجاء الرجال وحملوا هودجها على بعيرها، يظنون أنها فيه؛ لأنها كانت صبية صغيرة خفيفة، ظنوا أنها في الهودج، ورحلوا، جاءت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقد رحل القوم، وبقيت هي وحدها، فماذا تفعل؟ جلست في المكان؛ لأنها تعلم أنهم إذا فقدوها، سيرجعون إليها، وأدركها النوم، فنامت، وكان صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتخلف عن الركب، وينام، ثم إذا رحلوا لحق بهم، فجاء صفوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على بعيره في الليل، فرأى سوادًا، فأقبل عليه يتبين هذا السواد، فإذا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تستيقظ، وكان يعرفها قبل الحجاب،

---

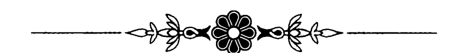
(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٥٤).

فعرفها، فجعل يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم جاء وأبرك بعيره، ثم ركبت، ولم يكلمها، وذهب بها، ولحق بها القوم، فعند ذلك تكلم المنافقون، وقالوا: إنها على موعد.. وإنها وإنها...، وحاكوا على هذه الحادثة كلامًا قبيحًا، اتهموا فيه أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، هذه هي القصة.

وفعل صفوان بن المعطل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر لابد منه؛ لأن هذه مسألة إنقاذ، هل يذهب ويتركها في الصيف وشدة الحر أيتركها؟ ما يليق هذا، فهو أنقذها، وهذا من محاسنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومن فضائله، ولو كان بينه وبينها شيء كما يقول هؤلاء المنافقون هل يذهب بها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فهذا دليل على صدقه ونصحه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه ما أراد إلا خيرًا، وإلا ما كان ليذهب بها إلى الركب، أو إلى الجيش، فهذا دليل على صدقه ونصحه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبراءته، فحصل على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا محنة وشدة، وحصل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محنة وشدة من هذه القصة، وهذا الإفك، حتى أنزل الله القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور:١١] إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور:٢٦]، فبرأ الله عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من فوق سبع سماوات بآيات تُتلى إلى يوم القيامة، فمن لم يبرئها مما برأها الله منه، فهو كافر.

وأيضًا: الطعن في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كطعن في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي فراش الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هل الأنبياء يليق بهم أن يكون من زوجاتهم خائنات؟ لا يليق هذا بالأنبياء، لا يليق بالمؤمنين آحاد المؤمنين، فكيف بالأنبياء؟ ولهذا قال: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور:٢٦]، فلم يكن الله جَلَّ وَعَلَا ليختار لنبيه امرأةً غير شريفة وغير نزيهة، هذا طعن في الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذا طعن في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

وطعن بأم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهو طعن بالمؤمنين، إذا طُعن في أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فهذا طعن في الأمة، في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هذا وجه إيراد هذه القصة في العقائد؛ لأجل الرد على المنافقين والرافضة الذين لا يزالون يطعنون في أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهذا كفر صريح؛ لأنهم كذبوا الله عَزَّ وَجَلَّ فيما أنزل.



وَالْقَوْلُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَلْفُوظِ؛ وَكَذَلِكَ فِي الاسْمِ وَالْمُسَمَّى بِدْعَةٌ.

الشَّرْح

قوله: (**وَالْقَوْلُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَلْفُوظِ؛ وَكَذَلِكَ فِي الاسْمِ وَالْمُسَمَّى بِدْعَةٌ**)، سبق أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، هذه عقيدة المسلمين؛ خلافًا للجهمية الذين يقولون: (إن القرآن مخلوق)، وتبعهم المعتزلة والأشاعرة، إلا أن الأشاعرة يقولون: (المعنى غير مخلوق، وأما اللفظ، فهو مخلوق، وهو حكاية أو عبارة عن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وكلام الله هو المعنى القائم بالنفس -بنفس الله عَزَّوَجَلَّ-، ويعبر عنه الأنبياء إما جبريل وإما نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهذا مذهب كفري، هذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، الذي يقول: (إن القرآن مخلوق)، فهو كافر، كفره الأئمة؛ لأنه يجحد صفة من صفات الله، وهي الكلام، يقول: (إن الله لا يتكلم)، فهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه جحد لصفة من صفاته، ويقول: (إن القرآن مخلوق)، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: إن القرآن منزل؛ ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، ويسميه كلامه؛ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]، نسبه إلى نفسه.

بقيت مسألة، وهي: اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ هذه من فروع الكلام في خلق القرآن، تلفظ المخلوق بالقرآن، قراءتك للقرآن هل هي مخلوقة أو غير مخلوقة؟ لا يجوز أن تقول: لفظي بالقرآن مخلوق بالإطلاق، ولا أن تقول: غير مخلوق. فلابد من التفصيل: فإن أريد باللفظ الملفوظ والمقروء، فهو كلام الله غير مخلوق، وإن أريد باللفظ الأصوات والحروف التي يؤدى بها، هذا مخلوق، صوت القارئ مخلوق، ولذلك تختلف الأصوات من حسن إلى غير حسن، ومن قراءة جيدة، إلى قراءة متوسطة، إلى قراءة غير جيدة، تختلف القراءات وتختلف

الأصوات، فأصوات الناس بالقرآن مخلوقة، أما الملفوظ به والمتلو والمقروء، فهو غير مخلوق، فلابد من هذا التفصيل، فلا يجوز أن تقول: لفظي بالقرآن مخلوق، أو أن تقول: لفظي غير مخلوق. حتى تُفصل، فتقول: إن كان المراد باللفظ التلفظ، فهذا مخلوق، أما إن أُريد باللفظ الملفوظ به، فهذا غير مخلوق.

هذه مسألة أُبتلي بها الناس، وكان الواجب أن لا يُدخل فيها، ولكن أشاعوها، فلابد من الجواب عنها، وامتُحن بها الأئمة؛ كالإمام البخاري وغيره.

(**وَالْقَوْلُ فِي اللَّفْظِ وَالْمَلْفُوظِ**)، اللفظ مخلوق، أما الملفوظ غير مخلوق. عرفنا التفصيل في هذا.

قوله: (**وَكَذَلِكَ فِي الاسْمِ وَالْمُسَمَّى بِدْعَةٌ**)، الاسم أيضًا: أسماء الله، قالوا: هل أسماء الله هي الله، أو هي غير الله؟ هل الاسم هو المسمى أو غير المسمى؟ جدليات ما أنزل الله بها من سلطان، لكن ابتلوا الأمة بها، فنقول: لا يُقال: الاسم هو المسمى، ولا يُقال: غير المسمى. حتى يفصل، فإن أردت بالاسم غير المسمى، ما يتصور في الذهن، فالذهن يتصور الاسم على حدة، ويتصور المسمى على حدة، فهو في الذهن غير المسمى، الاسم غير المسمى في الذهن والتصور، أما في الخارج، فإن الاسم هو المسمى، الرحمن هو الله، الرحمن الرحيم العزيز الحكيم، هذه الأسماء هي أسماء الله، والرحمن هو الله، والعزيز هو الله، والجبار هو الله، ففي خارج الذهن الاسم هو المسمى، وأما في الذهن، فالاسم غير المسمى من حيث التصور، أن لكل منهما حقيقة غير حقيقة الآخر، هذه مسألة الاسم والمسمى.



وَالْقَوْلُ فِي أَنَّ الإِيمَانَ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ بِدْعَةٌ.

الشَّرْح

كذلك من الأمور التي ابتلوا بها الناس: الإيمان؛ هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ هذا -أيضًا- فيه تفصيل: لا تقل: الإيمان مخلوق، ولا تقل: الإيمان غير مخلوق بإطلاق، إن أريد بالإيمان ما يضعه الله جَلَّ وَعَلَا في قلب المؤمن من النور والبصيرة ومعرفة الحق، فهذا غير مخلوق؛ لأن هذا من أفعال الله جَلَّ وَعَلَا وصفاته، أما إن أريد بالإيمان ما يحصل من العبد من الاعتقاد والعمل والقول، فهذا مخلوق؛ مثل: صلاة الإنسان، زكاته، حجه، تلفظه بالشهادتين وبالأذكار، فهذا مخلوق، فعل العبد مخلوق، أما فعل الله جَلَّ وَعَلَا، هو غير مخلوق؛ لأن الله بأسمائه وصفاته غير مخلوق.





وَاعْلَمْ أَنِّي ذَكَرْتُ اعْتِقَادَ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى ظَاهِرِ مَا وَرَدَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مُجْمَلًا مِنْ غَيْرِ اسْتِقْصَاءٍ؛ إِذْ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ عَنْ مَشَايِخِنَا الْمَعْرُوفِينَ مِنْ أَهْلِ الإِمَامَةِ وَالدِّيَانَةِ، إِلَّا أَنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَ عُقُودَ أَصْحَابِنَا الْمُتَصَوِّفَةِ فِيمَا أَحْدَثَهُ طَائِفَةٌ انْتَسَبُوا إِلَيْهِمْ مِمَّا قَدْ تَخَرَّصُوا مِنَ الْقَوْلِ مِمَّا نَزَّهَ اللهُ الْمَذْهَبَ وَأَهْلَهُ مِنْ ذَلِكَ.

الشَّرْح

في نهاية كلامه يقول: (وَاعْلَمْ أَنِّي ذَكَرْتُ اعْتِقَادَ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى ظَاهِرِ مَا وَرَدَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مُجْمَلًا مِنْ غَيْرِ اسْتِقْصَاءٍ) في المسائل التي مرت، يذكرها مجملة ولا يشرحها؛ لأن شرحها يحتاج إلى بسط، ويحتاج إلى كلام كثير، فهو يختصر المسائل، وأما التفصيل، فيوجد في الكتب المطولة.

قوله: (**عَلَى ضوءِ مَا وَرَدَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ**)، لا على ضوء ما جاء عن المتأخرين الذين ابتلوا بالبدع والأقوال الشاذة، وإنما على ضوء ما جاء عن الصحابة والتابعين والقرون المفضلة التي أثنى عليها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (**إِذْ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ عَنْ مَشَايِخِنَا الْمَعْرُوفِينَ مِنْ أَهْلِ الإِمَامَةِ وَالدِّيَانَةِ، إِلَّا أَنَّنِي أَحْبَبْتُ أَنْ أَذْكُرَ عُقُودَ أَصْحَابِنَا الْمُتَصَوِّفَةِ فِيمَا أَحْدَثَهُ طَائِفَةٌ انْتَسَبُوا إِلَيْهِمْ مِمَّا قَدْ تَخَرَّصُوا مِنَ الْقَوْلِ مِمَّا نَزَّهَ اللهُ الْمَذْهَبَ وَأَهْلَهُ مِنْ ذَلِكَ**)، دخل هنا في قضية التصوف؛ لأنه هو متصوف رَحِمَهُ اللَّهُ، والتصوف في الأصل: هو الاجتهاد والانقطاع للعبادة، إما من لباسهم الصوف؛ لأن من عادتهم أنهم يلبسون الصوف، وهذا هو الظاهر، وبعضهم يقول: نسبة إلى أهل الصُّفة الذين في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والصفة معناها سكن داخلي جعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد للغرباء الذين يأتون لطلب العلم، يسكنون في هذه الصفة، والمحسنون يأتون لهم بالطعام والشراب،

ويتصدقون عليهم، وهم يتفرغون لطلب العلم، هؤلاء هم أهل الصفة، وهم الغرباء الذين يفدون على الرسول ﷺ، وليس لهم بيوت ولا مأوى، فيجعل لهم الرسول ﷺ هذه الصُّفة ملحقة بالمسجد، يسكنون فيها، وينامون فيها، ويُحسن عليهم الناس بالطعام والشراب، يقولون: (إن تسمية الصوفية من هذا)، وهذا ليس بظاهر.

والتصوف لم يكن في القرون المفضلة، وإنما حدث بعد القرون المفضلة، وكان في بدايته ليس عليه كثير مؤاخذات؛ لأنه اجتهاد في العبادة وزهد في الدنيا، وإن كان المطلوب من الإنسان أنه يعبد الله، ويطلب الرزق، ويطلب العلم، ولاينقطع للعبادة ويترك طلب الرزق والخير، ولكن هم استساغوا هذا، وتفرغوا للعبادة والزهد والتقشف، هذا أوّلهم، وهم على عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنهم محدثون، هذا في الأول، ثم بعد ذلك تطور التصوف، ودخل فيه من البلاء والشرور والبدع والمحدثات، وتطور إلى القول بوحدة الوجود والحلولية، وغير ذلك؛ كما حصل من أقطاب الصوفية -كابن عربي، والحلاج(١)، وابن سبعين، وابن الفارض، والتلمساني(٢)-، حصل منهم -والعياذ بالله- كفر غليظ؛ حيث

(١) الحلاج هو الحسين بن منصور بن مَحْمِي أبو عبد الله ويقال: أبو مغيث، نشأ بواسط، وقيل بتستر، وقدم بغداد، كانت له بداية جيدة، وتأله وتصوف، ثم انسلخ من الدين، وتعلم السحر، وأراهم المخاريق، أباح العلماء دمه وتبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لسوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة، وقد تستر به طائفة من ذوي الضلال والانحلال، وانتحلوه وروجوا به على الجهال. نسأل الله العصمة في الدين، قاله الذهبي، قتل سنة ٣٠٩هـ. انظر: تاريخ بغداد (٨/ ١١٢)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣١٣)، ولسان الميزان (٢/ ٣١٤).

(٢) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي التلمساني الشاعر المطبق، وقد نسب إلى عظائم في الأقوال، والاعتقاد في الحلول والاتحاد، والزندقة، والكفر المحض على طريقة ابن عربي، توفي سنة ٦٩٠هـ. =

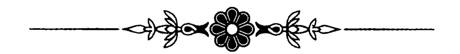
إنهم يقولون بوحدة الوجود، وهكذا البدعة، البدعة أول ما تنشأ يسيرة، ثم تتطور، أصل التصوف في أصله بدعة، ولكنها بدعة خفيفة، ثم تطورت إلى أن وصلت إلى الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، فهو يتكلم عن الصوفية القدامى، المجتهدين في العبادة والزهد، وهم على عقيدة أهل السنة والجماعة، وعلى علم الحديث، أما الصوفية المتأخرون، فتركوا العلم، واشتغلوا بالعبادة -بزعمهم-، ويزهدون في العلم، هذا من فضائحهم ومن شطحاتهم.

قوله: (فِيمَا أَحْدَثَهُ طَائِفَةٌ انْتَسَبُوا إِلَيْهِمْ)، ينكر على المتأخّرين الذين نسبوا إلى الصوفية ما ليس من مذهبهم.

قوله: (أَصْحَابِنَا الْمُتَصَوِّفَةِ)؛ القدامى الذين لم يحصل منهم ما حصل من المتأخرين من الشطحات.

قوله: (مِمَّا قَدْ تَخَرَّصُوا مِنَ الْقَوْلِ)، يعني: جاءوا بأشياء ليس لها أصل من الشرع، ونسبوها إلى التصوف.

قوله: (مِمَّا نَزَّهَ اللهُ الْمَذْهَبَ وَأَهْلَهُ مِنْ ذَلِكَ)، مذهب الصوفية في الأصل -كما سبق- هم أضافوا إليه أشياء شوهته وأفسدته، فهو يريد أن يرد على هؤلاء، وأن يقول: مذهب الصوفية في الأصل بريء من هذه المحدثات التي أحدثها قوم ينتسبون إلى الصوفية، وليسوا صوفية على الحقيقة.



= قال ابن كثير: (وَقَدْ نُسِبَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَى عَظَائِمَ فِي الْأَقْوَالِ وَالِاعْتِقَادِ فِي الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ وَالْكُفْرِ الْمَحْضِ، وَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنِ الْإِطْنَابِ فِي تَرْجَمَتِهِ). انظر: انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٣٢٦)، والنجوم الزاهرة (٨/ ٢٩)، وشذرات الذهب (٥/ ٤١٢).

إِلَى أَنْ قَالَ: وَقَرَأْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبَرِيِّ[(١)] فِي كِتَابٍ سَمَّاهُ «التَّبْصِيرِ»[(٢)] كَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى أَهْلِ طَبَرِسْتَانَ فِي اخْتِلَافٍ عِنْدَهُمْ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يُصَنِّفَ لَهُمْ مَا يَعْتَقِدُهُ وَيَذْهَبُ إِلَيْهِ، فَذَكَرَ فِي كِتَابِهِ اخْتِلَافَ الْقَائِلِينَ بِرُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى، فَذَكَرَ عَنْ طَائِفَةٍ إِثْبَاتَ الرُّؤْيَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَنَسَبَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ إِلَى الصُّوفِيَّةِ قَاطِبَةً، لَمْ يَخُصَّ طَائِفَةً دُونَ طَائِفَةٍ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ عَلَى جَهَالَةٍ مِنْهُ بِأَقْوَالِ الْمُخْلِصِينَ مِنْهُمْ، وَكَانَ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْقَوْلُ - بَعْدَ أَنِ ادُّعِيَ عَلَى الطَّائِفَةِ - ابْنُ أُخْتِ[(٣)] عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ[(٤)]، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَحَلِّهِ عِنْدَ الْمُخْلِصِينَ، فَكَيْفَ بِابْنِ أُخْتِهِ.

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الإمام أبو جعفر الطبري، كان مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين، قال عنه ابن كثير: (كان فصيح اللسان، وروى الكثير عن الجم الغفير، ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث، وصنف التاريخ الحافل، وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير، وغيرهما من المصنفات النافعة في الأصول والفروع). ا.هـ. توفي سنة عشر وثلاثمائة. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢)، وتاريخ دمشق (٥٢/ ١٨٨)، والوافي بالوفيات (٢/ ٢١٢)، وسير الأعلام (١٤/ ٢٦٧)، والبداية والنهاية (١١/ ١٤٥)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٢٠).

(٢) كتاب «التبصير في أصول الدين» لابن جرير الطبري، مطبوع، ط. دار العاصمة ـ الرياض.

(٣) ابن أخت عبد الواحد اسمه بكر، له أتباع يعرفون بالبكرية، كان في أيام النظام، وكان يوافقه في قوله: إن الإنسان هو الروح لا هذا القالب الذي تكون الروح فيه... وكان ينفرد بضلالات تكفره بها الكافة، منها قوله: إن الله تعالى يُرى يوم القيامة في صورة يخلقها يكون فيها، ويكلم العباد من تلك الصورة. انظر: التبصير في الدين (ص١٠٩)، والمنتقى من منهاج الاعتدال (ص٥٢)، وفرق الشيعة (ص١٤)، والفرق بين الفرق (ص٢٠٠)، ومقالات الإسلاميين (ص٢١٦).

(٤) هو عبد الواحد بن زيد العابد كنيته أبو عبيدة من أهل البصرة، له حكايات كثيرة في الزهد والرقائق، يروي عن الحسن ومالك بن دينار، روى عنه أهل بلده، قال عنه ابن حبان: (كان ممن غلب عليه العبادة حتى غفل عن الإتقان فكثرت المناكير في حديثه) اهـ. وقال يحيى بن معين: (ليس حديثه بشيء ضعيف الحديث) اهـ. قال الذهبي: (توفي بعد الخمسين ومائة). اهـ. انظر: الجرح والتعديل (٦/ ٢٠)، والثقات (٧/ ١٢٤)، وسير الأعلام (٧/ ١٧٩).

الشَّرح

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَقَرَأْتُ لِمُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبَرِيِّ فِي كِتَابٍ سَمَّاهُ «التَّبْصِيرَ»)، محمد بن جرير الطبري انتقد الصوفية، فهو يتعقب على الإمام ابن جرير، ويقول: إن هذا ليس مذهب الصوفية في الأصل، وإنما هؤلاء ناس جاءوا من بعد، فأضافوه إلى الصوفية، وهم منه براء.

قوله: (كَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى أَهْلِ طَبَرِسْتَانَ فِي اخْتِلَافٍ عِنْدَهُمْ)، لا زال النقل مستمرًّا عن ابن خفيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن ذلك هذا التعقيب على الإمام محمد بن جرير الطبري، وهو الإمام المشهور من أئمة أهل السنة، المفسر و المحدث والمؤرخ، وله في كل الفنون قصب السبق، فهو إمام جليل ومجتهد مطلق، وله مذهب في الفقه، ولكنه اندرس؛ لأنه لم يكن له أتباع يأخذون بمذهبه كالمذاهب الأربعة، ولكن توجد أقواله مبثوثة في كتبه، وفي الكتب التي نقلت عنه؛ لأنه إمام جليل متبحر في العلوم، ومن جملة مؤلفاته كتاب اسمه: «التبصير في أصول الدين»، وقد طُبع هذا الكتاب محققًا، وهو كتاب جيد، كتبه جوابًا لأهل طبرستان، وهو إقليم في المشرق في بلاد فارس مما يلي الاتحاد السوفيتي قديمًا، ويُنسب إليه الإمام الطبري، فهو من أهل تلك الجهة، وسأله أهلها عن مذهب التصوف، فأجابهم بهذا الكتاب، وبيَّن ما يؤخذ على هذا المذهب، وذكر نماذج من ذلك، ولكن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إن هذه المآخذ ليست على الصوفية كلهم، وإنما هي من بعضهم، إذا غلط أحد من أتباع المذهب، فلا يجوز أنه يُنسب غلطه إلى المذهب، فيُقال: كل الصوفية كذا. وإنما هذا يُحسب على من وقع منه، وهذا صحيح، وهذا هو الإنصاف أنه ما ينسب غلط واحد إلى المجموعة، هذا صحيح من حيث المبدأ، ولكن الصوفية كما ذكرنا سابقًا

أن المتقدمين منهم أهل علم وأهل حديث وزهد وورع واستقامة على الدين، لكن أخذوا منحى الاجتهاد في العبادة والزهد والتنسك، فهم لا يُذمون من حيث إنهم تزهدوا وتنسكوا، ما دام لم يحصل منهم مخالفة للسنة، أما المتأخرون من الصوفية، فقد دخلت عليهم أشياء كفرية وضلال وشطحات كبيرة، فلا يُقاس متأخرو الصوفية بمتقدميها، والتصوف الآن معروف أنه مذهب ضال، مذهب منحرف في كثير من أموره، خصوصًا في أمور العقيدة، ففيهم عُبَّاد القبور والأضرحة، الذين يعبدون الأولياء والصالحين، وفيهم من قال بوحدة الوجود -كابن عربي، وابن سبعين والتلمساني، والحلاج وغيرهم-، فالصوفية المتأخرون ليسوا مثل الصوفية المتقدمين، فالمتقدمون لا يُذمون مطلقًا، بل يُقال: فيهم وفيهم. أما المتأخرون من الصوفية، فإنهم -والعياذ بالله- قد غلب عليهم الشر والضلال، وهذا معروف فيمن كتب عنهم من المؤلفين القدامى والمحدثين، كتبوا عنهم مقالات شنيعة، وهذا نتيجة للابتداع، فإنهم لما ابتدعوا هذه الطريقة، وهي الاجتهاد في العبادة والتنسك والزهد، وإن كان في أولها أنها سليمة، لكن تطورت فيما بعد، فالبدعة تجر إلى شر، ولهذا السلف الصالح ما كان من سبيلهم التصوف، ولا نحوا هذا المنحى، بل كانوا مستقيمين على الجادة الصحيحة الواضحة، فلذلك سلموا من هذه الشطحات والانحرافات، فمن لزم الصراط المستقيم ومنهج السلف، سلم، ومن خرج عن ذلك، ولو كان في الأول خروجه يسير أو أنه عن اجتهاد منه ورغبة في الخير، إلا أنه يتطور إلى ما لا تُحمد عقباه؛ كما حصل للصوفية.

فالحاصل: أن ابن خفيف يعترض على ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما قاله في الصوفية، ويقول: إن هذا لا يُنسب إليهم -يعني: المتقدمين منهم-، لا يُنسب إليهم، وإنما يُنسب إلى أفراد منهم.

قوله: (**كَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى أَهْلِ طَبَرِسْتَانَ**)، لما سألوه؛ لأنه هو من تلك الجهة، ولذلك يُقال له: الطبري؛ نسبة إلى طبرستان.

قوله: (**وَسَأَلُوهُ أَنْ يُصَنِّفَ لَهُمْ مَا يَعْتَقِدُهُ وَيَذْهَبُ إِلَيْهِ، فَذَكَرَ فِي كِتَابِهِ اخْتِلَافَ الْقَائِلِينَ بِرُؤْيَةِ اللهِ تَعَالَى، فَذَكَرَ عَنْ طَائِفَةٍ إِثْبَاتَ الرُّؤْيَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**)، هذا ما أخذه ابن جرير على الصوفية؛ أنهم يقولون برؤية الله في الدنيا، فإن كان المراد بذلك رؤية البصر، فهذا ضلال؛ لأن أحدًا لا يستطيع أن يرى الله في الدنيا، وإنما يُرى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الآخرة؛ لعظمته وجلاله وكبريائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإذا كان الناس لا يطيقون رؤية الملك من الملائكة، وكانوا يأتون على صور رجال، وهم خلق من خلق الله، فكيف يستطيعون رؤية الله -جل جلاله، وتقدست أسماؤه؟ فلا أحد يطيق رؤية الله في هذه الدنيا، وإنما آمن به عباده المؤمنون بناءً على الأدلة القطعية والبراهين العقلية والنقلية والآيات الكونية، واستدلوا عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بآياته ومخلوقاته التي تفيد القطع واليقين بالله عَزَّوَجَلَّ؛ ولهذا يقول الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في «الأصول الثلاثة»[1] -الرسالة المختصرة-: (فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار، والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما)، فهذا هو الذي اعتمد عليه المؤمنون للإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، وإلا فإنهم لم يروه في الدنيا، وإنما يرونه في الآخرة، هذا إذا كان المراد بالرؤية البصرية.

أما إذا كان المراد بالرؤية القلبية، بأن توقن بالله حتى كأنك تراه، فهذا نعم، هذا هو الإحسان؛ كما في الحديث: «قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ**

---

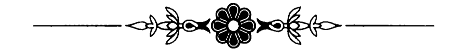
(١) انظر ثلاثة الأصول (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، الجزء الأول): (ص١٨٧).

تَرَاهُ»[1]، كأنك تراه ببصرك **«فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَـرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**، تؤمن بأنه يراك، هذا هو الإحسان، والإمام ابن خفيف يقول: هذا هو مقصود من قال هذا، ما يريد أنه يُرى بالبصر، وإنما يُرى بالبصيرة على أن الذي قال هذا إنما هو واحد من الصوفية.

قوله: **(وَنَسَبَ هَذِهِ المَقَالَةَ إِلَى الصُّوفِيَّةِ قَاطِبَةً، لَمْ يَخُصَّ طَائِفَةً دُونَ طَائِفَةٍ)**، هذا وجه المؤاخذة على ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا وجه المؤاخذة أنه عمم على الصوفية، والمؤلف يقول: لا، ليس كل الصوفية يقولون هذا، وإنما ذكره واحد منهم عليه ملاحظات.

قوله: **(فَتَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ عَلَى جَهَالَةٍ مِنْهُ بِأَقْوَالِ الْمُخْلِصِينَ مِنْهُمْ)**، جهالة من ابن جرير بمذهب الصوفية، هكذا يقول، وأنا ما أظن أن ابن جرير يجهل مذهب الصوفية؛ لأنه الإمام الجليل المدرك المنصف.

قوله: **(وَكَانَ مَنْ نُسِبَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْقَوْلُ -بَعْدَ أَنِ ادُّعِيَ عَلَى الطَّائِفَةِ- ابْنُ أُخْتِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَحَلِّهِ عِنْدَ الْمُخْلِصِينَ، فَكَيْفَ بِابْنِ أُخْتِهِ)**، ابن أبي زيد ليس مرضيًّا عندهم، فكيف بابن أخته، وهو أقل منه منزلة في العلم؟!



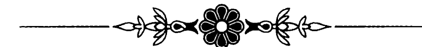
(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

وَلَيْسَ إِذَا أَحْدَثَ الزَّائِغُ فِي نِحْلَتِهِ قولًا نُسِبَ إِلَى الْجُمْلَةِ؛ كَذَلِكَ فِي الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ لَيْسَ مَنْ أَحْدَثَ قَوْلًا فِي الْفِقْهِ، أَوْ لَبَّسَ فِيهَا حَدِيثًا يُنْسَبُ ذَلِكَ إِلَى جُمْلَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ.

الشَّرح

قوله: (**وَلَيْسَ إِذَا أَحْدَثَ الزَّائِغُ فِي نِحْلَتِهِ قولًا نُسِبَ إِلَى الْجُمْلَةِ**)، هذا صحيح أنه إذا شطح واحد من أتباع المذهب، فلا يُنسب هذا إلى المذهب وإلى كل أصحاب المذهب، وإنما يخص من صدر منه ذلك.

قوله: (**كَذَلِكَ فِي الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ لَيْسَ مَنْ أَحْدَثَ قَوْلًا فِي الْفِقْهِ، أَوْ لَبَّسَ فِيهَا حَدِيثًا يُنْسَبُ ذَلِكَ إِلَى جُمْلَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ**)، الكلام هذا صحيح؛ أنه ما يُنسب غلطة واحد إلى المجموع، ولكن هل ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ نسب غلطة واحد إلى المجموعة؟ هذا محل نظر؛ لأن الصوفية المتأخرين -كما سبق- كثر فيهم الضلال والانحراف، أما المتقدمون منهم، فنعم، وإن كان هم ابتكروا هذه الطريقة، ولكن كان عندهم توحيد وحديث وتفسير، مثل: الفضيل بن عياض الإمام المشهور، هذا من الصوفية، وبشر الحافي العابد المشهور، وإبراهيم بن أدهم، فهؤلاء عُباد صالحون مستقيمون، والجنيد؛ كما فصل ذلك عنهم الإمام ابن القيم في «مدارج السالكين».



وَاعْلَمْ أَنَّ أَلْفَاظَ الصُّوفِيَّةِ وَعُلُومَهُمْ تَخْتَلِفُ، فَيُطْلِقُونَ أَلْفَاظَهُمْ عَلَى مَوْضُوعَاتٍ لَهُمْ، وَمَرْمُوزَاتٍ وَإِشَارَاتٍ تَجْرِي فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَمَنْ لَمْ يُدَاخِلْهُمْ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَنَازَلَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، رَجَعَ عَنْهُمْ خَاسِئًا، وَهُوَ حَسِيرٌ.

ثُمَّ ذَكَرَ إِطْلَاقَهُمْ لَفْظَ الرُّؤْيَةِ بِالتَّقْيِيدِ، فَقَالَ: كَثِيرًا مَا يَقُولُونَ: رَأَيْتُ اللهَ.

الشَّرح

قوله: (وَاعْلَمْ أَنَّ أَلْفَاظَ الصُّوفِيَّةِ وَعُلُومَهُمْ تَخْتَلِفُ، فَيُطْلِقُونَ أَلْفَاظَهُمْ عَلَى مَوْضُوعَاتٍ لَهُمْ، وَمَرْمُوزَاتٍ وَإِشَارَاتٍ تَجْرِي فِيمَا بَيْنَهُمْ)، هذه نقطة أخرى، يقول: (إن كلام الصوفية ما الكل يفهمه؛ لأن لهم رموزًا)، هذا يدل على أن هذا ضلال، كيف يكون لهم رموز واصطلاحات لا تفهم غير اصطلاحات أهل السنة والجماعة؟ وإنما يفهمها بعضهم من بعض، هذا دليل على ذم الصوفية، أهل السنة والجماعة واضحون ليس عندهم رموز ولا عندهم أشياء خفية، اعترف ابن خفيف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن عندهم رموزًا وعندهم أشياء يتناقلونها بينهم، الذي لا يعرف مذهبهم يحملها على محمل سيئ، أما الذي يعرف مذهبهم، فإنه يتبين له مقصودهم، وهذا ذكر منه الإمام ابن القيم شيئًا كثيرًا، ذكر ما يؤخذ عليهم، وما التبس على بعض الناس من مصطلحاتهم، ذكر هذا في «مدارج السالكين» في شرحه لكتاب شيخ الإسلام إسماعيل الهروي.

قوله: (فَيُطْلِقُونَ أَلْفَاظَهُمْ عَلَى مَوْضُوعَاتٍ لَهُمْ)، قلنا: إن هذا يُذم، أنهم لهم رموز، الواجب أن الذي يسير على الكتاب والسنة لا يكون عنده شيء غامض.

قوله: (فَمَنْ لَمْ يُدَاخِلْهُمْ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَنَازَلَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، رَجَعَ عَنْهُمْ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ)، يقول: إنه ما ينبغي أن أحدًا يُفسر كلامهم إلا وعنده

خبرة بمقاصدهم ومصطلحاتهم، أما الذي لا يعرف رموزهم ومصطلحاتهم، فإنه يحملها على المحمل السيئ، فيكون قد قال عليهم ما لم يقولوه، أو حملهم ما لم يتحملوه.

قوله: (**ثُمَّ ذَكَرَ إِطْلَاقَهُمْ لَفْظَ الرُّؤْيَةِ بِالتَّقْيِيدِ، فَقَالَ: كَثِيرٌ مَا يَقُولُونَ: رَأَيْتُ اللهَ**)، من رموزهم أنه يقول: (رأيت الله)، وهو يريد رأيته بالبصيرة، ليس المراد رؤية العين، وهذا من الموهمات، لا ينبغي أن يقول: (رأيت الله)؛ لأن هذا يوهم أنه رأى الله في الدنيا، فهذا لفظ موهم.



وَذُكِرَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ[(١)] قَوْلُهُ لَمَّا سُئِلَ: هَلْ رَأَيْتَ اللهَ حِينَ عَبَدْتَهُ؟ قَالَ: رَأَيْتُ اللهَ ثُمَّ عَبَدْتُهُ. فَقَالَ السَّائِلُ: كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ فَقَالَ: لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِتَحْدِيدِ الْعِيَانِ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِتَحْقِيقِ الإِيقَانِ[(٢)].

ثُمَّ قَالَ: يُرَى فِي الآخِرَةِ كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَذَا قَوْلُنَا وَقَوْلُ أَئِمَّتِنَا دُونَ الْجُهَّالِ مِنْ أَهْلِ الْغَبَاوَةِ فِينَا.

وَأَنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ، وَذَكَرَ ذَلِكَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ[(٣)]، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَبْلُغُ مَعَ اللهِ إِلَى دَرَجَةٍ يُبِيحُ الْحَقُّ لَهُ مَا حَظَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ -إِلَّا الْمُضْطَرَّ عَلَى حَالٍ يَلْزَمُهُ إِحْيَاءُ لِلنَّفْسِ-، وَإِنْ بَلَغَ الْعَبْدُ مَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، فَذَلِكَ كُفْرٌ بِاللهِ، وَالْقَائِلُ بِذَلِكَ قَائِلٌ بِالإِلْحَادِ، وَهُمُ الْمُنْسَلِخُونَ مِنَ الدِّيَانَةِ.

الشَّرح

قوله: (وَذُكِرَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَوْلُهُ لَمَّا سُئِلَ: هَلْ رَأَيْتَ اللهَ حِينَ عَبَدْتَهُ؟ قَالَ: رَأَيْتُ اللهَ ثُمَّ عَبَدْتُهُ. فَقَالَ السَّائِلُ: كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ فَقَالَ: لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِتَحْدِيدِ

(١) هو أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، روى عن أبيه أبي جعفر محمد بن علي، ومحمد ابن مسلم بن شهاب الزهري، ومحمد بن المنكدر، ونافع، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وسفيان بن سعيد الثوري، ولد سنة ثمانين ومات سنة ثمان وأربعين ومائة. انظر: الأنساب (٣/ ٥٠٧)، والوافي بالوفيات (١١/ ٩٨)، وطبقات الحفاظ (ص٧٩)

(٢) انظر: البدء والتاريخ (١/ ٧٤)، وفيه: (لم تره العيون بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يُدرك بالحواس، ولا يُقاس بالقياس...)، وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٤/ ٢٨٢) نحو هذا الأثر مسندًا إلى أبي جعفر محمد الباقر، راجع (ص ٢٢٦).

(٣) كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٧، ١٠٥، ١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



الْعِيَانِ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِتَحْقِيقِ الإِيقَانِ)، هو جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، من أئمة أهل السنة، وهو إمام جليل، ولكن الشيعة انتحلوا عليه، وادعوا أنهم أتباعه، وأنه إمامهم، وكذبوا عليه الكذب الكثير، فدائمًا يقولون: قال أبو عبد الله، سُئل أبو عبد الله، وكله كذب على هذا الإمام الجليل، فهو بريء منهم ومن مذهبهم، وهو من أهل السنة والجماعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (رَأَيْتُ اللهَ)، ما يقصد بذلك أنه رآه بعينه، ولكنه رآه ببصيرته، ثم عبده.

قوله: (لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِتَحْدِيدِ الْعِيَانِ)، فسر مراده بأنه ما هو المقصود أنه يُرى بالعيون، وإنما يُرى بالبصائر والقلوب، وذلك باليقين.

قوله: (ثُمَّ قَالَ: يُرَى فِي الآخِرَةِ كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَهُ رَسُولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَهَذَا قَوْلُنَا وَقَوْلُ أَئِمَّتِنَا دُونَ الْجُهَّالِ مِنْ أَهْلِ الْغَبَاوَةِ فِينَا) (ثُمَّ قَالَ)**، يعني: ابن خفيف، (يُرَى) الله جَلَّ وَعَلَا (فِي الآخِرَةِ)؛ كما هو قول أهل السنة والجماعة.

قوله: (كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ وَذَكَرَهُ رَسُولُهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، يُرى في الآخرة، يراه أهل الجنة -كما سبق-، ذكره الله في كتابه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، فالزيادة: هي النظر إلى وجه الله، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢١، ٢٢]، ترى الله جَلَّ وَعَلَا رؤية حقيقة؛ لأن الله يعطي المؤمنين يوم القيامة قوة يستطيعون بها أن يروا ربهم.

يقول ابن خفيف: (فَهَذَا قَوْلُنَا)؛ أن الله يُرى في الآخرة، لا أنه يُرى في الدنيا، أما من يقول: (إنه يُرى في الدنيا)، فهؤلاء أهل غباوة، وكأنه اعترف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن فيهم من يقول: (إنه يُرى في الدنيا).

(دُونَ الْجُهَّالِ مِنْ أَهْلِ الْغَبَاوَةِ فِينَا)؛ كأن هذا اعتراف منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن في الصوفية من يقول ما ذكره ابن جرير، ولكنه لا يعتب على ابن جرير أنه كذب على الصوفية، ولكنه يعتب عليه التعميم على الصوفية أنهم يقولون هذا.

قوله: (وَأَنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ، وَذُكِرَ ذَلِكَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ)، هذا استمرار في النقل عن ابن خفيف في كتابه، أن مما يعتقدونه أن الله حرم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم؛ كما صرح بذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع حينما خطب الناس في منى، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ ذُو الحَجَّةِ؟، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الحَرَامِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ»؛ فلذلك سميت هذه الحجة بحجة الوداع؛ لأنه ودع فيها المسلمين.

(فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ)، هو لم يحج صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد البعثة إلا مرة واحدة في حجة الوداع، وسميت حجة الوداع؛ لأنه ودع فيها المسلمين.

قوله: (فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَبْلُغُ مَعَ اللهِ إِلَى دَرَجَةٍ يُبِيحُ الحَقُّ لَهُ مَا حَظَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ -إِلَّا الْمُضْطَرَّ عَلَى حَالٍ يَلْزَمُهُ إِحْيَاءٌ لِلنَّفْسِ- وَإِنْ بَلَغَ الْعَبْدُ مَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ، فَذَلِكَ كُفْرٌ بِاللهِ، وَالْقَائِلُ بِذَلِكَ قَائِلٌ بِالإِلْحَادِ، وَهُمُ الْمُنْسَلِخُونَ مِنَ الدِّيَانَةِ)، قوله: (يُبِيحُ الحَقُّ)، أي: الله جَلَّ وَعَلَا.

يقول: إن الله حرم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وهذا التحريم على المسلمين جميعًا، فمن زعم أنه يصل إلى درجة يُباح له الحرام غير المضطر، فهو كافر، هذا عند الصوفية يقولون: (إن الصوفي إذا بلغ في التصوف مرتبة يحددونها، إذا بلغها، سقطت عنه التكاليف، وصار ما عليه حلال ولا حرام، وإنما الحلال والحرام على من لم يبلغ هذه المرتبة)، فهذا من شطحات الصوفية، وهي كفر -والعياذ بالله-، يزعمون أنه تسقط التكاليف عن بعض الصالحين إذا وصلوا إلى مرتبة من العبادة واليقين -بزعمهم-، فلا تجب عليه صلاة ولا صيام ولا حج، ولا يحرم عليه شيء، أي شيء حلال له، هكذا يزعمون، وهذا من أعظم كفر الصوفية، فإن أحدًا مهما بلغ من الصلاح والزهد، فإنه لا يسقط عنه شيء من الواجبات، ولا يُباح له شيء من المحرمات؛ لا الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، ولا من دونهم، ما أحد يُعفى من الواجبات، الرسول ﷺ هو أفضل الخلق، ومع ذلك كان يقوم حتى تفطرت قدماه من طول القيام[(١)]، وكان يصوم حتى يُقال: لا يفطر، وكان يفطر حتى يُقال: لا يصوم[(٢)]، وكان يجاهد في سبيل الله، ويقاتل الأعداء، ويدخل المعركة، ويقود الجيوش ﷺ، ما بلغ مرتبة تسقط عنه التكاليف، وهو أفضل الخلق على الإطلاق، بل كان أسبق الخلق في أداء الواجبات، وأبعدهم عن المحرمات، فكيف بغيره ﷺ؟! وهذا من شطحاتهم الكفرية؛

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٧٩) (٢٨١٩) عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا؟ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: **أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**».

(٢) أخرجه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١٧٥) (١١٥٦) عنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ».

إسقاط التكاليف عن بعض الخواص، أو خاصة الخاصة كما يسمون، فهذا من كفرهم وضلالهم، فإن العبد لا يزال عبدًا إلى أن يموت، قال الله جَلَّوَعَلَا لنبيه: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، يعني: الموت، فلم يجعل لنهاية العمل غاية إلا الموت، هذا خطاب للرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فكيف بغيره؟! يقولون: (هذا وصل إلى الله، وليس بحاجة إلى هذا)، فهذا من أعظم كفر الصوفية.

قال: (**إِلَّا الْمُضْطَرَّ**)، فإن المضطر يُباح له ما يدفع ضرورته من الحرام، ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٧٣]، فأباح للمضطر أن يتناول ما يدفع ضرورته من الحرام، وليس في تلك الحالة يكون حرامًا عليه، بل هو مباح له في تلك الحالة، فإذا اندفعت الضرورة، عاد إلى التحريم، فلا أحد يُباح له الحرام إلا المضطر فقط، أما من يقول: (إنه يُباح له بسبب أنه وصل إلى مرتبة من العبادة ومن اليقين)، فهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، وهذا شرع في دين الله ما ليس منه، وقال على الله بغير علم، هذا عند الصوفية الآن.

قوله: (**إِلَّا الْمُضْطَرَّ عَلَى حَالٍ يَلْزَمُهُ إِحْيَاءٌ لِلنَّفْسِ**)، إذا خاف الهلاك إن لم يأكل من الميتة، فإنه يأكلها منها بقدر ما يبقي عليه حياته.

قوله: (**وَإِنْ بَلَغَ الْعَبْدُ مَا بَلَغَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ**)، هذا رد عليهم، يقولون: (إنه إذا بلغ من العلم والعبادة مبلغًا، سقط عنه التكليف، وصار يتناول ما يريد، ويترك ما يريد)، هذا من الشيطان، هذا من إملاء شياطين الإنس والجن.

قوله: (**فَذَلِكَ كُفْرٌ بِاللهِ، وَالْقَائِلُ بِذَلِكَ قَائِلٌ بِالإِلْحَادِ**)، حكم عليهم بالإلحاد، القائل بأن بعض الناس يصل إلى درجة تسقط عنه التكاليف الشرعية،

فهذا ملحد، فهذا حكم على الصوفية الذين يقولون هذه المقالات بالإلحاد، لكن يقول: أئمتنا ما يقولون بهذا.

قوله: (وَهُمُ الْمُنْسَلِخُونَ مِنَ الدِّيَانَة)، هذا حكم عليهم بالكفر والانسلاخ من الدين، وهذا من إنصافه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعدله في المقال.



وَأَنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُهُ تَرْكُ إِطْلاقِ الْعِشْقِ عَلَى اللهِ. وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ لا يَجُوزُ لاشْتِقَاقِهِ، وَلِعَدَمِ وُرُودِ الشَّرْعِ بِهِ، وَقَالَ: أَدْنَى مَا فِيهِ أَنَّهُ بِدْعَةٌ وَضَلالَةٌ، وَفِيمَا نَصَّ اللهُ مِنْ ذِكْرِ المَحَبَّةِ كِفَايَةٌ.

الشَّرْح

قوله: (وَأَنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُهُ تَرْكُ إِطْلاقِ الْعِشْقِ عَلَى اللهِ)، العشق هذا من درجات المحبة، والعشق: هو المحبة مع شهوة، والله جَلَّوَعَلَا أخبر أنه يحب عباده المؤمنين وأن المؤمنين يحبونه، قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، ويحب المتقين، ويحب المحسنين، فالله يحب جَلَّوَعَلَا، فالمحبة صفة من صفاته عَزَّوَجَلَّ؛ كسائر صفاته محبة تليق بجلاله، ليس كمحبة المخلوق، والخلق يحبون الله عَزَّوَجَلَّ محبة عظيمة، لا يبلغها أحد؛ ولذلك يعبدونه، ويجاهدون في سبيله، ويطيعونه؛ لأنهم يحبونه، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، الكفار يحبون الله، ويحبون معه غيره، أشركوا معه في المحبة، أما المؤمنون، فإنهم يحبون الله محبة خالصة، لايشاركه فيها أحد، فلذلك صاروا أشد حبًّا لله من أهل الأصنام لأصنامهم، أو أشد حبًا لله من محبة الكفار لله؛ لأنهم يحبون الله، لكن لما أحبوا معه غيره، صاروا مشركين؛ كما أنهم يعبدون الله، لكن لما عبدوا معه غيره، صاروا مشركين، فالعبادة لا تنفع إلا إذا كانت خالصة لوجه الله عَزَّوَجَلَّ، أما إذا دخلها شرك، فإنها تبطل، ومن ذلك المحبة، وهي أعلى أنواع العبادة،

فالله يحب المؤمنين، والمؤمنون يحبونه، وهذا مشترك بين كل المؤمنين؛ أن الله يحبهم وأنهم يحبون الله.

أما الخُلة: فهي أعلى درجات المحبة، فهذه لم ينلها من الخلق إلا اثنان، وهما: إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، أي: أن الله يحبه أعظم درجات المحبة، وأن الخليل إبراهيم يحب الله أعلى درجات المحبة، وكذلك نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه قبل أن يموت بخمس قال: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلًا، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»(١)، فالذي منعه من أن يتخذ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليلًا مع أنه يحبه محبة شديدة، وهو أحب الرجال إليه، لكن لم يتخذه خليلًا؛ لئلا يشركه مع الله في الخلة؛ لأنها لا تقبل الاشتراك، ولهذا لما جاء الولد لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على الكبر وأحبه، امتحنه الله، فأمره بذبحه، فبادر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذبح ابنه امتثالًا لأمر الله؛ لأنه لا أحد يشارك الله في محبة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ له، لا الولد ولا غيره؛ لذلك بادر بذبحه، فظهر صدقه في محبة الله؛ ولذلك اتخذه الله خليلًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أما العشق: فلا يجوز، أنت تقول: أنا أحب الله، ولكن لا يجوز أن تقول: أنا عشقت الله؛ لأن العشق محبة مع شهوة؛ كما يعشق الرجل المرأة، والعشق معروف عند العرب، هذا لا يجوز أن يتلفظ به أحد، وإن كان الصوفية فيهم من يقول هذا.

قوله: (**وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوزُ لاشْتِقَاقِهِ**) (**لاشْتِقَاقِهِ**): لاشتقاق العشق أنه محبة مع شهوة، هذا لا يليق بالله عَزَّ وَجَلَّ، وأيضًا هذا لم يرد في الكتاب والسنة، وإنما الذي ورد المحبة.

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٦٤).

قوله: (وَلِعَدَمِ وُرُودِ الشَّرْعِ بِهِ)، يعني: لا يجوز العشق في حق الله لأمرين:

* **أولًا:** أنه من ناحية اشتقاقه لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ.

* **وثانيًا:** أنه لم يرد في الكتاب والسنة، فنحن لا نثبت لله إلا ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولكن الصوفية من شطحاتهم أنهم يثبتون العشق لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (وَقَالَ: أَدْنَى مَا فِيهِ أَنَّهُ بِدْعَةٌ وَضَلالَةٌ)، العشق يعني، إثباته لله بدعة وضلالة.

قوله: (وَفِيمَا نَصَّ اللهُ مِنْ ذِكْرِ المَحَبَّةِ كِفَايَةٌ)، الله جَلَّوَعَلَا ذكر المحبة، وهذه عامة للمؤمنين، وذكر الخُلة، وهي خاصة بالخليلين -عليهما الصلاة والسلام-، فنقف عند ما ذكره الله عَزَّوَجَلَّ.



وَأَنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّ اللهَ لَا يَحِلُّ فِي المَرْئِيَّاتِ، وَأَنَّهُ المُنْفَرِدُ بِكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، حَيْثُ مَا تُلِيَ وَحُفِظَ وَدُرِّسَ.

الشَّرح

قوله: (**وَأَنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّ اللهَ لَا يَحِلُّ فِي المَرْئِيَّاتِ**)، من شطحات الصوفية المتأخرين: القول بالحلول؛ أن الله يحل في المخلوقات -تعالى الله عن ذلك-، فيعتقدون أن الله موجود في كل مكان، ويصرحون بهذا، فهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الله أخبر أنه في السماء، وأنه استوى على العرش، وأنه العلي الأعلى، فهو في السماء وفوق عرشه، وأما علمه جَلَّوَعَلَا، فهو في كل مكان، علمه لا يخلو منه مكان؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران:٥]، وهو محيط بخلقه، لا يخفون عليه في أي مكان كانوا، أما هو جَلَّوَعَلَا، فهو فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه، كلمة (بائن) معناها: أنه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته؛ رد على الحلولية؛ لأن الحلولية لا يقولون: (إنه بائن من خلقه)، بل يقولون: (إنه في مخلوقاته)؛ ولذلك يسمون بالحلولية، وهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ وإلحاد، وهذا من شطحات الصوفية المتأخرين.

قوله: (**وَأَنَّهُ المُنْفَرِدُ بِكَمَالِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ**)، استواءً يليق بجلاله سبحانه.

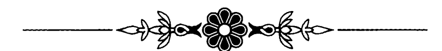
قوله: (**وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، حَيْثُ مَا تُلِيَ وَحُفِظَ وَدُرِّسَ**)، انتقل إلى مسألة كلام الله عَزَّوَجَلَّ، يقول ابن خفيف: (إننا نعتقد أن القرآن كلام الله حقيقة

منزل غير مخلوق)؛ ردًا على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ولكن الجهمية والمعتزلة يقولون: (إنه مخلوق حروفًا ومعانيَ).

أما الأشاعرة، فيقولون: (إنه من حيث المعنى غير مخلوق، وأما من حيث الحروف فهو مخلوق، فالقرآن المكتوب في المصاحف هذا مخلوق، وإنما هو حكي أو عبارة عن كلام الله النفسي، كلامه معنى قائم بنفسه سبحانه، وإنما عبر عنه جبريل أو محمد، لا أنه كلام الله حقيقة، إنما هو عبارة أو حكاية عن كلام الله)، كذا يقولون، فهم شاركوا المعتزلة في أن الحروف -حروف القرآن- مخلوقة، وأما معناه فهو غير مخلوق، هذا أخذوه من مذهب أهل السنة والجماعة، أهل السنة والجماعة يقولون: كلام الله منزل غير مخلوق حروفه ومعانيه، كله من الله جَلَّوَعَلَا، وأن الله تكلم به حقيقة كما يليق بجلاله، وأنه أرسل به جبريل إلى محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فبلغه جبريل لمحمد، وبلغه محمد للأمة، فهو كلام الله جَلَّوَعَلَا، لا كلام غيره، وإذا أضيف إلى جبريل عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ﴾ [التكوير:١٩، ٢٠]، فالمراد إضافة التبليغ، أو نُسب إلى محمد صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖ﴾ [الحاقة:٤٠، ٤١]، فالمراد نسبة التبليغ؛ لأن الكلام يُضاف إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغًا ومؤديًا، فأنت -مثلًا- إذا سمعت معلقة امرئ القيس التي يقرأها فلان، يقرأها محمد أو علي، هل تقول: إن هذا الشعر هو شعر محمد أو علي، أو تقول: هذه معلقة امرئ القيس؛ لأنه هو الذي قالها وابتدأها، ولكن الذي يقرؤها إنما هو مبلغ لها بصوته، أما الأصل، فهي تلفظ امرئ القيس وشعره ونظمه؟ هذا إذا كان في المخلوقين، ففي الخالق من باب أولى أن كلام الله جَلَّوَعَلَا يُضاف إليه إضافة حقيقية لا مجازية كما يقولون.

قوله: (وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ) جَلَّ وَعَلَا؛ لأن الله أضافه إليه؛ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥]، ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة:٦]، فنسبه إلى نفسه نسبة حقيقية لا مجازية؛ لأنه هو الذي تكلم به جَلَّ وَعَلَا، فسمى القرآن كلامه، فهو كلام الله جَلَّ وَعَلَا حروفه ومعانيه.

قوله: (غَيْرُ مَخْلُوقٍ حَيْثُ مَا تُلِيَ وَحُفِظَ وَدُرِّسَ)، نعم، هو كلام الله، وإن حفظته في صدرك، فهو كلام الله، لا كلامك أنت، وحينما تقرؤه، فأنت تقرأ كلام الله؛ كما مثلنا في معلقة امرئ القيس، أنت تحفظها،فإذا قرأتها، لا تقول: هذه قصيدتك أبدًا، ولا أحد يقول: هذه قصيدته، نقول: هذه قصيدة امرئ القيس، ولو قلت: هذه لي. قال: لا، أنت كذاب، هذه لامرئ القيس. وإن كنت أنت تحفظها بصدرك، وتقرؤها بلسانك، وتدرسها لأولادك، فهي لا تزال معلقة مَنْ؟ امرئ القيس، وكذلك القرآن -ولله المثل الأعلى- إذا حفظته في صدرك، أو كتبته في مصحفك، أو قرأته بلسانك، أو علمته أولادك أو أحدًا من المسلمين، فهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ حقيقة.



وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَاتَّخَذَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلِيلًا وَحَبِيبًا، وَالْخُلَّةُ لَهُمَا مِنْهُ، عَلَى خِلَافِ مَا قَالَهُ الْمُعْتَزِلَةُ: أَنَّ الْخُلَّةَ الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ.

إِلَى أَنْ قَالَ: وَالْخُلَّةُ وَالْمَحَبَّةُ صِفَتَانِ لِلَّهِ هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِمَا، وَلَا تَدْخُلُ أَوْصَافُهُ تَحْتَ التَّكْيِيفِ وَالتَّشْبِيهِ، وَصِفَاتُ الْخَلْقِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ جَائِزٌ عَلَيْهَا الْكَيْفُ، وَأَمَّا صِفَاتُ اللهِ تَعَالَى، فَمَعْلُومَةٌ فِي الْعِلْمِ، وَمَوْجُودَةٌ فِي التَّعْرِيفِ، قَدِ انْتَفَى عَنْهُمَا التَّشْبِيهُ، فَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَاسْمُ الْكَيْفِيَّةِ عَنْ ذَلِكَ سَاقِطٌ.

الشَّرح

قوله: (**وَنَعْتَقِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَاتَّخَذَ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلِيلًا وَحَبِيبًا**) (**خَلِيلًا وَحَبِيبًا**)؛ لأن بعض الناس يقول: (حبيب الله، قال الحبيب)، هذا ما يكفي في حق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الحبيب هذه مشتركة، لازم تقول: خليل الله، هذه أعظم منزلة، تقول: محمد خليل الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أما الذي يكثر على الألسنة أنه حبيب الله، فهذا نقص في حقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (**وَالخُلَّةُ لَهُمَا مِنْهُ عَلَى خِلَافِ مَا قَالَهُ الْمُعْتَزِلَةُ: أَنَّ الخُلَّةَ الْفَقْرُ وَالحَاجَةُ**)، الخُلة أعلى درجات المحبة، هذا في اللغة العربية الفصحى، ولا أحد يخالف في هذا، أما أهل الضلال، فيقولون: (الخلة الفقر، ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، أي: فقيرًا إليه)، هذا ما منا أحد فقير إلى الله إلا إبراهيم؟! ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥]، معناه: أن كل الخلق أخلاء إلى الله عَزَّ وَجَلَّ؟! فليست الخُلة هي الفقر، وإنّما يُقال: أصابته خَلّة،

يعني: حاجة، خَلة ما يُقال: خُلة، ولكن هؤلاء أهل ضلال وأهل تلبيس -والعياذ بالله-، يغالطون حتى في الأشياء الواضحة التي ما فيها لبس.

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَالْخُلَّةُ وَالْمَحَبَّةُ صِفَتَانِ للهِ هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِمَا)، الله وصف نفسه بالخُلة، وهي مع عبدين من عباده: إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووصف نفسه بالمحبة؛ أنه يحب المؤمنين، وهذه عامة لكل المؤمنين والصالحين والمتطهرين والمحسنين، هذه محبة عامة لخلقه المؤمنين، فهناك فرق بين الخُلة والمحبة.

قوله: (وَلا تَدْخُلُ أَوْصَافُهُ تَحْتَ التَّكْيِيفِ وَالتَّشْبِيهِ، وَصِفَاتُ الْخَلْقِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ جَائِزٌ عَلَيْهَا الْكَيْفُ)، هذه القاعدة أن صفات الله جَلَّ وَعَلَا لاتدخل تحت التشبيه والتكييف، ولا تقبل التعطيل والتغيير والتبديل والتأويل، بل هي صفات حقيقية ثابتة له سبحانه، نثبتها من غير تحريف ولا تعطيل، وننزه الله عن مشابهة المخلوقين، ننزه الله تنزيهًا بلا تعطيل، ونثبت له الأسماء والصفات إثباتًا بلا تمثيل أو تشبيه؛ لأن هناك من غلا في التنزيه حتى عطل الصفات ونفاها عن الله؛ فرارًا من التشبيه -بزعمه-، وهم الجهمية والمعتزلة ومن سار بركابهم، بالغوا وغلوا في التنزيه حتى نفوا الأسماء والصفات عن الله؛ لأنها عندهم تقتضي التشبيه، فنفوها، والمشبهة غلوا في الإثبات حتى شبهوا الله بخلقه، الوسط هو ما عليه أهل السنة؛ أننا نثبتها من غير تشبيه، وننزهها عن صفات المخلوقين من غير تعطيل.

قوله: (وَلا تَدْخُلُ أَوْصَافُهُ تَحْتَ التَّكْيِيفِ وَالتَّشْبِيهِ)، صفات الله لا تدخل تحت التكييف والتمثيل؛ لأنها تليق بجلاله جَلَّ وَعَلَا، ونحن لا نحيط بالله علمًا إلا ما علمنا عن نفسه سبحانه، أو علمنا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما صفات المخلوقين، فإنها

تدخل تحت التشبيه والتمثيل، فهذا من الفرق بين صفات الله وصفات المخلوق؛ أن صفات الله لا تقبل التشبيه والتمثيل، أما صفات المخلوقين، فهي تقبل التمثيل والتشبيه، فتقول: فلان علمه كعلم فلان. تشبه علمه بعلم فلان، وتقول: فلان له يد كيد فلان، ووجه كوجه فلان. فلذلك إذا أردت أن تصف واحدًا للناس، تقول: هو يُشبه فلان، أشباهه مثل أشباه فلان، فلان يُشبه أباه، ومن يُشابه أباه فما ظلم. فالخلق يتشابهون فيما بينهم، ويُمثل بعضهم ببعض، تقول: فلان مثل فلان في العلم، وفي الأخلاق وفي الكرم مثل فلان. وأما الله جَلَّوَعَلَا، فلا يُشبه ولا يمثل بأحد من خلقه، ولا يعلم كيفية ذاته ولا كيفية أسمائه وصفاته إلا هو سبحانه، فقد انفرد بذلك.

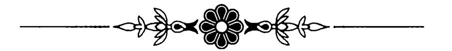
قوله: (وَأَمَّا صِفَاتُ اللهِ تَعَالَى فَمَعْلُومَةٌ فِي الْعِلْمِ)، يعني: ثابتة، نعلم معناها، نعرف معنى النزول والاستواء بموجب اللغة العربية، نعرف معنى الوجه واليد بموجب اللغة العربية، نعرف معنى أن الله يتكلم، المعنى معروف، لكن الكيفية مجهولة؛ ولهذا لما سُئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ سأله سائل، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟ انظر! يسأل عن الكيفية، قال له مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»[(١)]، والسؤال عنه -أي: عن الكيفية- بدعة؛ فلا نسأل عن كيفية أسماء الله وصفاته، وإنما نسأل عن معناها، فلا بأس، ما معنى أن الله سميع بصير، أن له وجهًا، أن له يدين؟ فالمعنى معروف بموجب اللغة العربية التي خاطبنا الله جَلَّوَعَلَا بها، ما معنى علم الله عَزَّوَجَلَّ، المعنى معروف، ما معنى استوى على العرش؟ معناه: ارتفع وعلا

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٣٤).

وصعد، فالمعنى معروف تفسره، أما الكيفية، فلا، هي مجهولة. (فَمَعْلُومَةٌ) من حيث المعنى.

قوله: (**وَمَوْجُودَةٌ فِي التَّعْرِيفِ، قَد انْتَفَى عَنْهُمَا التَّشْبِيهُ، فَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَاسْمُ الْكَيْفِيَّةِ عَنْ ذَلِكَ سَاقِطٌ**)، ما عندنا إلا معرفة المعنى، أما الكيفية فلا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



وَمِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّ اللهَ أَبَاحَ المَكَاسِبَ وَالتِّجَارَاتِ وَالصِّنَاعَاتِ، وَإِنَّمَا حَرَّمَ اللهُ الْغِشَّ وَالظُّلْمَ، وَأَنَّ مَنْ قَالَ بِتَحْرِيمِ المَكَاسِبِ، فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ؛ إِذْ لَيْسَ الْفَسَادُ وَالظُّلْمُ وَالْغِشُّ مِنَ التِّجَارَاتِ وَالصِّنَاعَاتِ فِي شَيْءٍ، وَإِنَّمَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ الْفَسَادَ لَا الْكَسْبَ وَالتِّجَارَةَ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْلِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ جَائِزٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الشَّرْح

قوله: (وَمِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّ اللهَ أَبَاحَ المَكَاسِبَ وَالتِّجَارَاتِ وَالصِّنَاعَاتِ وَإِنَّمَا حَرَّمَ اللهُ الْغِشَّ وَالظُّلْمَ)، فهذا مبني على قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء:٢٩]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩]، إلى أن قال سبحانه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠]، أي: اطلبوا الرزق بالبيع وغيره، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك:١٥]، قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠]، ﴿يَضْرِبُونَ﴾، يعني: يسافرون في الأرض، ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾: يطلبون الرزق بالتجارة وغيرها، فالسفر لطلب الرزق قرنه الله مع الجهاد في سبيل الله، بل إن الله قرن ابتغاء الرزق مع العبادة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت:١٧]، إلى غير ذلك من الآيات، وكذلك الحرف والصناعات التي يتعيش الإنسان من ورائها،



ويعيش من تلزمه نفقته، ويتحصل منها على مال يتصدق منه، وينفق منه في سبيل الله، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، **كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»[1]، إلى غير ذلك من الحرص على الصناعات والحرف، وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ**»[2]، فلا شك أن الاكتساب المباح سواءً بالتجارة أو بالاحتراف أو بالصناعة، أنه مما أمر الله به، ورغب فيه؛ ولأن هذا فيه عمارة الكون ومصالح البشر، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رأى رجلًا منقطعًا في المسجد، قال: «**من ينفق على هذا؟**» قالوا: أخوه. قال: «**أخوه خير منه**»[3]، طلب الرزق خير من الانقطاع للعبادة، ويكون الإنسان عالة على الناس ينظر إلى أيديهم، وهذا رد على من يقولون ويسمون أنفسهم بالمتوكلين، ويتركون طلب الرزق؛ ولهذا قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة»[4]، وأنكر على من يتركون طلب الرزق انقطاعًا للعبادة، أو توكلاً على الله -بزعمهم-، فالتوكل على الله لابد منه، ولكن مع فعل الأسباب، هذا مذهب أهل السنة والجماعة أنهم يجمعون بين التوكل وفعل الأسباب النافعة، أما من توكل على الله -بزعمه-، وعطل الكسب وطلب الرزق، فهذا عجز، وهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٢) من حديث المقدام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٧٤)، ومسلم (١٠٧) (١٠٤٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٣٨٠) عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرَافِقُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ رُفَقَاءَ، فَجَاءَتْ رُفْقَةٌ يَهْرِفُونَ بِرَجُلٍ يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ فُلَانٍ، إِنْ نَزَلْنَا فَصَلَاةٌ، وَإِنْ رَكِبْنَا فَقِرَاءَةٌ، وَلَا يُفْطِرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَنْ كَانَ يَرْحَلُ لَهُ؟ وَمَنْ كَانَ يَعْمَلُ لَهُ؟** وَذَكَرَ سُفْيَانُ أَشْيَاءَ فَقَالُوا: نَحْنُ، فَقَالَ: **كُلُّكُمْ خَيْرٌ مِنْهُ**».

(٤) انظر: العقد الفريد (٢/ ٣٤٢)، وإحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٦٢)، والمستطرف (ص٣٠٧).

منهي عنه، وكذلك العكس؛ من اعتمد على الأسباب، وترك التوكل على الله، فهذا شرك، فلابد من الجمع بين الأسباب النافعة مع التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا هو الحق، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، وهو الذي تدل عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

فالمتزهدون والمتعبدون الذين يزعمون أنهم يتفرغون للعبادة، ويتركون طلب الرزق هؤلاء خاطئون، وطلب الرزق الحلال من العبادة، يُثاب عليه الإنسان.

قوله: (وَإِنَّمَا حَرَّمَ اللهُ الْغِشَّ) في المعاملات؛ بأن يغش الناس في بيعه وشرائه، أو في صناعته؛ لا يتقن الصناعة أو المقاولة، فهذا هو الغش المحرم، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(١)؛ كما في الحديث: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَىٰ صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: **مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟** قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ»، يعني: المطر، قال: «**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢)، وفي رواية: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»، هذا هو الذي حرمه الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك الخديعة؛ خديعة الناس في المعاملات.

وكذلك: (وَالظُّلْمَ)؛ أخذ أموال الناس بغير حق، القهر والغلبة بالسرقة، بالنهب، بالسلب، التسلط بالغصب، هذا كله حرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالرزق يُطلب من وجوهه المباحة، ولا يُطلب من الوجوه المحرمة.

قوله: (وَأَنَّ مَنْ قَالَ بِتَحْرِيمِ الْمَكَاسِبِ، فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ)، مثل المتصوفة والمتعبدة الذين يقولون بتحريم المكاسب وطلب الرزق؛ لأن هذا يُشغل

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٤) (١٠١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عن العبادة، فيُقال لهم: هذا من العبادة، طلب الرزق من العبادة، فهو داخل فيها، فالذي يقول: (إن المكاسب كلها حلال مطلقًا) مخطئ، والذي يقول: (إن المكاسب كلها حرام) مخطئ، فلابد من التفصيل بين ما أحله الله وما حرمه الله.

قوله: (**وَأَنَّ مَنْ قَالَ بِتَحْرِيمِ الْمَكَاسِبِ، فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ مُبْتَدِعٌ**)، يعني: من قال بتحريم المكاسب كلها، يقول: (الحلال ما حل باليد)، ولا يبالي، هذا مبتدع وضال، بل إن الله أحل المكاسب بالطرق الشرعية التي ليس فيها ظلم، وليس فيها غش ولا خديعة، ولا غرر ولا ضلالة.

قوله: (**إِذْ لَيْسَ الْفَسَادُ وَالظُّلْمُ وَالْغِشُّ مِنَ التِّجَارَاتِ وَالصِّنَاعَاتِ فِي شَيْءٍ**)، الذي يقول: (إن الله أحل المكاسب مطلقًا)، يكون قد أدخل فيها الظلم، وأدخل فيها الغش، وأدخل فيها الخيانة، فهذا إطلاق لا يجوز، بل لابد من التفصيل.

كذلك من يقول: (إن طلب الرزق وطلب الكسب حرام؛ لأنه يُشغل عن العبادة)، فهذا خطأ وضلال؛ لأن الله لم يحرم طلب الرزق من الوجوه الشرعية، وإنما حرم الظلم والغش والحصول على المال بطرق محرمة كبيع المواد المحرمة، بيع المخدرات، بيع القات، بيع الدخان، بيع الصور، المواد المحرمة؛ «**إِنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ شيئًا حَرَّمَ ثَمَنَهُ**»[1]، بيع الخمر وبيع الميتة، هذا كله حرام، ولا يُقال: هذا بيع ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة:٢٧٥]، بل أحل الله البيع في الأشياء المباحة، والأشياء المحرمة لا يجوز بيعها، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سُئل عن شحوم الميتة، قالوا: «أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهَا يُطْلَى بها السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بها الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٦) واللفظ له، وأبو داود (٣٤٨٨)، وابن حبان (١١/ ٣١٢)، والدارقطني (٣/ ٣٨٨)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٢١) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

بِهَا النَّاسُ، فَقَالَ: **لَا، هُوَ حَرَامٌ**»[(١)]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ شيئًا حَرَّمَ ثَمَنَهُ**»، فالذين يبيعون الأشياء المحرمة، ويقولون: (هذا يدخل في قوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة:٢٧٥])، يكذبون على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الله لم يحل هذا البيع، ولهذا قال: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥]، والربا نوع من البيع، ومع هذا حرمه الله لما فيه من أكل المال بالباطل.

قوله: (**وَإِنَّمَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ الْفَسَادَ لَا الْكَسْبَ وَالتِّجَارَةَ**)، أي: المعاملات الفاسدة.

قوله: (**فَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْلِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ جَائِزٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)، أما الكسب المنضبط بالضوابط الشرعية بالكتاب والسنة، فهذا جائز إلى يوم القيامة؛ ولهذا قال العلماء: (من حرّم حلالًا مجمعًا على حله، فهو مرتد)، من نواقض الإسلام أن الإنسان يحرم حلالًا مجمعًا على حله، أو أحل حرامًا مجمعًا على تحريمه، فهذا من نواقض الإسلام، لابد أن يكون التحليل والتحريم موافقًا لكتاب الله وسنة رسول الله، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٦، ١١٧]، فلا يجوز للإنسان أنه يقول: (هذا حلال) من غير دليل، أو يقول: (هذا حرام) من غير دليل، فلابد من دليل من الكتاب والسنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣٦)، ومسلم (٧١) (١٥٨١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: «**إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ، وَالْمَيْتَةِ، وَالْخِنْزِيرِ، وَالْأَصْنَامِ**، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ، فَإِنَّهُ يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ، فَقَالَ: لَا، هُوَ حَرَامٌ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ: **قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ، إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ شُحُومَهَا أَجْمَلُوهُ، ثُمَّ بَاعُوهُ فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ**».

وَأَنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِأَكْلِ الْحَلَالِ ثُمَّ يُعْدِمُهُم الْوُصُولَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ؛ لأَنَّ مَا طَالَبَهُمْ بِهِ مَوْجُودٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْمُعْتَقَدُ أَنَّ الأَرْضَ تَخْلُو مِنَ الْحَلَالِ، وَالنَّاسُ يَتَقَلَّبُونَ فِي الْحَرَامِ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ، إلا أَنَّهُ يَقِلُّ فِي مَوْضِعٍ وَيَكْثُرُ فِي مَوْضِعٍ، لَا أَنَّهُ مَفْقُودٌ مِن الأَرْضِ.

الشَّرح

قوله: (**وَأَنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِأَكْلِ الحَلَالِ ثُمَّ يُعْدِمُهُم الْوُصُولَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ؛ لأَنَّ مَا طَالَبَهُمْ بِهِ مَوْجُودٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)، الذي يقول: (إن الناس كلهم يتعاطون الحرام، ولا فيه معاملات مباحة، الناس كلهم يبيعون ويكتسبون الحرام)، هذا كذاب وضال، الله جَلَّ وَعَلَا أمرنا بطلب الرزق وطلب الحلال، فلو كان ينعدم ولا يوجد، فيكون أمر الله به من باب العبث -تعالى الله عن ذلك-، فدل على أن الحلال والأمر بالاكتساب باقٍ إلى أن تقوم الساعة.

قوله: (**أَنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِأَكْلِ الحَلَالِ ثُمَّ يُعْدِمُهُم الْوُصُولَ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ**)، لا يأمر جَلَّ وَعَلَا بأكل الحلال، ثم يعدم الحلال، ولا يوجد -كما يقوله أهل الضلال.

قوله: (**لأَنَّ مَا طَالَبَهُمْ بِهِ مَوْجُودٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**)، كل ما أمر الله به من طلب الحلال فإنه موجود إلى يوم القيامة؛ لأن الأمر عام للمسلمين إلى أن تقوم الساعة، والنهي عام للمسلمين إلى أن تقوم الساعة، لا يأتي وقت ينتهي الأمر والنهي -كما يقوله أهل الضلال.

قوله: (**وَالْمُعْتَقِدُ أَنَّ الأَرْضَ تَخْلُو مِنَ الحَلَالِ، وَالنَّاسُ يَتَقَلَّبُونَ فِي الحَرَامِ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ**)، الذي يعتقد أنه ليس هناك حلال في الأرض، وأن الناس كلهم

يتقلبون في الحرام، هذا ضال مضل، يفتري على الله الكذب، ويرد على الله جَلَّوَعَلَا بأنه خلق الأرزاق وسخر لنا ما في السماوات وما في الأرض، وأمرنا بطلب الرزق، كيف يأمرنا بشيء لا يوجد؟!

قوله: (**إِلا أَنَّهُ يَقِلُّ فِي مَوْضِعٍ وَيَكْثُرُ فِي مَوْضِعٍ، لَا أَنَّهُ مَفْقُودٌ مِن الأَرْضِ**)، لايجوز الحكم بالعموم على الناس، يُقال: (كل الناس يتعاطون الحرام، وليس هناك كسب حلال اليوم)، بل يوجد من المسلمين من هو متقيد بشرع الله عَزَّوَجَلَّ، ولكنهم يقلون ويكثرون في بعض الأحيان، وفي بعض الأماكن، أما أنهم ينقطعون نهائيًا، فهذا باطل.



وَمِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّا إِذَا رَأَيْنَا مَنْ ظَاهِرُهُ جَمِيلٌ، لَا نَتَّهِمُهُ فِي مَكْسَبِهِ وَمَالِهِ وَطَعَامِهِ، جَائِزٌ أَنْ يُؤْكَلَ طَعَامُهُ، وَالمُعَامَلَةُ فِي تِجَارَتِهِ، فَلَيْسَ عَلَيْنَا الْكَشْفُ عَنْ مَالِهِ، فَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَلَى سَبِيلِ الاحْتِيَاطِ، جَازَ إِلَّا مَنْ دَاخَلَ الظَّلَمَةَ.

وَمَنْ لا يَنْزِعُ عَنِ الظُّلْمِ وَأَخْذِ الأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ وَمَعَهُ غَيْرُ ذَلِكَ: فَالسُّؤَالُ وَالتَّوَقِّي؛ كَمَا سَأَلَ الصِّدِّيقُ غُلَامَهُ[1]**، فَإِنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ المَالِ سِوَى ذَلِكَ مِمَّا هُوَ خَارِجٌ عَنْ تِلْكَ الأَمْوَالِ فَاخْتَلَطَا، فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْحَلَالِ وَلا الْحَرَامِ، إلا أَنَّهُ مُشْتَبَهٌ، فَمَنْ سَأَلَ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ؛ كَمَا فَعَلَ الصِّدِّيقُ. وَأَجَازَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَسَلْمَانُ، وَقَالَا: «كُلْ مِنْهُ وَعَلَيْهِ التَّبِعَةُ»**[2]**، وَالنَّاسُ طَبَقَاتٌ، وَالدِّينُ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ.**

الشَّرْح

قوله: (وَمِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّا إِذَا رَأَيْنَا مَنْ ظَاهِرُهُ جَمِيلٌ لَا نَتَّهِمُهُ فِي مَكْسَبِهِ وَمَالِهِ وَطَعَامِهِ، جَائِزٌ أَنْ يُؤْكَلَ طَعَامُهُ، وَالْمُعَامَلَةُ فِي تِجَارَتِهِ، فَلَيْسَ عَلَيْنَا الْكَشْفُ عَنْ مَالِهِ)، هذا في مسألة من نتعامل معهم من الناس، نبني على الظاهر إذا رأينا من تصرفاته ومعاملته طيبة، فإننا نتعامل معه، ولا نفتش عن الباطن، ما كلفنا الله بذلك، بل نبني على الظواهر ما لم نعلم خلافها، ونتعامل مع الناس حسب ما يظهر لنا. ليس كل ما تشتري سلعة تقول: أنظر من أين جاءت، وما أصلها؟

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٣٨٤٢) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُحْسِنُ الكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ».

(٢) أخرج الأثرين عن ابن مسعود وسلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ١٥٠).

أخاف أن يكون قد سرقها، أو حاصل عليها بطريق محرم. ما كلفك الله بهذا، وإلا إذا علمت أن هذه السلعة حرام، أو أنها جاءت من طريق محرم، فلا يجوز لك أن تشتريها أو تقبلها، أما ما لم تعلم، فالأصل الحل، والقاعدة أن الأصل في المعاملات الإباحة إلا ما دلّ الدليل على تحريمه، عكس العبادات، العبادات الأصل فيها التحريم إلا ما دل الدليل على شرعيته، وهذا من توسيع الله على عباده، وعدم إحراجهم، فنحن نأخذ الناس بالظاهر الذي يظهر لنا، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تعامل مع اليهود واشترى منهم مع أنهم يتعاملون بالربا، ويأخذون الرشوة، لكن ما لم تعلم أن هذا المال حرام، فتعامل معهم؛ لأنه قل من يسلم من الناس من خطأ، فما لم تعلم أن هذا الشيء المعين حرام، فإنك تبني على أصل الإباحة، فمن كان ماله مختلطًا من حلال وحرام كاليهود، فإنك تتعامل معهم، إلا إذا علمت أن هذا المال من الحرام.

قوله: (**جَائِزٌ أَنْ يُؤْكَلَ طَعَامُهُ**)، كذلك يؤكل طعامه، ولا تقل: أخاف أن هذا من الحرام. الأصل الإباحة ما لم تعلم أن هذا حرام، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكل من طعام اليهود، مع أنهم عندهم أشياء محرمة.

قوله: (**فَإِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَلَى سَبِيلِ الاحْتِيَاطِ**)، لا يجوز التحريم إلا إذا تحقق أن هذا حرام، وأما أن يحتاط أو يترك ما يشك فيه، فالاحتياط طيب، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**»[1]، وقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ»[1]، فهذا من باب الاحتياط والورع، لا من بابل التحريم.

قوله: **(جَازَ إِلَّا مَنْ دَاخَلَ الظَّلَمَةَ. وَمَنْ لا يَنْزِعُ عَنِ الظُّلْمِ وَأَخْذِ الأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ وَمَعَهُ غَيْرُ ذَلِكَ: فَالسُّؤَالُ وَالتَّوَقِّي)**، من كان يغلب على ماله الحرام، فهذا لابد من السؤال؛ لأن العبرة بالغالب، فيُسأل، خصوصًا الظلمة المعروف عنهم الظلم والاستيلاء على أموال الناس بغير حق، أو الذين يخالطون الظلمة ويشاركونهم، فإذا كان يغلب الحرام على مال هذا الشخص، فلا تُقدم عليه حتى تسأل، أما إذا كان الغالب عليه الحل أو لا تدري، فالأصل الإباحة.

قوله: **(كَمَا سَأَلَ الصِّدِّيقُ غُلَامَهُ) (الصِّدِّيقُ)** أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما جاءه غلامه بطعام، يعني: مملوك للصديق، وخارجه بأن يأتي له بشيء معين من الكسب وبقيته له، هذه تسمى المخارجة، وهي جائزة، أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاءه غلامه بطعام، فسأله من أين هذا الطعام، فأخبره بأنه أخذه في مقابل تكهن في الجاهلية، فعند ذلك الصديق ترك هذا الطعام، وابتعد عنه، فهذا من باب الاحتياط والورع.

قوله: **(فَإِنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ المَالِ سِوَى ذَلِكَ مِمَّا هُوَ خَارِجٌ عَنْ تِلْكَ الأَمْوَالِ فَاخْتَلَطَا، فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الحَلَالِ وَلا الحَرَامِ، إِلا أَنَّهُ مُشْتَبَهٌ فَمَنْ سَأَلَ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ كَمَا فَعَلَ الصِّدِّيقُ. وَأَجَازَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَسَلْمَانُ وَقَالَا: «كُلْ مِنْهُ وَعَلَيْهِ التَّبِعَةُ»)**، يعني: تبني على الظاهر، وتأكل منه ما لم تعلم أنه حرام؛ بناءً على الأصل.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٨) والنسائي (٨/ ٣٢٧) وأحمد (٣/ ٢٤٨) وابن حبان (٢/ ٤٩٨) من حديث أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قوله: (وَالنَّاسُ طَبَقَاتٌ، وَالدِّينُ الحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ)، الناس طبقات؛ منهم أهل التحوط والورع، ومنهم المتوسط، ومنهم المتساهل، فالناس ليسوا على حد سواء.





وَإِنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّ الْعَبْدَ مَا دَامَ أَحْكَامُ الدَّارِ جَارِيَةً عَلَيْهِ، فَلَا يَسْقُطُ عَنْهُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، فَكُلُّ مَن ادَّعَى الأَمْنَ، فَهُوَ جَاهِلٌ بِاللهِ وَبِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]، **وَقَدْ أَفْرَدْتُ كَشْفَ عَوَرَاتِ كُلِّ مَنْ قَالَ بِذَلِكَ.**

الشَّرح

قوله: (**وَإِنَّ مِمَّا نَعْتَقِدُهُ أَنَّ الْعَبْدَ مَا دَامَ أَحْكَامُ الدَّارِ جَارِيَةً عَلَيْهِ، فَلَا يَسْقُطُ عَنْهُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ، فَكُلُّ مَن ادَّعَى الأَمْنَ، فَهُوَ جَاهِلٌ بِاللهِ وَبِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ** ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩])، هذا رد على الصوفية الذين يقولون: (إن المتعبد إذا بلغ درجة من العبادة، فإنه تسقط عنه التكاليف والحلال والحرام؛ لأنه وصل إلى الله)، فهذا باطل وكفر بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن أحدًا من الناس لا تسقط عنه الأوامر والنواهي والواجبات وترك المحرمات ما بقي على قيد الحياة، إلى أن يحضره الأجل، هذا ما عليه الكتاب والسنة والمسلمون، أما الصوفية الضلال، فإنهم يقولون: (يمكن أن يصل الإنسان إلى درجة من العبادة والقرب من الله عَزَّوَجَلَّ حتى تسقط عنه الأوامر والنواهي، ويخرج عن العبودية)، فهذا ضلال وكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، الله جَلَّوَعَلَا قال لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أقرب الناس إلى الله، وأتقاهم لله، قال الله له: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، يعني: واصل العبادة إلى أن يأتيك الموت، فغير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من باب أولى، ولا يُعفى أحد منها إلا من زال عقله بالجنون أو بالعته، أصبح غير عاقل، هذا يزول عنه التكليف، وكذلك المكره يجوز له أن يدفع الإكراه عنه، ولو كان هذا الشيء منهيًّا عنه؛ من دفع الإكراه.

قوله: (الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ)، بل يظل خائفًا من الله، فيتجنب المحرمات، ويرجو الله، فيكثر من الطاعات، لا يُغلب جانب الخوف، فيكون من الذين قنطوا من رحمة الله، ولا يغلب جانب الرجاء، فيكون من الذين أمنوا مكر الله، بل يكون بين الخوف والرجاء؛ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠]، ﴿رَغَبًا﴾ يعني: رجاءً، ﴿وَرَهَبًا﴾ يعني: خوفًا، فالأنبياء جمعوا بين العبادة الخوف والرجاء، هذا طريق الحق طريق العبادة.

(فَكُلُّ مَن ادَّعَى الأَمْنَ)، ادعى الأمن من مكر الله، وقال: (الله غفور رحيم، والدين يسر، وما علينا في الدين من حرج، نعمل الذي نريد، والله غفور رحيم)، هذا غرور بالله عَزَّوَجَلَّ، الله توعد العصاة والمذنبين بأشد الوعيد، مع أنه غفور رحيم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فالله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر:٣]، وقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد:٦]، فلا تنس أنه شديد العقاب، ولا تنس أنه غفور رحيم، فلا تغلب جانبًا على جانب، فالذين يميلون مع الرجاء -وهم المرجئة- يقولون: (لا يضر مع الإيمان معصية؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة)، فهذا ضلال -والعياذ بالله-، والذين غلبوا جانب الخوف وقنطوا من رحمة الله هؤلاء هم الخوارج، أما أهل السنة والجماعة، فهم وسط بين الفريقين، لا يغلبون جانبًا على جانب، بل يخافون ويرجون، ويعملون الصالحات، ويتركون المحرمات، وهذه طريقة الحق طريقة الوسط؛ لا تساهل ولا غلو، لا إفراط ولا تفريط، فدين الله بين الغالي والجافي.

فكل من غلب جانب الأمن والرجاء على جانب الخوف، فإنه ضال مضل، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩]، فلا يأمن الإنسان من عذاب الله، ويعتمد على الرجاء، فهذا رجاء



مذموم، والرجاء المحمود هو الذي معه عمل، إذا رجوت الله، فاعمل صالحًا، وأكثر من الحسنات، وإذا خفت الله، فتجنب المحرمات، هذا طريق الحق، وشاعرهم يقول، شاعر المرجئة وشاعر المتساهلين يقول[١]:

فَأَكْثِرَنْ مَا شِئْتَ مِنَ الْخَطَايَا ... إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى رَحِيم

فهذا غرور -والعياذ بالله-، الله جَلَّ وَعَلَا رحيم وغفور، ولكن لمن تاب؛ ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٨٢]، فإذا رجوت الله، فائتِ بأسباب المغفرة وأسباب الرحمة، أما أنك تعتمد على الرجاء، وتعطل الأسباب، فهذا غرور بالله عَزَّ وَجَلَّ.

وهذه الظاهرة التساهل والإغراق فيه الآن كثرت عند الصحفيين والمتساهلين والمستهترين، والدين يسر يقولون، والدين والدين، حتى إنهم ما أبقوا من الدين شيئًا، فهذه مصيبة عظيمة يجب التنبه لها؛ كما أن الجانب الثاني، وهم أهل الخوف الشديد الذين يئسوا من رحمة الله؛ ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف:٨٧]، فهم على طرفي نقيض، والوسط هو الخير.

(وَبِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ)، أخبر أنه ﴿ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [البقرة:١٩٦]، وأنه ﴿ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [آل عمران:٤]، وأنه يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته[٢]، ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم:٤٢]، فلا يغتر الإنسان بإمهال الله واستدراجه، ويقول: هذا

---

(١) لم أقف على قائله.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٦١) (٢٥٨٣) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود:١٠٢]».

دليل على أن الله غفور رحيم، وينسى أن الله شديد العقاب، وأنه خلق النار للكفار والمنافقين والعصاة؛ قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١) وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ۖ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٠-١٠٢].

قوله: (وَقَدْ أَفْرَدْتُ كَشْفَ عَوَرَاتِ كُلِّ مَنْ قَالَ بِذَلِكَ)، أراد ابن خفيف أن يكشف عوار كل من قال بهذه المقالات الخاطئة من أجل أن يتجنبها المسلم.



وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ لا تَسْقُطُ عَنِ الْعَبْدِ مَا عَقَلَ وَعَلِمَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ مُمَيِّزٌ عَلَى أَحْكَامِ الْقُوَّةِ والاسْتِطَاعَةِ؛ إِذْ لَمْ يَسْقُطْ ذَلِكَ عَنِ الأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ رِقِّ الْعُبُودِيَّةِ إِلَى فَضَاءِ الْحُرِّيَّةِ بِإِسْقَاطِ الْعُبُودِيَّةِ وَالْخُرُوجِ إِلَى أَحْكَامِ الأَحَدِيَّةِ المَسَدِيَّةِ بِعَلائِقِ الآخِرِيَّةِ، فَهُوَ كَافِرٌ لا مَحَالَةَ، إلا مَن اعْتَرَاهُ عِلَّةٌ أَوْ رَأْفَةٌ، فَصَارَ مَعْتُوهًا، أَوْ مَجْنُونًا، أَوْ مُبَرْسَمًا، وَقَد اخْتَلَطَ فِي عَقْلِهِ، أَوْ لَحِقَهُ غَشْيَةٌ، ارْتَفَعَ عَنْهُ أَحْكَامُ الْعَقْلِ، وَذَهَبَ عَنْهُ التَّمْيِيزُ وَالمَعْرِفَةُ، فَذَلِكَ خَارِجٌ عَنِ المِلَّةِ مُفَارِقٌ لِلشَّرِيعَةِ.

الشرح

قوله: (**وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الْعُبُودِيَّةَ لا تَسْقُطُ عَنِ الْعَبْدِ مَا عَقَلَ**)، وهذا -أيضًا- رد على الصوفية الذين يقولون: (إن العبودية تسقط عن العبد إذا وصل إلى مرحلة من مراحل العبادة والرياضة والمعرفة، فإنه حينئذٍ لا يحتاج إلى الأوامر والنواهي؛ لأنه وصل إلى الله، فلا يحرم عليه شيء، ولا يُمنع من شيء، كل شيء أراده فهو حلال له)، فيُروى عن عبد القادر الجيلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإمام الجليل[1] -الذي تنتسب إليه

---

(١) هو أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجيلي الحنبلي شيخ بغداد، نسبة إلى جيل، وهي بلاد متفرقة من وراء طبرستان، ويقال لها أيضا جيلان وكيلان، مولده بها سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وهو من سادات مشايخ الصوفية، وتُنسب إليه الطريقة القادرية من طرق الصوفية المعروفة المشهورة، قال عنه ابن كثير: (كان فيه تزهد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، ويذكرون عنه أقوالًا وأفعالًا ومكاشفات أكثرها مغالاة، وقد كان صالحًا ورعًا) اهـ. وقال الذهبي في آخر ترجمته: (وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مآخذ في بعض أقواله ودعاويه -والله الموعد- وبعض ذلك مكذوب عليه) اهـ. من مصنفاته: «الغنية لطالب طريق الحق»، و«فتوح الغيب»، و«الفيوضات الربانية»، توفي سنة إحدى وستين وخمسمائة. انظر: الأنساب (٢/ ١٤٦)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٤٣٩)، والعبر (٤/ ١٧٥)، والبداية والنهاية (١٢/ ٢٥٢)، وشذرات الذهب (٤/ ١٩٨).

القادرية الآن ظلمًا وعدوانًا، وهو إمام جليل وعالم، وفقيه- أنه بينما كان يمشي، إذ رأى ظلة فوقه، فرفع رأسه، فإذا عرش فوقه الشيطان، فقال له: يا عبد القادر، أنا ربك، وقد أبحت لك ما حرمت عليك. فقال له: كذبت أنت شيطان، فإنه بعد موت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينزل تحليل ولا تحريم(١). ما غرّه هذا الخبيث، بل إنه لفقهه ومعرفته رد عليه، وقال: إنه بعد وفاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهى التشريع، فلا ينزل حلال ولا حرام، فهذا هو الفقه، ما اغتر بحالته وعبادته، ولا خدعه هذا الشيطان وظن أنه الله وأنه ربه، هذا هو الإيمان، وهذا هو الفقه.

قوله: (مَا عَقَلَ)، فما دام أنه عاقل، فإنه عبد لله إلى أن يموت، أما لو زال عقله، فإنه لا يؤاخذ، وترفع عنه التكاليف، وكذلك لو كان جاهلًا، فالجاهل لايؤاخذ حتى يتبين له الحق، فقد يقع الإنسان في الشيء عن جهل، فلا يؤاخذ عليه ما دام جاهلًا.

قوله: (وَعَلِمَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ مُمَيِّزٌ عَلَى أَحْكَامِ الْقُوَّةِ والاسْتِطَاعَةِ؛ إِذْ لَمْ يَسْقُطْ ذَلِكَ عَنِ الأَنْبِيَاء وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ)، هذا رد على الصوفية، لم يسقط الله التكاليف عن الأنبياء وعن الصديقين وعن الصالحين من عباده، بل أمرهم ونهاهم، واستمر هذا معهم إلى الوفاة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ**»(٢)، فدل على أن العمل لا ينقطع إلا بالوفاة، وهذا مصداقه في قول الله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، فمن زعم أن

---

(١) انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (٢١/ ٨٩)، ومجموع الفتاوى (١/ ١٧٢)، وذيل طبقات الحنابلة (٢/ ١٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٤) (١٦٣١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**».

هناك مرحلة من مراحل العبادة يسقط عن الشخص التكاليف، وأنه وصل إلى الله، حتى إنهم يقولون: (ليس بحاجة إلى النبي؛ لأنه وصل إلى الله، ويأخذ عن الله مباشرة)، الصوفية عندهم أن أئمتهم يأخذون عن الله مباشرة، وأنهم ليسوا بحاجة للأنبياء؛ الأنبياء للعوام، أما الخواص، فليسوا بحاجة إلى الأنبياء، ويقولون: (أنتم تأخذون دينكم عن ميت عن ميت -يعني بالإسناد-، ونحن نأخذ ديننا عن الحي الذي لايموت)، فيزعمون أنهم صاروا فوق الأنبياء والرسل، وهذا من الضلال، هذا من تزيين الشيطان؛ يصل بابن آدم إلى هذا الحد -والعياذ بالله-، وهذا موجود، لاتظنوه حكايات تاريخية، موجود الآن في المتصوفة وفي غلاة الصوفية، بل يزيد الأمر ويزيد الشر، ولكن الذي لم يسافر ولم يذهب للجهات التي فيها هذه الطوائف لا يعرف ذلك، ويظن أن هذا من أمور التاريخ التي لا وجود لها الآن.

قوله: (**وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ رِقِّ الْعُبُودِيَّةِ إِلَى فَضَاءِ الْحُرِّيَّةِ**)، يعني: صار حرًا، لا يُؤمر ولا يُنهى؛ لأنه ما يحتاج إلى هذا، بل عارف، يقولون له: العارف بالله، أما الأوامر والنواهي، فهي للإنسان العامي الذي ما وصل؛ ولهذا يصنفون جماعتهم بالخاصة وخاصة الخاصة، الخاصة هم العوام، وخاصة الخاصة فوق الخاصة، وهم الذين وصلوا إلى الله -كما يقولون-، وهم في الحقيقة وصلوا إلى الشيطان، ما وصلوا إلى الله جَلَّوَعَلَا، ما يصل إلى الله إلا المتقون المؤمنون، ويعرفونه حقيقة المعرفة، ويعبدونه ويخافونه ويرجونه، فمعرفة الله تقتضي الخوف والرجاء والعبادة، ما تقتضي أن الإنسان يعطل العمل، فهذا جهل بالله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (**بِإِسْقَاطِ الْعُبُودِيَّةِ، وَالْخُرُوجِ إِلَى أَحْكَامِ الأَحَدِيَّةِ**) (**أَحْكَامِ الأَحَدِيَّةِ**): هذا مذهب وحدة الوجود، وهو طبقة من طبقات الصوفية، أن الإنسان يصل بعلمه ويقينه إلى أنه يرى أن الكون هو الله، فليس فيه انقسام بين خالق ومخلوق،

فكل ما يصدر من الكلام، فهو كلام الله، حتى السب والشتم والشعر والهجاء، يقولون:

كُلّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُه سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثْرُه ونِظَامُه(١)

بلغ بهم الحد إلى هذا -كابن عربي والحلاج والتلمساني وابن سبعين وغيرهم- أنهم قالوا: بوحدة الوجود، والتوحيد هو أنك لا ترى خالقًا ومخلوقًا، التوحيد هو أنك ترى الكون كله هو الله، أما إذا قلت: إن الكون فيه خالق ومخلوق. فهذا شرك عندهم، يسمون هذا الشرك، انظر للضلال كيف ينتهي بالإنسان -والعياذ بالله!

(**أَحْكَامِ الأَحَدِيَّةِ**)، يعني: وحدة الوجود.

قوله: (**المَسَدِيَّةِ بِعَلَائِقِ الآخِرِيَّةِ، فَهُوَ كَافِرٌ لَا مَحَالَةَ**)، من وصل إلى هذا الإلحاد، فهو كافر خارج من الملة.

قوله: (**إِلا مَن اعْتَرَاهُ عِلَّةٌ**)؛ مثل ما سبق أنه زال عقله، مجنون، معتوه، هذا ليس عليه تكليف، أما العاقل، فلا.

قوله: (**أَوْ رَأْفَةٌ، فَصَارَ مَعْتُوهًا، أَوْ مَجْنُونًا، أَوْ مُبَرْسَمًا، وَقَد اخْتَلَطَ فِي عَقْلِهِ، أَوْ لَحِقَهُ غَشْيَةٌ، ارْتَفَعَ عَنْهُ أَحْكَامُ الْعَقْلِ، وَذَهَبَ عَنْهُ التَّمْيِيزُ وَالمَعْرِفَةُ، فَذَلِكَ خَارِجٌ عَنِ المِلَّةِ مُفَارِقٌ لِلشَّرِيعَةِ**)، المعتوه: هو الذي لا عقل له أصلًا، ما خُلق له عقل.

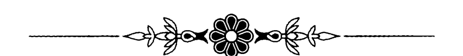
المجنون: هو الذي كان له عقل، ولكن أصابه الجنون، فتخبل -والعياذ بالله.

قوله: (**أَوْ مُبَرْسَمًا**)، قد لا يكون مجنونًا ولا معتوهًا، ولكن أصابه آفة في دماغه، وهو البرسام، داء البرسام، وهو داء يصيب الدماغ، فيصبح الإنسان لا يدري، ولا يعرف شيئًا، هذا تزول عنه التكاليف؛ لأنه ما عنده إدراك.

---

(١) من كلام ابن عربي. انظر: شرح الطحاوية (ص١٨٤).

قوله: (لَحِقَهُ غَشْيَةٌ)، وكذلك ممن لا يؤاخذ المغشي عليه، الذي أصابه غشية وصار ما يدرك ما حوله، أو نام، النوم -أيضًا-، قال ﷺ: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ**»[1].



(١) أخرجه أبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي (٦/ ١٥٦)، وابن ماجه (٢٠٤١)، وأحمد (٤١/ ٢٢٤، ٢٣١)، (٤٢/ ٥١) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأخرجه أبو داود (٤٣٩٩)، والترمذي (١٤٢٣)، وابن ماجه (٢٠٤٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٤، ٢٦٦، ٣٧٢، ٤٤٣، ٤٦١) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمَنْ زَعَمَ الإِشْرَافَ عَلَى الْخَلْقِ حَتَّى يَعْلَمَ مَقَامَاتِهِمْ وَمِقْدَارَهُمْ عِنْدَ اللهِ بِغَيْرِ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْمِلَّةِ، وَمَن ادَّعَى أَنَّهُ يَعْرِفُ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وَمَن ادَّعَى أَنَّهُ يَعْرِفُ مَآلَ الْخَلْقِ وَمُنْقَلَبَهُمْ وَأَنَّهُمْ عَلَى مَاذَا يَمُوتُونَ وَيُخْتَمُ لَهُمْ -بِغَيْرِ الْوَحْيِ مِنْ قَوْلِ اللهِ وَقَوْلِ رَسُولِهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، **فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ.**

الشَّرح

قوله: (وَمَنْ زَعَمَ الإِشْرَافَ عَلَى الخَلْقِ حَتَّى يَعْلَمَ مَقَامَاتِهِمْ وَمِقْدَارَهُمْ عِنْدَ اللهِ بِغَيْرِ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ المِلَّةِ)**، هذا سبق وتكرر؛ أنك ما تحكم على الخلق، فتقول: فلان صالح ومستقيم، وهو من أهل الجنة. ولا تقل: فلان فاسد وكافر، وهو من أهل النار. لا تحكم بالجزم، وإنما ترجو للمحسن، وتخاف على المسيء، إلا من شهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه من أهل الجنة، أو أنه من أهل النار، فأنت تشهد لمن شهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

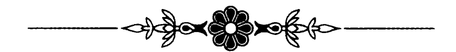
قوله: (بِغَيْرِ الْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ)، يعني: من شهد له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا ينطق عن الهوى ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾ [النجم:٣، ٤]، لكن هذا لا يمنع أن من صدر منه الكفر قولًا أو فعلًا وهو مختار أننا نحكم عليه بالكفر في الظاهر بموجب ما صدر منه، ونعامله معاملة الكفار حتى يتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ولكن لا نجزم أنه من أهل النار، فقد يكون تاب قبل أن يموت، أو أن الله ختم له بالتوبة، فالجزم الممنوع، أما الحكم بالظاهر، فهو مطلوب.

قوله: (وَمَن ادَّعَى أَنَّهُ يَعْرِفُ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ)**، الذي يقول: (أنا لست بحاجة إلى أن آخذ بالأحاديث، أنا أعرف عن الله



مباشرة، فلست بحاجة إلى أقوال الرسول صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وإنني آخذ من الذي أخذ منه الرسول، آخذ عن الله مباشرة)، هذا -أيضًا- عند الصوفية، يقول: (لا حاجة لي أن أتعلم ما قاله الرسول، أنا أعرفه، كما أن الرسول يعرفه، فأنا أعرفه؛ لأني وصلت إلى الله، وآخذ مما أخذ منه الرسول)!

قوله: (**وَمَن ادَّعَى أَنَّهُ يَعْرِفُ مَآلَ الخَلْقِ وَمُنْقَلَبَهُمْ وَأَنَّهُمْ عَلَى مَاذَا يَمُوتُونَ وَيُخْتَمُ لَهُمْ -بِغَيْرِ الْوَحْيِ مِنْ قَوْلِ اللهِ وَقَوْلِ رَسُولِهِ** صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-**، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ**)، هذا ادعاء علم الغيب، الذي يعرف ما يؤول إليه الخلق من المستقبل -مستقبل الغيوب-؛ ستكون في سعادة، أو شقاوة، أنت تحصل على مال، أنت تخسر، أنت تموت على الإيمان، أنت تموت على الكفر، أنت من أهل الجنة، أنت من أهل النار. هذا كاذب على الله عَزَّوَجَلَّ، هذا مدعٍ لعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فنحن لا نقول في الغيب إلا ما أخبرنا رسول الله صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأما أننا ندعي أننا نعرف الغيب وأحوال الناس وما يؤول إليه أمرهم، فمن ادعى علم الغيب، فهو كافر، هذا من نواقض الإسلام، الغيب لله عَزَّوَجَلَّ ﴿**فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ**﴾ [يونس:٢٠]، ﴿**قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾ [النمل: ٦٥]، ﴿**عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ**﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]، الله جَلَّوَعَلَا قد يُطلع الرسول من رسله على شيء من الغيب؛ لأجل مصلحة العباد، ومعجزة له يدل على صدق نبوته، ولا يطلع الله الرسل على كل الغيب، وإنما يطلعهم على شيء من الغيب بحسب ما تقتضيه الحكمة الإلهية والمصلحة، أما من يدعي أنه يعلم الغيب بغير طريق ما أخبر الله به أو رسوله، فإنه كافر؛ منهم الكهان والمنجمون.



وَ«الْفِرَاسَةُ» حَقٌّ عَلَى أُصُولٍ ذَكَرْنَاهَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا سَمَّيْنَاهُ فِي شَيْءٍ.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ صِفَاتِهِ قَائِمَةٌ بِصِفَاتِهِ -وَيُشِيرُ فِي ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ الأَيْدِ وَالْعِصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْهِدَايَةِ-، وَأَشَارَ إِلَى صِفَاتِهِ عَزَّوَجَلَّ الْقَدِيمَةِ، فَهُوَ حُلُولِيٌّ قَائِلٌ بِاللَّاهُوتِيَّةِ وَالالْتِحَامِ، وَذَلِكَ كُفْرٌ لَا مَحَالَةَ.

الشَّرح

قوله: (وَ«الْفِرَاسَةُ» حَقٌّ عَلَى أُصُولٍ ذَكَرْنَاهَا)، هذه استثناء، الذي يخبر الناس عن أمور الغيب هذا كفر، ولكن هناك شيء ليس من ادعاء علم الغيب، قد يُخبر الإنسان عن أشياء توقعية، ما هي بجزم؛ «فراسة»، والفراسة هي التفرس في الناس، وهذا قد يُعطى بعض الناس الفراسة، يتفرس الإنسان، ويحصل مثلما تفرس ومثلما توقع؛ بناءً على علامات وظواهر يراها الإنسان، فهذا ليس من ادعاء علم الغيب، هذا فراسة، وهذا من باب الظن، لا من باب الجزم، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر:٧٥]، قالوا: هذه في الفراسة الصحيحة(١)، وفي الأثر: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ»(٢).

قوله: (وَلَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا سَمَّيْنَاهُ فِي شَيْءٍ)، وليس ذلك من ادعاء علم الغيب، وإنما هو استدلال بأحوال وظواهر، وقد يحصل ما تفرسه وقد لا يحصل؛ لأنه ظن ما هو جزم، والفراسة لا تحصل لكل أحد، شيء يعطيه الله لبعض الناس؛ قوة نظر وقوة إدراك وتأمل في الأشياء.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٩٤- ٩٦)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣/ ١٨٤)، وتفسير الماوردي (٣/ ١٦٧)، وتفسير البغوي (٣/ ٦٣)، وزاد المسير (٢/ ٥٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣١٢٧) وقال: غريب. والطبراني في الكبير (٨/ ١٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٨١).

قوله: (وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ صِفَاتِهِ قَائِمَةٌ بِصِفَاتِهِ -وَيُشِيرُ فِي ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ الأَيْدِ وَالْعِصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ وَالهِدَايَةِ)، من زعم أنه متصف بصفات الله، هذا -والعياذ بالله- شرك، يدعي مشاركة الله في صفاته، (غَيْرِ الأَيْدِ)، يعني: التأييد من الله، الله يؤيد من شاء، وقال في داود: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ [ص:١٧]، يعني: ذا القوة، الأيد معناها: القوة؛ كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة:٢٢]، هذا هو التأييد، والله جَلَّوَعَلَا يمنح بعض عباده التأييد منه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

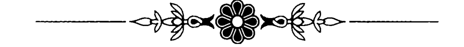
قوله: (إِلَى غَيْرِ الأَيْدِ)، يعني: القوة التي يمنحها الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة:٢٢]، أي: قواهم، (وَالعِصْمَةِ)؛ لأن الله يعصم أنبياءه من الخطأ، أو من الاستمرار على الخطأ إذا وقع منهم شيء من الخطأ، ويُبين لهم الصواب، فالنبي معصوم إما في البداية، وإما في النهاية، فالرسل معصومون -عليهم الصلاة والسلام- إما في البداية، وإما في النهاية، فالله لا يقرهم على خطأ أبدًا، ما من نبي حصل منه شيء من الخطأ إلا نبهه الله عليه، وتاب إلى الله من ذلك؛ كما هو مذكور في القرآن، فهم معصومون -عليهم الصلاة والسلام-، وقد يعصم الله بعض المؤمنين ويؤيدهم ويحميهم بعصمته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَالتَّوْفِيقِ)، وفق الله بعض الناس إلى الصواب وإلى الخير، وليس هذا لأنه متصف بصفات الله، وإنما لأن الله وفقه ودله على الخير.

قوله: (وَأَشَارَ إِلَى صِفَاتِهِ عَزَّوَجَلَّ الْقَدِيمَةِ، فَهُوَ حُلُولِيٌّ قَائِلٌ بِاللّاهُوتِيَّةِ وَالالْتِحَامِ، وَذَلِكَ كُفْرٌ لَا مَحَالَةَ)، الذي يقول: (إنني أفعل بفعل الله، وأقول بتسديد من الله، وأنا ما أخطئ؛ لأني آخذ عن الله عَزَّوَجَلَّ)، فهذا كافر؛ لأنه قال على الله بغير علم، ولا أحد يبلغ هذا المبلغ بأنه وصل إلى هذا الذي يعنيه هؤلاء.

قوله: (فَهُوَ حُلُولِيٌّ)، الحلولية: هم الذين يدعون أن الله يحل في بعض الأشخاص، أو في بعض الأمكنة من السماوات والأرض، الذي يقول: (إن الله في كل مكان، ولا يخلو منه مكان)، فهذا حلولي؛ لأنه لم ينزه الله عن الأمكنة القذرة والأمكنة غير اللائقة، الله جَلَّ وَعَلَا فوق سماواته مستو على عرشه، وعلمه في كل مكان جَلَّ وَعَلَا، وليس معنى أنه في السماوات وفي الأرض أنه في كل مكان بذاته، وإنما معناه أنه بعلمه جَلَّ وَعَلَا؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران:٥]، فالله بذاته فوق السماوات، وعلمه في كل مكان، ولا يخلو مكان من علمه جَلَّ وَعَلَا، لا من ذاته، الله ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وهذه هي الكلمة أن السلف يقولون: بائن من خلقه. هذا معنى العبارة، فالذي يزعم أن الله يحل ببعض الأشخاص، ويظهر نوره عليه، ويسمونهم البهائية، يزعمون أن الله يحل فيهم، وأنه يظهر أثر ذلك عليهم، ويسمون الحلولية أيضًا، فهذا كفر بالله عَزَّ وَجَلَّ. فالله جَلَّ وَعَلَا كما أخبر، وكما تواترت الأدلة أنه في العلو، وأنه فوق سماواته، وأنه مستو على عرشه، بائن من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا نظير حلولية النصارى، النسطورية فرقة من النصارى يقولون: (إن الله حال في المسيح ابن مريم)، فالمسيح يقولون: (إنه مكون من شيئين الناسوت واللاهوت)، بمعنى أن الله حال في المسيح -تعالى الله عما يقولون! يقولون: (اتحد اللاهوت بالناسوت، فصار عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مكونًا من شيئين: من ذات الله، ومن ذات البشر)!!

قوله: (وَذَلِكَ كُفْرٌ لَا مَحَالَةَ)، لا شك في كفر هذا.



وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الأَرْوَاحَ كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، فَقَدْ ضَاهَى قَوْلَ النَّصَارَى -النُّسْطُورِيَّةِ[1]- فِي المَسِيحِ، وَذَلِكَ كُفْرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ.

الشَّرْح

قوله: (**وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الأَرْوَاحَ كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ**)، الأرواح: جمع روح، وهي تُطلق على أشياء كثيرة:

* **منها**: الروح التي تكون في الحيوانات من الآدميين وغيرهم، تحيا بها الأجسام.

* **ومنها**: الوحي المنزل من الله؛ فإنه روح؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، سمي روحًا؛ لأنه تحيا به القلوب، فالوحي حياة القلوب، كالروح التي هي حياة الأبدان.

* **ومنها**: القوة، والقوة تُسمى روحًا، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢]، فالروح هنا هي قوة الإيمان.

* وتُطلق الروح -أيضًا- على جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُسمى: روح القدس؛ ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل:١٠٢]، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء:١٩٣]، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجبريل سماه الله بالروح الأمين، وسماه بروح القدس، أي: الطهر.

---

(١) هي فرقة من فرق النصارى أصحاب نسطور الحكيم، تصرف في الإنجيل بحكم رأيه، فقال: إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة، وقالوا: إن هذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ... كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وكظهور النقش في الشمع. انظر: الملل والنحل (١/ ٢٢٤)، والبدء والتاريخ (٤/ ٤٦)، والجواب الصحيح (٤/ ٨٧)، وهداية الحيارى (١٦٥).

والمراد هنا: المعنى الأول، وهو ما تحيا به الأجسام -أجسام الحيوانات-، وهذه الروح من علم الغيب، لا يعلم حقيقتها غير الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، تعب الناس في أن يعرفوا حقيقة هذه الروح، ولم يستطيعوا، لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ويُروى في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥]، فهي روح مخلوقة -لا كما يقوله الفلاسفة: (إنها قديمة)-، خلقها الله سبحانه من جملة مخلوقاته، تفنى الأجسام، ولكن الأرواح لاتفنى، بل يقبضها الله جَلَّوَعَلَا، فإذا جاء البعث، رجعت إلى أجسادها.

قوله: (**وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الأَرْوَاحَ كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ**)، كل الأرواح مخلوقة لله جَلَّوَعَلَا، هذا رد على الفلاسفة الذين يقولون: إن الأرواح قديمة، وليست مخلوقة.

قوله: (**وَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، فَقَدْ ضَاهَى قَوْلَ النَّصَارَى -النُّسْطُورِيَّةِ- فِي المَسِيحِ، وَذَلِكَ كُفْرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ**) من قال: إنها غير مخلوقة من الفلاسفة أو غيرهم من علماء الإسلام؛ لأن هناك من يقول: إنها غير مخلوقة، ولكن هذا كله لاصحة له؛ فإنها مخلوقة، الله خالق كل شيء، وكل ما سوى الله جَلَّوَعَلَا فإنه مخلوق، وليس هناك شيء يشارك الله في أنه غير مخلوق، الله خالق كل شيء، فيدخل في هذا الروح، فهي مخلوقة بلا شك، ومن قال: (إنها غير مخلوقة)، ضاهى النصارى النسطورية، طائفة من النصارى الذين يقولون في عيسى عَلَيْهِالسَّلَامُ: (إنه مكون من الناسوت واللاهوت)، وهذا سبق عند قول الأشاعرة عن القرآن: (إن معناه غير مخلوق، وأما ألفاظه فهي مخلوقة)، فهم شابهوا النصارى في أنهم قالوا في المسيح هذه المقالة. المسيح مخلوق صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جسمًا وروحًا، وهو بشر من بني آدم، وهو مخلوق، وعبد من عباد الله، ليس فيه شيء من الربوبية -تعالى الله عما يقولون-، فعيسى عَلَيْهِالسَّلَامُ عندهم بعضه رب وبعضه بشر، هذا عند غلاة النصارى؛ ولذلك

يقولون: (هو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة)، فالذين يقولون: (إن الأرواح غير مخلوقة) يشابهون النصارى في هذا.

قوله: **(وَذَلِكَ كُفْرٌ بِاللهِ الْعَظِيمِ)**، الذي يقول: (إن الأرواح غير مخلوقة) يُشبه قول النصارى، وقول النصارى كفر بالله عَزَّوَجَلَّ؛ ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]، ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:٧٢]، فمن قال بمثل قولهم، فقد شابههم، وإن لم يصل إلى حد الكفر، ولكنه شابههم.



وَمَنْ قَالَ: إِنَّ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حَالٌّ فِي الْعَبْدِ، وَقَالَ بِالتَّبْعِيضِ عَلَى اللهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا حَالٌّ فِي مَخْلُوقٍ، وَأَنَّهُ كَيْفَمَا تُلِيَ وَقُرِئَ وَحُفِظَ: فَهُوَ صِفَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَلَيْسَ الدَّرْسُ مِنَ الْمَدْرُوسِ، وَلَا التِّلَاوَةُ مِنَ الْمَتْلُوِّ؛ لِأَنَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ بِغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ كَافِرٌ.

وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الْقِرَاءَةَ الْمُلَحَّنَةَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ.

الشَّرح

قوله: (**وَمَنْ قَالَ: إِنَّ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حَالٌّ فِي الْعَبْدِ، وَقَالَ بِالتَّبْعِيضِ عَلَى اللهِ، فَقَدْ كَفَرَ**)، هذا رد على الحلولية من الصوفية الذين يقولون: (إن الله يحل في بعض عباده، إذا صفت أرواحهم وتريضوا بالرياضة، فإن الله يحل فيهم)، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا! ولذلك يُسمون بالحلولية؛ لأنهم يزعمون أن الله حال في بعض مخلوقاته، وهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنهم لم ينزهوا الله عَزَّوَجَلَّ عن الحلول عن البشر؛ وكما سبق أن أهل السنة والجماعة يقولون: إن الله بائن من خلقه. بائن: يعني ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا معنى البينونة، وهذه اللفظة وإن لم ترد في الكتاب والسنة إلا أن العلماء اضطروا إلى قولها ليردوا على الحلولية الذين يقولون: (إن الله يحل في بعض البشر)، والذين ينفون العلو، ويقولون: (إن الله في كل مكان)، هذه حلولية أيضًا.

قوله: (**وَقَالَ بِالتَّبْعِيضِ عَلَى اللهِ، فَقَدْ كَفَرَ**)، إن كان يقصد بالتبعيض الذين يقولون: (إن الله له ولد) كالنصارى والمشركين الذين يقولون: (الملائكة بنات الله)، فهذا باطل وكفر قبيح؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا ليس له ولد؛ قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ



﴿مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف:١٥]، يعني: ولدًا، فالولد جزء من الوالد، وهذا كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، هذا إن كان يقصد بالتبعيض هذا المعنى، وهو الظاهر -إن شاء الله.

أما إن كان يقصد بالتبعيض ما يقوله نفاة الصفات من تنزيه الله عن الوجه واليد، والصفات الذاتية، فهذا غلط، فإنهم يقولون: (إن الله ليس له أبعاض)، يعني: ليس له صفات ذاتية -كالوجه واليد والرجل والقدم والأصابع وغير ذلك مما ثبت بالأدلة-، ليس له أغراض ولا أبعاض، والأغراض: نفي الحكمة، يقولون: (إن الله يفعل لا لحكمة؛ لأن الحكمة غرض، والله منزه عن الأغراض، وكذلك منزه عن الأبعاض، وهي الصفات الذاتية)، ولكن ما أظنه يقصد هذا.

قوله: (**وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلا حَالٌّ فِي مَخْلُوقٍ**)، والقرآن كما سبق أنه كلام الله حقيقة، تكلم الله به حقيقة منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، سماه الله كلامه في عدة آيات؛ ردًّا على الجهمية الذين يقولون: (إنه مخلوق لفظًا ومعنى، خلقه الله في اللوح المحفوظ، أو خلقه في جبريل، أو خلقه في محمد، وأضيف إلى الله إضافة مخلوق إلى خالقه)، تعالى الله عما يقولون! وكذلك قول الأشاعرة الذين يقولون: (إن المعنى غير مخلوق، واللفظ مخلوق)، وهذا يُشبه قول النصارى في المسيح -كما سبق-، فكلام الله غير مخلوق لفظه ومعانيه وحروفه، كله كلام الله جَلَّوَعَلَا، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (**وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ**)، ليس بمخلوق كما تقوله الجهمية.

قوله: (**وَلا حَالٌّ فِي مَخْلُوقٍ**)؛ كما تقوله الأشاعرة: (إن ألفاظه وحروفه حكاية أو عبارة عن كلام الله، وهي مخلوقة)!

قوله: (وَأَنَّهُ كَيْفَمَا تُلِيَ وَقُرِئَ وَحُفِظَ: فَهُوَ صِفَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ)، القرآن هو كلام الله كيفما قُرِئ وكُتب وسُمع، أوحاه الله إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بلغه إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغه إلى أمته، فهو كلام الله، لا كلام جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا كلام محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما أضيف إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أو إلى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:٤٠] إضافة تبليغ، وأما أنه كلام غير الله، فهذا باطل، وإضافته إلى الله إضافة حقيقية، ولهذا يقولون: (الكلام يُضاف إلى مَنْ قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مبلغًا مؤديًا)، وضربنا المثل: أنت حينما تقرأ قصيدة لشاعر بصوتك، أنت تقرؤها بصوتك، ويسمعها الناس منك، فهل معنى هذا أن هذه القصيدة التي نطقت بها أنها من شعرك؟ لا، وإنما أنت تقرؤها وتبلغها، وكذلك القرآن حينما يتلوه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو يتلوه المسلمون، فهو كلام الله عَزَّوَجَلَّ، كلام الله حقيقة.

(فَهُوَ صِفَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ)، سواء قُرِئ باللسان، أو حُفظ في الصدور، أو كُتب في المصاحف أو في اللوح المحفوظ، فهو كلام الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (وَلَيْسَ الدَّرْسُ مِنَ الْمَدْرُوسِ، وَلا التِّلَاوَةُ مِنَ الْمَتْلُوِّ؛ لأَنَّهُ عَزَّوَجَلَّ بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ بِغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ كَافِرٌ) (وَلا التِّلَاوَةُ مِنَ الْمَتْلُوِّ)، هناك فرق بين التلاوة والمتلو، التلاوة مخلوقة؛ لأنها لفظ البشر، وأما المتلو، فهو كلام الله جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (وَلَيْسَ الدَّرْسُ مِنَ الْمَدْرُوسِ)، فإذا درست كتاب الله؛ «يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ»[1]، فالدرس غير المدروس، الدرس فعل البشر، مصدر درس درسًا، وأما المدروس، فهو كلام الله جَلَّ وَعَلَا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ =

قوله: (**لأَنَّهُ** عَزَّوَجَلَّ **بِجَمِيعِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ**)، فالله جَلَّوَعَلَا ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٣، ٤]، الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٣، ٤] بذاته وأسمائه وصفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فأسماؤه وصفاته أزلية معه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فهي قديمة بقدمه، أزلية بأزلية الله، وأبدية لا نهاية لها.

قوله: (**وَمَنْ قَالَ بِغَيْرِ ذَلِكَ**)، من قال بأن صفة من صفاته مخلوقة -كالجهمية الذين يقولون: (القرآن مخلوق)-، (**فَهُوَ كَافِرٌ**) بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه جعل شيئًا من صفات الله مخلوقة، فالله جَلَّوَعَلَا بأسمائه وصفاته غير مخلوق، ومنها كلام الله، فإنه صفة من صفاته، فهو غير مخلوق.

قوله: (**وَنَعْتَقِدُ أَنَّ الْقِرَاءَةَ الْمُلَحَّنَةَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ**)، القرآن يُتلى، أمرنا الله بتلاوة القرآن؛ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [فاطر:٢٩]، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة:١٢١]، ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾، يعني: يقرؤونه، ﴿يَتْلُونَهُۥ﴾ يعني: يتبعونه، فالتلاوة لها معنيان: معنى القراءة، ومعنى الاتباع، ﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾، يعني: يقرؤونه ويتبعونه، لا يقرؤونه فقط، يقرؤونه ويتبعونه، فالتلاوة عمل صالح، وقد قال صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ**

= عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»(١)، فتلاوة القرآن فيها فضل عظيم؛ لأنها وسيلة للعمل به، ولأنها ذكر لله جَلَّوَعَلَا، فالقرآن هو أفضل الذكر، وتلاوته ذكر لله عَزَّوَجَلَّ، وسماه الله ذكرًا، فالتلاوة عمل صالح، وليست التلاوة مقصودة بذاتها، وإنما هي وسيلة للتدبر، والتدبر وسيلة إلى العمل، والعمل هو الغاية المطلوبة، فتعلم القرآن وتلاوته وتدبره كل هذه وسائل للعمل به.

والتلاوة لها آداب: أن تقرأ القرآن بالآداب التي ذكرها العلماء في أصول التفسير، وللإمام النووي «التبيان في آداب حملة القرآن»، فالتلاوة لها آداب:

* أن يكون الإنسان متطهرًا من الحدثين؛ من الحدث الأصغر سنة، ومن الحدث الأكبر شرط؛ فلا يجوز للإنسان أن يقرأ وعليه جنابة، أما أن يقرأ وعليه حدث أصغر عن ظهر قلب من غير مس للمصحف، فلا بأس.

* **ومنها**: أنه يُحسن صوته بالقرآن، ويتغنى به، بمعنى أنه يُحسن صوته بالقرآن.

* **ومنها**: أن يرتله، يعني: لا يستعجل، بل يتمهل، الترتيل معناه التمهل في القراءة، والوقوف على رؤوس الآيات؛ كما كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل، يقف عند كل آية، هذا هو الترتيل، وكذلك لابد أن يضبطه من اللحن اللغوي، فلا يلحن بأن يرفع المنصوب أو يخفض المرفوع، أو غير ذلك، بل يقرؤه على الوجه العربي، على الوجه النحوي، بقراءة منضبطة ليس فيها لحن، واللحن على قسمين:

* لحن يحيل المعنى، وهذا لا يجوز.

* ولحن لا يحيل المعنى، هذا يُكره، ما دام أنه لا يغير المعنى، فإنه يُكره.

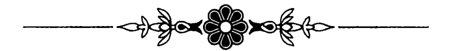
ولا يمطط القرآن تمطيطًا يُشبه الشعر؛ لأنه جاء في الأحاديث أنه في آخر

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) مرفوعًا وموقوفًا على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الزمان يُتخذ القرآن أغاني[1]، فيقرؤونه على شبه الأغاني للتطريب، ويستعمل فيه قوانين الأغاني، فهذا حرام -والعياذ بالله-، وإنما يُحسن صوته بالقرآن من غير تمطيط، والتجويد شيء طيب، ولكنه ليس بواجب -كما يقوله بعض الناس-، التجويد مكمل، وليس واجبًا، الواجب أن لا يلحن في القرآن، وأما أنه يستعمل تجويد من الغنة والمد والإخفاء والإظهار وغير ذلك، فهذه مكملات حصلت، ولكن لا يغلُ فيها؛ لأن بعض الناس يغلو في التجويد، يغلو في المدود، يغلو في الغنة، يولد حروف، هذا تكلف، بل خير الأمور الوسط، لا يهذ القرآن هذًا، ولايمطط تمطيطًا، وإنما يتوسط في ذلك، هذا هو المطلوب في قراءة القرآن، والتجويد يُستعمل باعتدال، لا يُترك التجويد نهائيًا، ولا يُغالى فيه ويُتشدد فيه، وإنما يُتوسط فيه، هذا هو طريق الاعتدال؛ ولذلك الذي يقرأ القرآن بالتجويد المعتدل تجد له لذة، وتجد الذي يقرأ القرآن ويتكلف القراءة والتجويد تجده ثقيلًا على السمع، ويمل الناس بقراءته، خصوصًا إذا كان في الصلاة، فكل شيء تجاوز حده ينقلب إلى ضده، فلابد من الاعتدال في هذا.

قوله: (**الْقِرَاءَةَ الْمُلَحَّنَةَ**)، الملحنة يعني: تلحين الغناء، (**بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ**)، وهذا يحدث في آخر الزمان.



---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه أحمد (٢٥/ ٤٢٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٢٦٨-٢٦٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٠٩): عن عَابِسٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «**يَعْنِي خِصَالًا يَتَخَوَّفُهُنَّ عَلَى أُمَّتِهِ بَعْدَهُ: إِمَارَةَ السُّفَهَاءِ، وَاسْتِخْفَافًا بِالدَّمِ، وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، وَكَثْرَةَ الشُّرَطِ، وَنَشْأً يَتَّخِذُونَ الْقُرْآنَ مَزَامِيرَ يَتَغَنَّوْنَ غِنَاءً يُقَدِّمُونَ الرَّجُلَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَيْسَ بِأَفْضَلِهِمْ وَلَا أَعْلَمِهِمْ لَا يُقَدِّمُونَهُ إِلَّا لِيَتَغَنَّى لَهُمْ**».

وَأَنَّ الْقَصَائِدَ بِدْعَةٌ، وَمَجْرَاهَا عَلَى قِسْمَيْنِ:

فَالْحَسَنُ مِنْ ذَلِكَ -مِنْ ذِكْرِ آلَاءِ اللهِ وَنَعْمَائِهِ، وَإِظْهَارِ نَعْتِ الصَّالِحِينَ وَصِفَةِ الْمُتَّقِينَ-، فَذَلِكَ جَائِزٌ، وَتَرْكُهُ وَالاشْتِغَالُ بِذِكْرِ اللهِ وَالْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ أَوْلَى بِهِ.

وَمَا جَرَى عَلَى وَصْفِ الْمَرْئِيَّاتِ، وَنَعْتِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَاسْتِمَاعُ ذَلِكَ عَلَى اللهِ كُفْرٌ، وَاسْتِمَاعُ الْغِنَاءِ وَالرُّبَاعِيَّاتِ(١) عَلَى اللهِ كُفْرٌ، وَالرَّقْصُ بِالإِيقَاعِ وَنَعْتُ الرَّقَّاصِينَ عَلَى أَحْكَامِ الدِّينِ فِسْقٌ، وَعَلَى أَحْكَامِ التَّوَاجُدِ وَالْغِنَاءِ لَهْوٌ وَلَعِبٌ.

الشَّرح

قوله: (وَأَنَّ الْقَصَائِدَ بِدْعَةٌ، وَمَجْرَاهَا عَلَى قِسْمَيْنِ)، القصائد المراد بها: القصائد الصوفية التي يسمونها الأناشيد، يسمونها الذكر، يذكرون الله بالأناشيد مثل النصارى، يترنمون بالأناشيد، صلاة النصارى أناشيد وترانيم، فالصوفية يشبهون النصارى في أنهم يجعلون ذكر الله أناشيد جماعية، فهذا ليس من دين الإسلام، اتخاذ الأناشيد عبادة ودين لله عَزَّوَجَلَّ وتقرب إلى الله هذا بدعة.

قوله: (فَالْحَسَنُ مِنْ ذَلِكَ -مِنْ ذِكْرِ آلَاءِ اللهِ وَنَعْمَائِهِ، وَإِظْهَارِ نَعْتِ الصَّالِحِينَ وَصِفَةِ الْمُتَّقِينَ-، فَذَلِكَ جَائِزٌ) القصائد التي تُقرأ لأجل الاستفادة منها من غير صوت جماعي، وإنما صوت واحد يُنشدها، فيها حكم، أو فيها علم وفقه، أو فيها مواعظ، أو فيها لغة عربية، هذا شيء طيب، هذه قصائد لا بأس بها، قد استمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حسان بن ثابت، واستمع إلى كعب بن زهير، واستمع إلى الشعراء، واستمع إلى الخنساء، فاستمع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الشعراء، وقال: «إِنَّ مِنَ

---

(١) قال في المعجم الوسيط (ص٣٢٤): (الرُّباعية في الشعر: منظومة شعرية تتألف من وحدات، كل وحدة منها أربعة أشطر تستقل بقافيتها، وتسمى في الشعر الفارسي بالدوبيت) اهـ.

الشِّعْرِ حُكْمًا، وَمِنَ البَيَانِ سِحْرًا»[(١)]، فالشعر النزيه الذي يُستفاد منه ويُنشد على الطريقة المعروفة، هذا لا بأس به، هذا يُستفاد منه، هذا النوع الأول.

النوع الثاني: القصائد التي يُتقرب بها إلى الله، وإنشادها يعتبرونه عبادة، ويلحنونها بأصوات جماعية، هذه هي البدعة، وهي ما اتخذه الصوفية ومن شابههم من جهال الدعاة الذين يقولون: (هذه من وسائل الدعوة)، وهي ليست من وسائل الدعوة.

قوله: (**وَتَرْكُهُ وَالاشْتِغَالُ بِذِكْرِ اللهِ وَالْقُرْآنِ وَالْعِلْمِ أَوْلَى بِهِ**)، يعني: ما يُكثر من إنشاد الشعر، وإنما يؤخذ منه بقدر، ويشتغل الإنسان بذكر الله وبتلاوة القرآن وبالتسبيح والتهليل، ويأخذ من الشعر قدرًا يستفيد منه.

قوله: (**وَمَا جَرَى عَلَى وَصْفِ الْمَرْئِيَّاتِ، وَنَعْتِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَاسْتِمَاعُ ذَلِكَ عَلَى اللهِ كُفْرٌ**)، هذا القسم الثاني الذي هو التشبيب والمجون، هذا إذا تقرب به إلى الله، فهو كفر؛ لأنه بدعة، ويتقرب إلى الله بما لم يشرعه، بل بما هو معصية.

قوله: (**وَاسْتِمَاعُ الْغِنَاءِ وَالرُّبَاعِيَّاتِ عَلَى اللهِ كُفْرٌ**)، إذا تقرب به إلى الله، فهذا شرع دين لم يأذن به الله، وهو تقرب إلى الله بالمعصية.

قوله: (**الْغِنَاءِ وَالرُّبَاعِيَّاتِ**)، هذا كله في مصطلحات الصوفية الذين يتخذون الأغاني دينًا يتقربون به إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن الأغاني شيء لا يُتخذ تقربًا إلى الله، ولكنه يدعو إلى الفواحش والزنا، وهو غناء المغنين المجان والفنانين الذين يسمونهم الآن المطربين، وهذا ليس قصائد

---

(١) أخرجه البخاري(٥١٤٦) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. واللفظ المذكور لأحمد في المسند (٤/ ٢٤٥)، وأبي داود في السنن (٥٠١١، ٥٠١٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الصوفية هذه قصائد المتمدنين والفساق، وهو ما يُذاع في الإذاعات والمحطات، هذا من المجون؛ لأنه يدعو إلى الفاحشة.

فإذًا الشعر على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الشعر النزيه الذي يُنشد للاستفادة منه، هذا لا بأس منه.

القسم الثاني: الشعر الذي يُتقرب به إلى الله على أنه من العبادة، هذا بدعة، وهو قصائد الصوفية.

القسم الثالث: شعر المجون والفسق، وصف الخدود والقدود، ووصف الفواحش، ووصف الخمريات والسكر، وغير ذلك، وهذا محرم -أيضًا.

قوله: (**وَالرَّقْصُ بِالإِيقَاعِ**)، الرقص للرجال هذا بدعة، أما للنساء، فيُباح الرقص الذي هو التمايل، التمايل بين النساء في مناسبة الزواج؛ إعلانًا للنكاح مع ضرب الدف، فهذا لا بأس به، أما الرقص الماجن -وهو المعروف الآن- رقص المجان من الرجال والنساء، وخصوصًا النساء التي تتعرى في الرقص، وتظهر عورتها وجسمها، فهذا حرام.

قوله: (**وَالرَّقْصُ بِالإِيقَاعِ**)، يعني: بإيقاع المزامير والمعازف.

قوله: (**وَنَعْتُ الرَّقَّاصِينَ عَلَى أَحْكَامِ الدِّينِ فِسْقٌ**)، وإذا اعتبر هذا أنه من المنشد على العبادة، والصوفية يرقصون، إذا اجتمعوا يقوم واحد، ويرقص في وسطهم، ويضرب الدف، ويقولون: (هذا ذكر، هذه حلقة ذكر)، ويسكرون، وتغيب عقولهم -والعياذ بالله- في هذه المجالس، ويقولون: (هذا وصل إلى الله)، هذا -والعياذ بالله- من البدع الشنيعة والاستهزاء بالدين؛ لأن الله لم يشرع لعباده أن يتقربوا إليه بالخلاعة والمجون والأغاني والدفوف، فهم إذا اجتمعوا لعمل

هذه الأشياء -الرقص، وضرب الدف، والأغاني-، هذه عبادات عند الصوفية، يجتمعون لها، ويسمونها مجالس الذكر، وهي مجالس الكفر والشيطان، مجالس الذكر هي مجالس العلم وتلاوة القرآن، هذه مجالس الذكر.

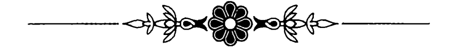
قوله: (**وَعَلَى أَحْكَامِ التَّوَاجُدِ وَالْغِنَاءِ لَهْوٌ وَلَعِبٌ**)، وأما على اتخاذ الرقص والأغاني من باب إثارة الحب، الوجد: شدة الحب؛ من باب إثارة الحب والشوق، فهذا -أيضًا- من مصطلحات الصوفية، وهو خبير بأحوال الصوفية؛ لأنه صوفي رَحِمَهُ اللَّهُ، ولكنه صوفي معتدل، فهو يمقت هؤلاء الذين نسبوا إلى التصوف ما ليس منه.



وَحَـرَامٌ عَلَى كُلِّ مَنْ سَمِعَ الْقَصَائِدَ وَالرُّبَاعِيَّاتِ الْمُلَحَّنَةَ الْجَارِي بَيْنَ أَهْلِ الأَطْبَاعِ عَلَى أَحْكَامِ الذِّكْرِ، إِلَّا لِمَنْ تَقَدَّمَ لَهُ الْعِلْمُ بِأَحْكَامِ التَّوْحِيدِ، وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا يُضَافُ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ عَزَّوَجَلَّ، **مِمَّا هُوَ مُنَزَّهٌ عَنْهُ، فَيَكُونُ اسْتِمَاعُهُ كَمَا قَالَ:** ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر:١٨].

الشَّرح

ليس هناك شيء يُستحسن من أحوال الصوفية؛ لأنها كلها مبتدعة، ولكن بعضها أخف من بعض، وإلا فكلها طرق مبتدعة، وبعضها يجر إلى بعض، والواجب تجنبها والتزام الطريقة المحمدية في ذكر الله وعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا هو الطريق الصحيح، وكل ما ابتدع، فإنه ضلال.



وَكُلُّ مَنْ جَهِلَ ذَلِكَ، وَقَصَدَ اسْتِمَاعَهُ عَلَى اللهِ عَلَى غَيْرِ تَفْصِيلِهِ، فَهُوَ كُفْرٌ لَا مَحَالَةَ، فَكُلُّ مَنْ جَمَعَ الْقَوْلَ، وَأَصْغَى بِالإِضَافَةِ إِلَى اللهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ، إِلَّا لِمَنْ عَرَفَ مَا وَصَفْتُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَنَعْمَائِهِ، وَمَا هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ عَزَّوَجَلَّ مَا لَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ فِيهِ نَعْتٌ وَلا وَصْفٌ، بَلْ تَرْكُ ذَلِكَ أَوْلَى وَأَحْوَطُ، وَالأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهَا بِدْعَةٌ، وَالْفِتْنَةُ بِهَا غَيْرُ مَأْمُونَةٍ. إِلَى أَنْ قَالَ: وَاتِّخَاذُ الْمَجَالِسِ عَلَى الاسْتِمَاعِ وَالْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ بِالرُّبَاعِيَّاتِ بِدْعَةٌ، وَذَلِكَ مِمَّا أَنْكَرَهُ الْمُطَّلِبِيُّ[(١)]، وَمَالِكٌ، وَالثَّوْرِيُّ[(٢)]، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ[(٣)]، وَأَحْمَدُ ابْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ[(٤)]، وَالاقْتِدَاءُ بِهِمْ أَوْلَى مِنَ الاقْتِدَاءِ بِمَنْ لَا يُعْرَفُونَ فِي الدِّينِ، وَلا لَهُمْ قَدَمٌ عِنْدَ الْمُخْلِصِينَ.

الشَّرْح

قوله: (وَكُلُّ مَنْ جَهِلَ ذَلِكَ، وَقَصَدَ اسْتِمَاعَهُ عَلَى اللهِ عَلَى غَيْرِ تَفْصِيلِهِ، فَهُوَ كُفْرٌ لَا مَحَالَةَ) قوله: (فَهُوَ كُفْرٌ لَا مَحَالَةَ) لا يقصد الكفر المخرج من الملة، الكفر قد يكون كفرًا أكبر، وقد يكون كفرًا أصغر، إذا قيل: (هذا كفر)، فيحتمل أن المراد به الكفر المخرج من الملة، ويحتمل أن المراد به ما دون ذلك.

---

(١) هو محمد بن إدريس الشافعي.

(٢) سبقت ترجمته (ص٣٣٧).

(٣) هو يزيد بن هارون بن زاذي بن ثابت أبو خالد السلمي مولاهم، من أهل واسط، ولد سنة ثمان عشرة ومائة، وتوفي سنة ست ومائتين، قال علي بن المديني: (ما رأيت رجلًا قط أحفظ من يزيد بن هارون»، وقال الذهبي: «كان رأسًا في العلم والعمل، ثقة حجة كبير الشأن). انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٣١٤)، وتاريخ بغداد (١٤/ ٣٣٧)، وسير الأعلام (٩/ ٣٥٨)، والعبر (١/ ٣٥٠)، وشذرات الذهب (٢/ ١٦).

(٤) هو ابن راهويه، سبقت ترجمته (ص١٩٩).

قوله: (فَكُلُّ مَنْ جَمَعَ الْقَوْلَ وَأَصْغَى بِالإِضَافَةِ إِلَى اللهِ، فَغَيْرُ جَائِزٍ، إِلَّا لِمَنْ عَرَفَ مَا وَصَفْتُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَنَعْمَائِهِ، وَمَا هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ عَزَّوَجَلَّ مَا لَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ فِيهِ نَعْتٌ وَلا وَصْفٌ، بَلْ تَرْكُ ذَلِكَ أَوْلَى وَأَحْوَطُ، وَالأَصْلُ فِي ذَلِكَ أَنَّهَا بِدْعَةٌ، وَالْفِتْنَةُ بِهَا غَيْرُ مَأْمُونَةٍ)، الذي يتخذ الأناشيد والأشياء هذه، وإن كان في البداية لا يقصد بها معنىً سيئًا، ولكن تركها والابتعاد عنها أحسن؛ لأنها تجر إلى شر، ويكفي أنها بدعة(١)، لم يشرع الله لنا هذه الطرق التي ابتكرها الصوفية، لم يشرعها الله لنا، فهي بدعة، وكل بدعة ضلالة.

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَاتِّخَاذُ الْمَجَالِسِ عَلَى الاسْتِمَاعِ وَالْغِنَاءِ وَالرَّقْصِ بِالرُّبَاعِيَّاتِ بِدْعَةٌ)، اتخاذ المجالس لهذه الأمور -لهذه الأناشيد، وهذه الطبول، وهذه الأحوال- والتواجد عند الصوفية حتى يغيبوا عن الحضور، كل هذا من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان.

قوله: (وَذَلِكَ مِمَّا أَنْكَرَهُ الْمُطَّلِبِيّ)، وقد أنكرها الأئمة كالإمام المطلبي يعني: الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن الشافعي من بني المطلب، من بيت الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو مطلبي من بني المطلب أعمام الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (وَمَالِكٌ، وَالثَّوْرِيُّ، وَيَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَإِسْحَاقُ)، هؤلاء الأئمة أنكروا هذه المجالس، وهذه الأناشيد، وهذه الأحوال الصوفية أنكروها؛ لأنها خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة.

قوله: (وَالاقْتِدَاءُ بِهِمْ أَوْلَى مِن الاقْتِدَاءِ بِمَنْ لَا يُعْرَفُونَ فِي الدِّينِ)، الاقتداء بالأئمة الأربعة -كالإمام أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وسفيان الثوري، وابن عيينة-، الاقتداء بهؤلاء أولى من الاقتداء بالصوفية.

---

(١) انظر كتاب: القول المفيد في حكم الأناشيد لعصام المري، ط: مكتبة الفرقان. الإمارات.

قوله: (وَلا لَهُمْ قَدَمٌ عِنْدَ الْمُخْلِصِينَ)، المجاهيل الذين لم يُعرف لهم قدم صدق في الدين والعلم، غاية ما يُقال: إنهم عُباد زهاد. فهذا لا يسوغ للإنسان أنه يقتدي بهم؛ لأن النصارى ما ضلوا إلا بمثل هذه الطرق؛ لأنهم يعبدون الله على جهل وضلال، والله جَلَّ وَعَلَا أمرنا أن نستعيذ بالله من طريق المغضوب عليهم، وهم اليهود، وطريق الضالين، وهم النصارى، الذين يعبدون الله على غير علم، وعلى غير بصيرة، كذلك الصوفية يعبدون الله على جهل، وعلى غير علم، وإنما حسب الرسوم والعادات التي وجدوا عليها آباءهم.



وَبَلَغَنِي أَنَّهُ قِيلَ لِبِشْرِ بْنِ الْحَارِثِ[1]: إِنَّ أَصْحَابَكَ قَدْ أَحْدَثُوا شَيْئًا يُقَالُ لَهُ الْقَصَائِدُ، قَالَ: مِثْلُ إِيشٍ؟ قَالَ مِثْلُ قَوْلِهِ:

اصْـــبِرِي يَـــا نَـفْـسُ حَـتَّـى تَـسْـكُـنِـي دَارَ الْجَـلِـيـلِ

فَقَالَ: حَسَنٌ. وَأَيْنَ يَكُونُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْت: بِبَغْدَادَ. فَقَالَ: كَذَبُوا وَالَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ، لا يَسْكُنُ بَغْدَادَ مَنْ يَسْمَعُ ذَلِكَ.

الشَّرح

قوله: (وَبَلَغَنِي أَنَّهُ قِيلَ لِبِشْرِ بْنِ الحَارِثِ) بشر بن الحارث الذي هو بشر الحافي، وكان من قدماء الصوفية، ومن العباد والزاهد المستقيمين.

قوله: (إِنَّ أَصْحَابَكَ قَدْ أَحْدَثُوا شَيْئًا يُقَالُ لَهُ الْقَصَائِدُ، قَالَ: مِثْلُ إِيشٍ؟ قَالَ مِثْلُ قَوْلِهِ:

اصْـــبِرِي يَـــا نَـفْـسُ حَـتَّـى تَـسْـكُـنِي دَارَ الْجَـلِـيـلِ

فَقَالَ: حَسَنٌ. وَأَيْنَ يَكُونُ هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ذَلِكَ؟ قَالَ: قُلْت: بِبَغْدَادَ. فَقَالَ: كَذَبُوا وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لا يَسْكُنُ بَغْدَادَ مَنْ يَسْمَعُ ذَلِكَ)، معنى البيت صحيح، (اصْبِرِي يَا نَفْسُ حَتَّى تَسْكُنِي دَارَ الجَلِيلِ)، لكن الاشتغال بالغناء، والتغني به عن ذكر الله هذا أمر غير مناسب، ثم ذكر أين هم الذي يستمعون لهذا؟ قال له: في بغداد. قال: لا، هذا كذب، بغداد ليس فيها صوفية، الصوفية منشؤهم من البصرة.

(اصْبِرِي يَا نَفْسُ حَتَّى تَسْكُنِي دَارَ الجَلِيلِ)، البيت ما فيه بأس، ولكن الاشتغال بمثل هذا وبالقصائد هذا الذي لا ينبغي.

---

(١) سبقت ترجمته (ص١٩٩).

(لَا يَسْكُنُ بَغْدَادَ مَنْ يَسْمَعُ ذَلِكَ)، يعني: في وقته، أما بعد ذلك، فقد وجدوا في بغداد وفي غيرها، لكن قبل ذلك ما كان منشأ الصوفية من بغداد، إنما يقولون: (كان من البصرة)؛ كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.



قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: وَمِمَّا نَقُولُ -وَهُوَ قَوْلُ أَئِمَّتِنَا-: إِنَّ الْفَقِيرَ إِذَا احْتَاجَ وَصَبَرَ، وَلَمْ يَتَكَفَّفْ إِلَى وَقْتٍ يَفْتَحُ اللهُ لَهُ، كَانَ أَعْلَى، فَمَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّبْرِ، كَانَ السُّؤَالُ أَوْلَى بِهِ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ...»[1] الْحَدِيثَ.

الشَّرْح

قوله: (قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ)؛ أبو عبد الله هو ابن خفيف.

قوله: (وَمِمَّا نَقُولُ -وَهُوَ قَوْلُ أَئِمَّتِنَا-: إِنَّ الْفَقِيرَ إِذَا احْتَاجَ وَصَبَرَ، وَلَمْ يَتَكَفَّفْ إِلَى وَقْتٍ يَفْتَحُ اللهُ لَهُ، كَانَ أَعْلَى، فَمَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّبْرِ، كَانَ السُّؤَالُ أَوْلَى بِهِ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ...» الحَدِيثَ)، الفقير الصابر الذي يصبر حتى يغنيه الله أحسن من الذي يسأل الناس، والسؤال عند الحاجة جائز، ولكن تركه أفضل؛ استغناءً عن الناس، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣]، فترك السؤال لا شك أنه أفضل، وإن كان السؤال للمحتاج جائزًا بقدر حاجته، أما السؤال من غير حاجة، فهو حرام وجمر من جهنم، وخدوش تكون في وجه السائل يوم القيامة، فسؤال الناس فيه تفصيل:

* سؤال الناس العلم -تسأل العلماء- هذا واجب؛ قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧١)، ومسلم (١٠٤٢) بنحوه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* أما سؤال المال، فهذا يجوز عند الحاجة بقدرها، فإذا أصاب ما يكفيه، يحرم عليه السؤال، وترك السؤال والتعفف أفضل، والصبر على الجوع أحسن، حتى يفتح الله على الصابر من فضله.

(**كَانَ أَعْلَى**)، يعني: من الذي يسأل.

(**قَوْلِهِ** صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ...**»)، النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حث على طلب الرزق، ولو أن الإنسان يأخذ الحبل، ويذهب ويحتطب، ويحمل على رأسه، ويبيع، ويستغني عن السؤال أحسن له؛ «**لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**»، فطلب الرزق والسعي في الأرض أفضل من السؤال.



وَنَقُولُ: إِنَّ تَـرْكَ المَكَاسِبِ غَيْرُ جَائِزٍ إِلَّا بِشَرَائِطَ مَرْسُومَةٍ مِنَ التَّعَفُّفِ وَالاسْتِغْنَاءِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَمَنْ جَعَلَ السُّؤَالَ حِرْفَةً، وَهُوَ صَحِيحٌ، فَهُوَ مَذْمُومٌ فِي الْحَقِيقَةِ خَارِجٌ.

الشَّرح

قوله: (وَنَقُولُ: إِنَّ تَرْكَ المَكَاسِبِ غَيْرُ جَائِزٍ إِلَّا بِشَرَائِطَ مَرْسُومَةٍ مِنَ التَّعَفُّفِ وَالاسْتِغْنَاءِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ)، لا يجوز للإنسان أن يترك طلب الرزق وطلب المكاسب، فترك طلب الرزق هذا ليس من الإسلام، بل الله جَلَّوَعَلَا أمر بطلب الرزق، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة:١٠]، قال تعالى: ﴿ فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ [العنكبوت:١٧]، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ [الملك:١٥]، وطلب الرزق هذا مأمور به شرعًا، أما الذين يتركون طلب الرزق، ويقولون: (هذه عبادة، إذا كان الله قاسمًا لي شيئًا سيأتي)ن هذا كذب ليس عبادة، طلب الرزق هو العبادة، والاستغناء عن الناس هو العبادة، هذا لا يجوز، بل يطلب الرزق، والله جَلَّوَعَلَا جعل للأرزاق أسبابًا، إذا فعلها الإنسان، يسر الله له، والله نهى عن تعطيل الأسباب.

قوله: (إِنَّ تَرْكَ المَكَاسِبِ غَيْرُ جَائِزٍ)، ترك طلب الرزق غير جائز في الشريعة، هذا رد على الذين يقولون: (إن الإنسان لا يطلب الرزق، فالمقسوم يحصل له)، نعم يحصل له إذا طلب، فالله جعل الأشياء مرتبة على أسبابها، فإذا عطلت السبب، تعطل المسبب، وإذا فعلت السبب، فإن الله يعطيك ما وعدك -إن شاءسُبْحَانَهُوَتَعَالَى .

قوله: (بِشَرَائِطَ مَرْسُومَةٍ مِنَ التَّعَفُّفِ)، إلا إذا كان من باب التعفف (وَالاسْتِغْنَاءِ عَمَّا فِي أَيْـدِي النَّاسِ)، فهذا مطلوب؛ ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣]، التعفف عن الناس وترك السؤال هذا مطلوب، أما ترك طلب الرزق، فهذا منهي عنه.

قوله: (**وَمَنْ جَعَلَ السُّؤَالَ حِرْفَةً وَهُوَ صَحِيحٌ، فَهُوَ مَذْمُومٌ فِي الحَقِيقَةِ خَارِجٌ**)، نهى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن السؤال من غير حاجة، فقال: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**»(١)، وإنما تحل المسألة لأحد ثلاثة؛ كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٢).

* **الأول**: إما لغارم، يعني: عليه حمالة تحملها؛ إما لنفسه -كالدين- أو لإصلاح ذات البين، فهذا تحل له المسألة حتى يصيب ما يسدد هذه الغرامة.

* **الثاني**: من أصابته جائحة، غني وعنده أموال، ثم أصابته جائحة استأصلت أمواله، فأصبح فقيرًا، هذا يجوز له السؤال حتى يصيب ما يكفيه.

* **الثالث**: الفقير الذي ليس بيده شيء، يحل له أن يسأل قدر ما يكفيه حتى يصيب سدادًا من عيش.

(**وَهُوَ صَحِيحٌ**)، أي: صحيح الجسم يقدر على الكسب، أما الإنسان العاجز الذي لا يقدر على الكسب وهو فقير، فيجوز له السؤال للضرورة.

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٥) (١٠٤١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٩) (١٠٤٤) عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الهِلَالِيِّ، قَالَ: «تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: **يَا قَبِيصَةُ إِنَّ المَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ رَجُلٍ، تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ -أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ- وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ -أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ- فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ المَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا**».

وَنَقُولُ: إِنَّ الْمُسْتَمِعَ إِلَى الْغِنَاءِ وَالْمَلَاهِي، فَإِنَّ ذَلِكَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ»(١)، وَإِنْ لَمْ يَكْفُرْ: فَهُوَ فِسْقٌ لَا مَحَالَةَ.

وَالَّذِي نَخْتَارُ: قَوْلُ أَئِمَّتِنَا: تَرْكُ الْمِرَاءِ فِي الدِّينِ، وَالْكَلَامِ فِي الْإِيمَانِ: مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاسِطٌ يُؤَدِّي، وَأَنَّ الْمُرَاسِلَ إِلَيْهِمْ أَفْضَلُ، فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ، وَمَنْ قَالَ بِإِسْقَاطِ الْوَسَائِطِ عَلَى الْجُمْلَةِ، فَقَدْ كَفَرَ. اهـ(٢).

الشَّرح

قوله: (**وَنَقُولُ: إِنَّ الْمُسْتَمِعَ إِلَى الْغِنَاءِ وَالْمَلَاهِي، فَإِنَّ ذَلِكَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ»، وَإِنْ لَمْ يَكْفُرْ: فَهُوَ فِسْقٌ لَا مَحَالَةَ**)، هذا غير ما سبق من أحوال الصوفية، هذا أن الإنسان يستمع إلى الغناء والملاهي ليس من باب التعبد، وإنما هو من باب اللهو والترويح، لا يجوز استماع الأغاني والمزامير والمعازف؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان:٦]، وقال ابن مسعود وغيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ هو الغناء، وحلف

---

(١) لا يصح مرفوعًا، أخرجه أبو داود (٤٩٢٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٢٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والديلمي في الفردوس (٣/ ١١٥) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٧٩) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وجاء موقوفًا على ابن مسعود وغيره، رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٢٩)، ابن عبد البر في التمهيد (٢٢/ ١٩٩)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٢٢٣)، وفي شعب الإيمان (٤/ ٢٧٨). قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار (١/ ٥٧٤): «المرفوع غير صحيح لأن في إسناده من لم يسم، رواه أبو داود، وهو في رواية ابن العبد ليس من رواية اللؤلؤي، ورواه البيهقي مرفوعًا وموقوفًا» اهـ. وقال ابن قدامة في المغني (١٠/ ١٧٥): (والصحيح أنه من قول ابن مسعود) اهـ.

(٢) انتهى كلام أبي عبد الله بن خفيف.



عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ هو الغناء[(١)]، وجاء في صحيح البخاري عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ -يَعْنِي الفَقِيرَ- لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»**[(٢)].

(يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ)، أي: يستحلون الفرج؛ أي: الزنا، (وَالحَرِيرَ) معروف؛ لأن الحرير يحرم على الرجال، (وَالخَمْرَ) معروف، يحرم على المسلمين، (وَالمَعَازِفَ)، هذا محل الشاهد من الحديث، والمعازف: هي آلات العزف، وهي الملاهي، آلات الملاهي بجميع أنواعها، فإنها حرام، حكى شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ الإجماع على تحريم المعازف والمزامير؛ لأنها تصد عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وهي قرآن الشيطان؛ ولهذا يقول الإمام ابن القيم[(٣)]:

حُبّ الْكِتَابِ وَحُبّ أَلْحَانِ الْغِنَا ... فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

ما يجتمع حب القرآن وحب الأغاني إلا ويطرد أحدهما الآخر، وأيضًا الأغاني الماجنة -التي هي عماد الأغاني الآن عند المطربين والمطربات- هذه تنبت الشهوة والنفاق في القلب، والنفاق: هو كراهية الحق، تجد المغنين يكرهون ذكر الله؛ لأنهم استمرؤوا الأغاني، فهم يكرهون ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا نفاق، فإذا تُلي القرآن، أعرضوا، وضاقت صدورهم، وإذا جاءت الأغاني والمزامير، استبشروا، وفرحوا، يقول الشاعر: مثل الحمير تناهقوا[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/ ٣٦٨)، وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (ص٣٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٠٣٩)، والبخاري (٥٥٩٠) معلقًا واللفظ له.

(٣) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ٥٢١).

(٤) شطر بيت من أبيات لم يسم قائلها أوردها ابن القيم في إغاثة اللهفان ط. عالم الفوائد (١/ ٤٠٢).

قوله: (**الْغِنَاءُ يُنْبِتُ النِّفَاقَ فِي الْقَلْبِ**)، النفاق: هو كراهية الخير؛ لأن المغني يكره القرآن والذكر.

قوله: (**وَإِنْ لَمْ يَكْفُرْ: فَهُوَ فِسْقٌ لَا مَحَالَةَ**)، وإن لم يصل إلى حد الكفر المخرج من الملة، فإنه فسق، يعني: نقص في الإيمان.

قوله: (**وَالَّذِي نَخْتَارُ: قَوْل أَئِمَّتِنَا: تَرْكُ المِرَاءِ فِي الدِّينِ**)، لا زال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مستمرًّا في النقل عن كتاب ابن خفيف، وفي هذه الجملة يقول ابن خفيف: ونحن على منهج أئمتنا -أئمة أهل السنة والجماعة- في ترك المراء في الدين، وذلك أن الدين واضح لا لبس فيه ولا غموض، فهو دين كامل وشامل، شهد الله له بالكمال، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣]، والله قد بيَّن هذا الدين، وبينه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بيانًا واضحًا لا إشكال فيه، ولكن يحتاج إلى دراسة وتفقه، لا يؤخذ الدين عن طريق التقليد والتعصّب، وإنما يؤخذ الدين من الأصلين: الكتاب والسنة، من كان عنده المقدرة، فإنه يبحث، ومن لم يكن عنه مقدرة، فإنه يسأل أهل العلم الموثوقين، ويأخذ بأقوالهم، والجدال لا خير فيه؛ يورث الشر والتشكيك، ويتسلط فيه الأعداء على هذا الدين، ويشككون فيه، والدين توقيفي، ليس مجالًا للتدخلات أو المداخلات -كما يسمونه-، ليس لأحد كلام في هذا الدين، الكلام كلام الله وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وما بينه العلماء والأئمة، فهذا أصل عظيم، وهو ترك الجدال والمراء في هذا الدين، لاسيما مع الجهال وأنصاف المتعلمين وأصحاب الأغراض السيئة الذين يشككون في هذا الدين، وقد ظهرت هذه البادرة في هذا العصر أكثر من غيرها، وُجِدَ من المتعالمين من يجترون مسائل العقيدة، ويناقشون فيها، حتى إن العوام انفتح لهم باب الشك والجدل، وصاروا



يسألون عن كذا وكذا، يسألون عن القدر، يسألون عن الإيمان، عن العمل هل يدخل في الإيمان أو لا يدخل في الإيمان؟ يسألون عن مسائل ما كانت في الأول معروفة الدخول فيها، وأشد من ذلك ما يدور في الفضائيات من اللقاءات مع من ينتسبون إلى العلم، وقد يكون فيهم من هم أهل خرافة وأهل عقيدة فاسدة، ويريدون أن يروجوا عقيدتهم، ويدخلوها على الناس؛ لأنها سنحت لهم الفرصة من خلال هذه الفضائيات، وصاروا يتكلمون على الأئمة، وينتقدونهم -كما هو معلوم من أفعالهم-، وتجرأ أهل المذاهب الباطلة والفرق الضالة في الرد على أهل السنة وانتقاص مذهب أهل السنة، أو جعله مذهبًا كالمذاهب غيره، يتساوى مع المذاهب الأخرى، إلى غير ذلك من التلبيس الذي يجب الحذر منه.

قوله: (تَرْكُ المِرَاءِ فِي الدِّينِ)؛ الجدال، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ ﴾ [فصلت:٤٠]، ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر:٤]، يشككون فيها، ويجادلون فيها، ويطرحونها للبحث، لاعلى أنها وحيٌ مُنَزل، بل على أنها فكرة قابلة للنقاش، هكذا يقولون الآن، فيجب الحذر من هؤلاء، ومن ذلك الدخول في الإيمان، الإيمان عرفه السلف بأنه قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[١]، وهذا التعريف مأخوذ من الأدلة؛ من كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليس تعريفًا اصطلاحيًا، وإنما هو تعريف شرعي مأخوذ من الكتاب والسنة، فجاء من يقول: (إن الأعمال لا تدخل في الإيمان، وإن الإيمان هو التصديق بالقلب)، وبعضهم يقول: (التصديق بالقلب والنطق باللسان، والعمل لا يدخل)، كيف يكون إيمانٌ

---

(١) انظر: (ص٦٣١).

بدون عمل؟! لا إيمانَ بدون عمل، ولا عمل بدون إيمان، لابد من أن يجتمع الاثنان؛ قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، لابد من هذه الأمور الثلاثة فيه.

قوله: (**وَالْكَلَامِ فِي الإِيمَانِ: مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ**)، وكذلك من يقول: (الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟)، ما الداعي لهذا؟ الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ ما الفائدة من هذا، ما قال السلف هذا الكلام، ما قالوا: إن الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، وإنما عرفوه بتعريف شامل من الكتاب والسنة، ولم يدخلوا في أنه مخلوق أو غير مخلوق، فهذا سؤال لا قيمة له ولا فائدة منه.

إن كان يقصد بالإيمان أفعال الله جَلَّوَعَلَا وقضاءه وقدره، فهذا غير مخلوق، وإن كان يقصد بالإيمان أعمال العباد -من صلاة وصيام وزكاة وحج-، فهي مخلوقة، فأفعال العباد مخلوقة؛ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات:٩٦]، أما أفعال الله جَلَّوَعَلَا، فهي غير مخلوقة، من صفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله: (**وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَاسِطٌ يُؤَدِّي، وَأَنَّ الْمُرَاسِلَ إِلَيْهِمْ أَفْضَلُ، فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ**)، هذا من قول الصوفية، يقولون: (إن الرسول واسطة بين الله وبين العوام، أما الخواص، فليسوا بحاجة إلى الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لأنهم يعرفون الله)، ويسمون أنفسهم العارف بالله، وليسوا بحاجة إلى الرسل، وصلوا إلى مرحلة لايحتاجون فيها إلى الرسل -بزعمهم-، ويزعمون أنهم أفضل من الرسل، وأن أئمتهم أفضل من الرسل، حتى قال شاعرهم[1]:

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرْزَخٍ ... فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيّ

(١) سبق عزوه: (ص٢٨٤).

الوليّ: هو الأعلى، والمراد بالولي الصوفي العارف بالله، الرسول والنبي والصالحون كلهم تحت الولي، والولي بلغ درجة مباشرة مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا قول طائفة من غلاة الصوفية.

قوله: (**وَأَنَّ الْمُرَسِلَ إِلَيْهِمْ أَفْضَلُ**)، المرسل إليهم أفضل من الرسول، هذا كافر بالله عَزَّوَجَلَّ، فالرسل أفضل الخلق، اختصهم الله برسالته، وفضلهم على خلقه، فمن زعم أنه أفضل من الرسول، أو أن أحدًا أفضل من الرسول، فهو كافر بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه متنقص للرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن تنقص الرسول، فقد كفر، فالرسل أكمل الخلق وأعلمهم بالله عَزَّوَجَلَّ وأنصحهم واتقاهم لله.

قوله: (**وَمَنْ قَالَ بِإِسْقَاطِ الْوَسَائِطِ عَلَى الْجُمْلَةِ، فَقَدْ كَفَرَ**)، كذلك هذه طوائف من الصوفية، يقولون: (إن الصوفية يصلون إلى منزلة لا يحتاجون إلى الرسل؛ لأنهم وصلوا إلى الله؛ فليسوا بحاجة إلى الرسل، ولا يدخلون تحت دائرة الحلال والحرام، ليس عليهم حلال ولا حرام، هذه للعوام، أما الخواص، فهم يخرجون عن دائرة الحلال والحرام، ويفعلون ما يشاءون؛ لأنهم وصلوا إلى الله)! ومن بلغ به الكفر إلى هذا الحد، فهو أكفر من إبليس. انتهى النقل عن ابن خفيف.



وَمِنْ مُتَأَخِّرِيهِمْ: الإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ أَبِي صَالِحٍ الْجِيلِيُّ[1]، قَالَ فِي كِتَابِ «الْغُنْيَةِ»[2]: (أَمَّا مَعْرِفَةُ الصَّانِعِ بِالآيَاتِ وَالدَّلالاتِ عَلَى وَجْهِ الاخْتِصَارِ، فَهُوَ أَنْ يَعْرِفَ وَيَتَيَقَّنَ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ. إِلَى أَنْ قَالَ: وَهُوَ بِجِهَةِ الْعُلُوِّ، مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ، مُحْتَوٍ عَلَى الْمُلْكِ، مُحِيطٌ عِلْمُهُ بِالأَشْيَاءِ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة:٥]، وَلا يَجُوزُ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ بَلْ يُقَالُ: إِنَّهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

الشَّرح

قوله: (وَمِنْ مُتَأَخِّرِيهِمْ: الإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ أَبِي صَالِحٍ الجِيلِيُّ)، من متأخري الصوفية الإمام عبد القادر الجيلاني -أو الكيلاني-، وهذا إمام جليل، وهو من فقهاء الحنابلة، ومن الزهاد والعُباد ومن أئمة أهل السنة، ولكن الصوفية كذبوا عليه، وانتحلوا عليه الطريقة التي يسمونها القادرية، وهو بريء منها كل البراءة، ولكنهم ألصقوها به، وسموها الطريقة القادرية، وهي مشهورة عند الصوفية، وهي اختراع وكذب، وعبد القادر بريء منها.

قوله: (قَالَ فِي كِتَابِ «الْغُنْيَةِ»): كتاب من كتب الفقه.

قوله: (أَمَّا مَعْرِفَةُ الصَّانِعِ بِالآيَاتِ وَالدَّلالَاتِ عَلَى وَجْهِ الاخْتِصَارِ)، الصانع يعني: الخالق، وليس من أسماء الله الصانع، لكن يُخبر عنه بأنه الصانع من باب

---

(١) سبقت ترجمته (ص٧٣٨).

(٢) هو كتاب «غنية الطالبين لطريق الحق» مطبوع ومتداول.



الخبر؛ ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل:٨٨]، ولكن لا يُسمى بهذا الاسم، فالله جَلَّوَعَلَا الذي عبر عنه بالصانع يُعرف بالآيات الكونية والآيات القرآنية، يُعرف سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه وصفاته وبكلامه ووحيه.

قوله: (فَهُوَ أَنْ يَعْرِفَ وَيَتَيَقَّنَ أَنَّ اللهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ)؛ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص:١، ٢]، فالله جَلَّوَعَلَا واحد ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:١٦]، فمن أسمائه: الأحد والواحد؛ لأنه منفرد، الواحد معناه المنفرد بالألوهية والربوبية والأسماء والصفات، منفرد بالتوحيد بأقسامه الثلاثة، فالله لا شريك له لا في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الواحد القهار، وهو الإله الحق، وكل معبود سواه فهو باطل، والأدلة على ذلك كثيرة، قال الشاعر[1]:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلّ عَلَى أَنَّهُ الوَاحِدُ

كل شيء شاهد لله بالوحدانية، هذا الكون الفسيح المنظم المشتمل على المنافع والخيرات الذي لا يختل ولا يضطرب يدل على الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن له خالقًا حكيمًا، أتقنه وأحكمه غاية الإحكام؛ لا يتبدل، ولا يتغير، ولا يختل نظامه، فهذا دليل على قدرة الله وحكمته وعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا دليل كوني، فإذا نظرت في هذا الكون بأنواع مفرداته، دلك على الخالق؛ لأنه لا يمكن أن يوجد هذا الكون من غير خالق؛ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٥، ٣٦]، فهذا الكون له خالق، وهو الله جَلَّوَعَلَا

---

(١) من شعر أبي نواس. انظر: وفيات الأعيان (٧/ ١٣٨). وقيل: هو لأبي العتاهية. انظر: الأغاني للأصفهاني (٤/ ٣٥).

الواحد القهار، لم يدَّعِ أحدٌ -مع كثرة الكفار والمشركين- أنه خلق جبلًا، أو خلق بحرًا، أو خلق شجرة، ما أحد ادعى هذا إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الخالق الخلاق العليم، على شدة كفرهم ومعاندتهم ما أحد ادعى أنه يخلق، أو أن آلهته التي يعبدها من دون الله أنها تخلق وترزق، ما يستطيع أن يدعي هذا، فدل على أن الخالق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا شريك له؛ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأحقاف:٤]، فما استطاعوا أن يجيبوا، ويقولوا: نعم، خلقوا كذا وخلقوا كذا. بل إن الله تحداهم أن يخلقوا ذبابًا؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ [الحج:٧٣]، تحداهم، فلم يستطيعوا أن يخلقوا الذباب، والتحدي باق إلى أن تقوم الساعة، مع تقدم العلم -كما يقولون- وتقدم الاختراعات ما استطاعوا أن يخلقوا حيوانًا ذا روح، لو اجتمع الناس كلهم، لما استطاعوا أن يخلقوا ذبابًا، فكيف بغيره، فالله جَلَّ وَعَلَا هو الخلاق العليم.

وأما الآيات القرآنية، فكثيرة، وفيها براهين تدل على انفراد الله جَلَّ وَعَلَا بالألوهية، ولا أحد ادعى معارضتها أو رد عليها، ولن يستطيعوا ذلك، مع كفرهم وعنادهم وشرهم.

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَهُوَ بِجِهَةِ الْعُلُوِّ)، قال عبد القادر: (وَهُوَ بِجِهَةِ الْعُلُوِّ)، الله جَلَّ وَعَلَا في جهة، لا كما يقوله الأشاعرة وغيرهم: (إن الله ليس في جهة)، بل نقول: إنه في جهة العلو، هو في ليس في جهة مخلوقة، وأما أنه في جهة العلو، فهو جَلَّ وَعَلَا هو الذي أخبر عن نفسه أنه بجهة العلو، والفطر تدل على ذلك، فكل يتجه إلى السماء، كل مخلوق متعلم أو عامي أو بدوي أو حضري، كلهم إذا دعوا يتوجهون إلى السماء، هذه فطرة لا أحد يستطيع أن يغيرها، وهذا عرفوه بالفطرة،



وذكروا أن العلو عليه ما يزيد على ألف دليل، وقد كتب الإمام الذهبي كتاب «العلو للعلي الغفار»، ذكر أدلة كثيرة تدل على علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق مخلوقاته؛ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٥٠]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورى:٤].

قوله: (وَهُوَ بِجِهَةِ الْعُلُوِّ)، بخلاف الذين يقولون: (إن الله ليس في جهة، منزه عن الجهة المخلوقة)، الله ليس حالًا في شيء من مخلوقاته، أما نفي الجهة مطلقًا، فهذا باطل، فالله جَلَّ وَعَلَا في جهة العلو.

قوله: (مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ)، ومما يؤمن به أهل السنة والجماعة أن الله مستو على العرش؛ كما أخبر عن ذلك في سبعة مواضع من كتابه الكريم.

والعرش: هو سقف المخلوقات وأعظمها، والعرش في الأصل السرير، سرير الملك الذي يكون عليه الملك، هذا بالنسبة للمخلوقين، أما العرش بالنسبة لعرش الرحمن، فلا أحد يحيط به، لا يعلمه إلا هو سبحانه؛ ولذلك قال: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٩]، ﴿هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦]، ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج:١٥]، مدح نفسه بأنه رب العرش، فدل على عظم العرش، وهو أعظم المخلوقات، والله مستو عليه استواءً يليق بجلاله وعظمته، وهذا من أدلة العلو أيضًا، لكن العلو صفة ذات، والاستواء صفة فعل، ولذلك رتبه بـ«ثم» بعد خلق السماوات والأرض؛ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، فالعلو لا ينفك عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما الاستواء، فهو صفة فعل، يفعله إذا شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من صفات الأفعال، وهو نوع من العلو.

قوله: (مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ مُحْتَوٍ عَلَى الْمُلْكِ)، مستوٍ على العرش، وهو علمه حاوٍ لكل مكان، وهو مع خلقه أينما كانوا، وهو فوق العرش سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران:٥]، فهو فوق العرش، وعلمه في كل مكان، لا يخفى عليه شيء.

قوله: (مُحِيطٌ عِلْمُهُ بِالأَشْيَاءِ)، هذا تفسير لقوله: (مُحْتَوٍ عَلَى الْمُلْكِ)؛ لأنه محتوٍ عليه بعلمه وقدرته وإرادته وتدبيره.

قوله: (﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[فاطر:١٠])، هذا من أدلة العلو؛ ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾؛ لأن الصعود لا يكون إلا إلى أعلى، والكلم الطيب: هو الكلام المشروع؛ التسبيح والتهليل والتكبير، الذكر، الكلم الطيب هو ذكر الله جَلَّ وَعَلَا، ومن الكلم الطيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، فالله يصعد إليه الكلم الطيب؛ لأنه يحبه، ويثيب عليه، بخلاف الكلام الخبيث، الكلام الخبيث -كالشرك والسب والشتم والغيبة والنميمة- لا يصعد إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وإنما يصعد إليه الذكر والتسبيح والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن، ولكن الشاهد من الآية إثبات العلو؛ لأنه قال: ﴿ يَصْعَدُ ﴾، والصعود هو الارتفاع إلى العلو، ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾، والكلم: جمع كلام.

﴿ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾، يعني: يرفع العمل الصالح؛ لأن الكلام بدون عمل لا فائدة منه، فلابد من العمل الصالح مع الكلام.

قوله: (﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة:٥])، وهذا من أدلة العلو أيضًا، ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾؛ الأمر من أوامره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾، فدل على أن



الله في السماء، ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾، هذا دليل ثانٍ من الآية العروج؛ لأن العروج هو الصعود، فدل على أن الله في العلو، وأنه يعرج إليه الأمر.

قوله: (وَلا يَجُوزُ وَصْفُهُ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ)، ما دام هذه الأدلة على علوه واستوائه على عرشه، فلا يجوز وصفه بأنه في كل مكان؛ كما تقوله الحلولية والذين ينزهون الله عن المكان وعن الجهة، ويقولون: (لا داخل العالم ولا خارجه، ولاأعلى ولا أسفل، ولا أيمن ولا أيسر)، هذا معناه أنه معدوم، فالموجود لابد أن يكون في جهة، الذي ليس في جهة هو المعدوم.

قوله: (بَلْ يُقَالُ: إِنَّهُ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ)؛ كما قال عن نفسه، أنه في السماء: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [الملك:١٦، ١٧]، ولما سأل النبي ﷺ الجارية: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»(١) فأقرها على قولها «فِي السَّمَاءِ».

قوله: (كَمَا قَالَ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥])، هذا دليل من أدلة العلو ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ في سبعة مواضع، كلها بهذا اللفظ معداة بـ«على»، فهي تدل على العلو والارتفاع، ليست بمعنى «استولى»؛ كما يقوله أهل التأويل من الأشاعرة وغيرهم، ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ يقولون: (استولى على العرش)، وقد أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التفسير من عشرين وجهًا في رسالة مطبوعة مع مجموع الفتاوى(٢).

---

(١) سبق تخريجه (ص١٢٩).

(٢) سبق بيانها (ص١٨).

وَذَكَرَ آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: وَيَنْبَغِي إِطْلَاقُ صِفَةِ الاسْتِوَاءِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ، وَأَنَّهُ اسْتِوَاءُ الذَّاتِ عَلَى الْعَرْشِ.

قَالَ: وَكَوْنُهُ عَلَى الْعَرْشِ مَذْكُورٌ فِي كُلِّ كِتَابٍ أُنْزِلَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أُرْسِلَ بِلَا كَيْفٍ. وَذَكَرَ كَلَامًا طَوِيلًا لَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا الْمَوْضِعُ، وَذَكَرَ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ نَحْوَ هَذَا(١).

وَلَوْ ذَكَرْتُ مَا قَالَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ، لَطَالَ الْكِتَابُ جِدًّا.

الشَّرْح

قوله: (وَذَكَرَ آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ) (ذَكَرَ)، أي: عبد القادر، (آيَاتٍ وَأَحَادِيثَ) في التوحيد.

قوله: (وَيَنْبَغِي إِطْلَاقُ صِفَةِ الاسْتِوَاءِ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ)، ينبغي إثبات الاستواء بغير تأويل، والتأويل المراد به التأويل الباطل؛ لأن التأويل يُطلق، ويُراد به التفسير عند المتقدمين، ويُطلق، ويُراد به ما يؤول إليه الشيء في المستقبل؛ ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ﴾ [يوسف:١٠٠]، ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف:٥٣]، فالتأويل في القرآن يُطلق على معنيين:

* يُطلق على التفسير وبيان معناه.
* ويُطلق على ما يؤول إليه الشيء في المستقبل.

وأما المعنى الثالث: فهذا أحدثه علماء الكلام، الذي هو التأويل: بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره أو عن مدلوله الظاهر إلى مدلول آخر يعينونه هم، مثل

---

(١) انظر: الغنية (١٢١ - ١٢٨)، واجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٧٥)، والعلو للذهبي (٢٦٥)، وشذرات الذهب (٤/ ٢٠١).



اليد التي أولوها بالقدرة، والوجه الذي أولوه بالذات، والكلام كلام الله أولوه بأنه خلق الله، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢]: جاء أمره، ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠]، يقولون: (يأتي أمره)، فهذا تأويل باطل؛ لأنه لا دليل عليه، صرف اللفظ عن مدلوله إلى مدلول باطل لم يرده الله، ولا أراده الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث.

قوله: (وَأَنَّهُ اسْتِوَاءُ الذَّاتِ عَلَى الْعَرْشِ)، لا كما يقوله المؤولة، أن ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، يعني: استولى عليه، لو كان كذلك، لم يكن هناك فرق بين العرش وغيره؛ لأن الله مستولٍ على كل شيء؛ إذًا يُقال: استوى على الجبل، استوى على الدار؛ لأن كل شيء فهو ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فكونه خص العرش بالاستواء، دليل على أن معنى الاستواء هو العلو والارتفاع، وليس معناه الاستيلاء على الشيء.

ثم أيضًا إذا فُسر الاستواء بالاستيلاء، فلمن كان العرش قبل الله؟! إنما يُقال: استولى فلان على كذا إذا كان مسبوقًا لمن يملكه قبله، استولى الملك على البلد الفلاني؛ لأنها كانت تحت قبضة غيره قبل أن يتغلب عليها، فهل الله جَلَّ وَعَلَا استوى على العرش يعني: استولى عليه بعد غيره ممن سبقه؟!! هذا معنى باطل.

قوله: (قَالَ: وَكَوْنُهُ عَلَى الْعَرْشِ مَذْكُورٌ فِي كُلِّ كِتَابٍ أُنْزِلَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ أُرْسِلَ بِلَا كَيْفٍ)، هذا متقرر في الكتب المنزلة من الله جَلَّ وَعَلَا على جميع الرسل، وفي القرآن على الخصوص.

(بِلَا كَيْفٍ)، يعني: لا نعلم كيف استواؤه سبحانه، فالكيفية مجهولة لا يعلمها إلا الله كسائر صفاته، فمعنى الاستواء معلوم، وأما كيفيته، فهي مجهولة

لنا؛ ولهذا لما سأل رجل الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، كيف استوى؟ ما قال: ما معنى الاستواء؟ قال: كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حياءً من الله عَزَّوَجَلَّ من هذا السؤال القبيح، ثم رفع رأسه وقال: «الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»، السؤال عن الكيفية بدعة، «وَمَا أَرَاكَ إِلَّا رَجُلَ سُوءٍ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ المَجْلِسِ»(١)، فهذه كلمة في جميع الصفات، أن معناها معلوم من حيث اللغة التي نزل بها، وأما كيفيته، فهي مجهولة، الله لم يُبين لنا كيف استوى، ولا كيف ينزل إلى السماء الدنيا، هذا لم يبينه الله لنا، ولا نحيط به، وليس هذا من مصلحتنا أننا نعرف الكيفية، من مصلحتنا أننا نعرف الصفة؛ حتى نعبد الله بها، ونسأله بها، نتقرب إليه بمعناها، أما الكيفية، فليس لنا مصلحة في معرفتها؛ ولأن عقولنا لا تتحمل هذا الشيء، ولا تحيط به، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠]، لا يحيطون بالله جَلَّوَعَلَا علمًا.

قوله: (وَذَكَرَ كَلَامًا طَوِيلًا لَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا المَوْضِعُ)، ذكر الإمام عبد القادر كلامًا طويلًا في العقيدة لا يتسع هذا الجواب لذكره؛ لأنه -كما تعلمون- هذا ما هو بمصنف، هذه فتوى وإجابة عن سؤال، ما تحتمل البسط.

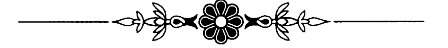
قوله: (وَذَكَرَ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ)، أي: بقية الصفات.

قوله: (نَحْوَ): ما ذكره في الاستواء أنه معلوم المعنى مجهول الكيفية في جميع الأسماء والصفات.

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٦).

قوله: (وَلَوْ ذَكَرْتُ مَا قَالَ الْعُلَمَاءُ فِي ذَلِكَ، لَطَالَ الْكِتَابُ جِدًّا)، يقول شيخ الإسلام: لو ذكرت كل ما قاله العلماء في ذلك -في أسماء الله وصفاته-، لطال الكتاب جدًّا، ولبلغ مجلدات.



وَقَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ[(١)]: رُوِّينَا عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَالأَوْزَاعِيِّ، وَمَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ[(٢)] فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ أَنَّهُمْ كُلَّهُمْ قَالُوا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ.

قَالَ أَبُو عُمَرَ: مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَقْلِ الثِّقَاتِ، أَوْ جَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَهُوَ عِلْمٌ يُدَانُ بِهِ، وَمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ فِيمَا جَاءَ عَنْهُمْ، فَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ[(٣)].

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ)، أبو عمر بن عبد البر النمري إمام أهل المغرب الأندلسي الحافظ المشهور المُلقب بحافظ المغرب، إمام جليل له المؤلفات العظيمة في الفقه وفي الحديث، من أعظمها «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، فهو دراسة للموطأ بمعانيه وأسانيده، وهو كتاب يبلغ حوالي عشرين مجلدًا مطبوعًا.

قوله: (رُوِّينَا عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ)، مالك بن أنس: هو أحد الأئمة الأربعة، وابن عبد البر مالكي من المالكية.

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢١٨).

(٢) هو معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري، الحافظ أبو عروة، له الجامع المشهور في السير أقدم من الموطأ، قال الإمام أحمد: «ليس يضم معمر إلى أحد إلا وجدته فوقه» اهـ. وقال ابن سعد: «كان معمر رجلًا له حلم ومروءة ونبل في نفسه» اهـ. ولد سنة خمس أو ست وتسعين، وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (٥/ ٥٤٦)، وتاريخ دمشق (٥٩/ ٣٩٠)، والسير (٧/ ٥)، والعبر (١/ ٢٢٠)، وشذرات الذهب (١/ ٢٣٥).

(٣) انظر: ذم التأويل لابن قدامة (ص٢١).



قوله: (وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ)، سفيان الثوري: الإمام الجليل المعروف.

قوله: (وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ): سفيان بن عيينة المكي الإمام الجليل في الحديث.

قوله: (وَالأَوْزَاعِيِّ): الأوزاعي إمام أهل الشام، وموطنه في لبنان، موطن الأوزاعي في لبنان، وفيما أظن أن هناك جهة من لبنان تُسمى الأوزاعي.

قوله: (وَمَعْمَرِ بْنِ رَاشِدٍ): إمام جليل.

قوله: (فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ أَنَّهُمْ كُلَّهُمْ قَالُوا: أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ)، هذا يقوله ابن عبد البر، روى عن هؤلاء الأئمة أنهم يقولون: (أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ)، يعني: من غير تحريف ومن غير تأويل، بل (أَمِرُّوهَا كَمَا جَاءَتْ) بمعناها الذي تدل عليه من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، ولا تتعرضوا لها بالتأويل والتحريف الذي يبطل مدلولاتها -كما يفعله المعطلة.

قوله: (قَالَ أَبُو عُمَرَ)، يعني: ابن عبد البر، هذه كنيته.

قوله: (مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَقْلِ الثِّقَاتِ، أَوْ جَاءَ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَهُوَ عِلْمٌ يُدَانُ بِهِ)، يعني: ما صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -سواءً كان متواترًا أو آحادًا- في التوحيد وفي غيره، فإنه يُدان لله به، يعني: يُتعبد لله به، ويُثبت؛ لأنه حق.

كذلك ما جاء عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنهم أخذوا العلم عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتلقوه عنه، فهم يقولون ما قاله لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم الواسطة بيننا وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نقلوا لنا هذا الدين؛ كما حفظوه من

الرسول ﷺ، وهم -أيضًا- الذين نشروا هذا الدين في المشارق والمغارب، نشروه بالتعليم والدعوة، ونشروه بالجهاد في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ.

أما ما جاء عن الرسول ﷺ من غير نقل الثقات -كأن يكون الحديث ضعيفًا-، فهذا لا يُثبت به حكم شرعي، وإنما يستأنس به، إذا جاء بمعنى الحديث الصحيح؛ لأنه يشهد له، أما أنه يُبنى حكم شرعي على الحديث الضعيف استقلالًا، فهذا لا يجوز.

قوله: (فَهُوَ عِلْمٌ يُدَانُ بِهِ)، يعني: يُتدين به لله عَزَّوَجَلَّ، ويُتعبد به لله.

قوله: (وَمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ فِيمَا جَاءَ عَنْهُمْ، فَهُوَ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ)، أما ما جاء، عمّن هم بعد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنه يُنظر فيه، فإن كان له دليل من كتاب الله وسنة رسوله أو من قول الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنه يؤخذ به، وأما إذا لم يكن له مستند، فإنه لا يؤخذ به.



وَقَالَ فِي «شَرْحِ المُوَطَّأ» لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى حَدِيثِ النُّزُولِ، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ، صَحِيحُ الإِسْنَادِ، لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي صِحَّتِهِ، وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ طُرُقٍ سِوَى هَذِهِ، مِنْ أَخْبَارِ الْعُدُولِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ؛ كَمَا قَالَتِ الْجَمَاعَةُ، وَهُوَ مِنْ حُجَّتِهِمْ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

الشَّرْح

قوله: (وَقَالَ فِي «شَرْحِ المُوَطَّأ»): الذي هو التمهيد.

قوله: (لَمَّا تَكَلَّمَ عَلَى حَدِيثِ النُّزُولِ): نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر.

قوله: (قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ)، بل هو متواتر، حديث النزول متواتر.

قوله: (صَحِيحُ الإِسْنَادِ، لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ الحَدِيثِ فِي صِحَّتِهِ)، أجمعوا على صحة حديث نزول الرب إلى السماء الدنيا، لم يخالف فيه أحد من الأئمة[1].

بل هو متواتر من طرق كثيرة حتى بلغ التواتر.

قوله: (وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ طُرُقٍ سِوَى هَذِهِ)، يعني: سوى طريق مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: (مِنْ أَخْبَارِ الْعُدُولِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هذا هو الصحيح، الحديث الصحيح: هو ما رواه عدل تام الضبط عن مثله من بداية السند إلى نهايته، هذا هو الحديث الصحيح[2].

---

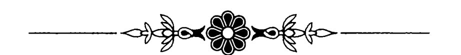
(١) حديث النزول سبق تخريجه (ص١٨١).

(٢) انظر: (ص١١٨).

قوله: (**وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ**)، في حديث النزول دليل على أن الله في السماء؛ لأن النزول لا يكون إلا من أعلى.

قوله: (**مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ؛ كَمَا قَالَت الجَمَاعَةُ**)، الجماعة: المراد بهم أهل السنة.

قوله: (**وَهُوَ مِنْ حُجَّتِهِمْ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ**)، هذا الحديث وأمثاله حجة أهل السنة على المعتزلة، أتباع واصل بن عطاء الذين ينفون العلو والاستواء، ويقولون: (إن الله في كل مكان)، تعالى الله عما يقولون! فلم ينزهوه عن المواضع القذرة والحشوش[1] ودورات المياه -تعالى الله عما يقولون!-، هذا مقتضى قولهم: (إنه في كل مكان).



(١) سبق بيان معنى الحشوش (ص١٤٣).



قَالَ: وَالدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِ أَهْلِ الْحَقِّ قَوْلُ اللهِ. وَذَكَرَ بَعْضَ الآيَاتِ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَهَذَا أَشْهَرُ وَأَعْرَفُ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ مِنْ أَنْ يُحْتَاجَ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ حِكَايَتِهِ؛ لأَنَّهُ اضْطِرَارٌ لَمْ يُوقِفْهُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَلا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِم مُسْلِمٌ.

الشَّرح

قوله: (وَهَذَا أَشْهَرُ وَأَعْرَفُ عِنْدَ الْعَامَّةِ وَالخَاصَّةِ مِنْ أَنْ يُحْتَاجَ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ حِكَايَتِهِ؛ لأَنَّهُ اضْطِرَارٌ لَمْ يُوقِفْهُمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَلا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ مُسْلِمٌ)؛ لأنه كما أنه دليل من الكتاب والسنة، فهو دليل فطري -أيضًا- اضطراري؛ فإن كل مخلوق -كل إنسان عاميًّا كان أو عالمًا، أو حضريًّا أو بدويًّا لم يدرس في الجامعات، ولا درس المقررات- إذا دعا، يرفع رأسه إلى السماء، هذه فطرة؛ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٠]، مع كثرة ما قالوا في هذا ما أثروا على الناس، الناس باقون على فطرتهم.



وَقَالَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ -أَيْضًا-: أَجْمَعَ عُلَمَاءُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ الَّذِينَ حُمِلَ عَنْهُم التَّأْوِيلُ، قَالُوا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]: هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَا خَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ مَنْ يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِ.

وَقَالَ أَبُو عُمَرَ -أَيْضًا-: أَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَى الإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَالإِيمَانِ بِهَا، وَحَمْلِهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا عَلَى الْمَجَازِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُكَيِّفُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَحُدُّونَ فِيهِ صِفَةً مَحْصُورَةً.

وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدَعِ -الْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزِلَةُ كُلُّهَا وَالْخَوَارِجُ-، فَكُلُّهُمْ يُنْكِرُهَا، وَلَا يَحْمِلُ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَيَزْعُمُ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَا مُشَبِّهٌ، وَهُمْ عِنْدَ مَنْ أَقَرَّ بِهَا نَافُونَ لِلْمَعْبُودِ، وَالْحَقُّ فِيمَا قَالَهُ الْقَائِلُونَ بِمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُمْ أَئِمَّةُ الْجَمَاعَةِ(١).

هَذَا كَلَام ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ إِمَام أَهْلِ الْمَغْرِبِ.

الشَّرح

قوله: (قَالُوا فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧]: هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَا خَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ مَنْ يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِ)، التأويل يعني: التفسير، (الَّذِينَ حُمِلَ عَنْهُم التَّأْوِيلُ)، يعني: التفسير؛ لأن الأوائل إذا قالوا: التأويل، يريدون به التفسير، وإنما حدث التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره فيمن بعدهم من علماء الكلام.

---

(١) انظر: التمهيد (٧/ ١٢٨ -١٤٥).

قوله: (هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ)، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة:٧]، هل معنى هذا أن الله معهم يعني: مختلط بهم، فيكون دليلًا على الحلول -كما يقول هؤلاء؟ لا، معناه العلم، وأنه معهم بعلمه وإحاطته؛ ولذلك بدأ الله الآية بالعلم، وختمها بالعلم؛ كما قال الإمام أحمد، قال: (بدأ الله الآية بالعلم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وختمها بالعلم(1)، وذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾)(2)، فدل على أن المراد بالمعية معية العلم، والمعية لها معانٍ:

* تُطلق على مطلق المصاحبة، ولو كان الذي معك ليس بجانبك ولا مخالطًا لك، ولو كان يراك من فوق أو من بعيد، القمر مثلًا، تقول: القمر معنا. والقمر في السماء، ولكنه معنا بنوره وضيائه، فإذا كان هذا في المخلوق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ فليس في الآية دليل على الحلول؛ لأن المعية ليس لها معنى واحد فقط، بل لها عدة معانٍ. تُطلق ويُراد بها مطلق المصاحبة من غير اختلاط ولا مماسة، وهذا هو المراد هنا.

* وتُطلق ويراد بها المقارنة والمخالطة، وهذا غير مراد في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بدليل الأدلة التي دلت على أنه في العلو، وليس معنا بذاته، وليس مختلطًا بخلقه، الأدلة الكثيرة تدل على هذا، والقرآن يُفسر بعضه بعضًا، أما الذي يأخذ طرفًا، ويترك البقية، فهذا من الذين قال الله فيهم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ

---

(١) سبق عزوه (ص٤١٢).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٥/٤٩٧، ١١/٢٤٩)، ودرء التعارض (١/١٣٣)، والفرقان (ص٩٥).

﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]، فإذا استدل بهذه الآية على أن الله حال في كل مكان، قلنا له: ولِمَ لمْ تستدل بقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل:٥٠]، لماذا لم تستدل بالآيات الأخرى التي تُفسر هذه الآية، ثم لماذا لم تستدل بأول الآية وبآخرها؟ فصاحب الضلال يأخذ قدر ما يحتاج ويترك الباقي، يأخذ ما يرى أنه له، ويـترك الـذي عليـه، هذه طريقة أهل الضلال، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران:٧]، أما ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]؛ المحكم والمتشابه، فيُفسرون المتشابه بالمحكم، ويجمعون بين الأدلة وبين النصوص، لكن هذا يحتاج إلى فقه وتعلم، لا يكفي فيه التعالم والمطالعة إلى آخره، لابد من التعلم وتلقي العلم عن أهله، حتى يترسخ ويثبت في ذهن طالب العلم. أما الذي يقرأ، يمكن يقرأ للمعتزلة، ويدخل فكره، ويقول: (والله هذا الكلام جيد، وهم يريدون أن ينزهوا الله، والله جَلَّ وَعَلَا نزه نفسه، وهم ينزهون الله)، فيظن أن هذا حق؛ لأنه جاهل لا يدري، لكن إذا كان عنده أصول وقواعد تلقاها عن العلماء الثقات، فإنه يعرف القول الباطل من القول الحق، ويعرف كيف يجمع بين النصوص، وكيف يُفسر بعضها ببعض، يحتاج إلى علم وفقه وتعلم وصبر.

قوله: (هُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ)، هو على العرش سبحانه، وهو معهم أينما كانوا بعلمه وإحاطته سبحانه، معية عامة؛ لأن المعية على قسمين:

* معية عامة لجميع الخلق، ومعناها الإحاطة والعلم.

* ومعية خاصة بالمؤمنين والمحسنين والمتقين، ومعناها التأييد والنصر والتوفيق.

قوله: (وَمَا خَالَفَهُمْ فِي ذَلِكَ)، ما خالف أهل السنة في ذلك، في أن الله فوق عرشه عالٍ فوق مخلوقاته، (مَنْ يُحْتَجُّ بِقَوْلِهِ)، والحمد لله، إنما خالفهم الجهمية والمعتزلة ومن سار في ركابهم، وهؤلاء لا يأخذون من الكتاب والسنة، وإنما يأخذون عن قواعد المنطق وعلم الجدل، ويأخذ بعضهم عن بعض بدون تمحيص وبدون روية.

قوله: (أَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ)، أهل السنة، أي: الذين تمسكوا بالسنة، سموا أهل السنة؛ لأنهم تمسكوا بسنة الرسول ﷺ، ولم يرضوا بشيء بدلها؛ لأنها كلام من لا ينطق عن الهوى، كلام المعصوم ﷺ الذي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣، ٤]، فهم تمسكوا بالسنة، وساروا عليها؛ ولذلك سموا أهل السنة؛ فرقًا بينهم وبين من خالف السنة، وسار على طرق أهل الضلال.

(مُجْمِعُونَ): الإجماع حجة قاطعة، فأصول الأدلة: الكتاب والسنة والإجماع، هذه متفق عليها، والقياس عند الجمهور.

قوله: (عَلَى الإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ)، فهم مجمعون على ذلك، على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة والإيمان بها من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، هذا مذهب أهل السنة والجماعة المسْتَقَى من كتاب الله ومن سنة رسول ﷺ.

قوله: (وَحَمْلِهَا عَلَى الحَقِيقَةِ، لَا عَلَى المَجَازِ): كلام الله حقيقة لا مجاز، والمجاز: هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر لعلاقة مع قرينة -كما يقولون[1]، هذا

---

(١) انظر الأصول للسرخسي (١/ ١٧٠)، والشاشي (ص٤٢)، والإحكام للآمدي (١/ ٥٣).

المجاز عند أهل البلاغة، هذا لا يرد في كلام الله عَزَّوَجَلَّ، كلام الله كله حقيقة، والقرآن كله حقيقة، ولا يدخله المجاز، بل إن شيخ الإسلام يقول[1]: إن لغة العرب -أيضًا- لا يدخلها المجاز، وإنما الذين قالوا بالمجاز هؤلاء ليسوا عربا في الأصل، إنما هم أعاجم، لم يعرفوا العربية، ولا عايشوها، فتجد كل أو تقريبًا أكثر علماء البلاغة تجد أصولهم غير عربية، إذا تتبعت هذا، فمثلًا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، عند أهل السنة حقيقة، استوى يعني: ارتفع وعلا وصعد عليه سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، عند علماء المجاز يقولون: (استولى، هذا مجاز ما هو على ظاهره، بل هو مُؤَوّل ما هو على المعنى الظاهر، بل له معنى آخر).

اليد: أهل السنة يقولون: اليد حقيقية تليق بالله جَلَّوَعَلَا، أهل الباطل يقولون: (اليد يُراد بها القدرة)، أولوها بالقدرة، وهل القدرة تُسمى يدًا؟! ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] يعني: بقدرتي. الله له قدرتان أو قدرة واحدة؟ الله له قدرة واحدة، قالوا: (المراد باليد النعمة) أيضًا، الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ الله ليس له إلا نعمتان فقط؟! فهذا كلام باطل.

قوله: (**إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يُكَيِّفُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ**)، الكيفية مجهولة، ولا أحد يدعي أنه يعرف كيفية أسماء الله وصفاته؛ لأن هذا لا يحيط به إلا الله جَلَّوَعَلَا؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه:١١٠]، فالمعنى معلوم والكيف مجهول.

قوله: (**وَلَا يَحُدُّونَ فِيهِ صِفَةً مَحْصُورَةً**)، بخلاف الممثلة، الممثلة يكيفون، على النقيض من المعطلة يمثلون.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى(٧/ ٨٧)، وبدائع الفوائد (١/ ٢٠)، ورسالة منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز للشنقيطي.



قوله: (**وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدَعِ -الجَهْمِيَّةُ وَالمُعْتَزِلَةُ كُلُّهَا وَالخَوَارِجُ**)، الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان الذي ينفي الأسماء والصفات، والمعتزلة: أتباع واصل بن عطاء الغزال، أتباع معبد الجهني، هو أول من قال بالاعتزال، فهؤلاء يثبتون الأسماء وينفون الصفات، ويقولون: (هي أسماء مجردة ليس لها معانٍ، ولا تدل على صفات).

الأشاعرة أثبتوا الأسماء وبعض الصفات، سبعًا أو أربعَ عشرةَ، يقولون: (إن العقل دل عليها)، وينفون ما عداها، فهذه طوائف المعطلة.

الخوارج: وهم الذين يكفرون المسلمين بالكبائر التي دون الشرك، ويخرجون على ولي الأمر، ويستحلون دماء المسلمين، هؤلاء هم الخوارج. وهؤلاء ليس عندهم علم، عندهم قراءة للقرآن، ويحفظون القرآن حفظًا دقيقًا، ويتهجدون به، ويصلون الليل، ويصومون النهار، ولكن ليس عندهم فقه، وهذه المصيبة؛ أن الإنسان يجتهد، وهو ما عنده فقه، يضيع، لابد من الفقه في دين الله، أن تكون العبادة على فقه وعلى بصيرة، النصارى ضلوا، سماهم الله ضالين؛ لأنهم يعبدون الله بالرهبانية وبالصوامع والديارات، وينقطعون عن الدنيا، ولكنهم في جهنم؛ لأنهم يعبدون الله على جهل، على غير طريق الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، فالخوارج مثلهم عندهم اجتهاد بالعبادة، وعندهم خوف وشدة الخوف من الله، ولكن ليس عندهم فقه، فلذلك وقعوا فيما وقعوا فيه.

قوله: (**فَكُلُّهُمْ يُنْكِرُهَا، وَلا يَحْمِلُ شَيْئًا مِنْهَا عَلَى الحَقِيقَةِ**)؛ لجهلهم.

قوله: (**وَيَزْعُمُ أَنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَا مُشَبِّهٌ**)، يقولون: (من أثبت الأسماء والصفات، فهو مشبه)؛ ولذلك ينفونها من باب التنزيه لله -بزعمهم-، نعم التنزيه واجب، والله منزه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عما لا يليق به، لكن ليس معنى التنزيه أن تُنفى أسماؤه

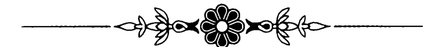
وصفاته، فهم غالوا في التنزيه، والمثبتة غالوا في الإثبات حتى شبهوا الله بخلقه، فكلا الطائفتين منحرف، والوسط هم أهل السنة والجماعة الذين قالوا بإثبات الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ ردًا على الطائفتين.

قوله: (**وَهُمْ**)، أي: الجهمية والمعتزلة والخوارج.

قوله: (**عِنْدَ مَنْ أَقَرَّ بِهَا**)، عند من أقر بالأسماء والصفات، وهم أهل السنة والجماعة؛ أن هؤلاء الجهمية وأتباعهم يعبدون عدمًا؛ لأن الذي ليس له صفات معدوم.

قوله: (**نَافُونَ لِلْمَعْبُودِ**)؛ لأن الذي ليس له أسماء ولا صفات، فهذا منفي ليس بموجود، ما في الوجود شيء ليس له صفات أبدًا؛ قلت أو كثرت.

قوله: (**وَالحَقُّ فِيمَا قَالَهُ الْقَائِلُونَ بِمَا نَطَقَ بِهِ كِتَابُ اللهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ** ﷺ **وَهُمْ أَئِمَّةُ الجَمَاعَةِ**)؛ لأنهم على الحق، (**أَئِمَّةُ**)، يعني: قدوة، (**الجَمَاعَةِ**): جماعة أهل السنة، هؤلاء أئمتهم؛ لأنهم قالوا بما نطق به الكتاب وما نطقت به سنة الرسول ﷺ، بخلاف هؤلاء الذين اتبعوا أهواءهم، وحكموا عقولهم، واقتدوا بمن لا يصلح للقدوة من أئمة الضلال، فهذا مآلهم.





وَفِي عَصْرِهِ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ مَعَ تَوَلِّيهِ لِلْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي الْحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ، وَذَبِّهِ عَنْهُمْ، قَالَ فِي كِتَابِ «الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ»[1] **: (بَابُ مَا جَاءَ فِي إِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ صِفَتَيْنِ -لَا مِنْ حَيْثُ الْجَارِحَةِ- لِوُرُودِ خَبَرِ الصَّادِقِ بِهِ)، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾** [ص:٧٥]، **وَقَالَ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾** [المائدة:٦٤].

الشرح

قوله: (وَفِي عَصْرِهِ الحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ)، ما زال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ينقل عن الأئمة في باب الأسماء والصفات، ومن ذلك ما نقله هنا عن أبي بكر البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي؛ نسبة إلى بيهق قرى في المشرق، كان إمامًا جليلًا في الحديث والفقه، وهو شافعي المذهب، وله مؤلفات مشهورة، منها «شعب الإيمان»، ومنها «السنن الكبرى»، «السنن الصغرى»، ومنها مؤلفات في الفقه، في فقه الإمام الشافعي، ومنها هذا الكتاب الذي ينقل منه الشيخ هنا، وهو كتاب «الأسماء والصفات»، فهو إمام جليل، ولكنه يميل إلى مذهب أبي الحسن الأشعري، وهو من تلاميذ أبي عبد الله الحاكم صاحب «المستدرك»، ولكن عنده تعلق بمذهب الأشعري، ولذلك ترسبت عنده بعض التأويلات بالصفات، ولكن بالجملة فكلامه طيب؛ ولذلك نقل منه الشيخ هذه العبارات مستشهدًا بها على أنه يؤمن بالأسماء والصفات على ما جاءت، وإن كان قد يتسرب إليه بعض التأويلات.

قوله: (مَعَ تَوَلِّيهِ لِلْمُتَكَلِّمِينَ)، المراد بهم: الذين يستدلون بعلم الكلام وعلم المنطق على العلوم العقلية؛ الأدلة العقلية، هؤلاء هم المتكلمون؛ لأنهم يستعملون

---

(١) كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي مطبوع ومتداول.

علم الكلام -وهو علم الجدل- في أسماء الله وصفاته، فسموا بالمتكلمين؛ ذمًا لهم.

قوله: (مِنْ أَصْحَابِ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ)، هو علي بن سعيد أبو الحسن الأشعري؛ نسبة إلى أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه من ذريته، والأشعر قبيلة من قبائل اليمن، منهم أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبد الله بن ميمون بن قيس الأشعري الصحابي الجليل، فسمي بالأشعري؛ نسبة إلى هذا الصحابي.

وهذا الإمام الذي هو أبو الحسن الأشعري كان في الأول على عقيدة المعتزلة؛ لأنه تربى عند أبي علي الجبائي إمام المعتزلة؛ لأنه زوج أمه، فهو ربيب للجبائي، فتلقى عنه علم الاعتزال، ونشأ عليه، ومكث عليه دهرًا، ثم إنه مقته وأبغضه، وفي يوم الجمعة بعد الصلاة وقف أمام الناس، وتبرأ من مذهب المعتزلة، وقال: (أخلعه كما أخلع ثوبي هذا)، فخلع الثوب الذي فوق ثيابه، وتبرأ من مذهب المعتزلة، وصار يرد عليهم، ولكنه انتقل إلى مذهب الكلابية، إلى أبي سعيد بن كُلاب، وهو من المتكلمين، وعنده تأويلات للصفات، ثم إنه في النهاية مال إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وقال به في كثير من المسائل؛ كما هو موجود في كتبه الأخيرة مثل: «مقالات الإسلاميين في اختلاف المصلين»، وكتاب «الإبانة عن أصول الديانة»، وكتاب «الموجز أو الوجيز»، فقرب من مذهب أهل السنة والجماعة، وصار يُثني على الإمام أحمد وعلى مذهبه، ويقول: «أنا أقول بقوله»، فهذه نهاية طيبة وخاتمة طيبة له، وإن كان بقيت عنده بعض الأشياء، ولكنها خفيفة، وتخلى عن مذهب ابن كُلاب، والأشاعرة الآن لم يرجعوا كما رجع أبو الحسن، وإنما بقوا على مذهب الكلابية، الأشاعرة الموجودون الآن ينتسبون إلى أبي الحسن نسبة غير صحيحة؛ لأنهم لم يأخذوا بقوله الأخير، وإنما أخذوا بقوله المتوسط الذي كان بعد رجوعه

من مذهب الاعتزال، وبقوا عليه، فانتسابهم إليه من باب الكذب، فليسوا أشاعرة، وأبو الحسن بريء منهم، وإنما الحقيقة أنهم كلابية، هذه هي الحقيقة.

قوله: (**وَذَبِّهِ عَنْهُمْ**)، هذا مما يؤخذ على البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ، مما يؤخذ عليه أنه يُذب عن المتكلمين، يعني: يدافع عنهم، ويُذب عن الأشاعرة.

قوله: (**قَالَ فِي كِتَابِ «الأَسْمَاء وَالصِّفَاتِ»**): كتاب الأسماء والصفات موجود ومطبوع ومتداول.

قوله: (**بَابُ مَا جَاءَ فِي إِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ**): لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (**صِفَتَيْنِ**) ذاتيتين له جَلَّ وَعَلَا، فنثبت أن لله يدين حقيقتين، لا تشبه يدي المخلوقين، ولا نؤولهما بأن المراد بهما القدرة أو النعمة -كما تقوله الأشاعرة ومن نحا نحوهم-، بل هما يدان حقيقيتان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن صفاته الذاتية.

وأما قوله: (**الجَارِحَة**)، فلفظ الجارحة لم يرد نفيه ولا إثباته، مثل لفظ الجسم لم يرد نفيه ولا إثباته، فنحن لا نتلفظ به، ولكن إن كان يقصد بالجارحة اليد الحقيقية، فهذا حق، الله له يد حقيقة، أما إن كان يقصد بالجارحة يعني: مثل يد المخلوق، فهذا صحيح نفيه عن الله متعين، فله يدان ليستا كيدي المخلوق، هذا من حيث المعنى، أما من حيث اللفظ، فلا شك أنه لم يرد، والذي لم يرد في كتاب ولا سنة يُترك.

قوله: (**لَا مِنْ حَيْثُ الجَارِحَة**)، هذا اللفظ فيه إجمال، وكان الأولى أن يُترك، ولا يقال بالنفي أو الإثبات؛ لأنه لم يرد نفيه ولا إثباته.

قوله: (**لِوُرُودِ خَبَرِ الصَّادِقِ بِهِ**)، لورود الخبر الصادق من القرآن ومن السنة؛ من القرآن يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، يعني: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ،

فخلق آدم بيده، وهذا مما يتشرف به آدم على غيره أن الله خلقه بيديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وفضله على الملائكة بالعلم، وأما في السنة، فالأحاديث كثيرة في إثبات اليدين لله؛ إثبات اليمين، إثبات الشمال لله، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، وكما جاء في الحديث: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»(١)، فهذا ثبت في القرآن وفي السنة أن لله يدين حقيقيتين -لا معنويتين- على ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كسائر صفاته الذاتية.

(**قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾**)، في سورة (ص)؛ لأن الله قال: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [ص:٧١-٧٤]؛ لأن الواجب على العبد أن يمتثل أمر الله جَلَّ وَعَلَا، أمرك أن تسجد لآدم، فأنت لا تعبد آدم، وإنما تعبد الله؛ لأنك تطيع الله جَلَّ وَعَلَا، وتمتثل لأمره، وفيه إكرام لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتمييز له، ولذلك الملائكة لم يمانعوا، بل سجدوا طاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن المسلم يدور مع أوامر الله، ولا يعترض عليها، أما إبليس، فإنه أبى أن يسجد، واعترض على الله جَلَّ وَعَلَا؛ ولذلك طرده الله وأبعده ولعنه، وكفر بامتناعه من امتثال أمر الله، كفر بذلك ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، فالذي منعه من السجود لآدم هو الكبر، فهذا فيه دليل على قبح الكبر، وأنه قد يؤول بصاحبه إلى الكفر والخروج

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٣) معلقًا، ومسلم (٢٧٨٨) موصولًا مرفوعًا من طريق عمر بن حمزة، عن سالم، عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وأخرجه البخاري (٧٤١٢) مرفوعًا مختصرًا من طريق عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

من الملة، وأيضًا الحسد، قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [ص:٧٦]، حسد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ على ما أتاه الله، فحمله الحسد على أن كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، وهذا فيه ذم الحسد، وأنه قد يؤدي بصاحبه إلى الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، والذي منع اليهود والنصارى من اتباع الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاتان الآفتان الكبر والحسد، حسدوا نبينا محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحسدوا هذه الأمة، وتكبروا، فكفروا بذلك.

(**وَقَالَ الله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾** [المائدة:٦٤])، ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، يعنون بذلك أن الله بخيل، وصفوه بالبخل، ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾، بل هم الموصوفون بالبخل؛ ولذلك ما أبخل من اليهودي أبدًا، هو أبخل الناس، وهذا على امتداد الزمان، فاليهود أبخل الناس ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾؛ طردوا من رحمة الله، طردهم الله من رحمته، وأبعدهم بسبب أنهم سبوا الله عَزَّوَجَلَّ، وقالوا: إن الله بخيل؛ ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾، يعني: أن الله بخيل، ثم قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾، اليدان الحقيقيتان مبسوطتان بالإنفاق، ليس بخيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كيف يكون بخيلا وينفق على الخلق، ويرزقهم من خلقهم إلى أن تقوم الساعة؟! أهذا بخيل؟! ﴿يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾، ولذلك كل الخلق من الآدميين والبهائم والحشرات والدواب منذ أن بدء الخليقة إلى أن تقوم الساعة كلهم يأكلون من رزق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهل هذا بخيل؟ تعالى الله عما يقولون! ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾؛ مبسوطتان بالإنفاق ينفق كيف يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَمِينُ اللهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ**»[1]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومع كثرة إنفاقه فهو الغني، لا ينقص ذلك من غناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سبق تخريجه (ص٤٧٣).

وَذَكَرَ الأَحَادِيثَ الصِّحَاحَ فِي هَذَا الْبَابِ، مِثْلَ قَوْلِهِ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ»(١)، وَمِثْلَ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ الأَلْوَاحَ بِيَدِهِ»، وَفِي لَفْظٍ: «وَكَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ»(٢)، وَمِثْلَ مَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «وَغَرَسَ كَرَامَةَ أَوْلِيَائِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ بِيَدِهِ»(٣)، وَمِثْلَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَتَكَفَّأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الْجَنَّةِ»(٤).

الشَّرح

قوله: (وَذَكَرَ الأَحَادِيثَ الصِّحَاحَ فِي هَذَا الْبَابِ)، يعني: في باب إثبات اليدين لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الباب باب إثبات اليدين صفتين لله جَلَّوَعَلَا، ذكر الآيات، ثم ذكر الأحاديث الصحاح التي بلغت درجة الصحة، والحديث الصحيح: هو ما رواه عدل تام الضبط من بداية السند إلى نهايته مع السلامة من الشذوذ والعلل(٥)، هذا هو الحديث الصحيح، ويُحتج به في التوحيد وفي العقيدة، ولو كان خبر آحاد، ما دام أنه صحيح، فإنه يُحتج به، ما صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو حق يُحتج به في العقائد، بخلاف علماء الكلام الذين يقولون: (إن خبر الآحاد لا يُحتج به في باب الأسماء والصفات وفي باب التوحيد)؛ لأنه عندهم يفيد الظن، أما عند أهل

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٦)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) سبق تخريجه (ص٥٩٠).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٩) من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٥) انظر: (ص١١٨).



السنة، فهو يفيد العلم، ما دام أنه صح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو يفيد العلم لا الظن، أما الأحاديث الضعيفة، فلا يُحتج بها في باب الأسماء والصفات، وإنما يُحتج بالصحاح.

قوله: (**مِثْلَ قَوْلِهِ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ، فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ»**)، حديث الشفاعة حينما يتقدم أهل الموقف إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبي البشر، يطلبون منه أن يشفع لهم عند الله جَلَّ وَعَلَا وأن يريحهم من الموقف، ويصفونه بهذه الصفات: «**أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ**»[1]، والشاهد في قوله: «خَلَقَكَ بِيَدِهِ»، هذا كلام الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسند صحيح، وهو مثل الآية: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

قوله: (**وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ**)، يعني: من روح الله المخلوقة؛ لأن الروح مخلوقة -كما سبق-، وهي تبقى، مخلوقة وليست قديمة -كما يقوله الفلاسفة-، بل هي مخلوقة محدثة بعد أن لم تكن، ولكنها لا تموت، بل تبقى، الذي يموت هو الجسم، أما الروح، فإنها تبقى بعدما تفارق الجسم.

قوله: (**وَمِثْلَ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «أَنْتَ مُوسَى اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ الْأَلْوَاحَ بِيَدِهِ»، وَفِي لَفْظٍ: «وَكَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ»**)، وهذا في احتجاج آدم على موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لما قال له موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أَنْتَ آدَمَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنْ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، فَهَلْ وَجَدْتَ ذَلِكَ مَكْتُوبًا عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟**

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٩٠).

قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَحَجَّ آدَمَ مُوسَى»[١]، هذا محل الشاهد؛ أن الله كتب التوراة بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذه ثلاثة أمور:

١- خلق آدم بيده.

٢- كتب التوراة والألواح بيده.

٣- وغرس جنة عدن بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثلاثة أشياء الله جَلَّ وَعَلَا أوجدها بيده، ففي إثبات اليد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَخَطَّ لَكَ الأَلْوَاحَ بِيَدِهِ)، ألواح التوراة التي ذكر الله جَلَّ وَعَلَا أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذهب لموعد الله ليتلقى منه الألواح -ألواح التوراة-، فلما ذهب، حصل لبني إسرائيل فتنة، وعبدوا العجل، ثم لما جاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، غضب وألقى الألواح من شدة الغضب لله عَزَّ وَجَلَّ، فتكسر شيء منها من شدة الغضب، فلما سكت عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الغضب، أخذ الألواح -ألواح التوراة.

قوله: (وَفِي لَفْظٍ: «وَكَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ»)، فهذا يدل على فضل التوراة، وأنها من الكتب الفاضلة التي خصها الله بهذه الميزة، أن الله كتبها بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَمِثْلَ مَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «وَغَرَسَ كَرَامَةَ أَوْلِيَائِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ بِيَدِهِ»)، يعني هذه الأحاديث الثلاثة فيها أن الله كتب التوراة بيده، وخلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فجنة عدن تتميز على سائر الجنان بأن الله غرس أشجارها بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنحن نثبت هذا لله عَزَّ وَجَلَّ، ولا نتدخل بأفهامنا أو

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٩٠).

بعقولنا، هل نحن أعلم من الرسل -عليهم الصلاة والسلام؟! هم أثبتوا هذا لله عَزَّوَجَلَّ، وهم أعلم الناس به، والله أثبته لنفسه؛ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وهو أعلم بنفسه وبغيره، فكيف نتدخل نحن بالاستشكال والتأويل؟! فالواجب أن نؤمن بذلك، ونثبته من غير تدخل.

قوله: (**وَمِثْلَ قَوْلِهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تَكُونُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ، كَمَا يَتَكَفَّأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الْجَنَّةِ**»)، عند قيام الساعة تتحول الأرض إلى خبزة، الله قادر على كل شيء، الأرض تتحول إلى خبزة يتكفؤها، يعني: يميلها الجبار جَلَّ وَعَلَا بيده؛ (**كَمَا يَتَكَفَّأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لأَهْلِ الْجَنَّةِ**)، الخبزة هذه تكون نزلًا، يعني: ضيافة لأهل الجنة، يأكلون منها، الشاهد: (**يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ**)، فهذا فيه إثبات اليد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



وَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِثْلَ قَوْلِهِ: «بِيَدِي الأَمْرُ»[١]، «وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ»[٢]، «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ»[٣] وَ «إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ»[٤]، وَقَوْلِهِ: «الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»[٥]، وَقَوْلِهِ: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»[٦]، وَقَوْلُهُ: «يَمِينُ اللهِ مَلأَى لَا يُغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْقَبْضُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»[٧]، وَكُلُّ هَذِهِ الأَحَادِيثِ فِي الصَّحِيحِ.

الشَّرح

قوله: (وَذَكَرَ أَحَادِيثَ..)، (وَذَكَرَ)، أي: البيهقي.

قوله: (مِثْلَ قَوْلِهِ: «بِيَدِي الأَمْرُ»)، في حديث: «**قَالَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: **يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**»[٨]، فالشاهد في قوله: «**بِيَدِي الأَمْرُ**»، فيه إثبات اليد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم بنحوه (٢٢٤٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠١) (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) هذا القسم ورد في أحاديث عدة، منها: ما أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (١١٥١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**».

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه مسلم (١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٧) أخرجه البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٨) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢) (٢٢٤٦).



قوله: («وَالخَيْرُ بِيَدَيْكَ»)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ**» هذا قاله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث الاستفتاح من قيام الليل أنه كان يستفتح، ويقول: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدَيْكَ**»، الشاهد في قوله: «**وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ**»، فأثبت لله اليدين.

قوله: («**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ**»)، وكذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا حلف يقول: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ**»، فيه إثبات اليد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (وَ«**إِنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ**»)، وهذا فيه إثبات اليد لله، وأن الله يبسطها في الليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل.

فالشاهد: أن الله يبسط يده؛ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، ففيه إثبات اليد لله، وأنها مبسوطة لقبول التوبة من عباده.

قوله: (وَقَوْلِهِ: «**الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**») (**الْمُقْسِطُونَ**)، يعني: العادلون، فالقسط: هو العدل، فالمقسطون الذين يعدلون في أهلهم وما ولوا، ويكونون يوم القيامة «**عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ**»، ففيه إثبات اليمين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(**وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ**)؛ كما سبق أنه وإن كان له شمال، فهي شمال بمعنى اليمين، وليست مثل شمال المخلوق التي تستعمل لإزالة الأذى، وإنما شماله جَلَّ وَعَلَا يمين كريمة، ليست كشمال المخلوق، فسلب عنها ما لشمال المخلوق من النقص.

قوله: (وَقَوْلِهِ: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ**

يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»)، هذا في القرآن: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾؛ أنه يتكفؤها بيمينه ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧]، جاء في الحديث: «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى»، ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾، فالأرض بيد والسماوات بيد على سعتها وعظمتها، ولكن الله جَلَّوَعَلَا أعظم وأكبر من كل شيء.

(ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟)، أين الجبارون الذين كانوا في الدنيا يتجبرون على الناس، ويتكبرون على الناس ويظلمون؟ أين ذهبوا؟ لماذا لا يظهرون؟ فهم خاضعون لله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: (وَقَوْلُهُ: «يَمِينُ اللهِ مَلأَى لَا يُغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْقَبْضُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»، وَكُلُّ هَذِهِ الأَحَادِيثِ فِي الصَّحِيحِ)، فيه إثبات اليدين لله عَزَّوَجَلَّ، وأن يمينه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ملأى لا تغيضه نفقة سحاء الليل والنهار، (أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ)، لم ينقص ما في يمينه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ لأنه الغني، الإنسان إذا أنفق، ينفد ما عنده؛ ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ ﴾ [النحل:٩٦]، ولكن الله جَلَّوَعَلَا ينفق، ولا يغيض ذلك مما عنده، ولا ينقص من غناه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

(وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ): هذا فيه إثبات العرش، والماء المراد به البحر الذي فوق السماوات، وفوقه الكرسي، وفوق الكرسي العرش، وفوق العرش رب العالمين؛ كما جاء في الحديث[1].

(١) سبق تخريجه (ص٤٥٣).

(**وَبِيَدِهِ الأُخْرَى**)، دل على أن لله يدين؛ يد يُنفق بها، ويد يخفض بها ويرفع.

(**وَكُلُّ هَذِهِ الأَحَادِيثِ فِي الصَّحِيحِ**)، كل هذه الأحاديث التي ذكرها البيهقي في الصحيح، يعني: في صحيح البخاري أو في صحيح مسلم، كلها في أحد الصحيحين أو في كلاهما، فهي أصح حديث في السنة، ما كان في الصحيحين أو في أحدهما، فإنه أصح حديث في السنة.



وَذَكَرَ -أَيْضًا- قَوْلَهُ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَالَ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ»[(١)]، وَحَدِيثُ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ»[(٢)]، إِلَى أَحَادِيثَ أُخَرَ ذَكَرَهَا مِنْ هَذَا النَّوْعِ.

الشَّرح

قوله: (**وَذَكَرَ -أَيْضًا- قَوْلَهُ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَالَ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ. قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ»**)، خلق الله آدم، وقبض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يديه، وقال لآدم: اختر. فقال: «**اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ**» سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

* ففيه: إثبات اليدين لله عَزَّ وَجَلَّ.

* وفيه: إثبات القبض، وأن الله يقبضهما.

* وفيه: إثبات اليمين لله عَزَّ وَجَلَّ، وأن الشمال في حق الله يمين مكرمة.

قوله: (**وَحَدِيثَ: «إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ» إِلَى أَحَادِيثَ أُخَرَ ذَكَرَهَا مِنْ هَذَا النَّوْعِ**) (**مَسَحَ ظَهْرَهُ** بيده): فهذا فيه دليل على إثبات اليد لله، وأنه يمسح بها ما شاء، ولكن الحديث هذا فيه نظر من حيث الثبوت.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٨)، وأبو يعلى في مسنده (١١/ ٤٥٣)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٠)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩١)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٣٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٥٦) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم... وله شاهد صحيح» اهـ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٤٧)، وأحمد في المسند (١/ ٣٩٩)، ومالك في الموطأ (١٥٩٣)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٣٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الحاكم: (حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه). وتعقبه الذهبي بأن فيه إرسالًا، وضعفه الألباني في ظلال الجنة (١/ ٨٩).

ثُمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: أَمَّا الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُفَسِّرُوا مَا كَتَبْنَا مِن الآيَاتِ والأَخْبَارِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَكَذَلِكَ قَالَ فِي الاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَسَائِرِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ، مَعَ أَنَّهُ يَحْكِي قَوْلَ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ.

الشَّرح

موقف الأئمة من هذه الأحاديث، ماذا قال البيهقي؟ يقول: موقفهم أنهم يؤمنون بها، ويثبتونها كما جاءت، بخلاف ما عليه كثير من المتأخرين الذين خاضوا فيها بغير علم، تخرصوا فيها، المتقدمون كلهم مجمعون على إثباتها والإيمان بها من غير تدخل في معانيها، أو أنها لا تليق بالله -كما يقولون- فيؤولونها، يحرفونها أو يفوضونها، وينفون معانيها، ويقولون: (الله أعلم)، كل هذا باطل، بل لها معانٍ معروفة وصحيحة، وهي لائقة بالله عَزَّوَجَلَّ، هذا مذهب سلف هذه الأمة ومذهب من سار على نهجهم ممن جاء بعدهم من الأئمة.

قوله: (لَمْ يُفَسِّرُوا)، ليس معناه أنهم لم يُبينوا معانيها، (لم يفسروا) يعني: لم يؤولوها، المراد بالتفسير هنا التأويل، وكما جاء في كلام الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أمروها كما جاءت من غير تفسير)[1]، يعني: من غير تفسير المؤولة، الذين أولوها عن ظاهرها، وحرفوها، أما تفسيرها بالمعنى الصحيح، فهذا حق.

قوله: (وَكَذَلِكَ قَالَ) البيهقي (فِي الاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ) أنه أثبته لله كما جاء من غير تأويل، (وَسَائِرِ الصِّفَاتِ الخَبَرِيَّةِ) التي جاء بها الخبر من الكتاب والسنة؛ لأن عندهم الصفات تنقسم إلى خبرية وعقلية، هكذا عند المتأخرين، أما المتقدمون، فهي خبرية عقلية؛ لأن الخبر الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح؛

---

(١) انظر: (ص ٣٣٩).

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن النقل الصحيح لا يخالف العقل الصريح، فإن اختلفا، فلابد إما أن يكون النقل غير صحيح، وإما أن يكون العقل غير صريح)[1]؛ ولهذا له كتاب مشهور يُسمى «درء تعارض العقل والنقل»، أبدًا لا يتعارض العقل الصريح الذي ليس فيه آفة ولا لوثة لا يتعارض مع النقل الصحيح.

(**مَعَ أَنَّهُ**) مع أن البيهقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يؤخذ عليه أنه (**يَحْكِي قَوْلَ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ**) في التأويل، يؤخذ عليه هذا، ما اقتصر على مذهب السلف، وهو الحق.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٦٥).

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى[(١)] فِي كِتَابِ «إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ»[(٢)]: لا يَجُوزُ رَدُّ هَذِهِ الأَخْبَارِ وَلا التَّشَاغُلُ بِتَأْوِيلِهَا، وَالْوَاجِبُ حَمْلُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَأَنَّهَا صِفَاتُ اللهِ، لا تُشَبَّهُ بِسَائِرِ الْمَوْصُوفِينَ بِهَا مِنَ الْخَلْقِ، وَلا نَعْتَقِدُ التَّشْبِيهَ فِيهَا، لَكِنْ عَلَى مَا رُوِيَ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَسَائِرِ الأَئِمَّةِ.

وَذَكَرَ بَعْضَ كَلَامِ الزُّهْرِيِّ، وَمَكْحُولٍ، وَمَالِكٍ، وَالثَّوْرِيِّ، وَالأَوْزَاعِيِّ، وَاللَّيْثِ، وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَوَكِيعٍ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَأَسْوَدَ بْنِ سَالِمٍ[(٣)]، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، وَأَبِي عُبَيْدٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ، وَغَيْرِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ. وَفِي حِكَايَةِ أَلْفَاظِهِمْ طُولٌ.

---

(١) هو الإمام العلامة شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف البغدادي الحنبلي، ابن الفراء، ولد سنة ثمانين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، قال شيخ الإسلام عنه في درء التعارض (٧/ ٣٤، ٣٥): «ونوع ثالث سمعوا الأحاديث والآثار، وعظموا مذهب السلف، وشاركوا المتكلمين الجهمية في بعض أصولهم الباقية... وقد ظنوا صحة بعض الأصول العقلية للنفاة الجهمية، ورأوا ما بينهما من التعارض، وهذا حال أبي بكر بن فورك والقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأمثالهم؛ ولهذا كان هؤلاء تارة يختارون طريقة أهل التأويل؛ كما فعله ابن فورك وأمثاله في الكلام على مشكل الآثار، وتارة يفوضون معانيها ويقولون: تجري على ظواهرها؛ كما فعله القاضي أبو يعلى وأمثاله في ذلك، وتارة يختلف اجتهادهم فيرجحون هذا تارة؛ كحال ابن عقيل وأمثاله، وهؤلاء قد يُدْخلون في الأحاديث المشكلة ما هو كذب موضوع ولا يعرفون أنه موضوع، وما له لفظ يدفع الإشكال» اهـ. وقال الذهبي: «جمع كتاب إبطال تأويل الصفات، فقاموا عليه لما فيه من الواهي والموضوع... وجرت أمور وفتن نسأل الله العافية» اهـ. انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٥٦)، وتاريخ دمشق (٥٢/ ٣٥٤)، وسير الأعلام (١٨/ ٨٩)، والعبر (٣/ ٢٤٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٠٦).

(٢) كتاب «إبطال التأويل لأخبار الصفات» لأبي يعلى، مطبوع جزء منه، وانظر: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (٣/ ٥٠٣) الملحق.

(٣) هو أسود بن سالم أبو محمد العابد، كان صالحًا ورعًا، مات سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة ومائتين، قال ابن جرير الطبري: «كان ثقةً ورعًا فاضلًا» اهـ. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٣٥)، والمنتظم لابن الجوزي (١٠/ ٢٥٢)، والوافي بالوفيات (٩/ ١٤٩).

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو يَعْلَى فِي كِتَابِ «إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ»)، أبو يعلى إمام جليل في الفقه، وهو من كبار علماء مذهب الإمام أحمد، وهو الذي في وقته نصر المذهب وأظهره، نصر المذهب ونشره وأظهره، وله مؤلفات في المذهب والأصول، وله كتاب في العقيدة هذا النقل عنه.

(إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ)، إبطال تأويل الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، تأويل الأسماء والصفات؛ ردًا على ابن فورك، وابن فورك ألف كتابًا أول فيه الأسماء والصفات على مذهبهم، فرد عليه أبو يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا الكتاب «إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ».

قوله: (لَا يَجُوزُ رَدُّ هَذِهِ الأَخْبَارِ وَلا التَّشَاغُلُ بِتَأْوِيلِهَا)، لا يجوز ردها وإنكارها؛ لأنها أخبار صحيحة، ولا يجوز إثباتها مع تأويلها، بل تثبت بدون تأويل، بل هي على ظاهرها اللائق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا هو الواجب.

قوله: (وَالْوَاجِبُ حَمْلُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا)، الواجب حملها على معانيها الظاهرة؛ لأن هذه النصوص ما جاءت للألغاز والأحاجي، أو جاءت للتضليل؛ إنما جاءت للهداية، وهي واضحة المعنى، ما تحتاج إلى تعسف وتكلف والتماس للتأويل لها، هذا كله من مذهب أهل الباطل، أما أهل السنة والجماعة، فإنهم يقبلونها على ما تدل عليه، ولم يحصل منهم أي إشكال فيها.

قوله: (وَأَنَّهَا صِفَاتُ اللهِ، لَا تُشَبَّهُ بِسَائِرِ الْمَوْصُوفِينَ بِهَا مِنَ الْخَلْقِ)، هذه الصفات التي وردت في حق الله، وإن كان يتصف بها الخلق، فهناك فرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فاليد مثلًا: الله له يد، والمخلوق له يد، الله له وجه، والمخلوق له وجه، الله له أصابع، والمخلوق له أصابع، لكن ليس هذا كهذا،

صفات الله تليق به وبجلاله وعظمته، وصفات المخلوقين تليق بهم، ألم تسمعوا أن الله يطوي السماوات بيمينه؟ كم يقبض المخلوق بيده؟ ما يقبض ولا ربع كيلو؛ لأنه ضعيف، ويده ضعيفة، أما الله جَلَّوَعَلَا، فإنه يطوي السماوات السبع بيمينه، والأرضين بشماله، دليل على عظمة الله، وأن اليد ليست كاليد، ولكن هؤلاء أعمى الله بصائرهم، ولم يتصوروا في حق الخالق إلا ما يفهمونه من حق المخلوق، فهم قاسوا الخالق على المخلوق في هذه الأسماء والصفات، وقالوا: (ننزه الله عنها)، فهم جاءوا من باب التنزيه، شبهوا أولًا، ثم نزهوا وعطلوا ثانيًا، فجمعوا بين جريمتين: جريمة التشبيه، وجريمة التعطيل، ولو أنهم أخذوا مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم، فآمنوا بهذه الأسماء والصفات، ولم يتعرضوا لمعانيها، مع العلم بالفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوقين، وهي وإن كانت أسماؤها موجودة في المخلوقين، فإن صفات الخالق تختلف عن صفات المخلوق.

قوله: (**وَلا نَعْتَقِدُ التَّشْبِيهَ فِيهَا**)، وإن اشتركت صفات الخالق وصفات المخلوق في المعنى العام، ولكنها لا تشترك في الحقيقة والكيفية، بل تختلف اختلافًا كبيرًا كاختلاف الخالق عن المخلوق.

قوله: (**لَكِنْ عَلَى مَا رُوِيَ عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ وَسَائِرِ الأَئِمَّةِ**)، كلام الإمام أبي يعلى، يقول: لا يشكل علينا إثبات هذه الصفات لله جَلَّوَعَلَا، وإن كانت توجد في المخلوقين، والمعنى مشترك بينها، ولكن الحقيقة والكيفية مختلفة، فهي لا تُشبه صفات المخلوقين، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فمن سلك هذا المنهج، سلم في عقيدته ودينه، ومن وقع

في التشبيه، أو وقع في التعطيل، هلك؛ لأنه حاد عن الصراط المستقيم، ودخل فيما لا يعنيه، ولا يفهمه، ولا يمكن أنه يصل إلى حقيقة، أو إلى نتيجة أبدًا.

قوله: (وَذَكَرَ بَعْضَ كَلَامِ الزُّهْرِيِّ)، الإمام الزهري إمام جليل، الإمام محمد ابن شهاب الزهري القرشي، إمام جليل في المائة الثانية، مشهور وله كلام في العلم يعتمد عليه وفي الحديث.

قوله: (وَمَكْحُولٍ)؛ إمام جليل -أيضًا.

قوله: (وَمَالِكٍ)؛ مالك بن أنس.

قوله: (وَالثَّوْرِيِّ)؛ سفيان الثوري.

قوله: (وَالْأَوْزَاعِيِّ)؛ الأوزاعي إمام أهل الشام.

قوله: (وَاللَّيْثِ)؛ الليث بن سعد إمام أهل مصر.

قوله: (وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ)؛ الحمادان: حماد بن زيد، وحماد ابن سلمة، هؤلاء من أئمة أهل السنة، وكلامهم هو كلام السلف الصالح، ما دخلوا في هذه المهاترات وهذه التأويلات وهذه المهالك وهذا التيه الذي دخل فيه المتأخرون.

قوله: (وَابْنِ عُيَيْنَةَ)؛ سفيان ابن عيينة، السفيانان، إذا قيل: من هما السفيانان؟ تقول: سفيان الثوري وسفيان بن عيينة، ومن هما الحمادان؟ حماد بن زيد، وحماد ابن سلمة.

قوله: (وَالْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ، وَوَكِيعٍ)؛ وكيع بن الجراح.

قوله: (وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ)؛ إمام جليل من أئمة أهل السنة.

قوله: (وَأَسْوَدَ بْنِ سَالِمٍ)؛ كذلك من أئمة أهل السنة.

قوله: (وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ)؛ إمام أهل المشرق، وهو معاصر للإمام أحمد ابن حنبل رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وتجري بينهما مراسلات.

قوله: (وَأَبِي عُبَيْدٍ)؛ أبو عبيد القاسم بن سلام، صاحب كتاب «الأموال».

قوله: (وَمُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ)؛ المفسر المعروف -كما سبق.

قوله: (وَغَيْرِهِمْ فِي هَذَا الْبَابِ)، كلهم مجمعون على أن الله يوصف بهذه الصفات حقيقة، ولا تؤول ولا تفوض -كما يقولون-، وإنما يؤمن بها على حقيقتها ومدلولها.

قوله: (وَفِي حِكَايَةِ أَلْفَاظِهِمْ طُولٌ)، في حكاية ألفاظ هؤلاء الأئمة طول، يعني: لو أن أبا يعلى حكى جميع أقوالهم، لطال الكلام، ولكنه يسردهم سردًا.



إِلَى أَنْ قَالَ: (وَيَدُلُّ عَلَى إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ: أَنَّ الصَّحَابَةَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ حَمَلُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيلِهَا، وَلا صَرْفِهَا عَنْ ظَاهِرِهَا، فَلَوْ كَانَ التَّأْوِيلُ سَائِغًا، لَكَانُوا إِلَيْهِ أَسْبَقَ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ إِزَالَةِ التَّشْبِيهِ وَرَفْعِ الشُّبْهَةِ)(١).

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَشْعَرِيُّ الْمُتَكَلِّمُ، صَاحِبُ الطَّرِيقَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ فِي الْكَلامِ، فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي «اخْتِلافِ الْمُصَلِّينَ، وَمَقَالاتِ الإِسْلامِيِّينَ»(٢)، ذَكَرَ فِرَقَ الرَّوَافِضِ، وَالْخَوَارِجِ، وَالْمُرْجِئَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَغَيْرَهُمْ.

ثُمَّ قَالَ: (مَقَالَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الْحَدِيثِ جُمْلَةً: قَوْلُ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ: الإِقْرَارُ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ، وَمَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لا يَرُدُّونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ، فَرْدٌ صَمَدٌ، لا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ بِلا كَيْفٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ بِلا كَيْفٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وَأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَى لا يُقَالُ: إِنَّهَا غَيْرُ اللهِ؛ كَمَا قَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ وَالْخَوَارِجُ. وَأَقَرُّوا أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:١٦٦]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:١١]، وَأَثْبَتُوا السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَلَمْ يَنْفُوا ذَلِكَ عَنِ اللهِ كَمَا نَفَتْهُ

---

(١) انظر: إبطال التأويل لأخبار الصفات لأبي يعلى (١/ ٤٣-٧١).

(٢) كتاب «مقالات الإسلاميين» للأشعري، مطبوع ومتداول.

الْمُعْتَزِلَةُ، وَأَثْبَتُوا لِلهِ الْقُوَّةَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥].

وَذَكَرَ مَذْهَبَهُمْ فِي الْقَدَرِ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَيَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَالْكَلامُ فِي اللَّفْظِ وَالْوَقْفِ: مَنْ قَالَ بِاللَّفْظِ وَبِالْوَقْفِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عِنْدَهُمْ، لا يُقَالُ اللَّفْظُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَلا يُقَالُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَيُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ يُرَى بِالأَبْصَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا يُرَى الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَلا يَرَاهُ الْكَافِرُونَ؛ لأَنَّهُمْ عَنِ اللهِ مَحْجُوبُونَ، قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. وَذَكَرَ قَوْلَهُمْ فِي الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ وَالْحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ وَأَشْيَاءَ.

الشَّرح

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَيَدُلُّ عَلَى إِبْطَالِ التَّأْوِيلِ)، يدل على إبطال التأويل الذي قال به ابن فورك.

قوله: (أَنَّ الصَّحَابَةَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ حَمَلُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيلِهَا)، أنها مرت على الصحابة والتابعين، ولم يتعرضوا لتأويلها أو صرفها عن ظاهرها، فدل على أنهم آمنوا بها على ظاهرها، ما أشكلت عليهم، وهم القدوة، وهم صدر الأمة.

قوله: (وَلَا صَرْفِهَا عَنْ ظَاهِرِهَا، فَلَوْ كَانَ التَّأْوِيلُ سَائِغًا، لَكَانُوا إِلَيْهِ أَسْبَقَ)، لو كان التأويل -تأويل هذه الأسماء والصفات- سائغًا وجائزًا، وأنها لا تليق بالله -كما يقول المتأخرون-، لكانوا أسبق إليه لتنزيه الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنهم أعلم من

المتأخرين، فكونهم تركوا تأويلها دليل على أنها على ظاهرها، وأنها لا تحتاج إلى تأويل، وليس فيها إشكال.

قوله: (**لِمَا فِيهِ مِنْ إِزَالَةِ التَّشْبِيهِ وَرَفْعِ الشُّبْهَةِ**) التي يزعمها المتأخرون، وبذلك انتهى النقل عن أبي يعلى رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قوله: (**وَقَالَ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الأَشْعَرِيُّ المُتَكَلِّمُ**)، ما زال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق النقول عن الأئمة في باب الأسماء والصفات، ومن ذلك ما نقله عن الإمام أبي الحسن الأشعري، تقدم شيء من ترجمته، وأنه كان له أطوار في مذهبه، كان معتزليًا، ثم رجع عن الاعتزال، صار على مذهب الكلابية، ثم ترك مذهب الكلابية، وأخذ بمذهب أهل السنة والجماعة في كثير من هذا الباب، خصوصًا الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد أثنى عليه، وأخبر أنه على مذهبه، وبذلك استقر رأيه، وذكر هذا في آخر مؤلفاته كتاب «مقالات الإسلاميين في اختلاف المصلين»، وهو عبارة عن كتاب في ذكر الفِرق المختلفة ومذاهبها، وكتاب «الإبانة عن أصول الديانة»، وهو كتاب مختصر، وهو آخر ما كتب، صرح فيه بمثل ما ذكره في كتاب المقالات، ولكن المتسمين بالأشاعرة لم يأخذوا بقوله الأخير، إنما بقوا على مذهب الكلابية، فنسبتهم إليه والتسمي بالأشاعرة هذه نسبة خاطئة؛ لأنهم ليسوا على مذهبه الأخير، ويغالطون في هذا، وبعضهم يقول: (ما ثبت رجوعه)، وبعضهم يقول: (إن هذا كتبه أولًا، ثم تراجع عنه، وآخر ما كتب أنه على مذهب الأشاعرة)، ومغالطات، وأذكر أن الشيخ حماد الأنصاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتب رسالة في هذه المسألة سماها «رجعة أبي الحسن الأشعري»، وهي مطبوعة وموجودة.

(**الأَشْعَرِيُّ**)؛ نسبة إلى أبي موسى الأشعري؛ لأنه من ذريته. والأشعرية الأصل أنهم قبيلة من قبائل اليمن.

(الْمُتَكَلِّمُ)، يعني: أنه تعلم علم الكلام والجدل، فعنده في علم الكلام والجدل تحصيل ومعرفة؛ لذلك يُقال: المتكلم، لكن هذا في الأول، كان يعتمد على علم الكلام، ثم في النهاية صار يعتمد على الأدلة من الكتاب والسنة؛ كما يأتي من كلامه.

قوله: (صَاحِبُ الطَّرِيقَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَيْهِ فِي الْكَلامِ)، يعني: نسبة غير صحيحة.

قوله: (فِي كِتَابِهِ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي «اخْتِلافِ الْمُصَلِّينَ، وَمَقَالَاتِ الإِسْلَامِيِّينَ»)، وهو كتاب في مذاهب الفِرق مثل: «الفَرق بين الفِرق» للبغدادي، ومثل «الملل والنحل» للشهرستاني، مثل: «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم، يكتبون في بيان الملل والنحل كتابات، مؤلفات.

(اخْتِلافِ الْمُصَلِّينَ)، يعني: اختلاف أهل القبلة، (المصلين)، يعني: أهل القبلة من المسلمين، فهم وإن كانوا مسلمين ومؤمنين، لكن عندهم اختلاف في هذه المسائل، وهي اختلافات مختلفة؛ بعضها شديد، وبعضها متوسط، وبعضها قليل، فهم ليسوا على حد سواء، وهذا مصداق ما أخبر به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»[(١)]، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً. قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: هُوَ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»[(٢)].

قوله: (ذَكَرَ فِرَقَ الرَّوَافِضِ، وَالْخَوَارِجِ، وَالْمُرْجِئَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَغَيْرَهُمْ)، الروافض فرقة من الشيعة، يُقال: لهم الإمامية، ويُقال لهم: الاثني عشرية؛ لأنهم

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).
(٢) سبق تخريجه (ص١٧٧).

يقولون بالأئمة الاثني عشر، وأن الولاية لهم بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتنتقل من واحد إلى الآخر، اثنا عشر إمامًا، ويُسمون بالجعفرية؛ لأنهم ينتسبون إلى جعفر الصادق، ويسمون بالموسوية؛ لأنهم ينتسبون إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق، فهذه أسماء لهذه الفرقة.

والشيعة في الأصل هم الأتباع، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات:٨٣]، من شيعة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأتباع إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فالشيعة في الأصل تُقال للأتباع؛ شيعة فلان يعني: أتباعه، وأما المراد بها هنا، فهي الانتساب إلى أتباع أهل البيت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وذريته، فهؤلاء هم الشيعة الذين ينتسبون إلى أهل البيت، وهم يختلفون، والتشيع منه ما هو خطأ، ومنه ما هو ضلال، ومنه ما هو كفر.

فمثلًا: الذي تشيعه مجرد تفضيل، والذين يسمون المفضلة، وهم الذين يفضلون عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على غيره من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هذا نوع من التشيع؛ لأن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا شك أنه من أفاضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن ساداتهم، لكن ليس هو أفضل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فأبو بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفضل منه، لكن هؤلاء يقولون: (لا، علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل)، وهذه مسألة يسيرة، ما تقتضي التضليل، مسألة التفضيل ما تقتضي التضليل، ولكنها خطأ بلا شك.

والنوع الثاني: القول بأن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحق بالخلافة، ما هو الأفضل فقط، بل إنه أحق بالخلافة، وأن أبا بكر وعمر والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ظلموه حقه، وأن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الوصي بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهذا ضلال مبين مخالف للإجماع، فالخلافة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر، ثم لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان، ثم لعلي، فهو رابع الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يوص إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما

مدلول النصوص أنه أوصى لأبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لأنه خلفه على الصلاة في مرضه، وأمر أن يؤم الناس، وفيه أحاديث تدل على أن الخليفة بعد رسول الله هو أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وليس عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وعلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لم يدعِ هذا، لو كان علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عنده نص من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه هو الخليفة، ما كان ليسكت ويحابي، لماذا بايع أبا بكر، وبايع عمر، وبايع عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وعنده نص من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟! لو كان عنده نص، لبينه، ولم يكن للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أن يخالفوه أبدًا، إذا كان هناك نص، لم يكن للصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أن يخالفوه، فهذا كذب، وليس هناك وصاية، والقول بأنه هو الوصي كذب على رسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهذا مذهب الرافضة، سموا رافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لما طلبوا منه أن ينضم إليهم، وأن يسب أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أبى، وقال: «هما وزيرا جدي»، يعني: رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، «وصاحبيه»، فأبى أن يستجيب لهم، فقالوا: إذًا نرفضك. فسموا بالرافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن محمد بن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والذين انحازوا إلى زيد يسمون الزيدية، الشيعة الزيدية، هؤلاء انحازوا إلى زيد، والجعفرية تبرؤوا منه، فلذلك سموا بالرافضة، أما الزيدية، فإنهم تولوا زيد بن محمد بن علي بن أبي طالب.

ومنهم من يقول: (إن الرسالة لعلي، ولكن جبريل خان، وجعلها لمحمد، وإلا فهي لعلي)، يقولون: (خان الأمين، وصدها عن حيدرة)، وحيدرة هو علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهؤلاء أشد أنواع الرافضة -والعياذ بالله-، الذين يقولون: (إن الرسالة لعلي)، ما يقولون الخلافة فقط، بل يقولون: (الرسالة لعلي)، وهناك من هو أشد منهم، وهم من يقولون: (إن عليًّا إله)، فيعبدونه من دون الله، وهؤلاء هم الشيعة الغلاة،، وهذا كفر بلا شك، كفر أكبر مخرج من الملة.

فالذي يقول: (إن الرسالة لعلي)، هذا كفر، والذي يقول: (إن عليًّا هو الإله)، هذا أشد كفرًا.

فهؤلاء هم الشيعة في أصول مذاهبهم تفرقوا إلى شيع وأحزاب، فالشيعة فرق كثيرة، ويكفر بعضهم بعضًا، ويضلل بعضهم بعضًا، هؤلاء هم الشيعة؛ الشيعة المفضلة، والشيعة الزيدية، والشيعة الجعفرية، والشيعة الإسماعيلية الذين هم الفاطميون ومن ذهب مذهبهم، فهم أشكال، والفاطميون هم الإسماعيلية، هم الفرقة الإسماعيلية، يسمون الباطنية، وهم أشد أنواع الشيعة كفرًا وضلالًا.

(وَالخَوَارِجِ) سبق الكلام عنهم.

(وَالمُرْجِئَةِ) الذين يقولون: (إن الأعمال لا تدخل في الإيمان)، أخروها عن مسمى الإيمان، والتأخير هو الإرجاء، سموا مرجئة؛ من الإرجاء وهو التأخير؛ لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان.

(وَالمُعْتَزِلَةِ) سبق الكلام عنهم، وهم أتباع واصل بن عطاء، سموا معتزلة؛ لأنهم اعتزلوا أهل السنة، وانحازوا عنهم.

قوله: **(ثُمَّ قَالَ)**، يعني: أبو الحسن.

قوله: **(مَقَالَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأَصْحَابِ الحَدِيثِ جُمْلَةً: قَوْلُ أَصْحَابِ الحَدِيثِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ)**، أهل السنة: هم الذين كانوا على ما كان عليه الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، هؤلاء هم أهل السنة، السنة يعني: الطريقة، والمراد بهم من كانوا على طريقة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه.

(وَأَصْحَابِ الحَدِيثِ): هم الذين اشتغلوا برواية الحديث وضبطه وأسانيده، هؤلاء هم أهل الحديث، عنوا بالحديث رواية ودراية، وحافظوا على سنة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فأهل السنة أعم، وأصحاب الحديث أخص.

قوله: (الإِقْرَارُ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ)، مذهب أهل السنة وأصحاب الحديث هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، يؤمنون بأركان الإيمان الستة، وأما غيرهم من الفِرق، فيخالفون في هذه الأصول وهذه الأركان، فهم يؤمنون بهذه الأركان الستة التي جاءت في القرآن، وجاءت في السنة، يؤمنون بها جميعًا، ويؤمنون بما جاء عن الله، وعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسماء الله وصفاته.

قوله: (وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللهِ)، بما جاء عن الله في القرآن، وهذا لا شك فيه، القرآن لا شك فيه؛ ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢]، فهناك قراءتان:

الوقف على ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾.

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ﴾ ويقف على ﴿ لَا رَيْبَ ﴾، ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ يعني: يقف على آخر الآية، والمعنى كله صحيح، هذا الوقوف كله صحيح، وكلٌّ له وجه، ولكن القرآن لا شك فيه، ومن شك في القرآن، فهو كافر مرتد عن دين الإسلام، فالقرآن من عند الله متواتر، روته الأمة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورواه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن جبريل، ورواه جبريل عن الله جَلَّ وَعَلَا، فهو متواتر لايشك فيه مسلم، من شك فيه، فهو كافر.

أما السنة، فيدخلها ما يدخلها من الأحاديث الضعيفة والمكذوبة، لكن الذي يعتمد عليه في العقيدة هو الصحيح، هو قسم الصحيح، وهو ما روته العدول عدلًا عن عدل من لدن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى آخر السند ليس فيه ضعيف، ولا متكلم فيه، ولا ناقص للحفظ والضبط، فهذا يُحتج به، سواءً كان متواترًا أو آحادًا، ما دام صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متواترًا أو آحادًا، فإنه يُحتج

به، ويفيد العلم في العقيدة؛ لأنه كلام من لا ينطق عن الهوى، أما ما كان ضعيفًا أو كان حسنًا، أو كان شديد الضعف، فهذا لا يُعتمد عليه في علم العقيدة.

قوله: (**وَمَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **لَا يَرُدُّونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ**)؛ لامن القرآن، ولا من السنة الصحيحة، بخلاف أهل الأهواء؛ فإنهم يردون الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة، ويؤولونها بغير معناها، ويحرفونها، ويعتمدون على علم الكلام وقواعد المنطق.

قوله: (**وَأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ**)، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، لا يشابهه ولا يشاركه أحد، و«أحد»: هذا لا يُقال إلا لله عَزَّوَجَلَّ، «أَحَد»: هو الكامل الذي لا نقص فيه، أما «الواحد»، فيُقال لله ولغيره؛ واحد، اثنان، ثلاثة، هذا يُقال لله ولغيره، ولكن «أحد» لا تُقال إلا لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن معناه الكامل الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ولا يشبهه أحد.

قوله: (**فَرْدٌ صَمَدٌ**)، (**فَرْدٌ**) بمعنى واحد، يعني: لا شريك له، (**صَمَدٌ**) قيل: معناه: الذي تصمد إليه الخلائق بحوائجها، تصمد أي: تقصده الخلائق بحوائجها.

قوله: (**لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا**)، (**لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً**) أي: زوجة، (**وَلا وَلَدًا**)؛ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٢، ٣]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون:٩١]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:٣]، وصف نفسه بذلك، (**لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً**)، يعني: زوجة، (**وَلا وَلَدًا**)؛ لأن الزوجة والولد للمحتاج، والله لايحتاج إلى زوجة، ولا يحتاج إلى ولد؛ فهو الغني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فاتخاذ الزوجة واتخاذ الولد فيه نقص في



حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١]، يعني: زوجة، هل الإنسان الذي ما له زوجة يكون له ولد؟ هذا مستحيل، لا يكون ولد إلا من زوجة.

قوله: (وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ)، هذا الركن الأول من أركان الإسلام؛ تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وتشهد أن محمدًا عبده ورسوله. هذا هو الركن الأول من أركان الإسلام، فلا تكفي شهادة أن لا إله إلا الله عن شهادة أن محمدًا رسول الله.

قوله: (وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ)، **(وَأَنَّ الجَنَّةَ)** التي أعدها الله للمتقين **(حَقٌّ)**، وثابتة لا ريب فيها، **(وَأَنَّ النَّارَ)** التي أعدها الله للكافرين **(حَقٌّ)**، وثابتة لاريب فيها.

قوله: (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا) **(وَأَنَّ السَّاعَةَ)**، أي: قيام الساعة وانتهاء الدنيان **(آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا)**، ولكن لا يعلم متى تأتي ومتى تقوم إلا الله، استأثر الله بعلم قيام الساعة، ولم يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب، ولما سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَخبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»[1]، «**مَا الْمَسْئُولُ**»، وهو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله، أما أنه ستقوم الساعة، فهذا يجب الإيمان به والاستعداد، أما معرفتنا متى تقوم الساعة، ليس لنا مصلحة في ذلك، لو كان لنا مصلحة، لبينها الله جَلَّ وَعَلَا، المصلحة أن نؤمن بقيام الساعة، فإذا آمنا بقيام الساعة، فإننا نستعد له، ولو قال لك واحد: سيأتيك عدو،

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٢٥).

إن لم تستعد له سيهلكك. هل يليق بك أن تقول: متى يأتي؟ ما الفائدة من معرفتك متى يأتيك؟ هو سيأتيك، فتأهب له، اليوم أو الغد أو بعد غد، فليس من الحكمة أنك تسأل متى يأتي، ولكن الحكمة أنك تستعد له، وتكون على حذر.

قوله: (وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ)، الإيمان بالبعث من أركان الإيمان، وقد أنكر المشركون البعث؛ ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾ [التغابن:٧]، فمن أنكر البعث، وأن الله يعيد الأرواح إلى الأجسام، وأن الله يبعث الأجسام بعد فنائها وتفرقها، يجمعها ويُنشئها، وتعود إليها الأرواح، وتقوم لرب العالمين، هذا يجب الإيمان به؛ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]، ثم يسيرون إلى المحشر من قبورهم، فيجب الإيمان بذلك، ولا يكفي الإيمان بذلك فقط، فلابد من العمل والاستعداد.

قوله: (وَأَنَّ اللهَ عَلَى عَرْشِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾)، وأن الله مستوٍ على عرشه، نؤمن بذلك من دون أن نعرف الكيفية، ولكن نؤمن أنه استوى على عرشه؛ كما أخبر الله بذلك في سبعة مواضع من القرآن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩]، وكذلك جاءت في [السجدة:٤]، [الرعد:٢]، [يونس:٣]، [الحديد:٤]، [الأعراف:٥٤]، فنؤمن بذلك أن الله مستوٍ على عرشه، كيف استوى؛ كيفية الاستواء؟ الله أعلم بها، فهو استواء حقيقي على معناه الحقيقي، لا يؤول ولا يُحرف، يليق بجلال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ بِلَا كَيْفٍ)، وأن له يدين؛ كما قال تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، ولله يدان كما في القرآن والسنة، له يمين وله شمال، وكلتا يديه

يمين، ويقبض السماوات والأرض بيديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كما سبق.

(بِلَا كَيْفٍ)، يعني: لا نعرف كيفية اليدين، هل هي مثل يد المخلوق؟ ننزه الله أن تكون يداه كيد المخلوق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، فالمخلوق وإن كان له يدان ولله يدان، فلا تشابه بينهما.

قوله: (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾)، ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤])، ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، أثبت لنفسه اليدين، وأثبت لهما البسط.

قوله: (وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ بِلَا كَيْفٍ)، وأن له سبحانه عينين بلا كيف، ليست كعين المخلوق، وإنما هي عين الخالق، تليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩]، يعني: بمرأى مني ورؤية مني لأحوالك وما يجري عليك، ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]؛ سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾، يعني: بعين الله يراها ويحفظها ويدبرها، وجمع هذه للمناسبة؛ لأن الجمع جاء في ضمير العظمة (نا) ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، فجُمعت لأجل المشاكلة؛ لأن الضمير ضمير العظمة، ضمير الجمع.

قوله: (كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾)، يعني: سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، تجري على الماء بعين الله جَلَّ وَعَلَا ومرأى منه، رؤية منه لها، وحفظ منه لها.

قوله: (وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾)، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧]،

أثبت له الوجه، ووصف بالجلال، ووصفه بالإكرام، وهو وجه يليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ليس كوجوه المخلوقين.

قوله: (وَأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَى لَا يُقَالُ: إِنَّهَا غَيْرُ اللهِ)، هذا سبق؛ هل الاسم غير المسمى، أو هو المسمى؟ هذا جدال عقيم أحدثه المعتزلة، لا يُقال: إن الاسم غير المسمى، فالاسم اسم للمسمى لا ينفصل عنه، ليس غيره، وإنما هو تابع له لاينفصل عنه، فإذا قلت: محمد -مثلًا-، فمحمد علم على ذات، لا يُقال: إن محمدًا غير الذات، محمدٌ شيء والذات شيء آخر. لا، هما شيء واحد، ذات تُسمى محمدًا، أو عليًّا أو فاطمة أو غير ذلك، وهذا من التنطع الذي أحدثه المعتزلة؛ هل الاسم غير المسمى، أم هو هو؟ لا طائلة تحت هذا الكلام أبدًا.

قوله: (كَمَا قَالَت الْمُعْتَزِلَةُ وَالخَوَارِجُ) أنها غير الله، فأسماء الله غيره، هذا ما قاله أحد؛ أن الاسم غير المسمى أبدًا.

قوله: (وَأَقَرُّوا أَنَّ للهِ عِلْمًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:١٦٦]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:١١])، (وَأَقَرُّوا)، أي: أهل السنة والجماعة، أن الله يعلم كل شيء، وهذا في القرآن كثير؛ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة:٧]، ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، وهذا كثير في القرآن إثبات العلم لله عَزَّوَجَلَّ، والمخلوق له علم، ولكن يختلف علم المخلوق عن علم الخالق؛ فلا تشابه بينهما.

﴿أَنزَلَهُۥ﴾، أي: القرآن ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾.

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ﴾، أي: أنثى من الآدميين، أو من البهائم، أو من الأشجار، ما تحمل من أنثى، تحمل في جوفها مولودًا، ولا تضعه إلا بعلم الله

جَلَّ وَعَلَا، هو الذي يعلم متى تحمل، وبماذا تحمل، ومتى تضع حملها، لا يعلمه إلا الله، لو سألت الأطباء كلهم، وقلت: متى تلد هذه المرأة؟ يقولون: ما ندري، لاأحد يدري متى تلد أبدًا، لو سألتهم تقول: هذه المرأة ما فيها ولد متى تحمل؟ يقولون: لا ندري متى تحمل؛ فهذا في علم الله جَلَّ وَعَلَا، وقد لا تحمل.

قوله: (وَأَثْبَتُوا السَّمْعَ وَالْبَصَرَ)، وأثبتوا الله السمع، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فالله جَلَّ وَعَلَا سميع بصير، له سمع وله بصر، والمخلوق له سمع وله بصر، لكن مع الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق.

قوله: (وَلَمْ يَنْفُوا ذَلِكَ عَنِ اللهِ كَمَا نَفَتْهُ الْمُعْتَزِلَةُ)، ولم ينفِ أهل السنة والجماعة هذه الأسماء والصفات عن الله كما نفتها المعتزلة؛ لأن هذا شيء أثبته الله لنفسه، فلا يجوز لنا أن ننفي ما أثبته الله لنفسه، هو أعلم بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأعلم بما يليق به، والوهم الذي توهموه أن هذا فيه مشابهة، نفاه الله بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، نفى الله المماثلة، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

قوله: (وَأَثْبَتُوا للهِ الْقُوَّةَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥])، نعم أثبتوا لله القوة، ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ [الشورى:١٩]، فأثبت لنفسه أنه القوي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن قوته ليست كقوة غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ [الذاريات:٥٨]، أي: صاحب القوة ﴿ٱلْمَتِينُ﴾، ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٧٤]، فأثبت لنفسه القوة، وقوته لا تشبهها أية قوة في الكون، لا يعجزه شيء، المخلوق عنده قوة، ولكن تعجز أحيانًا، القادر أو القوي يعجز، تضعف قوته أو

تزول قوته؛ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ ضَعۡفًا وَشَيۡبَةً﴾ [الروم:٥٤]، فقوة المخلوق يعتريها ما يعتريها، أما قوة الخالق جَلَّوَعَلَا، فهي قوة كاملة، لا يعتريها نقص ولا زوال.

﴿وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥]، لما جاء هود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلى قوم عاد، وكانوا أقوياء في أجسامهم؛ ﴿وَزَادَكُمۡ فِى ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةً﴾ [الأعراف:٦٩]، فهم أقوى الأمم في أجسامهم، فغرتهم هذه القوة، فقالوا: ﴿وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥]، الذي أعطاكم هذه القوة مَنْ هو؟ أليس هو الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؟ فهو أقوى منكم؛ ولذلك أهلكهم بشيء هو أضعف شيء، وهو الريح، الريح التي لا تُرى، أهلكهم بالريح العقيم، صارت تنزعهم من الأرض إلى عنان السماء، ثم تنكسهم على رؤوسهم، وتدق أعناقهم؛ ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾ [القمر:٢٠]، أعجاز نخل خاوية، أين القوة التي يقولون؟ ما ثبتوا أمام الريح، أمام الهواء ما ثبتوا؛ ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تنزعهم من الأرض إلى الجو، تنكسهم على رؤوسهم ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾، يعني: أصابها النخر الضعف.

قوله: (وَذَكَرَ مَذْهَبَهُمْ فِي الْقَدَرِ)، مذهب أهل السنة والجماعة في القدر أن يؤمنوا بالقضاء والقدر -كما سبق لكم-، فهو من أصول الإيمان؛ أن تؤمن بالقضاء والقدر، تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، فكل شيء الله قدره وأوجده وشاءه وأراده سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَيَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ)، (إِلَى أَنْ قَالَ) أبو الحسن رَحِمَهُٱللَّهُ: (وَيَقُولُونَ)، أي: أهل السنة والجماعة، (الْقُرْآنُ كَلامُ اللهِ)

حقيقة، تكلم الله به حقيقة، وأرسل به جبريل، وبلغه للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبلغه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأمة؛ ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]، ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧]، بنو إسرائيل عندهم علم من هذا القرآن، وأن محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سينزل عليه القرآن، وهو موجود ذكره في التوراة؛ ولذلك لما سمعه النجاشي وغيره من أهل الكتاب، آمنوا به، وعرفوا أن هذا كلام الله عَزَّ وَجَلَّ؛ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣]، ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء:١٠٧، ١٠٨]، وعد الله بذلك في الكتب السابقة، ووقع كما أخبر الله جَلَّ وَعَلَا؛ فلذلك أهل الكتاب الذين ليس عندهم حسد وليس عندهم هوى، وإنما ينشدون الحق، بمجرد أن سمعوا القرآن آمنوا به، ولم يترددوا في ذلك؛ لأنهم يريدون الحق، وهذا هو الحق.

(الْقُرْآنُ كَلامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ)، غير مخلوق كما تقوله الجهمية والمعتزلة.

قوله: (وَالْكَلامُ فِي اللَّفْظِ وَالْوَقْفِ: مَنْ قَالَ بِاللَّفْظِ وَبِالْوَقْفِ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عِنْدَهُمْ)، هذا سبق؛ أنه ما يجوز أن تقول: لفظي بالقرآن مخلوق. هذا مما دسه الجهمية، «لفظي بالقرآن مخلوق» هذا محدث، لكن لابد من التفصيل فيه، هم أحدثوه، فلابد أن تفصل، تقول: ما مرادك باللفظ؟ هل مرادك الملفوظ؟ هذا غير مخلوق، هذا كلام الله. أما إذا كان مرادك باللفظ الصوت، فهذا مخلوق، صوت المخلوق مخلوق، فأنت تقرأ القرآن، الذي تقرؤه هو كلام الله، وأما صوتك وأداؤك، فهذا مخلوق، وهم يلجؤون الناس إلى هذه المضايق، وهذا لا داعي له،

القرآن كلام الله وفقط، ولو قرأه المخلوق، هو كلام الله جَلَّوَعَلَا، ولكن يبحثون عن الأشياء المشوشة.

(وَالْوَقْفِ)، أيضًا مما دسته الجهمية الوقف في القرآن، يوم شاهدوا أن أهل السنة تغلبوا عليهم بالحجج والبراهين، وأن القرآن كلام الله، قالوا: (من الأحسن أننا لا نقول: لا مخلوق ولا غير مخلوق)، لا ما يجوز الوقف بعدما ورطتم الناس، وقلتم: (القرآن مخلوق)، تقولون: (لا، نقف ولا تقولون شيئًا)، فهذا مكيدة، بل نقول: غير مخلوق، ونصرح بهذا، ولا نتوقف؛ لأننا إذا توقفنا، صار عندنا شك، فما يتوقف إلا إنسان شاك في أن القرآن هل هو كلام الله أو لا، هذا الذي توقف، فنحن نصرح، ونقول: القرآن غير مخلوق. ولا نتوقف، فهذه مكيدة منهم يريدون التستر بها على مذهبهم، وهناك الآن من المتعالمين وأنصاف المتعالمين وأهل الضلال من يقول: (مسألة الكلام في القرآن مخلوق أو غير مخلوق هذه مسألة فضولية، لاطائل تحتها)، وهذا كلام باطل، هو لو كان ما حصل هذا الشيء من الأصل، نعم ما ندخل فيه، ولكن لما حصل من يقول: (إن القرآن مخلوق) نسكت ونتركه ونقول: الكلام في هذا ما له داعٍ؟ لا، ما يجوز السكوت عن الباطل، لابد من فضحه وبيانه، وهذا -أيضًا- من التستر عندهم، لما أفحمهم أهل السنة وغلبوهم، قالوا: (هذه مسألة بسيطة ما تتحمل كل هذه الأمور)، مع الأسف يقولها من يدعي العلم، وهو ما يدري ما عواقبها، ولا يدري ما المقصود بها، إذا ظهر الباطل، فلابد من الوقوف في وجهه، ولا نتوقف أبدًا، ولا نقول: (هذا يشوش على الناس)، ما نتوقف في هذا؛ لأننا لو سكتنا، زاد شرهم، وإذا قاومناهم، افتضحوا.

(فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عِنْدَهُمْ)؛ عند أهل السنة والجماعة.

قوله: (لَا يُقَالُ اللَّفْظُ بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَلَا يُقَالُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ)، لا يجوز أن تقول: (لا يُقال اللفظ مخلوق ولا غير مخلوق)، بل تقول: ماذا تريد باللفظ؟ إن أردت الملفوظ به، فهو غير مخلوق، فهو كلام الله، وإن أردت الصوت والقراءة، فهذا مخلوق، هذا عمل الإنسان، ولهذا تختلف القراءات؛ هذا صوته حسن، وهذا صوته ما هو حسن، وهذا قراءته جيدة، وهذا قراءته ضعيفة، فدل على أن القراءة مخلوقة، والصوت واللفظ مخلوق، أما الملفوظ به والمتلو والمقروء، فهو غير مخلوق، هم يريدون الدس، يريدون على ما قالوا أن يمرروا مذهبهم، ويتستروا عليه بهذه الحيل، فلابد أن يوقف لهم بالمرصاد، وتنقد حيلهم الباطلة.

قوله: (وَيُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ يُرَى بِالأَبْصَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)، يقر أهل السنة والجماعة برؤية الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة؛ لأن هذا مما تواتر به الدليل في القرآن والسنة، أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في الجنة، أما في الدنيا، فلا أحد يرى الله جَلَّوَعَلَا، في الدنيا لا أحد يرى الله رؤية بصرية، أما رؤية منام يمكن، لكن رؤية بصرية لا أحد يرى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ حتى يموت؛ لأن الناس لا يقدرون على رؤية الله في الدنيا لضعفهم وضعف مداركهم، أما في الآخرة، فإن الله يعطي المؤمنين قوة يستطيعون بها أن يروا ربهم.

قوله: (بِالأَبْصَار)؛ رد على من يقول: (يُرى بالبصائر يعني: بالقلوب)، هذا في الدنيا والآخرة، الله يُرى بالقلوب في الدنيا والآخرة، أما الأبصار، فإنه يُرى في الآخرة، ولا يُرى في الدنيا.

قوله: (كَمَا يُرَى الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ)، هذا كلام الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، نفي للشك؛ (كَمَا يُرَى الْقَمَرُ)، أنت تشك في القمر إذا رأيته أن هذا هو قمر؟ ما تشك في هذا.

قوله: (يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ، وَلا يَرَاهُ الْكَافِرُونَ؛ لأَنَّهُمْ عَنِ اللهِ مَحْجُوبُونَ، قَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥])، ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أي: الكفار﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾، لما لم يؤمنوا به في الدنيا في الغيب، حجبوا عن رؤيته يوم القيامة.

قوله: (وَذَكَرَ قَوْلَهُمْ فِي الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ وَالحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ وَأَشْيَاءَ) (قَوْلُهُمْ فِي الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ)، جاء في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام، وسأله عن الإيمان، وسأله عن الإحسان[1]، هذه مراتب الدين، الدين مراتب بعضها فوق بعض، فالإسلام هو أولها وأوسعها، الإسلام يدخل فيه المؤمن ضعيف الإيمان الذي إيمانه ضعيف، ويدخل فيه المنافق الذي يؤمن بظاهره دون باطنه، يدخل في الإسلام، يُقال: مسلم، مسلم في الظاهر، أما الإيمان، فلا يدخل فيه المنافق، المنافق لا يُقال له: مؤمن؛ المنافق النفاق الأكبر، أما النفاق الأصغر، يمكن أن يكون معه إيمان، لكن النفاق الأكبر الاعتقادي لا يدخل في الإيمان أبدًا، فالمنافق غير المؤمن، وأما الإحسان، فهو أعلى مرتبة؛ «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»، يعني: على اليقين التام، «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، فإنك تعتقد وتؤمن أنه يراك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والإسلام والإيمان يقولون: بينهما عموم وخصوص؛ الإسلام يُطلق على الأعمال الظاهرة -أركان الإسلام الخمسة-، والإيمان يُطلق على الأعمال الباطنة -أركان الإيمان الستة-، ولابد من اجتماعهما، لابد أن يكون الإنسان مسلمًا مؤمنًا، تجتمع فيه أركان الإسلام وأركان الإيمان، فلا إسلام صحيح إلا بالإيمان،

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٢٥).

ولا إيمان صحيح إلا بالإسلام، لابد أن يجتمعا، إلا المنافق، فيمكن أن يكون مسلمًا في الظاهر، وليس عنده إيمان في الباطن، أما الإسلام الصحيح، فلا يكون إلا مع إيمان، ولو ضعيف، ولو مقدار حبة خردل؛ ولهذا يقولون: الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. فإذا ذُكر الإسلام وحده، دخل فيه الإيمان، وإذا ذُكر الإيمان وحده، دخل فيه الإسلام، وإذا ذكرا جميعًا -كما في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فُسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة.

قوله: (وَالحَوْضِ)، سبق لنا شرحه، حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه من الأمور التي تحصل يوم القيامة، حوض عرضه مسيرة شهر، وطوله مسيرة شهر، وماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، وآنيته عدد نجوم السماء، ترده هذه الأمة على نبيها محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويشربون منه، ويصب فيه الكوثر، الكوثر نهر من الجنة، ويُذاد عنه ويُدفع المبتدع والمنافق، المبتدع والمرتد يُصرفان عنه يوم القيامة، ولا يرده إلا الموحدون أهل السنة[1].

(وَالشَّفَاعَةِ)، سبق لنا شرحها.



(١) انظر: (ص٦٥١).

إِلَى أَنْ قَالَ: وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَلا يَقُولُونَ: مَخْلُوقٌ، وَلا يَشْهَدُونَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ بِالنَّارِ. إِلَى أَنْ قَالَ: وَيُنْكِرُونَ الْجَدَلَ وَالمِرَاءَ فِي الدِّينِ وَالْخُصُومَةَ فِيهِ وَالمُنَاظَرَةَ فِيمَا يَتَنَاظَرُ فِيهِ أَهْلُ الْجَدَلِ وَيَتَنَازَعُونَ فِيهِ مِنْ دِينِهِمْ، وَيُسَلِّمُونَ لِلرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَلِمَا جَاءَتْ بِهَا الآثَارُ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الثِّقَاتُ عَدْلًا عَنْ عَدْلٍ، حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، لَا يَقُولُونَ: كَيْفَ؟ وَلا لِمَ؟ لأَنَّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ.**

إِلَى أَنْ قَالَ: وَيُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر:٢٢]**، وَأَنَّ اللهَ يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ؛ كَمَا قَالَ: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾** [ق:١٦].

الشَّرح

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَيُقِرُّونَ بِأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ)، الأشاعرة الذين كان منهم أبو الحسن -بل كان إمامهم في الأول- يقولون: (الإيمان اعتقاد بالقلب فقط)، ولا يقولون: إنه قول باللسان، ولا عمل بالجوارح. وهنا رَحِمَهُ اللَّهُ صرح بمذهب أهل السنة، فقال: (بِأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ).

(وَيُقِرُّونَ)، أي: أهل السنة.

(بِأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ)، تقول: الإيمان قول وعمل واعتقاد، أو تقول: الإيمان قول وعمل. والعمل يدخل فيه عمل القلب، وهو الاعتقاد، ويدخل فيه عمل الجوارح.

قوله: (يَزِيدُ وَيَنْقُصُ)؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية؛ خلافًا للمرجئة الذين يقولون: الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه بالقلب فقط، ولا دخل للأعمال فيه، الذي تزيده وتنقصه هي الأعمال، وهم ليس عندهم أعمال.

قوله: (وَلا يَقُولُونَ مَخْلُوقٌ)، ولا يقولون: الإيمان مخلوق. كما سبق، هذا من التكلفات التي ما أنزل الله بها من سلطان؛ إن أريد بالإيمان أعمال العباد، فهي مخلوقة، وإن أريد بالإيمان ما يجعله الله في القلب من النور والتصديق، فهذا غير مخلوق، هذا فعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (وَلا يَشْهَدُونَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ بِالنَّارِ)، هذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ أنهم لا يُكفرون أهل الكبائر التي دون الشرك، وإنما يفسقونهم، ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وهو تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، ولو عذبه، فإنه لا يُخلد في النار مثل الكفار، يدخل النار ويُعذب فيها، لكن يُخرج منها، ولا يُخلد فيها، هذا مذهبهم في أهل الكبائر، بخلاف الخوارج الذين يكفرون بالكبائر، والمعتزلة يقولون: (يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر؛ فهو في منزلة بين المنزلتين)، وبخلاف المرجئة الذين يقولون: (المعاصي لا تضر، ولا يضر مع الإيمان معصية؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة)، يقولون: (ما دام أنه مؤمن بقلبه، فله أن يفعل ما يفعل، لا يضره)، فهذا كلام باطل.

(وَلا يَشْهَدُونَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ بِالنَّارِ)، بل يخافون عليه من النار، ولكن لا يجزمون أنه يدخل النار، بل هو تحت مشيئة الله؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨]، ولما قال رجل من بني إسرائيل: «**وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ! فَقَالَ اللهُ** جَلَّوَعَلَا: **مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَلَّا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟! إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»[1]، حبط عمله بهذه الكلمة التي

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١) من حديث جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قالها في حق الله؛ (أن الله لا يغفر)، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]، فهذا مذهب الخوارج -والعياذ بالله.

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَيُنْكِرُونَ الجَدَلَ وَالمِرَاءَ فِي الدِّينِ وَالخُصُومَةَ فِيهِ وَالمُنَاظَرَةَ فِيمَا يَتَنَاظَرُ فِيهِ أَهْلُ الجَدَلِ)، الواجب على المؤمن أن يكف عن الجدل والمناظرات والخصومات في الدين، الدين واضح -ولله الحمد-، وجلي بأصوله وأركانه وأعماله، ليس فيه شيء يحتاج إلى جدال؛ لأنه يؤخذ من الكتاب والسنة، ما يؤخذ من الأفكار والعقول والتقديرات حتى يحتاج إلى جدل، فالدين واضح.

فَلَا مِرَاءَ وَما فِي الدِّينِ مِنْ جَدَلٍ   وَهَلْ يُجَادِلُ إِلَّا كُلُّ مَنْ كَفَرْ(١)

فلا يجادل في دين الله إلا الكفار.

وهذا مما يؤكد على طلبة العلم -خصوصًا الشباب- اليوم أن يتركوا هذه المجادلات والمهاترات بينهم والخصومات، ويطلبوا العلم، ويعتنوا بطلب العلم، شغلهم هذا الجدل وهذه المشاجرات عن طلب العلم، وأوقد العداوة بينهم والفرقة بينهم، يجب عليهم أن يتركوا هذه الأمور، وأن يتجهوا إلى طلب العلم النافع.

قوله: (وَيَتَنَازَعُونَ فِيهِ مِنْ دِينِهِمْ)، علماء الجدل -وهم علماء الكلام- ضيعوا وقتهم وأعمارهم في الجدال في الجوهر والعرض وما أشبه ذلك والنتائج والمقدمات، وتركوا التفقه في كتاب الله وفي سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، صار شغلهم الشاغل هو الجدل، وتركوا العلم النافع، فالواجب الحذر من هذه الطريقة والإقبال على تعلم الكتاب والسنة؛ لأن الله جعل الكتاب والسنة هما الهدى والنور، وجعل

---

(١) سبق عزوه (ص٦٨٥).

التفقه فيها هو الخير؛ «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُ فِي الدِّينِ»[(١)]، فالواجب أن تصرف وقتك في التفقه في الدين، لا في الجدل والمناظرات والخصومات، نعم، مسألة الرد على المبطلين ترد عليهم، لكن ليس بالجدل، وإنما ترد عليهم بالأدلة من الكتاب والسنة، تُبين بطلان أقوالهم وشبهاتهم من الكتاب والسنة.

قوله: (وَيُسَلِّمُونَ لِلرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَلِمَا جَاءَتْ بِهَا الآثَارُ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الثِّقَاتُ عَدْلًا عَنْ عَدْلٍ)، أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ كما سبق أنه في آخر عمره رجع إلى مذهب السلف في الجملة، وكتب في ذلك ما يثبت رجوعه في ثلاثة كتب هي من آخر ما ألف «المقالات»، وهو عبارة عن كتاب في الملل والنحل والفرق، و«الإبانة عن أصول الديانة»، وهو عبارة عن كتاب في العقيدة، و«الموجز» أو «الوجيز»، هذا من آخر ما كتب، وكلها أعلن فيها رجوعه إلى مذهب أهل السنة والجماعة، وهو هنا يحكي أن أهل السنة والجماعة يعتمدون في عقيدتهم على ما جاء في الكتاب والسنة، على ما جاء في القرآن، أو جاء في السنة الصحيحة التي يرويها العدول الثقات عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يعدلون عن ذلك إلى علم الكلام، أو إلى قواعد المنطق، أو إلى تأويلات الفرق الضالة -من جهمية ومعتزلة وأشاعرة وغير ذلك-، هذا مذهبه في الجملة.

قوله: (وَيُسَلِّمُونَ لِلرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ)، أما الروايات التي لا تصل إلى درجة الصحة -وهي الحسنة والضعيفة-، فهم وإن كانوا يستدلون بها في الجملة، ولكن لا يؤصلون عليها في العقيدة، ولكن إذا وافقت الأدلة الصحيحة، يستدلون بها، ويعتضدون بها.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧).

قوله: (الثِّقَاتُ عَدْلًا عَنْ عَدْلٍ)، هذا هو الصحيح، ما رواه عدل عن عدل من بداية السند إلى نهايته، هذا هو الحديث الصحيح[١].

قوله: (حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا يَقُولُونَ: كَيْفَ؟ وَلا لِمَ؟ لأَنَّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ)، يثبتون الصفة بمعناها الصحيح، ولكن لا يبحثون عن كيفية الصفات وحقائق الصفات؛ فإن هذا لا يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مثلًا: الأدلة جاءت بإثبات اليدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنثبت اليدين لله، ولكن لا نقول: إن يده مثل كذا وكذا. ونبحث عن كيفيتها، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، نقول: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾، بمعنى: علا وارتفع، لكن لا نبحث في الكيفية؛ كيف استوى على العرش وحقيقة الاستواء هذه لا يعلمها إلا الله، وهكذا في جميع الصفات.

(لَا يَقُولُونَ: كَيْفَ؟ وَلا لِمَ؟)، لماذا قال هذا؟ فلا يبحثون عن التعليل؛ لأن هذا دخول فيما لا يعنيهم.

قوله: (لأَنَّ ذَلِكَ بِدْعَةٌ)، لم يقل به السلف، لم يبحثوا في الكيفية، ولم يسألوا عن الكيفية؛ ولماذا قال كذا؟ ويعترضون على الأدلة، بل يسلمون لها، التسليم معناه أنك لا تعترض ولا تتوقف في إثبات ما جاءت به.

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَيُقِرُّونَ أَنَّ اللهَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢]) (وَيُقِرُّونَ)، أي: أهل السنة والجماعة، أن الله يجئ يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾، ﴿يَنظُرُونَ﴾، يعني: ينتظرون، ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ

---

(١) انظر: (ص١١٨).

﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠]، هذا مثل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر:٢٢]، الله جَلَّوَعَلَا يأتي بذاته، ويجيء بذاته، فالإتيان والمجيء ثابتان لله جَلَّوَعَلَا، يأتي ومعه الملائكة؛ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، أي: يأتيهم الله في ظلل من الغمام، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، يعني: وجاءت الملائكة معه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠]، يأتي لفصل القضاء بين عباده، ولا نبحث كيف يجيء، بل نثبت أنه يجيء كما يشاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، المَلَكُ: جمع بصيغة المفرد، الملك والملائكة بمعنى واحد، والمبتدعة يقولون: (جاء أمره، الله لا يأتي ولا يجيء، وإنما الذي يأتي أمره)، فيزيدون كلمة أمره على القرآن، والقرآن ليس فيه جاء أمره، فيه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، ﴿أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾، ما قال: (يأتيهم أمره، أو جاء أمره)، وإنما هذه زيادة من قبل المعطلة.

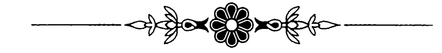
قوله: (وَأَنَّ اللهَ يَقْرَبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ)؛ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، لما سأله بعض الصحابة، قالوا: «يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]»(١)، ولكن هذا القرب يليق بجلاله، هو قريب وهو فوق سماواته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ليس معنى قريب أنه مختلط بالخلق، وإنما هو قرب يليق بجلاله، فهو مع علوه على عرشه، هو قريب من عباده سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣]، فسر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ الذي

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (٣/ ٢٢٢) وانظر تفسير الماوردي (١/ ٢٢٤)، وتفسير البغوي (١/ ٢٢٥)، وزاد المسير (١/ ١٤٥)، وتفسير القرطبي (٢/ ٣٠٨)، وابن كثير (١/ ٥٠٦).

ليس قبله شيء، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الذي ليس بعده شيء، ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ﴾ الذي ليس فوقه شيء، ﴿وَٱلۡبَاطِنُ﴾ الذي ليس دونه شيء[1]، فهو عليٌّ في دنوه، قريبٌ في علوه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولا تنافي بين قربه وعلوه، هذا خاص بالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ولا يُقاس على المخلوق، المخلوق إذا كان في مكان مرتفع، يكون بعيدًا عنك، لكن الله لا يأتي في حقه هذا، هو فوق سماواته فوق خلقه، وهو قريب من عبده، يسمعه ويراه ويعلم ما توسوس به نفسه، يعلم ما في قلبه قبل أن يتكلم.

قوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، يعني: المحتضر الذي في سياق الموت، يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، حتى في غير حالة الاحتضار الله أقرب إليه من حبل الوريد، والوريد: هو العرق الذي في العنق، ويجري منه الدم، فالله أقرب من الوريد قربًا يليق بجلاله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ﴾ [الواقعة:٨٥]، هذا في المحتضر، المحتضر نحن أقرب إليه منكم، فهو أقرب إلى المحتضر من الجالسين عنده قربًا يليق بجلاله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَـٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ﴾ [الواقعة:٥٨]؛ لا تبصرون الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وملائكة الموت تحضر عند المحتضر تقبض روحه، ولا ترونهم، أنتم لا ترونهم.



(١) سبق تخريجه (ص٥٣٣).

إِلَى أَنْ قَالَ: وَيَرَوْنَ مُجَانَبَةَ كُلِّ دَاعٍ إِلَى بِدْعَةٍ، وَالتَّشَاغُلَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَكِتَابَةَ الآثَارِ، وَالنَّظَرَ فِي الْفِقْهِ مَعَ الاسْتِكَانَةِ وَالتَّوَاضُعِ، وَحُسْنَ الْخُلُقِ مَعَ بَذْلِ الْمَعْرُوفِ، وَكَفَّ الأَذَى، وَتَرْكَ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالسِّعَايَةِ، وَتَفَقُّدَ الْمَآكِلِ وَالْمَشَارِبِ.

قَالَ: فَهَذِهِ جُمْلَةُ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ، وَيَسْتَسْلِمُونَ إِلَيْهِ، وَيَرَوْنَهُ، وَبِكُلِّ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِهِمْ نَقُولُ، وَإِلَيْهِ نَذْهَبُ، وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللهِ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ(١).

الشَّرْح

قوله: (وَيَرَوْنَ مُجَانَبَةَ كُلِّ دَاعٍ إِلَى بِدْعَةٍ)، أهل السنة والجماعة يرون الابتعاد والمجانبة عن كل داعٍ إلى بدعة، فدعاة البدعة دعاة الضلال يبتعدون عنهم، ويحذرون منهم؛ كما قال ﷺ: «**دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا**»(٢)، فيجب الابتعاد عن دعاة الضلال وعدم قربهم، ولا نقول: (إنهم لايضروننا)، ونجلس معهم، وهذا من باب التفاهم، أو من باب ما يسمونه بالتعايش بين الناس، لهم دينهم، ولنا ديننا، وأشباه هذه الألفاظ، فلنبتعد عن المبتدعة، ونعتزلهم حتى يتركوا بدعتهم؛ لئلا يؤثروا على جليسهم، وهكذا كان السلف يبتعدون عن المبتدعة، ولا يخالطونهم، ويعتبرونهم مثل الموبوئين بالمرض، لو يأتي مرض معد، الناس يبتعدون عن المريض خشية العدوى، ولا يُلامون على ذلك؛ لأن هذا من اتخاذ الوقاية، فكيف لا يبتعدون عن المريض مرض القلب -والعياذ بالله-، مرض الزيغ، مرض الضلال؟! كيف لا يبتعدون عنه؟!!

قوله: (وَالتَّشَاغُلَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَكِتَابَةَ الآثَارِ، وَالنَّظَرَ فِي الْفِقْهِ)، أهل السنة والجماعة هذا عملهم، يشتغلون بالعناية بالقرآن تلاوة وتدبرًا وحفظًا وعملًا،

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (ص٢٩٠-٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

ويشتغلون بالسنة النبوية بروايتها ودرايتها والتفقه فيها، هذا هو طريق العلم النافع؛ تدبر القرآن وتدبر السنة والتفقه فيهما.

لا يقتصرون على التلاوة والحفظ فقط، لابد مع التلاوة والحفظ من التدبر والتفهم لمعانيه ومراجعة تفسيره وسؤال أهل العلم، حتى تعرف معاني القرآن وتنتفع به، وكذلك السنة ليس المقصود أنك تحفظ الصحيحين، أو يجعلون دورات الآن للحفظ، ويحفظون الصحيحين، ويحفظون كذا، لا ينفع هذا ولا يفيد، لابد مع الحفظ من التفقه والدراسة والفهم، أما مجرد الحفظ، فهذا عبارة عن نسخة فقط، مثل النسخة التي في الرف، لا يفيد شيئًا.

قوله: (وَكِتَابَةَ الآثَارِ)، أي: الأحاديث.

قوله: (وَالنَّظَرَ فِي الْفِقْهِ)، الفقه: هو التفقه في معاني القرآن والسنة، فهم القرآن والسنة؛ ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:١٢٢]، وهذا هو المقصود، والتفقه يكون على أيدي العلماء؛ ولهذا قال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾، فدل على أن طلب العلم يحتاج إلى رحلة، يحتاج إلى ذهاب إلى العلماء؛ حتى يأخذ الإنسان عنهم العلم، ويتفقه في الدين، هذا هو المطلوب، وبعض الشباب وبعض الجهال يزهدون في الفقه، ويقولون: (الفقه كلام ناس، وكلام علماء، والمطلوب منا أن نأخذ من الكتاب والسنة استقلالًا دون مرور على أقوال العلماء، ودون رجوع إلى أقوال العلماء)، وهذا خطأ، هذا معناه إلغاء للأمة جميعًا، ونكون علمًا جديدًا، وهذا ضلال، بل نستفيد من فقه العلماء من كتب الفقه، ولكن ليس معناه الجمود والتعصب، وإنما يكون الفقه وسيلة ومساعدًا على فهم الكتاب والسنة.

قوله: (وَالنَّظَرَ فِي الْفِقْهِ)، ما قال: إنهم يعتنون بالقرآن والسنة فقط، بل وينظرون في الفقه أيضًا، الذي ورثه لنا أئمة السلف ودونوه لنا نستفيد منه.

قوله: (مَعَ الاسْتِكَانَةِ وَالتَّوَاضُعِ)، مع الآداب التي يلتزمها العالم والمتعلم؛ لأن العلم يفيد التواضع، ويفيد الخشية لله عَزَّوَجَلَّ، لا يفيد التكبر والترفع على الناس، هذا جهل وليس علمًا، وكلما كثر علم الإنسان، كثر تواضعه، وعرف قدر نفسه، وعرف حاجته إلى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وعرف فقره، فأفاده ذلك التواضع والانكسار بين يدي الله واللين لعباد الله.

قوله: (وَحُسْنَ الخُلُقِ مَعَ بَذْلِ المَعْرُوفِ، وَكَفَّ الأَذَى، وَتَرْكَ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالسِّعَايَةِ)، (مَعَ بَذْلِ المَعْرُوفِ) للناس، المعروف بالمال وبالعلم، فيبذلون علمهم، ويبذلون أموالهم، ويساعدون الناس، ويعينون المحتاج.

قوله: (وَكَفَّ الأَذَى)، أيضًا لابد من هذا أنك تكف أذاك عن الناس، لايصدر منك أذى أو غيبة أو نميمة أو تجريح لأحد، إلا من تريد أن تُبين خطأه وضلاله، تبينه، ولكن بدون تجريح، وبدون تشهير، وإنما تبين مخالفته للحق، فليس القصد الأشخاص، بل القصد الانتصار للحق.

قوله: (وَتَرْكَ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ)، الغيبة: هي ذكرك أخاك بما يكره في غيبته، والنميمة: هي الوشاية بين الناس؛ تذهب لهذا، وتقول: فلان يقول فيك كذا وكذا، وتذهب للآخر، وتقول: فلان يقول فيك ويجرح فيك. لأجل أن تبعد ما بينهم، هذه هي السعاية والوشاية، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢]، ويقول: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١٠، ١١]، فطلبة العلم ليسوا مغتابين ولا نمامين، فالواجب أن يتجنبوا هذه

الأمور التي ابتُلي بها كثير ممن ينتسب إلى طلبة العلم الآن من التراشق بالكلام بينهم والسباب والتعادي بينهم، وكل واحد ينحاز إلى جهة، وهذا لا يجوز بين شباب المسلمين، الواجب أنهم إخوان، وأنهم يتناصحون فيما بينهم، ويتعاونون على البر والتقوى.

قوله: (وَالسِّعَايَةِ)، هي النميمة والوشاية، تُسمى نميمة، وتسمى وشاية، وتسمى سعاية.

قوله: (وَتَفَقُّدَ المَآكِلِ وَالمَشَارِبِ)، كذلك طالب العلم يتورع عن المشتبهات التي يخشى أن تكون من الحرام، فإذا كان الشيء مشتبهًا لا يُدرى هل هو حلال أو حرام، يُتجنب، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**»(١)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لا يَرِيبُكَ**»(٢)، فباب الاحتياط باب طيب، وباب الورع طيب.

قوله: (قَالَ: فَهَذِهِ جُمْلَةُ مَا يَأْمُرُونَ بِهِ، وَيَسْتَسْلِمُونَ إِلَيْهِ وَيَرَوْنَهُ)، فهذه النقولات جملة ما يأمر به أهل السنة والجماعة، ويحثون عليه، ويوصون به غيرهم.

(يَأْمُرُونَ بِهِ) غيرهم.

(وَيَسْتَسْلِمُونَ) هم بأنفسهم -أيضًا-، ليس القصد أنهم يأمرون الناس، وهم لا يستسلمون لهذا الشيء، قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:٤٤]، فهم يمتثلون في أنفسهم، ويأمرون غيرهم.

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٣١).

(٢) سبق تخريجه (ص٧٣٢).



قوله: (وَيَرَوْنَهُ)، يعني: يعتقدونه، لا تأمر الناس بشيء لا تعتقده، لا تأمرهم إلا بما تعتقد، ولا ترض للناس إلا ما ترضاه لنفسك.

قوله: (وَبِكُلِّ مَا ذَكَرْنَا مِنْ قَوْلِهِمْ نَقُولُ وَإِلَيْهِ نَذْهَبُ، وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللهِ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ)، هذه هي النتيجة، يقول أبو الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَبِكُلِّ مَا ذَكَرْنَا) في هذه المسائل (نَقُولُ)، فهذا تراجع منه عما كان عليه من قبل.

قوله: (وَإِلَيْهِ نَذْهَبُ)، هذه قاصمة الظهر للأشاعرة الذين ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري وهم على خلافه في هذه الأشياء، هو صرح بأنه رجع، والإنسان إذا رجع عن مذهب، فلا ينسب إليه ذلك المذهب الذي رجع عنه، هو رجع، وهذا تصريح، وهذه وثيقة في كتبه، وهي مطبوعة وموجودة، فالانتساب إلى مذهبه الأول يظنون أنهم أشاعرة هذا كذب، ليسوا أشاعرة، وإنما هم كلابية.



وَقَالَ الأَشْعَرِيُّ أيضًا «فِي اخْتِلافِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فِي الْعَرْشِ»: (قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَأَصْحَابُ الْحَدِيثِ: لَيْسَ بِجِسْمٍ، وَلا يُشْبِهُ الأَشْيَاءَ، وَأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وَلا نَتَقَدَّمُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِي الْقَوْلِ، بَلْ نَقُولُ: اسْتَوَى بِلَا كَيْفٍ، وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وَأَنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ وَمَلائِكَتُهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢]، وَأَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ(١)، وَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا إِلَّا مَا وَجَدُوهُ فِي الْكِتَابِ وَجَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ: إِنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ بِمَعْنَى: اسْتَوْلَى.

وَذَكَرَ مَقَالَاتٍ أُخْرَى(٢).

الشَّرح

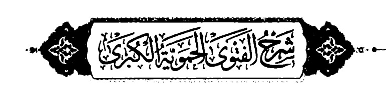
قوله: (وَقَالَ الأَشْعَرِيُّ أيضًا «فِي اخْتِلافِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ فِي الْعَرْشِ»: قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَأَصْحَابُ الحَدِيثِ: لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلا يُشْبِهُ الأَشْيَاءَ، وَأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥])، ليس الله بجسم، وهذا ليس على إطلاقه، فالجسم لم يرد نفيه ولا إثباته في الكتاب والسنة في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنحن لا نثبته ولا ننفيه.

قوله: (لَيْسَ بِجِسْمٍ)، ما قاله أهل السنة وأهل الحديث؛ لأنه لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) حديث النزول سبق تخريجه (ص١٨١).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص٢١١).



قوله: (وَلا يُشْبِهُ الأَشْيَاءَ)، نعم، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، (وَلا يُشْبِهُ الأَشْيَاءَ)، نعم صحيح هذا؛ أن الله جَلَّوَعَلَا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤].

قوله: (وَأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)؛ كما جاء في القرآن، نثبت هذا أنه استوى على العرش، والعرش هو أكبر المخلوقات وأعلاها، ولا يعلم عِظَمَهُ إلا الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَلا نَتَقَدَّمُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِي الْقَوْلِ، بَلْ نَقُولُ: اسْتَوَى بِلَا كَيْفٍ)، لا نؤول الاستواء، ونؤول العرش كما يفعل المبتدعة، بل العرش مخلوق حقيقي، وهو أعظم المخلوقات وأعلاها، والله استوى على العرش، نثبت هذا، ولانتأول، ولا نقول: استوى بمعنى استولى؛ كما يأتي.

(وَلا نَتَقَدَّمُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ فِي الْقَوْلِ)، الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات:١]، الواجب علينا الامتثال، ولا نقول: (لو قيل كذا، لو قيل استولى)، هذا لا يجوز، نحن لا نقدم الاقتراحات على الله أو على رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أو الاستدراكات؛ نستدرك على الله ورسوله، ونقول: (هذا ما يليق بالله)، الله أعلم بنفسه، لو كان هذا ما يليق به، لما أثبته بنفسه، هل أنت أعلم من الله؟! فلو كان الاستواء على العرش لا يليق بالله، لم يثبته لنفسه.

قوله: (وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧])، ونثبت أن لله وجهًا، وهذا من صفات الذات الإلهية، ونثبت الوجه لله؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، فأثبت لنفسه الوجه، فنحن نثبته لله

عَزَّوَجَلَّ، ولكن لا نقول: (إن وجهه كوجوه المخلوقين، أو يشبه وجوه المخلوقين)؛ كما تقوله الممثلة، ولا ننفيه عن الله بحجة التنزيه؛ كما تقوله المعطلة، بل نثبت لله وجهًا كما أثبته لنفسه، ونتوقف عند هذا.

قوله: (**وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾** [ص:٧٥])، وكذلك نثبت لله اليدين؛ كما قال تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]، يعني: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، خلقه الله بيديه، وهذا من خصائص آدم أن الله خلقه بيديه، فنؤمن أن لله يدين، وجاء هذا في أدلة أخرى كثيرة؛ إثبات اليدين: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، إلى غير ذلك، فنثبت اليدين لله عَزَّوَجَلَّ، ونثبت اليمين، ونثبت الشمال، وهي يمين -أيضًا- كما في الحديث(١)، فنثبت لله اليدين، وأن الله يقبض بهما، ويطوي السماوات والأرضين بيديه.

قوله: (**وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾** [القمر:١٤]) ﴿تَجْرِى﴾ سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ تجري في عباب الماء ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾، أي: بمرأى منا وحفظًا منا، فالله هو الذي يسيرها فوق أمواج المياه التي أغرقت أهل الأرض، ولم يبق إلا من ركب في السفينة مع نوح، ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾؛ إثبات العينين لله، وقال: أعيننا؛ لأن الضمير ضمير الجمع، فجُمعت الأعين لمناسبة ضمير الجمع.

قوله: (**وَأَنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَ وَمَلائِكَتُهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾** [الفجر:٢٢])؛ كما تقدم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢٨) (١٨٢٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ** عَزَّوَجَلَّ، **وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**».

قوله: (وَأَنَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ)، كذلك نثبت أن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: «**هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟**»[(١)]، ولذلك يُستحب للإنسان أن يكون مستيقظًا في هذه الساعة، يدعو الله ويستغفره ويسأله؛ لينال الإجابة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنحن نثبت النزول لله، ولا نقول: (كيف ينزل؟)، فكيفية النزول لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن النزول ثابت، وأن الله ينزل كيف يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (وَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا إِلَّا مَا وَجَدُوهُ فِي الْكِتَابِ وَجَاءَتْ بِهِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، هذا مذهب أهل السنة والجماعة وسلف الأمة، أنهم لا يقولون في حق الله تعالى إلا ما جاء في الكتاب والسنة، لا يقولون بأفكارهم وعقولهم، وإنما يقتصرون على ما جاء في الكتاب والسنة، هذا هو المنهج السليم.

قوله: (وَقَالَتِ الْمُعْتَزِلَةُ: إِنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ بِمَعْنَى: اسْتَوْلَى، وَذَكَرَ مَقَالَاتٍ أُخْرَى)، المعتزلة هم الذين اعتزلوا أهل السنة والجماعة، وانحازوا إلى دعاة الضلال، من أئمتهم واصل بن عطاء، اعتزلوا مجالس أهل العلم من السلف مجلس الحسن البصري وغيره، وكونوا حلقة لهم، واستمر هذا فيهم، فالمعتزلة صار لهم مذهب غير مذهب أهل السنة، وانحازوا عنهم، وصاروا يؤولون الأسماء والصفات، ويحرفونها، ولا يثبتون معانيها، وإن كانوا يثبتون ألفاظها، لكن يحرفون معناها، ويفسرونها بغير تفسيرها، وتبعهم على ذلك الأشاعرة والماتريدية ومن ابتُلوا بالتأويل هم على مذهب المعتزلة، والمعتزلة على مذهب الجهمية، فهم بعضهم من بعض.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨١).

وَقَالَ -أَيْضًا- أَبُو الْحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ «الإِبَانَةَ فِي أُصُولِ الدِّيَانَةِ»، وَقَدْ ذَكَرَ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ آخِرُ كِتَابٍ صَنَّفَهُ، وَعَلَيْهِ يَعْتَمِدُونَ فِي الذَّبِّ عَنْهُ عِنْدَ مَنْ يَطْعَنُ عَلَيْهِ. فَقَالَ: (فَصْلٌ فِي إِبَانَةِ قَوْلِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ): فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: قَدْ أَنْكَرْتُمْ قَوْلَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، والْجَهْمِيَّةِ، وَالْحَرُورِيَّةِ، وَالرَّافِضَةِ، وَالْمُرْجِئَةِ، فَعَرِّفُونَا قَوْلَكُم الَّذِي بِهِ تَقُولُونَ، وَدِيَانَتَكُم الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ.

قِيلَ لَهُ: قَوْلُنَا الَّذِي نَقُولُ بِهِ وَدِيَانَتُنَا الَّتِي نَدِينُ بِهَا: التَّمَسُّكُ بِكَلَامِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا، وَمَا رُوِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَنَحْنُ بِذَلِكَ مُعْتَصِمُونَ، وَبِمَا كَانَ يَقُولُ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ -نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ، وَأَجْزَلَ مَثُوبَتَهُ- قَائِلُونَ، وَلِمَا خَالَفَ قَوْلَهُ مُخَالِفُونَ؛ لأَنَّهُ الإِمَامُ الْفَاضِلُ وَالرَّئِيسُ الْكَامِلُ الَّذِي أَبَانَ اللهُ بِهِ الْحَقَّ، وَدَفَعَ بِهِ الضَّلَالَةَ، وَأَوْضَحَ بِهِ الْمِنْهَاجَ، إِمَامٍ مُقَدَّمٍ، وَجَلِيلٍ مُعَظَّمٍ، وَكَبِيرٍ مُفْهِمٍ.

الشَّرْح

قوله: (وَقَالَ -أَيْضًا- أَبُو الحَسَنِ الأَشْعَرِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ «الإِبَانَةَ فِي أُصُولِ الدِّيَانَةِ»)، هذا كتاب مختصر صغير الحجم؛ ولكنه عظيم الفائدة، صرح فيه بأنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وأهل السنة.

قوله: (وَقَدْ ذَكَرَ أَصْحَابُهُ أَنَّهُ آخِرُ كِتَابٍ صَنَّفَهُ، وَعَلَيْهِ يَعْتَمِدُونَ فِي الذَّبِّ عَنْهُ عِنْدَ مَنْ يَطْعَنُ عَلَيْهِ)، هم باعترافهم أن كتاب «الإبانة» هو آخر كتاب صنفه، وقد وافق فيه أهل السنة، هذا باعتراف أصحابه، وبعضهم ينكر، ويقول: (هذا الكتاب ليس هو آخر ما كتب)، ويغالطون في هذا.



قوله: (فَقَالَ: «فَصَلٌ فِي إِبَانَةِ قَوْلِ أَهْلِ الحَقِّ وَالسُّنَّةِ» فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: قَدْ أَنْكَرْتُمْ قَوْلَ المُعْتَزِلَةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، والجَهْمِيَّةِ، وَالحَرُورِيَّةِ، وَالرَّافِضَةِ، وَالمُرْجِئَةِ، فَعَرِّفُونَا قَوْلَكُم الَّذِي بِهِ تَقُولُونَ، وَدِيَانَتَكُم الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ)، (أَنْكَرْتُمْ قَوْلَ المُعْتَزِلَةِ)، عرفنا المعتزلة.

(وَالْقَدَرِيَّةِ)، فيشمل القدرية نفاة القدر، ويشمل القدرية الذين هم المجبرة الجبرية، وهم الجهمية، الذين تكلموا في القدر بغير حق، وأهل السنة والجماعة يثبتون القضاء والقدر على ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما المعتزلة، فقد نفوا القدر، وأما الجهمية، فقد غلوا في إثبات القدر، حتى قالوا: (إن العباد مجبرون على أفعالهم، ليس لهم فيها اختيار)، هؤلاء القدرية، لكن إذا أطلق لفظ القدرية، ففي الغالب أنه يُراد به المعتزلة النفاة.

(وَالحَرُورِيَّةِ)، هم الخوارج؛ نسبة إلى حروراء موضع اجتمعوا فيه، فصار الخارجي حروري.

(وَالرَّافِضَةِ)، هم الشيعة الإمامية، فرقة من الشيعة يُقال لهم: الرافضة، ويُقال لهم: الإمامية، ويقال لهم: الاثنا عشرية، ويقال لهم: الجعفرية، ويقال لهم: الموسوية. كلها أسماء لهذه الطائفة التي تدَّعي أن الوصيَّ بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأن الخلافة له، وأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ظلموه واغتصبوا الخلافة، وأنها تبقى في ذريته الاثني عشر إمامًا؛ ولذلك يسمون «الاثنا عشرية»، ويسمون بالإمامية، آخرهم الذين يسمونه المنتظر، الذي ينتظرونه، يقولون: (اختفى في السرداب، وسيظهر)، وهذا من الكذب؛ لأنه لما انقطع نسلهم في قديم الزمن، احتالوا بهذه الحيلة، قالوا: (إن الحسن العسكري دخل ولده في السرداب، واختفى)، وهو ما له ولد، الحسن العسكري ليس له ولد، هو عقيم ما يولد له،

قالوا: (لا، له ولد دخل في السرداب، وسيظهر)، هذا من الكذب على الناس؛ ولذلك ينتظرونه، ويقولون: (عجل الله فرجه، والقائم المنتظر عجل الله فرجه)، وهذا مما يضحك العقلاء عليهم؛ حيث إنهم ينتسبون إلى إمام غير موجود؛ ولذلك لا يصلون جماعة حتى يأتي المنتظر ويصلي بهم؛ لأنهم ما يصلون إلا خلف إمام معصوم.

(وَالْمُرْجِئَةِ)، عرفناهم فيما سبق، الذين يقولون: (إن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان)، هؤلاء هم المرجئة.

قوله: **(قِيلَ لَهُ: قَوْلُنَا الَّذِي نَقُولُ بِهِ، وَدِيَانَتُنَا الَّتِي نَدِينُ بِهَا: التَّمَسُّكُ بِكَلَامِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا، وَمَا رُوِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الحَدِيثِ)**، هذا مذهبه أنه يعتمد على الكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وأنه اعتزل مذهب المعتزلة والكلابية والفرق الضالة، وانحاز إلى مذهب أهل السنة، فكيف بعد هذا التصريح يُشكك في رجوعه؟!!.

قوله: **(وَنَحْنُ بِذَلِكَ مُعْتَصِمُونَ، وَبِمَا كَانَ يَقُولُ أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ -نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ، وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ، وَأَجْزَلَ مَثُوبَتَهُ- قَائِلُونَ، وَلِمَا خَالَفَ قَوْلَهُ مُخَالِفُونَ)**، هو صرح بأنه على مذهب أهل السنة والجماعة، ولاسيما إمام أهل السنة، وهو الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي ثبت عند المحنة، وصبر على التعذيب، وأبى أن يقول بخلق القرآن، ووقف في وجوه المعتزلة والجهمية حتى نصره الله عليهم، وثبت به الحق، فهذا الإمام الجليل صار إمام أهل السنة في وقته.

قوله: **(لأَنَّهُ الإِمَامُ الْفَاضِلُ، وَالرَّئِيسُ الْكَامِلُ الَّذِي أَبَانَ اللهُ بِهِ الحَقَّ، وَدَفَعَ بِهِ الضَّلالَةَ، وَأَوْضَحَ بِهِ المِنْهَاجَ، وَقَمَعَ بِهِ بِدَعَ المُبْتَدِعِينَ، وَزَيْغَ الزَّائِغَيْنِ، وَشَكَّ**



الشَّاكِّينَ، فَرَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ إِمَامٍ مُقَدَّمٍ، وَجَلِيلٍ مُعَظَّمٍ، وَكَبِيرٍ مُفْهِمٍ)، هذا ثناء على الإمام أحمد، وهو كذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستحق الثناء، لكن أهل الضلال يضيقون بذكر الإمام أحمد، ولا يحبون ذكره، ويسمونه بالمجسم، يسمون الحنابلة بالمجسمة، إلى غير ذلك، لماذا؟ لأنهم تمسكوا بما عليه سلف الأمة، وأبوا أن يقولوا بأقوال الخلف المخالفة لما عليه مذهب أهل السنة والجماعة؛ فلذلك يحتقرون الحنابلة غاية الاحتقار، ويصفونهم بالتجسيم، ويصفونهم بالصفات القبيحة، ولكن هذا لا يضر، والحمد لله.

وَإِذَا أَتَـتْـكَ مَـذَمَّـتِي مِـنْ نَاقِصٍ   فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي فَاضِلُ[1]

فالإنسان لا ينظر لثناء الناس أو لمدح الناس، وإنما ينظر إلى ما هو عليه، وإن كان على حق، فليثبت، ولا يهمه الناس، وإن كان ليس على حق، يتراجع، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.



(١) هذا البيت من الأمثال السائرة من شعر أبي الطيب المتنبي. انظر: الأمثال السائرة من شعر المتنبي (ص٣١)، والوساطة بين المتنبي وخصومه (ص١٧٧)، والتمثيل والمحاضرة (ص١١١)، والحماسة المغربية (٢/ ١٢٥٦).

وَجُمْلَةُ قَوْلِنَا: أَنَّا نُقِرُّ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَبِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَبِمَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا نَرُدُّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، وَأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَرْدٌ صَمَدٌ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَوَلَدًا، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَنَّ اللهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ بِلَا كَيْفٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ بِلَا كَيْفٍ؛ كَمَا قَالَ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وَأَنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ غَيْرُهُ، كَانَ ضَالًّا.

الشَّرح

قوله: (وَجُمْلَةُ قَوْلِنَا: أَنَّا نُقِرُّ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَبِمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَبِمَا رَوَاهُ الثِّقَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا نَرُدُّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا)، يقول: إننا نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ومن الإيمان بالرسل الإيمان بما صح عن الرسول ﷺ من الأحاديث الصحيحة، فنحن نقول بما صح عن رسول الله ﷺ؛ لأن هذا من الإيمان بالرسول ﷺ، كيف تؤمن بالرسول ﷺ وأنت تكذبه في أحاديثه؟! فهذا تناقض، فالذي يؤمن بالرسول ﷺ يصدق أقواله وأفعاله وما جاء عنه ﷺ.

قوله: (وَأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَرْدٌ صَمَدٌ لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَوَلَدًا) (وَأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ)، في الربوبية وفي الألوهية وفي الأسماء والصفات، واحد في جميع أنواع التوحيد، لا يشاركه أحد.



(**لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**)، لا معبود بحق إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا معنى (لا إله إلا هو)، لا معبود بحق إلا هو سبحانه، أما ما يُعبد غيره، فهو بغير حق، وإلا فهناك معبودات، وهناك آلهة كثيرة، ولكنها بغير حق، فكلمة «لا إله إلا الله» أبطلت جميع المعبودات من دون الله إلى أن تقوم الساعة.

(**لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً ولا وَلَدًا**)، فالله جَلَّ وَعَلَا غني عن الزوجة، وغني عن الولد، كل مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض عباد لله سبحانه، والولد يُشبه الوالد، والله لا شبيه له، والولد جزء من الوالد، والله جَلَّ وَعَلَا ليس له جزء من خلقه، فالله منزه عن الزوجة، ومنزه عن الولد؛ لأن هذا لا يكون إلا للمحتاج، والله غني سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يحتاج إلى خلقه، فهذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

قوله: (**وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ**)، وهذا هو الجزء الثاني من الركن الأول من أركان الإسلام، فالركن الأول من أركان الإسلام شهادة (أن لا إله إلا الله)، ومعناها أن تثبت لله ما أثبته لنفسه، وأن تعبده وحده لا شريك له، ومعنى شهادة (أن محمدًا رسول الله) أن تتبعه، وتطيعه، وتحبه، وتناصره، وتؤمن بما جاء به وما صح عنه، تؤمن بذلك؛ ولذلك يُجمل الشيخ محمد بن عبد الوهاب شهادة أن محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع[1]. فهذا مجمل معنى شهادة أن محمدًا رسول الله.

(**وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ**)، هذا فيه رد على الغلاة الذين يجعلون الرسول بمنزلة الله، ويعبدونه، ويتقربون إليه بالعبادة.

---

(١) انظر: أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ص١٣).

(**وَرَسُولُهُ**)، هذا رد على الجفاة الذين يجحدون رسالة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من اليهود والنصارى.

(**أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى**)، يعني: بالعلم النافع.

(**وَدِينِ الْحَقِّ**)، هو العمل الصالح، لم يرسله بالعلم فقط، ولم يرسله بالعمل فقط، وإنما أرسله بالاثنين: (بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ)، بالعلم النافع والعمل الصالح؛ لأن العمل بدون علم لا ينفع، وهو ضلال، والعلم بدون عمل هذا حجة على الإنسان، ولا ينفعه، فلا بدّ من الاثنين.

قوله: (**وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ**)، نؤمن بيوم القيامة وما يكون فيه، ومنه الإيمان بالجنة والنار؛ كما جاء في الحديث: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ**»[1]، فلابد من الإيمان بالجنة والنار، ومن آمن بالجنة والنار، فإنه يعمل الأعمال الصالحة، ويترك الأعمال السيئة؛ لأن الأعمال الصالحة زاد للجنة، والأعمال السيئة زاد للنار، فيتجنب ما يوصله للنار، ويعمل بما يوصله إلى الجنة.

قوله: (**وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**)، هذا من الإيمان باليوم الآخر، (وَأَنَّ السَّاعَةَ)، أي: قيام الساعة، وهي: انتقال الناس من الدنيا إلى الآخرة، وأن هذه الدنيا لها نهاية، وأن الآخرة هي دار القرار، فنؤمن بقيام الساعة، هذا حق لا ريب فيه؛ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الحج:٦٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج:٥-٧]، أنتم تشاهدون الآن الأرض قاحلة ما فيها شيء جدباء، وهي مشتملة على بذور، ساكنة فيها، فإذا جاء المطر، ارتفعت التربة، ثم نبتت هذه البذور الميتة التي مر عليها سنون، تضربها الشمس وهي ميتة كأن ليس فيها شيء، فالذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها ألا يقدر على إحياء الأموات من قبورهم؟! ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج:٦، ٧].

قوله: (وَأَنَّ اللهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥])، كذلك من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يؤمنون أَنَّ اللهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، والاستواء فسره السلف بمعانٍ: ارتفع وعلا، وصعد واستقر، هذه معانيه عند أهل السنة والجماعة؛ لهذا يقول الإمام ابن القيم(١):

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ ... قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ

وَهْيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ ارْ ... تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

---

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٤٤٠-٤٤١)

وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ أَرْبَعٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ(١) صَاحِبُ الشَّيْبَانِي(٢)

يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تِفْسِيرِهِ أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

قوله: (وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧])، هذا كله في كتاب «الإبانة»، هذا نقل آخر من كتاب «الإبانة»، والنقل الأول من كتابه «المقالات».

قوله: (وَأَنَّ لَهُ يَدَيْنِ بِلَا كَيْفٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، وَأَنَّ لَهُ عَيْنَيْنِ بِلَا كَيْفٍ؛ كَمَا قَالَ: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤])، فإذا قلت: لماذا كرر؟ فنقول: هذا من كتاب، وهذا من كتاب آخر؛ لأجل التثبت من أن هذا ثابت عن هذا الإمام.

قوله: (وَأَنَّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ غَيْرُهُ، كَانَ ضَالًّا)؛ كما سبق، هل الاسم غير المسمى أم هو المسمى؟ نقول: الاسم هو المسمى، والذي يقول: إنه غير المسمى، فهذا ضال.

---

(١) هو الإِمَامُ، العَلَّامَةُ، البَحْرُ، أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى التَّيْمِيُّ مَوْلَاهُمْ، البَصْرِيُّ، النَّحْوِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. وُلِدَ: فِي سَنَةِ عَشْرٍ وَمائَةٍ، فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُوُفِّيَ فِيهَا الحَسَنُ البَصْرِيُّ. حَدَّثَ عَنْ: هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، وَرُؤْبَةَ بنِ العَجَّاجِ، وَأَبِي عَمْرِو بنِ العَلَاءِ، وَطَائِفَةٍ. قِيْلَ: مَاتَ سَنَةَ تِسْعٍ وَمائَتَيْنِ. وَقِيْلَ: مَاتَ سَنَةَ عَشْرٍ انظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٣٣٨)، وسير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٥)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٢٠١)، وإكمال تهذيب الكمال (١١/ ٣٠٣).

(٢) هو إِسْحَاق بْن مِرار، أبو عَمْرو الشَّيْبانيُّ الكُوفيُّ، صاحبُ اللغة. حَدَّثَ عَنْ: ركن الشاميّ، وغيره. وأخذ العربية عَنْ جماعة، ونزل بغداد، وطال عمره. وكان موثقًا فيما ينقله. أخذ عَنْهُ ابنه عَمْرو، وأحمد بْن حنبل، وأبو عُبَيْد، ومحمد بْن حبيب. وكان ثعلب يفضله على أبي عبيدة، وكان صاحب دين ونزاهة وصدق. وله عدة تصانيف في اللغة. تُوُفّي سنة عشر ومائتين، وله نيف وتسعون سنة. وقيل: بل جاوز المائة. انظر: تاريخ بغداد (٧/ ٣٤٠)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٣٠)، والأعلام (١/ ٢٩٦).

وَذَكَرَ نَحْوًا مِمَّا ذَكَرَ فِي «الْفِرَقِ»، إِلَى أَنْ قَالَ: وَنَقُولُ: إِنَّ الإِسْلامَ أَوْسَعُ مِن الإِيمَانِ، وَلَيْسَ كُلُّ إِسْلامٍ إِيمَانًا.

وَنَدِينُ بِأَنَّ اللهَ يُقَلِّبُ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، **وَأَنَّهُ** عَزَّوَجَلَّ **يَضَعُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ والأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ؛ كَمَا جَاءَت الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشَّرْح

قوله: (وَذَكَـرَ نَحْوًا مِمَّا ذَكَرَ فِي «الْفِرَقِ») (في الفِرق)، يعني: في كتاب «المقالات»، كتاب «المقالات» يُسمى كتاب «الفرق».

قوله: (وَنَقُولُ: إِنَّ الإِسْلامَ أَوْسَعُ مِن الإِيمَانِ، وَلَيْسَ كُلُّ إِسْلامٍ إِيمَانًا)، ما زال النقل مستمرًا عن أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة»، وهو الكتاب الذي رجع فيه عن مذهب الاعتزال ومذهب الكلابية في كثير من المسائل إلى مذهب أهل السنة والجماعة، ونقل منه الشيخ نقلًا طويلًا؛ ليُبين الرد على الأشاعرة الذين ينتسبون إلى هذا الإمام، مع أنهم يخالفونه فيما صرح به في آخر حياته من رجوعه إلى مذهب أهل السنة والجماعة، فلو كانوا صادقين في انتسابهم إليه، لأخذوا بقوله الأخير، ورجعوا مثله، ولكن هذه البلية موجودة حتى عند غير الأشاعرة، فكثير من المؤولة والمعتزلة -بل والجهمية- ينتسب إلى أحد المذاهب الأربعة -كمذهب الإمام مالك، أو مذهب أبي حنيفة، أو مذهب الشافعي، أو مذهب أحمد-، ينتسب إليه في الفقه فقط، وأما في العقيدة، فهو على مذهب المخالفين، فيكثر المعتزلة في الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، يكثر المعتزلة والأشاعرة، فهم خالفوا الأئمة الأربعة في الاعتقاد، وإن وافقوهم

في مسائل الفقه وقواعد المذهب، وهذه بلية ومصيبة، بحيث إن الجاهل يظن أن مذهبهم هذا هو مذهب الإمام الذي ينتسبون إليه، وهذا من التزوير والكذب على الأئمة.

فالواجب أن يتنبه هؤلاء لهذه المسألة، وأن يتنبه الناس -أيضًا- لهؤلاء وخداعهم.

فالإمام أبو الحسن الأشعري في مسألة الإسلام والإيمان والإحسان كما جاء في حديث جبريل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحضرة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقال: «يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا**، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: **أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١) فجعل الدين ثلاث مراتب، كل واحدة أعلى من التي قبلها، فأوسعها الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان، وهو أعلاها.

فالإسلام يدخل فيه كل من استسلم والتزم بأداء الفرائض، سواءً كان منافقًا، أو كان مؤمنًا، المنافقون يسمون مسلمين؛ لأنهم استسلموا وانقادوا في الظاهر، فيُطبق عليهم حكم الإسلام، وتوكل سرائرهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويعاملون على أنهم مسلمون، وأما كونهم لا يعتقدون هذا في نفوسهم، هذا لايعلمه إلا الله،

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٢٥).



وهو الذي سيحاسبهم؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ»(١)، فالإسلام يدخل فيه المنافق الذي استسلم في الظاهر دون الباطن، ويدخل فيه المؤمن ضعيف الإيمان، ولكن هذا أحسن حالًا من المنافق، هذا مؤمن، ولكنه ضعيف الإيمان؛ ولهذا لما ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]، فهم ادعوا شيئًا لم يصلوا إليه بعد، وسيصلون إليه؛ لأن الله قال: ﴿وَلَمَّا﴾، و«لما» تفيد توقع الشيء في المستقبل، فهذه بشارة لهم بأنهم سيتمكنون من الإيمان، فيُطلق الإسلام على المؤمن ضعيف الإيمان، حتى لو ما عنده من الإيمان إلا حبة خردل، فهو مسلم مؤمن، فهو ناقص الإيمان.

ويُطلق على المؤمن الذي عنده كبائر من الذنوب دون الشرك، فهذا مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن فاسق، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته؛ كما هو مذهب أهل السنة والجماعة. هذا كله يدخل في الإسلام.

أما الإيمان، فلا يدخل فيه إلا من كان مسلمًا في الظاهر ومؤمنًا في الباطن، ولو كان إيمانه ضعيفًا أو عنده فسق، فهو يدخل في مسمى الإيمان، ولا يدخل فيه المنافق؛ ولذلك صار الإسلام أوسع من الإيمان، والإيمان أخص، بحيث لا يدخل فيه المنافق.

أما الإحسان، فهو أعلى؛ «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**» على اليقين، كأنك ترى الله من قوة اليقين وقوة الإيمان، «**كَأَنَّكَ تَرَاهُ**»، ما قال: تراه؛ لأنه لا يُرى في الدنيا، ولكن من قوة يقينك وإيمانك كأنك ترى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا أقوى، «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣).

هذا ما بين الإسلام والإيمان والإحسان من الترابط، فيجب أن نعرف هذا، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلمٍ مؤمنًا؛ فقد يكون منافقًا، فالإيمان أعم من الإسلام.

قوله: (**الإِسْلامَ أَوْسَعُ مِن الإِيمَانِ وَلَيْسَ كُلُّ إِسْلامٍ إِيمَانًا**)، ليس كل مسلم مؤمنًا؛ لأنه يدخل فيه المنافق الذي هو في الدرك الأسفل من النار، ولكن نحن ليس لنا إلا الظاهر؛ نقبل علانيته، ونكل سريرته إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (**وَنَدِينُ بِأَنَّ اللهَ يُقَلِّبُ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ)، جاء الحديث بأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكثر أن يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ وَالْأَبْصَارِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»[1].

---

(١) رُوِيَ هذا الحديثُ عن عدد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ منهم: أنسٌ، وعائشة، وأم سلمة، والنَّوَّاس بن سَمْعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

فأما حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فأخرجه الترمذي (٢١٤٠) وحسَّنه، وابن ماجه (٣٨٣٤)، وأحمد (١٩/ ١٦٠)، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**».

وحديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أخرجه الإمام أحمد (١٥/ ٢٤٦) والنسائي في الكبرى (١٠٠٦٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا قَالَ: «**يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ**». وأخرج الإمام أحمد (٤٣/ ٢٣٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٤) و(٢٣٣) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ**». فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ -وفي لفظ: فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ-: إِنَّكَ تُكْثِرُ أَنْ تَقُولَ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ وَطَاعَتِكَ**»؟ قَالَ: «**وَمَا يُؤْمِنِّي؟! وَإِنَّمَا قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ**». وأخرج أحمد (٤١/ ١٥١)، والنسائي في الكبرى (٧٦٩٠)، عن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَعَوَاتٌ كَانَ =

فتقول له عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في ذلك: هَلْ تَخْشَى يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَيَقُولُ: «**وَمَا يُؤَمِّنُنِي يَا عَائِشَةُ وَالقُلُوبُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ -أو: يَقْلِبَ- قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ**»[1]، وهذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ -الذي كسر الأصنام وابتلي وامتحن، وأُلقي في النار بسبب ذلك- خاف على نفسه أن يعود إلى عبادة الأصنام، وأن قلبه يزيغ، إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يُزكي نفسه؛ ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، فالإنسان لا يزكي نفسه، ولا يأمن من الفتنة.

والخليلان: إبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام- لم يأمنا على أنفسهما من الزيغ، فلا أحد يأمن، بل الإنسان يسأل الله الثبات على الدين، وكم ممن زاغ وهلك وراح في الفتن، وكان من قبل مؤمنًا عالمـًا، ثم زاغ وصار من أهل الضلال

= رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُكْثِرُ تَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ، فَقَالَ: «**إِنَّ قَلْبَ الْآدَمِيِّ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ**».

وحديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أخرجه الإمام أحمد (٤٤/ ١٣٨، ١٣٩) عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**».

وحديث النَّوَّاسِ بن سَمْعانَ الكلابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أخرجه ابن ماجه (١٩٩)، والنسائي في الكبرى (٧٦٩١) عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ**»، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**». قَالَ: «**وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ، يَرْفَعُ أَقْوَامًا وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**».

وأخرج البخاري (٧٣٩١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «**أَكْثَرُ مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْلِفُ: لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**».

(١) تقدم تخريجه في الحاشية السابقة.

-والعياذ بالله-، فالفتن خطيرة جدًّا على الإنسان أنه يقلب معها، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(١)، إذا اشتدت الفتن، فإن الإنسان يكون على خطر، فعلى المسلم أن يكثر من سؤال الله الثبات وحسن الخاتمة، وأن لا يغتر بنفسه، أو يأمن من الزيغ والضلال؛ لأنه إذا أمن، يمتحن ويُبتلى، وإذا خاف، فإنه يحذر، ويتجنب هذه الأمور، هذا من الفقه في دين الله عَزَّوَجَلَّ.

وفي الحديث ثبوت الأصابع لله عَزَّوَجَلَّ، وهي ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله: (بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ) لا يلزم منه أن القلب ملتصق بأصابع الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، البينية لا تقتضي الملاصقة؛ كأن تقول مثلًا: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٤]، هذا في القرآن ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هل السحاب ملتصق بالسماء أو ملتصق بالأرض؟ لا، هو بينهما، فالبينية لا تقتضي الالتصاق، فلا يفهم أحد أن قلوب العباد ملتصقة بأصابع الرحمن، ولكنه جَلَّ وَعَلَا يتصرف فيها.

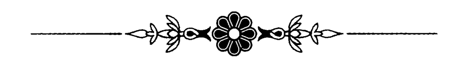
قوله: (مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ)، الله له أصابع، جاء في الحديث: «جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٦) (١١٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**».

قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ الآيَةَ»[١]، على الأصابع كما في الحديث، فالأصابع ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ، وهي خمسة كما جاء في الحديث.

قوله: (وَأَنَّهُ عَزَّوَجَلَّ يَضَعُ السَّمَاوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ، والأَرَضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ؛ كَمَا جَاءَتِ الرِّوَايَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، هذا يدل على عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، السماوات كلها على إصبع، والأرضين كلها على إصبع، فهذا يدل على عظمة الله، وأنه ليس كإصبع المخلوق، فلا يفهم أحد إذا قيل: أصابع الرحمن. أنها مثل أصابع المخلوق، بل هي أصابع تليق بالله جَلَّوَعَلَا.



(١) أخرجه البخاري (٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَنُسَلِّمُ بِالرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **الَّتِي رَوَاهَا الثِّقَاتُ عَدْلًا عَنْ عَدْلٍ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشَّرح

قوله: (إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَنَّ الإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ)، الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل، هذا تعريف مختصر؛ قول اللسان وقول القلب، وعمل اللسان وعمل القلب، فاللسان له قول، والقلب له قول، واللسان له عمل، والقلب له عمل، فإذا أجملت تقول: الإيمان قول وعمل، وإذا فصلت تقول: الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، هذا تعريف الإيمان.

(يَزِيدُ وَيَنْقُصُ)؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا أخبر أنه يزيد؛ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢]، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١]، فدَلَّ على أن الإيمان يزيد، يزيد بأي شيء؟ يزيد بالطاعات، كلما عمل الإنسان طاعة، زاد إيمانه، وينقص بأي شيء؟ ينقص بالمعاصي، حتى يكون مثل حبة الخردل، وذلك أضعف الإيمان، فكلما عصى الله، نقص إيمانه، وليس الإيمان يزول بالمعاصي -كما تقوله الخوارج والمعتزلة-، ولكنّه ينقص، ويتضرر الإيمان بالمعاصي -لا كما تقوله المرجئة-، يقولون: (لا يضر مع الإيمان معصية)، هذا باطل، بل يتضرر، وينقص نقصانًا عظيمًا.

الخلاصة: فالإيمان لا يزول بالمعاصي -كما تقوله الخوارج.

ولا يُقال: (إن المعاصي لا تضر الإيمان)؛ كما تقوله المرجئة. فهم على طرفي النقيض.

والعدل هو ما قاله أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعاصي.

وإذا علم الإنسان هذا، فإنه يتعاهد إيمانه، ويكثر من الطاعات حتى يزيد، ويتجنب المعاصي حتى لا ينقص، أنت لو كان معك رأس مال، ألست تحركه بالبيع والشراء حتى يزيد وينمو، وتحافظ عليه؛ لئلا يُسرق أو يحترق؟ كذلك إيمانك من باب أولى يجب عليك أنك تنميه وتزيده، وتحذر من نقصه وزواله.

قوله: (وَنُسَلِّمُ بِالرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ **الَّتِي رَوَاهَا الثِّقَاتُ عَدْلًا عَنْ عَدْلٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ** ﷺ**)**، ولا نعترض بأفهامنا وعقولنا، سواءً عرفنا المعنى أو لم نعرفه، عرفنا الحكمة أو لم نعرفها، نسلم؛ لأن الرسول معصوم، لا ينطق عن الهوى ﷺ، ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم:٤]، فكلامه حق ﷺ، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟**﴾ [الحشر:٧]، فنسلم للأحاديث الصحيحة.

والحديث الصحيح: هو ما رواه عدل تام الضبط عن مثله من بداية السند إلى نهايته(١)، هذا هو الحديث الصحيح، سواءً كان متواترًا أو كان آحادًا.

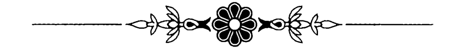
والآحاد ينقسم إلى: مشهور وعزيز وغريب، فنؤمن به سواءً كان متواترًا أو آحادًا، ما دام صح سنده عن رسول الله ﷺ، ونقبله في العقيدة وفي غيرها؛ لأنه ﷺ لا يقول إلا حقًّا، ولا ينطق عن الهوى، فالذين يفرقون

---

(١) انظر: (ص١١٨).

بين السنة والقرآن، ويقولون: (نأخذ بالقرآن ونترك السنة)، هؤلاء أهل ضلال، وهذا كفر بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن من معنى شهادة أنه رسول الله تصديقه فيما أخبر، فهؤلاء لم يصدقوه فيما أخبر، فمعناه أن هذا كفر، وأيضًا القرآن أحالنا على السنة؛ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣، ٤]، «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»[1]، فهم كذبوا، ولم يعملوا بالقرآن.

وكذلك الذين لا يأخذون من السنة إلا المتواتر، ويقولون: (المتواتر يفيد اليقين والعلم، وأما الآحاد فلا يفيد العلم واليقين)، يفيد الظن عندهم، ولايأخذون به في العقائد، وهم علماء الكلام، وهذا باطل؛ لأن ما صح عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو حق في العقيدة وفي غيرها، ويفيد العلم، إن لم يفده حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما الذي يفيده؟ قالوا: (نعم، يفيده البراهين العقلية، وقواعد المنطق، هي التي تفيد اليقين)، هذا يقين من عندكم أنتم، وإلا فنحن لا نؤمن بهذه القاعدة، ولاتفيد اليقين؛ لأنها من صنع وعمل البشر، سبحان الله! الذي لا ينطق عن الهوى كلامه لا يفيد اليقين، وقواعدكم تفيد اليقين؟! هذا كلام خطير جدًّا.



(١) سبق تخريجه (ص٥٨٥).



إِلَى أَنْ قَالَ: وَنُصَدِّقُ بِجَمِيعِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي يُثْبِتُهَا أَهْلُ النَّقْلِ مِنَ النُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ الرَّبَّ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟»[1]، وَسَائِرُ مَا نَقَلُوهُ وَأَثْبَتُوهُ، خِلَافًا لِمَا قَالَ أَهْلُ الزَّيْغِ وَالتَّضْلِيلِ.

وَنُعَوِّلُ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ عَلَى كِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا، وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ، وَلَا نَبْتَدِعُ فِي دِينِ اللهِ مَا لَمْ يَأْذَنْ لَنَا بِهِ، وَلَا نَقُولُ عَلَى اللهِ مَا لَا نَعْلَمُ، وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢].

الشَّرح

قوله: (**إِلَى أَنْ قَالَ: وَنُصَدِّقُ بِجَمِيعِ الرِّوَايَاتِ الَّتِي يُثْبِتُهَا أَهْلُ النَّقْلِ مِنَ النُّزُولِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا**)، هذا مجمل، التفاصيل مثلًا: النزول هذا من الأحاديث الصحيحة، فنؤمن بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: «**هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟**»، والذين يجحدون النزول يقولون: (لأن فيه تشبيهًا، والنزول يكون للمخلوق، ينزل من مكان إلى مكان هذا للمخلوق، ويقتضي الحركة والانتقال)، نقول: هذا نزول المخلوق، وأما نزول الخالق، فهو يليق به سبحانه، ينزل كيف يشاء، ولا نتدخل في كيفية النزول كسائر صفاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فهو يفعل ما يشاء سبحانه، وما يليق به عَزَّوَجَلَّ، وهو أعلم بنفسه، ورسوله أعلم الخلق به، وهو الذي أخبرنا عن النزول، فنؤمن بذلك.

(**أَهْلُ النَّقْلِ**)، يعني: أهل الحديث.

---

(١) حديث النزول سبق تخريجه (ص١٨١).

قوله: (وَأَنَّ الرَّبَّ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟»)، أن الذي يقول: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟»[1] هو الرب سبحانه، لا كما يقوله أهل الباطل أن الذي يقوله ملك من الملائكة، أو ينزل أمره، يقولون: (لا ينزل الله بذاته، وإنما ينزل أمره، أو ينزل ملك من الملائكة)، نقول: هذا باطل، هل الملك أو الأمر يقول: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟»، هل الملك يقدر على هذا؟ «هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟» الملك هو الذي يتوب؟! الملك هو الذي يعطي؟! الملك هو الذي يغفر؟! تعالى الله عما يقولون! ولكن الحمد لله أن كل آية أو حديث يستدل بها مبطل فيها رد عليه، فهذا الحديث يرد عليهم تمامًا.

قوله: (وَسَائِرُ مَا نَقَلُوهُ وَأَثْبَتُوهُ خِلَافًا لِمَا قَالَ أَهْلُ الزَّيْغِ وَالتَّضْلِيلِ)، (وَسَائِرُ مَا نَقَلُوهُ)، لا نشك في هذا، فسائر ما أثبته أهل النقل وأهل الحديث فنحن نؤمن به، ونأخذ به في العقائد وفي غيرها، هذا هو الواجب؛ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٦٤]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠]، فيجب التسليم للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والعمل بسنته الثابتة عنه، واعتقاد ما فيها، لا فرق بينها وبين القرآن الكريم؛ لأن الكل من عند الله.

قوله: (خِلَافًا لِمَا قَالَ أَهْلُ الزَّيْغِ) من تحريف للكلم عن مواضعه، والتأويل الباطل، نحن نتجنب هذه الأمور، بل نسلم للروايات الصحيحة، ولا نتدخل

---

(١) سبق تخريجه (ص١٨١).

في تأويلها أو التشكيك فيها، هذه قواعد عظيمة يعرفها طالب العلم؛ لأجل أن يقاوم بها أهل الباطل، تكون سلاحًا بيد طالب العلم.

قوله: (**وَنُعَوِّلُ فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ عَلَى كِتَابِ رَبِّنَا، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا، وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَمَا كَانَ فِي مَعْنَاهُ**)، الخلاف وقع، طبيعة البشر هكذا، ومدارك البشر تختلف، فسيحصل اختلاف، ولكن الاختلاف يحسم بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا اختلفت أنا وأنت أو فلان وفلان، فالواجب علينا أن نرجع إلى الكتاب والسنة للفصل بيننا؛ من معه الحق ومن هو مخطئ؟ هذا هو الواجب، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي**»[١]، الحمد لله! الله لم يكلنا إلى الاختلاف وآراء الرجال، وإنما وضع لنا الميزان الذي نزن به الأقوال والاختلافات، هذا من رحمة الله بنا، لم يتركنا لآرائنا وأفكارنا، وإنما أنزل علينا كتابًا يستمر معنا وبين أيدينا، وسنة ثابتة عن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نرجع إليهما في النزاعات، في جميع ما اختلفنا فيه: في العقائد، في المذاهب، في العبادات، في الخصومات والمنازعات في الأموال، بعض الناس ما يرى إلا الرجوع في الخصومات والمنازعات بين الناس، تحكيم الشريعة يقول، نعم تحكيم الشريعة، ولكن ليس تحكيمها في جانب دون جانب، بل تحكيمها في كل شيء: في الآراء، وفي المذاهب، وفي العقائد، وفي الأموال، وفي جميع أنواع الاختلاف نحكم الشريعة، ونأخذ الصواب، ونترك الخطأ، هذا هو الواجب، أما

---

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

أننا نحكم الشريعة في شيء، ونهملها في أشياء كثيرة، فهذا من الذين يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض؛ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة:٨٥]، الله جَلَّ وَعَلَا حرم على بني إسرائيل أن يقتل بعضهم بعضًا، وأن يُخرج بعضهم بعضًا من ديارهم؛ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ﴾ [البقرة:٨٣-٨٥]، يقتلونهم، ويخرجونهم، ولكن إذا أُسروا يفدونهم، أخذوا ببعض الشريعة، وتركوا بعضها، تركوا تحريم القتل وتحريم الإخراج من البلد، وأخذوا بمسألة واحدة، وهي فداء الأسرى؛ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، هذا ما هو خاص ببني إسرائيل، هذا أنزله الله علينا من أجل ألا نسلك هذا المسلك، فنحن نحكم الشريعة في كل شيء، لا في شيء دون شيء، هذا هو الواجب.

قوله: (وَإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ)، أولًا: الكتاب هذا أصل الأدلة، ثانيًا: السنة الثابتة عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن لم يكن هناك دليل من الكتاب والسنة، نأخذ بما أجمع عليه العلماء، بما أجمعت عليه الأمة، والإجماع حجة قاطعة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ



﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هذا هو المخالف للإجماع توعده الله عَزَّوَجَلَّ، فنأخذ بالإجماع إذا لم يكن هناك دليل من الكتاب أو من السنة؛ لأن هذه الأمة لا تُجمع على ضلالة، فإذا لم نجد الإجماع، نرجع إلى القياس، فنقيس الأشياء بأشباهها، والقياس: هو إلحاق فرع بأصل في الحكم لعلة جامعة بينهما[1]. وهذا دليل صحيح عند جمهور العلماء، ولكن لا يُصار إليه إلا بعد الكتاب والسنة والإجماع يؤخذ بالقياس.

قوله: (وَلا نَبْتَدِعُ فِي دِينِ اللهِ مَا لَمْ يَأْذَنْ لَنَا بِهِ)، نتقيد في دين الله؛ لأن الدين توقيفي، والعبادات توقيفية، والعقيدة توقيفية، فنحن لا نحدث فيها أشياء من عند أنفسنا، بل نتوقف على ما جاء في الكتاب والسنة، ومن أحدث عبادة ليس لها دليل في كتاب الله أو سنة رسوله، فإنها باطلة مردودة عليه، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**»[2]، وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»[3]، فأمور الدين لا يجدد فيها ويُحدث فيها شيء ليس له أصل؛ «**إِيَّاكُمْ وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[4]، والدين كامل، شهد الله له بالكمال، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣]، الدين كامل -ولله الحمد- لا يحتاج إلى إضافات وإلى استحسانات يحدثها الناس، فكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل بدعة يجب الحذر منها؛ ردًا على الذين يقولون: (هذه عبادات، وفيها خير، ومقاصد

---

(١) انظر: روضة الناظر (٢/ ٢٢٧)، وقواعد الأصول (٧٩)، وشرح الكوكب المنير (٤/ ٥)، ومختصر ابن اللحام (١٤٢)، ومذكرة الشنقيطي (٢٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) واللفظ له، من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٣) أخرجه مسلم (١٧١٨)، ورواه البخاري معلقًا في كتاب البيوع - باب النَّجْش (٤/ ٣٥٦ مع الفتح)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (١٣/ ٣١٧ مع الفتح).

(٤) سبق تخريجه (ص٣١).

أهلها طيبة)، نقول: لا، هذه باطلة، وما علينا من مقاصد أهلها، البدعة لا يجوز الأخذ بها، وإن كان نية صاحبها حسنة، هذا لا يُبرر إحداث البدع، قالوا: (هذه بدعة حسنة)، نقول: لا، هذه بدعة ضلالة، الرسول ﷺ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة، يقول: «**وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وأنت تقول: (لا، هناك بدعة حسنة)، هذا كذب على الله وعلى رسوله، فليس في البدع شيء حسن، بل كلها ضلالة، ولكن البدع في الدين، أما البدع في العادات وفي الملابس والمآكل والمشارب والمراكب، فهذه تتغير بتغير الزمان، هذه ليست عبادات، هذه عادات، والله خلق لنا ما في الأرض جميعًا، كل ما فيها من المنافع والخيرات فإننا نستغله وننتفع به، وإن لم يكن له سابق في الزمان الأول، الأصل الإباحة في الأطعمة والأشربة والملابس والمراكب، الأصل الحل، إلا ما دل الدليل على تحريمه، وأما العبادات، فالأصل فيها التحريم، إلا ما دل الدليل على مشروعيته، هذه هي القاعدة المنضبطة التي عليها أهل السنة والجماعة، فلا مجال للبدع والمحدثات؛ لأن البدع تحل محل السنن، كلما أحدث قوم بدعة، رُفع نظيرها من السنن، حتى تكون السنن مهجورة والبدع معمورة، وفي آخر الزمان تحدث البدعة، حتى إذا غُيرت السنة، وإذا عُمل بالسنة، قيل: عُمل بالبدعة؛ لأن الناس تركوها، فأنت إذا عملتها، صارت بدعة عند الناس، وهي سنة الرسول ﷺ، لكن يلتبس الأمر في آخر الزمان، حتى إنهم يعتقدون الحقَّ باطلًا والباطل حقًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، وهذا بسبب سكوت العلماء عن بيان هذا الأمر للناس، سكوت المدرسين، السكوت في الخطب وفي المحاضرات والمؤلفات والصحف والمجلات، يجب أن يكون للعلماء موقف من هذه الأمور حتى تضمحل البدع ولا تنتشر؛ لأن لها دعاة يصبرون عليها، ويطورونها، ويرغبون فيها؛ لأن الشيطان يؤزهم على

نشر البدع، حتى الآن يذكرون في الجوالات أنه هناك من يرسل رسائل للناس: اعملوا في يوم كذا وكذا، تصدق في يوم كذا، اعمل كذا. هذه بدع ما أنزل الله بها من سلطان، فيجب الحذر من دعاة الضلال، من كتب هذه الرسالة وصورها مئة صورة، عشرين صورة، يرفع ويأتيه راتب طيب، ومن كذب بها، فإنه يُعاقب. فالجهال يبادرون بنشرها، ولا يرجعون إلى أهل العلم والبصيرة، يخافون يتأثرون بما فيها من التخويف، ويرغبون بما فيها من الوعود، فالواجب أنها تقاوم هذه الأشياء، ولايُفسح لها المجال أبدًا، ولا يُتساهل فيها، ما يُقال: (هذا كلام جهال فقط اتركوه)، لا، لازم يُبين للناس؛ لأنهم لا يعلمون أن هذا كلام جهال، الناس كل عندهم عالم، الذي يكتب والذي يتكلم هذا عالم، ولا يعلمون، الشيخ فلان يقولون، دون تمييز، فلابد من قائم بالكتاب والسنة، لابد من البيان للناس، وعدم التساهل والمجاملة، لا يجوز هذا، هم يجدون في نشر البدع والمحدثات، ويخسرون أموالًا، ونحن نسكت، ونقول: (اتركوهم هذه أشياء تافهة)، لا، الشيء إذا أهمل، زاد، إذا أُهمل الشيء -وإن كان في الأول تافهًا يسيرًا-، يتضخم ويزيد.

قوله: (وَلا نَقُولُ عَلَى اللهِ مَا لَا نَعْلَمُ)، هذا أشد من الشرك، وهو الإفتاء بغير علم، تقول: (الله أحل هذا، أو الله حرم هذا) بدون دليل من كتاب الله وسنة رسوله، هذا هو القول على الله بغير علم، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٣]، فجعل القول على الله بغير علم أشد من الشرك، مع شدة الشرك -نسأل الله العافية-، كثير من الناس يفتي بفكره أو برأيه أو بـما استحسن بدون دليل، أو يفتي وهو ليس عنده علم، فالذي يفتي وهو ليس عنده علم هذا قال على الله بغير علم، داخل في هذه الآية، ﴿ **وَلَا تَقُولُواْ لِمَا**

تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل:١١٦]، فشأن الفتوى خطير جدًّا، ولهذا كان السلف على غزارة علمهم لتقواهم وخشيتهم من الله كانوا يتدافعون الفتوى، ولايفتي الواحد منهم إلّا عند الضرورة، إذا لم يوجد غيره، فإنه يضطر إلى أن يُفتي، أما إذا وجد غيره من هو أعلم منه، أو من يقوم بالفتوى، فإنه يحيل، ليسلم من خطر الفتوى؛ لئلا يزل فيها، فيحصل على الإثم والعقوبة، كانوا يتدافعون الفتوى، بينما كثير من الناس اليوم يتدافعون على الفتوى، يتدافعون من الحرص عليها، وهذه فتنة -ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله: (وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾)، يقول أبو الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَنَقُولُ: إِنَّ اللهَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)؛ كما أخبر عن نفسه بقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢١، ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة:٢١٠]، فنثبت أن الله يجيء يوم القيامة بذاته، وأنه يأتي لفصل القضاء بين عباده بذاته، وأهل الضلال يقولون: (يأتي أمره، ويجيء أمره)، وينفون أن الله يجيء بذاته، وهذا خلاف ما أخبر به الله عن نفسه؛ أنه يأتي، وأنه يجيء يوم القيامة على ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.



وَأَنَّ اللهَ يَقْرَبُ مِنْ عِبَادِهِ كَيْفَ شَاءَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، **وَكَمَا قَالَ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾** [النجم:٨، ٩].

إِلَى أَنْ قَالَ: وَسَنَحْتَجُّ لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَوْلِنَا وَمَا بَقِيَ مِمَّا لَمْ نَذْكُرْهُ بَابًا بَابًا.

ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى أَنَّ اللهَ يُرَى، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى مَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنِ، وَقَالَ: لَا أَقُولُ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ. وَرَدَّ عَلَيْهِ.

الشرح

قوله: (**وَأَنَّ اللهَ يَقْرَبُ مِنْ عِبَادِهِ كَيْفَ شَاءَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾، وَكَمَا قَالَ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾**)، نؤمن بأن الله فوق سماواته مستو على عرشه، وأنه قريب من عباده، لا يُفهم من كونه فوق السماوات وأنه مستو على العرش أنه بعيد عن عباده، بل هو قريب منهم، كما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، ﴿وَالظَّاهِرُ﴾، يعني: العالي فوق مخلوقاته، ﴿وَالْبَاطِنُ﴾، يعني: القريب من عباده، فهو قريب في علوه عليٌّ في دنوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا ما يوصف به الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق:١٦]، الله يعلم وساوس النفس -الوساوس: الخواطر التي في النفس- قبل أن يتكلم، الله يعلمها، وهو قريب من عبده، أقرب إلى عبده من حبل الوريد، حبل الوريد: هو العرق، والوريدان في جانبي العنق، وفي الحديث: «**وَالَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى**

أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ»(١)، الله قريب جَلَّوَعَلَا من عباده، ولكنه قرب يليق بجلاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ليس قرب مخالطة وممازجة؛ ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ** ﴾ [آل عمران:٥].

قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ** ﴾، هذا فيه تفسير: هل الذي دنا هو الله أو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾ [النجم:١٣]، رأى مَنْ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أما الله، فإنه لا يُرى في الدنيا، ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على صورته الملكية مرتين:

* مرة وهو في الأرض في الأبطح، رفع رأسه، فإذا جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بين السماء والأرض على صورته الملكية(٢). هذه المرة الأولى.

* نزلة أخرى ليلة المعراج رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على صورته الملكية(٣)، ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٤٦) (٢٧٠٤)، واللفظ له، من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، قال زر بن حبيش في قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ** ﴾ [النجم:١٠] قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ مَسْعُودٍ: «أَنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ، لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»، ورواه مسلم (٢٨٠) (١٧٤)، ورواه البخاري أيضًا (٣٢٣٥) من حديث عائشة قالت: «ذَاكَ جِبْرِيلُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ، وَإِنَّهُ أَتَاهُ هَذِهِ المَرَّةَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ الأُفُقَ»، ورواه مسلم (٢٨٧) (١٧٧)، (٢٩٠) (١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (٢٨٧) (١٧٧) عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: «كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ** ﴾ [التكوير:٢٣]، ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ** ﴾ [النجم:١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: **إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ...**» الحديث.



يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٣-١٨]، بهذا السياق في أول السورة: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾، رأى جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ ﴾ [النجم:٨-١٠]، أوحى جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ ﴾، أي: عبد الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ ﴾، كل السياق في جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

قوله: (**إِلَى أَنْ قَالَ: وَسَنَحْتَجُّ لِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَوْلِنَا وَمَا بَقِيَ مِمَّا لَمْ نَذْكُرْهُ بَابًا بَابًا**)، قال: إنه سيحتج، يعني: يستدل على كل ما ذكر في هذا الكتاب، كتاب «الإبانة»؛ لأن هذا هو الواجب أن العالم إذا ذكر حكمًا، يذكر دليله من كتاب الله وسنة رسوله، ولاسيما ما يتعلق بالعقيدة، فإنه يجب ذكر الدليل، ولا يقول الإنسان بفكره أو برأيه أو بقول فلان أو فلان، لا، يذكر ما قام عليه الدليل.

قوله: (**ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى أَنَّ اللهَ يُرَى، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ**)، ثم ذكر أبو الحسن الأشعري أن الله يُرى، أثبت الرؤية لله عَزَّوَجَلَّ؛ كما جاء ذلك في القرآن وفي السنة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، إذا دخلوا الجنة يرون ربهم عيانًا بأبصارهم، وهذا مما يكرمهم الله به يوم القيامة، ويعطيهم قوة يستطيعون بها أن يروا الله عَزَّوَجَلَّ، أما في هذه الدنيا، فالمخلوقات لا تقوم لجلال الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ ولهذا لما سأل موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا ﴾ [الأعراف:١٤٣]، الجبل صار ترابًا، الجبل الصلب صار ترابًا من عظمة الله، فكيف الإنسان يستطيع أن يرى الله؟ وفي الحديث: «**حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ**

مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»(١)، فالله جَلَّ وَعَلَا لا يُرى في هذه الدنيا؛ لأن الناس لا يقدرون على رؤية الله، ولكن في الآخرة يعطيهم الله قوة، فيستطيعون أن يروا ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ إكرامًا لهم، لما آمنوا به في الدنيا، ولم يروه، جازاهم الله على ذلك بأن ظهر لهم، وتجلى لهم، فرأوه عيانًا؛ إكرامًا لهم، أما الكفار، فبالعكس؛ لما لم يؤمنوا به في هذه الدنيا، حجبهم الله عن رؤيته، وحرمهم من رؤيته في الآخرة ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥](٢)، والجزاء من جنس العمل.

قوله: (**ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَاسْتَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ**)، هذه مسألة الجهمية، الذين يقولون: (القرآن مخلوق)، سبق بيانها، فأبو الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ ينفي هذا القول، فيقول: (القرآن غير مخلوق -كما يقوله أهل السنة والجماعة-، بل هو كلام الله جَلَّ وَعَلَا لفظه ومعناه).

قوله: (**ثُمَّ تَكَلَّمَ عَلَى مَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنِ وَقَالَ: لَا أَقُولُ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَلا غَيْرُ مَخْلُوقٍ. وَرَدَّ عَلَيْهِ**)، مسألة الوقف التي مرت بنا، التوقف، يقولون: (توقفوا، لاتقولوا: مخلوق، ولا غير مخلوق)، لا، لا نتوقف، لابد أن نبين أن القرآن غير مخلوق، نصرح؛ لأن التوقف هذا فيه إضفاء للستر على باطلهم، لما أحسوا بالخطر، ورأوا أنهم مغلوبون، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، قالوا: (توقفوا في هذه المسألة، اتركوها، لا تقولوا فيها شيئًا)، يريدون أن يستروا باطلهم، فنحن لانسكت، بل نفضحهم، ونقول: (القرآن كلام الله غير مخلوق)، لو كان من الأول ما حصل كلام، ما تكلمنا، ولكن بعدما أنهم قالوا بباطلهم، وأباحوا بباطلهم، نسكت ونتوقف؟ لا، هذا لا يجوز؛ ولهذا لما قيل للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الوقف،

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٥٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٤٢٢).

قال: «لا»، لو كان هذا من الأول نعم، أما بعدما قالوا هذه المقالة، فلابد أن يُبين أن القرآن غير مخلوق، فهم يريدون التستر على مذهبهم، هؤلاء الواقفة.

قوله: (مَنْ وَقَفَ فِي الْقُرْآنِ)، وقف يعني: قال: (لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق)، هذا لا يجوز الوقف، لا بد أن تصرّح وتقول: (لا، القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود)، لابد.

قوله: (وَقَالَ: لَا أَقُولُ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَلا غَيْرُ مَخْلُوقٍ. وَرَدَّ عَلَيْهِ)، بل إنه غير مخلوق، يجب أن نصرح ولا نتوقف، ونرد على صاحب الباطل.



ثُمَّ قَالَ: (بَابٌ فِي ذِكْرِ الاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ).

فَقَالَ: إِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا تَقُولُونَ فِي الاسْتِوَاءِ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ اللهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، **وَقَدْ قَالَ اللهُ:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، **وَقَالَ:** ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨]، **وَقَالَ:** ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، **وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ:** ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر:٣٦، ٣٧]، **كَذَّبَ مُوسَى فِي قَوْلِهِ: إِنَّ اللهَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، وَقَالَ:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك:١٦]، **فَالسَّمَاوَاتُ فَوْقَهَا الْعَرْشُ، فَلَمَّا كَانَ الْعَرْشُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ قَالَ:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾**؛ لأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا عَلَا فَهُوَ سَمَاءٌ، فَالْعَرْشُ أَعْلَى السَّمَاوَاتِ، وَلَيْسَ إِذَا قَالَ:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ **يَعْنِي جَمِيعَ السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْعَرْشَ الَّذِي هُوَ أَعْلَى السَّمَاوَاتِ، أَلَا تَرَى أَنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **ذَكَرَ السَّمَاوَاتِ فَقَالَ:** ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح:١٦] **فَلَمْ يُرِدْ أَنَّ الْقَمَرَ يَمْلَؤُهُنَّ، وَأَنَّهُ فِيهِنَّ جَمِيعًا.**

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ قَالَ: «بَابٌ فِي ذِكْرِ الاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ». فَقَالَ: إِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا تَقُولُونَ فِي الاسْتِوَاءِ؟ قِيلَ لَهُ: إِنَّ اللهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، وَقَدْ قَالَ اللهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾)، صرَّح رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإثبات الاستواء على العرش؛ كما أثبته الله لنفسه، فنثبته على حقيقته، استواءً يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا هو الحق، فهو وافق على مذهب

أهل السنة والجماعة في هـذا، وأثبت العلـو لله في قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾؛ لأن الصعود لا يكون إلا إلى أعلى، ففي هذا إثبات علو الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ واستوائه على عرشه.

قوله: (وَقَالَ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾)، ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ أي: عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، لما حاصره اليهود، دخلوا عليه ليقتلوه، أخرجه الله من بينهم، وهم لايشعرون، ورفعه إليه حيًّا، رفعه حيًّا بروحه وجسمه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأنجاه الله منهم، وهم يزعمون أنهم قتلوه؛ ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١٥٧]، هم ما قالوا: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾، هذا من الله جَلَّوَعَلَا، أثبت أنه رسوله، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، ألقى الله شبه المسيح على رجل معهم، فقتلوه يظنون أنه المسيح، قيل: إنه الرجل الذي دلهم عليه، على عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ. وقيل: أنه الرجل الذي خيره الله بين أن يلقي شبه المسيح عليه، ويُقتل، ويكون من أهل الجنة، فاختار هذا أن يُلقى عليه الشبه، وأن يُقتل ويُصلب طمعًا في الجنة، ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، أي: ألقى الله شبهه على هذا الرجل، فقتلوه يظنونه المسيح، وهم ما جزموا أنـه المسيـح، بل هـم في تردد، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، وذكر أنهم وقعوا في اختلاف ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾، ما تيقنوا أنهم قتلوه، بل عندهم تردد ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾، هم مترددون، ما جزموا بقتله، ثم بيَّن سبحانه قال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾، فهذا فيه إثبات العلو لله؛ لأن الرفع لا يكون إلا إلى أعلى، وهذا الشاهد من الآية.

قوله: (وَقَالَ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾)، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ هذا من أدلة العلو؛ لأن العروج لا يكون إلا إلى أعلى، فدل على أن الله في العلو.

قوله: (وَقَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾، كَذَّبَ مُوسَى فِي قَوْلِهِ: إِنَّ اللهَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ)، هذا دليل على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر فرعون أن الله في السماء، فهو يريد أن يتظاهر بتكذيبه، وأمر وزيره أن يبني له صرحًا -يعني: بناءً مرتفعًا- ليصعد إلى السماء، يلبس على الناس، وإلا فإنه يعلم أنه ما يصل إلى السماء، ولكن هذا من التلبيس على الناس، وهو مهزوم، فالمهزوم دائمًا يتلمّس المخارج، فالتمس هذه الحيلة على السذج ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾، هذا دليل على أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبره بأن الله في السماء، وهو يريد أن يتظاهر بتكذيبه بهذه الحيل الباطلة.

قوله: (وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾) ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ كررها مرتين، ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ هو الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، فهو في السماء بمعنى في العلو: إن أريد بـ(السماء) العلو، فـ«في» على بابها للظرفية، وفي الحديث قال للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»[1].

وإن أريد بـ(السماء) السماوات المبنية، فإن «في» بمعنى «على»، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: على السماء؛ كما في قوله: ﴿سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١١]، فـ«في» تأتي بمعنى «على».

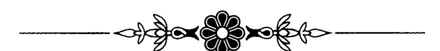
---

(١) سبق تخريجه (ص١٢٩).

قوله: (فَالسَّمَاوَاتُ فَوْقَهَا الْعَرْشُ، فَلَمَّا كَانَ الْعَرْشُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، قَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾؛ لأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا عَلَا فَهُوَ سَمَاءٌ، فَالْعَرْشُ أَعْلَى السَّمَاوَاتِ)، هذا على أن المراد السماء المبنية، وأن العرش فوقها، فتكون «في» بمعنى «على»؛ على العرش.

قوله: (وَلَيْسَ إِذَا قَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يَعْنِي جَمِيعَ السَّمَاءِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْعَرْشَ الَّذِي هُوَ أَعْلَى السَّمَاوَاتِ)، قلنا: إما المراد بالسماء العلو، فتكون «في» على بابها للظرفية، وأما أن يكون ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ المراد به السماوات المبنية والعرش فوقها، فتكون «في» بمعنى «على»؛ مثل: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

قوله: (أَلَا تَرَى أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ ذَكَرَ السَّمَاوَاتِ فَقَالَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح:١٦]، فَلَمْ يُرِدْ أَنَّ الْقَمَرَ يَمْلَؤُهُنَّ، وَأَنَّهُ فِيهِنَّ جَمِيعًا)، القمر في السماء الدنيا هو أقرب الأفلاك إلى الأرض، وهو في السماء الدنيا، ومع هذا قال: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾، ﴿فِيهِنَّ﴾، أي: في السماوات، وهو في واحدة منها، ما هو في كل سماء قمر، لا، القمر واحد، ولكنه لما كان في واحدة منهن، قال: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾، ﴿فِيهِنَّ﴾، يعني: في السماوات، ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح:١٥،١٦].



وَرَأَيْنَا الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ إِذَا دَعَوْا نَحْوَ السَّمَاءِ؛ لأَنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ، لَمْ يَرْفَعُوا أَيْدِيَهُمْ نَحْوَ الْعَرْشِ؛ كَمَا لَا يَحُطُّونَهَا إِذَا دَعَوْا إِلَى الأَرْضِ.

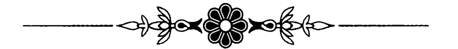
الشَّرْح

قوله: (**وَرَأَيْنَا الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ إِذَا دَعَوْا نَحْوَ السَّمَاءِ**)، هذا دليل الفطرة، لما ذكر نماذج من أدلة النقل، ذكر دليل الفطرة، وهو أن كل الناس -العربي والعجمي، والمتعلم والجاهل، والذكر والأنثى، والصغير والكبير- كلهم يتوجهون إلى السماء في الدعاء، من غير أن يأمرهم أحد، يقول: ارفعوا إلى السماء، لم يقل لهم أحد هذا، ولا تعلموا ولا تخرجوا من جامعات، ولا درسوا، في بادية في صحراء الواحد إذا دعا، يرفع يديه إلى السماء، هذه ضرورة في النفوس، فطرة فطر الله الناس عليها، فهذا دليل على علو الله على عرشه، دليل فطري؛ ولهذا عجز المؤولة أن يردوا على هذا الدليل، دليل الفطرة.

(**وَرَأَيْنَا الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا**)، ليس فقط المسلمين، كل الخلق حتى الكفار إذا اضطروا، وقعوا في الضرورة، رفعوا أيديهم إلى السماء، وتركوا ما يعبدون من الأصنام، وتوجهوا إلى الله جَلَّوَعَلَا: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل:٦٢]، الله جَلَّوَعَلَا هو الذي يُدعى، وهو الذي يكشف الضر، فالمشركون إذا كانوا في البحر، وضربتهم الأمواج، وخافوا من الهلاك، توجهوا إلى الله يدعونه، ونسوا أصنامهم، فإذا خرجوا إلى البر، عادوا إلى حالتهم من عبادة الأصنام.

قوله: (**لأَنَّ اللهَ عَلَى الْعَرْشِ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، فَلَوْلَا أَنَّ اللهَ عَلَى الْعَرْشِ لَمْ يَرْفَعُوا أَيْدِيَهُمْ نَحْوَ الْعَرْشِ، كَمَا لَا يَحُطُّونَهَا إِذَا دَعَوْا إِلَى الأَرْضِ**)، ليس هناك أحد

يمد يديه إلى الأرض، أو يمين أو شمال، بل كل الذين يسألون الله يرفعون أيديهم إلى السماء، هذا دليل فطري على أن الله في السماء، لا يتوجهون إلى أسفل، إلى يمين، إلى شمال أبدًا.



فَصْـلٌ

ثُمَّ قَالَ: وَقَدْ قَالَ قَائِلُونَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، والْجَهْمِيَّةِ، وَالْحَرُورِيَّةِ: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] أَنَّهُ اسْتَوْلَى وَمَلَكَ وَقَهَرَ، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَجَحَدُوا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا قَالَ أَهْلُ الْحَقِّ، وَذَهَبُوا فِي الاسْتِوَاءِ إِلَى الْقُدْرَةِ.

الشَّـرْح

قوله: (وَقَدْ قَالَ قَائِلُونَ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، والجَهْمِيَّةِ، وَالحَرُورِيَّةِ: إِنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] أَنَّهُ اسْتَوْلَى وَمَلَكَ وَقَهَرَ)، ما زال النقل مستمرًّا عن أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ واستنكاراته على المبتدعة ومقالاتهم في الأسماء والصفات، ومن ذلك قولهم في الاستواء، لما قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، وكان هذا في سبع آيات من كتابه الكريم، وكانوا لا حيلة لهم في جحد هذا، لجؤوا إلى التأويل، وهو صرف اللفظ عن مدلوله الصحيح إلى مدلول يخترعونه من عند أنفسهم، فقالوا: (استوى على العرش بمعنى استولى على العرش)، وهذا المعنى غير معروف في لغة العرب أن استوى بمعنى استولى، وقد رده شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عشرين وجهًا في مجموع الرسائل ومجموع الفتاوى الكبرى(١)؛ أنه ليس في لغة العرب أن استوى بمعنى استولى، إلا ما رووا من بيت ينسبونه إلى الأخطل(٢) يقول:

---

(١) سبق بيانها (ص١٨).

(٢) هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارق بن عمرو بن سيحان بن قدوكس الأخطل، الشاعر النصراني، قيل للفرزدق: من أشعر الناس؟ قال: كفاك بي إذا افتخرت، وبجرير إذا هجا، وبابن النصرانية إذا امتدح. وكان عبد الملك بن مروان يجزل عطاء الأخطل ويفضله في الشعر =

قد اسْتَوى بِشْرٌ على العِراقِ   من غير سيفٍ ولا دمٍ مُهْراقِ[(١)]

بشرٌ: يعني بشر بن مروان.

وهذا بيت غريب، ليس هو في لغة العرب، الظاهر أنه منحول، هذا من ناحية[(٢)].

الناحية الثانية: أنهم إذا فسروا استوى بمعنى استولى -أي: ملك-، لم يكن للعرش مزية على غيره من المخلوقات، فكل المخلوقات الله مستولٍ عليها، وكلها في ملكه، فلا فرق بين العرش وبين الأرض، وبين البحر وبين أي مكان، كلها في ملك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثالثًا: أنه يلزم من قوله: استولى وقهر وغلب، يلزم أنه كان قبل ذلك ليس مستوليًا، وإنما هذا العرش في ملك غيره، ثم استولى عليه؛ كما تقول: استولى الملك على البلد الفلاني. بمعنى أنه كان قبل ذلك في ملك غيره، ثم استولى عليه؛ مثل ما قال الشاعر: (اسْتَوى بِشْرٌ على العِراقِ من غير سيفٍ)، فهذا يلزم عليه أن العرش ليس في قبضة الله، ثم صار في قبضة الله بعد ذلك، وأن الله تغلب عليه وملكه، إلى غير ذلك مما يلزم على هذا القول الباطل من المعاني الفاسدة؛ ولذلك يبقى استوى على معناه الصحيح، استوى يعني: ارتفع على العرش، استوى: استقر، استوى: صعد على العرش؛ كما قال ابن القيم[(٣)]:

= على غيره. انظر: طبقات فحول الشعراء (٢/ ٢٩٨)، وتاريخ دمشق (٤٨/ ١٠٤، ١٠٥)، وسير أعلام النبلاء(٤/ ٥٨٩).

(١) انظر: لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة لأبي المعالي الجويني (ص١٠٨)، ومجموع الفتاوى (٥/ ١٤٦)، وإيضاح الدليل لابن جماعة (ص١٠٢).

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ ٢٣٨٥).

(٣) سبق عزوه (ص٨٦٤).

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ ... قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ
وَهْيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ ارْ ... تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ أَرْبَعٌ ... وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي
يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تِفَسِيرِهِ ... أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

هذه معاني الاستواء عند السلف، وليس من معناه أنه استولى أبدًا.

(الجَهْمِيَّةِ): أتباع الجهم بن صفوان الخبيث، الذي هو أول من انتحل هذا المذهب الباطل، يعني: أول من أظهره، وإلا هو ورثه عن الجعد بن درهم، والجعد بن درهم تلقاه عن اليهود، فهو مذهب منحدر عن اليهود، تلقته الجهمية، هؤلاء هم الجهمية.

(وَالحَرُورِيَّةِ)، يعني: الخوارج، والخوارج معروف أنهم لا علم عندهم، عندهم عبادة، حماس، غلو وإفراط، ولكن لا يعتد بتفسيرهم؛ لأنهم ليس عندهم علم أصلًا؛ لأنهم انعزلوا عن العلماء، وكونوا لهم علمًا من أدمغتهم وابتكارهم؛ كحالة الموجودين الآن من حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام الذين اعتزلوا عن العلماء، وكونوا لهم علمًا من عندهم، فهذه طريقة الحرورية، وهم الخوارج.

(المُعْتَزِلَةِ)، وهم أتباع واصل بن عطاء الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وكون له مجلسًا خاصًا، وانعزل عن علماء السلف، وأخذ مذهب الجهمية، مال إليه في كثير من المسائل. هؤلاء هم الذين انحرفوا عن جادة الصواب وعن مذهب السلف الصالح.

(اسْتَوْلَى وَمَلَكَ وَقَهَرَ)، وهذا التفسير باطل -كما سبق-، وإنما استوى بمعنى: ارتفع وعلا على العرش، استواء يليق بجلاله، وليس معناه أنه ملك أو استولى أو قهر.



قوله: (**وَأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فِي كُلِّ مَكَانٍ**)، هذا الذي حملهم على هذه المقالة القبيحة؛ لأنهم يرون أن الله في كل مكان، ولا ينزهونه عن المواضع القذرة والحشوش[1] ومواضع قضاء الحاجة -قبحهم الله-، فلما دمغهم قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾، وأن الله فوق مخلوقاته وعلى عرشه فوق سماواته، أخذوا يؤولونه؛ ليصححوا مذهبهم أن الله في كل مكان -تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا!

قوله: (**وَجَحَدُوا أَنْ يَكُونَ اللهُ عَلَى عَرْشِهِ كَمَا قَالَ أَهْلُ الحَقِّ**)، هذا الذي حملهم؛ أنهم يرون أن الله في كل مكان، لا أنه في العلو، ولا أنه على العرش، وإنما هو في كل مكان، وبعضهم يقول: (ليس له مكان، فليس داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا يمنى ولا يسرى، ولا.. ولا.. إلى آخره)، ومعناه: أن الله معدوم؛ لأن الذي ليس في جهة هذا معدوم، هذا ما يلزم على قولهم.

قوله: (**وَذَهَبُوا فِي الاسْتِوَاءِ إِلَى الْقُدْرَةِ**)، وأيضًا قالوا: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، يعني: قدر عليه، معنى ذلك أنه قبل لم يقدر؟ هذا من أبطل الباطل في حق الله جَلَّوَعَلَا.



---

(١) سبق بيان معنى الحشوش (ص١٤٣).

فَلَوْ كَانَ كَمَا ذَكَرُوهُ، كَانَ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْعَرْشِ والأَرْضِ السَّابِعَةِ؛ لأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

وَالأَرْضُ فَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهَا وَعَلَى الْحُشُوشِ[1]، وَعَلَى كُلِّ مَا فِي الْعَالَمِ، فَلَوْ كَانَ اللَّهُ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ بِمَعْنَى الاسْتِيلَاءِ -وَهُوَ عَزَّوَجَلَّ مُسْتَوْلٍ عَلَى الأَشْيَاءِ كُلِّهَا-، لَكَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ وَعَلَى الأَرْضِ وَعَلَى السَّمَاءِ وَعَلَى الْحُشُوشِ وَالأَقْذَارِ؛ لأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الأَشْيَاءِ مُسْتَوْلٍ عَلَيْهَا، وَإِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَى الأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَلَمْ يَجُزْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى الْحُشُوشِ وَالأَخْلِيَةِ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ الاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ بِمَعْنَى: الاسْتِيلَاءِ الَّذِي هُوَ عَامٌّ فِي الأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الاسْتِوَاءِ يَخُصُّ الْعَرْشَ دُونَ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا.

وَذَكَرَ دَلَالَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالإِجْمَاعِ وَالْعَقْلِ.

الشَّرح

قوله: (فَلَوْ كَانَ كَمَا ذَكَرُوهُ، كَانَ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْعَرْشِ والأَرْضِ السَّابِعَةِ؛ لأَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَالأَرْضُ فَاللهُ قَادِرٌ عَلَيْهَا وَعَلَى الْحُشُوشِ وَعَلَى كُلِّ مَا فِي الْعَالَمِ)، هذا رد أبي الحسن عليهم.

الله قادر على كل شيء، فمعناه أنه استوى على كل شيء؛ على الحش وعلى الجبل وعلى كل مكان -تعالى الله عما يقولون!

قوله: (فَلَوْ كَانَ اللهُ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ بِمَعْنَى الاسْتِيلَاءِ -وَهُوَ عَزَّوَجَلَّ مُسْتَوْلٍ عَلَى الأَشْيَاءِ كُلِّهَا)، كذلك لو فُسر الاستواء بالاستيلاء، لم يكن للعرش ميزة على غيره؛ لأن الله مالك لكل شيء ومستولٍ على كل شيء.

---

(١) سبق بيان معنى الحشوش (ص١٤٣).

قوله: (لَكَانَ مُسْتَوِيًا عَلَى الْعَرْشِ وَعَلَى الأَرْضِ وَعَلَى السَّمَاءِ وَعَلَى الْحُشُوشِ وَالأَقْذَارِ)؛ لأنها كلها داخلة في ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (لأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الأَشْيَاءِ مُسْتَوْلٍ عَلَيْهَا، وَإِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَى الأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَلَمْ يَجُزْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللهَ مُسْتَوٍ عَلَى الْحُشُوشِ وَالأَخْلِيَةِ، لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ الاسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ بِمَعْنَى: الاسْتِيلَاءِ الَّذِي هُوَ عَامٌّ فِي الأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الاسْتِوَاءِ يَخُصُّ الْعَرْشَ دُونَ الأَشْيَاءِ كُلِّهَا)، هذا كلام أبي الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو رد جيد في غاية الجودة.

قوله: (وَذَكَرَ دَلَالَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَالإِجْمَاعِ وَالْعَقْلِ) على هذا القول الذي هو قول السلف.



ثُمَّ قَالَ: (بَابُ الْكَلامِ فِي الْوَجْهِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْبَصَرِ وَالْيَدَيْنِ)، وَذَكَرَ الآيَاتِ فِي ذَلِكَ، وَرَدَّ عَلَى الْمُتَأَوِّلِينَ بِكَلامٍ طَوِيلٍ لا يَتَّسِعُ هَذَا الْمَوْضِعُ لِحِكَايَتِهِ؛ مِثْل: قَوْلِهِ: فَإِنْ سُئِلْنَا: أَتَقُولُونَ: لِلهِ يَدَانِ؟ قِيلَ: نَقُولُ ذَلِكَ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ بِيَدِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ»[(١)]، وَقَدْ جَاءَ فِي الْخَبَرِ الْمَأْثُورِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ شَجَرَةَ طُوبَى بِيَدِهِ»[(٢)]، وَلَيْسَ يَجُوزُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَلا فِي عَادَةِ أَهْلِ الْخِطَابِ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: عَمِلْتُ كَذَا بِيَدَيَّ. وَيُرِيدُ بِهِ النِّعْمَةَ، وَإِذَا كَانَ اللهُ إِنَّمَا خَاطَبَ الْعَرَبَ بِلُغَتِهَا، وَمَا يَجْرِي مَفْهُومًا مِنْ كَلامِهَا، وَمَعْقُولًا فِي خِطَابِهَا، وَكَانَ لا يَجُوزُ فِي خِطَابِ أَهْلِ اللِّسَانِ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: فَعَلْتُ بِيَدَيَّ. وَيَعْنِي بِهِ النِّعْمَةَ، بَطَلَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِيَدَيَّ﴾ النِّعْمَةَ.

وَذَكَرَ كَلامًا طَوِيلًا فِي تَقْرِيرِ هَذَا وَنَحْوِهِ.

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٥٠).

(٢) أخرج أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٥٥٥)، والدارقطني في الصفات (ص٢٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٤٧) عن عبدالله بن الحارث عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ تبارك وتعالى خَلَقَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ بِيَدِهِ: خَلَقَ آدَمَ ﷺ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ الْفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ»، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣/ ٤٣)، والطبري في تفسيره (١٨/ ١) موقوفًا على كعب الأحبار رضي الله عنه، وورد نحو هذا موقوفًا على ابن عمر، وجابر رضي الله عنهم.

وأخرج الطبري في تفسيره (١٣/ ١٤٩) من طريق معاوية بن قرة عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: «﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد:٢٩] شَجَرَةٌ غَرَسَهَا اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ بِالْحُلِيِّ وَالْحُلَلِ، وَإِنَّ أَغْصَانَهَا لَتُرَى مِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ».



الشَّرح

قوله: (ثُمَّ قَالَ: «بَابُ الْكَلامِ فِي الْوَجْهِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالْبَصَرِ وَالْيَدَيْنِ»)، أي: الكلام في إثبات صفات الذات لله عَزَّوَجَلَّ وصفات الأفعال.

قوله: (بَابُ الْكَلامِ فِي الْوَجْهِ)، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، فأثبت لنفسه الوجه، ووصفه بالجلال والإكرام، فهو وجه يليق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ، ليس مثل وجه المخلوق، وجه كل شيء يناسبه؛ فوجه المخلوق يناسبه، ووجه الحيوان يناسبه، ووجه الليل والنهار؛ ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران:٧٢]، وجه النهار يُناسب النهار، كل شيء له وجه يناسبه، فالله جَلَّوَعَلَا له وجه يناسب عظمته وجلاله.

قوله: (وَالْعَيْنَيْنِ)، الله جَلَّوَعَلَا له عينان؛ كما ثبت في الحديث الصحيح أن الدجال يأتي، ويدعي أنه الله، وهذا من شدة الفتنة التي تأتي معه، النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»(١)، فدل على أن الله له عينان سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وليس بأعور. وهاتان العينان لله تليقان بجلاله، ليست كعين المخلوق.

قوله: (وَالْبَصَر)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨]، والسمع والبصر ثابتان لله عَزَّوَجَلَّ، والمخلوق -أيضًا- له سمع وبصر، ولكن لا يتشابهان، كل صفاته تليق به، فسمع المخلوق وبصر المخلوق يليق بالمخلوق، سمع الخالق وبصر الخالق يليق بالخالق؛ ولهذا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فأثبت لنفسه السمع والبصر، ونفى المماثلة بينه وبين خلقه في السمع والبصر وفي غيرهما من الصفات.

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٣١)، ومسلم -واللفظ له- (١٠١) (٢٩٣٣) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قوله: (وَالْيَدَيْنِ) ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، أثبت الله لنفسه أن له يدين -تعالى الله وتقدس-، وهما يدان تليقان بجلاله وعظمته، ليست كيدي المخلوق، المخلوق له يدان، والله له يدان، لكن مع الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق، فالله يطوي السماوات بيمينه والأرض بشماله، وكلتا يديه يمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليست هي مثل يد المخلوق الصغيرة التي لا حساب لها في الخلق وعظمة الخلق، فيداه تليقان بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَذَكَرَ الآيَاتِ فِي ذَلِكَ)، ذكر الآيات الدالة على هذه الصفات.

قوله: (وَرَدَّ عَلَى الْمُتَأَوِّلِينَ بِكَلامٍ طَوِيلٍ)، رد أبو الحسن على المتأولين للوجه والعينين واليدين بكلام طويل يُبين بطلان قولهم، مثل قولهم: (المراد بالوجه الذات، والمراد باليدين القدرة، والمراد بالسمع والبصر العلم)، العلم غير السمع والبصر، ولا تُفسر صفة بصفة أخرى.

قوله: (لَا يَتَّسِعُ هَذَا الْمَوْضِعُ لِحِكَايَتِهِ)، وهو موجود في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة».

قوله: (مِثْل قَوْلِهِ: فَإِنْ سُئِلْنَا: أَتَقُولُونَ: للهِ يَدَانِ؟ قِيلَ: نَقُولُ ذَلِكَ، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾)، فأثبت لنفسه اليد مفردة، وأثبت له اليدين؛ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

قوله: (وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ بِيَدِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّتَهُ»)، الشاهد: «مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ بِيَدِهِ»، يد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا فيه إثبات اليد لله عَزَّ وَجَلَّ.



قوله: (وَقَدْ جَاءَ فِي الخَبَرِ المَأْثُورِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ شَجَرَةَ طُوبَى بِيَدِهِ»)، «خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ» هذا صريح في القرآن؛ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، الله خلق آدم بيده، هذا من خصائص آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

«وَخَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ»؛ لأن الجنات أنواع كثيرة، ومنها جنة عدن، خلقها الله بيده.

«وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ»، كتب التوراة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الألواح، وأنزلها على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الموعد الذي وعده إياه، وأعطاه الألواح، فذكر الله هذا، ولما رجع إلى بني إسرائيل ووجدهم قد عبدوا العجل من بعده غضب غضبًا شديدًا، وألقى الألواح من شدة الغضب، فتكسرت، ثم إنه بعدما ذهب عنه الغضب أخذ الألواح.

«وَغَرَسَ شَجَرَةَ طُوبَى بِيَدِهِ»، شجرة طوبى هي شجرة في الجنة، غرسها بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فهذا فيه إثبات اليد لله جَلَّ وَعَلَا، وأن الله خلق هذه الأشياء بيده، لا بأمره كسائر الكائنات؛ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، سائر المخلوقات خلقها بأمره، وأما آدم وأما شجرة طوبى وأما جنة عدن، فإن الله خلقها بيده، وكتب التوراة بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا فيه إثبات اليد لله حقيقية.

قوله: (وَلَيْسَ يَجُوزُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَلا فِي عَادَةِ أَهْلِ الخِطَابِ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: عَمِلْتُ كَذَا بِيَدَيَّ، وَيُرِيدُ بِهِ النِّعْمَةَ)، يعني: هل الله ليس له إلا نعمتان؟ ﴿بِيَدَيَّ﴾، يعني: بنعمتيَّ؟! الله له نعم كثيرة.

قوله: (وَإِذَا كَانَ اللهُ إِنَّمَا خَاطَبَ الْعَرَبَ بِلُغَتِهَا، وَمَا يَجْرِي مَفْهُومًا مِنْ كَلامِهَا، وَمْعُقولًا فِي خِطَابِهَا، وَكَانَ لَا يَجُوزُ فِي خِطَابِ أَهْلِ اللِّسَانِ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: فَعَلْتُ بِيَدَيَّ، وَيَعْنِي بِهِ النِّعْمَةَ، بَطَلَ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِيَدَىَّ﴾ النِّعْمَةَ. وَذَكَرَ كَلَامًا طَوِيلًا فِي تَقْرِيرِ هَذَا وَنَحْوِهِ)، قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾، فهذا دليل على أن المراد باليدين اليدان الحقيقيتان، وليس القدرة، وإنما اليد الحقيقية لله جَلَّ وَعَلَا.



وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ الْبَاقِلَّانِيُّ[1] الْمُتَكَلِّمُ -وَهُوَ أَفْضَلُ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الأَشْعَرِيِّ، لَيْسَ فِيهِمْ مِثْلُهُ لَا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ-، قَالَ فِي كِتَابِهِ «الإِبَانَةِ»[2] تَصْنِيفُهُ:

فَإِنْ قَالَ: فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ لِلَّهِ وَجْهًا وَيَدًا؟ قِيلَ لَهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، فَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ وَجْهًا وَيَدًا.

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ الْبَاقِلَّانِيُّ الْمُتَكَلِّمُ)، انتهى النقل عن أبي الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وانتقل إلى النقل عن أبي بكر الباقلاني، وهو إمام جليل أعطاه الله مقدرة فائقة على علم الجدل وإفحام الخصوم، وكان بليغًا فحلا، وكان الملك في وقته يرسله إلى الملوك لأجل أن يكلمهم وينوب عنه في مخاطباتهم؛ لقوة حجته وقوة عارضته، وإن كان عنده شيء من التأويل، فعنده من مذهب الأشاعرة، لكن عنده مزايا امتاز بها.

---

(١) هو محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني المتكلم من أهل البصرة، سكن بغداد، وكان متكلما على مذهب الأشعري، كان أعرف الناس بالكلام، وقيل عنه المؤسس الثاني للمذهب الأشعري، وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المخالفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم، مات ببغداد سنة ثلاث وأربعمائة. انظر: تاريخ بغداد (٥/ ٣٧٩)، ووفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩)، والوافي بالوفيات (٣/ ١٤٧)، والسير (١٧/ ١٩٠)، والشذرات (٣/ ١٦٨).

(٢) كتاب «الإبانة عن أبطال مذهب أهل الكفر والضلالة» للباقلاني ذكره شيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٣٤)، وابن القيم في الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٥٢)، والذهبي في العلو (٢٣٧).

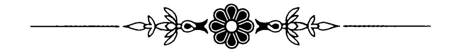
(المتكلم) يعني: الذي درس علم الكلام.

قوله: (وَهُوَ أَفْضَلُ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الأَشْعَرِيِّ)، وهو من أفضل المتكلمين علماء الكلام المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعري، يعني: فدل على أنه عنده شيء من مذهب الأشاعرة، لكنه من نواحٍ عنده نواحٍ طيبة.

قوله: (لَيْسَ فِيهِمْ مِثْلُهُ لَا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ)، مشهور بقوته وفصاحته وقوة عارضته.

قوله: (قَالَ فِي كِتَابِهِ «الإِبَانَةِ» تَصْنِيفُهُ: فَإِنْ قَالَ: فَمَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ للهِ وَجْهًا وَيَدًا؟ قِيلَ لَهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾)، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ هذا دليل على إثبات الوجه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ووصفه بأنه ذو الجلال وذو الإكرام هذا دليل على أنه وجه حقيقي.

قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ وَجْهًا وَيَدًا)، قوله تعالى لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، يعني: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإن الله أمر الملائكة بالسجود له؛ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر:٢٩]، وهذا السجود عبادة لله جَلَّ وَعَلَا؛ لأنه طاعة لأمر الله وإكرام لآدم، فليس هو عبادة لآدم، وإنما هو عبادة لله؛ لأن الله أمر بهذا، وإذا أمر الله بشيء، وجب على العبد أن يطيع، هذا هو العبد يمتثل، لكن إبليس حمله الكبر والحسد لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ على أن عصى أمر الله، ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠]، وكفر -والعياذ بالله-، وطرده الله من رحمته ولعنه. وأما الملائكة الكرام، فإنهم سجدوا لآدم امتثالًا لأمر الله، لا عبادة لآدم، وإنما عبادة لله جَلَّ وَعَلَا.



فَإِنْ قَالَ: فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ وَجْهُهُ وَيَدُهُ جَارِحَةً إِذْ كُنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ وَجْهًا وَيَدًا إِلَّا جَارِحَةً؟

قُلْنَا: لَا يَجِبُ هَذَا كَمَا لَا يَجِبُ إِذَا لَمْ نَعْقِلْ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا إِلَّا جِسْمًا أَنْ نَقْضِيَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ بِذَلِكَ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَكَمَا لَا يَجِبُ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَانَ قَائِمًا بِذَاتِهِ أَنْ يَكُونَ جَوْهَرًا؛ لأَنَّا وَإِيَّاكُمْ لَا نَجِدُ قَائِمًا بِنَفْسِهِ فِي شَاهِدِنَا إِلَّا كَذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الْجَوَابُ لَهُمْ، إِنْ قَالُوا: فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُ وَحَيَاتُهُ وَكَلَامُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَسَائِرُ صِفَاتِهِ عَرَضًا، وَاعْتَلُّوا بِالْوُجُودِ.

الشَّرح

قوله: (فَإِنْ قَالَ: فَمَا أَنْكَرْتُمْ أَنْ يَكُونَ وَجْهُهُ وَيَدُهُ جَارِحَةً إِذْ كُنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ وَجْهًا وَيَدًا إِلَّا جَارِحَةً؟)، إثبات الوجه واليد هذا واجب لله كما أثبتهما لنفسه، لكن أن يُفسر الوجه واليد بأنهما جارحتان، لفظ الجارحة لم يرد نفيه ولا إثباته، فنحن نتوقف فيه، نثبت الوجه لله واليدين لله، ولا نقول: إنهما جارحة أو غير جارحة؛ لأن هذا لم يرد نفيه ولا إثباته، لكن إن أرادوا بالجارحة أنه وجه حقيقي ويد حقيقية، نعم هو وجه حقيقي ويد حقيقية.

قوله: (قُلْنَا: لَا يَجِبُ هَذَا كَمَا لَا يَجِبُ إِذَا لَمْ نَعْقِلْ حَيًّا عَالِمًا قَادِرًا إِلَّا جِسْمًا أَنْ نَقْضِيَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ بِذَلِكَ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ)، هذا هو، القاعدة أن ما لم يرد نفيه ولاإثباته، فإنه لا يثبت ولا ينفى، فلا نقول بالجسم، ولا نقول بالجوارح لله، بمعنى أنها مثل جوارح المخلوقين، نحن نثبت ما أثبته الله وأثبته رسوله، وأما اللوازم التي ذكرتموها، فهذه لا تلزم، نحن نتوقف عنها.

قوله: (وَكَمَا لَا يَجِبُ فِي كُلِّ شَيْءٍ كَانَ قَائِمًا بِذَاتِهِ أَنْ يَكُونَ جَوْهَرًا)، عندهم الجوهر هذا من اصطلاحات المتكلمين الجوهر والعرض، الجوهر: هو القائم بنفسه من الأشياء، والعرض: هو الذي يزول، ولا يقوم إلا بغيره؛ كالألوان: الحمرة والبياض والسواد هذا عرض؛ لأنه لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره، أما الجسم أو الجوهر، فهو الذي يقوم بنفسه.

قوله: (لأَنَّا وَإِيَّاكُمْ لَا نَجِدُ قَائِمًا بِنَفْسِهِ فِي شَاهِدِنَا إِلَّا كَذَلِكَ)، لا نقيس ما جاء في حق الله على ما هو في شاهدنا وما نراه عندنا، لا نقيس الله جَلَّ وَعَلَا بمخلوقاته، نحن نثبت ما أثبته الله جَلَّ وَعَلَا لنفسه، أو أثبته له الرسول، ولانقيسها على ما نشاهده في المخلوقين حتى يلزم التشبيه، فهم لما فقدوا هذه القاعدة -وهي قاعدة الفرق بين الخالق والمخلوق-، وقعوا في هذا التيه.

قوله: (وَكَذَلِكَ الجَوَابُ لَهُمْ، إِنْ قَالُوا: فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ عِلْمُهُ وَحَيَاتُهُ وَكَلَامُهُ وَسَمْعُهُ وَبَصَرُهُ وَسَائِرُ صِفَاتِهِ عَرَضًا وَاعْتَلُّوا بِالْوُجُودِ)، لا نقول: إن العلم والسمع والبصر أعراض، هذا في المخلوقين، أما في الخالق، فنحن نتوقف، نثبت لله السمع والبصر والعلم والقدرة والإرادة، ولا نتكلم في الأعراض.





قَالَ: فَإِنْ قَالَ: تَقُولُونَ: إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟ قِيلَ لَهُ: مَعَاذَ اللهِ! بَلْ هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ؛ كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، **وَقَالَ:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:١٦].

قَالَ: وَلَوْ كَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَكَانَ فِي بَطْنِ الإِنْسَانِ وَفَمِهِ، وَالْحُشُوشِ، وَالْمَوَاضِعِ الَّتِي يَرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا، وَلَوَجَبَ أَنْ يَزِيدَ بِزِيَادَةِ الأَمْكِنَةِ، إِذَا خَلَقَ مِنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ، وَيَنْقُصُ بِنُقْصَانِهَا إِذَا بَطَلَ مِنْهَا مَا كَانَ، وَلَصَحَّ أَنْ يُرْغَبَ إِلَيْهِ إِلَى نَحْوِ الأَرْضِ، وَإِلَى خَلْفِنَا، وَإِلَى يَمِينِنَا، وَإِلَى شَمَالِنَا، وَهَذَا قَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى خِلَافِهِ وَتَخْطِئَةِ قَائِلِهِ.

الشَّرْح

قوله: (قَالَ: فَإِنْ قَالَ: تَقُولُونَ: إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟ قِيلَ لَهُ: مَعَاذَ اللهِ، بَلْ هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ؛ كَمَا أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾)، هذا كما سبق في قول أبي الحسن الأشعري رَحِمَهُ اللَّهُ أن من قال: (إن الله في كل مكان)، فإنه كافر؛ لأنه لم ينزه الله عن المواضع القذرة والحشوش[1] والأماكن الحقيرة، فهذا كفر بالله عَزَّ وَجَلَّ، الله ليس في كل مكان، وإنما هو فوق سماواته عالٍ على عرشه، وعلمه في كل مكان، لا يخلو مكان من علمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أما ذاته جَلَّ وَعَلَا، فإنها فوق مخلوقاته، مستو على عرشه بائن من خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته؛ كما سبق هذا.

---

(١) سبق بيان معنى الحشوش (ص ١٤٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، هذا دليل العلو، ﴿يَصْعَدُ﴾: الصعود لا يكون إلا إلى أعلى، ﴿إِلَيْهِ﴾، أي: إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، الكلم الطيب هو التسبيح والتكبير والتهليل وذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، والدعوة إلى الله، تعليم العلم النافع، كل هذا من الكلم الطيب، ومخاطبة الناس بالكلام الطيب؛ ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة:٨٣]، كل هذا من الكلم الطيب، وأعظم الكلم الطيب «لا إله إلا الله»، هذه أعظم الكلم الطيب؛ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾، هي «لا إله إلا الله» ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾، هذه النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٢٤]، يعني: في العلو، ﴿تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم:٢٥]، هذا مثل كلمة التوحيد، وكلمة الشرك خبيثة ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم:٢٦]، الكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وأما كلمة الشرك ما لها من قرار، اجتُثّت من فوق الأرض، ما لها من قرار؛ لأنها لا أصل لها، وهي كذب.

﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، يعني: ما يكفي قول بدون عمل، لابد أن يجتمع الكلم الطيب والعمل الصالح.

قوله: (وَقَالَ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾)، من أدلة علو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، وهو الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾، فهذا دليل على أن الله في السماء؛ لأنه هو الذي يقدر على هذه الأعمال، فدل على أن الله في السماء لا في الأرض، ولا مع الخلق مختلط بهم، بل هو

جَلَّوَعَلَا في السماء، والسماء إن أريد بها العلو، فـ«في» على بابها، وإن أريد بها السماء المبنية، فإن «في» بمعنى «على»، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: على السماء.

قوله: (قَالَ: وَلَوْ كَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَكَانَ فِي بَطْنِ الإِنْسَانِ وَفَمِهِ، وَالْحُشُوشِ، وَالمَوَاضِعِ الَّتِي يَرْغَبُ عَنْ ذِكْرِهَا)، الله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، وأنتم تقولون: (إنه في كل مكان)، فيلزم على قولكم الباطل أن الله في جوف الإنسان، وأنه في الحشوش والقاذورات والمزابل؛ لأن هذه أمكنة، وأنتم تقولون: (الله في كل مكان)، فهذا من لوازم قولهم الباطل.

قوله: (وَلَوَجَبَ أَنْ يَزِيدَ بِزِيَادَةِ الأَمْكِنَةِ إِذَا خَلَقَ مِنْهَا مَا لَمْ يَكُنْ، وَيَنْقُصُ بِنُقْصَانِهَا إِذَا بَطَلَ مِنْهَا مَا كَانَ)، والأمكنة -أيضًا- منها شيء يحدث بعد أن لم يكن موجودًا، فيلزم أن الله يزيد في ذاته؛ حتى يغطي هذه الأمكنة -تعالى الله عما يقولون-، مع أن الله أعظم من كل شيء، والسماوات والأرض بالنسبة لعرشه كخردلة، فالله جَلَّوَعَلَا أعظم من كل شيء.

قوله: (وَلَصَحَّ أَنْ يُرْغَبَ إِلَيْهِ إِلَى نَحْوِ الأَرْضِ)، كذلك من الأدلة على بطلان قولهم الدعاء، فالداعي يتوجه بفطرته إلى السماء، سواءً كان متعلمًا أو جاهلًا، أو حضريًا أو بدويًا، أو عربيًا أو أعجميًا، كل من يدعو يرفع يديه للسماء بدون أن يقول له أحد: (ارفع يديك)؛ فطرة فيه، فهذا دليل على علو الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وأن الفطر مستقرة على علو الله على عرشه، ولا أحد يغير هذه الفطرة، ولو غيرها في بعض أهل الضلال -كما يُروى أن الجهم يقول: سبحان ربي الأسفل-، لم يقدر على أن يغيرها في الناس كلهم -عربهم وعجمهم، وبدوهم وحاضرتهم، وعلمائهم

وجهالهم-، لم يقدر أحد على أن يغير هذه الفطرة؛ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم:٣٠].

قوله: (وَلَصَحَّ أَنْ يُرْغَبَ إِلَيْهِ إِلَى نَحْوِ الأَرْضِ)، فتمد يديك إلى الأرض، بدل من أن تمدّ يديك إلى السماء، تمدهن عن يمين أو شمال أو تحت، ولم يفعل أحد هذا، إجماع بشري على مد اليدين إلى السماء.

قوله: (وَإِلَى خَلْفِنَا وَإِلَى يَمِينِنَا وَإِلَى شَمَالِنَا)، على قولهم؛ لأن قولهم كذا: (إن الله في كل مكان)، معناه: تمد يديك يمينًا وشمالًا وإلى أسفل.

قوله: (وَهَذَا قَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى خِلافِهِ وَتَخْطِئَةِ قَائِلِهِ)، بل أجمعت البشرية المسلمون وغيرهم، حتّى الكفّار إذا اضطروا، رفعوا أبصارهم وأيديهم إلى السماء يدعون الله بأن ينجيهم من الخطر.

هذا يعطيكم نموذج من قوة هذا الرجل وقدرته على جدال أهل الباطل.



وَقَالَ -أَيْضًا- فِي هَذَا الْكِتَابِ: صِفَاتُ ذَاتِهِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِهَا، وَهِيَ: الْحَيَاةُ، وَالْعِلْمُ، وَالْقُدْرَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالْكَلامُ، وَالإِرَادَةُ، وَالْبَقَاءُ، وَالْوَجْهُ، وَالْعَيْنَانِ، وَالْيَدَانِ، وَالْغَضَبُ، وَالرِّضَا.

وَقَالَ فِي كِتَابِ «التَّمْهِيدِ»[1] كَلامًا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، وَكَلامُهُ وَكَلامُ غَيْرِهِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذَا الْبَابِ مِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ لِمَنْ يَطْلُبُهُ، وَإِنْ كُنَّا مُسْتَغْنِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ السَّلَفِ عَنْ كُلِّ كَلامٍ.

الشَّرح

قوله: (وَقَالَ -أَيْضًا- فِي هَذَا الْكِتَابِ: صِفَاتُ ذَاتِهِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ مَوْصُوفًا بِهَا وَهِيَ: الحَيَاةُ، وَالْعِلْمُ، وَالْقُدْرَةُ، وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالْكَلامُ، وَالإِرَادَةُ، وَالْبَقَاءُ، وَالْوَجْهُ، وَالْعَيْنَانِ، وَالْيَدَانِ، وَالْغَضَبُ، وَالرِّضَا)، صفات الذات هي الصفات الملازمة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، التي لا تتعلق بالمشيئة، لا تتعلق بمشيئته صفات لازمة له أزلا وأبدًا.

أما صفات الأفعال: فهي تتعلق بمشيئته؛ مثل: الخلق والرزق والإحياء والإماتة والاستواء على العرش، تتعلق بمشيئته وإرادته، إذا شاء فعلها، وإذا لم يشأ، لم يفعلها.

قوله: (صِفَاتُ ذَاتِهِ الَّتِي لَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ)، يعني: ملازمة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا تنفك عنه.

قوله: (وَهِيَ: الحَيَاةُ)، الله جَلَّ وَعَلَا يوصف بأن له الحياة الكاملة؛ ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران:٢]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨].

---

(١) كتاب: «تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل» للباقلاني، مطبوع ومتداول.

قوله: (وَالْعِلْمُ)، الله بكل شيء عليم، هذه صفة ذات ملازمة له سبحانه أزلًا وأبدًا، لم يأت وقت أن الله لا يعلم، ثم صار يعلم، أو أتى وقت أن الله ليس له حياة، ثم صار له حياة أبدًا، هذه ملازمة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أبدًا وأزلًا، لا تنفك عنه.

قوله: (وَالْقُدْرَةُ)، كذلك القدرة صفة ذات ملازمة لله جَلَّ وَعَلَا، ما كان في وقت ليس عنده قدرة، ثم صار قادرًا.

قوله: (وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ)، كذلك السمع والبصر من صفات الذات، فالله كان ولا يزال سميعًا بصيرًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَالْكَلامُ)، أما الكلام، فهو صفة فعل تتعلق بالمشيئة والإرادة، فالله تكلم، ويتكلم إذا شاء بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أما الذين يقولون: (الكلام قديم)، فهذا غلط، الكلام صفة فعل، وصفة الفعل لا يُقال: قديم، ولكن يُقال: قديمة النوع، أما الآحاد، فهي حادثة الآحاد.

قوله: (وَالإِرَادَةُ)، صفة ذات.

قوله: (وَالْبَقَاءُ)، هذه صفة ذات، الله جَلَّ وَعَلَا هو الباقي دائمًا، لا نهاية له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَالْوَجْهُ)، هذا صفة ذات، صفة ذاتية.

قوله: (وَالْعَيْنَانِ)، هذه صفة ذات -كما سبق.

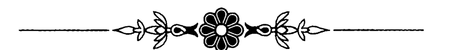
قوله: (وَالْيَدَانِ)، كذلك اليدان صفة ذات.

قوله: (وَالْغَضَبُ، وَالرِّضَا)، الغضب والرضا صفة فعل قديمة النوع حادثة الآحاد مثل الكلام.

قوله: (وَقَالَ فِي كِتَابِ «التَّمْهِيدِ»)، قال أبو بكر الباقلاني في كتاب آخر له، الذي انتهينا منه هذا «الإبانة»، والثاني: «التمهيد» لأبي بكر الباقلاني.

قوله: (كَلامًا أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، وَكَلامُهُ وَكَلامُ غَيْرِهِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذَا الْبَابِ مِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ لِمَنْ يَطْلُبُهُ، وَإِنْ كُنَّا مُسْتَغْنِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَآثَارِ السَّلَفِ عَنْ كُلِّ كَلامٍ)، الآن انتهى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من النقولات، ويُبين الغرض من هذه النقولات، يقول: (نَحْنُ مُسْتَغْنِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ)، لكننا نقل هذه الأقوال عن هؤلاء الأئمة لنرد على هؤلاء الذين ينتسبون إليهم، وهم على خلافهم.

قوله: (عَنْ كُلِّ كَلامٍ)، يكفي كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف الصالح، لكن ننقل عن الأئمة المتأخرين؛ لأجل أن نخصم أتباعهم.



وَمِلاكُ الأَمْرِ أَنْ يَهَبَ اللهُ لِلْعَبْدِ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، بِحَيْثُ يَكُونُ لَهُ عَقْلٌ وَدِينٌ؛ حَتَّى يَفْهَمَ وَيَدِينَ، ثُمَّ نُورُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يُغْنِيهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَكِنَّ كثيرًا مِنَ النَّاسِ قَدْ صَارَ مُنْتَسِبًا إِلَى بَعْضِ طَوَائِفِ الْمُتَكَلِّمِينَ، وَمُحْسِنًا لِلظَّنِّ بِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَمُتَوَهِّمًا أَنَّهُمْ حَقَّقُوا فِي هَذَا الْبَابِ مَا لَمْ يُحَقِّقْهُ غَيْرُهُمْ، فَلَوْ أُتِيَ بِكُلِّ آيَةٍ، مَا تَبِعَهَا حَتَّى يُؤْتَى بِشَيْءٍ مِنْ كَلامِهِمْ.

الشَّرح

قوله: (وَمِلَاكُ الأَمْرِ أَنْ يَهَبَ اللهُ لِلْعَبْدِ حِكْمَةً وَإِيمَانًا بِحَيْثُ يَكُونُ لَهُ عَقْلٌ وَدِينٌ، حَتَّى يَفْهَمَ وَيَدِينَ)، ثم إذا وفق الله الإنسان للعقل والدين، العقل الذي يُميز به بين الطيب والخبيث، والضار والنافع، والحق والباطل، والدين الذي يحمله عن الابتعاد عن القول على الله بغير علم، من رُزق هاتين الصفتين العقل والدين.

قوله: (حَتَّى يَفْهَمَ وَيَدِينَ)، حتى يفهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ على الوجه الصحيح، ولا يُقلد التقليد الأعمى، ويتعصب ويلغي عقله، ويلغي دينه، ويعطي دينه للناس، ويعطي عقله للناس، ويكون تابعًا ومقلدًا تقليدًا أعمى، لا يجوز هذا لعاقل ودَيِّن أنه يقلد التقليد الأعمى، ويتعامى عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قوله: (ثُمَّ نُورُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يُغْنِيهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ)، الذي وفقه الله للعقل والدين يكفيه نور الكتاب والسنة عن كل شيء، فلا يأخذ إلا ما دل عليه الكتاب والسنة، ويلغي ما خالف الكتاب والسنة، ولا يكون إمعة مع الناس من غير بصيرة.

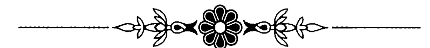


قوله: (وَلَكِنَّ كثيرًا مِنَ النَّاسِ قَدْ صَارَ مُنْتَسِبًا إِلَى بَعْضِ طَوَائِفِ الْمُتَكَلِّمِينَ)، هذا مراد الشيخ من النقولات، يقول: لما كان كثير من الناس ينتسبون إلى طوائف من المتكلمين، نقلنا كلام هؤلاء الأئمة؛ لنبين لهم أنكم لستم على مذهبهم.

قوله: (وَمُحْسِنًا لِلظَّنِّ بِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَمُتَوَهِّمًا أَنَّهُمْ حَقَّقُوا فِي هَذَا الْبَابِ مَا لَمْ يُحَقِّقْهُ غَيْرُهُمْ، فَلَوْ أُتِيَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعَهَا حَتَّى يُؤْتَى بِشَيْءٍ مِنْ كَلَامِهِمْ)، هذا بلية، بعض الناس مبتلى بالتقليد الأعمى، ولا يقلد إلا أشخاصًا لا يريد غيرهم أبدًا، سواءً كانوا على الحق أو على غيره، هذا تعصب، أما صاحب العقل والدين، فإنه يتبع الحق مهما كان، سواءً كان مع إمامه أو مع غير إمامه، فأهل الحق كلهم أئمة لنا، لا نميز بين هذا وهذا، أما أهل الباطل، فإننا لا نقلدهم ونتعصب لهم، لكن لما كان هؤلاء يقلدون هؤلاء المتكلمين، فالشيخ نقل كلام هؤلاء الأئمة؛ ليُبين أنهم لم يقلدوهم في الحق، وإنما قلدوهم فيما أخطؤوا فيه، وهذه مصيبة؛ أن الإنسان يأخذ الأقوال التي توافق هواه، ولو كانت خطأً، ويترك الأقوال التي تخالف هواه، ولو كانت حقًّا، هذه مصيبة عظيمة -والعياذ بالله-، وهذه أُبتلي بها كثير من الناس اليوم، يتبعون الأقوال التي توافق هواهم، ولو كانت خطأً، يقولون: (قال فلان العالم الفلاني المتبحر)، وإذا كان قول عالم آخر يُخالف هواهم، قالوا: (هذا متعصب، وهذا متزمت، وهذا جامد...) إلى آخر ما يقولون، هذه سنة الله في خلقه أن الإنسان يُبتلى -والعياذ بالله- بالتقليد الأعمى، وهذه مصيبة، والإنسان المؤمن يدور مع الحق أينما دار؛ ولهذا كان الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما كان يقلد التقليد الأعمى للمذهب الحنبلي، مع أنه حنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويعظم الإمام أحمد، وكلنا نعظم الإمام أحمد، كل مسلم يعظم الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكن ليس معنى هذا أنه معصوم، فنحن نأخذ ما قام عليه الدليل، سواءً في مذهب أحمد

أو في مذهب أبي حنيفة، أو في مذهب مالك، أو في مذهب الشافعي، نحن نأخذ ما قام عليه الدليل من أقوال الأئمة، هذا هو الحق، وسار على هذا المنهج أئمة الدعوة الذين جاءوا من بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتبعون ما قام عليه الدليل، سوءًا كان في المذهب الحنبلي أو في غيره. وهذا هو الواجب.

(فَلَوْ أُتِيَ) هذا المقلد المتعصب، (أُتِيَ بِكُلِّ آيَةٍ) من كتاب الله، ما قبلها، وإنما يقبل كلام من يقلده، ويقول: (هو أعرف بالحق)، تأتي له بالحديث الصحيح، يقول: (ما قال به فلان، لو قال به، أخذت به، لكنْ فلان أعرف، أعرف مني ومنك، ولو كان أخذ بهذا الحديث، لأخذت به)، يعني: يغلق عليه باب العلم والفهم -والعياذ بالله-، إلا من طريق هذا الرجل، ويُروى أن جماعة من الدعاة ذهبوا إلى جهة، فكلموا بعض أهل الضلال، وقالوا: (إنكم على خطأ، والحق كذا وكذا)، قالوا: (والله نحن نعرف هذا، لكن أقنعوا فلانًا -يعنون إمامهم-، فإذا اقتنع، فنحن معه)، يعني: أُغلق باب الحق إلا على يد فلان، عنده مفاتيح الحق، هذا من التعصب الأعمى -والعياذ بالله.



ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا مُخَالِفُونَ لأَسْلافِهِمْ غَيْرُ مُتَّبِعِينَ لَهُمْ، فَلَوْ أَنَّهُمْ أَخَذُوا بِالْهُدَى الَّذِي يَجِدُونَهُ فِي كَلامِ أَسْلافِهِمْ، لَرُجِيَ لَهُمْ مَعَ الصِّدْقِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ أَنْ يَزْدَادُوا هُدًى، وَمَنْ كَانَ لَا يَقْبَلُ الْحَقَّ إِلا مِنْ طَائِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، ثُمَّ لَا يَسْتَمْسِكُ بِمَا جَاءَتْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٩١].

فَإِنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: لَا نُؤْمِنُ إِلا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْنَا. قَالَ اللهُ لَهُمْ: فَلِمَ قَتَلْتُم الأَنْبِيَاء مِنْ قَبلُ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِين بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ؟! يَقُولُ سُبْحَانَهُ: لَا مَا جَاءَتْكُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُكُمْ تَتَّبِعُونَ، وَلَا لِمَا جَاءَتْكُمْ بِهِ سَائِرُ الأَنْبِيَاءِ تَتَّبِعُونَ، وَلَكِنْ إِنَّمَا تَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَكُمْ.

فَهَذَا حَالُ مَنْ لَمْ يَتَّبِعِ الْحَقَّ، لَا مِنْ طَائِفَتِهِ وَلا مِنْ غَيْرِهِمْ، مَعَ كَوْنِهِ يَتَعَصَّبُ لِطَائِفَةٍ دُونَ طَائِفَةٍ بِلا بُرْهَانٍ مِنَ اللهِ وَلا بَيَانٍ.

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا مُخَالِفُونَ لأَسْلافِهِمْ)، هذا قصد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذه النقول؛ أنه يريد أن يقنع هؤلاء أن أئمتكم الذين أنتم تنتسبون لهم وتقلدونهم أنتم لا توافقونهم على هذه الأقوال، فهذا يدل على أنكم تتبعون أهواءكم، وإلا كان الواجب أن تقبلوا الحق.

قوله: (ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا مُخَالِفُونَ لأَسْلافِهِمْ)، ثم هم مع هذا ينتسبون إلى أسلافهم، هذا يقول: (أنا حنبلي)، وهذا يقول: (أنا أشعري)، وهذا يقول: (أنا حنفي)، وهذا يقول: (أنا مالكي)، وهذا يقول: (أنا شافعي)، هذا لا بأس به،

الانتساب للأئمة لا بأس به، ولكن كونك تكون تابعًا له في الفروع في الفقه فقط، وأما في العقيدة، فتتبع المعتزلة والجهمية والصوفية، هل الإمام أحمد صوفي؟ أو الإمام أبو حنيفة هل هو صوفي؟ كثير من الحنفية صوفية الآن، كثير منهم معتزلة، هل أبو حنيفة كذلك رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟ هل الشافعي كذلك؟ الشافعي أتباعه كثير، لكن كثير منهم أشاعرة، هل الشافعي أشعري؟ فهم يوافقون هؤلاء الأئمة، وينتسبون لهم بشيء، ويخالفونهم في الأصل الذي هو العقيدة، وهذا كثير فيهم الآن، يقول: (أنا شافعي)، الشافعي هذا كلامه هل أنت عليه؟ يقول: (أنا تبع النقشبندي)، أو (تبع عبد القادر)، أو (تبع فلان من أئمة الصوفية الطريقة النقشبندية)، (شافعي المذهب نقشبندي الطريقة)، كذا يقولون، (تيجاني الطريقة...)، إلى آخر ما يقولون، أين انتسابك للشافعي أو إلى مالك أو إلى أبي حنيفة؟!! يقول: (أنا شافعي المذهب أشعري العقيدة، أو ماتُريدي العقيدة، نقشبندي أو قادري الطريقة)، يكون مشكلًا هكذا؟!!

(**ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا**)، مع انتسابهم للأئمة (**مُخَالِفُونَ لأَسْلافِهِمْ**)، مخالفون للأئمة، فدل على أن انتسابهم كذب.

قوله: (**غَيْرُ مُتَّبِعِينَ لَهُمْ، فَلَوْ أَنَّهُمْ أَخَذُوا بِالْهُدَى الَّذِي يَجِدُونَهُ فِي كَلامِ أَسْلافِهِمْ، لَرُجِيَ لَهُمْ مَعَ الصِّدْقِ فِي طَلَبِ الحَقِّ أَنْ يَزْدَادُوا هُدًى**)، لو أنهم كانوا يطلبون الحق، لوفقهم الله عَزَّوَجَلَّ، لكن لما تعصبوا، أعماهم الله عن الحق عقوبة لهم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [الصف:٥]، فالذي يتبع هواه أو يتبع إمامًا من الأئمة ولو أخطأ، هذا يُبتلى بالزيغ -والعياذ بالله-، والمسلمون ليس لهم إمام إلا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثمّ من بعده من سار على نهجه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو إمامنا، ومن خالف الرسول، فإننا على خلافه كائنًا من كان،

فالإمام الأوحد والقدوة الوحيدة هو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١]، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣١، ٣٢]، فنحن قدوتنا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم من بعده كل من سار على نهجه من الأئمة.

قوله: (لَرُجِيَ لَهُمْ مَعَ الصِّدْقِ فِي طَلَبِ الحَقِّ أَنْ يَزْدَادُوا هُدًى)؛ لأن من طلب الحق ورغب فيه، وفقه الله له، ومن رغب عن الحق وتعصب لغير الحق، أعماه الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام:١١٠]، ولما أعرض اليهود عن التوراة التي جاء بها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتي فيها أوصاف محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأمر باتباعه، لما أعرضوا عن هذا، ابتلاهم الله بكتب السحر، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾، يعني: محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾، يعني: التوراة ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ [البقرة:١٠١]، وهو السحر، أخذوا السحر بدلًا من التوراة؛ عقوبة لهم؛ لأن من ترك الحق، ابتلي بالباطل -والعياذ بالله.

قوله: (وَمَنْ كَانَ لَا يَقْبَلُ الحَقَّ إِلا مِنْ طَائِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، ثُمَّ لَا يَسْتَمْسِكُ بِمَا جَاءَتْ بِهِ مِنَ الحَقِّ، فَفِيهِ شَبَهٌ مِنَ الْيَهُودِ)، من تعصب لطائفة معينة أو لإمام معين، ثم لا يقبل الحق الذي عنده، وإنما يأخذ أخطاء هذا الإمام؛ لأنها توافق هواه، وأما الحق الذي لا يوافق هواه، يتركه ولو هو مع إمامه، فهذه طريقتهم الآن.

قوله: (الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾)، اليهود إذا قيل لهم: اتبعوا ما أنزل الله -وهو القرآن-، قالوا: بل نتبع ما أنزل علينا، يعني: التوراة، وهم كاذبون؛ لأن التوراة تأمرهم باتباع القرآن، فهم كاذبون في قولهم: ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾؛ لأن الذي أنزل على محمد مصدق لما معهم؛ ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾، ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾، وهو ما مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القرآن، مع أنه حق ومصدق لما معهم، موافق له، ثم رد عليهم، قال: إن كنتم تدعون أنكم تتبعون ما أنزل إليكم، وهو التوراة، هل في التوراة قتل الأنبياء؟ أنتم تقتلون الأنبياء، قتلتم زكريا، وقتلتم يحيى، وأردتم أن تقتلوا عيسى، وأنجاه الله منكم، وأردتم أن تقتلوا محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونجاه الله منكم، هل قتل الأنبياء مما أنزل عليكم؟! فهذا تكذيب من الله ودمغ لهم، ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، فدل على أنهم كاذبون في قولهم: (نتبع ما أُنزل إلينا)، وأيضًا هذا فيه تعصب؛ فالذي يقول: (أنا ما أقبل إلا الذي في مذهبي فقط، لا تذكر لي شيئًا غيره)، حتى وإن كان حقًّا، الذي ليس بمذهبك هو الحق، يقول: (أنا أقبل ما عليه مذهبي فقط)، هذا مثل اليهود؛ ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ﴾.

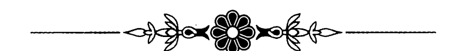
قوله: (فَإِنَّ الْيَهُودَ قَالُوا: لَا نُؤْمِنُ إِلا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْنَا. قَالَ اللهُ لَهُمْ: فَلِمَ قَتَلْتُم الأَنْبِيَاء مِنْ قَبلُ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِين بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ، يَقُولُ سُبْحَانَهُ: لَا مَا جَاءَتْكُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُكُمْ تَتَّبِعُونَ، وَلَا لِمَا جَاءَتْكُمْ بِهِ سَائِرُ الأَنْبِيَاءِ تَتَّبِعُونَ)، قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة:٧٠]،



يعني: ما خالف هواهم، ولو كان جاء به رسولهم لا يقبلوه؛ إما أن يكذبوه، وإما أن يقتلوا هذا الرسول.

قوله: (وَلَكِنْ إِنَّمَا تَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَكُمْ)، هذا هو الحق أنهم يتبعون أهواءهم، ولايتبعون الحق، ولا يتبعون ما أُنزل إليهم.

قوله: (فَهَذَا حَالُ مَنْ لَمْ يَتَّبِعِ الحَقَّ، لَا مِنْ طَائِفَتِهِ وَلا مِنْ غَيْرِهِمْ، مَعَ كَوْنِهِ يَتَعَصَّبُ لِطَائِفَةٍ دُونَ طَائِفَةٍ بِلا بُرْهَانٍ مِنَ اللهِ وَلا بَيَانٍ)، فهو يتعصب لطائفته، ومع هذا إذا جاءت بما يخالف هواه، رفضه، هذا إذًا ﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، ما يريد الحق، وإنما يريد هواه، هذا ليس لك حيلة فيه أبدًا، الذي يتبع هواه لو تجتمع الجبال أمامه، ما قنع؛ لأنه ما يريد حقًّا، الذي يقنع بالدليل هو الذي يريد الحق، أما الذي لا يريد الحق، هذا لا يمكن أن تقنعه أبدًا؛ لأنه لا يريد إلا هواه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].



وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو المَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ(١) فِي كِتَابِ «الرِّسَالَةِ النِّظَامِيَّةِ»(٢): اخْتَلَفَتْ مَسَالِكُ الْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الظَّوَاهِرِ، فَرَأَى بَعْضُهُمْ تَأْوِيلَهَا، وَالْتَزَمَ ذَلِكَ فِي آيِ الْكِتَابِ، وَمَا يَصِحُّ مِنَ السُّنَنِ، وَذَهَبَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ إِلَى الانْكِفَافِ عَنِ التَّأْوِيلِ، وَإِجْرَاءِ الظَّوَاهِرِ عَلَى مَوَارِدِهَا، وَتَفْوِيضِ مَعَانِيهَا إِلَى الرَّبِّ.

قَالَ: وَالَّذِي نَرْتَضِيهِ رَأْيًا وَنَدِينُ اللهَ بِهِ عَقْدًا: اتِّبَاعُ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَالدَّلِيلُ السَّمْعِيُّ الْقَاطِعُ فِي ذَلِكَ أَنَّ إِجْمَاعَ الأُمَّةِ حُجَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، وَهُوَ مُسْتَنَدُ مُعْظَمِ الشَّرِيعَةِ.

الشَّرح

قوله: (وَكَذَلِكَ قَالَ أَبُو المَعَالِي الجُوَيْنِيُّ فِي كِتَابِ «الرِّسَالَةِ النِّظَامِيَّةِ»)، ما زال الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في سرد النقول عن الأئمة في مسألة الأسماء والصفات، ومن ذلك هذا النقل عن إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، وكان إمامًا في الفقه على مذهب الشافعي، ولكنه في العقيدة على مذهب الأشاعرة غالب حياته، يقرّره، وكان متخصصًا في علم الكلام -علم المنطق-، ثم إنه في آخر حياته تراجع، ويُروى عنه أنه عاد إلى مذهب السلف، ومات عليه، فنرجو ذلك -إن شاء الله-، لكن هذا دليل على أن هؤلاء يعترفون في آخر حياتهم بأن ما خالف مذهب السلف أنه خطأ، ويتراجعون عنه، وهذه شهادات منهم، وسبق في أول الرسالة «الحموية» أنه نقل عن هؤلاء؛ أن شيخ الإسلام نقل عن هؤلاء شيئًا من

---

(١) سبقت ترجمته (ص٨٨).

(٢) الرسالة النظامية لإمام الحرمين مطبوعة عدة طبعات ومتداولة باسم «العقيدة النظامية»، وقد صنفها للوزير «نظام الملك»، انظر: فتح الباري (١٣/ ٤٠٧)، وسير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧٣)، وكشف الظنون (١/ ٨٩٦).

تراجعاتهم، ومن ذلك هذا الإمام أبو المعالي الجويني، وكان أبوه إمامًا على مذهب أهل السنة والجماعة، وله مؤلف في ذلك، لكن الابن خالف أباه في الأول، ثم تراجع كما يُروى عنه، ولُقب بإمام الحرمين؛ لأنه في آخر حياته انتقل وجاور في مكة، وصار يُفتي في الحجاز على مذهب الشافعي، فسُمي بإمام الحرمين.

و(**الرِّسَالَةِ النِّظَامِيَّةِ**) هي رسالة كتبها بإشارة من الوزير نظام الملك، صاحب المدرسة النظامية، وطلب من أبي المعالي أن يكتب هذه الرسالة في العقيدة.

قوله: (**هَذِهِ الظَّوَاهِرِ**)، يعني: ظواهر النصوص، كذا يقول: (ظواهر)، مع أنها في الحقيقة ليست ظواهر، وإنما هي نصوص، وليست ظواهر؛ لأن الظاهر: ما احتمل شيئين فأكثر[١]، أما النص: فهو ما لا يحتمل إلا معنىً واحدًا[٢]، فنصوص الأسماء والصفات ليست ظواهر، وإنما هي نصوص.

(**فَرَأَى بَعْضُهُمْ تَأْوِيلَهَا**)، والتأويل: هو صرف اللفظ عن المعنى الظاهر فيه إلى معنى آخر يحتمله اللفظ لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الأصل -كما يقولون-، هذا هو التأويل المحدث، أما التأويل المذكور في قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران:٧] وفي كلام السلف التأويل معناه: التفسير، أو معناه: ما يؤول إليه الشيء في النهاية، فيراد بالتأويل في كلام الله هذين المعنيين: إما التفسير، وإما بيان ما يؤول إليه الشيء في المستقبل، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ**﴾ [يوسف:١٠٠]، يعني: تفسيرها تأخر إلى آخر حياة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع أنه رآها وهو في شبابه، ﴿**هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ**﴾، وكذلك قال تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ**

---

(١) سبق بيانه (ص١٠٨).

(٢) سبق بيانه (ص١٠٨).

إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:٥٣]، فما يشاهدونه يوم القيامة هو الذي أخبرت به الرسل في الدنيا، وكذبوهم، فعند ذلك يتحسرون كيف أنهم لم يطيعوا الرسل؛ ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

والمعنى الثالث للتأويل: هو هذا المحدث، وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى الاحتمال المرجوح، صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، هذا هو التأويل في عرف المتأخرين، فمعنى قول الجويني: (أولوها)، يعني: صرفوها عن ظاهرها، عن المعنى الظاهر إلى المعنى المحتمل.

قوله: (وَالْتَزَمَ ذَلِكَ فِي آيِ الْكِتَابِ، وَمَا يَصِحُّ مِنَ السُّنَنِ)، التزم هذا المذهب، مذهب التأويل في الآيات والأحاديث، طرد هذا المذهب، وهو أنه يحول المعنى الظاهر إلى معنى غير ظاهر، ويقول: (هذا هو المراد)، هذا هو التأويل الباطل.

قوله: (وَذَهَبَ أَئِمَّةُ السَّلَفِ إِلَى الانْكِفَافِ عَنِ التَّأْوِيلِ)، أئمة السلف لم يرووا هذا التأويل، وأبقوا النصوص على ظاهرها ومدلولها، ولم يتكلفوا بتحويلها إلى معنى آخر، هذا مذهب السلف الإمساك عن تأويلها، التأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى غير ظاهر منه.

قوله: (وَإِجْرَاءِ الظَّوَاهِرِ عَلَى مَوَارِدِهَا)، إجراؤها على ظاهرها، فالعلم هو على ظاهره، علم الله بالأشياء هو على ظاهره، والبصر على ظاهره، وكذلك السمع، وكذلك اليد، وكذلك الوجه، أدلة على ظواهرها؛ كما تعرف في اللغة العربية.

قوله: (وَتَفْوِيضِ مَعَانِيهَا إِلَى الرَّبِّ) (وَتَفْوِيضِ مَعَانِيهَا)، هذا فيه نظر، قوله: (وَتَفْوِيضِ مَعَانِيهَا) فيه نظر، إن كان يريد تفويض تفسيرها، فهذا غلط، فالسلف فسروها، ولم يفوضوها، وإنما المفوضة جماعة غير السلف، أمّا السلف، فإنهم لم يفوضوها، بمعنى أنهم لم يفسروها، بل فسروها على ما تدل عليه من غير تحريف، من غير تأويل.

أما إن كان يريد بالمعاني الكيفيات، فنعم هذا صحيح، إن السلف لم يخوضوا في علم الكيفيات، وإنما فوضوها إلى الله، أما المعاني، فإنهم فسروها وبينوها؛ ولهذا ما يأتي في عبارات بعض الأئمة كالإمام أحمد: (أمروها كما جاءت من غير تفسير)[1]، يريد بذلك التفسير الباطل الذي هو التأويل؛ لأنهم يسمون التأويل تفسيرًا، يسمون تأويلهم الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره يسمونه تفسيرًا، فهو يقول: (من غير تفسير)، يعني: من غير تفسير على مذهب المؤولة. ولا يريد (من غير تفسير) يعني: من غير بيان لمعناها الصحيح.

قوله: (قَالَ: وَالَّذِي نَرْتَضِيهِ رَأْيًا وَنَدِينُ اللهَ بِهِ عَقْدًا: اتِّبَاعُ سِلَفِ الأُمَّةِ)، قوله: (عَقْدًا) يعني: عقيدة.

قوله: (اتِّبَاعُ سِلَفِ الأُمَّةِ)، في أن هذه النصوص على ظاهرها، لا تُحرف ولاتُؤول، ولا يُتكلف لها معنىً آخر لا تدل عليه، هذا الذي يرتضيه الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هذا اعتراف منه بصحة مذهب السلف وبطلان مذهب الخلف، وهو إمام جليل ومرجع في هذا الباب، فهذا حجة عليهم، هذا إمام من أئمتهم أنكر عليهم مذهبهم.

---

(١) انظر: (ص٣٣٩).

قوله: (وَالدَّلِيلُ السَّمْعِيُّ الْقَاطِعُ فِي ذَلِكَ أَنَّ إِجْمَاعَ الأُمَّةِ حُجَّةٌ مُتَّبَعَةٌ)، الدليل القطعي على أن مذهب السلف هو الصحيح وأن مذهب الخلف باطل الإجماع، إجماع السلف من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين والقرون المفضلة، ما منهم أحد أوَّل نصوص الصفات عن ظاهرها، وصرفها عن مدلولها، هذا إجماع منهم، والإجماع حجة قاطعة على من خالفه.

قوله: (وَهُوَ مُسْتَنَدُ مُعْظَمِ الشَّرِيعَةِ)، أصول الأدلة هي: الكتاب، والسنة والإجماع، ثم القياس، الكتاب والسنة والإجماع متفق عليها، أما القياس، فهو محل خلاف، والإجماع حجة قاطعة، ومن أدلته قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥]، فقوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ هذا دليل على أن الإجماع حجة، لا يجوز اتباع غيره من الآراء والأفكار والمناهج، بل لا بد من اتباع ما أجمع عليه سلف هذه الأمة.



وَقَدْ دَرَجَ صَحْبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى تَرْكِ التَّعَرُّضِ لِمَعَانِيهَا، وَدَرْكِ مَا فِيهَا، وَهُمْ صَفْوَةُ الإِسْلَامِ وَالْمُسْتَقِلُّونَ بِأَعْبَاءِ الشَّرِيعَةِ، وَكَانُوا لَا يَأْلُونَ جُهْدًا فِي ضَبْطِ قَوَاعِدِ الْمِلَّةِ، وَالتَّوَاصِي بِحِفْظِهَا، وَتَعْلِيمِ النَّاسِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْهَا، فَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ مُسَوَّغًا أَوْ مَحْتُومًا، لَأَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُهُمْ بِهَا فَوْقَ اهْتِمَامِهِمْ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ، وَإِذَا انْصَرَمَ عَصْرُهُمْ وَعَصْرُ التَّابِعِينَ عَلَى الإِضْرَابِ عَنِ التَّأْوِيلِ، كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْوَجْهُ الْمُتَّبَعَ، فَحَقٌّ عَلَى ذِي الدِّينِ أَنْ يَعْتَقِدَ تَنْزِيهَ اللهِ عَنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثِينَ، وَلَا يَخُوضُ فِي تَأْوِيلِ الْمُشْكِلَاتِ، وَيَكِلُ مَعْنَاهُ إِلَى الرَّبِّ، فَلْيُجْرِ آيَةَ الاسْتِوَاءِ وَالْمَجِيءِ، وَقَوْلَهُ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، وَقَوْلَهُ: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وَمَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِ الرَّسُولِ ﷺ -كَخَبَرِ النُّزُولِ وَغَيْرِهِ- عَلَى مَا ذَكَرْنَا[١].

الشَّرح

قوله: (**وَقَدْ دَرَجَ صَحْبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى تَرْكِ التَّعَرُّضِ لِمَعَانِيهَا**)، هذا تفسيره للإجماع أنه درج أصحاب رسول الله رضي الله عنهم كلهم، ما فيهم صحابي توقف في هذه الآيات أو هذه الأحاديث، بل كانوا يروونها ويقرؤونها، ولا أشكلت عليهم أبدًا، فهذا إجماع منهم على أنها على ظاهرها.

(**عَلَى تَرْكِ التَّعَرُّضِ لِمَعَانِيهَا**)، التعرض: يعني تغيير المعاني وصرفها إلى التأويل.

قوله: (**وَدَرْكِ مَا فِيهَا، وَهُمْ صَفْوَةُ الإِسْلَامِ، وَالْمُسْتَقِلُّونَ بِأَعْبَاءِ الشَّرِيعَةِ**)، والصحابة رضي الله عنهم هم صفوة الإسلام، هم خير القرون بعد رسول الله

---

(١) انظر: العقيدة النظامية (ص٣٢ - ٣٤).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هم خير القرون؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١)، فهم صفوة القرون، قرون هذه الأمة المفضلة، وهم الذين نقلوا لنا هذه الشريعة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم الواسطة بيننا وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم القدوة، ولم يرد عن أحد منهم أنه توقف في هذه الآيات والأحاديث، وقال: تُصرف عن ظاهرها، بل إنهم قرؤوها، ولم يتوقفوا، ولم يستشكلوا في مدلولها.

قوله: (وَالْمُسْتَقِلُّونَ بِأَعْبَاءِ الشَّرِيعَةِ)، الشريعة ما بلغتنا إلا عن طريقهم؛ من ناحية الرواية، ومن ناحية الدراية والتفسير، ومن ناحية التبليغ والدعوة والجهاد، فهم الذين قاموا بتبليغ هذه الشريعة إلى من جاء بعدهم.

قوله: (وَكَانُوا لَا يَأْلُونَ جَهْدًا فِي ضَبْطِ قَوَاعِدِ الْمِلَّةِ، وَالتَّوَاصِي بِحِفْظِهَا)، كانوا ناصحين لا يألون جهدًا في تبليغ هذه الشريعة على ما جاءت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا كانوا ناصحين ومخلصين، ومع هذا بلغوها، ولم يتعرضوا لتأويلها، دل على أنها على ما هي عليه.

قوله: (وَتَعْلِيمِ النَّاسِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْهَا، فَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ مُسَوَّغًا أَوْ مَحْتُومًا، لَأَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ اهْتِمَامُهُمْ بِهَا فَوْقَ اهْتِمَامِهِمْ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ)، لو كانت هذه النصوص ليست على ما دلت عليه، وإنما لها مدلول آخر غير ما يظهر من ألفاظها، لكانوا أولى الناس في بيان ذلك، فلو تركوه وهو واجب، لكانوا قد خانوا الأمة وغشوا، وحاشاهم من ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ! فهم الأمناء، وهم المعلمون،

---

(١) سبق تخريجه (ص٦٢).

وهم الأئمة، ولم يُذكر عن واحد منهم أنه استشكل هذه النصوص أو توقف فيها، أو قال: (ليست على ظاهرها).

قوله: (فَوْقَ اهْتِمَامِهِمْ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ)، لكان اهتمامهم ببيان أدلة الأسماء والصفات فوق اهتمامهم بمسائل الفقه الفرعية؛ لأن هذه عقيدة، ولابد من بيانها، فلو كانت هذه النصوص تحتاج إلى صرف عن ظواهرها، لكان ذلك هو أولى اهتماماتهم، فلما لم يفعلوا هذا، دل على أن هذا أمر لا يجوز.

قوله: (وَإِذَا انْصَرَمَ عَصْرُهُمْ وَعَصْرُ التَّابِعِينَ عَلَى الإِضْرَابِ عَنِ التَّأْوِيلِ)، إذا كان انقضى عصر الصحابة، ولم يحصل تأويل، وانقضى -أيضًا- عصر التابعين.

والتابعي: هو من رأى الصحابي وأخذ عنه، فالتابعون هم تلاميذ الصحابة، انقضى -أيضًا- عصر التابعين، ولم يحصل شيء من هذا الاستشكال، فكان إجماع الصحابة وإجماع التابعين على أن هذه النصوص على ما تدل عليه، لم تشكل عليهم.

قوله: (عَلَى الإِضْرَابِ)، الإضراب يعني: الامتناع (عَنِ التَّأْوِيلِ)، وإبقاء هذه النصوص على ما تدل عليه، يقرؤونها، ولا يستشكلون في معانيها، ولا يقولون: (هذا لا يليق بالله، اصرفوها عن ظاهرها)، ما قال هذا أحد منهم.

قوله: (كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْوَجْهَ الْمُتَّبَعَ، فَحَقٌّ عَلَى ذِي الدِّينِ أَنْ يَعْتَقِدَ تَنْزِيهَ اللهِ عَنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثِينَ) (فَحَقٌّ عَلَى ذِي الدِّينِ)، كان حقًّا على ذي الدين من يخاف الله عَزَّوَجَلَّ ويدين لله بالعبادة، حقًّا عليه أن يتلقى هذه النصوص على ما جاءت من غير تدخل في معانيها، ولو أنهم سكتوا عنها، ولم يبينوها، وهي واجب أنها تصرف، لكان هذا غشًّا للأمة وتقصيرًا منهم -حاشاهم رَحِمَهُمُ اللَّهُ!

قوله: (أَنْ يَعْتَقِدَ تَنْزِيهَ اللهِ عَنْ صِفَاتِ المُحْدَثِينَ)، الله جَلَّ وَعَلَا يجب أن يُنزه، ولكن يُنزه عن ماذا؟ يُنزه عن النقائص والعيوب وصفات المحدثين، يعني: صفات الخلق الذين حدثوا بعد أن لم يكونوا شيئًا، فالله منزه عن صفات المحدثين، وهذا رد على الممثلة الذين غلوا في إثبات الأسماء والصفات، حتى شبهوها بصفات الخلق، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ويقول: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤]، ويقول: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، ويقول: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢]، ويقول: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ [الجمعة:١]، يعني: ينزه الله عَزَّوَجَلَّ، فيجب تنزيه الله عما لا يليق به، ولو كانت هذه النصوص مما لا يليق بالله، لنزهوه عنها، فهذا رد على المعطلة، ورد على الممثلة، وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ رد على الممثلة، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة، على كلا الفريقين.

قوله: (وَلا يَخُوضُ فِي تَأْوِيلِ المُشْكِلاتِ)، حق عليه أن يتجنب الطرفين -طرف التشبيه، وطرف التأويل-، ويلزم الوسط، وهو إثباتها على ما يليق بجلال الله، (إثباتها) هو رد على المعطلة، (على ما يليق بجلال الله) رد على الممثلة.

قوله: (وَيَكِلُ مَعْنَاهُ إِلَى الرَّبِّ) (وَيَكِلُ مَعْنَاهُ)، يعني: يكل كيفيته، كيفية هذه الأدلة، لا يقصد معناه الذي هو التفسير، والمعنى الذي تدل عليه، لا، يقصد المعنى الذي هو محدث، الذي قاله المتأخرون، قالوا: (معناه كذا، معنى اليد القدرة، ومعنى الرحمة النعمة)، وهكذا، نقول: لا، هذا ليس معناه. (ومعنى الوجه الذات)، نقول: لا، هذا باطل، ليس هذا معناه في اللغة العربية، ولا في كلام الله وكلام رسوله، ولا في مذهب السلف، ليس هذا هو معناها.

قوله: (فَلْيُجْرِ آيَةَ الاسْتِوَاءِ وَالمَجِيءِ)، يجري آيات الاستواء؛ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] على ما هي عليه، أن معناها: أن الله ارتفع وعلا على العرش سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق مخلوقاته، هذا ما يدل عليه ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

(وَالمَجِيءِ)، قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢]، ما يقول: (﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ يعني: وجاء أمره)، أو (جاء ملك من الملائكة)، هذا خلاف ما تدل عليه الآية، هذه زيادة في الآية من عندهم، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، يعني: جاء أمره؟ ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾، يعني: جاء ملك من الملائكة؟ هذه زيادة من عندهم وقول على الله بغير علم، بل نقول: جاء الله مجيئًا حقيقيًّا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس كمجيء المخلوق.

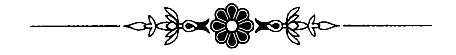
قوله: (وَقَوْلَهُ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾)، يقول الله جَلَّ وَعَلَا لإبليس لما أبى أن يسجد لآدم: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، الله أمره قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر:٢٩، ٣٠]، امتثالًا لأمر الله جَلَّ وَعَلَا ليس عبادة لآدم، وإنما عبادة لله؛ لأن الله أمر بهذا، والعبادة هي فعل المأمور، فالله أمر بهذا، فهو عبادة لله، ولما امتنع إبليس، صار مستكبرًا عن عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، فأصابه ما أصابه من العقوبة والنكبة العظيمة بسبب امتناعه عن أمر الله؛ ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾، هل عندك عجز ما تستطيع، ما سمعت الكلام، لكن ما منعه إلا الكبر -والعياذ بالله-، ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾.

الشاهد: ﴿بِيَدَيَّ﴾، إثبات اليدين لله عَزَّوَجَلَّ، وهم يقولون: (المراد باليد القدرة)، يعني: أن الله خلق آدم بقدرته، ما الفرق بين آدم وغيره؟ كل المخلوقات خلقها الله بقدرته، ثم -أيضًا- هل الله له قدرتان؟ له قدرة واحدة.

قوله: (﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾)، قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾، هذا فيه إثبات الوجه لله، ووصفه بالجلال والإكرام، وصف الوجه بالجلال والإكرام، فهو وجه لله عَزَّوَجَلَّ كما يليق بجلاله، ليس كوجه المخلوق.

قوله: (وَقَوْلُهُ: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾)، هذه صفات ذات كلها، ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ فيه إثبات العين لله عَزَّوَجَلَّ، وجمعها من أجل مطابقة الضمير؛ ولأن الضمير على شكل ضمير الجمع (نا) ضمير الجماعة، فجمع الأعين لتطابق المضاف إليه، وهذا أسلوب عربي معروف.

قوله: (**وَمَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِ الرَّسُولِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ **كَخَبَرِ النُّزُولِ وَغَيْرِهِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا**)، كذلك يقول الجويني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الواجب أن تقر النصوص على ما جاءت، ومنها صفات الأفعال، ذكر صفات الذات، ثم ذكر صفات الأفعال -كالمجيء، والاستواء-، ثم ذكر -أيضًا- النزول، والنزول من صفات الأفعال؛ كما تواترت به الأحاديث عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ**»[1]، فنثبته كما جاء، ولا نقول: (كيف ينزل؟)، بل نثبته، ونقول: الله أعلم بكيفية نزوله؛ كالاستواء الله أعلم بكيفية الاستواء.



(١) سبق تخريجه (ص١٨١).



قُلْت: وَلْيَعْلَم السَّائِلُ أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ ذِكْرُ أَلْفَاظِ بَعْضِ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ نَقَلُوا مَذْهَبَ السَّلَفِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ ذَكَرْنَا شَيْئًا مِنْ قَوْلِهِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ يَقُولُ بِجَمِيعِ مَا نَقُولُهُ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ يُقْبَلُ مِنْ كُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَقُولُ فِي كَلامِهِ الْمَشْهُورِ عَنْهُ، الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ: «اقْبَلُوا الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا -أَوْ قَالَ فَاجِرًا-، وَاحْذَرُوا زَيْغَةَ الْحَكِيمِ، قَالُوا: كَيْفَ نَعْلَمُ أَنَّ الْكَافِرَ يَقُولُ الْحَقَّ؟ قَالَ: إِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا»[1]، أَوْ كَلامًا هَذَا مَعْنَاهُ.

الشَّرح

قوله: (قُلْت)، الشيخ هنا انتهى من النقل عن الجويني، وهو نقل جيد ومفيد في هذا الباب؛ لأنه من إمام من أئمتهم اعترف بالخطأ، فهذا رد عليهم، ثم إن الشيخ علق، فقال: (قلت).

قوله: (وَلْيَعْلَمِ السَّائِلُ)؛ لأن هذه الرسالة جواب عن سؤال، هذه الرسالة كلها جواب عن سؤال ورد على الشيخ: ما تقولون في الآيات والأحاديث الواردة في الأسماء والصفات؟

قوله: (أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ هَذَا الجَوَابِ)، الذي هو الفتوى الحموية.

قوله: (ذِكْرُ أَلْفَاظِ بَعْضِ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ نَقَلُوا مَذْهَبَ السَّلَفِ فِي هَذَا الْبَابِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ ذَكَرْنَا شَيْئًا مِنْ قَوْلِهِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ يَقُولُ بِجَمِيعِ مَا نَقُولُهُ فِي

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٣٦٣)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ٨٨)، والطبراني في الكبير (٢٢٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٧، ٥١٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٢)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (ص٤٤٤)، والفريابي في صفة المنافق (ص٥٨).

هَذَا وَغَيْرِهِ)، الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: نقلنا عن هؤلاء الأئمة، وإن كانوا يخالفوننا في بعض الأمور، لكن ننقل ما وافقونا عليه؛ ليكون حجة عليهم وعلى غيرهم، وإلا فلهم مخالفات، الجويني وغيره لهم مخالفات مع أهل السنة والجماعة، لكن نأخذ ما وافقونا عليه؛ ليكون دليلًا وشاهدًا عليهم، ولسنا ممن يرد الحق إذا كان مع خصمنا، بل إننا نقبل الحق ولو كان مع الخصم والمخالف، هذه طريقة الإنصاف، لسنا مثل اليهود الذين ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ [البقرة:٩١]، فنحن نقبل الحق، ولو كان مع خصومنا؛ لأنه حق، حتى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الحق من اليهودي، لما قال له: «إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ؛ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ»(١)، فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل، ولما جاءه اليهودي وأخبره أنهم «إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ؛ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآيَةَ»(٢)؛ لأنه يوافق ما في القرآن في قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧]، فتبسم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تصديقًا لقول الحبر وسرورًا بالحق، فالحق يُقبل ممن جاء به، ولسنا إذا قبلنا الحق

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٣٨).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٩٩).

الذي مع خصمنا أن نزكي خصمنا، مثلما يفهم بعض الناس إذا نُقل عن أحد من المخالفين شيء من الحق يقولون: (هذا تزكية له)، نقول: لا، ليس تزكية، نحن نأخذ الحق ممن جاء به، ولو كنا لا نزكي من قال به، الرسول ﷺ ما زكى اليهودي لما قبل منه، إنما هو قبول للحق وإنصاف للحق، ومن آفات المختلفين أن كل واحد يجحد ما مع خصمه من الحق، وهذا ليس بالإنصاف، فالمختلفون كل يقبل الحق الذي مع خصمه، ويرد ما عنده من المخالفات، هذا هو الإنصاف، وهو طريقة الجدل الصحيح.

قوله: (**وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ ذَكَرْنَا شَيْئًا مِنْ قَوْلِهِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ يَقُولُ بِجَمِيعِ مَا نَقُولُهُ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ**)، يقول: نحن ننقل عنهم، وإن كانوا لا يوافقوننا، نحن لا نترك الحق؛ لأنهم لا يوافقوننا في بعض المسائل، نحن نقبل الحق، وهذا هو الإنصاف والعدل.

قوله: (**وَلَكِنَّ الحَقَّ يُقْبَلُ مِنْ كُلِّ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ**)، الحق يُقبل من كل من تكلم به حتى ولو كان من الخصوم والمخالفين؛ لأن هدفنا هو الحق، ما هو هدفنا هو الانتصار للنفس والتغلب على الخصوم، هدفنا هو الحق، فنقبل الحق ممن جاء به، وهذه قاعدة عظيمة؛ لأن بعض المختلفين يرفض ما مع خصمه من الحق، وبعضهم يقول: (هذه تزكية للمخالف، أنا ما أنقل عنه؛ لئلا يُقال: إنه زكاه)، لا، ليست هذه تزكية، هذا قبول للحق.

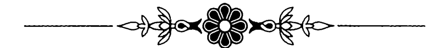
قوله: (**كَانَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَقُولُ فِي كَلامِهِ المَشْهُورِ عَنْهُ، الَّذِي رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ: «اقْبَلُوا الحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا -أَوْ قَالَ فَاجِرًا-، وَاحْذَرُوا زَيْغَةَ الحَكِيمِ، قَالُوا: كَيْفَ نَعْلَمُ أَنَّ الْكَافِرَ يَقُولُ الحَقَّ؟ قَالَ: إِنَّ عَلَى الحَقِّ نُورًا»**)،

أَوْ كَلامًا هَذَا مَعْنَاهُ)، هذا معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصحابي الجليل العالم الذي امتاز على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بغزارة العلم وقوة الفهم عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «اقْبَلُوا الْحَقَّ مِنْ كُلِّ مَنْ جَاءَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا»، فكيف إذا كان من المسلمين إلا أن عنده شيء من المخالفات؟ فهو أولى أن يُقبل ما معه من الحق.

ها هو الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الحق من اليهودي، وهو كافر.

قوله: «أَوْ قَالَ فَاجِرًا»، وهو العاصي من المسلمين، فنحن نقبل الحق من الكافر ومن الفاجر ومن الفاسق ومن المخالف، والحق ضالة المؤمن أين وجده أخذه.

قوله: «إِنَّ عَلَى الحَقِّ نُورًا»، كيف نعرف أن الكافر يقول الحق وهو كافر؟ إذا وافق كلامه القرآن أو وافق السنة، فنحن نقبله، اليهودي لما ذكر قبض السماوات والأرض بيدي الرحمن، وافق الآية ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، فإذا وافق ما في القرآن، أو وافق ما في السنة، أو وافق الإجماع، قبلناه دون نظر إلى قائله؛ هل هو فاسق، هل هو كافر، هدفنا الحق.



فَأَمَّا تَقْرِيرُ ذَلِكَ بِالدَّلِيلِ، وَإِمَاطَةُ مَا يَعْرِضُ مِنَ الشُّبَهِ، وَتَحْقِيقُ الأَمْرِ عَلَى وَجْهٍ يَخْلُصُ إِلَى الْقَلْبِ مَا يَبْرُدُ بِهِ مِنَ الْيَقِينِ وَيَقِفُ عَلَى مَوَاقِفِ آرَاءِ الْعِبَادِ فِي هَذِهِ الْمَهَامِهِ، فَمَا تَتَّسِعُ لَهُ هَذِهِ الْفَتْوَى، وَقَدْ كَتَبْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ هَذَا، وَخَاطَبْتُ بِبَعْضِ ذَلِكَ بَعْضَ مَنْ يُجَالِسُنَا، وَرُبَّمَا أَكْتُبُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- فِي ذَلِكَ مَا يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ بِهِ.

الشَّرح

قوله: (فَأَمَّا تَقْرِيرُ ذَلِكَ بِالدَّلِيلِ.. إلى قوله: فِي ذَلِكَ مَا يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ بِهِ)، ما زال الكلام للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول: نحن ذكرنا هذه النماذج؛ لأجل بيان أن الحق يُقبل، وأن من هؤلاء المخالفين من أجرى الله الحق على لسانه، وإن كان بسط هذا يحتاج إلى مجلدات، ولا يتسع جواب الرسالة أو جواب السؤال إلى الاستطراد، فنحن نذكر ما تدعو الحاجة إليه، وبسط هذا له مكان آخر.

قوله: (فَمَا تَتَّسِعُ لَهُ هَذِهِ الْفَتْوَى)؛ الفتوى الحموية.

قوله: (وَقَدْ كَتَبْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ هَذَا)، الشيخ كتب في بيان الحق في أمور الأسماء والصفات، وتكلم في دروسه ومع جلسائه بذلك، وهذا موجود في مجموع الفتاوى الكبير في قسم العقيدة، وموجود في ردّه على الخصوم في كتب مستقلة؛ مثل: «نقض التأسيس»؛ الرد على الرازي، الذي سيطبع يمكن الآن في أكثر من عشرة مجلدات «نقض تلبيس الجهمية»، وهو رد على الفخر الرازي في كتابه «تأسيس التقديس»، الرازي له كتاب اسمه «تأسيس التقديس» فيه ضلالات وطوام -والعياذ بالله-، فجاء الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ، ونقضه بكتاب سماه «نقض التأسيس» أو «بيان تلبيس الجهمية»؛ لأن هذا هو مذهب الجهمية. وكذلك «درء تعارض العقل والنقل»، وهو مطبوع في أكثر من عشرة مجلدات.

قوله: (وَرُبَّمَا أَكْتُبُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- فِي ذَلِكَ مَا يَحْصُلُ الْمَقْصُودُ بِهِ)، كتب وأفاد رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَجِمَاعُ الأَمْرِ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ يَحْصُلُ مِنْهُمَا كَمَالُ الْهُدَى وَالنُّورِ لِمَنْ تَدَبَّرَ كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَقَصَدَ اتِّبَاعَ الْحَقِّ، وَأَعْرَضَ عَنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَالإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ.

الشَّرح

نحن لسنا بحاجة إلى أقوال الناس، يكفينا الكتاب والسنة، لكن يوجد أناس يتعلقون بأقوال العلماء وأقوال الأئمة، فنحن نبين لهم أن هؤلاء الذين تقتدون بهم يخالفونكم فيما تقولون، فلماذا تأخذون أقوالهم في جانب، وتتركون الجانب الآخر الذي لا يوافق أهواءكم؟!

قوله: (لِمَنْ تَدَبَّرَ)، وهذا لا يحصل إلا للعالم الفقيه، أما إنه يأتي واحد بدائي أو متعالم، ويقول: (أنا سوف أتدبر القرآن، وسوف أفسر القرآن من عندي، وأنا لست بحاجة إلى تفسير العلماء وتفسير السلف، هم رجال ونحن رجال)، فهذا ضلال -والعياذ بالله-، وهذا تخطٍ للأمة ولعلماء الأمة ومخالفة لإجماع الأمة، يأتي واحد، ويقول: (أنا آخذ من الكتاب والسنة رأسًا، ولن أهتمّ بكلام فلان و فلان)، وهو ما عنده من العلم ولا ما يزن خردلة، غاية ما هناك أنه يتهجى الحروف، مصيبة هذه ابتلينا بها الآن.

فمن توفرت فيه هذه الشروط، يكفيه الكتاب والسنة، لكن هناك شبهات، وهناك اعتراضات، وهناك مذاهب، فلابد أن الإنسان يحذر منها؛ فيأخذ منها ما وافق الحق، ويترك منها ما خالف الحق.

ولا شك أن من كان قصده معرفة الحق والوصول إليه، فإنه موجود في الكتاب والسنة، الحق موجود بالكتاب والسنة، في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وهو القرآن،

فهو هدى للناس، يهدي للتي هي أقوم، وفي سنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبلغٌ عن الله، ومبينٌ لكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فالحق لا شك أنه في الكتاب والسنة، في أمر العقيدة وفي غيره من الأمور الأخرى، أمور العبادات والمعاملات والآداب والأخلاق كلها مستكملة في كتاب الله وسنة رسوله، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٣، ١٢٤]، وهذا من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ أنه لم يترك الناس لأهوائهم وأهواء غيرهم والآراء والأقوال والمذاهب، بل إن الله أنزل البيان -بيان الحق من الباطل- والفرقان بين الحق والباطل، فمن كان يريد الحقن فعليه أن يبحث عنه في كتاب الله وفي سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما من كان يريد غير الحق، يريد الضلال، فإنه بلا شك سيذهب مع الآراء والأقوال والمذاهب، ويأخذ ما يوافقه وما يوافق هواه ورغبته، وإن كان باطلًا، هذه طريقة أهل الضلال؛ أنهم لا يأخذون الحق من الكتاب والسنة، وإنما يأخذون الحق الذي يريدونه -بزعمهم-، يأخذونه من رغباتهم ورغبات وأقوال غيرهم، فما يوافق أهواءهم ورغباتهم، أخذوا به، وما خالف أهواءهم، تركوه، هذه طريقة أهل الضلال، أما الطريقة الأولى، فهي طريقة أهل الحق؛ أنهم يطلبون الحق في الكتاب والسنة، ومن ذلك ما نحن بصدده، وهو أمر العقيدة، العقيدة أهم شيء، من أراد معرفة الحق في العقيدة، فعليه بالكتاب والسنة، ولا يلتفت إلى آراء الناس وأقوال الناس؛ فإنها تختلف باختلاف الناس واختلاف الرغبات واختلاف الأهواء، وتختلف -أيضًا- باختلاف المدارك والعقول والأفهام، فلا ضابط للحق إلا بالكتاب والسنة، هذا

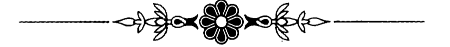
هو الضابط الذي لا يتخلف، ولا يتغير، وهو صالح لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة؛ لأن الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، ﴿ٱلْيَوْمَ﴾، أي: يوم عرفة في حجة الوداع نزلت هذه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، الدين كامل من ذاك اليوم، وما توفيّ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلا وقد أكمل الله به الدين، وأتمّ به النعمة، فمن كان يريد الحق، فعليه باتباع الكتاب والسنة، هذا هو مفترق الطرق بين الناس.

لا شك أن الذي يتمسك بالكتاب والسنة يحتاج إلى أمور:

أولًا: يحتاج إلى علم، ما كل من قال: (أنا آخذ من الكتاب والسنة) يكون مصيبًا، بل لابد من أن يتعلم طريقة الاستدلال وطريقة الفهم، وأن يأخذ بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة، فإن هؤلاء أضبط من غيرهم للحق. عليه أن يتعلم طريقة الاستدلال؛ كيف يستدل، وكيف يرد، وكيف يأخذ، وكيف يترك، عليه أن يتعلم أولًا، أما أن يأتي وهو جاهل أو بدائي، إنما غايته أنه يعرف الحروف ويتهجى، ويقول: (أنا آخذ من الكتاب والسنة)، هذا هلاك، لابد أن يتعلم أولًا، يتأهل لمعرفة الحق من الكتاب والسنة.

ثانيًا: سيواجه من الناس تعبًا؛ لأنهم يريدونه أن يكون معهم، ويريدونه أن يوافقهم، فهو يحتاج إلى صبر وثبات، ولا يلتفت إلى لوم اللائمين وعذل العاذلين، ما دام أنه على حق، فلا يلتفت للتخويف والإرجاف والوعيد والتهديد، ما يلتفت إلى هذا، يثبت على الحق؛ لأنه مقتنع بما هو عليه، فلا تستخفه أقوال الناس وإرجافاتهم، قال الله جَلَّوَعَلَا لنبيه: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠]، سيحصل من الناس أذى، ويحصل من الناس تجهيل له، وتغفيل له، وتنقص له، لكن يصبر على ذلك بعد أن يكون على فهمٍ

صحيح من كتاب الله وسنة رسوله، أما إذا كان أنه مخطئ في الفهم، وجاء واحد ينبهه على خطئه، يجب عليه القبول، أما إذا كان أنه على حق، ولكن الناس يريدونه أن يتحول معهم، وأن يوافقهم، فلا، بل يثبت على الحق، وإن لامه من لامه، لايخاف في الله لومة لائم، حتى ولو ناله ما ناله من الأذى ومن الآلام، يصبر على هذا؛ لأنه على حق، وهذا شيء معروف من بدء الخليقة؛ أن أهل الباطل يحاولون في أهل الحق دائمًا وأبدًا؛ ليصرفوهم عن الحق، فيثبت على الحق.





وَلا يَحْسَبُ الْحَاسِبُ أَنَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا الْبَتَّةَ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ يُخَالِفُهُ فِي الظَّاهِرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ»[1]، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا غَلَطٌ.

وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ مَعَنَا حَقِيقَةً، وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ حَقِيقَةً؛ كَمَا جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤].

فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ مَعَنَا أَيْنَمَا كُنَّا؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِ الأَوْعَالِ: «وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»[2].

الشَّرح

قوله: (وَلا يَحْسَبُ الحَاسِبُ أَنَّ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ يُنَاقِضُ بَعْضُهُ بَعْضًا الْبَتَّةَ)، كتاب الله وسنة الرسول ﷺ لا يتناقضان أبدًا؛ لأنهما تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، فإن ظهر لك شيء من التناقض أو التعارض، فهذا لسوء فهمك وقصور علمك، وإلا فإن كتاب الله لا يتعارض، ولا يخالف بعضه بعضًا، بل يفسر بعضه بعضًا، ويوضح بعضه بعضًا، لكن هذا يحتاج إلى علمٍ بالمُحكم وبالمتشابه، معرفة الناسخ والمنسوخ، معرفة المطلق والمقيد، معرفة العام والخاص، معرفة المُجمل والمبين، ولذلك وضع العلماء أصولًا للتفسير وأصولًا للفقه -أصول

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٣)، ومسلم (٥٤٧) من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) سبق تخريجه (ص١٢٥).

التفسير مفيدة جدًّا-، بيّنوا فيها كيف يستدل الإنسان بالقرآن، وكيف يتخلص من المشكلات التي تعرض له في أصول التفسير، وألّفوا في هذا مؤلفات، وكان أصول التفسير يدرَّس في المعاهد والكليات، وهو علمٌ مفيد جدًّا، كذلك أصول الفقه، وعلوم الحديث، وهو المسمى بالمصطلح، هذه كتب مفيدة جدًّا، لا يليق بطالب العلم ألا يعرفها وأن يتجنبها، ويقول: (هذه تعقيد، وهذا صعب، وهذا.. وهذا..)، عليه أن يتعلمها أولًا؛ لأنها تزيل عنه مشاكل كثيرة؛ فيعرف كيف يستدل بالقرآن وكيف يستدل بالسنة، وكيف يتخلص من المشكلات؛ من مشكل الآيات ومُشكل الأحاديث، والعلماء وضعوا مؤلفات في هذه الأمور، ليس العلم جلسة أو جلستين، أو كتابًا تقرؤه، لا، العلم يحتاج إلى تدرج وتلقٍ من العلماء، وصبر على المشقة، وسهر ليل وتعب وسؤال، يحتاج إلى كُلفة. إذا كان ما عندك استعداد، لا تدخل في هذا الميدان، واعتبر نفسك من العوام، يسعك ما يسع العوام، أما إذا كنت تريد العلم، فلابد من السير على المنهج السليم في تعلم العلم، وأخذه شيئًا فشيئًا مراحل، وأخذه عن العلماء والصبر على ذلك، ولو طالت المدة، يحتاج إلى جلد وإلى صبر، ويقولون: (العلم إذا أعطيته كلك، أعطاك بعضه)، وإلا فالعلم غزير؛ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]، ما أنت بآخذ من العلم كله، إنما تأخذ ما تقدر عليه؛ فعليك بهذا المنهج السليم، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة:١٨٩]، العلم يؤتى من أبوابه من طرقه، ولا يؤخذ من فروعه ومن أعاليه، وإنما يؤخذ من أصوله ومبادئه شيئًا فشيئًا، ولا تقف عند حد ترى أنك أصبحت عالمًا، من قال: (أنا عالم)، فهو جاهل، العلم ما له حد، ولهذا يقولون: (العلم من المهد إلى اللحد)، فلا تقف عند حد،

وتظن أنك اكتفيت، أو أنك عرفت، بل اطلب العلم، وتزود، والله جَلَّوَعَلَا يقول لنبيه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (رب زدني علما)، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء:١١٣]، موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما عرف أن هناك من هو أعلم منه في بعض الأمور، ذهب إليه، تعلم منه، وهو كليم الله؛ كما في سورة الكهف، موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذهب وسافر، تحمل المشاق لطلب العلم على هذا الشخص والتعلم منه، فالعلم له أصول وله طرق، لايؤخذ عفوًا في يوم أو يومين، أو قراءة كتاب، أو إن شاء الله ألف كتاب تقرؤه، ما هو بهذا العلم، العلم يُتلقى من أهله من أصوله، من مبادئه شيئًا فشيئًا، مع الصبر مع التفهم؛ لأن بعض الطلاب يقول: (هذه الكتب هذه تعقيد)، وضرب بها عرض الحائط، وصار يقتصر على فهمه هو، فصار يخبط ويلبط في مسائل العلم من غير بصيرة؛ لأنه ضيّع الطريق، الإنسان إذا ضيّع الطريق، يهلك، وإذا كان يريد أنه يصل يمسك الطريق الذي صار عليه العلماء، العلماء أعرف منك وأعقل منك، وأدرى منك في هذا الأمر، ما ألّفوا هذه الكتب ووضعوا هذه الكتب إلا لفائدة عظيمة وتجربة، فإذا أردت العلم، خذ العلم من طريقهم، ولا تأخذ العلم من الجهال، أو من فهمك أنت، حتى ولو كنت من أسرع الناس فهمًا، ما يكفي هذا، وقد تفهم غلط، تفهم خطأ، فلابد من التروي والبصيرة والصبر والانتظار، وسؤال أهل العلم عما أشكل عليك، ما تقول: (والله أنا أعلم منهم، أو أنا أحسن منهم، هؤلاء أناس معقدون، وهؤلاء أناس..)؛ كما يقوله بعض أهل الغرور وأهل الجهل، أو يحتقر العلماء، ويحتقر المؤلفات والمختصرات، يحتقرها، ويقول: (ما هذه؟ هل هذه علم؟!)، هذه ما هي بطريقة الذي يريد العلم، هذا أتى العلم من غير بابه، الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾.

ليس هناك تناقض لا في الكتاب ولا في السنة أبدًا، لكن هذا لمن يُحسن الاستدلال، ويعرف الطريق، أما الإنسان البدائي، فهذا يتعارض عنده الأدلة من أول وهلة، ولهذا لما خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم يتجادلون، يقول بعضهم: ألم يقل الله كذا، ثم يقول الآخر: ألم يقل الله كذا، فيظنون أن الآيات يعارض بعضها بعضًا، فغضب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضبًا شديدًا، وقال: «**لَا تَضْرِبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ**»[1]، وأنكر عليهم أن كل واحد يأخذ دليل ويعارض الآخر، القرآن ما يتعارض أبدًا؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد، ما يتعارض، ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:٢]، فلا يتعارض القرآن أبدًا، ولا يجوز الجدال في القرآن؛ أن يقال: القرآن قال كذا، وفي موضع قال كذا، فبأيهما نأخذ؟ لا، إذا كنت لا تُحسن الاستدلال، فاعرف قدر نفسك، واترك القرآن لأهله.

قوله: (**مِثْلُ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ: مَا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ يُخَالِفُهُ فِي الظَّاهِرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]. وَقَوْلُهُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ»، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا غَلَطٌ**)، هذه من الأمثلة الذي يظن بعض الناس أنها متعارضة في القرآن أو في السنة، وهو أن الله أخبر أنه فوق العرش، وأنه في العلو فوق السماوات، وأخبر في موضعٍ آخر أنه معنا؛ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أن الله قِبل وجه المصلي إذا قام في صلاته»، هذا تعارض عند هؤلاء؛ كيف يقول في موضع: إن الله فوق السماوات، وفي موضع يقول: وهو معكم، وهو قِبل وجه

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، وأحمد (٣٦/ ٤٩٣)، والطبراني في الكبير (٨/ ٢٧٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٧)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/ ١٢٨) من حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المصلي؟ فهذا من الغلط؛ ليس في هذا تعارض، الله فوق السماوات حقيقة، وفوق عرشه، وهو معنا حقيقة بعلمه وإحاطته جَلَّوَعَلَا، فليس معنى أنه فوق العرش أنه بعيدٌ عنّا، وأنه لايرانا ولا يسمعنا، بل هو معنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بعلمه وسمعه وبصره وإحاطته وقربه منا، ولهذا يقول جَلَّوَعَلَا: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، الظاهر: فوق كل شيء، الباطن، هذا معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾؛ بعلمه وسمعه وبصره، لا تخفون عليه، يسمع السر والنجوى، ويعلم ما في القلوب وفي الصدور، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ليس معنى (وهو معنا) أنه مختلط بنا، وأنه معنا في الأرض مختلط بنا، بل هذه معية لله عَزَّوَجَلَّ بمعنى الإحاطة والعلم والقدرة؛ فلابد من الجمع بين الآيات والأحاديث، وهذه مسألة عظيمة مسألة المعية، يقول: (وهو معكم)، ويقول: (وهو فوق العرش فوق سماواته)، يتعارض هذا في فهم بعض الناس الذين لا يعرفون الله حق المعرفة، ولايتدبرون القرآن، ويردون بعضه إلى بعض، ويفسرون بعضه ببعض. فهناك الحلولية يقولون: (هو معنا، يعني: مختلط بنا، داخلٌ في العالم)، هؤلاء الحلولية، وهناك الجهمية وأضرابهم يقولون: (لا، إنه ليس فوق العرش، ولا في السماء، وليس له مكان، لا هو داخل العالم ولا خارج، ولا فوق ولا تحت، ولا يمنى ولا يسرى، ولا ولا... إلى آخره)، تعالى الله عما يقولون! فليس معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أنه مختلط بكم؛ لأن المعية لفظٌ عام، معناه المقارنة، مطلق المقارنة، ويختلف مقتضاها ومعناها باختلاف المواضع التي ترد فيها:

* فتكون بمعنى المخالطة إذا قلت: فلان معي في المسجد، أو في الفصل. هذا معناه المخالطة؛ لأن هذا مقتضى المعية في هذا الموضع.

* وتكون بمعنى: الإحاطة، إذا قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، الله جَلَّوَعَلَا معكم، أي: هو محيطٌ بكم، فمعناها: الإحاطة والعلم، وليس معناها المخالطة.



* وتقول: (القمر معنا، ونحن نسير)، هذا معناه المصاحبة؛ أن القمر مع الناس في البلدان، وفي البراري، وفي الطرقات، كلُّهم يرون القمر، ويستضيئون بنوره، وهو في السماء، ليس معهم يمشي معهم، هذا مخلوق، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ فمعنى (ما زلنا نسير والقمر معنا)، أي: مصاحب لنا بنوره وضوئه، وليس معناه أن القمر ينزل ويمشي معكم في الطريق، فليس هناك أحد عاقل يقول هذا الكلام. وإذا كان هذا في المخلوق -وهو القمر-، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

* تقول: (متاعي معي)، وهو قد يكون بالسيارة، تحمله على السيارة أو على رأسك، فمعنى (معي): أنه بحوزتك، معنى (متاعي معي): أنه بحوزتك.

* تقول: (زوجتي معي)، يعني: في عصمتك، ولو كانت في المشرق وأنت في المغرب، تقول: (زوجتي معي)، ليس من لازمها أنها معك في المكان، وإنما هي معك يعني: في الزوجية في العصمة.

فكلمة (مع) تختلف باختلاف المواضع التي ترد فيها، ومعناها الكلي: المقارنة. فيجب الفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن هناك من يقول: (﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ معناه: أنه مختلط بالخلق، فأنتم أوّلتُموها، أنتم تُنكرون التأويل، وأنتم الذين أوّلتم في هذه الآية، قلتم: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾، أي: معكم بعلمه)، نقول: لا، هذا ليس بتأويل، هذا تفسير؛ لأن المعية لها تفسيرات، تُفسر في كل موضعٍ بحسبه، وأنتم إنما أوتيتم من ضيق علمكم وعدم معرفتكم بلغة العرب؛ حيث ظننتم أن المعية ما لها إلا معنىً واحد، وهو المخالطة، المعية لها عدة معانٍ، وتختلف معانيها باختلاف مواضعها وسياقاتها، تقول: (متاعي معي)، وهو ما هو بمعك، هو على السيارة، أو هو فوق رأسك تحمله، تقول: (زوجتي معي)، بمعنى أنها في عصمتك، تقول:

(القمر معنا)، مع أنه في السماء -سماء الدنيا-، وهو معكم بمعنى أنكم ترونه، ويضيء لكم الطريق كأنه مصاحب لكم، معناه المصاحبة. فليست المعية بمعنىً واحد حتى يقال: (إن هذا تأويل)، بل يقال: هذا تفسير لها بأحد معانيها؛ لأن المعية لها عدة معان، وتُفسر في كل موضعٍ بحسبه.

وهذا الكلام غلط الذي يقول: (إن هذا ظاهر الآية)، هذا ظاهر فهمك أنت، وأمَّا الآية، فليس هذا ظاهرها. وهذا الكلام سبق أنه لا يجوز للإنسان أن يستدلّ بالقرآن إلا بعد أن يعرف طرق الاستدلال، أو يعرف اللغة التي نزل بها القرآن، أما أنه يستدل وهو مبتدئ جاهل، هذا لا يجوز.

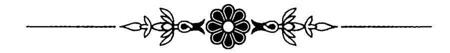
قوله: (وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ مَعَنَا حَقِيقَةً، وَهُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ حَقِيقَةً)، هو معنا حقيقة بعلمه وإرادته وإحاطته ونصره وتأييده؛ فالله جَلَّ وَعَلَا مع جميع العباد المؤمن والكافر، بمعنى الإحاطة والعلم، يعلم أعمالهم، ويعلم تصرفاتهم، وهو مع عباده المؤمنين معية نصر وتأييد، مثل قوله تعالى لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، ﴿مَعَكُمَآ﴾: معيةٍ خاصة، معية العلم والتأييد، وليس معناه: أن الله جاء مع موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ودخل على فرعون، من يقول هذا؟! بل معناه: أن الله معهما بعلمه وإحاطته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يخفون عليه، وهو قريبٌ منهم. يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وهما في غار ثور- يقول: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠]، هل معناه أن الله معهم في الغار؟! تعالى الله! وإنّما معهم بنصره وتأييده وعلمه وإحاطته.

ولا يقال: (هو معنا) من باب المجاز؛ كما يقول هؤلاء، هو معنا حقيقة بعلمه وإرادته.



قوله: (كَمَا جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾)، جمع الله بين أنه فوق العرش وأنه معنا في هذه الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، جمع بين أنه معنا وأنه فوق العرش، هل هذا تعارض وتناقض؟ لا، ليس هذا تعارض ولا تناقض، هو معنا بعلمه وإحاطته ورؤيته وبصره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ مَعَنَا أَيْنَمَا كُنَّا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الأَوْعَالِ: «وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ»)، حديث الأوعال الذي هو حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أورده الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في آخر باب من كتاب التوحيد[1]، جمع فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الأمرين كما في الآية؛ أن الله فوق العرش، وهو معكم أينما كنتم.



(١) سبق تخريجه (ص١٢٨).

وَذَلِكَ أَنَّ كَلِمَةَ (مَعَ) فِي اللُّغَةِ إِذَا أُطْلِقَتْ، فَلَيْسَ فِي ظَاهِرِهَا فِي اللُّغَةِ إِلَّا الْمُقَارَنَةُ الْمُطْلَقَةُ مِنْ غَيْرِ وُجُوبِ مُمَاسَّةٍ أَوْ مُحَاذَاةٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، فَإِذَا قُيِّدَتْ بِمَعْنًى مِنَ الْمَعَانِي، دَلَّتْ عَلَى الْمُقَارَنَةِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى، فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَا زِلْنَا نَسِيرُ وَالْقَمَرَ مَعَنَا، أَو النَّجْمَ مَعَنَا. وَيُقَالُ: هَذَا الْمَتَاعُ مَعِي لِمُجَامَعَتِهِ لَكَ، وَإِنْ كَانَ فَوْقَ رَأْسِكَ، فَاللهُ مَعَ خَلْقِهِ حَقِيقَةً، وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ حَقِيقَةً.

الشَّرْح

قوله: (وَذَلِكَ أَنَّ كَلِمَةَ (مَعَ) فِي اللُّغَةِ إِذَا أُطْلِقَتْ فَلَيْسَ فِي ظَاهِرِهَا فِي اللُّغَةِ إِلَّا الْمُقَارَنَةُ الْمُطْلَقَةُ)، معناها العام: المقارنة المطلقة، هذه المقارنة تختلف باختلاف المواضع التي تُستعمل فيها، وتُفسر في كل موضع بحسبه.

قوله: (مِنْ غَيْرِ وُجُوبِ مُمَاسَّةٍ أَوْ مُحَاذَاةٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ)، من غير وجوب مماسة؛ لأن هؤلاء قصروها على معنىً واحد، وهو المماسة والمخالطة، يقولون: (إن المعية ليس لها إلا معنىً واحد، وهو المخالطة والمُماسة، فإذا فسرتم الآية بغير ذلك، فقد أوّلتموها عن ظاهرها)، هكذا يقولون، نقول: هذا من جهلكم بكلام الله وبسنة رسوله وبلغة العرب؛ حيث حصرتم المعية في المماسة والمخالطة؛ مع أن لها عدة معانٍ في كتاب الله وفي سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (فَإِذَا قُيِّدَتْ بِمَعْنًى مِنَ الْمَعَانِي، دَلَّتْ عَلَى الْمُقَارَنَةِ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى)، إذا قيدت في بعض المعاني، فُسرت به، تكون بمعنى المخالطة تارة، وتكون بمعنى المصاحبة تارة، وتكون بمعنى العلم والإحاطة تارة؛ حسب المواضع.

قوله: (فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَا زِلْنَا نَسِيرُ وَالْقَمَرَ مَعَنَا، أَو النَّجْمَ مَعَنَا)، المسافرون يقولون: ما زلنا نسير والقمر معنا. هل معناه أن القمر يمشي معهم بالجادة

والطريق، أو راكب معهم في السيارة؟ لا، معناه: أن القمر معهم بضوئه ونوره، يستضيئون به، ولا يغيب عنهم، أينما ذهبت القمر فوقك، كلهم يقول: القمر فوقي. الآن القمر على نصف الأرض كلهم يقول: القمر عندي. مع أنه في السماء، أهل الشام يقولون: القمر عندنا. وأهل اليمن يقولون: القمر عندنا. في ليلة واحدة، مع أنه مخلوق، القمر مخلوق من أصغر المخلوقات، ومع هذا كلٌّ يقول: القمر معي. بمعنى المصاحبة فقط، لا بمعنى المخالطة والمماسة.

قوله: (**وَيُقَالُ: هَذَا المَتَاعُ مَعِي لِمُجَامَعَتِهِ لَكَ، وَإِنْ كَانَ فَوْقَ رَأْسِكَ**)، وتقول: متاعي معي. ما يلزم أن متاعك معك أنه إلى جنبك، ومخالط لك، ومماس لك، قد يكون على رأسك، وقد يكون في السيارة، وقد يكون فوق السطح، معلقه في الشجرة؛ فـ(متاعي معي) معناه: أنه بحوزتك وبحضورك.

قوله: (**فَاللهُ مَعَ خَلْقِهِ حَقِيقَةً، وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ حَقِيقَةً**)، بلا شك لا مجاز؛ كما يقولون: (إن تفسير أنه معنا بالعلم هذا مجاز)، نقول: لا، هو معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، ولا تضاد ولا اختلاف بين ذلك، وإذا جاز هذا في القمر مع أنه مخلوق، فالخالق من باب أولى سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.



ثُمَّ هَذِهِ المَعِيَّةُ تَخْتَلِفُ أَحْكَامُهَا بِحَسَبِ المَوَارِدِ، فَلَمَّا قَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]**، دَلَّ ظَاهِرُ الْخِطَابِ عَلَى أَنَّ حُكْمَ هَذِهِ المَعِيَّةِ وَمُقْتَضَاهَا أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْكُمْ، شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَمُهَيْمِنٌ عَالِمٌ بِكُمْ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ السَّلَفِ: «إِنَّهُ مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ»، وَهَذَا ظَاهِرُ الْخِطَابِ وَحَقِيقَتُهُ.**

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ هَذِهِ المَعِيَّةُ تَخْتَلِفُ أَحْكَامُهَا بِحَسَبِ المَوَارِدِ، فَلَمَّا قَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾)، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ يدخل فيها من الحبوب والبذور والنباتات والأموات، كل ما يدخل في الأرض، فإن الله يعلمه، مع أنه مغطىً في الأرض، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، فهو جَلَّ وَعَلَا يعلم كل شيء؛ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾، يخرج منها من النباتات والمعادن والمياه، يعلم سبحانه كل ما يخرج من الأرض، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾؛ من الملائكة، ومن الأمطار، والأرزاق، والوحي المنزل على الرسل، يعلم ذلك كله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن المقادير والقضايا القدرية، كلها يعلمها سبحانه، كل ما ينزل من السماء من خيرٍ أو شر، كله يعلمه الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾؛ وما يصعد إلى السماء من الملائكة، ومن أرواح المؤمنين إذا قُبضت، فإنها تصعد إلى الله جَلَّ وَعَلَا، ومن الدعوات -دعوات المضطرين-، ومن الأعمال الصالحة تصعد إلى الله، ومن الذكر، ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠]، فهو يعلم ما يعرج إلى السماء، يعني: ما



يصعد إليها من أعمالٍ وغيرها، يعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من أي مكان يعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ معية إحاطةٍ وعلمٍ، ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾؛ لا تخفون على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا تخفون على الله في بر، أو في بحر، أو في جو، أو في ظلام، أو في نور، لا تخفون على الله جَلَّ وَعَلَا أينما كنتم؛ في البيوت، في داخل البيوت، في خارج البيوت، الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، لا تظن أنك ذهبت لمكان بعيد، تظن أنك اختفيت عن الله جَلَّ وَعَلَا، إذا دخلت في مكان مُظلم مُغلق، فإنك قد اختفيت عن الله جَلَّ وَعَلَا، الله محيطٌ بك، ويراك، ويسمعك، ويعلم ما يصدر منك في أي مكان.

قوله: (دَلَّ ظَاهِرُ الخِطَابِ عَلَى أَنَّ حُكْمَ هَذِهِ المَعِيَّةِ وَمُقْتَضَاهَا أَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَيْكُمْ)؛ أنه مطلعٌ، وليس معناه أنه مخالط لكم، وإنما معناها ومقتضاها: أنه مطلعٌ وعالمٌ بكل ما يحصل منكم من خيرٍ أو شر.

قوله: (شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَمُهَيْمِنٌ عَالِمٌ بِكُمْ. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ السَّلَفِ: «إِنَّهُ مَعَهُمْ بِعِلْمِهِ»)، معهم بعلمه، لا بذاته، أما ذاته جَلَّ وَعَلَا، فهو فوق السماوات، مستوٍ على العرش، لا يختلط بخلقه جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (وَهَذَا ظَاهِرُ الخِطَابِ وَحَقِيقَتُهُ)، هذا ظاهر الخطاب وحقيقته لا مجاز، ليس معناه أن هذا تفسير مجازي، وإنما هو حقيقي؛ لأن هذا مقتضى اللغة العربية التي نزل بها القرآن.



وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧]، **وَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **لِصَاحِبِهِ فِي الْغَارِ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾** [التوبة:٤٠] **كَانَ هَذَا -أيضًا- حَقًّا عَلَى ظَاهِرِهِ، وَدَلَّتِ الْحَالُ عَلَى أَنَّ حُكْمَ المَعِيَّةِ هُنَا -مَعَ الاطِّلَاعِ- النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ.**

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]، **وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾** [طه:٤٦]، **هُنَا المَعِيَّةُ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَحُكْمُهَا فِي هَذَا المَوْطِنِ النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ.**

وَقَدْ يَدْخُلُ عَلَى صَبِيٍّ مَنْ يُخِيفُهُ، فَيَبْكِي، فَيُشْرِفُ عَلَيْهِ أَبُوهُ مِنْ فَوْقِ السَّقْفِ، وَيَقُولُ: لَا تَخَفْ، أَنَا مَعَكَ، أَوْ أَنَا حَاضِرٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، يُنَبِّهُهُ عَلَى المَعِيَّةِ المُوجِبَةِ بِحُكْمِ الْحَالِ دَفْعَ المَكْرُوهِ، فَفَرْقٌ بَيْنَ مَعْنَى المَعِيَّةِ وَبَيْنَ مُقْتَضَاهَا، وَرُبَّمَا صَارَ مُقْتَضَاهَا مِنْ مَعْنَاهَا، فَتَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ المَوَاضِعِ.

الشَّرْح

قوله: (وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾)، كذلك في آية المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧]، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (بدأ الآية بالعلم ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ ...﴾، وختمها بالعلم)(١)، ﴿إِنَّ

---

(١) سبق عزوه (ص٤١٢).

ﭐللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾. فدلَّ على أن المراد معية العلم والإحاطة، لا معية المخالطة والمجالسة.

قوله: (**وَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ** ﷺ **لِصَاحِبِهِ فِي الْغَارِ:** ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] **كَانَ هَذَا -أيضًا- حَقًّا عَلَى ظَاهِرِهِ**)، النبي ﷺ لما أذن الله له ولأصحابه رضي الله عنهم بالهجرة إلى المدينة فرارًا بدينهم من أذى الكفار، أذن للصحابة رضي الله عنهم، فهاجروا، وتأخر هو ﷺ حتى أذن الله له بالهجرة واللحاق بأصحابه، فلما علم الكفار أن الرسول ﷺ سيهاجر، اجتمعوا في دار الندوة، وتشاوروا ماذا يصنعون به؛ لئلا يلحق بأصحابه؛ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]، بعضهم قال: اسجنوه حتى يموت، ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾، يعني: يسجنونك حتى تموت، ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾: يستريحون منك، ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾: يطردونك من البلد بلا مالٍ وبلا شيء، يطاردونك، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾: اجتمعوا على رأيٍ واحد، وهو أن يقتلوه ﷺ، اجتمعوا على رأيٍ واحد، وهو القتل، فجاؤوا عند بابه ﷺ في الليل ينتظرون خروجه ليقتلوه، فالله أرسل جبريل إلى محمد ﷺ، فأخبره بمكيدتهم، فدعا محمد ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وأمره أن يبيت على فراشه؛ من أجل أن المشركين يطمئنون أن الرسول ﷺ موجود على الفراش، يظنونه الرسول ﷺ، ثم إن علي رضي الله عنه رقد على فراش الرسول الله ﷺ، والمشركون ينظرون إليه، ما عندهم إلا النور يخرج ينفذون، خرج الرسول ﷺ من بينهم وهم لا يشعرون، أخرجه الله من بينهم وهم لا يشعرون، وذرَّ على رؤوسهم التراب، وذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه، وخرج هو وإيّاه إلى غار ثور جنوب مكة، انظر! الهجرة

طريق الشمال، وهو ذهب للجنوب؛ لأجل أن يُعميّ الأمر عليهم، هم سيذهبون إلى الشمال يبحثون عنه، وهو ذهب، وصار بالجنوب جنوب مكة، ودخل في الغار هو وصاحبه، المشركون لما أصبحوا، وعرفوا أن الذي على الفراش عليّ، أُسقط في أيديهم؛ حيث خرج الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بينهم، ولم يشعروا به، فذهبوا يطلبونه من كل وجه، وجعلوا لمن يأتيهم به حيًّا أو ميتًا الأموال الطائلة، حتى إنهم جاؤوا إلى الغار الذي فيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوقفوا عليه، فأعمى الله أبصارهم، فلم يروه وهو عند أقدامهم، فقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: **مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟**»[1]، فأنزل الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾، صاحبه هو أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإذا قيل لك: من هو الصحابي الذي ذُكرت صحبته في القرآن، ماذا تقول؟ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ هذا فيه إثبات الصحبة لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، فأعمى الله بصائرهم، فلم يروا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانصرفوا آيسين. فهذا من نُصرة الله لرسوله.

الشاهد: في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ هل معناه أن الله جالس مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهما في الغار معية مخالطة؟! لا، معناه: إن الله معنا بعلمه ونصره وتأييده؛ كما قال لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، فهي معية علم وإحاطة ونصرة وتأييد، وليست معية مخالطة ومحاذاة -كما يقوله أهل الجهل أو التجهيل والتضليل-، القرآن واضح في هذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

هو معهم سبحانه، لكن معهم بعلمه وقدرته وإرادته ونصره وتأييده، وليس معنى معهم أنه جالس معهم في الغار ومختلط بهم -تعالى الله عن ذلك!

قوله: (وَدَلَّت الحَالُ عَلَى أَنَّ حُكْمَ المَعِيَّةِ هُنَا -مَعَ الاطِّلَاعِ- النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ)؛ لأن المعية معيتان، معية الخلق على نوعين:

* معية عامة للمؤمنين والكفار، بمعنى الإحاطة والعلم.

* ومعية خاصة للمؤمنين، وهي معية النصر والتأييد؛ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨]، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦] هذه معية خاصة، معناها النصر والتأييد والإعانة.

قوله: (وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾)، هذه معية خاصة -أيضًا- لعموم المتقين المحسنين؛ أن الله معهم بنصره وتأييده، وليس معناه أنه يمشي معهم، ويجلس معهم.

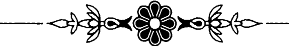
قوله: (وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِمُوسَى وَهَارُونَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾)؛ لأن موسى وهارون لما قال الله لهما: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴾ [طه:٤٣-٤٥]؛ لأنه جبار عنيد، يدخلون عليه اثنين، ويخاطبونه بأن يترك ما هو عليه من الكفر والجبروت، يريد أن يبطش بهم، ويغضب عليهم، ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾، ثم انظروا ماذا كانت العاقبة هل بطش بهما؟ هل قتلهما؟ مع أنه جبار تخافه الخلائق في وقته، اثنان يدخلان عليه ويخاطبانه، ولا يتمكن من أن يؤذيهما؛ لأن الله حبسه عنهما، وبالنهاية نصرهما عليه. هذه معنى المعية، معية التأييد والنصر والإعانة.

قوله: (هُنَا المَعِيَّةُ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَحُكْمُهَا فِي هَذَا المَوْطِنِ النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ)؛ كمعيته لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه بالنصر والتأييد.

قوله: (وَقَدْ يَدْخُلُ عَلَى صَبِيٍّ مَنْ يُخِيفُهُ، فَيَبْكِي، فَيُشْرِفُ عَلَيْهِ أَبُوهُ مِنْ فَوْقِ السَّقْفِ وَيَقُولُ: لَا تَخَفْ، أَنَا مَعَكَ، أَوْ أَنَا حَاضِرٌ وَنَحْوَ ذَلِكَ)، هذا مثال في المخلوقين، صبيٌّ خاف، فأطلّ عليه والده من السطح أو من مكان مرتفع، وقال له: لا تخف، أنا عندك، أنا معك. وهذا شيء سائغ في اللغة معروف، فيطمئن هذا الطفل أن والده بحضرته وقريب منه؛ فإذا جاز هذا في حق المخلوق، ففي حق الخالق من باب أولى؛ لأن هذا الطفل اطمئن أن أباه معه بالنصر والتأييد والحضور معه، فالخالق من باب أولى وأقدر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على النصر والتأييد.

قوله: (يُنَبِّهُهُ عَلَى المَعِيَّةِ المُوجِبَةِ بِحُكْمِ الحَالِ دَفْعَ المَكْرُوهِ)؛ معية النصر والتأييد، هذا يكون بين الخلق -أيضًا-، تقول لواحد: إني خائف. فيقول: لا تخف، أنا معك، أنا حولك، أنا أساعدك. هذا إذا جاز هذا بين الخلق، فمع الخالق من باب أولى، الذي لا يُعجزه شيء.

قوله: (فَفَرْقٌ بَيْنَ مَعْنَى المَعِيَّةِ وَبَيْنَ مُقْتَضَاهَا، وَرُبَّمَا صَارَ مُقْتَضَاهَا مِنْ مَعْنَاهَا، فَتَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ المَوَاضِعِ)، معناها العام واحد، هو المقارنة، وأما مقتضاها، فيختلف باختلاف المواضع، فيُفسر في كل موضع وسياقٍ بحسبه.



فَلَفْظُ المَعِيَّةِ قَد اُسْتُعْمِلَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ يَقْتَضِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ أُمُورًا لَا يَقْتَضِيهَا فِي المَوْضِعِ الآخَرِ، فَإِمَّا أَنْ تَخْتَلِفَ دَلَالَتُهَا بِحَسَبِ المَوَاضِعِ، أَوْ تَدُلَّ عَلَى قَدْرٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ جَمِيعِ مَوَارِدِهَا -وَإِن امْتَازَ كُلُّ مَوْضِعٍ بِخَاصِّيَّةٍ- فَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ لَيْسَ مُقْتَضَاهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتُ الرَّبِّ مُخْتَلِطَةً بِالْخَلْقِ حَتَّى يُقَالَ: قَدْ صُرِفَتْ عَنْ ظَاهِرِهَا.

وَنَظِيرُهَا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ الرُّبُوبِيَّةُ وَالْعُبُودِيَّةُ، فَإِنَّهَا وَإِن اشْتَرَكَتْ فِي أَصْلِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالتَّعْبِيدِ فَلَمَّا قَالَ: ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الشعراء:٤٦، ٤٧] **كَانَتْ رُبُوبِيَّةُ مُوسَى وَهَارُونَ لَهَا اخْتِصَاصٌ زَائِدٌ عَلَى الرُّبُوبِيَّةِ الْعَامَّةِ لِلْخَلْقِ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْكَمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى غَيْرَهُ: فَقَدَ رَبَّهُ وَرَبَّاهُ، وَرُبُوبِيَّتُهُ وَتَرْبِيَتُهُ أَكْمَلُ مِنْ غَيْرِهِ.**

الشَّرح

قوله: (**فَلَفْظُ المَعِيَّةِ قَد اُسْتُعْمِلَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي مَوَاضِعَ يَقْتَضِي فِي كُلِّ مَوْضِعٍ أُمُورًا لَا يَقْتَضِيهَا فِي المَوْضِعِ الآخَرِ**)، في كل موضع بحسبه، وليست بمعنى واحد في كل المواضع، بل تختلف باختلاف المواضع.

قوله: (**فَإِمَّا أَنْ تَخْتَلِفَ دَلَالَتُهَا بِحَسَبِ المَوَاضِعِ، أَوْ تَدُلَّ عَلَى قَدْرٍ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ جَمِيعِ مَوَارِدِهَا -وَإِن امْتَازَ كُلُّ مَوْضِعٍ بِخَاصِّيَّةٍ-، فَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ لَيْسَ مُقْتَضَاهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتُ الرَّبِّ مُخْتَلِطَةً بِالخَلْقِ**)، هذا فهم باطل، إذا قيل: (إن معناه المخالطة)، قول أن الله مع الخلق بذاته هذا غلط، هذا مذهب الحلولية، والله منَزهٌ عن ذلك.

قوله: (**حَتَّى يُقَالَ: قَدْ صُرِفَتْ عَنْ ظَاهِرِهَا**)، مثلما يقوله أهل التأويل، يفرحون الآن، ويقولون: (أنتم تنكرون التأويل، وأنتم الذين أوّلتم المعية عن

ظاهرها)، نقول لهم: أنتم ما تعرفون ظاهر المعية حتى تتكلموا، المعية ليست على ظاهر واحد، المعية تختلف ظواهرها باختلاف مواردها، لكن أنتم اقتصرتم على موضع، وظننتم أنه هو المقصود في كل المواضع، وهذا من القصور في العلم، أو من التلبيس على الناس.

قوله: (**وَنَظِيرُهَا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ الرُّبُوبِيَّةُ وَالْعُبُودِيَّةُ**)، الله جَلَّوَعَلَا ربُّ العالمين، هذه ربوبية عامة، بمعنى أنه مالكهم، وسيدهم، ومصلحهم، ورازقهم، المؤمن والكافر كلهم الله ربهم، بمعنى: أنه خالقهم، وأنه رازقهم، وأنه العالم بأعمالهم وأقوالهم، ربوبية عامة.

وهناك ربوبية خاصة للمؤمنين وخصوصية للمؤمنين، بمعنى: العناية بالمخلوق والنصر والتأييد له؛ فالربوبية فيها ربوبية عامة وربوبية خاصة، مثل المعية تمامًا. العبد العابد في عبودية عامة، وكل الناس عباد لله المؤمن والكافر، ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، كلهم عباد الله المؤمن والكافر. وهناك عبودية خاصة، وهي عبودية المؤمنين؛ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء:١]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]، هذه عبودية خاصة، ﴿فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا﴾ [القمر:٩]، يعني: نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، هذه عبودية خاصة، فهناك عبودية عامة لجميع الخلق، وهناك عبودية خاصة للمؤمنين؛ مثل المعية تمامًا.

قوله: (**فَإِنَّهَا وَإِن اشْتَرَكَتْ فِي أَصْلِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالتَّعْبِيدِ فَلَمَّا قَالَ: ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾**) ﴿بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: هذه عامة للمؤمنين والكافرين، ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: هذه ربوبية خاصة، وإلا فموسى وهارون من العالمين، فلماذا كرّرها؟ هذه ربوبية خاصة بمعنى النصر والتأييد.



قوله: (فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْكَمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى غَيْرَهُ: فَقَدَ رَبَّهُ وَرَبَّاهُ، وَرُبُوبِيَّتُهُ وَتَرْبِيَتُهُ أَكْمَلُ مِنْ غَيْرِهِ. فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْكَمَالِ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى غَيْرَهُ: فَقَدَ رَبَّهُ وَرَبَّاهُ، وَرُبُوبِيَّتُهُ وَتَرْبِيَتُهُ أَكْمَلُ مِنْ غَيْرِهِ)، السحرة لما رأوا البرهان الذي مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، آمنوا، قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، التي هي الربوبية العامة التي يدخل فيها أنت يا فرعون، يخاطبون فرعون: أنت من العالمين، أنت مربوب، عبد لله، ثم قال: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، الذي أيّد موسى وهارون وأعطاهم هذه المعجزة هذه ربوبية خاصة.



وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٦] وَ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١].

فَإِنَّ الْعَبْدَ تَارَةً يَعْنِي بِهِ الْمُعَبَّدَ، فَيَعُمُّ الْخَلْقَ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم:٩٣]، وَتَارَةً يَعْنِي بِهِ الْعَابِدَ، فَيَخُصُّ، ثُمَّ يَخْتَلِفُونَ، فَمَنْ كَانَ أَعْبَدَ عِلْمًا وَحَالًا، كَانَتْ عُبُودِيَّتُهُ أَكْمَلَ، فَكَانَتِ الإِضَافَةُ فِي حَقِّهِ أَكْمَلَ، مَعَ أَنَّهَا حَقِيقَةٌ فِي جَمِيعِ الْمَوَاضِعِ.

وَمِثْلُ هَذِهِ الأَلْفَاظِ يُسَمِّيهَا بَعْضُ النَّاسِ (مُشَكِّكَةً) لِتَشْكِيكِ الْمُسْتَمِعِ فِيهَا؛ هَلْ هِيَ مِنْ قَبِيلِ الأَسْمَاءِ الْمُتَوَاطِئَةِ، أَوْ مِنْ قَبِيلِ الْمُشْتَرَكَةِ فِي اللَّفْظِ فَقَطْ؟ وَالْمُحَقِّقُونَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَيْسَتْ خَارِجَةً عَنْ جِنْسِ الْمُتَوَاطِئَةِ؛ إِذْ وَاضِعُ اللُّغَةِ إِنَّمَا وَضَعَ اللَّفْظَ بِإِزَاءِ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ، وَإِنْ كَانَتْ نَوْعًا مُخْتَصًّا مِنَ الْمُتَوَاطِئَةِ، فَلَا بَأْسَ بِتَخْصِيصِهَا بِلَفْظٍ.

الشَّرح

قوله: (وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾)، ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ هذه عبودية خاصة، وهم أهل الجنة.

قوله: (وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾) عبودية خاصة.

قوله: (فَإِنَّ الْعَبْدَ تَارَةً يَعْنِي بِهِ الْمُعَبَّدَ، فَيَعُمُّ الْخَلْقَ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾)، هذه عبودية عامة، كل الناس عبادٌ لله، حتى الكفار عباد لله عبودية عامة، لا يخرجون عن عبودية الله عَزَّوَجَلَّ، العبودية: بمعنى القهر، والمُلكية، والرزق، والخلق، هذه عامة ما أحد يخرج عنها.

قوله: (**وَتَارَةً يَعْنِي بِهِ الْعَابِدَ، فَيَخُصُّ، ثُمَّ يَخْتَلِفُونَ، فَمَنْ كَانَ أَعْبَدَ عِلْمًا وَحَالًا، كَانَتْ عُبُودِيَّتُهُ أَكْمَلَ، فَكَانَت الإِضَافَةُ فِي حَقِّهِ أَكْمَلَ**)، العبودية الخاصة تختلف، كل المؤمنين عبادٌ لله عبودية خاصة، لكن لا شك أنها تختلف باختلاف مقاماتهم وصلاحهم، فهناك من عبوديته كاملة، وهناك من عبوديته ناقصة، لكن كلهم عباد لله العبودية الخاصة.

قوله: (**مَعَ أَنَّهَا حَقِيقَةٌ فِي جَمِيعِ المَوَاضِعِ**)، فليست مجازًا في موضع وحقيقةً في موضع؛ كما يقوله هؤلاء الذين لا يعرفون لغة العرب.

قوله: (**وَمِثْلُ هَذِهِ الأَلْفَاظِ يُسَمِّيهَا بَعْضُ النَّاسِ مُشَكِّكَةً لِتَشْكِيكِ المُسْتَمِعِ فِيهَا**)، هذه قضية الألفاظ عند الأصوليين، منها ما هو متواطئ، ومنها ما هو متباين، ومنها ما هو مشترك لفظي.

أولًا: المتواطئ: وهو أن يتفق اللفظ والمعنى.

ما اختلف لفظه ومعناه يسمى: بالمتباين.

ما اتفق في اللفظ دون المعنى هذا يسمى: مشتركًا لفظيًّا.

ما اتفق في المعنى واختلف في اللفظ هذا يسمى مترادفًا.

هذه علاقة الألفاظ بعضها ببعض، لا تخرج عن هذه الأقسام الأربعة.

فـ«العلم» هذا من المتواطئ؛ العلم بالنسبة لله، والعلم بالنسبة للمخلوق، متواطئ في اللفظ والمعنى. ويختلف في الحقيقة، الحقيقة تختلف، لكن اللفظ والمعنى يتفق، والسمع والبصر والعلم؛ لأن أسماء الله وصفاته تشترك مع أسماء المخلوقين وصفاتهم في اللفظ والمعنى، وتختلف في الحقيقة؛ فحقيقة أسماء الله وصفاته تختلف عن حقيقة أسماء وصفات المخلوقين.

وإذا اختلف اللفظ والمعنى، هذا يسمى بالمتباين؛ كالإنسان والحصان مثلًا، هذا مختلف في اللفظ، هذا إنسان، وذاك حصان، اللفظ مختلف، المعنى -أيضًا- مختلف، والحقيقة مختلفة، هذا حيوان، وهذا إنسان.

المشترك: أن يشترك في اللفظ فقط، ويختلف في المعنى، يمثلونه بالعين مثلًا، العين تُطلق على العين المبصرة، ويُطلق على الذهب والفضة، يقال لها: العين، ويُطلق على العين النابعة من الأرض، وهي عين الماء، اللفظ مشترك، لكن المعنى مختلف.

وإذا اختلف اللفظ واختلف المعنى، فهذا يسمى بالمترادف؛ مثل: الأسد له أسماء كثيرة، وهو شيء واحد، هو شيء واحد في المعنى: الأسد، العباس،...، يقولون: الأسد له ثلاثمائة اسم في اللغة العربية؛ فالألفاظ مختلفة لكن الحقيقة واحدة، وهو هذا الحيوان، هذا السبع.

هذه علاقة الألفاظ بعضها ببعض، هذه مدارك لا يُدركها إلا من يتعلم قبل أن يتكلم، ويعرف وظائف الألفاظ وموارد الألفاظ؛ حتى يتكلم عن علم وبصيرة، ولا تختلط عليه الأمور.

فالخلاصة: أن الألفاظ تنقسم من حيث الاشتراك والافتراق إلى أربعة أقسام؛ إذا اشتركت الألفاظ في اللفظ والمعنى، فهي متواطئة، وإذا اشتركت في المعنى فقط دون اللفظ، فهي مترادفة، وإذا اشتركت في اللفظ دون المعنى، فهي تسمى بالمشترك اللفظي، وإذا اختلفت في اللفظ والمعنى، فهي متباينة، ومثلنا لكل نوع.

المتواطئ قد يكون متواطئًا تامًا في المعنى تامًا في الاثنين، هذا يسمى المتواطئ التام، وقد يكون متواطئًا في بعض الوجوه، هذا يسمى بالمشكّك، متواطئ تام أو متواطئ مُشكك.



اختلفوا في الأسماء والصفات مع أسماء وصفات المخلوقين، هي متواطئة على كل حال في اللفظ والمعنى، لكن هل هو متواطئ تام أم هو متواطئ من وجه، يعني: يسمى مُشككة؟

ومُشككة: لأنها ليست في المعنى على حدٍ سواء، وإن اشتركت في أصل المعنى، فهي مُشككة، هذا رأي لبعض العلماء في الأسماء والصفات مع أسماء وصفات المخلوقين؛ أنها متواطئة، لكن متواطئة مُشككة، والجمهور على أنها متواطئة تامة في الذهن، أما في الخارج، فهي مختلفة، أسماء المخلوقين غير أسماء الخالق في الخارج وفي الحقيقة، وكذلك صفات المخلوقين غير صفات الخالق في الواقع والحقيقة، وإن اشتركت في المعنى الذهني واللفظ، فهي في الحقيقة مختلفة.

وقد يحتاج طالب العلم إلى دراسة المنطق في هذه الأمور، التي تأتي في بعض الكتب، ويصعب فهمها إلا بعد التأمل.

قوله: (هَلْ هِيَ مِنْ قِبَلِ الأَسْمَاءِ الْمُتَوَاطِئَةِ، أَوْ مِنْ قِبَلِ الْمُشْتَرَكَةِ فِي اللَّفْظِ فَقَطْ، وَالْمُحَقِّقُونَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَيْسَتْ خَارِجَةً عَنْ جِنْسِ الْمُتَوَاطِئَةِ إِذْ وَاضِعُ اللُّغَةِ إِنَّمَا وَضَعَ اللَّفْظَ بِإِزَاءِ الْقَدْرِ الْمُشْتَرَكِ، وَإِنْ كَانَتْ نَوْعًا مُخْتَصًّا مِنَ الْمُتَوَاطِئَةِ فَلَا بَأْسَ بِتَخْصِيصِهَا بِلَفْظٍ)، يعني: سواءً كانت متواطئة تامة أو متواطئة مشككة، هي لا تخرج عن قسم المتواطئ، وهو ما اتفق لفظه ومعناه.



وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ المَعِيَّةَ تُضَافُ إِلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ المَخْلُوقَاتِ -كَإِضَافَةِ الرُّبُوبِيَّةِ مَثَلًا-، وَأَنَّ الاسْتِوَاءَ عَلَى الشَّيْءِ لَيْسَ إِلَّا لِلْعَرْشِ، وَأَنَّ اللهَ يُوصَفُ بِالْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَلا يُوصَفُ بِالسُّفُولِ وَلَا بِالتَّحْتِيَّةِ قَطُّ، لَا حَقِيقَةً وَلا مَجَازًا؛ عَلِمَ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ.

الشَّرْح

قوله: (وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ المَعِيَّةَ تُضَافُ إِلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ المَخْلُوقَاتِ - كَإِضَافَةِ الرُّبُوبِيَّةِ مَثَلًا)، رجع إلى المعية؛ لأنه ما زال الكلام في المعية، وإنما دخل في أنواع الاشتراك استطرادًا.

المعية تضاف إلى كل شيء بحسبه؛ فيقال: القمر معنا. بمعنى: أننا نسير على ضوئه، وهو في السماء، ونراه جميعًا القريب والبعيد، وهو في السماء، فهو معنا بمعنى المصاحبة، فهو مصاحبٌ لنا في الحضر والسفر، معناه المصاحبة، وليس معناه المخالطة.

وتضاف المعية ويراد بها المخالطة؛ كأن تقول: فلان معي في المجلس أو في المكتب. هذه معية مخالطة حسب اللفظ وحسب الموضوع الذي وردت فيه في السياق، معية مخالطة.

وتقول: زوجتي معي. بمعنى أنها في عصمتك، ولا يلزم أن تكون معك في البيت أو في السيارة، قد تكون أنت في المشرق وهي في المغرب، وتقول: زوجتي معي. يعني في عصمتك وعقدك.

وتقول: متاعي معي. قد يكون في يدك، وقد يكون على رأسك، وقد يكون على الدابة أو في السيارة؛ فمعنى المعية هنا: قُربه منك، وإن لم يكن مماسًّا لك.



ومن هذا معية الرب سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لعباده، لا يلزم منها المخالطة والمماسة، بل هي معية علم وإحاطة، وهو في السماء ونحن في الأرض، وهو معنا، بمعنى: أنه محيطٌ بنا مطَّلعٌ علينا، يعلم أحوالنا، ولا نخفى عليه، ليس معناه أنه مختلطٌ بالناس، ولا أحد من أهل الفِطر السليمة يقول: إن الله مع الخلق، أو إن الله تحت أو أسفل. وإنما الجميع بفطرتهم يعترفون أن الله هو الأعلى سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في السماوات، لا أحد يُنكر هذا، حتى العوام والبادية والجُهال يتجهون إلى السماء حال الدعاء بفطرتهم، ما أحد قال لهم هذا الشيء، أو درسوه في المعاهد أو الكليات أو المساجد، لكن فطرتهم هكذا؛ أن الله في السماء، يتجهون إلى السماء بفطرتهم، ولايتجهون إلى الشمال أو إلى يمنة أو يسرة أو أمام.

وهو معنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ معية إحاطة وعلم وقدرة، لا يخفى عليه شيء من أمور مخلوقاته. فالمعية هنا على حقيقتها، وليست مؤوّلة؛ كما يقول هؤلاء: (إنكم أوّلتم، كان الظاهر أنكم تقولون: إن الله معنا. يعني: مختلط بنا، هذا هو الظاهر)، يقولون: (فإذا قلتم: إنه في السماء. فهذا تأويل)، نقول: هذا كذبٌ على اللغة، وكذبٌ على القرآن، وكذبٌ على الفطرة؛ فإن الله في السماء بإجماع العالم، وإنما هو معنا بعلمه وإرادته وإحاطته وعلمه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، معيةً حقيقية ليست مجازية، وليس معنى المعية محصورًا في المخالطة حتى يقال: إن هذا تأويل. المعية لها عدة معان، وهذا من معانيها، بل هذا أشرف معانيها، فلا حصر لها في ناحية معينة حتى تقولوا: (إنكم أوّلتموها)، بل نحن حملناها على معنىً من معانيها الحقيقية، وهذه آفة القائلين بالمجاز، الذين قالوا: (إن الكلام ينقسم إلى حقيقة ومجاز)، آفتهم أنهم ليسوا من العرب أصلًا، وإنما هم أعاجم درسوا العربية، ولم يتمكنوا من أصولها ووضعها، ولم يحيطوا بها، فحصروا المعاني في أشياء، إذا خولفت قالوا: (هذا مجاز)، مجازٌ

بالنسبة لكم ولفهمكم، أما بالنسبة لأهل اللغة ما يقولون بأن هذا مجاز، اللغة واسعة، وليست محصورة في معنىً واحد، ولم تحيطوا بمعانيها، فليس في كلام الله مجاز، بل هو حقٌّ على حقيقة، وإنما هذا مما ابتدعه المتأخرون، خصوصًا العلماء الذين كانوا من الأعاجم الأصل، ولم يكونوا عربًا فصحاء في الأصل حتى عرفوا العربية، ولذلك السلف من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة ما قالوا بالمجاز أبدًا، وليس في كلامهم وتفسيرهم أن اللغة تنقسم إلى حقيقة ومجاز، وأن القرآن فيه حقيقة ومجاز، وأن الأحاديث فيها حقيقة ومجاز. ما قال هذا أحد من السلف أبدًا، إنما حدث هذا بعد السلف، بعد ما جاء أناس دخلوا في الإسلام، وحسن إسلامهم، وتعلموا العلوم الشرعية، ومنها اللغة، لكن لم يحيطوا بها ويتمكنوا منها تمامًا. سيبويه إمام أهل اللغة هو أعجمي، أصله أعجمي، لكنه تمكن من اللغة، ما قال بالحقيقة والمجاز؛ لأنه عرف اللغة على حقيقتها، ولا الخليل بن أحمد، ولا الأئمة الكبار من أئمة اللغة، ما قالوا بالحقيقة والمجاز، أما هذا، فجاء متأخرًا عند قومٍ قصرت أفهامهم عن معرفة اللغة العربية، وحصروها في معانٍ فهموها، وظنوا أنها هي المقصودة دائمًا وأبدًا، ولا يُخرج عنها، إن خُرج عنها، صار مجازًا -كما يقولون.

قوله: (وَأَنَّ الاسْتِوَاءَ عَلَى الشَّيْءِ لَيْسَ إِلَّا لِلْعَرْشِ)، الاستواء بالنسبة لله ليس إلّا للعرش، ما ورد أن الله استوى على الأرض، أو استوى على الجبل، إنما اطرّد السياق في القرآن استوى على العرش، كل الألفاظ، سبع آيات من القرآن وردت كلها بلفظٍ واحد: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، هذا خاصٌّ بالله جَلَّوَعَلَا، وهو استواءٌ يليق بجلاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا ورد أن الله استوى على الجبل أو استوى على الشجرة، أو استوى على كذا أبدًا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

قوله: (وَأَنَّ اللهَ يُوصَفُ بِالْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيَّةِ الحَقِيقِيَّةِ)، يوصف بأنه العليّ العظيم، عليُّ الذات، وعليُّ القدر، وعليُّ القهر؛ لأن العلو له ثلاثة معانٍ: علو الذات فوق مخلوقاته، وعلو القدر، وعلو القهر. فأهل السنة والجماعة يُثبتون العلو بأنواعه الثلاثة، أما الخلف، فيُثبتون العلو بنوعيه فقط، علو القهر وعلو القدر، وينفون علو الذات.

وليس العلو المجازي ولا الفوقية المجازية، فوق عباده بقدره أو بقهره هذا مجاز عندهم، حقيقة فوقهم بذاته فوقيةً حقيقية.

قوله: (وَلا يُوصَفُ بِالسُّفُولِ وَلَا بِالتَّحْتِيَّةِ قَطُّ، لَا حَقِيقَةً وَلا مَجَازًا)، ولايوصف بالتحتية؛ أن الله تحت، بل الله فوق مخلوقاته، ولا جاء في لفظٍ ولا في حديثٍ حتى ولا مكذوب أن الله تحت عباده أو أسفل عباده، ما ورد هذا.

قوله: (عَلِمَ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ)، القرآن على ما هو عليه من غير تحريفٍ ولا مجاز -كما يقولون-، بل هو على حقيقته؛ لأنه بلسانٍ عربي مبين، واللسان العربي له اتساع لا يعلمه إلا المتضلعون في اللغة العربية، أو الذين كانت سليقتهم العربية، ونشؤوا عليها كالعرب الأوائل، ما دخلوا معاهد ولا كليات؛ مثل شعراء الجاهلية سليقتهم عربية فصحى.



ثُمَّ مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ كَوْنَ اللهِ فِي السَّمَاءِ بِمَعْنَى أَنَّ السَّمَاءَ تُحِيطُ بِهِ وَتَحْوِيهِ، فَهُوَ كَاذِبٌ -إِنْ نَقَلَهُ عَنْ غَيْرِهِ-، وَضَالٌّ -إِن اعْتَقَدَهُ فِي رَبِّهِ-، وَمَا سَمِعْنَا أَحَدًا يَفْهَمُهُ مِنَ اللَّفْظِ، وَلا رَأَيْنَا أَحَدًا نَقَلَهُ عَنْ أَحَدٍ، وَلَوْ سُئِلَ سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ: هَلْ تَفْهَمُونَ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ: «إِنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ» أَنَّ السَّمَاءَ تَحْوِيهِ؟ لَبَادَرَ كُلُّ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ يَقُولَ: هَذَا شَيْءٌ لَعَلَّهُ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِنَا.

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ مَنْ تَوَهَّمَ أَنَّ كَوْنَ اللهِ فِي السَّمَاءِ بِمَعْنَى أَنَّ السَّمَاءَ تُحِيطُ بِهِ وَتَحْوِيهِ فَهُوَ كَاذِبٌ -إِنْ نَقَلَهُ عَنْ غَيْرِهِ-، وَضَالٌّ -إِن اعْتَقَدَهُ فِي رَبِّهِ)، وهذه مسألة قد يتوهمها بعض أهل الباطل، ويقولون: (إذا قلتم: إن الله في السماء، فمعناه أن الله محتاج إلى السماء، وإذا قلتم: إن الله فوق العرش، فمعناه أنه محتاجٌ إلى العرش، من أجل أن يحمل العرش رب العالمين)، هكذا يشبهون على الناس. فنقول: أبدًا هذا لايلزم، الله في السماء، إن أريد بالسماء العلو، فإن (في) على حقيقتها، «في السماء»: يعني في العلو. وإن أريد في السماء السماوات المبنية السبع الطباق: فمعنى «في السماء»: أي فوق السماء وعلى السماء، لأن (في) تأتي بمعنى (على) في اللغة العربية الفصحى؛ ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النحل:٣٦]، هل معناه أنكم تدخلون في سراديب في الأرض، أو تسيرون فوقها؟ فوق الأرض، فـ(في) بمعنى: (على)، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]، هل معنى هذا أنه أدخلهم في جذوع النخل أم أنه صلّبهم فوق الجذوع، وعليها على الجذوع؟! فاللغة العربية واسعة، فلا أحد يتكلم فيها بدون أنه يحيط بمعانيها ويُلم بأطرافها.

فمعنى «في السماء»: أنه في العلو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حقًّا على حقيقته، وليس معناه أن السماء تُقله يعني: ترفعه سبحانه، أو تظله؛ أنه داخلٌ في مخلوقاته، وأن السماء فوقه، أو العرش فوقه، حاشا وكلّا! فالله لا يُحيط به شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس حالًّا في مخلوقاته، وليست مخلوقاته حالّةً فيه، ليس في ذاته شيءٌ من مخلوقاته، وليس من مخلوقاته شيءٌ من ذاته، ولهذا قال السلف: (بائنٌ من خلقه)، بائن لأجل أن يردوا على هؤلاء الذين يقولون: (يلزم أن الله في السماء: أنه داخل السماء، وأنه فوق العرش: أن العرش يحمله ويُقله)، كيف يُقله العرش وهو رب العالمين أعظم من كل شيء وأكبر من كل شيء؟! بل إن العرش هو المحتاج إلى الله جَلَّ وَعَلَا، الله هو الذي يحمل العرش؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١]، فهو الذي يمسك السماوات والأرض، وليست السماوات تُمسكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو غنيٌّ عن مخلوقاته؛ عن السماء وغيرها، وعن العرش وغيره، والعكس هو الصحيح أن العرش محتاجٌ إلى الله، والسماوات محتاجة إلى الله بأن يصلحها ويحملها ويحفظها، فهي المحتاجة، والله غنيٌّ عن مخلوقاته.

قوله: (إِنْ نَقَلَهُ عَنْ غَيْرِهِ)؛ لأن هذا الكلام لم يقله أحد؛ (إنه في السماء يعني: أن السماء تحويه وأنه في داخلها).

(وَضَالٌّ)، إن اعتقد هذا في حق الله؛ أن معنى «في السماء»: أنه داخل السماء، إن اعتقد هذا، فهذا ضلال، هذا عقيدة باطلة، إن نقله، فهو كاذب، وإن اعتقده، فهو ضال، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس:٣٢].

قوله: (وَمَا سَمِعْنَا أَحَدًا يَفْهَمُهُ مِنَ اللَّفْظِ)، يقول الشيخ تقي الدين على سعة اطلاعه وسعة علمه يقول: ما سمعنا أحدًا يقول هذا القول. وهو من هو في

علمه وفي اتساع ارتباطه بالعلماء وأخذه عنهم، يقول: ما سمعت أحدًا يقول هذا الكلام، ولا قرأته لأحد.

قوله: (**وَلا رَأْيْنَا أَحَدًا نَقَلَهُ عَنْ أَحَدٍ، وَلَوْ سُئِلَ سَائِرُ الْمُسْلِمِينَ: هَلْ تَفْهَمُونَ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ: «إِنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ» أَنَّ السَّمَاءَ تَحْوِيهِ؟ لَبَادَرَ كُلُّ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ يَقُولَ: هَذَا شَيْءٌ لَعَلَّهُ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِنَا**)، لو سُئل أي واحد من المسلمين حتى من العوام، لو سألت العامي: هل تعتقد أن الله في السماء أنه داخل السماء، وأن السماء فوقه وتحويه؟ قال: هذا شيء لم يرد في بالي ولم أتصوره أبدًا.





وَإِذَا كَانَ الأَمْـرُ هَكَذَا، فَمِن التَّكَلُّفِ أَنْ يَجْعَلَ ظَاهِرَ اللَّفْظِ شَيْئًا مُحَالًا لا يَفْهَمُهُ النَّاسُ مِنْهُ، ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يَتَأَوَّلَهُ، بَلْ عِنْدَ المُسْلِمِينَ أَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَاحِدٌ؛ إِذ السَّمَاءُ إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الْعُلُوُّ، فَالمَعْنَى أَنَّ اللهَ فِي الْعُلُوِّ لا فِي السُّفْلِ، وَقَدْ عَلِمَ المُسْلِمُونَ أَنَّ كُرْسِيَّهُ سُبْحَانَهُ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ، وَأَنَّ الْكُرْسِيَّ فِي الْعَرْشِ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضِ فَلاةٍ، وَأَنَّ الْعَرْشَ خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ، لا نِسْبَةَ لَهُ إِلَى قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ، فَكَيْفَ يُتَوَهَّمُ بَعْدَ هَذَا أَنَّ خَلْقًا يَحْصُرُهُ وَيَحْوِيهِ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٣٧]، بِمَعْنَى (عَلَى) وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَهُوَ كَلامٌ عَرَبِيٌّ حَقِيقَةً لا مَجَازًا، وَهَذَا يَعْلَمُهُ مَنْ عَرَفَ حَقَائِقَ مَعَانِي الْحُرُوفِ، وَأَنَّهَا مُتَوَاطِئَةٌ فِي الْغَالِبِ لا مُشْتَرَكَةٌ.

الشَّرح

قوله: (وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ هَكَذَا، فَمِن التَّكَلُّفِ أَنْ يَجْعَلَ ظَاهِرَ اللَّفْظِ شَيْئًا مُحَالًا لَا يَفْهَمُهُ النَّاسُ مِنْهُ، ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يَتَأَوَّلَهُ)، من التكلف أنه يجعل شيئًا ظاهرًا في اللفظ والمسلمون قاطبة وعلماؤهم خاصة لم يفهموا هذا الشيء، هذا من الكذب. يتوهم شيئًا ثم يريد أن يؤول اللفظ؛ لينفي هذا الشيء الذي توهمه، يريد أن يغير كلام الله من أجل فهمه هو، هذا لا يجوز، والواجب العكس: أن تغير فهمك ليوافق كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أما أن تغير كلام الله وتؤوّله من أجل أن يوافق فهمًا فهمته، وأنت مخطئ فيه وضال فيه، فهذا لا يجوز أبدًا، الواجب العكس؛ أن الأفهام تُخضع لكلام الله، فما أقرّه كلام الله، فهو صحيح، وما خالفه كلام الله، فهو باطل.

قوله: (بَلْ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ وَاحِدٌ، إِذ السَّمَاءُ

إِنَّمَا يُرَادُ بِهِ الْعُلُوُّ)، كما سبق أن قلنا: إن أُريد بالسماء العلو، فإن (في) على بابها ظرفية، «في السماء»: يعني في العلو، وإن أريد «في السماء»: السماء المبنية السماوات السبع والعرش، فالمراد بـ(في) أنها بمعنى (على)، «في السماء»: يعني على السماء، ولهذا شواهد من اللغة كما سبق.

قوله: (فَالمَعْنَى أَنَّ اللهَ فِي الْعُلُوِّ لَا فِي السُّفْلِ)؛ مثلما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ[1]. هذا كما في القرآن: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، أي: الله جَلَّ وَعَلَا في السماء، يعني: في العلو، ليس معناه أنه داخل السماء.

قوله: (وَقَدْ عَلِمَ المُسْلِمُونَ أَنَّ كُرْسِيَّهُ سُبْحَانَهُ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ، وَأَنَّ الْكُرْسِيَّ فِي الْعَرْشِ كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلاةٍ، وَأَنَّ الْعَرْشَ خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ لَا نِسْبَةَ لَهُ إِلَى قُدْرَةِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ، فَكَيْفَ يُتَوَهَّمُ بَعْدَ هَذَا أَنَّ خَلْقًا يَحْصُرُهُ وَيَحْوِيهِ)، إذا كان الكرسي وسع السماوات والأرض كما في القرآن: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، والكرسي أصغر من العرش، هو بالنسبة للعرش كالحلقة في أرض فلاة، أصغر من العرش، العرش أعظم منه، والعرش هو أعظم المخلوقات، وهو بالنسبة إلى الله مخلوقٌ صغير، فكيف يكون الله محتاجًا إلى هذا المخلوق الصغير بالنسبة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟! فليس معنى استوائه على عرشه أنه محتاج إلى العرش، وإنما معناه العلو فوق مخلوقاته فوق العرش وغيره، فوق جميع المخلوقات.

قوله: (وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٣٧] بِمَعْنَى (عَلَى) وَنَحْوَ ذَلِكَ)، هذا بيان بأن (في) بمعنى (على)، يعني: سيحوا في الأرض، يعني: على الأرض،

---

(١) سبق تخريجه (ص ١٢٩).



﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النحل:٣٦]، يعني: على الأرض، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١]، يعني: على جذوع النخل، فتأتي (في) بمعنى (على)، فيكون الله فوق مخلوقاته يعني: على مخلوقاته، «في السماء» يعني: على السماء، إذا أريد بالسماء السماوات المبنية.

قوله: (وَهُوَ كَلامٌ عَرَبِيٌّ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، وَهَذَا يَعْلَمُهُ مَنْ عَرَفَ حَقَائِقَ مَعَانِي الْحُرُوفِ)، «في السماء»: على السماء، أو في العلو، كلامٌ عربي حقيقة في أصل الوضع، وليس مجازًا منقولًا من المعنى الأصلي إلى معنىً آخر؛ كما يقوله هؤلاء الذين لايفهمون اللغة، أو يغالطون ويريدون التضليل، الواجب: أن يبقى كلام الله على ما هو عليه، ولا يُؤول ويُحرّف عن مدلوله؛ بناءً على الأهواء والأفهام والجهالات.

قوله: (مَنْ عَرَفَ حَقَائِقَ مَعَانِي الْحُرُوفِ) في اللغة العربية، أما الإنسان الذي ليس متمكنًا من اللغة العربية، فيخفى عليه هذه الأسرار وهذه الأمور، ولذلك ما خالف فهمه، قال: (هذا مجاز وليس حقيقة)؛ لأنه يظن أن هذه الألفاظ إنما هي على حسب فهمه فقط، ولا يدري أن لها معاني لا يدري عنها ولا عرفها.

قوله: (وَأَنَّهَا مُتَوَاطِئَةٌ فِي الْغَالِبِ لَا مُشْتَرَكَةٌ)، متواطئة يعني: متفقة في اللفظ والمعنى، لا مشتركة. والمشترك: هو المتفق في اللفظ المختلف معنىً، ومثّلوا له بالعين، هذا مشترك لفظي مختلف في المعنى، وإن اتفق لفظه، العين تُطلق على الذهب، وتُطلق على العين المبصرة -عين الإنسان والحيوان-، وتُطلق على العين الجارية النابعة من الأرض، تُسمى عينًا، فهو لفظٌ مشترك متفق اللفظ ومختلف المعنى. هذا هو المشترك في اللغة.

وَكَذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ»[(١)]، الْحَدِيثُ حَقٌّ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ قِبَلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي، بَلْ هَذَا الْوَصْفُ يَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقَاتِ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ لَوْ أَنَّهُ يُنَاجِي السَّمَاءَ وَيُنَاجِي الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، لَكَانَت السَّمَاءُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَوْقَهُ، وَكَانَتْ أَيْضًا قِبَلَ وَجْهِهِ.

الشَّرح

قوله: (**وَكَذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ»، الحَدِيثُ حَقٌّ عَلَى ظَاهِرِهِ**)، قال ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ**»، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينصب وجهه الكريم قِبل وجه المصلي إذا قام في الصلاة يناجيه ويدعوه، ولهذا قال ﷺ: «**وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا**»[(٢)]، يعني: أنت لو تخاطب أحد الناس أو الملوك، ثم تصد عنه، يعتبرك قد أسأت في حقه، هو مقبلٌ عليك متجه إليك، وأنت تصد عنه، هذا عيب في الأخلاق، هذا بالنسبة للمخلوقين، فكيف بالخالق الذي نصب وجهه إليك وأنت تناجيه وتدعوه، ثم تلتفت عنه؟! قيل: الالتفات بالوجه، وقيل: الالتفات بالقلب بالهواجس والأفكار، فإذا دخلت في الصلاة، فأقبل على الله بقلبك وفكرك وجميع حواسك؛

---

(١) سبق تخريجه (ص٩٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (٢٨/ ٤٠٥، ٢٩/ ٣٣٥)، وابن خزيمة (١/ ٢٤٤، ٢/ ٦٤)، والحاكم (١/ ٣٦٢)، وأبو يعلى (٣/ ١٤٠)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٨٦) من حديث الحارث الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



لأنك أمام رب العالمين، لو وقفت -ولله المثل الأعلى- أمام ملك من الملوك، ماذا يكون شعورك وأنت أمامه؟ هل تلتفت عنه وتصد عنه؟ هل تبصق أمامك والملك أمامك؟ قد يقتلك؛ لأنك استهنت به، هذا في حق المخلوق، كيف في حق الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! الواجب أن يُعظم المصلي قدر الصلاة، ويعلم من هو واقفٌ بين يديه، فيخشع له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويُقبل عليه؛ حتى يقبل منه دعاءه، ويقبل منه صلاته، ولا يكون معرضًا عن الله، واقفًا بجسمه، لكنه منصرفٌ عن الله بقلبه أو بوجهه -أيضًا-، هذا فيه الأدب مع الله جَلَّ وَعَلَا في الصلاة. هذا من الناحية المعنوية.

من الناحية الحقيقية -كما سبق في المعية-، الله قِبل وجه المصلي حقيقة لا مجازًا، وهو فوق العرش سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو فوق العرش، وهو قِبل وجه المصلي، والله على كل شيء قدير، فهو قريبٌ في علوه عليٌّ في دنوه، الظاهر والباطن، هو الظاهر والباطن، الظاهر: فوق مخلوقاته، والباطن: القريب من عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾ [البقرة:١٨٦]، فأنت لاتنادي غائبًا، وإنما تنادي مقبلًا عليك، يسمع كلامك، ويرى مكانك، ويعلم ما في قلبك، تصور هذا في الصلاة؛ حتى تخشع فيها وتطمئن، وتتلذذ فيها.

الحاصل: أنه ليس معنى أن الله قِبل وجه المصلي أنه مع المصلين، وأنه مخالطٌ له، وإنما معناه: أنه فوق السماوات، وهو قِبل وجه المصلي؛ كما أنه فوق السماوات، وهو معنا أينما كنا؛ ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة:٧]، معية علمٍ وإحاطة واطلاع.

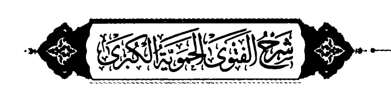
قوله: (فَلا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ)، وقد أرشد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المصلي إذا بدره البُصاق، إن كان في غير المسجد يبصق عن يساره، وإن كان بالمسجد يبصق في

منديله، أو في كمه، ويفركه ويُدخله في جيبه، أما إنه يبصق أمامه في الأرض، فهذا حرام، ولا يجوز. فإن كان في غير المسجد: فإما أن يبصق عن يساره، أو يبصق تحت قدمه، هذا في غير المسجد؛ كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيّن لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ماذا يعملون إذا كانوا في المسجد، فأخذ طرف ثوبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتفل فيه ثم فركه، وقال: أو هكذا.

قوله: (وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ قِبَلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي)، وهو فوق العرش، وهو قريبٌ من عباده، وهو فوق العرش، وهو مع عباده، كله حقيقة على ظاهرها بالنسبة لله جَلَّ وَعَلَا.

قوله: (بَلْ هَذَا الْوَصْفُ يَثْبُتُ لِلْمَخْلُوقَاتِ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ لَوْ أَنَّهُ يُنَاجِي السَّمَاءَ وَيُنَاجِي الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، لَكَانَت السَّمَاءُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فَوْقَهُ، وَكَانَتْ -أَيْضًا- قِبَلَ وَجْهِهِ)، هذا بالنسبة للمخلوقات -ولله المثل الأعلى-، لو أنك تناجي السماء وهي فوقك وهي أمامك أيضًا، فهي أمامك وفوقك، الشمس أمامك وفوقك في السماء، القمر.. هذه مخلوقات، فإذا صدق هذا في المخلوقات، ففي حق الخالق من باب أولى، ولهذا نُهي أن الإنسان يتبول أو يتغوط تجاه القبلة، تجاه الكعبة المشرفة.





وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ المَثَل بِذَلِكَ -وَلِلَّهِ المَثَلُ الأَعْلَى، وَلَكِنَّ المَقْصُودَ بِالتَّمْثِيلِ بَيَانُ جَوَازِ هَذَا وَإِمْكَانُهُ لَا تَشْبِيهُ الْخَالِقِ بِالمَخْلُوقِ-، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَرَى رَبَّهُ مُخْلِيًا بِهِ»، فَقَالَ أَبُو رَزِينٍ الْعُقَيْلِيُّ: «كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُوَ وَاحِدٌ وَنَحْنُ جَمِيعٌ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَأُنَبِّئُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلَاءِ اللهِ، هَذَا الْقَمَرُ كُلُّكُمْ يَرَاهُ مُخْلِيًا بِهِ وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ فَاللهُ أَكْبَرُ»(١)، أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

وَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ»(٢)، فَشَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ المَرْئِيُّ مُشَابِهًا لِلْمَرْئِيِّ، فَالمُؤْمِنُونَ إِذَا رَأَوْا رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَاجَوْهُ، كُلٌّ يَرَاهُ فَوْقَهُ قِبَلَ وَجْهِهِ كَمَا يَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَلَا مُنَافَاةَ أَصْلًا.

وَمَنْ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ المَعْرِفَةِ بِاللهِ وَبِالرُّسُوخِ فِي الْعِلْمِ بِاللهِ يَكُونُ إِقْرَارُهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى مَا هُمَا عَلَيْهِ أَوْكَدَ.

الشَّرح

قوله: (وَقَدْ ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ المَثَلَ بِذَلِكَ -وَللهِ المَثَلُ الأَعْلَى وَلَكِنَّ المَقْصُودَ بِالتَّمْثِيلِ بَيَانُ جَوَازِ هَذَا وَإِمْكَانُهُ لَا تَشْبِيهُ الخَالِقِ بِالمَخْلُوقِ-، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَرَى رَبَّهُ مُخْلِيًا بِهِ»)، مُخليًا به يعني: من غير مزاحمة، العادة أن الناس لو أرادوا أن يطلعوا على شيء واحد، تزاحموا عليه؛ لأنه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣١)، وابن ماجه (١٨٠) واللفظ له، وأحمد في المسند (٢٦/ ١٠٥، ١١٢، ١١١)، والدارقطني في الرؤية (ص١٥١، ١٥٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٠)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٤٣٨، ٤٣٩، ٨٩٤)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/ ٥٣٤) من حديث أبي رزين العقيلي رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه (ص٤١١).

خفي، واحد وهم كثيرون، يحصل عليه زحام، هذا بالنسبة للمخلوقات، أما بالنسبة للخالق، فهو واحد سبحانه، وكلٌّ يراه وهو مكانه من غير زحام، كيف يتصور هذا؟ واحد ويراه كل الناس، وكلٌّ في مكانه في المشرق أو في المغرب من غير زحام! نعم، مثال ذلك: الشمس والقمر، الناس يرونها، وهم في أمكنتهم، هل يتزاحمون ليروا القمر أو الشمس؟ لا يتزاحمون، كلٌّ يراها وهو على راحته، وفي سعته وفي مكانه. فإذا كان هذا ممكنًا في المخلوق، ففي حق الخالق من باب أولى، ولهذا ضرب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المثل: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**»[(١)]، يعني: يوم القيامة حقيقة، «**لَا تَضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»، أو «**لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[(٢)]، رؤيةً حقيقية في رؤيته، فلا يحصل زحام، ولا يحصل إشكال كما يحصل في الأشياء الخفية، الناس يزدحمون عليها ليروها، أما الله جَلَّ وَعَلَا، فإنه لا يحصل زحامٌ لأهل الجنة حينما يرونه، بل كلٌّ يراه وهو في منزله، وهو في مقامه؛ لأنه عالٍ فوق مخلوقاته، والشيء العالي يراه الناس بدون زحام، وإذا أمكن هذا في المخلوقات، ففي حق الخالق من باب أولى، وليس هذا من تشبيه الشمس والقمر بالله، وإنما هو تشبيه الرؤية بالرؤية، ولهذا قال: «كَمَا تَرَوْنَ»، ترى الله كما ترى القمر، وليس تشبيهًا للمرئي بالمرئي.

«**مُخْلِيًا بِهِ**»، يعني: من غير مزاحمة، ولا مضارة، ««**لَا تَضَارُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»، أو وفي رواية: «**لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**».

قوله: (**فَقَالَ أَبُو رَزِينٍ الْعُقَيْلِيُّ: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَهُوَ وَاحِدٌ وَنَحْنُ جَمِيعٌ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَأُنَبِّئُكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي آلَاءِ اللهِ، هَذَا الْقَمَرُ كُلُّكُمْ**

---

(١) سبق تخريجه (ص٤١١).

(٢) سبق تخريجه (ص٤١١).

يَرَاهُ مُخْلِيًا بِهِ وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ فَاللهُ أَكْبَرُ»، أَوْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ)، هذا مثالٌ توضيحي للرؤية، لرؤية الله من غير زحام؛ كما ترى الشمس بدون زحام والقمر بدون زحام والنجم بدون زحام، فكذلك من باب أولى أن أهل الجنة يرون الله من غير أن يتزاحموا على رؤيته.

قوله: **(وَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ» فَشَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُن المَرْئِيُّ مُشَابِهًا لِلْمَرْئِيِّ، فَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا رَأَوْا رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَنَاجَوْهُ كُلٌّ يَرَاهُ فَوْقَهُ قِبَلَ وَجْهِهِ كَمَا يَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَلا مُنَافَاةَ أَصْلًا)**، الله لايُشبهه شيء لا الشمس ولا القمر، وإنما تشبيه الرؤية بالرؤية فقط، لما سأله أبو رزين العقيلي: كيف نراه وهو واحد ونحن جميع؟ يعني: جمعٌ كثير، ضرب له هذا المثل المزيل للإشكال؛ أنه إذا أمكن هذا في المخلوقات، ففي حق الخالق وهو أعظم وأجلّ من باب أولى.

قوله: **(وَمَنْ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنَ المَعْرِفَةِ بِاللهِ وَبِالرُّسُوخِ فِي الْعِلْمِ بِاللهِ يَكُونُ إِقْرَارُهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى مَا هُمَا عَلَيْهِ أَوْكَدَ)**، ولذلك السلف الصالح ما حصل عندهم إشكال في القرآن والسنة وآيات الصفات وأحاديث الصفات، أقرّوها كما جاءت، ولم تشكل عليهم لقوة إيمانهم وتمكنهم من اللغة العربية التي خوطبوا بها، إنما جاء الإشكال لما دخل في الإسلام أجانب لا يعرفون اللغة العربية، ولم يتمكنوا من فقهها، فحصل عندهم إشكالات لجهلهم باللغة العربية ومضامينها ومدلولاتها وسياقاتها.



وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مَنْ يَقُولُ: مَذْهَبُ السَّلَفِ إِقْرَارُهَا عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ. وَهَذَا لَفْظٌ مُجْمَلٌ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ: ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ. يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِالظَّاهِرِ نُعُوتَ الْمَخْلُوقِينَ وَصِفَاتِ الْمُحْدَثِينَ؛ مِثْلُ أَنْ يُرَادَ بِكَوْنِ اللهِ (قِبَلَ وَجْهِ الْمُصَلِّي) أَنَّهُ مُسْتَقِرٌّ فِي الْحَائِطِ الَّذِي يُصَلِّي إِلَيْهِ، وَأَنَّ (اللهُ مَعَنَا) ظَاهِرُهُ أَنَّهُ إِلَى جَانِبِنَا، وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَلا شَكَّ أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ: أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ. فَقَدْ أَصَابَ فِي الْمَعْنَى، لَكِنْ أَخْطَأَ فِي إِطْلَاقِ الْقَوْلِ بِأَنَّ هَذَا ظَاهِرُ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْمُحَالُ لَيْسَ هُوَ الأَظْهَرُ عَلَى مَا قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ. اللَّهُمَّ إِلا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَعْنَى الْمُمْتَنِعُ صَارَ يَظْهَرُ لِبَعْضِ النَّاسِ، فَيَكُونُ الْقَائِلُ لِذَلِكَ مُصِيبًا بِهَذَا الاعْتِبَارِ، مَعْذُورًا فِي هَذَا الإِطْلَاقِ.

الشَّرح

قوله: (وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مَنْ يَقُولُ: مَذْهَبُ السَّلَفِ إِقْرَارُهَا عَلَى مَا جَاءَ بِهِ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ)، هذه مسألة المفوضة؛ لأن نفاة الصفات على قسمين: مؤولة، ومفوضة. المؤولة: فسّروها بغير تفسيرها، هذا تأويل. المفوضة: أقروا بألفاظها، وجحدوا معانيها، لم يفسروها، قالوا: (نكل معانيها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نؤمن بألفاظها، ونقول: الله أعلم بمراده. فنتركها، ولا ندخل في تأويلها)، هؤلاء يقال لهم: المفوضة. معناه: أنهم يشتركون مع المؤولة أنها ليست على ظاهرها، وإنما المؤولة فسروها، وهؤلاء توقفوا، والجميع ينفي أن تكون على ظاهرها. أما أهل السنة والجماعة، فأقروا بها على ظاهرها، ولم يؤولوها، ولم يفوضوها، بل فسروها بمقتضى ما نزلت به من اللغة العربية الفصيحة،

هذا مذهب أهل السنة والجماعة أنها على ظاهرها وعلى معانيها، وليست مجازًا، وليست مفوّضَة إلى الله، لو كانت مفوضة إلى الله، معناه أن الله خاطبنا بما لا نفهم معناه، خاطبنا بألغاز وأحاجي -تعالى الله عن ذلك-، الله أمرنا أن نتدبر القرآن كله؛ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون:٦٨]، ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص:٢٩]، أمرنا بتدبر القرآن كله، ولو كان فيه شيءٌ ليس على ظاهره، لم يأمرنا بتدبره؛ لأن هذا تكليف ما لا يطاق، ثم يبقى شيء من القرآن لا نستفيد منه، هذا لا يجوز في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. هؤلاء هم المفوضة، والمصيبة أنهم قالوا: (إن هذا هو مذهب السلف)، هم لو اقتصروا على أنفسهم، وقالوا: (هذه عقيدتنا التفويض)، لهان الأمر، لكن يقولون: (هذه عقيدة السلف، السلف لم يفهموا معانيها، لم يفهموا، ولم يؤولوا، بل فوّضوها إلى الله)، ولهذا قالوا -كما في أول الكتاب-: (عقيدة السلف أسلم)؛ لأنهم لم يدخلوا في تأويلها، (وعقيدة الخلف أحكم)؛ لأنهم فسّروها وبيّنوها، فهم أحكم وأكثر علمًا من المفوضة، هكذا يقولون: (عقيدة السلف أسلم)، وهي عدم الدخول في تأويلها، وأنهم فوّضوها إلى الله، (وعقيدة الخلف المؤولة أحكم)، يعني: من الإحكام والإتقان، فهي أتقن من عقيدة السلف؛ لأنهم فسروها، ووضحوا معانيها، ولم يتركوها مُبهمة -بزعمهم-، هذه قضية، الشيخ تقي الدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا يقول: أنا اطّلعت على كتب كثيرة، ما وجدت فيها حرفًا واحدًا يدل على أن السلف يقولون بهذا القول؛ أنها تُفوض إلى الله.

قوله: (وَهَذَا لَفْظٌ مُجْمَلٌ)، لفظٌ مجمل ظاهرها الذي تبادر لك غير مراد أو ظاهرها الذي تدل عليه حقيقة غير مراد؟ فإن كان المراد بقولك: ظاهرها غير مراد. الظاهر الذي فهمته أنت، فهذا نعم غير مراد، وأنت غلطان، أما إن كنت

تريد أن المراد: ظاهرها الذي تدل عليه أنه غير مراد، فهذا باطل. بل هي على ظاهرها، والله جَلَّوَعَلَا يعني بها مدلولاتها ومعانيها حينما أنزلها؛ فهي مرادةٌ لله جَلَّوَعَلَا، قولك: (إن ظاهرها غير مراد) هذا كذبٌ على الله جَلَّوَعَلَا؛ لأن معناه أن الله يخاطبنا بشيءٍ لم يُرده ولم يبينه لنا.

قوله: (**فَإِنَّ قَوْلَهُ: ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ. يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِالظَّاهِرِ نُعُوتَ المَخْلُوقِينَ وَصِفَاتِ المُحْدَثِين**)، الذي ظهر له أنه توافق صفات المخلوقين في الحقيقة والمعنى، ولذلك توقف عنها، وقال: غير مراد. نقول: هذا الكلام صحيح، ظاهرها الذي فهمته غير مراد، لكن قولك: (إن هذا هو مراد الله بها) هذا غلط، نسبتك هذا إلى الله هذا غلط، ونسبتك إيّاه إلى السلف غلط، ظاهرها مراد عند الله وعند خلقه، لكن أنت ما فهمتها، ما دمت ما فهمتها، لماذا تحكم على الله وتحكم على خلقه أنهم لايرون ظاهرها؟!! يعني: ما فهمه هو المراد بالظاهر، ما فهمه هو من نعوت المخلوقين.

قوله: (**مِثْلُ أَنْ يُرَادَ بِكَوْنِ اللهِ «قِبَلَ وَجْهِ المُصَلِّي» أَنَّهُ مُسْتَقِرٌّ فِي الحَائِطِ الَّذِي يُصَلِّي إِلَيْهِ، وَأَنَّ «اللهُ مَعَنَا» ظَاهِرُهُ أَنَّهُ إِلَى جَانِبِنَا وَنَحْوُ ذَلِكَ، فَلا شَكَّ أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ**)، أنه مختلطٌ بخلقه هذا ظاهرها عند هذا الذي يقول: (ظاهرها غير مراد)، نقول: هذا ما هو بمراد صحيح، لكن ليس هذا هو ظاهرها، ظاهرها عندك أنت، وأما ظاهرها حقيقة، فهو غير هذا.

قوله: (**وَمَنْ قَالَ: إِنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ: أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ فَقَدْ أَصَابَ فِي المَعْنَى، لَكِنْ أَخْطَأَ فِي إِطْلاقِ الْقَوْلِ بِأَنَّ هَذَا ظَاهِرُ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ**)؛ أن هذا هو ظاهر الآيات والأحاديث، نقول: غلط ليس بظاهر الآيات والأحاديث، وإنما هذا شيءٌ ظهر لك أنت فقط.

قوله: (فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْمُحَالُ لَيْسَ هُوَ الأَظْهَرُ عَلَى مَا قَدْ بَيَّنَّاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ)، هذا الذي فهمه ليس هو ظاهر النصوص، وإنما ظاهرها عنده هو فقط.

قوله: (اللَّهُمَّ إِلا أَنْ يَكُونَ هَذَا المَعْنَى المُمْتَنِعُ صَارَ يَظْهَرُ لِبَعْضِ النَّاسِ، فَيَكُونُ الْقَائِلُ لِذَلِكَ مُصِيبًا بِهَذَا الاعْتِبَارِ، مَعْذُورًا فِي هَذَا الإِطْلَاق)، هي نفسه، يعني: ظاهرها الذي فهمته، إذا كان يريد ظاهرها الذي فهمته غير مراد، هذا صحيح، أما إن كان يريد ظاهرها حقيقة، فهذا غلط.



فَإِنَّ الظُّهورَ وَالْبُطونَ قَدْ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ أَحْوَالِ النَّاسِ، وَهُوَ مِن الأُمُورِ النِّسْبيَّةِ. وَكَانَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا أَنْ يُبَيِّنَ لِمَن اعْتَقَدَ أَنَّ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ: أَنَّ هَذا لَيْسَ هُوَ الظَّاهِرَ، حَتَّى يَكُونَ أَعْطَى كَلامَ اللهِ وَكَلامَ رَسُولِهِ حَقَّهُ لَفْظًا وَمَعْنًى.

وَإِنْ كَانَ النَّاقِلُ عَنِ السَّلَفِ أَرَادَ -بِقَوْلِهِ: الظَّاهِرُ غَيْرُ مُرادٍ عِنْدَهُمْ- أَنَّ المَعَانِيَ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ مِمَّا يَلِيقُ بِجَلالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ لا يَخْتَصُّ بِصِفَةِ المَخْلُوقِينَ، بَلْ هِيَ وَاجِبَةٌ للهِ، أَوْ جَائِزَةٌ عَلَيْهِ جَوَازًا ذِهْنِيًّا، أَوْ جَوَازًا خَارِجِيًّا: غَيْرُ مُرادٍ، فَقَدْ أَخْطَأَ فِيمَا نَقَلَهُ عَنِ السَّلَفِ، أَوْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ، فَمَا يُمْكِنُ أَحَدٌ قَطُّ أَنْ يَنْقُلَ عَنْ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ مَا يَدُلُّ -لا نَصًّا وَلا ظَاهِرًا- أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَلا أَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَيَدٌ حَقِيقَةً.

الشَّرح

قوله: (فَإِنَّ الظُّهُورَ وَالْبُطُونَ قَدْ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلافِ أَحْوَالِ النَّاسِ وَهُوَ مِن الأُمُورِ النِّسْبِيَّةِ)، فالأفهام تختلف، وكونك تقول: (هذا الذي ظهر لي، وهذا الذي فهمته، وهذا غير مراد)، هذا بفهمك أنت، أما أنك تحكم على الناس، وتقول: (ظاهرها عند الناس جميعًا أنه غير مراد)، الناس يختلفون في الأفهام، يختلفون في العلوم، في المدارك.

قوله: (وَكَانَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا أَنْ يُبَيِّنَ لِمَن اعْتَقَدَ أَنَّ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ: أَنَّ هَذَا لَيْسَ هُوَ الظَّاهِرَ، حَتَّى يَكُونَ أَعْطَى كَلامَ اللهِ وَكَلامَ رَسُولِهِ حَقَّهُ لَفْظًا وَمَعْنًى)، هذه هي المصيبة الآن؛ الذين ينسبون إلى الله: أحلَّ كذا، وحرّم كذا، ما يقولون: (حسب فهمنا)، بل يقولون: (الله أحلّ كذا، أو الله حرّم كذا)، ينسبون إلى الله، وهم مخطئون في فهمهم، وينسبون فهمهم إلى الله، هذه المشكلة، أما يقول: (هذا

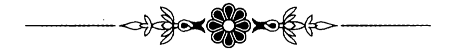


الذي ظهر لي، هذا الذي اتضح لي، أنها.. كذا أنها حلال، أنها حرام)، هو فهمه بكيفه، سواء أصاب أو أخطأ، لكن كونه ينسبه إلى الله، ويقول: (إن الله أحلّ كذا، أو هذا هو الشرع، أو هذا حكم الشريعة)!

قوله: (**وَإِنْ كَانَ النَّاقِلُ عَنِ السَّلَفِ أَرَادَ -بِقَوْلِهِ الظَّاهِرُ غَيْرُ مُرَادٍ عِنْدَهُمْ- أَنَّ المَعَانِيَ الَّتِي ظَهَرَتْ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ مِمَّا يَلِيقُ بِجَلالِ اللهِ وَعَظَمَتِهِ، لَا يَخْتَصُّ بِصِفَةِ المَخْلُوقِينَ**)، هذا المعنى الثاني، أما إن كان مراده أن الظاهر الحقيقي للآيات والأحاديث أنه غير مراد، فهذا كذبٌ على الله أنه أراد هذا، وكذبٌ على السلف أنهم يرون التفويض.

قوله: (**بَلْ هِيَ وَاجِبَةٌ للهِ، أَوْ جَائِزَةٌ عَلَيْهِ جَوَازًا ذِهْنِيًّا، أَوْ جَوَازًا خَارِجِيًّا: غَيْرُ مُرَادٍ، فَقَدْ أَخْطَأَ فِيمَا نَقَلَهُ عَنِ السَّلَفِ**)، (غير مراد) هذا خبر (إن) التي سبقت، تأخر الخبر. وأخطأ فيما نقله عن السلف؛ لأن السلف لم يقولوا هذا.

قوله: (**أَوْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ فَمَا يُمْكِنُ أَحَدًا قَطُّ أَنْ يَنْقُلَ عَنْ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ مَا يَدُلُّ -لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا- أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ اللهَ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَلا أَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَبَصَرٌ وَيَدٌ حَقِيقَةً**) (أو تعمد الكذب)، إذا كان يعرف معناها، ولكن قال: (إن السلف يرون غير هذا الرأي)، فهذا كذّاب.



وَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا المَعْنَى يَنْتَحِلُهُ بَعْضُ مَنْ يَحْكِيهِ عَنِ السَّلَفِ، وَيَقُولُ: إِنَّ طَرِيقَةَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ طَرِيقَةُ السَّلَفِ، بِمَعْنَى أَنَّ الْفَرِيقَيْنِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذِهِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثَ لَمْ تَدُلَّ عَلَى صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَكِنَّ السَّلَفَ أَمْسَكُوا عَنْ تَأْوِيلِهَا، وَالمُتَأَخِّرُونَ رَأَوْا المَصْلَحَةَ تَأْوِيلَهَا، لِمَسِيسِ الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ، وَيَقُولُ: الْفَرْقُ أَنَّ هَؤُلاءِ يُعَيِّنُونَ المُرَادَ بِالتَّأْوِيلِ، وَأُولَئِكَ لا يُعَيِّنُونَ؛ لِجَوَازِ أَنْ يُرَادَ غَيْرُهُ.

وَهَذَا الْقَوْلُ عَلَى الإِطْلَاقِ كَذِبٌ صَرِيحٌ عَلَى السَّلَفِ: أَمَّا فِي كَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ، فَقَطْعًا، مِثْلُ: أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ كَلامَ السَّلَفِ المَنْقُولَ عَنْهُمْ -الَّذِي لَمْ يُحْكَ هُنَا عُشْرُهُ-، عَلِمَ بِالاضْطِرَارِ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُصَرِّحِينَ بِأَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ حَقِيقَةً، وَأَنَّهُمْ مَا اعْتَقَدُوا خِلافَ هَذَا قَطُّ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ قَدْ صَرَّحَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

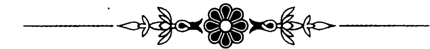
الشَّرح

قوله: (**وَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا المَعْنَى يَنْتَحِلُهُ بَعْضُ مَنْ يَحْكِيهِ عَنِ السَّلَفِ، وَيَقُولُ: إِنَّ طَرِيقَةَ أَهْلِ التَّأْوِيلِ هِيَ فِي الحَقِيقَةِ طَرِيقَةُ السَّلَفِ، بِمَعْنَى أَنَّ الْفَرِيقَيْنِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذِهِ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثَ لَمْ تَدُلَّ عَلَى صِفَاتِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَكِنَّ السَّلَفَ أَمْسَكُوا عَنْ تَأْوِيلِهَا، وَالمُتَأَخِّرُونَ رَأَوْا المَصْلَحَةَ تَأْوِيلَهَا**)، ولذلك قالوا: (طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم)، والعكس هو الصحيح: أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم؛ لأن الحكمة لا تكون إلا بالعلم، لا تكون أحكم إلا إذا كانت أعلم.




قوله: (وَهَذَا الْقَوْلُ عَلَى الإِطْلَاقِ كَذِبٌ صَرِيحٌ عَلَى السَّلَفِ)، السلف لم يقولوا بالتفويض أبدًا في الأسماء والصفات، وإنما قالوا: (إنها على حقيقتها وعلى معانيها).

قوله: (أَمَّا فِي كَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ، فَقَطْعًا، مِثْلُ: أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ كَلامَ السَّلَفِ المَنْقُولَ عَنْهُمْ -الَّذِي لَمْ يُحْكَ هُنَا عُشْرُهُ-، عَلِمَ بالاضْطِرَارِ أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُصَرِّحِينَ بِأَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ حَقِيقَةً، وَأَنَّهُمْ مَا اعْتَقَدُوا خِلافَ هَذَا قَطُّ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ قَدْ صَرَّحَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ بِمِثْلِ ذَلِكَ)، (فوق العرش حقيقة) بذاته سبحانه، أما المؤولة، فيقولون: (فوق العرش سلطانه، استوى على العرش: يعني استولى على العرش)!



وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَعْدَ الْبَحْثِ التَّامِّ وَمُطَالَعَةِ مَا أَمْكَنَ مِنْ كَلامِ السَّلَفِ مَا رَأَيْتُ كَلامَ أَحَدٍ مِنْهُمْ يَدُلُّ -لا نَصًّا، وَلا ظَاهِرًا، وَلا بِالْقَرَائِنِ- عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، بَل الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ كَلامِهِمْ يَدُلُّ -إِمَّا نَصًّا، وَإِمَّا ظَاهِرًا- عَلَى تَقْرِيرِ جِنْسِ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَلا أَنْقُلُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِثْبَاتَ كُلِّ صِفَةٍ، بَل الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ جِنْسَهَا فِي الْجُمْلَةِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ نَفَاهَا، وَإِنَّمَا يَنْفُونَ التَّشْبِيهَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى الْمُشَبِّهَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللهَ بِخَلْقِهِ؛ مَعَ إِنْكَارِهِمْ عَلَى مَنْ نَفَى الصِّفَاتِ؛ كَقَوْلِ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيِّ[(١)] -شَيْخِ الْبُخَارِيِّ-: (مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ، فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلا رَسُولُهُ تَشْبِيهًا)[(٢)].

الشرح

قوله: (وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَعْدَ الْبَحْثِ التَّامِّ وَمُطَالَعَةِ مَا أَمْكَنَ مِنْ كَلامِ السَّلَفِ مَا رَأَيْتُ كَلامَ أَحَدٍ مِنْهُمْ يَدُلُّ -لَا نَصًّا وَلَا ظَاهِرًا)، جاء في ترجمة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان لا يفسر الآية حتى يطالع مائة تفسير، فعنده اطلاع عظيم اطلاع واسع، ويقول: أنا ما وجدت في مطالعاتي أن السلف كانوا يفوضون الأسماء والصفات. كلام من إنسان عنده خبرة ما هو بجزاف.

قوله: (وَلا بِالْقَرَائِنِ- عَلَى نَفْيِ الصِّفَاتِ الخَبَرِيَّةِ فِي نَفْسِ الأَمْرِ، بَل الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ كَلامِهِمْ يَدُلُّ -إِمَّا نَصًّا، وَإِمَّا ظَاهِرًا- عَلَى تَقْرِيرِ جِنْسِ هَذِهِ

---

(١) سبقت ترجمته (ص٢٢٢).

(٢) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٥٣٢)، والذهبي في العلو (ص١٧٢)، وفي سير الأعلام (١٠/ ٦١٠)، وذكره ابن أبي العز في شرح الطحاوية (ص١٤٤)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٢١)، وابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٩٧).

الصِّفَاتِ)، السلف لا يؤولونها ولا يفوضونها، وإنما يثبتونها على مدلولها وحقيقتها، هذا مذهب السلف، أما الذين يقولون: (إن السلف يؤولون) أو يقولون: (إنهم يفوضون)، فقد كذبوا عليهم، ونسبوا إليهم ما هم منه أبرياء.

قوله: (**وَلا أَنْقُلُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِثْبَاتَ كُلِّ صِفَةٍ، بَل الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَّهُمْ يُثْبِتُونَ جِنْسَهَا فِي الجُمْلَةِ**)، المثبتة للصفات يختلفون:

* فمنهم من يُثبت الأسماء والصفات كلها، ولا يتوقف في شيءٍ صحّ وثبت عن الله ورسوله.

* ومنهم من يُثبت بعضها، ويؤول بعضها كالأشاعرة، يُثبتون سبع صفات أو أربعة عشر صفة، يسمونها العقلية، وينفون البقية، ويقولون: (هذه خبرية أو سمعية)، فهؤلاء عندهم نوع إثبات للصفات، خلاف الجهمية والمعتزلة؛ فهم لا يُثبتون شيئًا من الأسماء والصفات.

قوله: (**وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ نَفَاهَا، وَإِنَّمَا يَنْفُونَ التَّشْبِيهَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَى المُشَبِّهَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ اللهَ بِخَلْقِهِ؛ مَعَ إِنْكَارِهِمْ عَلَى مَنْ نَفَى الصِّفَاتِ**)؛ لأن الله أنكر التشبيه؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، نفى عن نفسه المشابهة، وهذا هو الذي عليه سلف الأمة؛ أنهم ينفون عن أسماء الله وصفاته مشابهة المخلوقين، ينكرون على المشبهة وعلى المعطلة؛ لأن الله أنكر على الفريقين، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ هذا ردٌّ على المشبهة، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ هذا ردٌّ على المعطلة، فالسلف يردون على الفرقتين والطائفتين.



لما كان السلف الصالح وأتباعهم من الأئمة يثبتون لله جَلَّوَعَلَا ما أثبته لنفسه، أو أثبته له رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على الوجه اللائق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ، كان هناك طائفتان مخالفتان للسلف في هذا:

الطائفة الأولى: طائفة المعطلة، الذين ينفون عن الله أسمائه وصفاته؛ بحجة نفي التشبيه عن الله والتنزيه لله.

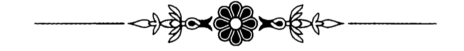
الطائفة الثانية: غلت في الإثبات حتى شبّهت الله جَلَّوَعَلَا بخلقه، وهم المُشبهة والممثلة، وكلتا الطائفتين مخالفتان للمنهج الصحيح. فالسلف ردّوا على الطائفتين -طائفة الممثلة الذين غلوا في الإثبات، وطائفة المعطلة الذين غلوا في التنزيه-، وبيّنوا منهج الاعتدال بين الطائفتين، وهو أن يُثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته رسوله -خلافًا للمعطلة-، مع نفي التشبيه عن الله جَلَّوَعَلَا -خلافًا للمشبهة-، وذلك لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾: هذا نفيٌّ للتشبيه والتمثيل، قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ هذا ردٌّ على المعطلة الذين نفوا السمع والبصر وسائر الأسماء والصفات، فأهل السنة والجماعة يردون على الطائفتين -الغالية في التنزيه، وهم المعطلة، والغالية في الإثبات، وهم الممثلة-، ويدعون إلى الاعتدال وموافقة الكتاب والسنة، هذا هو المنهج السليم والصراط المستقيم في هذا وفي غيره.

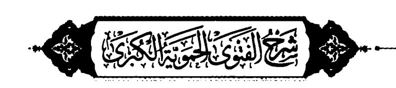
قوله: (**كَقَوْلِ نُعَيْمِ بْنِ حَمَّادٍ الْخُزَاعِيِّ -شَيْخِ الْبُخَارِيِّ-: «مَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ، فَقَدْ كَفَرَ، وَلَيْسَ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ وَلَا رَسُولُهُ تَشْبِيهًا»**)، هذا قول نعيم بن حماد الخزاعي المروزي، وهو شيخ الإمام البخاري في العقيدة، أخذ عنه ذلك، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من شبّه الله بخلقه، فقد كفر)؛ لأنه يُثبت لله ما نفاه عن نفسه، وهو التشبيه، وهذا كفرٌ بالله عَزَّوَجَلَّ، من شبّه

الله بخلقه، فقد كفر بالله عَزَّوَجَلَّ، ومن نفى عن الله ما وصف به نفسه، فقد كفر؛ لأنه -أيضًا- مكذب لله عَزَّوَجَلَّ، فالله يثبت لنفسه هذه الأسماء والصفات، وهذا ينفيها، هذه محادة لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا كفر، وأما الوسط، فليس ما سمّى الله ووصف به نفسه تشبيهًا، ليس بذلك تشبيه، هذا هو المنهج المعتدل والصراط المستقيم، ليس فيما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله تشبيه -كما يظنّه المعطلة-، ولا يدلّ على التشبيه -كما يقوله الممثلة-، للفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوق، كلتا الطائفتين لم تقدر الله حقّ قدره، بل قاسوه بخلقه -تعالى الله عن ذلك-، قاسوه بعقولهم، حكّموا عقولهم، فضلّوا وأضلّوا، وهذه نتيجة من اعتمد على عقله، أو اعتمد على أهل الضلال، وأخذ عنهم عقيدته، يقع في مثل ما وقع فيه هؤلاء، إما مبتدئًا وإما مقلّدًا، وكلا الأمرين لا يجوز، فالواجب على المسلم أن يتبع أهل الحق وأهل الاستقامة من الصحابة والتابعين والقرون المفضلة والأئمة الذين جاءوا من بعدهم، أئمة أهل الحديث وأهل الاستقامة، ويسير على منهجهم، ولا يلتفت عنه يمنة ولا يسرة إلى أقوال من خالفهم، مهما تزيّا بالعلم وتفنّن في المعلومات، فإنه ليس العبرة بكثرة العلم، اليهود والنصارى عندهم علم، ولكن العبرة بالاستقامة على العلم ولزوم المنهج السليم، وإلّا فكم من عالم وهو ضالّ؛ كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ**»[(١)]، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الفاتحة:٦، ٧]، المغضوب عليهم هم الذين عندهم علم ولم يعملوا به -كاليهود-، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، وهم الذين يعملون بغير علم، على جهل وضلال وتعالم، وفي

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢٢٩)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وأحمد (٣٧/ ٧٩) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأصله في مسلم (١٩) (٢٨٨٩).

مقدمتهم النصارى، وكل من عبدَ الله من أهل البدع والخرافات على غير دليل من الكتاب والسنة، فإنه من الضّالين، ومن لم يعمل بعلمه، فهو من المغضوب عليهم، ومن عمل بعلمه، فهو من الذين أنعم الله عليهم.





وَكَانُوا إِذَا رَأَوا الرَّجُلَ قَدْ أَغْرَقَ فِي نَفْيِ التَّشْبِيهِ مِنْ غَيْرِ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، قَالُوا: جَهْمِيٌّ مُعَطِّلٌ. وَهَذَا كَثِيرٌ جِدًّا فِي كَلامِهِمْ، فَإِنَّ الْجَهْمِيَّةَ وَالْمُعْتَزِلَةَ إِلَى الْيَوْمِ يُسَمُّونَ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ مُشَبِّهًا -كَذِبًا مِنْهُمْ وَافْتِرَاءً-، حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ غَلَا وَرَمَى الأَنْبِيَاءَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ- بِذَلِكَ، حَتَّى قَالَ ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ[(١)] -مِنْ رُؤَسَاءِ الْجَهْمِيَّةِ-: (ثَلاثَةٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ مُشَبِّهَةٌ: مُوسَى حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف:١٥٥]، وَعِيسَى حَيْثُ قَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، وَمُحَمَّدٌ حَيْثُ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»[(٢)])[(٣)].

الشَّرح

قوله: (وَكَانُوا إِذَا رَأَوا الرَّجُلَ قَدْ أَغْرَقَ فِي نَفْيِ التَّشْبِيهِ مِنْ غَيْرِ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، قَالُوا: جَهْمِيٌّ مُعَطِّلٌ)، نفي التشبيه مطلوب، الله جَلَّ وَعَلَا نفاه عن نفسه؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾، لكن الغلو في نفي التشبيه، حتى ينفي عن الله أسماءه وصفاته، هذا جهمي، وهو مذهب الجهمية، مذهبهم الغلو في التنزيه، وإنما ضلّوا

---

(١) هو ثمامة بن أشرس أبو معن النميري أحد رؤوس المعتزلة البصريين، وإليه تُنسب فرقة «الثمامية»، توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين، كان جامعًا بين سخافة الدين والخلاعة مع اعتقاده بأن الفاسق يخلد بالنار إذا مات على فسقه من غير توبة، وهو في حال حياته في منزله بين منزلتين، وانفرد عن أصحابه المعتزلة بمسائل، منها: قوله: (إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها). وقوله في الكفار والمشركين والمجوس واليهود والنصارى والزنادقة والدهرية: (إنهم يصيرون في القيامة ترابًا). وكذلك قوله في البهائم والطيور وأطفال المؤمنين. وقوله: (لا فعل للإنسان إلا الإرادة وما عداها فهو حدث لا محدث له ولد). انظر: تاريخ بغداد (٧/ ١٤٥)، والوافي بالوفيات (١١/ ١٦)، والأنساب (١/ ٥١٤)، وسير الأعلام (١٠/ ٢٠٣)، وميزان الاعتدال (٢/ ٩٤)، ولسان الميزان (٢/ ٨٣).

(٢) حديث النزول سبق تخريجه (ص١٨١).

(٣) انظر: أقاويل الثقات (ص٧٠، ٢٣٩).

بسبب هذا، إلى أن عطّلوا أسماء الله وصفاته بحجّة أن هذا من التنزيه لله عَزَّوَجَلَّ، الله وصف نفسه بذلك، وأنت تقول: (لا، هذا لا يليق بك يا الله، أنا أنزّهك عن هذا)، هل أنت أعلم بالله من الله جَلَّوَعَلَا؟!! الكتاب والسنة مملوءان من أسماء الله وصفاته، وهؤلاء ينفونها، إذًا القرآن باطل والسنة باطلة على زعم هؤلاء -نسأل الله العافية!

قوله: (وَهَذَا كَثِيرٌ جدًّا فِي كَلامِهِمْ)، كل من بالغ في التنزيه حتى نفى الأسماء والصفات، فإنه جهمي معطّل.

قوله: (فَإِنَّ الجَهْمِيَّةَ وَالْمُعْتَزِلَةَ إِلَى الْيَوْمِ يُسَمُّونَ مَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ مُشَبِّهًا)، الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان، سمّوا بالجهمية نسبة إليه، ومذهبه نفي الأسماء والصفات عن الله جَلَّوَعَلَا، وهو أخذه عن الجعد بن درهم، والجعد ابن درهم نقله عن طالوت اليهودي، وطالوت نقله عن لبيد بن الأعصم، الذي سحر النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فمذهب الجهمية منحدر عن اليهود، فهم تلاميذ اليهود في هذا، هؤلاء هم الجهمية، وأما المعتزلة، فهم أتباع واصل بن عطاء الغزال، الذي اعتزل مجلس الحسن البصري إمام التابعين رَحِمَهُٱللَّهُ، لما سُئل الحسن البصري عن مرتكب الكبيرة: هل هو كافر؟ قال: لا، هو مؤمن ناقص الإيمان. فقام هذا الرجل -واصل بن عطاء- من الحلقة، وقال: (أما أنا، فأقول: ليس بمؤمن وليس بكافر، هو في المنزلة بين المنزلتين)، فأحدثوا هذه الفرية، وهي المنزلة بين المنزلتين، وهي أصل من أصولهم، وهو أن يكون مرتكب الكبيرة التي دون الشرك ليس بكافر ولامؤمنًا، وليس في الدنيا إنسان ليس بكافر ولا مؤمنًا، اللهم إلّا المجانين الذين ليس لهم عقول، لا بد أن يكون الإنسان إما كافرًا وإما مؤمنًا، وقد يكون مؤمنًا كامل الإيمان، وقد يكون مؤمنًا ناقص الإيمان، المهم أنه مؤمن ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ

﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:٢]، فهذه منزلة اخترعوها هم، ما لها وجود في الإسلام، فلذلك سمّوا بالمعتزلة، هذا من ناحية مرتكب الكبيرة، أما مذهبهم في الأسماء والصفات، فقد أخذوا وتبنّوا مذهب الجهمية، وصاروا معطّلة.

قوله: (كَذِبًا مِنْهُمْ وَافْتِرَاءً)؛ بناءً على أن إثبات الأسماء والصفات يقتضي التشبيه في رأيهم، فمن أثبت الأسماء والصفات، فهو مشبّه على قاعدتهم الباطلة، والله جَلَّ وَعَلَا أثبت، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثبت الأسماء والصفات، هل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشبّه، وهو قد أثبت لربه الأسماء والصفات؟!!

قوله: (حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ غَلَا وَرَمَى الأَنْبِيَاءَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ- بِذَلِكَ)، منهم من غلا في الإنكار حتى رمى الأنبياء بذلك -بالتشبيه-؛ لأن الأنبياء جاءوا بإثبات الأسماء والصفات، قالوا: (إذًا هم مشبّهة)، وصفوا الأنبياء بأنهم مشبّهة، وهل بعد هذا الكفر كفر؟!!.

قوله: (حَتَّى قَالَ ثُمَامَةُ بْنُ أَشْرَسَ -مِنْ رُؤَسَاءِ الجَهْمِيَّةِ-: (ثَلاثَةٌ مِن الأَنْبِيَاءِ مُشَبِّهَةٌ: مُوسَى حَيْثُ قَالَ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾، وَعِيسَى حَيْثُ قَالَ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، وَمُحَمَّدٌ حَيْثُ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»)، فهؤلاء الأنبياء الثلاثة عند ثمامة بن الأشرس مشبّهة:

* موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ [الأعراف:١٥٥]، عندهم أن الإنسان يهتدي بنفسه، ويخلق فعل نفسه مستقلًا عن الله جَلَّ وَعَلَا، وليس لله دخل في هدايته أو إضلاله؛ لأنهم ينفون القضاء والقدر، فموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عندهم أنه مشبّه، هذا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

* وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما قال يخاطب ربه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ﴾ [المائدة:١١٦]؛ لأن الله قال له: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ

﴿إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ لأن النصارى غلوا في المسيح وأمه حتى جعلوهما إلهين، وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾، ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ﴾، هذا تنزيه لله عَزَّوَجَلَّ أن يكون له شريك، ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّ﴾، فالألوهية حق لله جَلَّوَعَلَا، وليس حقًّا لغيره، ثم قال ﴿إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾، فأثبت لله العلم، وهم عندهم أن إثبات العلم وسائر الأسماء والصفات أنه تشبيه، إذًا فعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مشبّه؛ لأنه أثبت لربّه العلم المحيط، الذي يعلم ما في النفوس وما في الضمائر والقلوب.

* ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا**»[1]، وهم ينفون النزول وأفعال الله جَلَّوَعَلَا، ينفون هذا، ينفون العلو؛ لأن النزول يدلّ على العلوّ، وينفون أفعال الله؛ لأن النزول فعل من أفعال الله جَلَّوَعَلَا اللائقة بجلاله، قالوا: (هذه من خصائص المخلوقين، فمحمد شبّه الله بالمخلوقين)، هذا وجه قولهم -قبّحهم الله-، وكفى بهذا شناعة في الكفر والضلال -والعياذ بالله!



---

(١) سبق تخريجه (ص١٨١).

وَحَتَّى إِنَّ جُلَّ المُعْتَزِلَةِ تُدْخِلُ عَامَّةَ الأَئِمَّةِ -مِثْلَ: مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ وَالثَّوْرِيِّ وَأَصْحَابِهِ، والأَوْزَاعِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَالشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِ، وَأَحْمَدَ وَأَصْحَابِهِ، وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ، وَأَبِي عُبَيْدٍ وَغَيْرِهِمْ- فِي قِسْمِ المُشَبِّهَةِ.

وَقَدْ صَنَّفَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ دِرْبَاسٍ(١) الشَّافِعِيُّ جُزْءًا أَسْمَاهُ: «تَنْزِيهُ أَئِمَّةِ الشَّرِيعَةِ عَنِ الأَلْقَابِ الشَّنِيعَةِ»، وَذَكَرَ فِيهِ كَلامَ السَّلَفِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ مَعَانِي هَذِهِ الأَلْقَابِ، وَذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ كُلُّ صِنْفٍ مِنْهُمْ يُلَقِّبُ أَهْلَ السُّنَّةِ بِلَقَبٍ افْتَرَاهُ، يَزْعُمُ أَنَّهُ صَحِيحٌ عَلَى رَأْيِهِ الْفَاسِدِ؛ كَمَا أَنَّ المُشْرِكِينَ كَانُوا يُلَقِّبُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلْقَابٍ افْتَرَوْهَا.

فَالرَّوَافِضُ تُسَمِّيهِمْ نَوَاصِبَ، وَالْقَدَرِيَّةُ يُسَمُّونَهُمْ مُجَبِّرَةً، وَالمُرْجِئَةُ يُسَمُّونَهُمْ شُكَّاكًا، والْجَهْمِيَّةُ تُسَمِّيهِمْ مُشَبِّهَةً، وَأَهْلُ الْكَلامِ يُسَمُّونَهُمْ حَشْوِيَّةً، وَنَوَابِتَ، وَغُثَاءً، وَغُثْرًا(٢)، إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ؛ كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تُسَمِّي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَارَةً مَجْنُونًا، وَتَارَةً شَاعِرًا، وَتَارَةً كَاهِنًا، وَتَارَةً مُفْتَرِيًا.

---

(١) هو الإمام المحدث جلال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن عيسى بن درباس الماراني الكردي المصري، قال عنه الذهبي: (روى عن الحافظ عبد العظيم وغيره، وكان عارفًا بمذهب الشافعي، تفقه بأبيه، وكان خيرًا صالحًا زاهدًا قانعًا مقلًا مقبلًا على شأنه، توفي بين الهند واليمن سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وله خمسون سنة). ا.هـ. وأبوه الشيخ ضياء الدين من كبار الشافعية توفي سنة اثنتين وستمائة. انظر: سير الأعلام (٢٢/ ٢٩٠، ٢٩١).

(٢) غثر: قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة (ص٧٨٢): (أُصيلٌ يدل على تجمع من ناس غير كرام، والغثراء: سَفِلَة الناس وجماعتهم) اهـ. وقال في النهاية (٣/ ٣٤٣): (قال القتيبي: رجل أغثر إذا كان جاهلًا). اهـ.

الشَّرح

هم يسمّون كل من أثبت الأسماء والصفات مشبّهًا؛ بناءً على مذهبهم أن هذه الأسماء والصفات تقتضي التشبيه، فمن أثبتها، فهو مشبّه، وإذا كان الأنبياء لم يسلموا منهم، فكيف يسلم مالك والإمام أحمد والشافعي وإسحاق بن راهويه وغيرهم من الأئمة؟!! كيف يسلمون من هذا الذمّ الشنيع منهم؟!!.

قوله: (**وَقَدْ صَنَّفَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ دِرْبَاسٍ الشَّافِعِيُّ جُزْءًا أَسْمَاهُ: «تَنْزِيهُ أَئِمَّةِ الشَّرِيعَةِ عَنِ الأَلْقَابِ الشَّنِيعَةِ»، وَذَكَرَ فِيهِ كَلَامَ السَّلَفِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ مَعَانِي هَذِهِ الأَلْقَابِ، وَذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ الْبِدَعِ كُلُّ صِنْفٍ مِنْهُمْ يُلَقِّبُ أَهْلَ السُّنَّةِ بِلَقَبٍ افْتَرَاهُ**)، أهل البدع المحدثة -سواء البدع في العقيدة كالشرك بالله ونفي الأسماء والصفات وغير ذلك، أو البدع في العبادات كإحداث عبادة لم يأت عليها دليل من الكتاب والسنّة- كلّ من خالف هؤلاء المبتدعة، فإنّهم يلقّبونه بألقاب شنيعة، ينفّرون الناس عنه، وهذه عادة أهل الباطل في كل زمان ومكان، يلقّبون أهل الحق بألقاب شنيعة؛ لينفّروا عنهم الناس، ولئلا يؤخذ عنهم العلم؛ من أجل أن يصرفوا الناس إليهم هم، يسمّمون أفكارهم، ويغسلون أدمغتهم، هذه طريقة أهل الباطل قديمًا وحديثًا في زماننا هذا.

(**افْتَرَاهُ**)، يعني: كذب، من كذبه وافترائه، وإلا فلا أصل لهذه الألقاب، وإنما افتروها لأجل التنفير من الحق وأهله، وهذا موروثٌ عند أهل الباطل الآن، يلقبون أهل الحق والاستقامة والاعتدال يلقبونهم بأنهم غلاة، وأنهم متطرفون، هو نعم الغلو والتطرف هذا مذموم، لكن هذا الغلو والتطرف المخالف للحق، الخارج الزائد عن الاستقامة، أما الاستقامة على الحق والاعتدال فيه، ليس هذا

تطرفًا. هم يريدون أن الناس ينسلخون من الدين، لا يكفيهم الاعتدال، يريدون أن يردوا على التطرف والغلو، ولكن يزيدون في هذا، ويستغلون الفرصة؛ لأنهم هم في الأصل ضائعون، فيريدون أن الناس يضيعون معهم، ويتركون التمسك بالدين؛ ليخلو لهم الجو، وينالوا شهواتهم المحرمة وأغراضهم الباطلة؛ لأن وجود أهل الاعتدال يمنعهم من هذه الأمور، فهم يلقبون أهل الحق بأنهم غلاة ومتطرفة، كل من تمسك بالدين فإنه متطرف، وكل من تحلل من الدين فإنه منفتح أو متفتح وفاهم للوضع.. إلى آخر ما يقولون، وإنه متسامح، يسمونه متسامحًا، هذا موجود تقرؤونه في الصحف والمجلات الآن، وتسمعونه، هذا منحدر من ميراث من قبلهم من خصوم أهل الحق، ويقولون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (إنه تدخلٌ في شؤون الآخرين، وحبس للحريات)، يقولون كذا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو سبب سلامة الأمة من الهلاك: (إنه تدخل في شؤون الناس، وإنه مصادرة للحريات)، يريدون الحرّيات في الباطل، وأنه لا يُنكر على الزاني والسارق وشارب الخمر، ولا يُنكر على آكل الربا، ولا يُنكر على أحد، (هذا تدخل، اتركوا الناس بهواهم، لا تتدخلوا)، إذًا ما فائدة الكتاب والسنة، والدولة الإسلامية؟ ما فائدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود؟ ما لها فائدة، (اتركوا الناس على ما هم عليه)، يعيشون كالبهائم بل أسوأ من البهائم، يضيعون أخلاقهم ودينهم وعقيدتهم، وينسلخون، وهذه هي الحرية عند هؤلاء!! ويسمون الولاء والبراء كرهًا للآخر، هذا التعميم باطل، الآخر ما يُكره مطلقا، الآخر المسلم هذا يوالى ويُحب في الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه من أولياء الله، أما الآخر الكافر، فهذا يُعادى ويُكره؛ لأن الله يكرههم ويبغضهم، فنحن نبغضهم ونكرههم؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]،

فنحن نعادي من عادى الله، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٩٨]، فنحن نعاديهم؛ لأنهم أعداء الله، فـ«الآخر» فيه تفصيل، وهم يريدون التلبيس على الناس، «الآخر» المسلم هذا لانكرهه، بل نحبه، ونواليه، ونتولاه، أما «الآخر» الكافر، فهذا نحن نكرهه ونبغضه، وليقولوا ما قالوا.

وكذلك الرد على أهل الباطل وردّ الشبه، يقولون: (هذه مصادرة للآراء، ووصاية على الآخرين، لاتردوا على أهل الباطل، أنتم تصادرون آراءهم، وتفرضون الوصاية عليهم)، هكذا يقولون، والله جَلَّ وَعَلَا ردَّ على أهل الباطل في القرآن، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ردّ على أهل الباطل، والعلماء ردوا على أهل الباطل، وليس هذا مصادرة للحريات أو للآراء، وإنما هو دعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وإشفاقٌ على هؤلاء أن يهلكوا، يُرد عليهم من أجل أن يرجعوا إلى الصواب، فيكون في ذلك سعادتهم، أما لو تُركوا، فهذا يكون غشًا لهم، يكون هذا من باب الغش للأمة، فلابد من بيان الحق وردّ الباطل، يرضى من يرضى، ويسخط من يسخط، لابد من هذا.

فالحاصل: أن هؤلاء الذين يلقبون أهل الحق بألقابٍ شنيعة لهم ورثة الآن.

قوله: (**يَزْعُمُ أَنَّهُ صَحِيحٌ عَلَى رَأْيِهِ الْفَاسِدِ؛ كَمَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا يُلَقِّبُونَ النَّبِيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِأَلْقَابٍ افْتَرَوْهَا**)، من العجيب أنهم يتناقضون، هم يقولون: (أنتم تصادرون أقوال الناس)، وهم يصادرون أقوال أهل الحق، يقولون: (لا تتكلموا، لا تكتبوا، لا تردوا، هذه مصادرة)، كيف تنهون عن المصادرة، وأنتم تقعون فيها؟ تصادرون آراء أهل الحق، وتمنعونهم، ولا تنشرون لهم المقالات والردود، هذه هي المصادرة.

قوله: (فَالرَّوَافِضُ تُسَمِّيهِمْ نَوَاصِبَ)، الروافض تسمي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ نواصب، تسمي أهل السنة نواصب، لماذا؟ لأنهم يزعمون أن أهل السنة يبغضون أهل البيت، ومن أبغض أهل البيت، فهو ناصبي، بل يقولون: (إن من أحبَّ أبا بكر وعمر، فهو ناصبي؛ لأن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أعداء لعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، يقولون -قبّحهم الله-: (فمن أحبهم، فقد ناصب عليًّا العداوة)، وهذا من افترائهم؛ فإن أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يحبان عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويعترفان بفضله وقربه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومكانته وسابقته في الإسلام، فلا يبغضونه، لكن هذا من افتراء الرافضة، الذي لا يوافقهم على الغلو في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقولون: (هذا ناصبي)، والغلو مردود ومرفوض، هم يقولون: (إن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الوصي بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الخليفة بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهذا كذب، ليس هو الوصي، وليس هو الخليفة، وإنما هو رابع الخلفاء الراشدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بإجماع المسلمين، ليس هو الوصي بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يوص، وليست الخلافة مخصوصة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لو علموا أنه أوصى لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لما تعدوا وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيزعمون أن هذا من عداوة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنهم ظلموه حقه، وأخذوا الخلافة واغتصبوها بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولأهل البيت من بعده. الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]، فالملك بيد الله عَزَّ وَجَلَّ يؤتيه من يشاء، الله يؤتي المُلك من يشاء، هو لله عَزَّ وَجَلَّ، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يوصِ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة، ولو أوصى، لم يكن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ليتجاوزوا وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يدّعِ هذا، لو علم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه هو

الوصي، لما كتم هذا، ولأظهره، وإلا كان كاتِمًا للحق، فهم يطعنون في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان كاتِمًا للحق، وأنه لم يبين الحق، هذا معناه طعن في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (وَالْقَدَرِيَّةُ يُسَمُّونَهُمْ مُجَبِّرَةً)، القدرية المراد بهم: نفاة القدر، وهم المعتزلة الذين يقولون: (لا قدر، وإنما العبد يخلق فعل نفسه، ويضل بنفسه، ويهتدي بنفسه، بدون أن يكون هناك قضاء وقدر)؛ كما يقولون، فيسمون من يُثبت القضاء والقدر بأنه مجبر؛ لأنه يزعم أن الله أجبر العبد على الكفر أو على الإيمان، هكذا يقولون، يسمون أهل السنة مجبرة؛ لأنهم يثبتون القدر، ومن أثبت القدر عندهم فهو مُجبر -تعالى الله عن ذلك!

قوله: (وَالْمُرْجِئَةُ يُسَمُّونَهُمْ شُكَّاكًا)، المرجئة الذي يقولون: (إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وإنما هو شيءٌ واحد، وهو في القلب، ولا تدخل فيه الأعمال، ولا الأقوال)، وبعضهم يقول: (تدخل فيه الأقوال، لكن لا تدخل فيه الأعمال، ولا يزيد ولا ينقص، وهو في القلب)، يسمون أهل السنة والجماعة الذين يقولون: (إن الإيمان يزيد وينقص، وإن الإنسان لا يزكي نفسه، ولا يقول: أنا مؤمن، يزكي نفسه، ولكن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، هذا من باب نفي التزكية، أنه لا يزكي نفسه، ويجزم لنفسه بأنه مؤمن كامل الإيمان، فقوله: إن شاء الله هذا استثناءٌ من كمال الإيمان، وليس في أصل الإيمان، من شك في أصل الإيمان، فهو كافر، لكن هم يشكون في كمال الإيمان، وهذا من باب أن الإنسان لا يزكي نفسه)، فلذلك قالوا: (إن أهل السنة والجماعة شُكاكًا في الإيمان)؛ بناءً على فهمهم وعلى مذهبهم.

قوله: (والجَهْمِيَّةُ تُسَمِّيهِمْ مُشَبِّهَةً)، الجهمية: أتباع جهم بن صفوان، نُسبت إليه الجهمية، وإن كان أصل المذهب للجعد بن درهم؛ لأن الجعد بن درهم قتله



الأمير خالد بن عبد الله القسري، لما أظهر الكفر نزل وقتله أمام الناس، وشكر أهل السنة هذه الفعلة منه؛ لأنه قتل زنديقًا يزعم أن الله لم يكلم موسى تكليما، وأن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، فلما قُتل الجعد بن درهم، جاء بعده الجهم بن صفوان، وأظهر المذهب، أظهره ودعا إليه، فنُسب إليه؛ لأنه هو الذي أظهره ودعا إليه وتبناه، فنسب إليه مذهب الجهمية، وهو نفي الأسماء والصفات عن الله جَلَّ وَعَلَا، فيسمون من أثبت الأسماء والصفات أنه مشبه، يقولون: (لأن هذه الأسماء والصفات توجد في المخلوقين، فلو أثبتناها، شبّهنا الله بخلقه)، ولا يفرقون بين صفات الخالق وصفات المخلوق، هذا هو الآفة التي أوقعتهم؛ لأنهم لا يفرقون بين الله وخلقه، ولا بين أسماء الله وصفاته وأسماء وصفات المخلوقين، فهم وقعوا في هذه المهلكة -والعياذ بالله-، ويسمون من خالفهم مشبهًا؛ بناءً على فهمهم أن إثبات الأسماء والصفات يقتضي التشبيه، وهو لا يقتضي التشبيه في الحقيقة.

قوله: (**وَأَهْلُ الْكَلامِ يُسَمُّونَهُمْ حَشْوِيَّةً، وَنَوَابِتَ، وَغُثَاءً، وَغُثْرًا، إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ**)، أهل الكلام وهم أهل علم الكلام والجدل والمنطق، الذين يتخذون علم المنطق وعلم الكلام براهين عقلية يقينية، ويسمون أدلة الكتاب والسنة ظنية لا تفيد اليقين، ويسمون أهل السنة والجماعة الذين يعتمدون على الكتاب والسنة ولايعتمدون على العقليات يسمونهم (حَشْوِيَّةً)، والحشو: هو الشيء الذي لا فائدة فيه، فعندهم أن أهل السنة والجماعة لا فائدة فيهم؛ لأنهم يعتمدون على أدلة ظنية، ويتركون الأدلة اليقينية عندهم، فهم حشوية بهذا الاعتبار عندهم. والحشو: هو الشيء الذي لا فائدة فيه، حشو الوجود.

(وَنَوَابِتَ)، يعني: صغار العقول، نابتة يعني: شيء صغير، فهم يصفون أهل السنة بأنهم صغار العقول؛ حيث إنهم لم يأخذوا بعلم المنطق وعلم الكلام والبراهين العقلية عندهم.

(وَغُثَاءً): الغثاء هو الشيء الذي يعلو فوق السيل وفوق الماء، لا فائدة فيه، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الرعد:١٧]، وهو الذي لا فائدة فيه، فيقولون: (إن أهل السنة غثاء) مثل: قولهم: (حشو، لا فائدة فيهم).

(وَغُثْرًا): يعني لا عقول لهم، جمع أغثر، وهو ضعيف العقل.

(إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ)؛ الألقاب الشنيعة التي يلقبون بها أهل الحق؛ لينفروا من الحق وأهله، وكما سبق أن هذا موجود الآن ومتطور في وقتنا هذا. فورثتهم يمشون على نهجهم، ويتنقصون أهل الخير وأهل العلم وأهل الإيمان، ويصفونهم بالأوصاف التي لا تخفاكم.

قوله: (كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تُسَمِّي النَّبِيَّ ﷺ تَارَةً مَجْنُونًا، وَتَارَةً شَاعِرًا، وَتَارَةً كَاهِنًا، وَتَارَةً مُفْتَرِيًا)، إذا كان الرسول ﷺ لم يسلم من سلف هؤلاء، فكيف يسلم من جاء بعده؟ فالمشركون وصفوا رسول الله ﷺ بأنه مجنون، والمجنون: هو الذي مسّه الجن وخالطوه، فصار يهذي بما لا يعقل، فيصفون الرسول ﷺ بأنه مجنون، وأن هذا الذي يقوله ويدعو إليه هذا مثل هذيان المجنون، هذا يقولونه في أكمل الخلق ﷺ، يعني: ويكونون هم العقلاء!! يعبدون الأوثان والأصنام ويعبدون الأشجار والأحجار والقبور، وتكون عقولهم كاملة، والرسول يدعو إلى توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وعبادته، ويكون مجنونًا!! هذا من انتكاس الفطر، أيهما المجنون؟! المجنون هو الذي يعبد غير الله عَزَّوَجَلَّ، هذا هو المجنون في الحقيقة، لكن هم يلصقون أوصافهم على غيرهم من باب التنفير، ولهذا قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور:٢٩]، ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ [القلم:٥، ٦]،



المفتون هو المجنون، سيتبين فيها بعد أيكم المفتون حقيقة، وقد تبين هذا والحمد لله.

قوله: (وَتَارَةً شَاعِرًا): أن القرآن الذي جاء به الرسول هذا شعر يقولون: (مثل شعر زهير وامرئ القيس، والنابغة)، يقولون: (عندنا شعراء وهذا محمد شاعر مثلهم)، لايفرقون بين القرآن الذي هو وحيٌ من الله وبين الشعر الذي أغلبه من الشيطان، ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء:٢٢٤] والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩]، ما ينبغي للرسول أن يكون شاعرًا، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩، ٧٠].

قوله: (وَتَارَةً كَاهِنًا): وهو الذي يدّعي علم الغيب، الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطلعه الله على أشياء من الغيب معجزة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من باب المعجزات، هم يقولون: (هذه كهانة أنه يدعي علم الغيب)؛ لأنهم لا يؤمنون أن الله هو الذي أطلعه على ذلك؛ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]، فإنه يُطلعه على شيء من المغيبات من أجل أن يخبر الناس بذلك؛ ليكون هذا معجزةً له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (وَتَارَةً مُفْتَرِيًا): المفتري هو الكذاب؛ ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل:١٠١]، يعني: كونه يأتي بآية ثم بعد ذلك يُنسخ شيء من القرآن هذا افتراء عندهم، الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي ينسخ ما يشاء لمصالح عباده، يشرع ما يشاء في وقتٍ، ثم ينسخه في وقتٍ آخر بغيره مما هو أصلح للبشر في وقتهم، هو صالحٌ في وقته، لكن لما انتهى وقته، صار

ما يصلح، فنسخه الله بشيء يصلح للمستقبل، أما في الزمان الماضي، فهو صالح، ما ينزل من عند الله شيء غير صالح أبدًا، لكن منه ما صلاحه مؤقت، ومنه ما صلاحه مؤبد، فالذي جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاحه مؤبد إلى أن تقوم الساعة، أما الذي جاء به الأنبياء من قبله، فهو صالح، لكن صلاحه مؤقت ومحدد للأمة التي بُعث إليها وبالزمان الذي بُعث فيه، وبالمكان الذي بُعث فيه، فكان كل نبي يُرسل إلى قومه خاصة، وبُعث نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس كافة، إلى أن تقوم الساعة، فالنسخ في القرآن هذا أمرٌ جائز، وهو من حكمة الله جَلَّ وَعَلَا؛ ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة:١٠٦]، فالله جَلَّ وَعَلَا ينسخ ما يشاء لمصالح العباد، لا من باب العبث، أو من باب أن المنسوخ كان باطلًا في الأول، لا، لكن كان مؤقتًا بوقت وانتهى.



قَالُوا: وَهَذَا عَلامَةُ الإِرْثِ الصَّحِيحِ وَالْمُتَابَعَةِ التَّامَّةِ، فَإِنَّ السُّنَّةَ هِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ اعْتِقَادًا وَاقْتِصَادًا وَقَوْلًا وَعَمَلًا، فَكَمَا أَنَّ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْهُ يُسَمُّونَهُ بِأَسْمَاءٍ مَذْمُومَةٍ مَكْذُوبَةٍ -وَإِنِ اعْتَقَدُوا صِدْقَهَا بِنَاءً عَلَى عَقِيدَتِهِم الْفَاسِدَةِ-، فَكَذَلِكَ التَّابِعُونَ لَهُ عَلَى بَصِيرَةٍ -الَّذِينَ هُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ- بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

الشرح

قوله: (**قَالُوا: وَهَذَا عَلامَةُ الإِرْثِ الصَّحِيحِ وَالْمُتَابَعَةِ التَّامَّةِ**)، كونهم يلقبون أهل السنة بهذه الألقاب وسلفهم لقبوا الرسول ﷺ بهذه الألقاب، فهذا دليل على الميراث؛ أن هؤلاء ورثوا هذا عن الكفار، وأن أهل السنة ورثوا هذا عن الرسول ﷺ، فأي الإرثين أحسن؟ إرث الرسول ﷺ أو إرث أبي جهل وأبي لهب وأضرابهما؟!!

قوله: (**فَإِنَّ السُّنَّةَ هِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ**)، السنة بتفسيرها العام: ما كان عليه الرسول ﷺ، أو هي الطريقة التي كان عليها الرسول ﷺ في الاعتقاد، وفي العبادة، وفي الأخلاق، وفي المعاملات، هذه هي السنة الطريقة.

وتُطلق السنة ويراد بها: الأحاديث، ما ثبت عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير، هذه هي السنة في عُرف المحدثين بالمعنى الخاص، أما المعنى العام، فالسنة هي الطريقة التي كان عليها الرسول ﷺ.

قوله: (**اعْتِقَادًا وَاقْتِصَادًا وَقَوْلًا وَعَمَلًا**) (**اعْتِقَادًا**): يعني في العقيدة، (**وَاقْتِصَادًا**): يعني اعتدالًا، من غير إفراط ولا تفريط، ومن غير غلوٍ ولا تقصير، هذا معنى الاقتصاد.

(وَقَـوْلًا وَعَمَلًا): لا قول بدون عمل، ولا عمل بدون قول، لابد من الاثنين؛ ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢، ٣]، فيقولون ويفعلون.

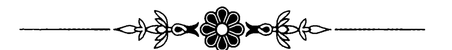
قوله: (فَكَمَا أَنَّ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْهُ يُسَمُّونَهُ بِأَسْمَاءٍ مَذْمُومَةٍ مَكْذُوبَةٍ) (الْمُنْحَرِفِينَ عَنْهُ)، أي: عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يُسَمُّونَهُ بِأَسْمَاءٍ مَذْمُومَةٍ مَكْذُوبَةٍ)، مثل: مجنون، ساحر، كاهن، شاعر، معلَّم.

قوله: (وَإِنِ اعْتَقَدُوا صِدْقَهَا بِنَاءً عَلَى عَقِيدَتِهِم الْفَاسِدَةِ)، وكونهم يعتقدون أنها صحيحة هذا لا يبرر ما هم عليه، ما دام أنه باطل، ولو صدّقوه، الكافر يعتقد أن ما عليه هو الصحيح، ما هو بالعبرة اعتقاد الإنسان، العبرة بالواقع هل هو موافق للكتاب والسنة أم مخالف، أما كونه يعتقد أن هذا حق هذا ليس عذرًا له، ما دام أنه مخالف للكتاب والسنة، فليس عذرًا له هذا الاعتقاد.

قوله: (فَكَذَلِكَ التَّابِعُونَ لَهُ عَلَى بَصِيرَةٍ)، التابعون للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على بصيرة، تأمل! (على بصيرة) الاتباع لا بدّ يكون على بصيرة من غير إفراط ولا تفريط، ومن غير غلو ولا تقصير، بعد العلم، بعد معرفة ما عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وإلا كلٌّ يدّعي أنه تابع للرسول، لكن هل يعلم ما عليه الرسول؟ لابد أن يعلم ما عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولًا، ثم يعتدل، ويستقيم عليه، من غير إفراط ولا تفريط، هذا هو الإحسان؛ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة:١١٢]، محسنٌ في الإصابة والاقتداء والاتباع من غير إفراط ولا تفريط، ولا يكون هذا إلا بعد العلم.

قوله: (الَّذِينَ هُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي المَحْيَا وَالمَمَاتِ- بَاطِنًا وَظَاهِرًا)، أولى الناس بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أتباعه على بصيرة، هم أولى الناس به في الحياة الدنيا وفي الآخرة، في الحياة الدنيا يسيرون على منهجه، وكأنه حاضرٌ بينهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي الآخرة يكونون معه في الجنة وتحت لوائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقوله: (بَاطِنًا وَظَاهِرًا)، لا يكفي أن يكون معه في الباطن وفي الظاهر على خلافه، أو العكس يكون في الظاهر على موافقته وفي الباطن على مخالفته، لازم الأمرين: باطنًا وظاهرًا.



أَمَّا الَّذِينَ وَافقُوا بِبَوَاطِنِهِمْ، وَعَجَزُوا عَنْ إِقَامَةِ الظَّوَاهِرِ، وَالَّذِينَ وَافقُوهُ بِظَوَاهِرِهِمْ، وَعَجَزُوا عَنْ تَحْقِيقِ الْبَوَاطِنِ، أَو الَّذِينَ وَافقُوهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِحَسْبِ الإِمْكَانِ؛ لَا بُدَّ لِلْمُنْحَرِفِينَ عَنْ سُنَّتِهِ أَنْ يَعْتَقِدُوا فِيهَا نَقْصًا يَذُمُّونَهُمْ بِهِ، وَيُسَمُّونَهُمْ بِأَسْمَاءٍ مَكْذُوبَةٍ -وَإِن اعْتَقَدُوا صِدْقَهَا-؛ كَقَوْلِ الرَّافِضِيِّ: مَنْ لَمْ يُبْغِضْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَدْ أَبْغَضَ عليًا؛ لأَنَّهُ لَا ولايَةَ لِعَلِيٍّ إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمَا. ثُمَّ يَجْعَلُ مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ نَاصِبِيًّا، بِنَاءً عَلَى هَذِهِ الْمُلازَمَةِ الْبَاطِلَةِ، الَّتِي اعْتَقَدُوهَا صَحِيحَةً، أَوْ عَانَدُوا فِيهَا، وَهُوَ الْغَالِبُ.

الشَّرح

قوله: (أَمَّا الَّذِينَ وَافَقُوا بِبَوَاطِنِهِمْ وَعَجَزُوا عَنْ إِقَامَةِ الظَّوَاهِرِ، وَالَّذِينَ وَافَقُوهُ بِظَوَاهِرِهِمْ وَعَجَزُوا عَنْ تَحْقِيقِ الْبَوَاطِنِ، أَو الَّذِينَ وَافَقُوهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِحَسْبِ الإِمْكَانِ)، في أحد عنده تقصير، عنده استقامة في الظاهر، ولكن عنده عجز في الباطن، أو العكس: عنده استقامة في الباطن وعجز في الظاهر، العاجز لايؤاخذ؛ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام:١٥٢]، فإذا ترك شيء عجزًا عنه أو جهلًا به أو نسيانًا، فإنه لا يؤاخذ، وأما من استقام في الظاهر والباطن -حسب الإمكان-، انظر! حسب الإمكان، وإلا الكمال تمامًا لا يحصل، الإنسان عرضة للنقص دائمًا وأبدًا، لكن حسب الإمكان؛ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف:٤٢].

قوله: (لَا بُدَّ لِلْمُنْحَرِفِينَ عَنْ سُنَّتِهِ أَنْ يَعْتَقِدُوا فِيهَا نَقْصًا يَذُمُّونَهُمْ بِهِ) (لَا بُدَّ لِلْمُنْحَرِفِينَ) عن سنة الرسول أن يعتقدوا في المستقيمين على سنته نقصًا، يعيبونهم

به حسب فهمهم وعقولهم، وهذا لا يضر أهل الحق أبدًا، ولا يزهدهم في الحق، فالإنسان إذا كان على حق، لا يلتفت إلى أقوال الناس أبدًا ما دام أنه على حق. أما إذا كان ليس على حق، فإنه يرجع إلى الصواب.

قوله: (وَيُسَمُّونَهُمْ بِأَسْمَاءٍ مَكْذُوبَةٍ -وَإِنِ اعْتَقَدُوا صِدْقَهَا)، يسمونهم بأسماء مكذوبة، وهذا حتى في الغلاة المستقيمين الآن، هم على استقامة في الأول، ويحبون الخير، لكن غلو ووصلوا إلى حد التطرف، هم يعيرون أهل الاستقامة والاعتدال بأنهم متساهلون، وأنهم ممالئون للسلاطين... إلى غير ذلك، هذا لا يضر أهل الاعتدال؛ أن يسبهم أهل الغلو، أو أن يسبهم أهل الانحلال؛ لأنهم يُرضون الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يُرضون الناس، يخشون الله، ولا يخشون الناس، فلا يضرهم أن الغلاة والمتطرفين يذمونهم ويصفونهم بأنهم عملاء وليسوا علماء، وأنهم يدارون السلاطين، وأنهم علماء مناصب ووظائف...، وأنهم وأنهم، هذا يقوله أهل الغلو والتطرف الآن، لكن هذا لا يضر أهل الخير أبدًا، وكذلك العكس، وهم المنحلون والمنحرفون الذين يعيرون أهل الاستقامة بأنهم متشددون، وأنهم أهل إفراط وأهل غلو وتطرف، ما يضرهم هذا أبدًا، والإنسان في هذه الحياة مبتلى يُبتلى؛ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١]، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان:٢٠]، فالله يبتلي بعض العباد ببعض، فصاحب الحق لا ينتظر من الناس أن يمدحوه ويثنوا عليه ويكرموه، لا ينتظر هذا، هذا إن حصل، فهو من عاجل البشرى، وإلا فإنه لا يقصد هذا الشيء، وإنما يقصد إرضاء الله جَلَّوَعَلَا، ويهون عليه كل ما يصيبه في سبيل ذلك من قِبل الناس، بل يعتبره من التقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

والاعتقاد على الباطل ما يسوغ، وإن اعتقدوا أنهم صادقون، مثلًا أهل الغلو والتطرف الذين يصفون أهل الاعتدال بالتساهل، وإن كانوا هم يعتقدون هذا، وحملهم على هذا الغيرة وشدة الغيرة، لا يبرّر ما فعلوه، وهم مخطئون في هذا.

قوله: (كَقَوْلِ الرَّافِضِيِّ: مَنْ لَمْ يُبْغِضْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَدْ أَبْغَضَ عليًّا؛ لأَنَّهُ لَا ولايَةَ لِعَلِيٍّ إِلّا بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمَا)، وهذا كذب، أبو بكر وعمر وعليّ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إخوة متحابون، ليس بينهم عداوة -ولله الحمد-، بل يتولى بعضهم بعضًا، وهذا شيءٌ معروف، لكن الرافضة تريد أن تفرق المسلمين، ولا سبيل لها إلا بالطعن في سلف هذه الأمة؛ لأن ديننا جاء عن سلف هذه الأمة، هم الواسطة بيننا وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا طعنوا في الواسطة، سهل عليهم الطعن في الدين، فطعنوا في أفضل الصحابة، وهما أبو بكرٍ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالوا: (إنهما عدوان لعليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، وهذا من الكذب والافتراء، وإن كانوا صادقين، فليثبتوا هذا بالدليل الصحيح، ما هو بالهوى والأكاذيب والأراجيف، ولكن الحمد لله الشيعة ليس عندهم إلا الكذب على ما يقولون وما يفعلون، ليس عندهم دليلٌ صحيح.

قوله: (لأَنَّهُ لَا ولايَةَ لِعَلِيٍّ إِلّا بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمَا)، وهذا كذب، بل الذي يعادي أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا ينفعه حب عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه أحبَّ المفضول وأبغض الفاضل، وهو أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فهذا من الكذب.

قوله: (ثُمَّ يَجْعَلُ مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ نَاصِبِيًّا)؛ مناصب للعداوة، الناصبي: هو الذي يناصب العداوة لأهل البيت، يسمونهم بالنواصب[1]،

---

(١) النواصب عند أهل السنة: هم المتدينون بِبُغض علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنهم نصبوا له، أي: عادوه.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة: (ويحبون أهل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...، ويتبرؤون من طريقة =

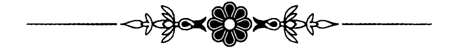


يزعمون أنهم يُبغضون أهل البيت، وحاشا وكلّا! نحن لا نُبغض أهل البيت الصالحين والمؤمنين منهم، بل نحبهم ونعرف قرابتهم من الرسول ﷺ، ونثني عليهم، لكننا لا نغلو فيهم، ولا نقدمهم على من هو أفضل منهم.

قوله: **(بِنَاءً عَلَى هَذِهِ المُلازَمَةِ الْبَاطِلَةِ، الَّتِي اعْتَقَدُوهَا صَحِيحَةً، أَوْ عَانَدُوا فِيهَا وَهُوَ الْغَالِبُ)**، الملازمة الباطلة: أنه لا ولاء إلا ببراء، نعم لا ولاء إلا ببراء، لكن ليس موالاة أبي بكر وعمر بغضٌ لعلي رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، وليس حب عليّ معاداة لأبي بكر وعمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ، هذا كذب.

إما من اعتقد منهم أنها صحيحة، لا يُعذر بهذا -كما سبق-؛ فالعبرة ليست بالاعتقاد، والعبرة إنما هي بالواقع.

أو كان منهم من يجهل هذا، وهو مقلِّد لغيره؛ لأن الشيعة فيهم مقلدة، كثير منهم مقلد، وهم العوام والدهماء مقلدون لأئمتهم وشيوخهم، والجميع سواء، لا يجوز لهؤلاء أن يقلدوا من هو على ضلالة، بل يجب أن يبحثوا عن الحق، وأن يعرفوا الحق ويتبعوه.



= الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، ويمسكون عما شجر بين الصحابة). انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٤).
فالنواصب هم الذين عادوا أهل البيت، لاسيما عليًّا رَضِوَاللَّهُعَنْهُ، فمنهم من يسبُّه، ومنهم من يفسِّقه، ومنهم من يكفره؛ كما أشار لذلك شيخ الإسلام. انظر: منهاج السنة (٧/ ٣٣٩).
قال العلامة الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (النواصب هم الذين ينصبون العداء لآل البيت، ويقدحون فيهم، ويسبونهم، فهم على النقيض من الروافض). انظر: شرح الواسطية (٢/ ٢٨٣).
النواصب عند الشيعة: هي صفة لكل مسلم سني.

وَكَقَـوْلِ الْقَـدَرِيِّ: مَنِ اعْتَقَـدَ أَنَّ اللهَ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ وَخَلَقَ أَفْعَـالَ الْعِبَادِ، فَقَدْ سَلَـبَ الْعِبَـادَ الْقُـدْرَةَ وَالاخْتِيَـارَ، وَجَعَلَهُـمْ مَجْبُورِينَ كَالْجَمَـادَاتِ الَّتِـي لَا إِرَادَةَ لَهَا وَلَا قُدْرَةَ.

وَكَقَوْلِ الْجَهْمِيِّ: مَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ مَحْصُورٌ، وَأَنَّهُ جِسْمٌ مُرَكَّبٌ، وَأَنَّهُ مُشَابِهٌ لِخَلْقِهِ.

وَكَقَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ: مَنْ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ جِسْمٌ مُرَكَّبٌ، وَهُوَ مُشَبِّهٌ؛ لأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَعْرَاضٌ، وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِجَوْهَرٍ مُتَحَيِّزٍ، وَكُلُّ مُتَحَيِّزٍ فَجِسْمٌ مُرَكَّبٌ، أَوْ جَوْهَرٌ فَرْدٌ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ، فَهُوَ مُشَبِّهٌ؛ لأَنَّ الأَجْسَامَ مُتَمَاثِلَةٌ.

الشَّرح

قوله: (وَكَقَوْلِ الْقَدَرِيِّ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ وَخَلَقَ أَفْعَالَ الْعِبَادِ، فَقَدْ سَلَبَ الْعِبَادَ الْقُدْرَةَ وَالاخْتِيَارَ، وَجَعَلَهُمْ مَجْبُورِينَ كَالجَمَادَاتِ الَّتِي لَا إِرَادَةَ لَهَا وَلَا قُدْرَةَ)، ما زال الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان ما يقوله المخالفون لمذهب أهل السنة، إذا قالوا بخلاف مذهبهم، هم يريدون من الناس أن يتبعوهم على مذهبهم، فإذا خالفوهم، لقّبوهم بألقابٍ شنيعة، وهذا هو الذي تسير عليه الفِرق المخالفة إلى الآن والجماعات والأحزاب، كل من لا يوافقهم على ما يريدون فإنهم يلقبونه بألقاب منفرة، ولا يقولون: (لا ندري، لعل الحق معه)، يناقشونه ويطلبون الحق، فإذا كان مع غيرهم، قبلوه، وإذا كان معهم، أقنعوا به المخالف، لا، هم يريدون أن يتبعهم الناس على ما هم عليه بدون تمييز، فإذا خالفوهم، لقبوهم بلقبٍ شنيع، فمثلًا: أهل السنة والجماعة يُثبتون القدر، ويقولون: (إن الإيمان

بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة -كما في الحديث، وكما في القرآن-، فالله قدّر الأشياء، قدّر الكفر والإيمان، والطاعة والمعصية، والخير والشر، لا يكون في مُلكه شيء إلا ما قدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بحكمة، لا يقدر الأشياء عبثًا، وإنما يقدرها لحكمة، قد تظهر لنا وقد لا تظهر، فالواجب التسليم للقضاء والقدر، ولا يتنافى هذا مع أن الإنسان يُوصَف بأنه كافر، وأنه مسلم، وأنه مؤمن، وأنه منافق، وأنه عاص، وأنه مطيع، ما يتنافى هذا؛ فالعبد له فعل، والله له قدر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والجزاء إنما يكون على الأفعال لا على الأقدار، فالله لا يعاقبك لأنه قدّر عليك، إنما يعاقبك لأنك فعلت باختيارك وطوعك وإرادتك، ولو فعلت فعلًا من غير اختيارك ومن غير إرادتك، فإنه لا يؤاخذك، ولو تركت الفعل لعدم القدرة عليه، لم يؤاخذك؛ ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فلامنافاة بين أن يكون للعباد أفعال يثابون عليها، أو يعاقبون عليها وبين أن الله قدّر هذه الأشياء، لا منافاة بين ذلك، وإلا لو كانت المسألة مسألة القدر فقط، والعباد ليس لهم أفعال -كما تقوله الجبرية-، العباد ليسوا مسلوبي الاختيار، ولا فيه لا القضاء والقدر، لم يعذبهم على ما أجبرهم عليه، ولكن يعذبهم على ما فعلوه باختيارهم وبقدرتهم)، كذلك لايقولون: (إن العبد له فعل مستقل، ولم يقدره الله)؛ كما تقوله المعتزلة القدرية النفاة؛ لأن القدرية على قسمين:

* قدرية مُجبرة، وهم الذين غلوا في إثبات القدر، وسلبوا العبد قدرته واختياره.

* وقدرية النفاة، وهم الذي غلوا في إثبات فعل العبد وقدرة العبد، ونفوا قضاء الله وقدره، على طرفي نقيض.



أهل السنة والجماعة يجمعون بين الأمرين؛ بين أن الله قدّر الأشياء، وأن العباد لهم أفعالٌ باختيارهم وإرادتهم وطوعهم، يفعلونها إما طاعة وإما معصية، والله أعطاهم قدرة على هذا، أمرهم ونهاهم، وتوعدهم ووعدهم، لامنافاة، يأخذون بجميع النصوص، ولا يأخذون بطرف ويتركون الطرف الآخر، فلايغلون في إثبات القدر، ويسلبون العبد اختياره، ولا يغلون في إثبات قدرة العبد، ويسلبون القضاء والقدر، ويقولون: (إن العبد يخلق فعل نفسه)، بل هم وسط. فلما قالوا بذلك، الجبرية سموهم قدرية نفاة، والقدرية النفاة سموهم قدرية مجبرة، وكما سبق إذا لم تطاوعوهم على مذهبهم وقولهم دون استفصال ودون مناقشة، لقبوكم بألقاب شنيعة، وهذا متوارث، لا يزال بين الأحزاب والجماعات والفِرق؛ ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢]، ويكفرون الآخرين، ويضللونهم من غير بصيرة، إلا لأنهم خالفوهم فقط، وهم على غلط وخطأ، لم يخالفوهم عداوة لهم أو عصبية، إنما خالفوهم لأنهم على غلط، على خلاف الدليل.

فلا يضر أهل السنة والجماعة هذه الألقاب؛ لأنهم على حق، وإنما ترجع إلى أصحابها، ولا يغير هذا من الحق شيئًا، فإذا سمّيت السُني قدري أو جبري، لا يضره هذا، الحق هو الحق، فلايضر الحق، ولا يضر صاحب الحق.

قوله: (وَكَقَوْلِ الْقَدَرِيِّ: مَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ اللهَ أَرَادَ الْكَائِنَاتِ وَخَلَقَ أَفْعَالَ الْعِبَادِ)، هذا ردٌّ على القدرية النفاة المعتزلة.

قوله (فَقَدْ سَلَبَ الْعِبَادَ الْقُدْرَةَ وَالاخْتِيَارَ وَجَعَلَهُمْ مَجْبُورِينَ كَالْجَمَادَاتِ الَّتِي لَا إِرَادَةَ لَهَا وَلا قُدْرَةَ)، هذا كذب، ما قال أهل السنة -ولله الحمد- هذا الكلام، يقولون: (العباد لهم إرادة يفعلون بها ويتركون، ولهم إدراك ومعرفة، ويُقدمون



على الأشياء باختيارهم وطوعهم وإرادتهم، ولو أُكرهوا، لم يؤاخذوا، ولو نسوا، لم يؤاخذوا، ولو عجزوا، لم يؤاخذوا)، ما قالوا: (إنهم مجبورون على أفعالهم)، ولايلزم من إثبات القضاء والقدر القول بالجبر، ما يلزم هذا.

قوله: (**وَكَقَوْلِ الجَهْمِيِّ: مَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَرْشِ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ مَحْصُورٌ، وَأَنَّهُ جِسْمٌ مُرَكَّبٌ، وَأَنَّهُ مُشَابِهٌ لِخَلْقِهِ**)، بناءً على مذهبهم أن إثبات الصفات يقتضي التجسيم، والأجسام متشابهة يقولون؛ فيلزم من إثبات الأسماء والصفات لله أنه جسم، والأجسام متشابهة، فيلزم على قول أهل السنة أنهم مُجسمة، ولا يزالون يقولون الكلام هذا، يسمون أهل السنة والحنابلة بالذات يسمونهم المجسمة؛ لأن الإمام أحمد هو إمام أهل السنة، وهو إمام الذين أثبتوا الأسماء والصفات، فنقول لهم: هذا كذب، فإثبات الأسماء والصفات لا يقتضي التجسيم، إلا على قولكم أنتم، هذا شيء أنتم رأيتموه، فلا تُلزموا الناس به، هم لم يُثبتوا الأسماء والصفات فرارًا من التجسيم -بزعمهم-، التجسيم هذا لفظٌ مُحدث هم الذين قالوه، لم يرد في القرآن ولا في السنة ذكر للتجسيم، ابحثوا في الكتاب والسنة، لن تجدوا ذكر الجسم والتجسيم، إنما هذا اصطلاح أحدثوه هم، ويريدون أن يُجبروا الناس عليه، وإن خالفوهم، قالوا: (هؤلاء مجسمة).

قوله: (**فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ مَحْصُورٌ**)، زعم أن الله محصورٌ فوق العرش؛ لأن العرش مخلوق، والله فوقه، فيكون محصورًا بالعرش -تعالى الله عن ذلك-، المخلوقات كلها العرش وما دونه بالنسبة إلى الله كلا شيء، وكما سبق أن الله ليس محتاجًا إلى العرش، وإنما العرش هو الذي محتاج إلى الله؛ إذ الله هو الذي خلقه، وهو الذي يُمسكه، وهو الذي يحفظه؛ فالعرش هو المحتاج إلى الله مخلوق، كيف يقال: إن الله محتاج إلى العرش؟! الخالق يحتاج إلى مخلوق!!! الغني يحتاج إلى

فقير!! هذا من كذبهم وافترائهم، فلا يلزم من أن الله فوق العرش وأنه استوى على العرش أنه محصورٌ بالعرش، العرش صغيرٌ بالنسبة إلى الله جَلَّوَعَلَا كلا شيء، وفي الأحاديث أن الكرسي بالنسبة للعرش كحلقة مُلقاة في أرض فلاة، مع أن الكرسي وسع السماوات والأرض، فإذا كانت المخلوقات بعضها أعظم من بعض، فكيف بالخالق جَلَّوَعَلَا؟!! ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، ما قدروا الله حق قدره، الله عظيم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا يُحاط به؛ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠] سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فالذي يقول: (إنه يلزم من الاستواء على العرش التحديد)، هذا معناه أنه يحيط علمًا بالله عَزَّوَجَلَّ، تصور أن الله على قدر العرش فقط، وأنه محصور -تعالى الله عن ذلك!

هذه عقولهم وتصوراتهم، وهكذا كل من حاد عن الكتاب والسنة وقع في مثل هذه الطرّحات والأباطيل.

قوله: (وَأَنَّهُ جِسْمٌ مُرَكَّبٌ)، الجسم ما ورد ذكره في حق الله جَلَّوَعَلَا لا نفيًا ولا إثباتًا، ما جاء في حق الله نفي الجسم عن الله أبدًا، الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، ما جاء ذكر الجسم، ما قال: إن الله جسم، ولا قال: إن الله ليس بجسم. ما نفاه ولا أثبته، فنحن نسكت عن هذا، أما إنهم يُحدثون اصطلاحًا من عندهم، ويريدون أن يلزموا الناس به، ومن خالفه ضلّلوه وكفّروه وخطّؤوه، فهذا من عمى بصائرهم -والعياذ بالله.

وأنه (مُرَكَّبٌ)، هذا من شبهاتهم؛ أن إثبات الصفات يقتضي التركيب، والمركب محتاج إلى الأجزاء -تعالى الله عما يقولون-، هذا في المخلوقات، ولا جاء

ذكر التركيب -لا نفيًا ولا إثباتًا- في حق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنحن لا ننفي عن الله إلا ما نفاه عن نفسه، ولا نُثبت لله إلا ما أثبته لنفسه، ولا نتكلف وراء ذلك، ونقول: إثبات الأسماء والصفات يقتضي التركيب، يقتضي التجسيم، يقتضي الحصر أنه محصور... إلى آخر ما يقولون من الهذيان. إنما هي اصطلاحاتٌ تصوروها، وأرادوا أن يُلزموا الناس بها، وهذا باطل؛ الله جَلَّ وَعَلَا فوق ما يتصورون، فوق ما يتخيلون، الحقيقة أنهم هم الذين حصروا الله في فهمهم وفي إدراكهم، حصروا الله في ذلك في ما يُدركون، وفي ما يعقلون هم، هم يريدون أن يضيفوا هذا إلى أهل السنة والجماعة، السنة ما قالوا بهذا لا نفيًا ولا إثباتًا.

(محدود): محدود ومحصور بمعنىً واحد.

قوله: (وَأَنَّهُ مُشَابِهٌ لِخَلْقِهِ)، وأن إثبات الأسماء والصفات يقتضي التشبيه، لماذا؟ لأننا لا نشاهد هذه الأسماء والصفات إلا في المخلوقين؛ السمع والبصر والكلام واليد والوجه، تُشَاهد في المخلوقين، فهم ما تصوروا صفات إلا صفات المخلوقين، ولم يتصوروا أن صفات الخالق لائقةٌ به سبحانه، ليست كصفات المخلوقين، وإن اشتركت معها -كما سبق- في المعنى، لكن تختلف معها في الحقيقة، فلا يلزم من إثبات الأسماء والصفات هذا الملزوم الباطل الذي تصوروه، ويريدون أن يُلزموا الناس به، ويقولون: (إثبات الأسماء والصفات يقتضي التشبيه)، لماذا؟ (لأننا لا نرى هذه الأسماء والصفات إلا في المخلوقين)، والدنيا محصورة على الذي ترون وتعلمون؟!! أو لايحيط بمُلك الله ومخلوقات الله وملكوت الله إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا من قصور أفهامهم، لا يتصورون أسماء وصفات إلا في المخلوقين، ويريدون أن ينفوا عن الله الأسماء والصفات؛ لئلا يُشبه المخلوقين، يعني: أنتم أعلم من الله بنفسه وأعلم من رسوله؟!! الله وصف نفسه، سمى نفسه

بهذه الأسماء والصفات، الرسول ﷺ كذلك، معناه: أنكم تستدركون على الله وعلى رسوله، وتقولون: (هذا لايليق بالله، والله أثبت لنفسه ما لا يليق به، الرسول أثبت لله ما لا يليق به)، هذا كفر -والعياذ بالله.

الحاصل: هو ضيق التصور، وضعف الإيمان، والإعراض عن العلم النافع، واللجوء إلى اصطلاحات ومعلومات البشر هو الذي سبّب لهم هذا الشيء، وليتهم قالوا: (إن هذا فهمنا، وهذا إدراكنا)، لكنهم يُلزمون الناس، ويُكفرون من خالفهم، هذه مصيبة، لكنها مصيبةٌ عليهم، وإلا أهل الحق ما يضرهم هذا -إن شاء الله-، وهم ماضون في طريقهم، والذي يتمشى مع الكتاب والسنة ولا يخرج هذا يسير على صراطٍ مستقيم. ولهذا قال ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**»[1]، الذي يسير على الحق ما يضره أحد.

قوله: (**وَكَقَوْلِ الجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ: مَنْ قَالَ: إِنَّ للهِ عِلْمًا وَقُدْرَةً فَقَدْ زَعَمَ أَنَّهُ جِسْمٌ مُرَكَّبٌ، وَهُوَ مُشَبِّهٌ؛ لأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَعْرَاضٌ، وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِجَوْهَرٍ مُتَحَيِّزٍ**)، العرض: هو الذي لا يثبُت بنفسه، وإنما يثبت في غيره؛ كالألوان: البياض والسواد، والحُمرة والصفرة، هذه ألوان ما تقوم إلا بغيرها، هذه تسمى الأعراض.

وأما الجسم: فهو ما يقوم بنفسه، كالجدار والباب، يقوم بنفسه، ويُرى ويُشاهد، والجسم يسمى الجوهر، يسمى الجسم، وهو المركب من الجواهر الفردى يقولون، الجواهر الفردى وهي الجزئيات، والجوهر الفرد هو: الذي

(١) أخرجه مسلم (١٧٠) (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه. وأخرجه البخاري (٣٦٤٠، ٧٣١١) من حديث المغيرة رضي الله عنه.

لا ينقسم، ولا يمكن ينقسم، هذا تصورهم، ما هناك شيء ما ينقسم، الآن التقنيات دلّت على أن أقل الأشياء ينقسم ويُقسم، دلّت الآن الصناعة والتجارب والأشياء أن ما هناك شيء ما ينقسم، بل يتقسم أشياء دقيقة جدًّا لا تُرى وتتقسم، فقولهم: (إن الجوهر الفرد هو الذي لا يجزأ) هذا قولٌ غلط، ما هنا شيء ما يتجزأ، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس:٦١]، مثقال ذرّة، ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ﴾، أصغر من ذلك: أصغر من مثقال ذرّة، دلّ على أن الذرّة -أيضًا- فيها أقل منها، في أقل من الذرّة، والذرّة هي أصغر شيء.

فهؤلاء أُتوا من حيث قصور معلوماتهم وتكميلهم لأنفسهم، وتصوروا أن معلوماتهم أرقى من الكتاب والسنة، فلذلك صاروا يخبطون ويلبطون، وينفون الأسماء والصفات عن الله؛ بناءً على أفهامهم وعلى اصطلاحاتهم التي هم كونوها بأنفسهم، لا يرجعون إلى كتاب ولا إلى سنة، بل يريدون أن يؤوِّلوا الكتاب والسنة لتتماشى مع تصوراتهم ومع مصطلحاتهم.

قوله: (**وَكُلُّ مُتَحَيِّزٍ فَجِسْمٌ مُرَكَّبٌ، أَوْ جَوْهَرٌ فَرْدٌ، وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ فَهُوَ مُشَبِّهٌ؛ لأَنَّ الأَجْسَامَ مُتَمَاثِلَةٌ**)، يقولون: (إذا قلتم: إن الله في العلو، فالعلو حيّز، فمعناه: أن الله متحيّز، ولا يتحيز إلا الأجسام)، فنقول لهم: هذا بالنسبة لفهمكم، ولا يلزم من وصف الله بالعلو واستوائه على عرشه أنه متحيز؛ لأن الله لا يحيط به شيء، مخلوقاته كلها سماء وأرض، وما بينهما بالنسبة إلى الله كالخردلة بيد أحد..، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، بيمين الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهل هذا يُتصور؟! أو أن هذا لا يحيط به إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟! فهم لم يقدروا الله حق قدره، ولم يعظموه حق تعظيمه، وأخضعوه

لمصطلحاتهم ولقواعدهم المنطقية، وهذا باطل وقولٌ على الله بغير علم، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٤٤].

فالواجب أن الإنسان يتقاصر عما لا يعلم، ولا يقول على ما لا يعلم، ولا يُخضع الأدلة لمصطلحاته وقواعده، بل العكس الواجب أن يخضع فهمه وقواعده واصطلاحاته إلى الأدلة.





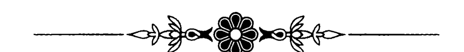
وَمَنْ حَكَى عَنِ النَّاسِ المَقَالَاتِ، وَسَمَّاهُمْ بِهَذِهِ الأَسْمَاءِ المَكْذُوبَةِ بِنَاءً عَلَى عَقِيدَتِهِم الَّتِي هُمْ مُخَالِفُونَ لَهُ فِيهَا، فَهُوَ وَرَبُّهُ، وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِ بِالمِرْصَادِ، وَلا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ.

الشَّرْح

قوله: (وَمَنْ حَكَى عَنِ النَّاسِ المَقَالَاتِ)، يعني: المذاهب، وأحسن بتسميتها مقالات؛ لأنها من كلامهم وقولهم هم.

قوله: (بِنَاءً عَلَى عَقِيدَتِهِم)، يريدون أن يحصروا الناس على مذهبهم وعلى قولهم.

قوله: (فَهُوَ وَرَبُّهُ، وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِ بِالمِرْصَادِ)، هذا دعاءٌ عليهم، الذي يريد أنه يحصر الناس على فهمه، ويُضلل من خالفه، هذا حسابه على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ونحن لا نعبأ به، قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣]، يعني: لا يُهلك المكر السيئ إلا أهله، أما المكر الحسن، فإن هذا ثابت ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٥٤]، مكر الله حسن؛ لأنه يضعه في موضعه، أما المكر السيئ، فإنه يوضع في غير موضعه، هو ظلم، وأما مكر الله، فهو عدل، وجزاء من عند الله وعدل.



وَجِمَاعُ الأَمْرِ: أَنَّ الأَقْسَامَ المُمْكِنَةَ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا سِتَّةُ أَقْسَامٍ، كُلُّ قِسْمٍ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

قِسْمَانِ يَقُولانِ: تُجْرَى عَلَى ظَوَاهِرِهَا.

وَقِسْمَانِ يَقُولانِ: هِيَ عَلَى خِلافِ ظَاهِرِهَا.

وَقِسْمَانِ يَسْكُتُونَ.

أَمَّا الأَوَّلانِ، فَقِسْمَانِ:

أَحدهُمَا: مَنْ يُجْرِيهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَيَجْعَلُ ظَاهِرَهَا مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ المَخْلُوقِينَ، فَهَؤُلاءِ المُشَبِّهَةُ، وَمَذْهَبُهُمْ بَاطِلٌ، أَنْكَرَهُ السَّلَفُ، وَإِلَيْهِ تَوَجَّهَ الرَّدُّ بِالْحَقِّ.

وَالثَّاني: مَنْ يُجْرِيهَا عَلَى ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِجَلالِ اللهِ؛ كَمَا يُجْرِي ظَاهِرَ اسْمِ الْعَلِيمِ، وَالْقَدِيرِ، وَالرَّبِّ، وَالإِلَهُ، وَالمَوْجُودُ، وَالذَّاتُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، عَلَى ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِجَلالِ اللهِ، فَإِنَّ ظَوَاهِرَ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي حَقِّ المَخْلُوقِينَ: إِمَّا جَوْهَرٌ مُحْدَثٌ، وَإِمَّا عَرَضٌ قَائِمٌ بِهِ.

الشَّرْح

قوله: (وَجِمَاعُ الأَمْرِ: أَنَّ الأَقْسَامَ الْمُمْكِنَةَ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا سِتَّةُ أَقْسَامٍ، كُلُّ قِسْمٍ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ)، هذا حصرٌ لما سبق كله من أول الرسالة، الأقسام الممكنة في الأسماء والصفات، يعني: بحسب افتراق الناس فيها إلى ستة أقسام، ترجع إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من يقول: (إن ظاهرها مراد)؛ ظاهر الأسماء والصفات مراد.

والقسم الثاني: من يقول: (ظاهرها غير مراد).

القسم الثالث: المتوقف، الذي يقول: (لا أقول: إنه مراد، ولا غير مراد).

وكل قسم ينقسم إلى اثنين، فإذا ضربت اثنين في ثلاثة كم تصير؟ ستة أقسام.

قوله: (**كُلُّ قِسْمٍ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ**)، أهل القبلة يعني: من المسلمين، سموا أهل القبلة؛ لأنهم يصلون إلى الكعبة، فرقًا بينهم وبين اليهود والنصارى الذين لا يصلون إلى الكعبة.

قوله: (**قِسْمَانِ يَقُولانِ: تُجْرَى عَلَى ظَوَاهِرِهَا**)، تُجرى على ظواهرها، هم قسموا على قسمين:

* على ظاهرها اللائق بجلال الله. هذا قول أهل السنة.
* على ظاهرها اللائق بالمخلوق. هذا قول الممثلة والمشبهة.

قوله: (**وَقِسْمَانِ يَقُولانِ: هِيَ عَلَى خِلافِ ظَاهِرِهَا**)، على خلاف ظاهرها، وانقسموا إلى قسمين:

* قسمٌ يؤولها، يقول: (هي على خلاف ظاهرها) ويؤولها إلى معنىً آخر.
* وقسمٌ يقول: (على خلاف ظاهرها)، ويفوضها إلى الله، وهؤلاء يسمون المُفوضة.

قوله: (**وَقِسْمَانِ يَسْكُتُونَ**)، يتوقفون، يقولون: (لا نقول على ظاهرها، ولا على غير ظاهرها)، يا سبحان الله!! تصير أحاجي وألغاز، لازم أنها إما على ظاهرها وإما على غير ظاهرها.

قوله: (**أَمَّا الأَوَّلانِ، فَقِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا: مَنْ يُجْرِيهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَيَجْعَلُ ظَاهِرَهَا مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، فَهَؤُلاءِ الْمُشَبِّهَةُ**)، هؤلاء هم المشبهة، تقول:

(هي على ظاهرها اللائق بالمخلوقين)، هؤلاء هم المُشبهة، والمُشبه يعبد صنمًا -كما يقولون-، والمُعطل يعبد عدمًا.

قوله: (**وَمَذْهَبُهُمْ بَاطِلٌ، أَنْكَرَهُ السَّلَفُ، وَإِلَيْهِ تَوَجَّهَ الرَّدُّ بِالحَقِّ**)، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، نفى عن نفسه التمثيل، ونفى عن نفسه التشبيه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا﴾، أي: مماثلًا ﴿أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٤]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]، يعني: من يساميه ويماثله، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، هذا ردٌّ على الممثلة، والله نفى عن نفسه الأمثال والأنداد، ونفى عن نفسه الكفؤ والشبيه والنظير.

قوله: (**وَالثَّانِي: مَنْ يُجْرِيهَا عَلَى ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِجَلَالِ اللهِ**)، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، على ظاهرها اللائق بجلال الله وليس اللائق بالمخلوقين، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

قوله: (**كَمَا يُجْرِي ظَاهِرَ اسْمِ الْعَلِيمُ، وَالْقَدِيرُ، وَالرَّبُّ، وَالإِلَهُ، وَالمَوْجُودُ، وَالذَّاتُ وَنَحْوَ ذَلِكَ**)، يجري ظاهر اسم (الْعَلِيمُ) على ظاهره، وهو العلم، لكنه ليس كعلم المخلوق.

(**وَالْقَدِيرُ**): المتصف بالقُدرة، ولكنها ليست كقدرة المخلوق.

(**وَالرَّبُّ**): الرب المطلق، إذا قيل: «الرب»، فهذا لا يليق إلا بالله، أما إذا قُيد، قيل: «رب الدار»، «رب الإبل»، إذا قُيد، فلا بأس؛ ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢]، يعني: سيدك، إذا قُيد، فلا بأس بإطلاقه على المخلوق، أما إذا أُطلق «الرب» أو «رب العالمين»، هذا لا يكون إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(وَالإِلَهُ)، يعني: المعبود، المعبود على قسمين: معبودٌ بحق، هذا لا يكون إلا لله جَلَّوَعَلَا. ومعبودٌ بالباطل، هذا يكون للأصنام والأحجار والأشجار والقبور والأضرحة...، كلها معبودة بغير حق، تُسمى آلهة؛ ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [نوح:٢٣]، قوم نوح الأصنام يسمونها آلهة، يعني: معبودة، آلهة لكنها باطلة، ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص:٥]، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ [هود:٥٣]، فهناك آلهة لكنها باطلة. والألوهية الحق لله عَزَّوَجَلَّ.

(وَالمَوْجُودُ): أما الموجود، يُخبر خبرًا أن الله موجود، أما أنه من أسماء الله، لا؛ لأنه لم يرد أن الله سمى نفسه بالموجود، لكن يُخبَر عنه بأنه موجود.

(وَالذَّاتُ): الذات كذلك الله لم يُثبت هذا، وإنما أثبت لنفسه النَّفس؛ ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٣٠]، فالذي ورد في حق الله هو النفس، أما الذات، فهذا من باب الإخبار لا من باب التسمية، أو الوصفية؛ فيوصف بأن له ذاتًا، يُخبر عنه، ما يُوصف، يُخبر عنه بأنه له ذاتًا، لكن لا يُسمى أو يوصف بذلك؛ لأن هذا لم يرد.

قوله: (عَلَى ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِجَلالِ اللهِ، فَإِنَّ ظَوَاهِرَ هَذِهِ الصِّفَاتِ فِي حَقِّ المَخْلُوقِينَ: إِمَّا جَوْهَرٌ مُحْدَثٌ، وَإِمَّا عَرَضٌ قَائِمٌ بِهِ)، جوهر محدث مثل: اليد، والوجه، يعني: صفات الذات، وإما عرضٌ قائمٌ به كالعلم والقُدرة. تُسمى هذه صفات المعاني، وأما الأولى تسمى اليد والوجه، هذه تسمى صفات الذات، الصفات الذاتية، والخلق والرزق والإحياء والإماتة هذه تسمى: صفات الأفعال، والنزول والاستواء تسمى صفات الأفعال. فالصفات صفات معانٍ، وصفات ذات، وصفات أفعال.

فَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْكَلامُ وَالْمَشِيئَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالرِّضَا وَالْغَضَبُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ: فِي حَقِّ الْعَبْدِ أَعْرَاضٌ.

وَالْوَجْهُ وَالْيَدُ وَالْعَيْنُ فِي حَقِّهِ أَجْسَامٌ.

فَإِذَا كَانَ اللهُ مَوْصُوفًا عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ الإِثْبَاتِ بِأَنَّ لَهُ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَكَلامًا وَمَشِيئَةً -وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَرَضًا، يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ- جَازَ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ اللهِ وَيَدَاهُ لَيْسَتْ أَجْسَامًا يَجُوزُ عَلَيْهَا مَا يَجُوزُ عَلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَهَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الَّذِي حَكَاهُ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ السَّلَفِ، وَعَلَيْهِ يَدُلُّ كَلامُ جُمْهُورِهِمْ، وَكَلامُ الْبَاقِينَ لا يُخَالِفُهُ، وَهُوَ أَمْرٌ وَاضِحٌ، فَإِنَّ الصِّفَاتِ كَالذَّاتِ، فَكَمَا أَنَّ ذَاتَ اللهِ ثَابِتَةٌ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَصِفَاتُهُ ثَابِتَةٌ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ.

الشَّرح

قوله: (فَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ وَالْكَلامُ وَالْمَشِيئَةُ وَالرَّحْمَةُ وَالرِّضَا وَالْغَضَبُ وَنَحْوُ ذَلِكَ: فِي حَقِّ الْعَبْدِ أَعْرَاضٌ. وَالْوَجْهُ وَالْيَدُ وَالْعَيْنُ فِي حَقِّهِ أَجْسَامٌ)، هذا في حق المخلوق، أما في حق الله، فيقال: صفات معانٍ، أو صفات ذات، أو صفات أفعال.

قوله: (فَإِذَا كَانَ اللهُ مَوْصُوفًا عِنْدَ عَامَّةِ أَهْلِ الإِثْبَاتِ بِأَنَّ لَهُ عِلْمًا وَقُدْرَةً وَكَلامًا وَمَشِيئَةً -وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَرَضًا، يَجُوزُ عَلَيْهِ مَا يَجُوزُ عَلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ- جَازَ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ اللهِ وَيَدَاهُ لَيْسَتْ أَجْسَامًا يَجُوزُ عَلَيْهَا مَا يَجُوزُ عَلَى صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ)، هذا إلزامٌ لهم؛ لأنهم يصفون الله بالعلم، ويقولون: لا يلزم

عليه التشبيه؛ لأن العلم عرض من الأعراض. فنقول لهم: إذا كان الله جَلَّوَعَلَا أمكن أن يوصف بالعلم، والمخلوق يُوصف بالعلم، ولا تقولون بالتشبيه في هذا، كذلك صفات الذات مثل اليد والوجه.

قوله: (**وَهَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الَّذِي حَكَاهُ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ السَّلَفِ**)، الخطابي هو الإمام الجليل الحافظ حمد الخطابي صاحب «معالم السنن» شارح الترمذي، إمامٌ جليل، ويُكنى أبا سليمان الخطابي.

قوله: (**وَعَلَيْهِ يَدُلُّ كَلَامُ جُمْهُورِهِمْ، وَكَلَامُ الْبَاقِينَ لَا يُخَالِفُهُ، وَهُوَ أَمْرٌ وَاضِحٌ**)، أمرٌ واضح مذهب السلف هو الذي يتمشى على الكتاب والسنة، وقد يدخل في مذهب أهل السنة أو مذهب السلف من عنده بعض التأويل، لكن لا يُخرجه من مذهب السلف، وإن غلط في بعض الأشياء، أو أخطأ في بعض الأشياء، هذا لا يُخرجه عن كونه من أهل السنة.

قوله: (**فَإِنَّ الصِّفَاتِ كَالذَّاتِ، فَكَمَا أَنَّ ذَاتَ اللهِ ثَابِتَةٌ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مِنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقَاتِ، فَصِفَاتُهُ ثَابِتَةٌ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مِنْ جِنْسِ صِفَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ**)، هذه قاعدة عظيمة: أن تكون الصفات كالذات، فإذا كان لله ذات لاتُشبه الذوات -كما تقولون-، فله أسماء وصفات لا تُشبه أسماء المخلوقين وصفات المخلوقين، إذا كان الله بذاته لا يُشبه ذوات المخلوقين، وأنتم تعترفون بهذا، فلماذا لاتطردون هذا في الأسماء والصفات، فتقولون: وله أسماء وصفات لائقةٌ به، ليست كأسماء المخلوقين وصفات المخلوقين؟!!



فَمَنْ قَالَ: لَا أَعْقِلُ عِلْمًا وَيَدًا إِلَّا مِنْ جِنْسِ الْعِلْمِ وَالْيَدِ المَعْهُودَيْنِ.

قِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ تَعقِلُ ذَاتًا مِنْ غَيْرِ جِنْسِ ذَوَاتِ المَخْلُوقِينَ، وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ صِفَاتِ كُلِّ مَوْصُوفٍ تُنَاسِبُ ذَاتَهُ وَتُلَائِمُ حَقِيقَتَهُ، فَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ -الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ- إِلَّا مَا يُنَاسِبُ المَخْلُوقَ، فَقَدْ ضَلَّ فِي عَقْلِهِ وَدِينِهِ.

الشَّرح

قوله: (فَمَنْ قَالَ: لَا أَعْقِلُ عِلْمًا وَيَدًا إِلَّا مِنْ جِنْسِ الْعِلْمِ وَالْيَدِ المَعْهُودَيْنِ. قِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ تَعقِلُ ذَاتًا مِنْ غَيْرِ جِنْسِ ذَوَاتِ المَخْلُوقِينَ)، إذا قال: (أنا لا أعقل علمًا إلا ما هو موجود في الناس، فيكون تشبيهًا، وأنا لا أريد التشبيه)، فينفي العلم عن الله، نقول له: أنت تقول: (إن الله له ذات لا تشبه ذوات المخلوقين، أو نفس لاتُشبه نفوس المخلوقين)، أنت تقول هذا، والصفات تحتذي حذو الذات أو النفس، فكما أنك تُثبت لله النفس والذات، ولا يقتضي هذا التشبيه، فالأسماء والصفات كذلك. هذا إلزامٌ له. هذه ناحية أنه يُلزم إذا كان يُثبت لله نفسًا أو ذاتًا لايُشبه ذوات المخلوقين، فكذلك أسماؤه وصفاته.

وأيضًا قوله: (لَا أَعْقِلُ)، هل الدنيا كلها والعالم كلّه محصورٌ بعقلك أو إدراكك؟! الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، فليس هذا مقصورًا على علمك ومعرفتك.

قوله: (وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ صِفَاتِ كُلِّ مَوْصُوفٍ تُنَاسِبُ ذَاتَهُ وَتُلَائِمُ حَقِيقَتَهُ)، هذا حتى في المخلوقين، صفات كل مخلوق تليق به، فليست صفات الذّرة النملة الصغيرة مثل صفات الفيل والجمل، وإن كان كلٌّ منهما حيوان مخلوق له روح،

إذا كانت المخلوقات لا تتشابه أسماؤها وصفاتها، فالخالق مع المخلوقين من باب أولى، لاتشابه بينهم.

قوله: (**فَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ -الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ- إِلَّا مَا يُنَاسِبُ الْمَخْلُوقَ، فَقَدْ ضَلَّ فِي عَقْلِهِ وَدِينِهِ**)، وحصر الله، هم يقولون: (أنتم تقولون بالحصر؛ إن الله محصور)، فنقول: أنتم الذين تقولون بالحصر؛ لأنكم حصرتم الله في أفهامكم ومعلوماتكم، وتريدون أن تُكذبوا من خالفكم، هذا هو الحصر. وما من مُبطلٍ يُعير أحدًا بلقب، إلا وهو منطبقٌ عليه هو أبدًا.



وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا قَالَ لَك الْجَهْمِيُّ: كَيْفَ اسْتَوَى؟ وَكَيْفَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟ وَكَيْفَ يَدَاهُ؟ وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ هُوَ فِي نَفْسِهِ؟

فَإِذَا قَالَ لَك: لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ، وَكُنْهُ الْبَارِي غَيْرُ مَعْلُومٍ لِلْبَشَرِ.

فَقُلْ لَهُ: فَالْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَعْلَمَ بِكَيْفِيَّةِ صِفَةِ الْمَوْصُوفِ، وَلَمْ تَعْلَمْ كَيْفِيَّتَهُ؟ وَإِنَّمَا تُعْلَمُ الذَّاتُ وَالصِّفَاتُ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي لَه، بَلْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ فِي الْجَنَّةِ قَدْ ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الْجَنَّةِ إِلَّا الْأَسْمَاءُ»[١].**

وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ: أَنَّهُ لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ، وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»[٢].**

فَإِذَا كَانَ نَعِيمُ الْجَنَّةِ -وَهُوَ خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ- كَذَلِكَ، فَمَا الظَّنُّ بِالْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **؟**

الشَّرح

قوله: (وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ: إِذَا قَالَ لَكَ الجَهْمِيُّ: كَيْفَ اسْتَوَى، وَكَيْفَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَكَيْفَ يَدَاهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ؟ فَقُلْ لَهُ: كَيْفَ هُوَ فِي نَفْسِهِ؟)، إذا قال لك الجهمي: (أنت تُثبت أن الله استوى على العرش، اذكر لي كيفية الاستواء، كيفية استواء الله على عرشه)، فقل له: وأنت تُثبت أن لله ذاتًا ونفسًا، اذكر لي كيفية

---

(١) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٥١)، والطبري في تفسيره (١/ ٤١٦)، وأبو نعيم في صفة الجنة (١/ ١٦٠).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٠٨).

هذه الذات؟ قال: لا أدري، تقول له: كذلك أنا لا أدري عن الاستواء، هذا كله لا أنا ولا أنت ولا أحد يعلمه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فنحن نُثبته، ولكن لا ندري عن كيفيته؛ كيفية النزول نزول الله إلى سماء الدنيا كل ليلة، هل هو مثل نزول المخلوقين من على الدابة أو على السطح، أو على الجبل -تعالى الله عن ذلك-، فالله ينزل كيف يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نُثبت النزول، ولا نتعرض للكيفية، نُثبت الاستواء، ولا نتعرض لكيفية الاستواء، هذا هو المذهب الحق والصواب.

قوله: (**كَيْفَ اسْتَوَى**)، يعني: اذكر لي كيفية استوائه. اذكر لي كيفية نزوله. تقول له: لا أعلمها، وأنت أيضًا تثبت الذات لله، وأنت لا تعلم كيفيتها، فكيف تطالبني بشيءٍ أنت تُقر بأنك لا تُدركه؟!!

قوله: (**فَإِذَا قَالَ لَك: لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ، وَكُنْهُ الْبَارِي غَيْرُ مَعْلُومٍ لِلْبَشَرِ**)، الحمد لله اعترف بالحق.

قوله: (**فَقُلْ لَهُ: فَالْعِلْمُ بِكَيْفِيَّةِ الصِّفَةِ مُسْتَلْزِمٌ لِلْعِلْمِ بِكَيْفِيَّةِ الْمَوْصُوفِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَعْلَمَ بِكَيْفِيَّةِ صِفَةِ الْمَوْصُوفِ، وَلَمْ تَعْلَمْ كَيْفِيَّتَهُ؟ وَإِنَّمَا تُعْلَمُ الذَّاتُ وَالصِّفَاتُ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ**)، من حيث الجملة لا من حيث التفاصيل، لا يحيط بالله إلا الله جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، فالله لا يعلم أسماءه وصفاته وذاته إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، البشر عاجزون، أنت لا تحيط بصفات المخلوقات -كما ذكرنا-، عندك الفيل وعندك الذرّة، عندك الملك من الملائكة، وعندك الإنسان من البشر، أنت تعرف الملائكة، تعرف الجن..؟ أشياء لا تعرفها أنت، وهي موجودة، وهي مخلوقة أيضًا، ولا تعرفها، ولا يبلغ علمك بالإحاطة بها، فكيف تُحيط بالخالق؟!! أقصر عن نفسك ولا تتكلف، ولا تحصر الناس على تصورك وعلى فهمك، وتضللهم وتخطئهم إذا خالفوك.

قوله: (عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي لَه، بَلْ هَذِهِ المَخْلُوقَاتُ فِي الجَنَّةِ قَدْ ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا **أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا فِي الجَنَّةِ إِلَّا الأَسْمَاءُ»)**، هذا مثال أورده الشيخ في الأمور المغيبة عنّا، نحن لا نُدركها؛ مخلوقات في الجنة، الله ذكر أن في الجنة نخلًا وعنبًا ورمانًا وعسلًا وخمرًا، والدنيا فيها كذلك؛ فيها نخل، فيها رمان، فيها عنب، فيها خمر، فيها عسل، لكن لا يتشابه ما في الجنة مع ما في الدنيا، وإن اشترك في الاسم والمعنى، لكنه لا يشترك في الحقيقة والكيفية.

أو العكس: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء؛ اسم العنب موجود في الدنيا ومعروف في الدنيا، لكن هل تعرف عنب الجنة وكيفيته وطعمه وحجمه؟ لاتعرف هذا، تعرف العنب فقط، أمّا كيفية العنب الذي في الدنيا، تعرف كيفية العنب الذي في الدنيا، لكن لا تعرف كيفية العنب الذي في الجنة؛ لأن هذا من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، فإذا كان هذا في المخلوق، وهو الجنة، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟

قوله: (وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ: أَنَّهُ لَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)، الله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ﴾ [السجدة:١٧]، أي نفس؟ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم ﴾، يعني: للذين يقومون الليل، ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة:١٦]، فكما أنهم أخفوا عملهم في الدنيا، وقاموا في الليل، ولا يراهم أحد، الله أخفى جزاءهم؛ فلا يعلمه أحد إلا الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأن الجزاء من جنس العمل، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم ﴾ هذا في الجنة، فإذا كان في الجنة أشياء ما نعلمها، أخفاها الله عنّا، فكيف بأسمائه وصفاته، والجنة مخلوقة؟!!

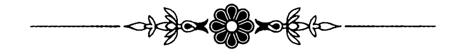
قوله: (وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«أَنَّ فِي الجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»)**، مثل الآية: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم



مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾، أخفوا قيامهم بالليل، فأخفى الله جزاءهم، فلا يعلمه إلا هو، لعظمة هذا الجزاء لا تُدركه العقول في الدنيا، فإذا كان هذا في المخلوقات، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»، لا أحد يتصور كل ما في الجنة، فيها أشياء لا يتصورها الإنسان، لم تخطر بباله، ولم ترها عينه، ولم تسمعها أذنه، خفي في الجنة، فإذا كان هذا في المخلوقات، فكيف بالخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أنتم تريدون أنكم تحيطون بالله عَزَّ وَجَلَّ؟!

قوله: (**فَإِذَا كَانَ نَعِيمُ الجَنَّةِ وَهُوَ خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ كَذَلِكَ، فَمَا الظَّنُّ بِالخَالِقِ** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟)، لا شك أن الجنة من مخلوقات الله، فإذا كان لا يُعلم ما في الجنة مع أنه مخلوق، فكيف يُعلم صفات الخالق وأسماء الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!



وَهَذِهِ الرُّوحُ الَّتِي فِي بَنِي آدَمَ قَدْ عَلِمَ الْعَاقِلُ اضْطِرَابَ النَّاسِ فِيهَا، وَإِمْسَاكَ النُّصُوصِ عَنْ بَيَانِ كَيْفِيَّتِهَا، أَفَلَا يَعْتَبِرُ الْعَاقِلُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِي كَيْفِيَّةِ اللهِ تَعَالَى؟ مَعَ أَنَّا نَقْطَعُ بِأَنَّ الرُّوحَ فِي الْبَدَنِ، وَأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْهُ، وَتَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنَّهَا تُسَلُّ مِنْهُ وَقْتَ النَّزْعِ؛ كَمَا نَطَقَتْ بِذَلِكَ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ، لَا نُغَالِي فِي تَجْرِيدِهَا غُلُوَّ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ؛ حَيْثُ نَفَوْا عَنْهَا الصُّعُودَ وَالنُّزُولَ، وَالاتِّصَالَ بِالْبَدَنِ وَالانْفِصَالَ عَنْهُ، وَتَخَبَّطُوا فِيهَا؛ حَيْثُ رَأَوْهَا مِنْ غَيْرِ جِنْسِ الْبَدَنِ وَصِفَاتِهِ، فَعَدَمُ مُمَاثَلَتِهَا لِلْبَدَنِ لَا يَنْفِي أَنْ تَكُونَ الصِّفَاتُ ثَابِتَةً لَهَا بِحَسْبِهَا، إِلَّا أَنْ يُفَسِّرُوا كَلَامَهُمْ بِمَا يُوَافِقُ النُّصُوصَ، فَيَكُونُونَ قَدْ أَخْطَؤُوا فِي اللَّفْظِ، وَأَنَّى لَهُمْ بِذَلِكَ؟

وَلَا نَقُولُ: إِنَّهَا مُجَرَّدُ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْبَدَنِ كَالدَّمِ وَالْبُخَارِ مَثَلًا، أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْبَدَنِ وَالْحَيَاةِ، وَإِنَّهَا مُخْتَلِفَةُ الأَجْسَادِ وَمُسَاوِيَةٌ لِسَائِرِ الأَجْسَادِ فِي الْحَدِّ وَالْحَقِيقَةِ -كَمَا يَقُولُ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ-، بَلْ نَتَيَقَّنُ أَنَّ الرُّوحَ عَيْنٌ مَوْجُودَةٌ غَيْرُ الْبَدَنِ، وَإِنَّهَا لَيْسَتْ مُمَاثِلَةً لَهُ، وَهِيَ مَوْصُوفَةٌ بِمَا نَطَقَتْ بِهِ النُّصُوصُ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، فَإِذَا كَانَ مَذْهَبُنَا فِي حَقِيقَةِ الرُّوحِ وَصِفَاتِهَا بَيْنَ الْمُعَطِّلَةِ وَالْمُمَثِّلَةِ، فَكَيْفَ الظَّنُّ بِصِفَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؟

الشَّرح

قوله: (وَهَذِهِ الرُّوحُ الَّتِي فِي بَنِي آدَمَ قَدْ عَلِمَ الْعَاقِلُ اضْطِرَابَ النَّاسِ فِيهَا، وَإِمْسَاكَ النُّصُوصِ عَنْ بَيَانِ كَيْفِيَّتِهَا، أَفَلَا يَعْتَبِرُ الْعَاقِلُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِي كَيْفِيَّةِ اللهِ تَعَالَى؟)، هذا مثال ضربه الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في أن هناك أشياء موجودة مخلوقة بلا شك، ولكن لا تُعلم كيفيتها، فإذا كان هذا في المخلوق، فالخالق من باب أولى ألا تُعلم كيفيته، لا تُعلم كيفية أسمائه وصفاته؛ لأن الأسماء والصفات فرعٌ عن

الذات، فإذا لم تُعلم كيفية الذات، فإنه لا تُعلم كيفية أسمائها وصفاتها، فهذا مثالٌ مفحم.

أيضًا هم يقولون: (إن الصفات أعراض، لا تكون إلا للجسم، فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسمًا، والأجسام متشابهة، فيلزم من إثبات الأسماء والصفات التشبيه، والله منزّهٌ عن التشبيه)، هذا حاصل استدلالهم.

فيرد عليه بنفس هذا المثال، يقال: الروح لا يُدرى هل هي عرض أو جسم، لا أحد توصل إلى كيفية الروح هل هي عرض أو جسم؟ وهي موجودة بإجماع بني آدم، ولها صفات، مع أنها لا تُوصف بأنها جسم، ولا توصف بأنها عرض، لها صفات، فهي تنزل، وتُقبض، وتصعد، فلها صفات، فلا يلزم من إثبات الصفات الجسمية، فهذا مثالٌ مفحمٌ لهم، والروح من عجائب خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنها لا تُرى، لم يرها أحد أبدًا، وهي موجودة، وتحل في الجسم وتنفصل عنه، تحل فيه، فيتحرك ويمشي، ويأكل ويشرب، وتنفصل عنه إما بالنوم وإما بالموت، فإذا انفصلت منه، أصبح جمادًا لا يتحرك، وهي لا تُرى، ولا أحد رآها، ولذلك لما سئل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أربعة أسئلة: عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح[1]، وعن الخضر، أجابهم عن أصحاب الكهف بما أنزل الله عليه في أول سورة الكهف، وعن العبد الذي آتاه الله العلم، وذهب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه، وهو الخضر، وتعلم منه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وظهر على يديه أشياء استغربها موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما في آخر سورة الكهف، وبعدها قصة ذي القرنين ذكرها الله سبحانه، هذه إجابة على أسئلة اليهود، والرابع: الروح؛ هذه ما أجاب عنها، قال

---

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (١٥/ ١٩١-١٩٢). وأخرجه ابن هشام في السيرة (١/ ٣١١، ٣١٢).

تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥]، فالروح لم يبين الله جَلَّوَعَلَا لنا حقيقته، وأنها سر من أسرار خلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لا يعلمه إلا هو. فإذا عجزتم أن تعرفوا أرواحكم التي فيكم، فكيف تريدون أن تعرفوا حقيقة ذات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وتحكموا عليه بأنه ليس له أسماء ولا صفات ولا ولا؟! هذا من الجهل بالله عَزَّوَجَلَّ.

الناس الفلاسفة وأهل المنطق وأهل الجدل اضطربوا في تعريفها، كلٌّ يأتي بتعريفٍ يخالف التعريف الآخر، مما يدل على أنهم لم يتوصلوا إلى تعريفٍ صحيحٍ لها، وهي موجودة وآثارها ظاهرة، ومع هذا عجزوا عن أن يكيفوها، وأن يعرفوا حقيقتها، وهي مخلوقة من مخلوقات الله، فإذا عجزوا عن أن يعرفوا حقيقة الروح، فكيف لهم أن يعرفوا حقيقة ذات الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؟!! فالنصوص والسنة أمسكت عن كيفيتها؛ ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥]، فبقيت الروح سرًا عجيبًا لم يتوصل إلى معرفته أحدٌ من الخلق.

كيف تجرأتم على الكلام في حق الخالق، وأنتم قد عجزتم عن الكلام في حقيقة الروح، وهي مخلوقة من مخلوقات الله عَزَّوَجَلَّ؟!

قوله: **(مَعَ أَنَّا نَقْطَعُ بِأَنَّ الرُّوحَ فِي الْبَدَنِ، وَأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَنَّهَا تُسَلُّ مِنْهُ وَقْتَ النَّزْعِ؛ كَمَا نَطَقَتْ بِذَلِكَ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ)**، ليس هناك شك أن الروح في البدن، ولولا ذلك ما تحرك البدن، ولا أكل ولا شرب، ولا تكلم ولاتصرف، فهي موجودة، إذا صارت في البدن، تحرك، وإذا خرجت منه، تجمد، أين الروح هذه؟ من يعرفها؟ لا أحد يعرفها إلا الله جَلَّوَعَلَا الذي خلقها، ولا يمكن أن تُمسك، العجيب لو عندك أغلى الناس حضره الموت، ما تستطيع أنك تمسك روحه، ولا تقبضها الملائكة، وهو بين يديك، يموت بين يديك،

ولا لك حيلة في حبسها فيمن تريد أن يبقى؛ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾، يعني: عند النزع، الروح ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ [الواقعة:٨٣، ٨٤]، حاضرون عنده تنظرون للميت، وهو يحتضر وغالٍ عليكم، لا تريدون له الموت، لو تفدونه بالأموال، فديتموه ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة:٨٤، ٨٥]، عنده ملائكة الله ملائكة الموت، ولا ترونهم؛ لأنهم من عالم الغيب، ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة:٨٦] بزعمكم غير مبعوثين وغير محاسبين كما تقولون، ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ﴾ [الواقعة:٨٦، ٨٧]؛ ترجعون الروح إلى البدن وتحبسونها؛ حتى يبقى حيًّا، لا أحد يستطيع من العالم، لو تحضر مهرة الأطباء الحاذقين تريدهم أن يمسكوا الروح، ما استطاعوا، هم يموتون، وهم أحذق الناس في الطب، ولا يستطيعون أن يمنعوا الموت عن أنفسهم؛ ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:١٦٨]، ما أحد يستطيع أن يمنع الموت، أو يمنع ملك الموت أبدًا، ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنكم لن تُبعثوا، وأنه ليس هناك ربٌّ يتصرف فيكم، وأنكم أحرارٌ في تصرفاتكم، إذا كان كذلك، فأرواحكم أغلى شيء، فاحتفظوا بها، ولا تموتوا إن كنتم صادقين، فهذا من العجائب العظيمة.

قوله: (وَأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَعْرُجُ إِلَى السَّمَاءِ)؛ كما في الحديث: «**إن المؤمن إذا قُبضت روحه، صعدت بها الملائكة إلى السماء، ولها رائحةٌ طيبة يشمها أهل السماوات، ويسألون: روح من هذه؟ يقال: هذا فلان بن فلان، حتى إنهم يأتون بها المكان الذي خصصه الله، فيقول لهم سبحانه: أرجعوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارةً أخرى. فتعاد إلى**

الميت وهو في القبر، وتدخل في جسده، ويجلس ويأتيه الملكان، ويختبرانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟»[(١)]، أو يعجز عن الجواب، هذه من عجائب الروح التي لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، روح المؤمن تعرج إلى السماء، أما روح الكافر، فإنها لا تُفتح لها أبواب السماء، يُعرج بها إلى السماء، لكن لا يُفتح لها باب السماء، فتُلقى إلى الأرض، تُطرح طرحًا -والعياذ بالله-؛ تعذيبًا لها: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الأعراف:٤٠]، هذه أرواح الكفار، وروح المؤمن تُسل منه برفق؛ كما تُسل الشعرة من العجين، أو القطرة من فم السقاء، وأما الكافر، فتتصعب روحه، وتتفرق في جسمه، وتُنزع منه نزعًا شديدًا، فيجد من الآلام ما لا يعلمه إلا الله عند الموت، كل هذا لا ندري عنه، وهو من شؤون الروح، فإذا كنا لا نعرف حقيقة الروح، فكيف نتكلم في حقيقة الخالق جَلَّ وَعَلَا الذي لا يحاط به علما؟! ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، فيجب على المسلم أن يتوقف عما لا علم له به، وأمور الغيب لا نتكلم فيها إلا بحسب الأدلة، لا نتكلم فيها بعقولنا وتخميناتنا، لا نتكلم في أمور الغيب إلا بحسب الأدلة الصحيحة من كتاب الله أو من سنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما لم يرد في الأدلة الصحيحة، فإننا نُمسك عنه، ولا ندخل فيه.

قوله: (وَأَنَّهَا تُسَلُّ مِنْهُ وَقْتَ النَّزْعِ؛ كَمَا نَطَقَتْ بِذَلِكَ النُّصُوصُ الصَّحِيحَةُ)، تُسل روح المؤمن برفق كما تُسل الشعرة من العجين، أو تسيل كما تسيل القطرة من

---

(١) ورد من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، رواه أحمد في المسند (٣٠/ ٤٩٩، ٥٧٦)، وأبو داود في سننه (ح٤٧٥٣)، والطيالسي في مسنده (١/ ١٠٢) والبيهقي في الشعب (١/ ٣٥٨)، قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، المجمع (٣/ ٥٠)، وفي الباب أحاديث أخرى عن غيره من الصحابة، وانظر: إثبات عذاب القبر للبيهقي.



فم السقاء، خلاف الكافر؛ فإنها تُنزع بشدة ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات:١، ٢]، قالوا: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾: أرواح الكفار. أما ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾: أرواح المؤمنين، تُنشط بسرعة وسهولة(١).

قوله: (لَا نُغَالِي فِي تَجْرِيدِهَا غُلُوَّ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَمَنْ وَافَقَهُمْ حَيْثُ نَفَوْا عَنْهَا الصُّعُودَ وَالنُّزُولَ، وَالاتِّصَالَ بِالْبَدَنِ والانْفِصَالَ عَنْهُ)، لا نغالي في تجريد الروح غلو المتفلسفة -جمع متفلسف وفيلسوف-، والفيلسوف: هو الحكيم عندهم.

نفوا عنها ما ثبت لها من الصعود إلى السماء والنزول من السماء -كما في الحديث-، ودخولها في البدن، دخول الروح في البدن، يقال عند البعث: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧-٣٠]، هذا عندما يُبعث الإنسان ويتكامل جسده، فإن إسرافيل ينفخ في الصور النفخة الأخيرة، فتتطاير الأرواح إلى أجسادها، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]، ثم يساقون إلى المحشر أحياءً بعد أن كانوا رميمًا وأمواتًا.

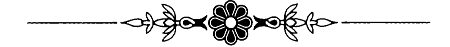
والروح تتصل بالبدن في الحياة، وتنفصل عنه بالموت، تنفصل عنه في النوم وتتصل به في اليقظة، تنفصل عنه في القبر، وتتصل به أحيانًا في الحياة الدنيا وفي القبر، ثم تتصل اتصالًا كاملًا في الجنة أو النار، فلا تفارق البدن أبدًا، يحيا حياةً دائمة؛ إما في الجنة وإما في النار، بل العجيب أنها تتصل بالجنين في بطن أمه، تُنفخ فيه الروح، وهو في بطن أمه، ثم يحيا ويتحرك، ويقبل الغذاء، وينمو جسمه، هذه من عجائب هذه الروح، الروح لها اتصالات بالبدن، اتصالٌ بالجنين، وهو في

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٥٧- ٥٩)، وتفسير الماوردي (٦/ ١٩٢- ١٩٣)، وتفسير البغوي (٥/ ٢٠٤)، وزاد المسير (٤/ ٣٩٣- ٣٩٤)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٩٠- ١٩١).

بطن أمه، اتصالٌ بالنائم -وهو نائمٌ في هذه الدنيا- وانفصال، اتصالٌ بالميت في قبره، اتصالٌ به بعد البعث، وهو اتصال استقرار، لا انفصال بعده، فلها اتصالات بالبدن. وهي لا يُعرف ما هي الروح، ولا ما هي حقيقتها، فليس بشرط أن الإنسان يعرف كل شيء، الذين يدّعون أنهم يعرفون كل شيء كذبة، هناك أشياء لايعرفونها، أرواحهم أقرب شيء هل يعرفونها؟! وهم عندهم أنهم عرفوا كل شيء، واكتشفوا كل شيء، الذين اكتشفوا القارات، واكتشفوا البحار والمعادن لم يكتشفوا الروح التي فيهم ولا يعرفونها.

قوله: (**وَتَخَبَّطُوا فِيهَا حَيْثُ رَأَوْهَا مِنْ غَيْرِ جِنْسِ الْبَدَنِ وَصِفَاتِهِ، فَعَدَمُ مُمَاثَلَتِهَا لِلْبَدَنِ لَا يَنْفِي أَنْ تَكُونَ الصِّفَاتُ ثَابِتَةً لَهَا بِحَسْبِهَا**)، لا تماثل البدن، لو ماثلت البدن الإنسان يراها مثلما يرى البدن، فهي ليست كالبدن، وكونها لا تماثل البدن لا ينفي أنها تُوصف بصفات، فهذا دليل على أن إثبات الصفات لا يقتضي المماثلة.

قوله: (**إِلَّا أَنْ يُفَسِّرُوا كَلامَهُمْ بِمَا يُوَافِقُ النُّصُوصَ، فَيَكُونُونَ قَدْ أَخْطَؤُوا فِي اللَّفْظِ، وَأَنَّى لَهُمْ بِذَلِكَ؟**)، ما يُقبل إلا ما وافق النصوص، مهما ذهبوا وشرّقوا وغرّبوا وبحثوا وتفلسفوا، ما يُقبل إلا ما وافق النصوص؛ لأن النصوص تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، أما آراؤهم، فهي آراء بشرية، تخطئ وتصيب، ويدخلها الجهل الكثير.





وَأَمَّا الْقِسْمَانِ اللَّذَانِ يَنْفِيَانِ ظَاهِرَهَا، أَعْنِي: الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَيْسَ لَهَا فِي الْبَاطِنِ مَدْلُولٌ هُوَ صِفَةُ اللهِ تَعَالَى قَطُّ، وَأَنَّ اللهَ لَا صِفَةَ لَهُ ثُبُوتِيَّةً، بَلْ صِفَاتُهُ إِمَّا سَلْبِيَّةٌ وَإِمَّا إِضَافِيَّةٌ، وَإِمَّا مُرَكَّبَةٌ مِنْهُمَا، أَوْ يُثْبِتُونَ بَعْضَ الصِّفَاتِ -السَّبْعَةَ، أَوِ الثَّمَانِيَةَ، أَوِ الْخَمْسَ عَشْرَةَ-، أَوْ يُثْبِتُونَ الأَحْوَالَ دُونَ الصِّفَاتِ، وَيُقِرُّونَ مِنَ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ بِمَا فِي الْقُرْآنِ دُونَ الْحَدِيثِ؛ كَمَا عُرِفَ مِنْ مَذَاهِبِ الْمُتَكَلِّمِينَ.

فَهَؤُلَاءِ قِسْمَانِ:

قِسْمٌ يَتَأَوَّلُونَهَا، وَيُعَيِّنُونَ الْمُرَادَ؛ مِثْلَ قَوْلِهِمْ: اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوْلَى، أَوْ بِمَعْنَى عُلُوِّ الْمَكَانَةِ وَالْقَدْرِ، أَوْ بِمَعْنَى ظُهُورِ نُورِهِ لِلْعَرْشِ، أَوْ بِمَعْنَى انْتِهَاءِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي الْمُتَكَلِّفِينَ.

وَقِسْمٌ يَقُولُونَ: اللهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ بِهَا، لَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ إِثْبَاتَ صِفَةٍ خَارِجَةٍ عَمَّا عَلِمْنَا.

الشَّرح

قوله: (وَأَمَّا الْقِسْمَانِ اللَّذَانِ يَنْفِيَانِ ظَاهِرَهَا، أَعْنِي الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَيْسَ لَهَا فِي الْبَاطِنِ مَدْلُولٌ هُوَ صِفَةُ اللهِ تَعَالَى قَطُّ، وَأَنَّ اللهَ لَا صِفَةَ لَهُ ثُبُوتِيَّةً، بَلْ صِفَاتُهُ إِمَّا سَلْبِيَّةٌ وَإِمَّا إِضَافِيَّةٌ، وَإِمَّا مُرَكَّبَةٌ مِنْهُمَا)، أما القسم الأول انتهى، وهم الذين أثبتوها على ظاهرها، وهم قسمان:

قسمٌ أثبتوها على ظاهرها اللائق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقسمٌ أثبتوها على ظاهرها، لكن فوّضوا معناها إلى الله. قالوا: (لا نعرف معناها)، وهؤلاء هم المفوضة، كلامهم هذا باطل؛ لأنهم ما فوضوا إلا بعد أن

نفوا ظاهرها، فهم نفاة، وإن كانوا يزعمون أنهم يقولون: (هي على ظاهرها، لكن ظاهرها لا نعلمه)، فجعلوها من جنس الألغاز والأحاجي، وهل في القرآن شيء من الألغاز والأحاجي؟!! القرآن نزل بيانًا للناس هدى، ما نزل للأحاجي والألغاز، وإنما نزل بيانًا للناس؛ ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ [آل عمران:٩٧]، لكن كونهم هم لم يدركوها ما يجعل القرآن أن فيه أشياء لا تُعلم، يعلمها غيرهم، أنت إذا لم تعلمها، يعلمها غيرك، لكن أنت قل: (أنا ما أعلمها)، ولا تقل: (ظاهرها غير مراد)، قل: (لا، أنا لا أعلمها)، يعلمها غيرك.

قوله: (إِمَّا سَلْبِيَّةٌ)، السلبية هي النفي، التي تعتمد على النفي؛ لا داخل العالم، ولا خارج العالم، ولا فوق ولا تحت، ولا يمنة ولا يسرة؛ كما تقوله الجهمية والأشاعرة لا يُثبتون لله جَلَّ وَعَلَا العلو، ولا يُثبتون لله النزول إلى سماء الدنيا، يقولون: (لا داخل العالم ولا خارج، ولا يمنة ولا يسرة، ولا فوق ولا تحت ولا ولا...) إلى آخره، سلوب، كل وصفهم لله سلوب، يعني: نفي، مع أن الله أثبت لنفسه الأسماء والصفات في كثيرٍ من الآيات، هؤلاء ما يثبتون لله إلا النفي والسلوب، هذه السلبية.

قوله: (وَإِمَّا إِضَافِيَّةٌ)، الإضافية: الصفة الإضافية هي التي يتوقف تصورها على غيرها، مثل الابن والأب، ما تعرف الابن إلا إذا عرفت الأب، أو الأب تعرف الابن، يعني: يرتبط بعضها ببعض، هذه إضافية، مثل الأبوة والبنوة، لا يتصور أحدهما إلا بتصور الآخر.

قوله: (وَإِمَّا مُرَكَّبَةٌ مِنْهُمَا)؛ من السلبية والإضافية، وكله باطل، الذين يقولون: (إنها سلبيات كلها)، الذين يقولون: (إنها إضافيات كلها)، الذين

يقولون: (إنها مركبة من السلبي والإضافي) كل هذا تخرص لا طائل تحته، ولو أنهم اتبعوا الكتاب والسنة، وأثبتوا ما فيهما على حقيقته لله عَزَّوَجَلَّ، لاستراحوا.

قوله: (**أَوْ يُثْبِتُونَ بَعْضَ الصِّفَاتِ -السَّبْعَةَ، أَو الثَّمَانِيَةَ، أَو الخَمْسَ عَشْرَةَ**)، المعروف من حيث القواعد الصرفية: أن العدد يكون على عكس المعدود في المذكر والمؤنث، تقول: الصفات السبع، ولا تقل: السبعة، تقول: الصفات مؤنث، السبع مذكر، على عكس المعدود، الصفات السبع، الصفات الأربع عشرة، ولا تقل: الأربعة عشر، فالذي في النسخة هذا يخالف القواعد الصرفية، أنا لا أدري هو في الأصل في المخطوطة كذا، أو أنه من تصرف النّساخ، أنا لا أظن الشيخ يعبر بهذا التعبير، وهو عالمٌ ضليع في اللغة والصرف.

(**أو الثمان**) الثمانية لا، بدون تاء، الثمانية للمذكر؛ ثمانية رجال وثماني نسوة؛ ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة:٧] انظر القرآن: ﴿وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾.

قوله: (**أَوْ يُثْبِتُونَ الأَحْوَالَ دُونَ الصِّفَاتِ**)، الأحوال هذه اصطلاحٍ لا حقيقة لها، وهو ما اخترعه الجُبَّائي شيخ المعتزلة، فالحال عنده هي علاقة الصفة بالموصوف، ويقول: (ليست العلاقة موجودة ولا معدومة)، هل شيء ليس موجودًا ولا معدومًا؟! هذا محال، الشيء إما يكون موجودًا، وإما أن يكون معدومًا، هو يقول: لا، الحال لا موجودة ولا معدومة، ولهذا يقال[1]:

مِمَّا يُقَالُ وَلَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ ... مَعْقُولَةٌ تَدْنُو لِذِي الأَفْهَامِ

---

(١) ذكر هذه الأبيات شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منهاج السنة النبوية (١/ ٤٥٩)، وفي النبوات (ص١٤٤).

الْكَسْبُ[(١)] عِنْدَ الأَشْعَرِيِّ وَالْحَالُ عِنْدَالْهَاشِمِيِّ[(٢)] وَطَفْرَةالنَّظَّامِ[(٣)]

هذه كلها غير معقولة.

قوله: (وَيُقِرُّونَ مِنَ الصِّفَاتِ الخَبَرِيَّةِ بِمَا فِي الْقُرْآنِ دُونَ الحَدِيثِ؛ كَمَا عُرِفَ مِنْ مَذَاهِبِ المُتَكَلِّمِينَ)، والمتكلمون هم الذين يقولون بعلم الكلام -وهو علم الجدل-، ويتركون نصوص الوحي.

قوله: (فَهَؤُلاءِ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يَتَأَوَّلُونَهَا وَيُعَيِّنُونَ المُرَادَ، مِثْلَ قَوْلِهِمْ: اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوْلَى، أَوْ بِمَعْنَى عُلُوِّ المَكَانَةِ وَالْقَدْرِ، أَوْ بِمَعْنَى ظُهُورِ نُورِهِ لِلْعَرْشِ، أَوْ

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٨) عن الأشاعرة: (ثم أثبتوا كسبًا لا حقيقة له؛ فإنه لا يُعقل من حيث تعلق القدرة بالمقدور فرق بين الكسب والفعل؛ ولهذا صار الناس يسخرون بمن قال هذا، ويقولون: ثلاثة أشياء لا حقيقة لها: طفرة النظّام، وأحوال أبي هاشم، وكسب الأشعري، واضطرّوهم إلى أن فسروا تأثير القدرة في المقدور بمجرّد الاقتران العادي، والاقتران العادي يقع بين كل ملزوم ولازمه، ويقع بين المقدور والقدرة، فليس جعل هذا مؤثرًا في هذا بأولى من العكس، ويقع بين المعلول وعلّته المنفصلة عنه، مع أن قدرة العباد عنده لا تتجاوز محلّها. ولهذا فرّ القاضي أبو بكر إلى قول، وأبو إسحاق الاسفرائيني إلى قول، وأبو المعالي الجويني إلى قول؛ لمّا رأوا ما في هذا القول من التناقض).

(٢) يعني: أبا هاشم الجبائي، عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المعتزلي، تُنسب إليه فرقة البهشمية، توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، انظر في تعريف الأحوال عنده: الفَرْق بين الفِرَق (ص١٧٢-١٨٦)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٦٣)، والملل والنحل (١/ ٧٨). وذكر محقّق «منهاج السنة النبوية» أنه وجد في هامش إحدى النسخ الآتي: (أبو هاشم الجبائي زعم أن الأحوال لا معلومة ولا مجهولة ولا موجودة ولا معدومة...) فراجعه (١/ ٤٥٩).

(٣) النظّام هو: أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار الضُّبعي البصري، شيخ المعتزلة، توفي سنة بضع وعشرين ومائتين. انظر في ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤١)، وتاريخ بغداد (٦/ ٩٧)، ولسان الميزان (١/ ٦٧). وفي تعريف طفرته: قال عبد القاهر البغدادي: (من فضائحه قوله بالطفرة، وهي دعواه أن الجسم قد يكون في مكان ثم يصير منه إلى المكان الثالث أو العاشر منه، من غير مرور بالأمكنة المتوسطة بينه وبين العاشر؛ ومن غير أن يصير معدومًا في الأول، ومعادًا في العاشر) الفرق بين الفرق (ص١٣٤).

بِمَعْنَى انْتِهَاءِ الخَلْقِ إِلَيْهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي المُتَكَلِّفِينَ)، يُثبتون اللفظ؛ لأنهم ما يقدرون يغيرون الآيات أو ينفونها، ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ما يقدرون يمسحون الآية من المصحف، والله جَلَّوَعَلَا قال: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ في سبعة مواضع، ما لهم حيلة في اللفظ، فلجؤوا إلى تأويل المعنى، لما عجزوا عن تحريف اللفظ، حرّفوا المعنى، فقالوا: (استوى بمعنى استولى على العرش)، وهل هو لم يستولِ إلا على العرش؟! أليست كل المخلوقات كلها قد استولى عليها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولماذا تخصيص العرش؟ لو كان كذلك، لكان مستويًا على كل الأشياء؛ لأنها كلها مُلكه، فتفسير الاستواء بالاستيلاء باطل.

ثم -أيضًا- الاستيلاء يقتضي أنه كان قبل ذلك غير مستولٍ عليه؛ لأنه قال: (ثم)، ثم للترتيب؛ فيكون قبل خلق السماوات والأرض غير مستولٍ على العرش، وإنما استولى عليه فيما بعد، والله جَلَّوَعَلَا ملكه دائم، لا بداية له ولا نهاية لملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قوله: (**أَوْ بِمَعْنَى عُلُوِّ المَكَانَةِ وَالْقَدْرِ**)، العلو عند أهل السنة له ثلاثة معانٍ: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر. علو القدر هو علو المكانة، فقالوا: (﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: في السماء مكانته وقدره سبحانه، ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يعني: قدره ومكانته، لا بذاته، وإنما قدره وذاته)، وهذا تأويلٌ باطل، ليس هو معنى الاستواء.

قوله: (**أَوْ بِمَعْنَى ظُهُورِ نُورِهِ لِلْعَرْشِ**)، ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: ظهر نوره للعرش. ونوره ما ظهر إلا للعرش؟!! من يقول هذا؟! نوره سبحانه ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، أي: هو منور السماوات والأرض، هناك النور

المخلوق؛ نور الشمس، ونور القمر، ونور المصابيح والكهرباء، هذا خلق الله جَلَّ وَعَلَا، النور هذا نوره سبحانه، الله هو الذي خلقه. وهناك نور ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر:٦٩]، هذا نور الذات، وفي الحديث: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»[١]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى! هذا نور الذات، نور ذات رب العالمين، الذي لما تجلى للجبل، صار دكًّا ترابًا، اندك وصار ترابًا، وهو صلبٌ قوي جماد لم يثبت على تجلِّي الله له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فليس معنى ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ أي: أشرق نوره للعرش.

قوله: (أَوْ بِمَعْنَى انْتِهَاءِ الخَلْقِ إِلَيْهِ)، انتهاء الخلق إليه ليس هذا استواء، ليس هذا هو معنى الاستواء؛ ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران:١٨٠]، يعني: ترجع إليه، ترجع إليه الأملاك بعد فناء المُلَّاك، ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ [غافر:١٦]، ما قال: من استوى على الملك اليوم، قال ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾، فمآل الأملاك إليه، ومآل الأشياء إليه ليس هو معنى الاستواء، هذا كذبٌ على النصوص، واختراعٌ باطل.

قوله: (إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي المُتَكَلِّفِينَ)، الحقيقة أنه يقال: المتكلفون، المتكلمون: المتكلفون؛ لأنهم تكلفوا بدون طائل.

قوله: (وَقِسْمٌ يَقُولُونَ: اللهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ بِهَا، لَكِنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ إِثْبَاتَ صِفَةٍ خَارِجَةٍ عَمَّا عَلِمْنَا)، يا سبحان الله! لم يرد إثبات صفة خارجة عن الصفات التي علمناها في البشر؟!! هذا كلامٌ باطل، وهذا حكمٌ على الله جَلَّ وَعَلَا، إذًا إنكم ما تعلمون إلا صفات البشر، هذا لقصور علمكم، الله جَلَّ وَعَلَا له صفات غير صفات البشر.

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٥٥).

وَأَمَّا الْقِسْمَانِ الْوَاقِفَانِ:

فَقِسْمٌ يَقُولُونَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ ظَاهِرَهَا الأَلْيَقَ بِجَلالِ اللهِ، وَيَجُوزُ أَنْ لا يَكُونَ الْمُرَادُ صِفَةً لِلهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَهَذِهِ طَرِيقَةُ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

وَقَوْمٌ يُمْسِكُونَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ، وَلا يَزِيدُونَ عَلَى تِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَةِ الْحَدِيثِ، مُعْرِضِينَ بِقُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ عَنْ هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ.

فَهَذِهِ الأَقْسَامُ السِّتَّةُ لا يُمْكِنُ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ قِسْمٍ مِنْهَا.

الشرح

قوله: (وَأَمَّا الْقِسْمَانِ الْوَاقِفَانِ)، الواقفان يعني: المتوقفة، الذين يقولون: (لانقول: ظاهرها مراد ولا غير مراد)، وهذا جهلٌ عظيم، لماذا؟ إما أن تقولوا: مراد، أو قولوا: غير مراد، لماذا التوقف؟!

قوله: (فَقِسْمٌ يَقُولُونَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ ظَاهِرَهَا الأَلْيَقَ بِجَلالِ اللهِ، وَيَجُوزُ أَنْ لَا يَكُونَ الْمُرَادُ صِفَةً للهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ. وَهَذِهِ طَرِيقَةُ كَثِيرٍ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ)، يقولون: (لا ندري، لسنا معكم يا أيها المثبتون للأسماء والصفات، ولسنا معكم أيها النافون للأسماء والصفات، ولا نقول: ظاهرها مراد ولا ظاهرها غير مراد، لا ندري، نتوقف)، هذا معناه أن الله أنزل ما لا يُعلم، وأنه من الأحاجي والألغاز، الله جَلَّ وَعَلَا أخبر عن القرآن أنه بيان ليبين للناس، ولم يقل: (إنه مجمل، وإنه مُلغز)، وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، ولم يستثن شيئًا لم يتدبر، بل أمر بتدبر آياته كلها، ومن أعظمها آيات الأسماء والصفات، نتدبرها، ونستدل بها على عظمة الله جَلَّ وَعَلَا وجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فليس في القرآن شيء لا يُتدبر، وليس في القرآن شيءٌ ليس له معنى، لكن هذا المعنى قد يُدركه بعض

الخواص من الراسخين في العلم، وقد يخفى على بعضهم، والناس على حسب مقدرتهم وعلمهم بذلك؛ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٧٦].

قوله: (وَقَوْمٌ يُمْسِكُونَ عَنْ هَذَا كُلِّهِ، وَلا يَزِيدُونَ عَلَى تِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَةِ الْحَدِيثِ، مُعْرِضِينَ بِقُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ عَنْ هَذِهِ التَّقْدِيرَاتِ)، ولا يتدبرون القرآن، في أعظم ما نزل القرآن لبيانه وهو توحيد الله جَلَّوَعَلَا بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، يقرؤون القرآن ألفاظًا فقط؛ مثلما ذكر الله عن بني إسرائيل: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٧٨]، ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾، أي: تلاوة اللفظ فقط، ولا يهتمون بالمعاني ويطلبون التفسير، إنما يقرؤونه للبركة، أو يقرؤونه للورد، أو يقرؤونه للتعاويذ والطلاسم والعلاج -بزعمهم-، أو يقرؤونه في الأفراح والمناسبات، ويطربون بسماعه، ولا يتدبرون القرآن، أو يكتبونه حرزًا يُعلق لدفع العين، أو يقرؤونه للتكسب به في الحفلات؛ لكي يأخذ على الحفلة كذا وكذا من النقود، ويتجول بين الحفلات يقرأ لهؤلاء ولهؤلاء، وكل واحد يعطيه مبلغًا، يحترف بالقرآن، ولا يتدبرون القرآن أبدًا، هذه صفة الخاسرين.

القرآن أُنزل ليتدبر؛ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، ومن أعظم تدبر القرآن تدبر آيات الأسماء والصفات والاستدلال بها على عظمة الله جَلَّوَعَلَا وكماله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهذا من التوحيد توحيد الربوبية.

قوله: (فَهَذِهِ الأَقْسَامُ السِّتَّةُ لَا يُمْكِنُ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ قِسْمٍ مِنْهَا)، أهل الحق وأهل الباطل كلهم داخلون في هذه الأقسام الستة، أهل السنة هم القسم

الأول الذين أثبتوها على حقيقتها وعلى معناها اللائق بجلال الله عَزَّوَجَلَّ، ونفوا عنها التشبيه والتمثيل والتعطيل، فهؤلاء هم أهل السنة، ومن عداهم، فهم بقية الفِرق المخالفة، فلا يخرج أحد عن هذه الأقسام التي ذكرها الشيخ، حاصرة للفِرق كلها في الأسماء والصفات.



وَالصَّوَابُ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا الْقَطْعُ بِالطَّرِيقَةِ الثَّابِتَةِ(١)؛ كَالآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَتُعْلَمُ طَرِيقَةُ الصَّوَابِ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ بِدَلالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ عَلَى ذَلِكَ دَلالَةً لا تَحْتَمِلُ النَّقِيضَ، وَفِي بَعْضِهَا قَدْ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ ذَلِكَ مَعَ احْتِمَالِ النَّقِيضِ، وَتَرَدُّدُ الْمُؤْمِنِ فِي ذَلِكَ هُوَ بِحَسْبِ مَا يُؤْتَاهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾.

الشَّرح

قوله: (وَالصَّوَابُ فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا الْقَطْعُ بِالطَّرِيقَةِ الثَّابِتَةِ؛ كَالآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَتُعْلَمُ طَرِيقَةُ الصَّوَابِ فِي هَذَا وَأَمْثَالِهِ بِدَلالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ عَلَى ذَلِكَ دَلالَةً لَا تَحْتَمِلُ النَّقِيضَ)، الصواب من أقوال هذه الفِرق الست: الوقوف مع كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإثبات الأسماء والصفات لله كما أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل، هذه هي الطريقة الصحيحة.

ومن الأسماء والصفات ما هو ظاهر وبيّن يعلمه كثير من الناس، ومنها ما هو يحتاج إلى العلماء الراسخين في العلم؛ لأنه قد يكون فيها إشكال.

قوله: (وَفِي بَعْضِهَا قَدْ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ ذَلِكَ مَعَ احْتِمَالِ النَّقِيضِ)، هذا هو المشكل، قد يكون هناك حول بعضها -وهو قليل- إشكال، فهذا يُرجع فيه إلى الراسخين في العلم، لا يتكلم فيها أنصاف المتعلمين والمتخرصون، بل يتوقفون عن هذا، ويسألون أهل العلم.

---

(١) في نسخة: «بالطريقة الثانية».



قوله: (وَتَرَدُّدُ الْمُؤْمِنِ فِي ذَلِكَ هُوَ بِحَسْبِ مَا يُؤْتَاهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالإِيمَانِ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾)، المؤمنون على أقسام: منهم من هو راسخ في العلم، ولا يتوقف في شيء، ومنهم من علمه قاصر يُشكل عليه بعض الأشياء، إذا أشكل عليك شيء، توقف، لا تقل في شيء لا تعلمه، اسأل أهل العلم، مع قطعنا بأن لها معنىً صحيحًا لائقًا بجلال الله، لكن إذا خفي عليك، فاسأل أهل العلم، لاتدخل فيه بفكرك أو بتخرصك أو تعالمك مثلما يفعل بعض المتعالمين الآن، يتكلمون في الأسماء والصفات بغير علم، فيقعون في أشياء.

﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا﴾ [النور:٤٠]؛ لأن العلم نور، فالذي حُرم من العلم حُرم من النور، والذي أُعطي بعض النور يكون عنده قصور في النور وفي العلم، الناس درجات.



وَمَن اشْتَبَهَ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَوْ غَيْرُهُ، فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1]، وَفِي رِوَايَةٍ لأَبِي دَاوُدَ: «كَانَ يُكَبِّرُ فِي صَلاتِهِ ثُمَّ يَقُولُ ذَلِكَ»[2].**

الشَّرْح

قوله: (وَمَن اشْتَبَهَ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَوْ غَيْرُهُ)، هذه وصية من الشيخ؛ أنه إذا اشتبه عليك أمر، وبحثت ولم تصل إلى نتيجة، اطرق باب الحيِّ القيوم، واسأله أن يعلمك، وأن يوضح لك ما التبس عليك؛ فإن الله جَلَّ وَعَلَا قريبٌ مجيب.

(وَمَن اشْتَبَهَ عَلَيْهِ ذَلِكَ)، ذلك يعني: اشتبه عليه شيء سواءً في الأسماء والصفات والتوحيد، أو في غيره من الحلال والحرام، سائر الأحكام.

قوله: (**فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»**) **«اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ»**؛ يطلب الهداية من الاختلاف إلى الصواب، وأن يدله الله على الصواب مما

---

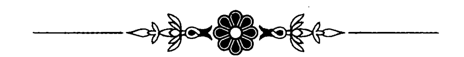
(١) أخرجه مسلم (٧٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٧٦٨)، وأحمد في المسند (٤٢/ ١٢٧).

اختلف فيه، والله قريبٌ مجيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن الدعاء وحده لا يكفي، لابد من طلب العلم، الدعاء مع طلب العلم، أما أنك تقول: (أنا سوف آخذ هذا الحديث، وأقرؤه كل آخر ليلة، ولا حاجة إني أتعلم، وسوف يأتيني العلم من الله)، ينزل عليك لا، لازم مع التعلم ومع البحث تدعو بهذا الدعاء، وتفعل السبب، فطلب العلم هذا من باب فعل السبب، والدعاء من باب التوكل على الله، وتفويض الأمر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتجمع بين السبب والتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولماذا خصَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل؟ قالوا: لأن جبريل موكلٌ بالوحي الذي به حياة القلوب، وميكائيل موكلٌ بالقطر -يعني: المطر- الذي به حياة الأرض، وإسرافيل موكلٌ بالصور الذي إذا نفخ فيه النفخة الثانية، طارت الأرواح إلى أجسادها، فحيت بإذن الله؛ فهؤلاء الملائكة موكلون بأنواع الحياة؛ حياة القلب، حياة الأرض، حياة الأبدان.

قوله: (**وَفِي رِوَايَةٍ لأَبِي دَاوُدَ: «كَانَ يُكَبِّرُ فِي صَلاتِهِ ثُمَّ يَقُولُ ذَلِكَ»**)، الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقف بين يدي ربه، ويسأله أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فهو بحاجة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فكيف بغيره؟ نحن أحوج إلى الله، وأحوج إلى الدعاء من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرسول الذي يوحى إليه.



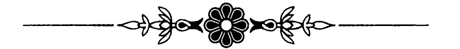
فَإِذَا افْتَقَرَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ وَدَعَاهُ، وَأَدْمَنَ النَّظَرَ فِي كَلامِ اللهِ وَكَلامِ رَسُولِهِ وَكَلامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: انْفَتَحَ لَهُ طَرِيقُ الْهُدَى.

الشَّرح

قوله: (فَإِذَا افْتَقَرَ الْعَبْدُ إِلَى اللهِ وَدَعَاهُ، وَأَدْمَنَ النَّظَرَ فِي كَلامِ اللهِ وَكَلامِ رَسُولِهِ وَكَلامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: انْفَتَحَ لَهُ طَرِيقُ الْهُدَى)، انظر بعد الدعاء ماذا يعمل؟ (أَدْمَنَ النَّظَرَ)، لا يقتصر على الدعاء، ويقول: (سوف يأتي العلم)، لا، دعوت، لكن اطلب العلم -أيضًا-، طلب العلم سبب، وأما تحصيل العلم، فهو من الله جَلَّ وَعَلَا، إذا فعلت السبب، الله جَلَّ وَعَلَا يعطيك المسبب.

(أَدْمَـنَ)، يعني: داوم النظر، ما هو يطالع لك نصف ساعة أو ساعة، وتقول: (خلاص عجزت)، خذ كتابًا ثانيًا وثالثًا ومائة ومائتين حتى تعرف الحق، اصبر، لابد من الصبر، الشيخ تقي الدين يقول: (إني ما أفسر الآية حتى أطالع مائة تفسير)، آية واحدة يطالع عليها مائة تفسير، الإنسان يصبر، وعنده جلد، ولا يشبع من العلم، ولا يقول: (هذا يكفي) انظر (فِي كَلامِ اللهِ وَكَلامِ رَسُولِهِ)، هذا هو الأول، ثم كلام الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وأئمة العلم، بعض الناس يقول: (لا، هؤلاء رجال ونحن رجال، نحن نأخذ من الكتاب والسنة مثلهم)، ويترك كلام أهل العلم، كلام الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم، (أنا سوف آخذ من الكتاب والسنة مباشرة، لست بحاجة إلى كلام هؤلاء)، هذا غلط وغرور -والعياذ بالله-، استفد من كلام أهل العلم وكلام الأئمة؛ فإنهم أعلم منك وأدرى منك، وهم يدلونك على فهم كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: (انْفَتَحَ لَهُ طَرِيقُ الهُدَى)، بلا شك؛ لأنه فعل الأسباب، والله قريب مجيب، فالشيخ الآن رسم لطلبة العلم طريقة إذا سلكوها بإذن الله يصلون إلى العلم.



ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ خَبَرَ نِهَايَاتِ إِقْدَامِ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَعَرَفَ أَنَّ غَالِبَ مَا يَزْعُمُونَهُ بُرْهَانًا وَهُوَ شُبْهَةٌ، وَرَأَى أَنَّ غَالِبَ مَا يَعْتَمِدُونَهُ يَؤُولُ إِلَى دَعْوَى لَا حَقِيقَةَ لَهَا، أَوْ شُبْهَةٍ مُرَكَّبَةٍ مِنْ قِيَاسٍ فَاسِدٍ، أَوْ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ لَا تَصْلُحُ إِلَّا جُزْئِيَّةً، أَوْ دَعْوَى إِجْمَاعٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، أَوِ التَّمَسُّكِ فِي الْمَذْهَبِ وَالدَّلِيلِ بِالْأَلْفَاظِ الْمُشْتَرَكَةِ.

الشرح

قوله: (**ثُمَّ إِنْ كَانَ قَدْ خَبَرَ نِهَايَاتِ إِقْدَامِ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَعَرَفَ أَنَّ غَالِبَ مَا يَزْعُمُونَهُ بُرْهَانًا وَهُوَ شُبْهَةٌ، وَرَأَى أَنَّ غَالِبَ مَا يَعْتَمِدُونَهُ يَؤُولُ إِلَى دَعْوَى لَا حَقِيقَةَ لَهَا**)، إذا قارن طالب العلم بين دلالة الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وبين أقوال المتفلسفة وعلماء الكلام وعلماء المنطق، إذا قارن بينهما، عرف الفرق بين الطريق الصحيح المفضي إلى العلم والطريق الخاطئ الذي يفضي إلى الجهل والضلال، مفترق طرق، ينظر أين يذهب مع هؤلاء أم مع هؤلاء.

إذا كان عنده علم بطريقة المتفلسفة وعلماء الكلام، أو شغل وقته كله في طريق هؤلاء، فعليه أن يقارن ذلك بالكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، ويتبين له الفرق بين هؤلاء وهؤلاء.

(**بُرْهَانًا**)، يقولون: (برهانًا، والقرآن هذا دلالة ظاهرة، أو السنة يفيد الظن، أما هذا برهان يفيد اليقين، قواعد المنطق وعلم الكلام تفيد اليقين، وهي براهين يقينية، وأدلة الكتاب والسنة أدلة ظنية أو شبهة)، هذا موقفهم من الكتاب والسنة، وهذا هو الذي أهلكهم -والعياذ بالله.

قوله: (**لَا حَقِيقَةَ لَهَا**)، إلى سراب، ولكن يزين للناس أنه صحيح وأنه عقل، يقولون: (العقل، هذا العقل)، يسمون أنفسهم العقلانيين.

قوله: (**أَوْ شُبْهَةٍ مُرَكَّبَةٍ مِنْ قِيَاسٍ فَاسِدٍ**) يقول:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ[(١)]

قوله: (**أَوْ قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ لَا تَصْلُحُ إِلَّا جُزْئِيَّةً، أَوْ دَعْوَى إِجْمَاعٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، أَوِ التَّمَسُّكِ فِي المَذْهَبِ وَالدَّلِيلِ بِالأَلْفَاظِ المُشْتَرَكَةِ**)، هذا ما عندهم، (**المُشْتَرَكَةِ**) سبق لنا أنها الألفاظٍ مشتركة؛ أن يشترك اللفظ والمعنى، ما اتفق في اللفظ والمعنى، فهو لفظٌ مشترك، وما اختلف في اللفظ والمعنى، فهو متباين، وما اتفق في المعنى، واختلف في اللفظ، فهو مترادف.

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر أن الناس في مصادر التلقي في الدين على أقسام في تلقيهم للدين والمصادر التي يبنون عليها دينهم:

القسم الأول: أهل العلم والإيمان، وهؤلاء مصدرهم الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، هذا مصدرهم، لا يخرجون عنه، وهذا فيه ضمانة السلامة من الانحراف، والسلامة من الضلال؛ لأنه وحيٌ من الله عَزَّوَجَلَّ، أمرنا باتباعه؛ ﴿ **ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ** ﴾ [الأعراف:٣]، فيتبع ما أنزل الله في القرآن وما أنزل الله في السنة، هذا هو الصراط المستقيم الذي قال الله جَلَّوَعَلَا فيه: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾ [الأنعام:١٥٣]، من كان يريد النجاة والسلامة من الضلال والانحراف، فليأخذ هذا الطريق، وهذا هو منهج أئمة المسلمين من أهل الحديث وأهل العقيدة السليمة، وهذا هو الذي أوصى به صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في قوله: «**فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا**

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٥٣)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٧).

بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(1)، هذه وصية الرسول ﷺ؛ أننا نتمسك بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، يعني: بتحقيق وبصيرة، ليس اتباعًا مجرّد انتساب بدون فقه في مذهبهم ومعرفة ما هم عليه، فإن مجرد الانتساب لا يكفي، كم من منتسب إلى السلف ويقول: أنا سلفي. وهو لا يدري عن منهج السلف، ويقول ما لا يقوله السلف، ويبتكر أشياء من عنده، ويقول: هذا مذهب السلف. لأنه لايعرف مذهب السلف؟ فالذي يريد أن ينتسب إلى السلف عليه أن يدرس منهجهم ومذهبهم ومأخذهم وسيرتهم؛ حتى يتبعهم بإحسان، فإذا لم يكن على هذا المستوى من العلم، فإنه لا يتبعهم بإحسان، بل إنه يقع في الأخطاء، ويظن أن هذا مذهب السلف، وكم حصل هذا؟ خصوصًا في زماننا، الآن المنتسبون إلى مذهب السلف -الحمد لله- كثير، وهذا شرف وخير، ونرجو لهم الخير -إن شاء الله-، لكن نحثهم على أن يتعلموا منهج السلف، ولا يغلوا في منهج السلف، ويقولوا: هذا منهج السلف. الغلو ليس من منهج السلف، التطرف ليس من منهج السلف، هؤلاء ليسوا من السلف؛ لأنهم لم يتبعوهم بإحسان، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، ما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ فقط، بل قال: ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾، هذا هو المقصود، وهذا هو مصدر التلقي عند أهل السنة والجماعة، يتلقون دينهم من هذا المصدر العظيم، ولذلك لم يضلوا -والحمد لله-، وهم على بصيرة، وعلى نور، وعلى هدى وطريقٍ

---

(1) سبق تخريجه (ص٣١).

مستقيم، سلموا من الشذوذ والعلل والانحراف والغلو والتطرف، سلموا من التساهل والجفاء، فهذه فائدة التمسك بمنهج السلف والتلقي من مصادرهم، وهي الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، وما عليه إجماع المسلمين.

الطائفة الثانية: طائفة المتكلمين الذين أخذوا دينهم عن الجدل وعلم الكلام، بنوا عليه عقيدتهم، وأعرضوا عن الكتاب والسنة، وصاروا يبنون عقيدتهم على علم المنطق وعلم الكلام والجدل ولم ينتهوا إلى شيء، بل إلى الحيرة والاضطراب؛ كما جاءكم في أول الكتاب أن شاعرًا منهم يقول[(١)]:

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا ... سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

ما استفادوا شيئًا إلا الخلاف؛ قال فلان وقال فلان، يقول بعضهم: (إني لآتي إلى فراشي، وآخذ الغطاء، ثم أفكر في أقوال الناس؛ حجة فلان كذا، والرد عليه كذا، وحجة فلان كذا، والرد عليه كذا، ثم يطلع الفجر، وأنا لم أتوصل إلى شيء)[(٢)]، فهذا المنهج يفضي إلى الحيرة والاضطراب، حتى إن بعض أساطينهم لما حضرته الوفاة، أدرك هذا، وقال: (أموت على عقيدة عجائز نيسابور)[(٣)]، عجائز ما دخلوا بعلم الكلام، على الفطرة، ترك كل الذي عاش عليه، وأدرك أنه خطأ، وتمنى أن يكون عاميًّا مثل العجائز؛ ليسلم من هذه الحيرة وهذا الاضطراب. وشهادات كثيرة من أساطينهم شهدوا بها على أنفسهم أنهم ما أدركوا إلا الحيرة

---

(١) انظر: (ص٨٢).

(٢) هذا من كلام ابن واصل الحموي حكاه عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨)، وفي درء التعارض (١/ ١٦٥).

(٣) هذا من كلام الجويني حكاه عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٧٣)، وفي الفتاوى الكبرى (٦/ ٦١٧).

والتيه؛ لأنهم تركوا الكتاب والسنة، وقالوا: (إن الكتاب والسنة أدلةٌ سمعية تفيد الظن، ولا تفيد اليقين، وأما أدلة المنطق وعلم الكلام، فهي براهين عقلية يقينية تفيد اليقين)، وما هو هذا اليقين الذي توصلوا إليه؟ ما توصلوا إلى شيء إلا إلى حيرة واضطراب بأن فلانًا يقول كذا وفلانًا يقول كذا، أيهم الصحيح؟ ما معهم أحد له وجه صحيح.

فهذه هي نتيجة التلقي عن علم الكلام وعلم المنطق وبناء الدين عليه؛ أنه يفضي إلى الاضطراب والحيرة، مع أنهم أناسٌ عقلاء وحذاق وأساطين في الجدل، لكن ما توصلوا إلى شيء؛ لأن كل واحد منهم يقول: (الحق كذا والحق كذا)، وليس هناك ميزان يرجعون إليه، وهو الكتاب والسنة، ما عندهم ميزان، من الذي يضمن أن فلانًا مصيب وفلانًا مخطئ؟ لا يضمن هذا إلا الكتاب والسنة، وهم لا يستدلون بالكتاب والسنة، فهذا الذي أوقعهم في الحيرة والاضطراب؛ أنهم تركوا التلقي من الكتاب والسنة، وبنوا دينهم على قيل وقال، على قول فلان وحجة فلان، وعلم المنطق وعلم الجدل، المقدمات والنتائج، الجوهر والعرض والجسم، وما أشبه ذلك من توهماتهم، مصطلحات بشرية لا توصل إلى شيء، كل طائفة لها مصطلح تعارض مصطلح الطائفة الأخرى، فلذلك صاروا في صراع، وعاشوا في صراع فيما بينهم، وكفّر بعضهم بعضًا، وضلّل بعضهم بعضًا، ولم يتوصلوا إلى شيء، فهناك اختصام بين الجهمية والمعتزلة، وبين المعتزلة والأشاعرة، هناك اختصام بينهم؛ كل واحد يضلل الآخر، أهل السنة والجماعة ليس عندهم شيء من هذا؛ لأنهم يسيرون على منهجٍ سليم، ولا عندهم شيء من هذه الحيرة وهذا الاضطراب وهذه التخطئة والتضليل والتجريح فيما بينهم؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، هؤلاء تفرقت

بهم السُبل، تركوا الصراط المستقيم، واتبعوا السُبل، فتفرقت بهم، ولم يصلوا إلى نتيجة. هذه طائفة، ولهذا سيأتي كلام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ الذي ذكره الشيخ أنه قال: (حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ وَيُقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ)(١)، والإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: (أَوَ كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ تَرَكْنَا مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَدَلِ هَؤُلَاءِ؟)(٢)، فلايضبط الحق إلا الكتاب والسنة؛ لأن الله أنزلها هدى كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٣-١٢٦]، هذه النتيجة.

الطائفة الثالثة: طائفة المتصوفة والقبوريين والخرافيين، هؤلاء مصدر تلقيهم لا يستدلون بالكتاب والسنة، وإنما يستدلون بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة، أو الحكايات التي يتناقلونها، أو المنامات والأحلام التي يرونها في المنام، أو بمشائخهم الذين أضلوهم، ولا يخرجون عن طُرقهم؛ لأن كل شيخ له طريقة يبايعون عليها، ولا يخرجون؛ لأنهم لو خرجوا يهلكون، يأتيهم الشيطان ويقول لهم: (إن نقضتم العهد، نزل بكم العذاب، وأنتم بايعتم هؤلاء)، من العجيب أنهم لو بايعوا البيعة الشرعية لإمام المسلمين، يخونون، لكن إذا بايعوا البيعة البدعية، لا يخونون، يخافون من العذاب، فهؤلاء هذا منهجهم، وهذا مشربهم، وهذا مصدر تلقيهم: إما حديث ضعيف لا يُحتج به، أو مكذوب يحبونه

(١) سيأتي تخريجه (ص١٠٨٢).
(٢) سبق تخريجه (ص٢٥٦).

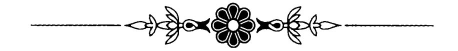
وينشرونه، وهو مكذوب أو ضعيف شديد الضعف لا يحتج به، ما يخرجون عن هذا، كل أدلتهم إذا نظرت فيها، وجدتها من هذا النوع، أو حكايات؛ فلان حصل له كذا، وفلان وقف في كذا، وفلان دعا عند القبر، حصل له كذا، وفلان طلع عليه الميت من قبره، وقال له: أنا أقضي حاجتك..؛ كما يأتي حكايات من الشيطان، أو رؤى وأحلام، الرؤى والأحلام لايُبنى عليها دين، الرؤيا إنما هي الصحيحة مبشرات فقط، إنما الرؤى مبشرات، ولا يُبنى عليها دين، لا أحكام شرعية ولا دين يُبنى على الأحلام؛ لأن الدين إنما يُبنى على ما جاء به الكتاب والسنة، وبعد وفاة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ انقطع الوحي، فلاينزل وحي على ميت ولا على فلان ولا على فلان -كما يقولون-، ويروجون حكايات ويكتبونها ويؤلفونها من هذا النوع، فلذلك تجد الخرافيين الآن يروجون الخرافات، يكتبون مناشير وأوراق، ويوزعونها، ويقولون: (إن الذي يوزعها يحصل على كذا، وله من الأجر كذا، ويرفع إن كان موظفًا، والذي ما ينشرها يموت، ويأتيه مرض، ويخسر في تجارته و...) إلى آخره، هذا شيء ترونه أنتم، هذه طريقة الخرافيين، تقول له: ما الدليل من الكتاب والسنة؟ يقول: (هذه رؤيا، الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية رأى كذا وكذا)، هل الرؤيا يُبنى عليها شيء؟! يُبنى عليها الدين؟! إنما رؤى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- هي وحي من الله، رؤيا النبي وحي، لكن رؤيا غير نبي الله ما هي بوحي، ولا يُبنى عليها حكم شرعي أبدًا، لكن هي إما أنها مبشرات لأهل الخير من عاجل البشرى، وإما أنها منذرات، تنذره أنه على خطأ، وأنه على كذا؛ من أجل أن يتوب من خطئه، أما أنه يُبنى عليها حلال وحرام وعبادة، فهذا أمرٌ لا يجوز، لا يُبنى إلا على كتاب الله وعلى سنة رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.



الفرقة الرابعة: فرقة العلمانية، والمعجبون بالغرب وحضارة الغرب، هؤلاء يبنون دينهم على ما يقوله الغرب، ما قاله الغرب، فهو صحيح، وليس فيه جدال، وما لم يقله الغرب، فهذا لا يُنظر إليه، هذا عندهم الآن، ولذلك يدعون إلى أن المسلمين يقلدون الغرب، ويتبعون الغرب؛ لأجل أن يلحقوا بالركب، ويخرجوا من الجمود، ويخرجوا من كذا ومن كذا، يدعون إلى هذا الآن، يقولون: (إن المسلمين يتركون دينهم، ويأخذون ما عليه الغرب من عادات أو تقاليد أو توافه)، نعم لو أخذ المسلمون بما عليه الغرب من الصناعة والشيء المفيد والتعلم، هذا شيء جيد، لكن لا يأخذون إلا القشور والأشياء التي لا خير فيها، ويقولون: (هذه هي الحضارة، وهذا هو التقدم)، هذا منهج لهؤلاء أن التشريع عندهم ما شرعه الغرب؛ لأنهم يعظمون الغرب، ويظنون أنهم حصلوا على هذه التقنية، وهذا بسبب جهلهم وخرافاتهم وضلالهم، لا يدرون أن هذا امتحان من الله لهم، واستدراج من الله لهم، أو أنهم جدّوا في طلب هذه الأشياء ودرسوها وأتقنوها، فنتيجة إما استدراج وإما نتيجة الجد في الطلب، هم جدوا في أمور الدنيا، لكن تركوا الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٦، ٧]، فهذه طريقة هؤلاء الذين بُلي المسلمون بهم الآن، يريدون أن يحولوا مجتمع المسلمين إلى مجتمع غربي بسفور النساء وتمرد النساء، وتعاطي المسكرات والمخدرات، والأقوال الإلحادية يسمونها حرية الرأي، وكلٌّ يقول ما يريد؛ يسب الله، يسب الرسول، يسب الدين، هذا رأيهم، هذه آراؤهم: حرية الرأي، الرأي والرأي الآخر، يسب الدين، ويسب الرسول، ويسب العلماء، ويقولون: (هذا الرأي الآخر)، هذا ما يريده العلمانيون الآن؛ لأن مصدر تلقيهم عن الغرب، لم يتلقوا من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ

وما عليه سلف هذه الأمة، ويظنون أن كون المسلمين ليس عندهم صناعة وتقنية أنه بسبب الدين، الدين هو يأمر بالإهمال؟! أو يأمر بالكسل؟ أو يأمر بالبطالة؟!! الدين يأمر بالجد وطلب الرزق والدراسة والتعلم؛ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠]، يأمر بالتعلم، فهذا ما هو بنتيجة أنهم تمسكوا بدينهم، ما تمسكوا بدينهم لأن دينهم يأمرهم بالجد والاجتهاد وعدم الكسل، وإنما هذا لأنهم لم يتمسكوا بدينهم، وجنحوا إلى الراحة والإخلاد إلى الأرض والسهر بالليل والنوم بالنهار، متى ينتجون هؤلاء؟! وهم سهر بالليل ونومٌ بالنهار، أو مخدرات ومسكرات، أو مع الألعاب الرياضية والنوادي الرياضية شبابهم، أو مع (تفحيط السيارات)، متى ينتج هؤلاء؟!! هذا مجتمع ما ينتج شيئًا، لكن هل هذا بسبب الدين؟! الدين ينهى عن هذا، الدين يأمر بالجد والاجتهاد، وكما في الأثر: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا»، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧].

فالدين ديننا -ولله الحمد- دين الاعتدال، ليس بدين الرهبانية ودين التشدد أو دين التسيب، وإنما هو دين الجد والاجتهاد والاعتدال في الدين والدنيا، فكون المسلمين متخلفين من ناحية الصناعة والأمور التقنية، هذا نتيجة لكسلهم وإهمالهم وتفريطهم، حتى أصبحوا عالة على غيرهم، ولو أنهم تمسكوا بدينهم حق التمسك، لأنتجوا، ولاشتغلوا لدنياهم ولآخرتهم، ولصار الكفار تبعًا لهم؛ مثلما كان في أول الإسلام، فهذه الأمور يجب التنبه لها.



ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ إِذَا رُكِّبَ بِأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ طَوِيلَةٍ غَرِيبَةٍ عَمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ اصْطِلَاحَهُمْ -أَوْهَمَتِ الْغِرَّ مَا يُوهِمُهُ السَّرَابُ لِلْعَطْشَانِ-، ازْدَادَ إِيمَانًا وَعِلْمًا بِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَإِنَّ الضِّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضِّدِّ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ بِالْبَاطِلِ أَعْلَمَ، كَانَ لِلْحَقِّ أَشَدَّ تَعْظِيمًا، وَبِقَدْرِهِ أَعْرَفَ.

الشَّرح

قوله: (ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ إِذَا رُكِّبَ بِأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ طَوِيلَةٍ غَرِيبَةٍ عَمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ اصْطِلَاحَهُمْ -أَوْهَمَتِ الْغِرَّ مَا يُوهِمُهُ السَّرَابُ لِلْعَطْشَانِ)؛ لأن عندهم قواعد مركبة من المقدمات والنتائج، يسمونها مقدمات ونتائج، فالذي ما عنده خبرة يغتر بهذه، يقول: (والله هذه صحيحة، هذه عقليات، وهذه بَدَهِيَّات)، يغتر بها، وهي في الحقيقة سراب من إنسان عطشان في البر من وهج الشمس، ينظر له سرابٌ أمامه، يفرح ويقول: هذا ماء. يذهب يركب ناحيته، وإذا جاء لم يجد شيئًا، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور:٣٩]، أنتم ترون السراب، أنتم كلكم من أهل البادية، بعضكم يذهب إلى البر، ويرى السراب وقت الظهيرة كأنه ماء، ثم إذا أقبلت، ما شاء الله ما هذه البحار هذه، وهذه الأنهار، وهو ما في شيء، شعاع الشمس ينعكس على القيعان، فيصير كأنه ماء.

هذه القواعد المنطقية وعلم الكلام والمقدمات والنتائج، والجوهر والعرض، الجواهر الفردى والجسم، هذه كلها اصطلاحات كلامية لا أصل لها ولا وجود لها، إنما هي اصطلاحات كلامية. مثلًا يقول: (الصفات أعراض، والأعراض لا تقوم إلا بجسم، والجسم لا يكون إلا مركبًا من الجواهر الفردى،

والأجسام متشابهة، فيلزم هذه النتيجة: يلزم من إثبات الصفات التشبيه؛ لأنه إذا أثبتناها، وصفنا الله بأنه جسم، والأجسام متشابهة، فيلزم التشبيه)، هذا دليلهم الطويل المعقد الذي لانتيجة له، كله باطل من أوله إلى آخره، الله جَلَّوَعَلَا لا يقاس بخلقه، ولا يشبهه أحد من خلقه، فله أسماء وصفات تليق به، وللخلق أسماء وصفات تليق بهم، ولا يشتبه هذا بهذا، فهم جعلوا الله مثل غيره، يقاس على غيره -تعالى الله عما يقولون-، قياس الخالق بالمخلوق هذا قياس فاسد.

قوله: (عَمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ اصْطِلَاحَهُمْ)، الذي ما يعرف علم المنطق وعلم الكلام يغتر به، ويظنه صحيحًا، لكن إذا درسه وسبر أغواره، ورأى نتائجه، يعرف أنه باطل، ولذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما درس هذا الفن أو هذه الفنون، أعجز أهلها، وأفحم أهلها بالرد عليهم، وأسكت أفواههم؛ لأنهم لا يستطيعون أن يباروه فيها، وهو أعلم بها من أصحابها، ولهذا يقول أصحاب المذاهب: (إن ابن تيمية أعرف بمذاهبنا منّا)، يذكر لهم أشياء ما يعرفونها من مذاهبهم، نتيجة ماذا؟ نتيجة الاطلاع والدراسة، أما الإنسان الذي لا يدرس هذه الأمور، ولا يدري عنها، يظنها صحيحة، وهذا مما يدل على الحث على التعلم والاطلاع حتى يكون الإنسان على بينة، ولا ينخدع.

قوله: (أَوْهَمَتِ الْغِرَّ)، الإنسان الغر الذي لا يميز الأمور، ويغتر بالظواهر أنها حقيقة، وأنها أدلة عقلية وبراهين يقينية، وهي مثل السراب للعطشان، السراب إذا أقبلت وقت القيلولة وقت الهجير، ترى أشعة الشمس تنعكس على القيعان، فتصير كأنها بحار أو أنهار تجري، تفرح تقول: الحمد لله هذا ماء، وأنا عطشان. تروح تركض تريد الشرب، فإذا وصلت، ما لقيت شيئًا؛ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ [النور:٣٩]، هذه

مثل حجج علماء الكلام، لها بريق ولها لمعان، ويسمونها عقلية وبراهين، وهي في الحقيقة لاشيء، ولا توصل إلى شيء، هل هذه مثل أدلة الكتاب والسنة؟!!

قوله: (ازْدَادَ إِيمَانًا وَعِلْمًا بِمَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، فَإِنَّ الضِّدَّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضِّدِّ)، هذا قطعة من بيت:

وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ ... وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الأَشْيَاءُ[1]

قوله: (وَكُلُّ مَنْ كَانَ بِالْبَاطِلِ أَعْلَمَ كَانَ لِلْحَقِّ أَشَدَّ تَعْظِيمًا، وَبِقَدْرِهِ أَعْرَفَ)، يقول: (اطلع على شبهاتهم؛ حتى لا تغتر بها، اطلع عليها، وألِم بها)، هذا فيه دليل على أنه يجب على طالب العلم أن يدرس شبهات المخالفين من أجل أن يعرف حقيقة ما عندهم؛ لئلا يغتر بها، ولا يقتصر على معرفة الحق فقط، بل يعرف الحق، ويعرف مضاده؛ حتى لا يلتبس عليه فيما بعد، والله جَلَّوَعَلَا ذكر في القرآن الحق والباطل، وضرب الأمثلة، ولذلك العلماء يذكرون في كتب العقائد مذاهب المعتزلة والجهمية والأشاعرة والماتريدية، هل يذكرون هذا لأنه صحيح وأنهم يحبون هذا؟ لا، يذكرونها ليبينوا زيغهم وبطلانهم؛ حتى لا يغتر به أحد، بعض

---

(١) جاء هذا البيت في أبيات من شعر أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي، المتوفى سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، قال فيها:

مَن يَظلِمُ اللُؤَماءَ في تَكليفِهِم ... أَن يُصبِحوا وَهُمُ لَهُ أَكفاءُ
وَنَذيمُهُم وَبِهِم عَرَفنا فَضلَهُ ... وَبِضِدِّها تَتَبَيَّنُ الأَشياءُ

انظر: ديوان المتنبي (ص١٢٧)، والحماسة المغربية (١/ ٤٧٣).

وجاء في أبيات لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الإشبيلي، المتوفى سنة عشرين وخمسمائة وقيل ثمان وعشرين وخمسمائة، قال فيها:

يا هاجِرًا أَسمَوهُ عَمدًا واصِلا ... وَبِضِدّها تَتَبيّن الأَشياءُ
أَلغَيتَني حَتّى كَأَنَّكَ واصِلٌ ... وَكَأَنَّني مِن طُولِ هَجرِكَ راءُ

انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٢/ ١٠٤).

الناس يقول: (لا، أنا يكفيني أني أعرف الحق فقط)، لا، ما يكفي أنك تعرف الحق، لابد تعرف الحق، وتعرف الباطل، ولهذا في الدعاء: (اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه)، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥]، وفي قراءةٍ: (وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ) بالفتح[١]، تستبين -أيها الرسول- سبيلَ المجرمين، فلابد أنك إذا عرفت الحق، تعرف ما يضاده، من أجل أن تكون ضده، ولا تغتر به، وتنبه عليه. لكن لا تذهب للباطل وتدرس الأشياء هذه قبل أن تدرس الحق، لابد أولًا أن تعرف الحق، ثم بعد ذلك تدرس شبهات هؤلاء، أما أنك من الأول تبدأ بعلم المنطق وعلم الكلام، ينطلي عليك، وتظنه صحيحًا، وبعد ذلك يصعب عليك الخروج منه، لكن إذا صار عندك مضاد ومقاوم ونور يكشف لك الطريق، فتسلح أولًا بالعلم الصحيح، ثم اطلع على الباطل؛ من أجل أن تكشفه وترده، ولذلك -والله أعلم- ما جاء في وقت الشيخ وبعده مثله في الإحاطة بمذاهب الناس، ولذلك استطاع أن يرد عليهم ردًا مفحمًا؛ لأنه سبر مذاهبهم وأقوالهم وشبهاتهم، حتى إنه يعرف من مذاهبهم ما لا يعرفون هم من مذاهبهم، فضل الله يؤتيه من يشاء، لكن هذا بعد العناية وبعد الصبر وبعد التحمل وبعد طلب العلم الصحيح، ما جاء هذا عفو الخاطر، ولا جاء وحي من الله، جاء بالتعلم والصبر والمذاكرة، فبعض الناس يظنّ أن العلم يأتيه بيوم وليلة، أو بمطالعة كتاب، لا، العلم يحتاج إلى بذل، لكن العلم يؤخذ شيئًا فشيئًا، لا يؤخذ دفعة واحدة، ولا يؤتى من أعلاه، يؤخذ على مسألة مسألة.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٣٧)، والسبعة في القراءات (ص٢٥٨)، والحجة في القراءات السبع (ص١٤١)، ومعاني القراءات للأزهري (١/ ٣٥٧).

كل من سبر الباطل، وعرف مداخله، وعرف أسبابه، صار أكثر تعظيمًا للحق، وأما الذي يجهل الباطل، فإنه يغتر به، ويظنه حقًّا.

فأنت حينما تدرس هذه الأشياء لا تدرسها للفائدة، تظن أنها تفيد، لكن تدرسها لتعرف بطلانها، وترد عليها.



فَأَمَّا الْمُتَوَسِّطُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ، فَيُخَافُ عَلَيْهِ مَا لَا يُخَافُ عَلَى مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ، وَعَلَى مَنْ قَدْ أَنْهَاهُ نِهَايَتَهُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ هُوَ فِي عَافِيَةٍ، وَمَنْ أَنْهَاهُ قَدْ عَرَفَ الْغَايَةَ؛ فَمَا بَقِيَ يَخَافُ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ، فَإِذَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ عَطْشَانُ إِلَيْهِ، قَبِلَهُ، وَأَمَّا الْمُتَوَسِّطُ، فَمُتَوَهِّمٌ بِمَا تَلَقَّاهُ مِنَ الْمَقَالَاتِ الْمَأْخُوذَةِ تَقْلِيدًا لِمُعَظِّمِهِ وَتَهْوِيلًا.

الشَّرْح

قوله: (فَأَمَّا الْمُتَوَسِّطُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ، فَيُخَافُ عَلَيْهِ مَا لَا يُخَافُ عَلَى مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ، وَعَلَى مَنْ قَدْ أَنْهَاهُ نِهَايَتَهُ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ هُوَ فِي عَافِيَةٍ، وَمَنْ أَنْهَاهُ قَدْ عَرَفَ الْغَايَةَ)، الذي ما دخل فيه هذا في عافية، والذي أنهاه، عرفه، وعرف أنه لا شيء، لكن المشكل المتوسط منهم الذي دخل، ولكنه ما تمكن، فهذا يقع في حيرة، يريد أن يرجع لا يستطيع، يريد أن يمضي لا يستطيع، يقع في حيرة المتوسط منهم، الذي دخل فيه لكنه لم يتقنه، عليه خطرٌ أشد، فالسلامة في عدم الدخول فيه، هذا لا جدال فيه أن السلامة في تركه، لكن من دخل فيه وأتقنه، هذا -أيضًا- أقرب إلى الرجوع إلى الحق؛ لأنه عرفه وسبره، وعرف أنه باطل، فتركه عن اقتناع، ولا ينخدع به، إنما الخطر على المتوسط في علم الكلام، وسيضرب الشيخ لكم مثالًا.

فإن من لم يدخل فيه، فهو في عافية، وهذا هو المطلوب، ومن أنهاه، عرفه، ولم يغتر به.

قوله: (فَمَا بَقِيَ يَخَافُ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ، فَإِذَا ظَهَرَ لَهُ الْحَقُّ وَهُوَ عَطْشَانُ إِلَيْهِ، قَبِلَهُ)، إذا ظهر له الحق، وهو عطشان؛ لأنه ما وجد إلا سرابًا، فإذا وجد الماء حقيقةً، فرح به، كذلك الذي عرف علم الكلام، وأنه لا يوصل إلى شيء، ورأى الكتاب والسنة، يفرح ويستريح.

قوله: **(وَأَمَّا المُتَوَسِّطُ، فَمُتَوَهِّمٌ بِمَا تَلَقَّاهُ مِنَ المَقَالَاتِ المَأْخُوذَةِ تَقْلِيدًا لِمُعَظِّمِهِ وَتَهْوِيلًا)**، المتوسط هو الذي عليه الخوف، فإما أن الإنسان لا يدخل فيه، وهذا أحسن، وإما أن يُنهيه ويعرف أغواره وما فيه من الخطأ والضلال؛ من أجل أن يجتنبه عن معرفة.

أنت إذا أردت أن تسافر، هل تسلك الطريق الذي لا تدري عنه، فيه سباع أو فيه قطاع طرق، أو مفاوز ما فيها ماء، أم أنك تسأل عن الطريق، وماذا يشتمل عليه؟ وما الذي أمامه؟ لا بدّ أن تعرف الطريق أوّلًا، أو تذهب مع أناس يعرفون الطريق، أما أنك تذهب في طريق لا تدري ماذا يلاقيك فيه، هذا مثل الذي يدخل في علم الكلام، يمشي في طريق لا يدري ماذا فيه، ولا أين نهايته، فكونه يحجم من الأول أحسن له.



وَقَدْ قَالَ النَّاسُ: أَكْثَرُ مَا يُفْسِدُ الدُّنْيَا: نِصْفُ مُتَكَلِّمٍ، وَنِصْفُ مُتَفَقِّهٍ، وَنِصْفُ مُتَطَبِّبٍ، وَنِصْفُ نَحْوِيٍّ؛ هَذَا يُفْسِدُ الأَدْيَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الْبُلْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الأَبْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ اللِّسَانَ.

وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ هُمْ فِي الْغَالِبِ ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾، يَعْلَمُ الذَّكِيُّ مِنْهُم الْعَاقِلُ أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ فِيمَا يَقُولُهُ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَأَنَّ حُجَّتَهُ لَيْسَتْ بَيِّنَةً، وَإِنَّمَا هِيَ كَمَا قِيلَ فِيهَا:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ[1].

الشَّرح

قوله: (**وَقَدْ قَالَ النَّاسُ: أَكْثَرُ مَا يُفْسِدُ الدُّنْيَا: نِصْفُ مُتَكَلِّمٍ، وَنِصْفُ مُتَفَقِّهٍ، وَنِصْفُ مُتَطَبِّبٍ، وَنِصْفُ نَحْوِيٍّ؛ هَذَا يُفْسِدُ الأَدْيَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الْبُلْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ الأَبْدَانَ، وَهَذَا يُفْسِدُ اللِّسَانَ**)، هذا المثال، أكثر ما يفسد الدنيا أربعة:

هذا الذي نصف المتكلم يفسد الأديان، يعني: يفسد العقائد.

وهذا المفتي نصف الفقيه، الذي نسميه الآن نصف متعلم، هذا يفسد البلدان في فتاواه، يفتي بجهل، فيوقع الناس في الخطأ، أو يقضي بجهل، وينزع الحقوق من أصحابها لغير أصحابها؛ لأنه ليس متمكنًا من الفقه، فيفسد البلدان بفتاويه، وهذا هو الواقع الآن، كم أفسد هؤلاء أنصاف المتعالمين كم أفسدوا على الناس دينهم!

ونصف الطبيب: يفسد الأبدان، يجري عمليات، ويقطع أطرافًا، ويفتح البطون، وهو ما عنده تمكن من الطب، هذا يفسد الأبدان؛ إما بموت، وإما بعيب.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨)، وبيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٥٣)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٧).



أما الطبيب الماهر، فلا، الطبيب الماهر يعرف كيف يجري العملية وما هي سلبياتها، وما تحتاج من العلاج. فرقٌ بين الطبيب الماهر والمتطبب، ولهذا جاء الوعيد الشديد على من تطبب وهو غير طبيب؛ لأنه يفسد الناس، ويفسد الأبدان.

ونصف النحوي: يفسد اللسان باللحن والخطأ في اللغة، ويزعم أنه نحوي، لا بد أن يتقن النحو، إذا كان يريد أن يتعلم النحو، يتعلم الطب، ولا يباشر العمليات إلا بعد الإتقان، لا يباشر التدريس، يدرِّس النحو إلا بعد إتقان النحو، المفتي لا يفتي إلا بعد أن يتقن الأحكام الشرعية بأدلتها؛ من أجل أن يفتي عن علم، المتكلم الذي دخل في علم الجدل لابد أن يُنهي الفن هذا، يُنهيه إنهاءً، لأجل أنه يعرف حقه من باطله، إن كان فيه حق يميز.

قوله: (وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْمُتَفَلْسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ هُمْ فِي الْغَالِبِ ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾)، المتكلمون من المتفلسفة، والمتفلسفة جمع متفلسف، والفيلسوف هو الحكيم عندهم، الفلسفة هي الحكمة عندهم؛ لأن المنطق من أين جاء؟ المنطق جاء من اليونان، جاء من العجم، ما هو من علوم المسلمين، ولا من علوم العرب، وإنما هو من فلاسفة اليونان؛ لأن اليونان هي أقدم بلاد العالم في الفلسفة والمنطق والأشياء هذه.

المتفلسفة لم يُجمعوا على رأي؛ لأنهم ليس لهم مصدر، وإنما مصدرهم اصطلاحاتهم، واصطلاحاتهم تختلف، كلٌّ يدّعي أنه مع الحق، فلذلك صاروا في قولٍ مختلف؛ ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات:٨، ٩].

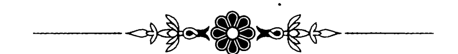
قوله: (يَعْلَمُ الذَّكِيُّ مِنْهُم الْعَاقِلُ: أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ فِيمَا يَقُولُهُ عَلَى بِصِيرَةٍ، وَأَنَّ حُجَّتَهُ لَيْسَتْ بَيِّنَةً وَإِنَّمَا هِيَ كَمَا قِيلَ فِيهَا:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ)، هذا الذكي العاقل من علماء الكلام يعترف أنهم ليسوا على حق، وليسوا على جادة صواب، وقد نطقوا بذلك، ولهم أشعار وكلمات موجودة.

هذه حجج المنطق وعلم الكلام، لها لمعان كالزجاج، مزورة مزينة في الظاهر، لكن كلٌ منها كاسر مكسور، كالحجة تكسر الأخرى:

حُجَجٌ تَهَافَتُ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلٌّ كَاسِرٌ مَكْسُورُ

فيما بينهم، ولا يصلون إلى شيء؛ أنت -يا فلان- تقول كذا، والرد عليك كذا، وهم يقولون، وأنت تقول كذا، والرد عليك كذا...، ما توصلوا إلى شيء.





وَيَعْلَمُ الْعَلِيمُ أَنَّهُمْ مِنْ وَجْهٍ مُسْتَحِقُّونَ مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ: (حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ وَيُقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ)[١].

وَمِنْ وَجْهٍ آخَرَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْقَدَرِ -وَالْحَيْرَةُ مُسْتَوْلِيَةٌ عَلَيْهِمْ، وَالشَّيْطَانُ مُسْتَحْوِذٌ عَلَيْهِمْ-، رَحِمْتَهُمْ، وَرَفِقْتَ عَلَيْهِمْ، وَأُوتُوا ذَكَاءً وَمَا أُوتُوا زَكَاءً، وَأُعْطُوا فُهُومًا، وَمَا أُعْطُوا عُلُومًا[٢]، وَأُعْطُوا سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦].

الشرح

انظر! أئمة الإسلام الذين عندهم الثبات واليقين والعلم الراسخ ماذا يقولون في علم الكلام. هذا من باب التعزير لهم والإشهار لهم، تركوا الكتاب والسنة وأقبلوا على علم الكلام، فاستحقوا الإهانة أمام الناس.

لا شك أن الضلال -والعياذ بالله- والكفر أمرٌ مقدر من الله جَلَّ وَعَلَا، لايكون في هذا الكون من كفرٍ وإيمانٍ، وفسقٍ وطاعة، وهدى وضلال، وخير وشر، لا يكون إلا بقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكن الله يقدر هذه الأشياء لأسباب من قِبل العبد، فهؤلاء لما أعرضوا عن تعلم الكتاب والسنة، عاقبهم الله جَلَّ وَعَلَا بزيغ القلوب؛ ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]، فلا حيلة فيهم؛ لأنه إذا زاغ

---

(١) انظر: سير الأعلام (١٠/ ٢٩)، وقال الذهبي عقبه: «لعل هذا متواترًا عن الإمام»، وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٧٢).

(٢) في نسخة: «أُعْطُوا عُلُومًا وَمَا أُعْطُوا فُهُومًا».

وضل، فليس هناك حيلة، فأنت إذا نظرت إليهم بهذا المنظار، فإنك تحمد الله على العافية، ولا تتشمت بهم؛ لئلا يصيبك ما أصابهم.

قوله: (**وَمِنْ وَجْهٍ آخَرَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْقَدَرِ -وَالحِيرَةُ مُسْتَوْلِيَةٌ عَلَيْهِمْ، وَالشَّيْطَانُ مُسْتَحْوِذٌ عَلَيْهِمْ-، رَحِمْتَهُمْ، وَرَفِقْتَ عَلَيْهِمْ**)، بعين قدر الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يكون في هذا الكون إلا ما قدّره الله، والله يقدر الهداية لمن فعل أسبابها، ويقدر الضلال لمن فعل أسبابه؛ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل:٥-١٠]، فالسبب من عند العبد والقضاء والقدر من عند الله، والله لا يقدر هذا إلا عقوبة لصاحبه أو جزاء على حسناته، والله حكمٌ عدل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم:٣٥، ٣٦]، ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص:٢٨]، الله يعطي كلًا على حسب عمله وسعيه، إن سعى في الخير، وفقه الله للخير، إن سعي في الشر، يسره الله للشر؛ عقوبة له، ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [محمد:١٧]، ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [الصف:٥].

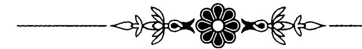
قوله: (**وَأُوتُوا ذَكَاءً وَمَا أُوتُوا زُكَاءً**)، أوتوا ذكاءً، عندهم عقول، لكنهم لم يأتوا زكاةً يعني: طهارة، لم يأتوا طهارة، ولم يستعملوا ذكاءهم فيما ينفعهم، بل استعملوه فيما يضرهم، فالله جَلَّ وَعَلَا لم يظلمهم، أعطاهم ذكاءً، لكنهم لم يطهروا أنفسهم، فالله عاقبهم بالضلال -والعياذ بالله-، والذكاء بدون زكاة لاينفع، بل يضر صاحبه.

قوله: (وَأُعْطُوا فُهُومًا وَمَا أُعْطُوا عُلُومًا)، هم يفهمون، وليسوا مجانين ولامعتوهين، يفهمون، لكنهم لم يؤتوا علومًا، لم يستعملوا أفهامهم لطلب العلم النافع، بل استعملوها فيما يضرهم، والله يجازي العبد على حسب عمله في الخير والشر، لكنه بفضله يضاعف الحسنات، ويعطي عليها أجرًا كثيرًا، وأما السيئات، فلايزيدها، يعذب على قدرها؛ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، من أين جاءت له العشرة هذه، وهو ما له إلا حسنة واحدة؟ من فضل الله جَلَّوَعَلَا، ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام:١٦٠]، هذا عدلٌ من الله جَلَّوَعَلَا، الله لا يضاعف عليه السيئات وإنما يجزيه بالسيئة سيئة واحدة فقط، هذا من باب العدل، وأما مضاعفة الحسنات، هذا من باب الفضل، وفضل الله لا حد له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، يضاعف لمن يشاء.

قوله: (وَأُعْطُوا سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾)، أعطاهم الله سمعًا، فلم يستفيدوا منه، وأبصارًا، فلم ينتفعوا بأبصارهم، وأفئدة -يعني: قلوبًا وعقولًا- لم يستفيدوا منها؛ لأنهم استعملوا هذه الأشياء في الباطل، وأما لو أنهم استعملوها في الحق، لو أنه استعمل سمعه بسماع الحق، وبصره للحق، والتفكر في آيات الله، والنظر في ملكوت الله، واستعمل قلبه لخشية الله عَزَّوَجَلَّ، وكان تفكيره فيما ينفعه، لكان ذلك خيرًا له، لكن لما عطّل هذه الحواس من الخير، استعملها في الشر؛ عقوبةً له، ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة:٤٢]، فتجد أصحاب الباطل إذا سمعوا الباطل، يرتاحون ويذهبون إليه، بل يسافرون له، أو الشهوات المحرمة يذهبون إليها، لكن إذا سمعوا الحق، لا يلتفتون إليه، يسمعون المؤذن: «حي على الصلاة، حي

على الفلاح»، ولايتحركون، يسمعون صوت المزمار والدفوف، يهرولون إليها، هذه طبيعة أهل الضلال، فهؤلاء لن يستفيدوا من أسماعهم ولا من أبصارهم ولا من عقولهم.

لما ذكر الله عقوبة قوم عاد، قال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾، السبب: ﴿إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦]، فليس هذا خاصًّا بقوم عاد، بل هذا مثالٌ ضربه الله للبشرية بأنها لا تسلك مسلك قوم عاد، بل تستعمل عقولها وأسماعها وأبصارها وقلوبها فيما ينفعها.



وَمَنْ كَانَ عِلِيمًا بِهَذِهِ الأُمُورِ، تَبَيَّنَ لَهُ بِذَلِكَ حِذْقُ السَّلَفِ وَعِلْمُهُمْ وَخِبْرَتُهُمْ؛ حَيْثُ حَذَّرُوا عَنِ الْكَلامِ وَنَهَوْا عَنْهُ، وَذَمُّوا أَهْلَهُ وَعَابُوهُمْ، وَعَلِمَ أَنَّ مَن ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَمْ يَزْدَدْ إِلا بُعْدًا.

فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ، آمِينَ.

الشَّرح

قوله: (**وَمَنْ كَانَ عِلِيمًا بِهَذِهِ الأُمُورِ: تَبَيَّنَ لَهُ بِذَلِكَ حِذْقُ السَّلَفِ وَعِلْمُهُمْ وَخِبْرَتُهُمْ؛ حَيْثُ حَذَّرُوا عَنِ الْكَلامِ وَنَهَوْا عَنْهُ، وَذَمُّوا أَهْلَهُ وَعَابُوهُمْ**)، حذروا عن علم الكلام وتعلمه؛ لما يعلمونه فيه من العواقب الوخيمة، وأنه لا يكون بديلًا عن الكتاب والسنة، لا يكون علم الكلام بديلًا عن الكتاب والسنة؛ كما جعله هؤلاء بديلًا عن الكتاب والسنة، بل فضلوه على الكتاب والسنة، قالوا: (الكتاب والسنة أدلة ظنية، وهذا دليل عقلي يقيني)، أدلة يقينية. كذا يقولون.

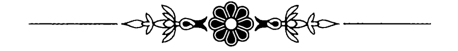
هل حذروا منه ونهوا عنه وذموا أهله لأجل هوى أو تعصب؟ لا، إنما ذموا أهله وحذروا منه لعلمهم بعواقبه ونتائجه، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤]، ويقول: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٣٦، ٣٧]، هذه المصيبة لأنه يحسب أنه مهتد، ولو كان يعلم أنه ضال، ربما يرجع لو كان يعلم أنه ضال، لكن غلبه الهوى والشهوة، ربما يرجع ويندم، لكن المشكلة يحسب أنه مهتد، فلا يرجع؛ ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٣].

قوله: (وَعَلِمَ أَنَّ مَن ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَمْ يَزْدَدْ إِلَّا بُعْدًا)، هذا في القرآن: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه:١٢٤]، فالهداية إلى الدين وإلى الدار الآخرة إنما هي في الكتاب والسنة؛ لأن الله أنزلها لذلك رحمةً بعباده، ولم يتركهم لأهوائهم وأفكارهم ونزاعاتهم، بل أنزل عليهم الكتاب والسنة.

قوله: (فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، آمِينَ)، هذا الدعاء في آخر سورة الفاتحة، تقرؤه أنت في كل ركعة، ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦]، هذا صراط السلف الذي عليه السلف الصالح أهل السنة والجماعة، ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩]، وتسأله أن يجنبك طريق المغضوب عليهم، وهم الذين علموا الحق، وتركوه عن علم -كاليهود مثلًا-، وطريق الضالين، وهم الذين يعملون على الجهل وضلال من النصارى والمتصوفة وعُباد القبور وغيرهم، هؤلاء يعبدون الله على جهل وضلال؛ لأنه -كما سبق- مصادرهم إما حكاية، وإما حديث مكذوب، وإما رؤية من الشيطان، وإما وإما.....

فهذه رسالةٌ عظيمة مفيدة جدًّا، لكن تحتاج إلى تأمل وإعادة نظر، وتكرار لقراءتها.

اللهم صلِّ وسلم على محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.



فهرس المراجع

- الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق فوقية حسين محمود، دار الأنصار القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.
- الإبانة في اللغة العربية، المؤلف: سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري، المحقق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صفية، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ٤.
- أبجد العلوم، صديق بن حسن القنوجي، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٩٧٨م.
- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي، تحقيق محمد حمود النجدي، مكتبة دار الإمام الذهبي، الطبعة الأولى١٤١٠هـ.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد الدمياطي، تحقيق أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- إثبات صفة العلو، ابن قدامة المقدسي، تحقيق بدر عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن القيم، دار الكتاب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق عبد الملك ابن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام، المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ)، المحقق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

- إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٤.
- أخبار مكة، محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، تحقيق عبد الملك بن عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.
- الأربعين في دلائل التوحيد، أبو إسماعيل الهروي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- الاستيعاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- الأسماء والصفات، أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، المحقق: رتبها محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، الناشر: دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة، عدد الأجزاء: ١.
- أصول الشاشي، المؤلف: نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي (المتوفى: ٣٤٤هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ١.
- أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.
- الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية، مصر.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

❁ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر الرازي، تحقيق علي سامي النشار، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة ١٤٠٢هـ.

❁ إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١)، حققه: محمد عزير شمس، خرج أحاديثه: مصطفى بن سعيد إيتيم، الناشر: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم واحد متسلسل).

❁ الإكمال، علي بن هبة الله بن أبي نصر بن ماكولا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

❁ الأمثال السائرة من شعر المتنبي، المؤلف: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥هـ)، المحقق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الناشر: مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، عدد الأجزاء: ١.

❁ الأمثال، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلّام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ١.

❁ الأمثال، المؤلف: زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة، أبو الخير الهاشمي (المتوفى: بعد ٤٠٠هـ)، الناشر: دار سعد الدين، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ١.

❁ الأنساب، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

❁ إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، محمد بن نصر المرتضى (ابن الوزير)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

❁ إيضاح الدليل، محمد بن إبراهيم بن جماعة، دار السلام للطباعة.

❁ البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

❁ البداية والنهاية، الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.

❁ بيان تلبيس الجهمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

❁ تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار، مكتبة المعارف، القاهرة طبعة ١٩٥٩م.

❁ تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩هـ.

❁ تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

❁ تاريخ العلماء بالأندلس، الحافظ أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يونس الأزدي، تحقيق عزت العطار الحسيني، مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ.

❁ التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق السيد هاشم الندوي، دار الفكر، بيروت.

❁ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

❁ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٥م.

❁ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، تحقيق محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، طبعة ١٣٩٣هـ.

❁ تأويل مشكل القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

❁ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.

❁ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.

❁ تدريب الراوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

❁ التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شركة العبيكان للطباعة والنشر.

❁ التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم محمد الرافعي القزويني، تحقيق عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٩٨٧م.

❁ الترغيب والترهيب، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

❁ التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

❁ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

❁ تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المروزي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

❁ تفسير ابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠٥هـ.

❁ تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠١هـ.

❁ تفسير البغوي، تحقيق محمد النمر، وعثمان صميرية، وسليمان الحرش.

❁ تفسير السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة ١٤٢١هـ.

❁ تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر ابن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

❁ تفسير القرطبي، طبعة دار الشعب، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

❁ تفسير الماوردي = النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، عدد الأجزاء: ٦.

❁ تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

❁ تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ التقييد، محمد بن عبد الغني البغدادي، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

❁ تلبيس إبليس، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: ١.

❁ تلبيس إبليس، لابن الجوزي، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

❁ التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، عدد الأجزاء: ١.

❁ التمهيد ابن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.

❁ تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

* تهذيب الكمال، يوسف أبو الحجاج المزي، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.
* تهذيب اللغة للأزهري، دار القومية العربية، مصر.
* التوحيد وإثبات صفات الرب U، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق عبد العزيز إبراهيم الشهوان، دار الرشد بالرياض، طبعة ١٤١٨هـ.
* الثقات لابن حبان، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.
* جامع العلوم والحكم، تحقيق طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية١٤٢٠هـ.
* الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٧١هـ.
* جمهرة الأمثال، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى ابن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.
* الجواب الصحيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق علي سيد صبيح المدني، مطبعة المدني، مصر.
* حاشية السنن لابن القيم، من مختصر السنن، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
* الحث على التجارة والصناعة والإنكار على من يدعي التوكل وترك العمل، دار العاصمة، الرياض.
* حجة القراءات، لأبي زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ.

- الحجة في القراءات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠١ هـ، عدد الأجزاء: ١.
- الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، المحقق: د. مازن المبارك، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١، عدد الأجزاء: ١.
- حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- الحماسة المغربية، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م، عدد الأجزاء: ٢.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، المؤلف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ)، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: ٢.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، عالم الكتب، بيروت.
- خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار المعارف، الرياض، طبعة ١٣٩٨هـ.
- الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية،

بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، عدد الأجزاء: ١٣ (آخر جزئين فهارس).

❁ الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٩٩٣م.

❁ درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبية، الرياض، طبعة ١٣٩١هـ.

❁ ذم التأويل، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ ذيل طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.

❁ ذيل طبقات الحنابلة، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٥.

❁ رحلة ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد، تحقيق سامي الدهان، مديرية إحياء التراث، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٧٩م.

❁ الرد على الجهمية لابن منده، تحقيق علي محمد ناصر الفقيهي، المكتبة الأثرية، باكستان.

❁ الرد على الجهمية، عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

❁ الرد على الزنادقة والجهمية، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق محمد حسن راشد، المطبعة السلفية، القاهرة، طبعة ١٣٩٣هـ.

❁ رسالة الماتريدية، شمس الدين الأفغاني.

❁ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة١٤١٢هـ.

❁ روضة الناظر، لابن قدامة المقدسي، تحقيق عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.

❁ رؤية الله، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق مبروك إسماعيل مبروك، مكتبة القرآن، القاهرة.

❁ الرياض النضرة، أبو جعفر الطبري، تحقيق عيسى عبد الله محمد مانع الحميري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

❁ زاد المسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

❁ الزهد، هناد بن سري الكوفي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد البغدادي، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ.

❁ السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

❁ السلسلة الضعيفة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

❁ السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

❁ السنة للخلال ـ دار الراية للنشر والتوزيع ـ الرياض.

❁ السنة، عبد الله بن أحمد بن حنبل، تحقيق محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

❁ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

❁ سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.

❁ سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.

❁ سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

❁ السنن الكبرى للبيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، طبعة ١٤١٤هـ.

❁ السنن الكبرى للنسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

❁ سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ.

❁ سيرة الإمام أحمد بن حنبل ـ أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل، تحقيق فؤاد عبدالمنعم أحمد، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

❁ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.

❁ شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة١٣٩١هـ.

❁ شرح الفتوى الحموية، الشيخ محمد أمان، الشريط الرابع، الوجه الثاني.

❁ شرح الفقه الأكبر للماتريدي (ضمن الرسائل السبعة في العقائد)، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد.

❁ شرح القصيدة النونية، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

❁ شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

❁ شرح الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق سعد الصميل، دار ابن الجوزي، طبعة ١٤١٦هـ.

❁ شرح علل الترمذي، ابن رجب الحنبلي، تحقيق همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

❁ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الشيخ عبد الله الغنيمان، مكتبة لينة، طبعة ١٤١٣هـ.

❁ شرح لمعة الاعتقاد، محمد بن صالح العثيمين، تحقيق أشرف عبد المقصود، أضواء السلف، طبعة ١٤١٥هـ.

❁ شرح مختصر الروضة للطوفي، تحقيق عبد الله التركي، طبعة ١٤١٩هـ.

❁ الشريعة للآجري، مطابع الأشراف، لاهور.

❁ شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

❁ الصارم المسلول على شاتم الرسول، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد عبد الله الحلواني ومحمد كبير شودري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

❁ صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

❁ صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ١٣٩٠هـ.

❁ صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

❁ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

❁ صريح السنة، ابن جرير الطبري، تحقيق بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

❁ الصفات، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق عبد الله الغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

❁ صفة المنافق، جعفر بن محمد بن الحسين الفريابي، تحقيق بدر البدر، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

❁ الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، الطبعة الثانية١٤٠٦هـ.

❁ الصواعق المرسلة لابن القيم، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

❁ الضعفاء والمتروكين، لأبي الفرج بن الجوزي، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ الضعفاء، أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار المكتبة العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

❁ طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

❁ طبقات الحنابلة، محمد بن أبي يعلى أبو الحسين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

❁ طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء، مير محمد كتب خانة، كراتشي.

❁ طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن عبد الله بن عبد الكافي السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ.

❁ طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، تحقيق خليل الميس، دار القلم، بيروت.



❁ طبقات المحدثين بأصبهان، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، تحقيق عبد الغفور حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

❁ طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الداودي، تحقيق سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

❁ طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦م.

❁ طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

❁ ظلال الجنة، محمد ناصر الدين الألباني.

❁ العبر في خبر من غبر، شمس الدين الذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت

❁ العرش، محمد بن عثمان بن أبي شيبة، تحقيق محمد بن حمد الحمود، مكتبة المعلا، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ العظمة، لأبي الشيخ، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

❁ العقد الفريد، المؤلف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ، عدد الأجزاء: ٨.

❁ العقود الدرية لابن عبد الهادي، دار الكتب العلمية، بيروت.

❁ العقيدة الأصفهانية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

❁ العقيدة النظامية (الرسالة النظامية) للجويني، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

❁ العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد بن عبد العزيز بن مانع، الرئاسة العامة للإفتاء، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

❁ عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، لحمود التويجري، دار اللواء، الرياض.

❁ العلل المتناهية، ابن الجوزي، تحقيق خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

❁ العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، لشمس الدين الذهبي، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

❁ العين للخليل بن أحمد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

❁ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أحمد بن القاسم الخزرجي، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

❁ غاية المرام للآمدي، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى، القاهرة، طبعة ١٣٩١هـ.

❁ غريب الحديث، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، عدد الأجزاء: ٢.

❁ غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

❁ الفائق في أصول الفقه، المؤلف: صفي الدين محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموي الهندي الشافعي (المتوفى: ٧١٥ هـ)، المحقق: محمود نصار، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ٢.



- فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت.
- الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤٠٦هـ.
- فرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، دار الأضواء، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ.
- الفرق بين الضاد والظاء، المؤلف: تقيّ الدين أبو بكر عبد الله بن علي بن محمد الشَّيْبَاني الموصلي ثم الدمشقي الشافعي (المتوفى: ٧٩٧هـ)، المحقق: الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، إهداء: سيف بن أحمد الغرير، الناشر: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.
- الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.
- فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب، الكويت.
- فضل الصحابة، أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- الفقه الأكبر برواية أبي مطيع البلخي، مكتبة الفرقان، الإمارات.
- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ـ مطابع القصيم ـ الرياض.
- الفلك الدائر على المثل السائر (مطبوع بآخر الجزء الرابع من المثل السائر)، المؤلف: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (المتوفى: ٦٥٦هـ)، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، عدد الأجزاء: ١.

❁ الفهرست، محمد بن إسحاق بن النديم، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٣٩٨ هـ.

❁ فهم القرآن، الحارث بن أسد بن عبد الله المحاسبي، تحقيق حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ.

❁ فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

❁ القدر، أبو بكر جعفر بن محمد بن المستفاض، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، أضواء السلف، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

❁ الكاشف، شمس الدين محمد بن أحمد أبو عبد الله الذهبي الدمشقي، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة للثقافة، جدة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

❁ الكامل في التاريخ لابن الأثير، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت.

❁ الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

❁ كتاب التوحيد مع فتح المجيد، تحقيق أشرف عبد المقصود، مؤسسة قرطبة.

❁ كتاب الفتن، المؤلف: أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (المتوفى: ٢٢٨هـ)، المحقق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٢، عدد الأجزاء: ٢.

❁ كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، المؤلف: عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ٤.

❁ كشف الخفاء، إسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.

❁ كشف الظنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٤١٣هـ.



❁ كنز العمال للمتقي الهندي، بيت الأفكار الدولية.

❁ اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، دار صادر، بيروت، طبعة ١٤٠٠هـ.

❁ لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

❁ لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق دائرة المعارف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

❁ لطائف المعارف، للحافظ ابن رجب، توزيع مؤسسة الراجحي الخيرية.

❁ لمعة الاعتقاد، عبد الله بن قدامة المقدسي، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله ابن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، عدد الأجزاء: ٤.

❁ مجمع الأمثال، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٢.

❁ مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، وبيروت.

❁ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية

❁ المحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ١١ (١٠ مجلد للفهارس).

❁ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.

❁ مختصر السنن للمنذري، ومعه معالم السنن، شرح سنن أبي داود، للحافظ أبي سليمان أحمد بن محمد الخطابي، ومعه تهذيب السنن، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، وأحمد محمد شاكر، دار المعرفة، طبعة ١٤٠٠هـ.

❁ مختصر العلو للذهبي، اختصار وتحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ.

❁ المختصر في أصول الفقه لابن اللحام، تحقيق محمد مظهر، جامعة الملك عبدالعزيز، مكة المكرمة.

❁ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

❁ المدخل إلى السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب، الكويت، طبعة ١٤٠٤هـ.

❁ المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، تحقيق عبد القادر بن بدران الدمشقي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

❁ مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، المؤلف: شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٥٨١ - ٦٥٤ هـ)، تحقيق وتعليق: [بأول كل جزء تفصيل أسماء محققيه]، محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، عدد الأجزاء: ٢٣ (الأخير فهارس).

❁ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

❁ المستصفى لأبي حامد الغزالي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.

❁ المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ، عدد الأجزاء:١.

❁ مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

❁ مسند إسحاق بن راهويه، تحقيق عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

❁ مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.

❁ مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

❁ مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.

❁ مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

❁ مسند الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.

❁ مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي البدري ومحمود محمد خليل، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

❁ مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، عدد الأجزاء: ٢.

❁ مشاهير علماء الأمصار، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي، تحقيق فلايشهمر، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة ١٩٥٩ م.

❁ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تحقيق محمد المنتقى الكشناوي، دار الكتب العربية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

❁ المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

❁ مصرع التصوف، برهان الدين البقاعي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، دار عباس أحمد الباز، مكة المكرمة، طبعة ١٤٠٠هـ.

❁ مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

❁ مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

❁ المطلع على ألفاظ المقنع، المؤلف: محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، أبو عبد الله، شمس الدين (المتوفى: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: ١.

❁ معارج القبول، حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

❁ المعارف لابن قتيبة، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة.

❁ معاني القراءات للأزهري، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

❁ معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٥.

❁ معاني القرآن، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.

❁ المعتمد في أصول الفقه، المؤلف: محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري المعتزلي (المتوفى: ٤٣٦هـ)، المحقق: خليل الميس، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣، عدد الأجزاء: ٢.

❁ معجم الأدباء، أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

❁ المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.

❁ معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار الفكر، بيروت.

❁ المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

❁ المعجم الوسيط، إصدار مجمع اللغة العربية بمصر.

❁ معجم مقاييس اللغة لابن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ١٤٢٢هـ.

❁ معرفة القراء الكبار للذهبي، تحقيق بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

❁ معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري، تحقيق السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

❁ المغني عن حمل الأسفار للعراقي، مكتبة دار طبرية، طبعة١٤١٥هـ.

❁ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

❁ مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الثالثة.

❁ الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٤٠٤هـ.

❁ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ١٩.

❁ المنخول من تعليقات الأصول، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، حققه وخرج نصه وعلق عليه: الدكتور محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت لبنان، دار الفكر دمشق - سورية، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، عدد الأجزاء: ١.

❁ منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

❁ المنهل الروي، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

❁ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء:٢.

❁ موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.

❁ ميزان الأصول في نتائج العقول، المؤلف: علاء الدين شمس النظر أبو بكر محمد ابن أحمد السمرقندي (المتوفى: ٥٣٩ هـ)، حققه وعلق عليه وينشره لأول مرة: الدكتور محمد زكي عبد البر، الأستاذ بكلية الشريعة - جامعة قطر، ونائب رئيس محكمة النقض بمصر (سابقا)، الناشر: مطابع الدوحة الحديثة، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، عدد الأجزاء: ١.

❁ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٥م.

❁ النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية، المطبعة السلفية، القاهرة، طبعة١٣٨٦هـ.

❁ النجوم الزاهرة، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، وزارة الثقافة، مصر.

❁ نخبة الفكر لابن حجر، دار إحياء التراث، بيروت.

❁ نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني، مكتبة المتنبي، القاهرة.

❁ نهاية الوصول في دراية الأصول، المؤلف: صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي (٧١٥ هـ)، المحقق: د. صالح بن سليمان اليوسف - د. سعد ابن سالم السويح، أصل الكتاب: رسالتا دكتوراة بجامعة الإمام بالرياض، الناشر: المكتبة التجارية بمكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ٩ (في ترقيم واحد متسلسل) (الأخير فهارس).

❁ النهاية في غريب الأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، طبعة ١٣٩٩هـ.

❁ هداية الحيارى، لابن القيم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

❁ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠هـ.

❁ الوساطة بين المتنبي وخصومه، المؤلف: أبو الحسن علي بن عبد العزير القاضي الجرجاني (المتوفى: ٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، عدد الأجزاء: ١.

❁ وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.



فهرس الموضوعات



تم بحمد الله